



مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of
Arts- alkhomes

23

العدد

الثالث

والعشرون

سبتمبر 2021م

تصنيف الرقم الدولي (ISSI /2710-3781)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ

لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا

لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿

صدق الله العظيم

(سورة النحل - آية 103)

هيئة التحرير

- د. أنور عمر عبد السلام أبوشينة رئيساً
- د. فوزية محمد علي مراد عضواً
- د. عبد المولى محمد حسين الدبار عضواً
- د. أحمد مريحيل حريش تنفيذ

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب/ كلية الآداب الخمس، وتنتشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية.

كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة، ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية تجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف/واتساب (00218925217277 د. أنور)

(00218926861809 د. عبد المولى) - أو (00218924778614 د. فوزية)

hsj@elmergib.edu.ly

البريد الإلكتروني:

journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gmail.com

قواعد ومعايير النشر

- تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة، التي تتسم بوضوح المنهج، ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية، والإنجليزية، والدراسات الإسلامية، والشعر والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والفلسفة وعلم الاجتماع، والتربية وعلم النفس، وما يتصل بها من حقول المعرفة.

- ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة، على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

- نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة، ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة التي تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

- ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين، وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات الآتية (اسم المؤلف كاملاً - عنوان

الكتاب - مكان وتاريخ النشر - عدد صفحات الكتاب - اسم الناشر -
 نبذة مختصرة عن مضمونه - تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة
 (الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

- يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوي على
 مقومات ومعايير المنهجية العلمية في إعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة، ولم يسبق أن
 نُشرت أو قُدمت للنشر في مجلة أخرى، أو أية جهة ناشرة، وأن يتعهد
 الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث، وتقديم إقرار بأنه سيلتزم بكافة
 الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث
 فصلاً أو جزءاً من رسالة (ماجستير - دكتوراه) منشورة، أو كتاب
 منشور.

- لغة المجلة هي العربية، ويمكن أن تقبل بحوثاً باللغة الإنجليزية أو
 بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.

- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث، وتُعدُّ قراراتها
 نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح
 البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بالإشارة
 إلى المجلة.

- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبِلَ للنشر أم لم يُقبل.

- تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل إلى محكم آخر؛ وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث، ويكون القرار إما:

* قبول البحث دون تعديلات.

* قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.

* رفض البحث.

- تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذا كان المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم، وبعد موافقة الهيئة

على قبول البحث للنشر قبلاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

- ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي، ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطأه اللغوية الحد المقبول.

- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

- الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة، كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

- ترفق مع البحث السيرة العلمية (CV) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث، ودرجته العلمية، وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

- تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، أو ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

- إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

- عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية، ويجب أن يكون العنوان مختصرًا قدر الإمكان، ويعبر عن هدف البحث بوضوح، ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

- أن يكون البحث مصوغًا بإحدى الطريقتين الآتيتين:

1- البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيرًا قائمة المراجع.

2- البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهّد فيها لمشكلة البحث مبيّناً فيها أهميته وقيّمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثمّ يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثمّ يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

- يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة (A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة إلكترونية على (CD) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word).

- يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة، ولا تزيد عن 30 صفحة، بما في ذلك صفحات الرسوم، والأشكال، والجداول، وقائمة المراجع.

- يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والإنجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

- يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الإنجليزية ومسافة ونصف بخط Simplified Arabic 13 للأبحاث باللغة العربية.

- في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر، كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب، ويكون الخط بحجم 12.

- يجب أن ترقم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

طريقة التوثيق: يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

- ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

أولاً: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق، أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - أن تعددت المجلدات - والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان: ج، ص.

ثانيًا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبًا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبًا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكتاني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البديان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثًا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعًا بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوبًا بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي-مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ / 1995م، ص 179.

رابعًا: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني ﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة، ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار الاسم نفسه (اسم الباحث) في عديدين متتالين؛ وذلك لفتح المجال أمام جميع أعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

عنوان البحث	الصفحة
1- المنهج العلمي عند العلماء المسلمين في علم الطب "ابن سينا أُمودجًا"	
د. إسماعيل سالم فرحات، أ. سليمان محمد قرقد	16.....
2- الآثار المبتهجة في شرح شواهد الجملة في الأنوار المنبلجة لشرح المنفرجة	
لأبي العباس النقاوسي	
د. محمد سالم العابر	43.....
3- الأحكام الفقهية المتعلقة بإسقاط الجنين في طور العلقة دراسة فقهية مقارنة	
د. محمد عبدالله جابر	83.....
4- لفظ (حين) في القرآن الكريم دراسة لغوية تفسيرية	
أ. عيبر إسماعيل الرفاعي	133.....
5- حذف نون الأفعال الخمسة في حالة الرفع	
د. عبد المولى محمد الدبار	161.....
6- جوانب من العلاقات الثقافية والاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة في العصر الإسلامي	
د. شريفه عبدالرزاق الشريف	182.....
7- واقع الخدمات التعليمية للتعليم العام في واحات منطقة الكفرة	
د. بشير عمران أبوناجي، أهيام أبو القاسم فرج، د. العماري محمد النعمي	229.....
8- أسس المنهج النقدي في فلسفة ايمانويل كُنت (1724-1804م)	
د. خميس أمحمد الجديد	253.....
9- آليات المنهج النقدي عند علي حرب	
د. رحمة محمد إصميذة	297.....

- 10- تطور استخدام الأرض في مدينة مسلاته
 د. عائشة مصطفى أحمد المقريف..... 334
- 11- أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق من خلال مخطوط (656-685هـ / 1258-
 1286م)
- د. نعيمة عبد المولى سالم، أ.سميرة سالم أحمد..... 364
- 12- الحرب الأمريكية الطرابلسية وأثرها على إيالة طرابلس الغرب 1801م - 1805م
- د.علي العجيلي جماعة، د. محمود العارف قشقش..... 401
- 13- اسم الجمع ودلالاته في كتاب عمدة القارئ للإمام بدر الدين العيني الأسماء :
 (إبل ، آدم ، ثلاث ، خيل ، ركب ، رهط ، غنم ، نفر ، نسوة) أنموذجاً
- د. فوزي حسين الراشدي..... 436
- 14- بعض الأسباب المؤدية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة وأثارها الاجتماعية
 على الريف (دراسة ميدانية)
- أ.نجية إبراهيم إعييد..... 463
- 15- أغراض الشعر اللبيبي "ديوان أشرعة الرجاء" للشاعر الدكتور محمد أبو
 سطات أنموذجاً
- د سالم فرج زوييك 504
- 16- توجيه انفرادات الإمام الهبطي في الوقف "سورة الأنعام أنموذجاً"
- أ . سالم علي شخطور، أ.عماد بشير..... 529
- 17- أجراس الكنائس الأوروبية تدقّ عشية موت عروج بربروسا
- د. إبراهيم حسين عبد الله..... 573

18- الرتبة والصدارة في تراكيب بعض الأساليب النغوية

- د. محمد علي الزائدي.....600
- 19- الانتفاع من أجزاء الميثة وأثره في حكم بيعها دراسة تطبيقية معاصرة
- د. عبد السلام محمد العكاشي.....635
- 20- الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد
- د. جمعة عبد الرحمن غيث.....667
- 21- أثر مدرسة الكوفة في نشأة علم الصرف
- أ. حواء بشير بالنور، أ. زينب امحمد أبو راس.....697
- 22- التصغير أحكامه ودلالته في القرآن الكريم
- د. إبراهيم فرج الحويج.....725
- 23- مراعاة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية في توجيه القراءات القرآنية (كتاب الحجة للفارسي أنموذجا)
- د. محمود محمد أميمن.....746
- 24- دور المساندة الاجتماعية في خفض اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة من زوجات الشهداء "دراسة ميدانية في مدينة البيضاء"
- د. جميلة عبدالهادي السنوسي، د. منى عبدالهادي السنوسي.....784
- 25- صناعة الحديد والصلب وأثرها في تطور مدينة مصراته
- د. ابتسام عبدالسلام كشيب، د. صالحه علي فلاح.....814

26- Some Common Punctuation Errors Made by Third-Year Secondary School Students: A case Study at Almajd Secondary School – Alkhums.	
Mr.Eshtewi Eshtewi Ehwas.....	832
27 -A research paper entitled by The L2 Acquisition of English Articles by Arabic Speakers of Libya	
Mr. Mohammed Fayed, Mr. Khiri Saad Elku	844
28- Students' attitudes towards the use of literature in language teaching	
Rabiah , Rabea Mansur Milad Mohamed Almalul.....	878
29- "Problems Face Students in Translating Idioms Related to Health from English into Arabic"	
Mr.Khalid Mohamed Edrah.....	892

المنهج العلمي عند العلماء المسلمين في علم الطب "ابن سينا أنموذجاً"

إعداد: د. إسماعيل سالم فرحات

أ. سليمان محمد قرقد*

المقدمة:

بدأت المعارف الطبية القديمة تتسرب إلى العالم الإسلامي بصورة قوية، من خلال الترجمات -خاصة في ظل الدولة العباسية-، وقد كعف علماء المسلمين على فهم هذه الترجمات، واستيعاب ما بها، ومن ثم دراستها لفترة من الزمن، ثم بدأت مرحلة الإبداع الإسلامي.

هذا الإبداع الإسلامي في ميدان الطب، لم يقتصر على علاج الأمراض فحسب، بل تعداه إلى تأسيس منهج علمي أصيل، انعكست آثاره الرائعة، في كافة الجوانب الطبية وقايةً وعلاجاً، وفي ابتكارهم لأدواتهم الطبية، وفي التزامهم بأبعاد إنسانية وأخلاقية تحكم أدائهم الطبي.

ومن أبرز من حقق هذا الإبداع الإسلامي العظيم، العالم المسلم ابن سينا*، الملقب بالشيخ الرئيس، والذي وضع منهجاً علمياً* في دراسة الطب، بعدما انتقد المناهج

* عضو هيئة تدريس - كلية الآداب - جامعة مصراته

ابن سينا (371-428 هـ = 980-1036م): هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، وهو من العلماء المسلمين البارزين. ولد في قرية اسمها أفشنة، ثم انتقلت عائلته إلى بخارى، وفيها تلقى العلم، وحفظ القرآن، وعندما بلغ العاشرة من عمره فاق زملاءه علماً، وتفقه في الدين، ودرس الرياضيات والفلك. ثم رغب بدراسة الطب، فكان العبقرى، والناطقة فيه، وقد مُيز عن سائر علماء عصره، بأن أطلق عليه لقب الشيخ أو الرئيس، من أشهر كتبه في الطب كتابه القانون، والذي ظل الكتاب المقدس في الطب مدة طويلة من الزمن، لم يتمتع بها كتاب غيره، فقد ظلت صفحاته تقلب على منابر الجامعات في أوروبا إلى أواسط القرن السابع عشر. (يوسف السويدي، الإسلام والعلم

التي استخدمها علماء الحضارات السابقة عن الحضارة الإسلامية. بناء على ما سبق جاء بحثنا هذا، والموسوم بعنوان: "المنهج العلمي عند علماء المسلمين في علم الطب" ابن سينا أنموذجاً".

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال التالي:

- ما المنهج العلمي الذي استخدمه ابن سينا في دراسته للطب؟ هذا السؤال بدوره يطرح عدد من التساؤلات الفرعية، هي:
- ما مفهوم علم الطب عند علماء المسلمين؟
- ما خطوات المنهج العلمي عند ابن سينا في دراسة الطب؟
- هل أنتج المنهج العلمي عند ابن سينا إنجازات علمية قيمة؟

أهداف البحث:

1. التعريف بعلم الطب عند المسلمين.
2. معرفة المنهج العلمي عند ابن سينا في دراسته لعلم الطب.
3. معرفة بماذا تميز المنهج العلمي عند ابن سينا عن المناهج التي سبقته في دراسة الطب، كالمنهج المستخدم في الحضارة الهندية واليونانية.
4. معرفة ماذا قدم ابن سينا من إنجازات علمية في مجال الطب.

التجريبي، ط. 2، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2000م، ص 139. وأيضاً: عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، ط. 2، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1952م، ص 85).
 ** المنهج العلمي: يُعرف بأنه الوسيلة التي يمكن عن طريقها الوصول إلى الحقيقة في أي موقف من المواقف، ومحاولة اختبارها للتأكد من صلاحيتها في مواقف أخرى، وتعميمها للوصول بها إلى ما يطلق عليه اصطلاحاً القانون أو النظرية، وهي هدف كل بحث علمي. (جمال زكي و السيد ياسين، أسس البحث الاجتماعي، ب. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1962م، ص 8).

أهمية البحث:

1. المساهمة في إحياء التراث العلمي الإسلامي، حيث إن حياة الأمم رهينة بحياة تراثها، والأمة التي لا تراث لها لا تاريخ لها.
2. المساهمة في إيجاد المنهج المناسب للبحث العلمي، فالأهم من أن نبحث، أن نعرف كيف نبحث، فالبحث من دون منهج، لا يعطي - في الغالب - النتائج المرجوة منه.
3. محاولة فهم تاريخ العلوم عند العلماء المسلمين في العصور الوسطى، وطريقة تقدمها، وأسباب ارتقائها، وذلك من خلال الاطلاع على المنهج العلمي عند العالم المسلم ابن سينا.
4. استخلاص العبر والنصائح من التاريخ العلمي لأمتنا الإسلامية في العصور الوسطى، فالعاقل من تفتن لأخطاء الماضي فأجتنبها، وأدرك أسباب تقدم السابقين فألتزم بها.
5. التأكيد على حقيقة تفوق العلماء المسلمين، وأصالة دورهم العلمي في نهضة العلوم في العصور الوسطى، ودقة نتائجهم التي قدموها للحضارة الإنسانية.

منهج البحث:

لمعالجة مشكلة البحث اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يتجلى في حديثنا عن ابن سينا، ومنهجه العلمي، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي الذي يطغى على معظم أجزاء البحث؛ من أجل تحليل نصوص ابن سينا، واستخلاص الجانب العلمي منها.

تقسيمات البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: علم الطب عند علماء المسلمين

عُرِّفَ علم الطب من قبل علماء المسلمين بتعريفات عديدة، منها بأنه: ((علم يُتعرَّف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، لتحفظ الصحة حاصلة، ويستردّها زائلة))⁽¹⁾.

ومنها أيضاً، بأنه: ((حفظ الصحة في الأجساد الصحيحة، ودفع المرض عن الأجساد السقيمة، وردّها إلى صحتها. ويتجزأ إلى جزأين: وهما العلم، والعمل))⁽²⁾، عليه، فإن علم الطب عند المسلمين - بصفة عامة - ينطوي على نوعين رئيسيين، أما الأول فهو الطب الوقائي، وأما الثاني فهو الطب العلاجي.

وقد جاء تمييز علماء المسلمين في مجال الطب، طوال القرون الوسطى؛ لأسباب عديدة، أهمها:

دعوة الإسلام إلى الاعتماد على العقل والحواس، والابتعاد عن الكهانة*، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽³⁾، كما قال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

(1) ابن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد الضناوي، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، ج.1، ص13.

(2) أبو بكر الرازي، المنصوري في الطب، تحقيق: حازم البكري الصديقي، ط.1، منشورات معهد المخطوطات العربية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، الكويت، 1987م، ص29.

* الكهانة - بفتح الكاف ويجوز كسرهما - ادعاء علم الغيب. (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط.1، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، ب.ت، ج.10، ص216).

(3) سورة النمل، الآية: 67.

السوء إن أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقومٍ يؤمنون»⁽¹⁾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم»⁽²⁾.

نقد علماء المسلمين للمعارف الطبية المورثة من الحضارات السابقة: على سبيل المثال، انتقد العالم المسلم الرازي* العالم اليوناني جالينوس، وألف كتاباً خصيصاً للرد عليه، سماه الشكوك على جالينوس⁽³⁾. نذكر من هذه الردود، قول الرازي في كتابه الحاوي: «وقد قال جالينوس: أن السكتة قد تكون من ورم في الدماغ، فينبغي أن يطلب علامته، فإنه عندي أشرف وأصعب، وأحسب أن لا تكون علامته بغتة، ويكون قبله شيء من علامات قرانيطس*، وينبغي أن ينظر أين قال جالينوس ذلك، ويحرر إن شاء الله»⁽⁴⁾، حيث نجد هنا إن الرازي، شك في أن تكون السكتة

(1) سورة الأعراف، الآية: 188.

(2) محمد ناصر الدين الألباني، **ضعيف الترغيب والترهيب**، ط.1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م، مج.3، ص171.

* أبوبكر الرازي (251-313هـ = 865-925م): هو أبوبكر محمد بن زكريا الرازي، فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب، من أهل الري، ولد وتعلم بها، وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين، من أشهر كتبه، كتاب الحاوي في الطب، توفي في بغداد. (خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط.15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ج.6، ص130).

(3) جلال موسى، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، ب.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ص145.

* القرانيطس أو السراسم الحار: ورم حار في الدماغ، أو في الأغشية المحيطة به، وعلامته: حمى قوية، وهذيان واحمرار العين جدا وكرهية الضوء (الحسن القمري، **التنوير في الاصطلاحات الطبية**، تحقيق: غادة الكرمي، ب.ط، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1991م، ص52).

(4) أبوبكر الرازي، **الحاوي في الطب**، مراجعة وتصحيح: محمد إسماعيل، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م، مج.1، ص23.

الدماغية بسبب ورم في الدماغ، وطالب بالدليل، وأن يحقق هذا القول، حتى وإن كان قائله الطبيب اليوناني المشهور جالينوس. كما مارس العالم المسلم ابن سينا النقد، ولم يسلم بما يقوله غيره من الأطباء إلا بعد تحقيقه بالتجربة والاختبار، وهذا ما سيتضح في المبحث الثاني من هذا البحث.

اتبع علماء المسلمين منهجاً علمياً تجريبياً في مزاولتهم لمهنة الطب، وهذا ما يؤكد ماهر عبد القادر أثناء حديثه عن علماء المسلمين، حيث يقول: «نجد في كثير من كتب التراث التي وصلتنا إنهم اتبعوا أصول المنهج العلمي التجريبي في تشخيص الأمراض، كما هو الحال في أيامنا هذه، مع فارق واحد، يرجع إلى طبيعة التطور العلمي والأساليب الفنية، وإدخال الوسائل التكنولوجية الحديثة»⁽¹⁾، بمعنى أن علماء المسلمين، كان لهم دراية ومعرفة علمية، بخطوات المنهج العلمي التجريبي الحديث في علم الطب، على الرغم من عدم توفر الأجهزة الطبية الحديثة آن ذاك، والتي تساعد بلا شك في تشخيص الأمراض وملاحظتها، وفي تطور علم الطب بشكل عام.

ويؤكد أيضاً حلمي عبد المنعم صابر ما جاء أنفاً في شأن علماء المسلمين، بقوله: «كان لهم كذلك شرف السبق والريادة في وضع المنهج التجريبي القائمة على الرصد والاستقراء* والتجربة الحسية، حيث كانت المناهج - في معظمها - قبل

(1) ماهر عبد القادر محمد علي، التراث الإسلامي: العلوم الأساسية، ب.ط، المركز المصري للدراسات والأبحاث، الإسكندرية، مصر، 1985م، ص104.

* الاستقراء: الاستقراء لغة هو التتبع لمعرفة حال الشيء المقصود، واصطلاحاً هو تتبع الجزئيات لإثبات حكم كلي لها. (إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط.2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979م، ج.6، ص2461. وأيضاً: عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط.4، دار القلم، دمشق، سورية، 1993م، ص188).

الإسلام تجنح إلى التجريدات الصورية والتأملات الذهنية المحضة، سواء تمثل ذلك في التجريدات الأفلاطونية، وعالم المثل عند أفلاطون؛ ... أم تمثل في الإشراقات الروحية التي تبتعد عن الواقع الحسي، وتجنح إلى الخيال الروحي، كما في الهندوسية والبوذية وغيرهما⁽¹⁾، في النص السابق نجد أن المناهج التي ظهرت قبل الإسلام، كانت في معظمها تميل إلى الاعتماد على التصور العقلي أو على الإشراقات الروحية، والتي تبتعد في كليهما عن الواقع المحسوس، في حين بدأت المناهج الإسلامية في البحث تتحو منحى عملياً يتفاعل مع الواقع المحسوس، ويعتمد على الملاحظة والتجربة الحسية.

وفي هذا الشأن أيضاً، تقول يمنى الخولي: ((بصفة عامة، فقد انحسرت المباحث التجريبية، وتمركزت إنجازات الإغريق العظمى، في العقل النظري والعلوم الاستنباطية، أي في المنطق والرياضيات، لأنهم دأبوا على تمجيد النظر وتحقير العمل⁽²⁾، في حين يرى حسن الشرقاوي، أن المسلمين آمنوا إيماناً عميقاً بالتجريب العملي، واتخذوا الاستقراء وسيلة للكشف عن الحقائق، ولم يكن المسلمين أصحاب براعة عقلية فقط، بل كانوا علماء تجريبيين أيضاً، وربطوا بين الفكر الكلي، والعلم الجزئي⁽³⁾.

(1) حلمي عبد المنعم صابر، منهجية البحث العلمي وضوابطه، ب.ط، جريب للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م، ص25.

(2) يمنى الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول - الحصاد - الآفاق، ب.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014م، ص39.

(3) حسن الشرقاوي، المسلمون علماء وحكماء، ط.1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1987م، ص48.

المبحث الثاني: المنهج العلمي عند ابن سينا في علم الطب

بدأ ابن سينا بالنقد في منهجه العلمي، وأكد على أهميته في تحصيل العلم، وقد عبر صراحة عن هذا، بنقده لبعض آراء الفلاسفة المشائين*، بقوله: ((ولما كان المشتغلون بالعلم شديدي الاعتزاء إلى (المشائين) من اليونانيين، كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور، فانحزنا إليهم وتعصبنا إلى المشائين، إذ كانوا أولى فرقم بالتعصب لهم، وأكملنا ما أردوه وقصروا فيه، ولم يبلغوا أربهم منه، وأغضينا عما تخبطوا فيه، وجعلنا له وجها ومخرجا ونحن بدخلته شاعرون وعلى ظله واقفون، فإن جاهرنا بمخالفتهم ففي الشيء الذي لم يُمكن الصبر عليه، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل))⁽¹⁾، وهو هنا لا يقصد أنه تغافل عن الكثير مما وقع فيه المشاؤون من أخطاء، بل المقصود من هذا أنه تغافل عنه في الكتاب المذكور فقط، لأن موضوعه لا يتسع لمثل هذه الأخطاء.

كما بين أن هناك أسباب، تُعرضُ العالم للوقوع في الخطأ، منها الاعتماد على مجرد النقل نتيجة الإفراط في الثقة بمن ينقل عنهم، فيحجبه هذا عن نقد آرائهم للوقوف على أخطائهم. ولهذا اعتبر ابن سينا التعصب لآراء الآخرين عائقاً من عوائق بلوغ الحقيقة العلمية، فنراه يقول في مقدمة كتابه (منطق المشركين) موضعاً الطريق الذي سلكه في تأليفه: ((فقد نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه. لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف، ولا نبالي لمفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونان إلفاً عن غفلة وقلة فهم))⁽²⁾،

* الفلاسفة المشائين: هم فلاسفة استمدوا أفكارهم من مؤسس المدرسة المشائية، وهو الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس، الذي سماه تلاميذه المشائي؛ لأنه كان يعلم تلاميذه ماشياً. (جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ب.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ج.2، ص373).

(1) ابن سينا، منطق المشركين، ب.ط، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، 1910م، ص3.

(2) المصدر السابق، ص2.

بمعنى أنه لا يلتفت في بحثه العلمي إلى عصبية، أو إلى هوى، أو إلى عادة، أو إلى ما ألفه؛ لأن هذه العوامل تحول دون إدراك الحقيقة في البحث العلمي. وهنا يشير ابن سينا إلى تبني الموضوعية في البحث العلمي، والتي تعتبر من أهم ميزاتِه.

ولم يكتفِ ابن سينا بنقد ما قال به السابقون، بل وجّه انتقادات للمنهج الذي استندوا عليه، وهو المنطق الأرسطي، الذي ظل مهيمناً على الفكر البشري لقرون، وفي هذا الصدد، يقول: ((أما نحن فقد سهل علينا التفهم لما قالوه أول ما اشتغلنا به، ولا يبعد إن يكون وقع علينا من غير جهة اليونانيين علوم، وكان الزمان الذي اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة، ووجدنا من توفيق الله ما قصر علينا بسببه مدة التقطن لما أوروته، ثم قبلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذي يُسميه اليونانيون (المنطق)- ولا يبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره- حرفاً حرفاً، فوقفنا على ما تقابل وما على ما عصى، وطلبنا لكل شيء وجهة، فحق ما حق وزاف ما زاف))⁽¹⁾، نستنتج من هذا النص، أن ابن سينا لا يقبل الآراء في أي موضوع علمي، ما لم يخضعها للتحقيق، ليتبين الحق فيها من الباطل.

أما فيما يخص مراحل المنهج العلمي عند ابن سينا في دراسته للطب، فيتضح فيما يلي:

اعتمد ابن سينا كمرحلة أولى في تشخيصه للأمراض على الملاحظة، حيث رأى إن للأمراض أعراضاً دالة عليها، مثل: البول، البراز، والعرق، وقد فصلها في أرجوزته في الطب، حيث يقول:

والعَرَضُ المَأخُودُ مِمَّا يَبْرُزُ	بالخمسَة الحواسِ أيضاً يُحَرَّرُ
كالبول من أحمره والأسود	والنفث من دمية والزبد

(1) المصدر السابق، ص3.

ومنه يخرج بالإطـلاق
والقيء قد يُصاب ذا حموضة
والبول إذا أصيب ذا نتانـه
وعرق يحس منه إن خرج
وهذه الأعراض في ذي العلة⁽¹⁾
كالريح والعُطاس والفُواق
وذا مرارة وذا فُبوضه
دل على القروح في المثانـه
برد وحرٌّ ورقيق ولـج
أمراضه وعندنا أدلـة⁽¹⁾

أما عن استدلاله، بقوام البول، فيقول:

ورقة الأبول في القوام
وقد يرقُّ البول بعد التَّخْم
وغلظُ البول دليل الهضم
دلـت على قلة الانهضام
وسدة في الكبد أو من ورم
أو عن كثير بلغم في الجسم⁽²⁾

بمعنى أن البول عند خروجه من العضو الخاص به، إما أن يكون رقيقاً، وإما أن يكون غليظاً، فإن كان خروجه رقيقاً، دلَّ على خلل في الهضم، وقد يرق نتيجة التُّخمة، أو خلل في وظيفة الكبد، أو ورم على مستوى المثانة. أما إن كان خروجه غليظاً، فيدل على استقامة عملية الهضم، أو ارتفاع برودة الجسم ورطوبته.

ويقول في الاستدلال بخصائص البُرَّاز ما يلي:

وإن يكن قد زاد التُّنوثه
وإن يكن من فوقه الدَّهن
وإن تكن ريحته مُخلَّه
دل على فرطٍ من العُفونـه
دلَّ على انسباك شحم البدن
فالبغم الحامض قد تخلَّه⁽³⁾

(1) ابن سينا، دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، تحقيق: محمد زهير البابا، ب.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، سوريا، 1984م، ج.2، ص115.

(2) المصدر السابق، ص125.

(3) المصدر السابق، ص129.

بمعنى، إذا زادت الرائحة الكريهة عن حدّها في البراز، دل ذلك على تعفن الطعام في البدن، وهذا ما يُسمى في الطب الحديث تَسْمُماً، وقد يحدث نتيجة تناول أغذية فاسدة، وإذا ظهرت عليه لزوجة من فوق، دلت على ذوبان الشحم، نتيجة ارتفاع حرارة الجسم، أما إن كانت رائحة البراز شبيهة برائحة الخل، دلّت على حموضة في الأمعاء والمعدة.

كما قال في الاستدلال بكيفية العرق:

وإن يعمُ الجسم فهو خيرٌ وإن يَخُصُّ موضعاً فشر
وهو إذا يجيء في أوانه ملتزماً للدور في بُحرانه
فهو دليل جيد محمود وضد هذا خيره بعيد⁽¹⁾

بمعنى، أن التعرف بصفة عامة دليل صحة عند ابن سينا، خاصة إذا شمل البدن كله، وإذا كان في أوانه، أي عند الحركة والحرارة الشديدة. أما إذا غاب التعرف في الحالات التي يجب أن يكون فيها، فهذا يدل على خلل وظيفي. وعلى كل حال فقد اقتبس ابن سينا الأدلة على الأمراض من خلال ملاحظة أعراضها، وقد فصل فيها ابن سينا تفصيلاً وافياً في أرجوزته الطبية، وما ذكرناه في هذا الموضوع، يُمثل أنموذجاً من ملاحظاته العلمية.

هذا، وقد كان كتابه (القانون في الطب) - فوق أنه كتاب طب جامع-، ذو قيمة علمية عالية؛ لأنه جاء منسق، وفيه ملاحظات مبتكرة، تمكن من خلالها على سبيل المثال، أن يفرق بين داء الجنب، وبين التهاب الحجاب الحاجز⁽²⁾، كما نجد فيه، أول وصف لداء الفيلايريا (مرض الفيل)، وكيفية انتشاره في الجسم⁽³⁾، وأول وصف

(1) المصدر السابق، ص130.

(2) عمر فَرُوح، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص122.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط.1، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1963م، ص154.

للجمرة الخبيثة، التي أسماها العرب النار الفارسية⁽¹⁾، وغير ذلك من الأمور الطبية ذات الطابع العلمي. وقد استمر هذا الكتاب يُدرس في جامعات أوروبا حتى منتصف القرن السابع عشر⁽²⁾. ومما تقدم، نستطيع القول، إن ابن سينا اهتم بالملاحظة في منهجه العلمي، ولجأ إليها في تشخيصه للأمراض، وقد كانت ملاحظة غاية في الدقة، والأمانة العلمية.

وبعد استفاء مرحلة الملاحظة عند ابن سينا، يأتي الدور في منهجه العلمي على مرحلة وضع الأحكام الجزئية (أو وضع الفروض)، حيث يعتبر الفرض تفسير مؤقت للحالة موضوع الملاحظة، يحتمل الصواب أو الخطأ، ينقلب بعد الاختبار التجريبي إلى قانون، وعليه يعرف الفرض بأنه: «محاولة للتفسير، وظيفته أن يربط بين عدد من الملاحظات، ويكشف عن بعض العلاقات الثابتة بين تلك الملاحظات، التي يتضمنها سلوك طائفة من الظواهر أو الحوادث. وحين نضع تفسيراً قد يكون التفسير صادقاً أو كاذباً، فإن كذب فإن علينا أن نجد تفسيراً آخر يتفق مع الوقائع، وإن صدق وأيدته الوقائع قيد البحث في الحاضر والمستقبل القريب، أصبح ذلك الفرض قانوناً»⁽³⁾، وبهذا فالفروض بصفة عامة، عبارة عن افتراضات يضعها الباحث، لتفسير الظاهرة أو الحالة محل الدراسة، وهذه الافتراضات تحتمل الصدق أو الكذب.

(1) قدرى حافظ طوقان، العلوم عند العرب، ط.2، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1983م، ص21.

(2) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط.8، دار المعارف، القاهرة، مصر، ب.ت، ص95.

(3) محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، ب.ط، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر، 1977م، ص48.

ومن بعد مرحلة وضع الفروض، يأتي الدور على مرحلة التجربة؛ فالتجربة هي الأجراء العلمي الذي يقرر صدق الفرض - المقدم لتفسير الظاهرة محل الدراسة - من كذبه، فقد كان ابن سينا كثيراً ما يُثبت من الفرض العلمي، وذلك بتكرار التجربة وتنوعها على الظاهرة، ومن ثم وصوله لمرحلة وضع القانون العلمي*، ومن أمثلة هذا قوله في المصابين بالاستسقاء** : ((ومن التدبير الحسن في سقيه ما جربناه مراراً فنفع، وهو أن يشرب لبن اللقاح على خلاء من البطن وطي من أيام وليال قبله، لا يتناول فيها إلا قليلاً جداً، وإن أمكن طيها فعل))⁽¹⁾. وهذا ما نستنتجه أيضاً من قوله: ((ولا يمكن صياغة القانون الكلي في المعالجة، إلا بعد تفحص الأحكام الجزئية، للدلالة على ذلك القانون))⁽²⁾، حيث أوضح ابن سينا، أن القوانين العلمية صيغ فكرية، يمكن اشتقاقها من ملاحظة ودراسة الحالات جزئية، والتثبت منها تجريبياً، فالتجربة التي تدل على صدق تلك الحالات الجزئية، هي التي تعين الباحث على اشتقاق القانون الذي يحكمها، وتعميمه لعدة حالات ترتبط بها⁽³⁾، ومن النص السابق أيضاً نستنتج، أن ابن سينا كان يضع عدة فروض مستخلصة من

* القانون العلمي: هو تعبير عن العلاقات الثابتة القائمة بين ظواهر معينة، ونتائجه دائماً ثابتة وصادقة، وغالب ما يتم التعبير عنه بواسطة رموز رياضية، وهو نتاج التجارب المتكررة، ولا يفترض تفسير للظاهرة محل الدراسة. (مجموعة باحثين، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2019م، ص18).

** الاستسقاء: هو تراكم السوائل في البطن، ويتسبب تراكم السوائل في حدوث التورم الذي يتطور عادة على مدى بضعة أسابيع، وسببه غالباً ما يكون مشاكل في الكبد.

(1) ابن سينا، القانون في الطب، ج.2، مصدر سبق ذكره، ص545.

(2) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، مرجع سبق ذكره، ص2.

(3) عبد الزهرة البندر، منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي، ط.1، دار الحكمة، لندن، المملكة المتحدة، 1992م، ص163.

ملاحظاته، يعلل من خلالها حدوث ظاهرة معينة، ومن ثم يقوم باختبارها بالتجربة، من أجل الوصول إلى قانون يفسر هذه الظاهرة. أذن فالاستقراء عند ابن سينا، يسير في خطوات أربعة هي: الملاحظة، ووضع الفروض، والتجربة، وأخيراً وضع القانون العلمي.

كما نجد ابن سينا في كتابته يفضل الباحث المجرب عن الباحث عديم التجربة- خاصة في التعامل مع الأدوية الطبية-، وذلك يظهر من قوله: ((وأما السبب في أن المجرب خير، إن كل دواء مركب فله حكم من بسائطه، وحكم من جملة صورته، وغير المجرب إنما يفيد من اعتبار بسائطه فقط، ولا ندري ما يوجبه مزاجه الكائن عنها، هل هو زائد في معناها أو غير زائد، وهو مناقض، والمجرب يكون قد تحقق منه الأمران، ولربما كانت العائدة في صورته المزاجية أكثر من المتوقع من بسائطه))⁽¹⁾، ولذلك يرى ابن سينا إن التعرف على قوى الأدوية يأتي عن طريقين، هما: طريق القياس* وطريق التجريب⁽²⁾، بمعنى أن تأثير الأدوية، يُعرف بالقياس، أو عن طريق التجربة. ولكنه يوصي بتغليب التجربة على القياس، لوجود طبائع وأمزجة لا يمكن حصرها بالقياس⁽³⁾. كما نجد أيضاً نص آخر، يُبين فيه ابن سينا فضل التجربة عليه، يقول فيه: ((انفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف))⁽⁴⁾. فاستخدام التجربة أذن لا شك، يؤدي إلى اكتشافات ذات

(1) ابن سينا، القانون في الطب، ج.3، مصدر سبق ذكره، ص398.

* القياس: قول مؤلف من أقوال إذا سلمت، لزم عنها لذاتها قول آخر. (ابن سينا، عيون الحكمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ط.2، دار القلم، بيروت، لبنان، 1980م، ص5).

(2) ابن سينا، القانون في الطب، ج.1، مصدر سبق ذكره، ص318.

(3) المصدر السابق، ص165.

(4) ابن أبي أصبعية، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، ب.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ب.ت، ص438.

أهمية في البحث العلمي بصفة عامة. وهذا لا يعني إهماله للقياس، إنما القياس عند ابن سينا مكمل للتجربة أو مؤكد على نتائجها. وهذا بدوره ينقلنا إلى توضيح مكان القياس في منهج ابن سينا العلمي، وذلك كما يلي:

خصص ابن سينا مقالة في كتابه (القانون في الطب) للتعرف على أمزجة الأدوية المفردة بالقياس، كما أعلن أن القياس عنصر من مكونات منهجه العلمي⁽¹⁾. وبين أن القياس جزء من التجربة من جهة، وأصل قائم بذاته من جهة أخرى، فقال: «لو كانت التجربة مع القياس الذي يصحبها تمنع أن يكون الموجود بالنظر التجريبي عن معنى أخص، لكانت التجربة وحدها توقع اليقين بالكلية المطلقة لا بالقوة المقيدة فقط. وإذ ذلك وحده لا يوجب ذلك، إلا أن يقترن به نظر وقياس غير القياس الذي هو جزء من التجربة، فبالحري أن التجربة بما هي تجربة لا تفيد ذلك، فهذا هو الحق، ومن قال غير هذا فهو لم ينصف أو هو ضعيف التمييز لا يفرق بين ما يعسر الشك فيه لكثرة دلائله وجزئياته، وبين اليقين. فإن هاهنا عقائد تشبه اليقين وليست باليقين»⁽²⁾، نستنتج من النص السابق، أولاً: أن التجربة وحدها لا تفيد اليقين، وثانياً: أن التجربة المصاحبة للنظر والقياس الأصلي الكلي، تُكسب اليقين وتوقعه، وأخيراً، أن من اعتقد بأن التجربة وحدها تفيد اليقين فقد أخطأ، بسبب عدم إنصافه، أو تمييزه الضعيف.

بعد انتهاء ابن سينا من تشخيصه للمرض أو الحالة المرضية- وفقاً لمنهجه العلمي-، يبدأ يتكلم عن تحضير الدواء أو الصناعة الطبية، ويشترط في ذلك ما يلي:

(1) ابن سينا، القانون في الطب، ج.1، مصدر سبق ذكره، ص314.

(2) ابن سينا: الهداية في المنطق، تحقيق: محمد أحمد عبد الحليم، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2016م، ج.2، ص326.

أولاً: ((أن يكون الدواء خالياً عن كيفية مكتسبه، أما الحرارة عارضة أو برودة عارضة أو كيفية عرضت لها باستحالة في جوهرها أو مقارنة لغيرها))⁽¹⁾. وفي هذا الشرط يؤكد ابن سينا سلامة مادة التجربة من الأعراض الخارجية؛ لأن هذه الأعراض تشكل عائقاً واضحاً في عدم معرفة تأثير الدواء بالصورة المطلوبة.

ثانياً: ((أن يكون المجرب عليه علة مفردة، فأنها إن كانت علة مركبة وفيها أمران يقتضيان علاجين متضادين فجرب عليهما الدواء فففع، لم يدر السبب في ذلك بالحقيقة، مثله، إذا كان بالإنسان حمى بلغمية فسقيناه الغاريقون*، فزالت حماه، لم يجب أن يحكم أن الغاريقون بارد؛ لأنه نفع مع علة حارة وهي الحمى، بل عسى إنما نفع لتحليله المادة البلغمية أو استقراغه إياه، فما نفذت المادة، زالت الحمى، وهذا بالحقيقة نفع بالذات، مخلوط بالعرض))⁽²⁾. بمعنى أن يجرب الدواء المخصص لمرض معين، أي على شخص يعاني من علة واحدة، وليس على من يعاني علة متعددة، لأنه في حالة ما يجرب الدواء على شخص يعاني من علة متعددة، فتحسن، لم نعرف السبب الحقيقي في تحسنه.

ثالثاً: ((أن يكون الدواء قد جرب على المضادة حتى أن كان ينفع منها جميعاً، لم يحكم أنه مضاد المزاج لمزاج أحدهما، وربما كان نفعه من أحدهما بالذات، ومن الآخر بالعرض، كالسقمونيا* لو جربناه على مرض بارد لم يبعد أن ينفع ويسخن،

(1) ابن سينا، القانون في الطب، ج.1، مصدر سبق ذكره، ص318.

* الغاريقون: مادة تتولد في الأشجار المتآكلة. (ابن سينا، الشفاء بالنباتات والأعشاب والطب الطبيعي من القانون في الطب، ضبطه ووضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م، ص13).

(2) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

* السقمونيا: يقال هي لبن حشيشة تشبه اللبلاب. (ابن سينا، الشفاء بالنباتات والأعشاب والطب الطبيعي من القانون في الطب، مصدر سبق ذكره، ص13).

وإذا جربناه على مرض حار كحمى الغب لم يبعد أن ينفع باستفراغ الصفراء، فإذا كان كذلك لم تفقدنا التجربة ثقة بحرارته أو برودته، إلا بعد أن يعلم أنه فعل أحد الأمرين بالذات وفعل الآخر بالعرض⁽¹⁾. بمعنى إذا نفع دواء معين في علتين متضادتين، فعلى الطبيب -حسب رأي ابن سينا- أن يعرف أي من العلتين كان تأثير الدواء فيها بالذات أي حقيقي، وأيها كان تأثير الدواء فيها بالعرض.

رابعاً: ((أن تكون القوة في الدواء مقابلاً بها لما يساويها من قوة العلة، فإن بعض الأدوية تقصر حرارتها عن برودة علة ما فلا يؤثر فيها البتة⁽²⁾، وهنا يشير ابن سينا على ضبط جرعة الدواء على حسب شدة المرض.

خامساً: ((أن يراعى الزمان الذي ظهر فيه أثره وفعله⁽³⁾، بمعنى، يجب أن يُركز في فهم تأثير الدواء، على التمييز بين ما هو تأثير أصلي له، وما هو تأثير عرضي؛ وذلك لأن العرضي قد يكون نتيجة تدخل عوامل غريبة عن الدواء.

سادساً: ((أن يراعى استمرار فعله على الدوام أو على الأكثر، فإن لم يكن كذلك، فصدور الفعل عنه بالعرض؛ لأن الأمور الطبيعية تصدر عن مبادئها أما دائمة وأما على الأكثر⁽⁴⁾). وذلك أن التأثير الطبيعي الصادر على الدواء بالذات يجب أن يكون فعله في الجسم المعالج دائماً أو على الأكثر، وإلا فإن الدواء الذي لا يمتاز بديمومة التأثير، تأثيره على الجسم يكون بالعرض لا بالذات، وبالتالي يستبعد هذا الدواء من طبيعة التأثير الحقيقي على البدن.

سابعاً: ((أن تكون التجربة على بدن الإنسان، فإنه إن جرب على غير بدن الإنسان جاز أن يتخلف من وجهتين: أحدهما أنه قد يجوز أن يكون الدواء بالقياس إلى بدن

(1) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(2) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق: ص 319.

(4) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

الإنسان حاراً، وبالقياس على بدن الأسد والفرس بارداً... والثاني أنه قد يجوز أن يكون له بالقياس إلى أحد البدنين خاصية ليست بالقياس إلى البدن الثاني⁽¹⁾. وهذا تأكيد على أن لجسم الإنسان طبيعة تختلف عن طبيعة الأجسام الحيوانية الأخرى، فما يصدق على بقية الحيوانات، لا يمكن حمله على الإنسان.

أما عن انجازات ابن سينا في الطب، فقد كان سباقاً إلى كثير من الانجازات العلمية، والتي بدورها تؤكد على أن منهجه العلمي، كان فعلاً ذو قيمة علمية، وإلا لما أفضى إلى مثل هذه الآراء والانجازات القيمة. من هذه الانجازات ما يلي:

1. أول من قال بالعدوى وانتقال الأمراض المعدية عن طريق الماء والتراب، وبخاصة عدوى السل الرئوي⁽²⁾، وهذا ما نلتسمه في قوله: ((إن الماء يحتوي على حيوانات صغيرة جداً، لا ترى بالعين المجردة، وهي التي تسبب بعض الأمراض))⁽³⁾، وهنا يشير ابن سينا إلى الجراثيم (الميكروبات)، التي تسبب الأمراض المعدية مثل: الملاريا، والكوليرا، وغيرها.

2. أول من وصف التهاب السحايا وصفاً صحيحاً، وفرّق بينه وبين الأمراض المشابهة له، وأول من بيّن البرقان والعلل التي تسببه، وميز بين نوعين من

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) أحمد القرني، قصة الطب عند العرب، تقديم ومراجعة: كمال عبد العزيز، ب.ط، وكالة الصحافة العربية "ناشرون"، الجيزة، مصر، ب.ت، ص80.

(3) راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، ط.2، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2009م، ج.1، ص259.

الشلل: الشلل الداخلي الذي سببه في الدماغ، والشلل الخارجي الذي سببه هو خلاف الأول⁽¹⁾.

3. أول من اكتشف مرض الإنكلستوما المتصل بنوع من الديدان المعوية، اسمها الدودة المستديرة.

4. أول من وصف الداء الخيطي، وداء الجمرة الخبيثة التي أطلق عليها النار الفارسية، وأول من اكتشف أن السرطان الموضعي يعطي أعراض السرطان العام بالجسم، وأول من شخّص بدقة تامة الالتهاب الرئوي، وخراج الكبد، وميز بين الالتهاب الرئوي الحاد، والتهاب السحايا الحاد، وأول من فرق بين أعراض المغص المعوي، والمغص الكلوي، يضاف إلى ذلك أنه حاول إجراء مقارنة بين الأمراض المتشابهة، واستخدام الاستدلال بالبول، والبراز، والنبض في مجال الحمى بأنواعها⁽²⁾.

5. فرق ابن سينا بين حصاة المثانة وحصاة الكلية في الطريقة والمقدار، فبين أن الحصاة الكلوية ألبين وأصغر وأقرب إلى الحمرة، أما الحصاة المثانية فأصلب وأكبر حجماً، وأقرب إلى الذكنة والرمادية والبياض⁽³⁾.

(1) يوسف السويدي، الإسلام والعلم التجريبي، مرجع سبق ذكره، ص140.

(2) عمر فاروق الطباع وعبد المنعم الهاشمي، الشيخ الرئيس ابن سينا: الأديب والطبيب والعالم، ب.ط، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1993م، ص68. (انظر أيضاً: رحاب عكاري، ابن سينا الشيخ الرئيس، ب.ط، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1999م، ص126-127).

(3) عز الدين فزّاح، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ب.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2002م، ص162.

في ختام حديثنا عن انجازات ابن سينا الطبية، نستذكر قول أحمد محمود صبحي ومحمود فهمي زيدان عمّا قدمه علماء المسلمين بصفة عامة في مجال الطب، وما قدمه ابن سينا بصفة خاصة، والذي جاء فيه: ((إن ما أضافه الطب العربي الإسلامي إلى الطب اليوناني يفوق ما أضافه اليونان إلى طب مصر القديمة، ومن ثم أمكن لكتاب القانون (لابن سينا) أن يتصدر المراجع الطبية في الشرق والغرب حتى نهاية القرن الثامن عشر))⁽¹⁾.

خاتمة البحث:

أ. نتائج البحث:

1. ابتكر ابن سينا في دراسته للطب منهجاً علمياً، دعامته: الحواس والفكر (الاستقراء والقياس)، حيث يبدأ البحث بالمحسوس عن طريق الملاحظة والتجريب، ومن ثم يسلط العقل للمقارنة والقياس، وتأويل المعاني المبهمة التي تمدنا بها الحواس، فيحلل ويعلل لاستنباط الحقيقة التي تشرح الواقع وتريح غموضها، وعلى هذا نستطيع القول، إن المنهج العلمي عند ابن سينا، يجمع بين التجربة والتفسير العقلي؛ إذ أن التجربة وحدها لا تكفي إذا لم يساندها العقل لتنظيمها وتعليلها، كما أن العقل وحده لا يكفي لمدنا بالمعرفة الموضوعية إذا لم تُأزره التجربة، وما التجربة إلا حوار العقل الإنساني مع الطبيعة.

2. الاستقراء عند ابن سينا يمر بأربعة مراحل هي: الملاحظة، وفرض الفروض، وتحقيق الفروض بالتجربة، ووضع القوانين العلمية.

3. مارس ابن سينا النقد والتحقيق بكل موضوعية، على كل ما نقل إليه من معارف الأمم السابقة، فلم يقبلوا النظريات والحقائق العلمية المورثة، ما لم يقم الدليل على

(1) أحمد محمود صبحي، ومحمود فهمي زيدان: في فلسفة الطب، تقديم: محمود مرسي عبد الله، ب.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م، ص86.

صحتها، مبتعداً بذلك عن التقليد، والتعصب، والتأثر بالأهواء الشخصية، وبآراء مشاهير العلم السابقين والمعاصرين له.

4. عرف ابن سينا في أسلوبه وتفكيره العلمي ما يسمى بالطريقة العلمية* - في العصر الحديث-، وهذا ما عبر عنه عبد الحليم منتصر بصورة عامة، بقوله: ((عرف العلماء المسلمين العرب، في أسلوب وتفكيرهم العلمي، ما يسمى بالطريقة العلمية، التي يظن أنها من مبتكرات العصر الحديث))⁽¹⁾.

5. ساهم ابن سينا في الحفاظ على المورث المعرفي للحضارات القديمة، وذلك من خلال دراسته للمورث المعرفي لهذه الحضارات في مؤلفاته، وهذا ما عبر عنه قذري طوقان أثناء حديثه عن علماء المسلمين، في قوله: ((فهم الذين حفظوا علوم اليونان، وغيرها من الضياع، وهم الذين نقلوها ونقلوا معها إضافاتهم الكثيرة إلى أوروبا عن طريق الأسبان))⁽²⁾.

6. تميز المنهج العلمي الإسلامي عند ابن سينا، باعتماده على تركيبة تجمع ما بين الاستقراء والقياس، وتفاعله مع الواقع المحسوس، ولم يقتصر على التجريدات الذهنية أو الإشراقات الروحية، التي تبتعد عن الواقع المحسوس، كما حدث في معظم المناهج اليونانية أو الهندسية.

* الطريقة العلمية: هي طريقة تجمع بين الأسلوب الاستقرائي والأسلوب القياسي، أي أنها تجمع بين الجانب الحسي، الذي يمثله الاستقراء، وبين الجانب العقلي، الذي يمثله القياس. (محمود أبو سمرة وعماد البرغوثي، "منهجية البحث العلمي عند علماء المسلمين"، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، 2008م، ص454).

⁽¹⁾ عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، مرجع سبق ذكره، ص58.

⁽²⁾ قذري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1954م، ص17.

7. تميزت آراء ونظريات ابن سينا بالموضوعية، بمعنى قابليتها للتحقيق العملي، في حين كانت النظريات اليونانية والهندية، في كثير من الأحيان غير موضوعية، وهذا ما أكده راغب السرجاني، بقوله: ((فهذه الحضارات [يقصد اليونانية والهندية] كانت تكتفي في كثير من الأحيان، بافتراض النظريات دون محاولة إثباتها عملياً، فكانت في أغلبها فلسفات نظرية، لا تطبيق لها في الكثير من الأحيان، حتى وإن كانت صحيحة، وكان يؤدي هذا إلى الخلط بين النظريات الصحيحة والباطلة، إلا أن جاء المسلمون، فابتكروا الأسلوب التجريبي في تناولهم للمعطيات العلمية والكونية من حولهم))⁽¹⁾.

8. ساهم العالم المسلم ابن سينا، في تطور أساليب البحث العلمي، وفي وضع أصول المنهج العلمي الحديث.

ب. التوصيات

أوصي في نهاية بحثنا هذا، أن يُبحث عن المنهج العلمي في العلوم الشرعية والطبيعية والإنسانية عند علماء المسلمين، كعلم أصول الفقه، وعلم الفيزياء، وعلم السياسة.

(1) راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، ج.1، مرجع سبق ذكره، ص177.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، ب.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ب.ت.
3. ابن سينا: الهداية في المنطق، تحقيق: محمد أحمد عبد الحليم، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2016م.
4. ابن سينا، الشفاء بالنباتات والأعشاب والطب الطبيعي من القانون في الطب، ضبطه ووضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م.
5. ابن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد الضناوي، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م.
6. ابن سينا، دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، تحقيق: محمد زهير البابا، ب.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربية، سوريا، 1984م.
7. ابن سينا، عيون الحكمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ط.2، دار القلم، بيروت، لبنان، 1980م.
8. ابن سينا، منطق المشركيين، ب.ط، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، 1910م.
9. أبو بكر الرازي، الحاوي في الطب، مراجعة وتصحيح: محمد إسماعيل، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م.

10. أبوبكر الرازي، المنصوري في الطب، تحقيق: حازم البكري الصديقي، ط.1، منشورات معهد المخطوطات العربية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، الكويت، 1987م.
11. أحمد القرني، قصة الطب عند العرب، تقديم ومراجعة: كمال عبد العزيز، ب.ط، وكالة الصحافة العربية "ناشرون"، الجيزة، مصر، ب.ت.
12. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط.1، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، ب.ت.
13. أحمد محمود صبحي ومحمود فهمي زيدان: في فلسفة الطب، تقديم: محمود مرسي عبد الله، ب.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م.
14. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط.2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979م.
15. الحسن القمري، التتوير في الاصطلاحات الطبية، تحقيق: غادة الكرمي، ب.ط، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1991م.
16. جلال موسى، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، ب.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
17. جمال زكي والسيد ياسين، أسس البحث الاجتماعي، ب.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1962م.

18. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ب.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
19. حسن الشرقاوي، المسلمون علماء وحكماء، ط.1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1987م.
20. حلمي عبد المنعم صابر، منهجية البحث العلمي وضوابطه، ب.ط، جرير للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م.
21. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط.15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
22. راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، ط.2، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2009م.
23. رحاب عكاوي، ابن سينا الشيخ الرئيس، ب.ط، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1999م.
24. سعيد عبد الفتاح عاشور، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط.1، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1963م.
25. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط.8، دار المعارف، القاهرة، مصر، ب.ت.
26. عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط.4، دار القلم، دمشق، سورية، 1993م.

27. عبد الزهرة البندر، منهج الاستقراء في الفكر الإسلامي، ط.1، دار الحكمة، لندن، المملكة المتحدة، 1992م.
28. عز الدين فزّاح، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ب. ط ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2002م.
29. عمر فاروق الطباع وعبد المنعم الهاشمي، الشيخ الرئيس ابن سينا: الأديب والطبيب والعالم، ب.ط، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1993م.
30. عمر فزّوخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة، ط.2، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1952م.
31. قدري حافظ طوقان، العلوم عند العرب، ط.2، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1983م.
32. قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ط.2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1954م.
33. ماهر عبد القادر محمد علي، التراث الإسلامي: العلوم الأساسية، ب.ط، المركز المصري للدراسات والأبحاث، الإسكندرية، مصر، 1985م
34. مجموعة باحثين، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، 2019م.
35. محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الترغيب والترهيب، ط.1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000م.

36. محمود أبو سمرة و عماد البرغوثي، "منهجية البحث العلمي عند علماء المسلمين"، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، 2008م.
37. محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، ب.ط، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر، 1977م.
38. يمنى الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول- الحصاد - الآفاق، ب.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014م.
39. يوسف السويدي، الإسلام والعلم التجريبي، ط.2، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الكويت، 2000م.

الآثار المبتهجة في شرح شواهد الجملة في الأنوار المنبلجة لشرح المنفرجة

لأبي العباس النقاوسي

إعداد: د. محمد سالم العابر*

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الذي خلقنا مؤمنين مسلمين بالعربية متكلمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الهادي البشر للطريق المستقيم بلسان عربي مبين، أما بعد، فإن شرح القصائد عمل علمي تواتر عليه العلماء منذ أزمانهم الأولى؛ والغرض منه بيان المستغلق من مقصود الشاعر إضافة إلى تنوير القارئ بإشراقات مستوحاة من فهم نظم كلام العرب وتلمس دلالات السياقات من خلال مقارنتها بأساليب العرب الأقحاح سواء كانت منظومة في عصر الاحتجاج أو بعده، فإن كانت القصيدة المشروحة من الفئة الأولى، فالاستشهاد يكون للاستئناس وتعزيد الكلام ببعضه، وإن كان المشروح مما لا يستشهد به، فإن الاستشهاد يكون على وجهه بحيث ينتصر الشارح للشاعر بوجود نص موثوق يدل على صحة استعماله، وقد يتعدى الأمر ذلك بحيث يستشهد الشارح على صحة قاعدة ذكرها توضيحا أو استطرادا، وغالبا ما تكون هذه الشروح غنية بالمادة العلمية التي يرسلها الشارح في ثنايا الشرح، بل تجد من الشراح من يعكف على خلاصات النحاة محاولا الانتصار أو التوفيق وكل ذلك يتم عن طريق الاستشهاد بالقرآن الكريم وكلام العرب شعره ونثره، وخير مثال على ذلك النقاوسي في شرحه للمنفرجة التي ذاع صيتها بين طلاب العلم في الآفاق بين حافظ وشارح بما يغني عن التعريف بها، فتراه حين يتعرض لكلام الشيخ كثيرا ما يعزز

* عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية آداب الخمس.

كلامه(شرحه) بالشواهد قرآنية ونبوية وشعرية و نثرية، ولما وجدت ذلك متكررا في كثير من المسائل النحوية التي عالجهها في شرحه عقدت العزم على النظر في هذه الشواهد التي استعملها في فرعي الجملة من شرحه؛ بغية تمحيصها وبيان استخدام العلماء لها، إضافة إلى أنّ أفرادها يبحث يسهل على القراء من الطلاب الاستفادة منها، وبخاصة من يهتم بتحقيق المخطوطات وشرح المطولات، ولا يخفى على لبيب الفوائد الجمّة التي يلقاها المعالج للشواهد، فمن ثراء دلالي إلى نكات نحوية إلى دراية أصيلة بأصول المباني، ولما كان الأمر كذلك شددت الهمة وتلقفت الشواهد المستهدف دراستها، ثم قسمتها إلى مجموعات حسب موضع استشهاد النفاوسي بالشاهد، وجعلت لكل مجموعة مبحثا مرتبًا الشواهد وفق ورودها في الشرح، وصدرت البحث بمبحث تمهيدي ترجمت فيه للشارح وبيّنت فيه كنه الشاهد النحوي مختصرا، فكان تقسيم البحث على النحو التالي: مقدّمة وفيها مبحث تمهيدي، المبحث الأول- شواهد الجملة الإسمية، المبحث الثاني- شواهد الجملة الفعلية، ثم ذيلته بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

هذا، و الله أسأل التوفيق!

المبحث التمهيدي

المطلب الأول: ترجمة الشارح

اسمه ولقبه:

(أبو العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن النفاوسي، البجائي⁽¹⁾؛ أما اسمه في بعض المصادر الأخرى فهو: أحمد بن الشيخ صالح أبي زيد عبد الرحمن

(¹) ينظر: هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت:1

النقاوسي⁽¹⁾، وفي معجم أعلام الجزائر اسمه: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن أبي زيد النقاوسي⁽²⁾، والأرجح الذي ذكره البغدادي، ويعضده ما وُجد على النسخ جميعها.⁽³⁾

مذهبه:

الشارح فقيه حافظ محدث، مالكي المذهب قال الدكتور سويسي في ترجمته مبينا مذهبه مدلا على ذلك:

(الشارح فقيه مالكي، من كبارهم، له مشاركة في علمي المنقول والمعقول، قال عنه عبد الرحمن الثعالبي: «هو شيخنا، الإمام المحقق، الجامع بين علمي المنقول والمعقول، ذو الأخلاق المرؤسيّة، والأحوال الصالحة السنيّة»⁽⁴⁾.)⁽⁵⁾
شيوخه:

(لم تفصح المصادر عن البدايات العلمية للنقاوسي ولا عن الشيوخ الذين تتلمذ عليهم لكن القارئ لشرحه الذي بين يدينا يقر بأنه أمام عالم من العلماء

(¹) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 1347.

(²) ينظر: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980م: 332.

(³) الأنوار المنبجعة، النقاوسي: ت810هـ، تح: محمد عبد السلام سويسي، جامعة المرقب، الخمس، ط1، 2016م: 6.

(⁴) ينظر: نيل الانتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التبتكتي، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م: 111، وتعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي، مطبعة بيبير فقتانة الشرقية، الجزائر، 1906م: 2: 96، ومعجم أعلام الجزائر: 332.

(⁵) الأنوار المنبجعة، النقاوسي: 6.

الجماعة فهو يدلو بدلو المتمكن فيجل العلوم من حديث وفقه ونحو وصرف وبلاغة وعلم كلام.)⁽¹⁾

تلاميذه:

أنَّ الشَيْخَ تتلمذ على يديه بعض الفقهاء، مثل:

(الشيخ يحيى بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن صَالِح بن عَلِيّ بن عمر ابن عقيل بن زرمان، وقد أخذ عنه الفقه بجاية)⁽²⁾.

مُحَمَّد بن يحيى بن عبد الله أَبُو عبد الله البيوسقي المغربي نزيل بجاية⁽³⁾.
عبد الرحمن الثعالبي⁽⁴⁾.)⁽⁵⁾

العلوم التي أتقنها بناء على ما ظهر في شرحه للمنفرجة:

(ولا يستبعد أنه تتلمذ على يديه كثير من المشايخ غير ما ذكر، وهذا جليّ من تنوع ثقافته، إذ أتقن كثيراً من الفنون، ظهرت واضحة في شرحه للمنفرجة، حيث بدا فيها حافظاً للقرآن والحديث، مطلعاً على علوم: اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والكلام، له معرفة بوقائع التاريخ والسيرة.)⁽⁶⁾
مؤلفاته:

(1) المصدر نفسه.

(2) ينظر: الضوء اللامع، السخاوي، دار الحياة، (د،ت) 10: 231

(3) ينظر: المصدر السابق 10: 73.

(4) ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: 111، وتعريف الخلف برجال السلف، 2: 96، ومعجم أعلام الجزائر: 332.

(5) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 6.

(6) المصدر نفسه.

(أما مؤلفاته فإنني لا أعرف حتى الآن للنقاوسي مؤلفاً غير شرحه للمنفرجة، وهو الموسوم بـ(الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة) الذي بين أيدينا وهو من تحقيق الدكتور محمد عبد السلام سويسي وطبعته الجامعة المرقب سنة 2016. = شرح الرامزة الخرجية في العروض، وهي نسخة محفوظة بمكتبة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، وتحمل الرقم: 678، ويوجد نسخة منها في مكتبة الحرم المكي، تحمل الرقم: 3244 عروض وقوافٍ⁽¹⁾.)⁽²⁾

المطلب الثاني: الشاهد الشعري

الشاهد لغة:

قال في الصحاح: (الشهادة: خَبْرٌ قاطع. تقول منه: شهد الرجل على كذا، وربما قالوا شَهِدَ الرَّجُلُ، بسكون الهاء للتخفيف، عن الاخفش. وقولهم: اشهد بكذا، أي احلف.)⁽³⁾ وقال صاحب العين: (وقد شهد عليّ فلانٌ بكذا شهادةً، وهو: شاهد وشهيد.)⁽⁴⁾، وقال صاحب القاموس المحيط: (الشهادة: خبر قاطع وقد شهد كعلم وكرم وقد تسكن هاؤه. وشهده كسمعه شهودا: حضره فهو شاهد ج: شهود وشهد. وشهد لزيد بكذا شهادة: أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد.)⁽⁵⁾، وقال صاحب المغرب في ترتيب المعرب:

⁽¹⁾ ينظر: الفهرس المختصر لمخطوطات الحرم المكي، محمد بن سيد أحمد وعادل بن جميل عيد، مطبوعات مكتبة الملك فهد، 2007م 4: 1703، وقد أشار إليه أثناء حديثه عن الزحاف الذي لحق بقصيدة المنفرجة.

⁽²⁾ ينظر: الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 6.

⁽³⁾ الصحاح تاج اللغة وصاح العربية: (2/ 494).

⁽⁴⁾ العين: (3/ 398).

⁽⁵⁾ القاموس المحيط: (ص: 372).

(الشهادة: الإخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان، يقال: شهد عند الحاكم فلان على فلان بكذا شهادة فهو شاهد) (1).

مما سبق يتضح أنّ بنية الفعل من (ش ه د) شهد يشهد، و شهد يشهد، وقد تسكن عينه.

أما من حيث المعنى، فإنه يدور حول الحضور والإخبار الصحيح المبني على المشاهدة والمعاناة الصحيحة، وبذلك يمكننا الانتقال للمعنى الاصطلاحي.

وبذلك فإنّ (الشاهد اسم فاعل مشتق من الفعل: شهد، تقول: شهد. يشهد. شهادة. واسم الفاعل (شاهد)) (2).

الشاهد اصطلاحاً:

ورد الشاهد بالمعنى الذي نقصده في هذا المبحث في كتاب سيبويه حيث قال: (...إلا أن يجيء شاهدٌ من لفظه فيه معنى يدلّك على زيادتها.) (3)، ولكنه لم يتعرض لبيان كعاداته مع بقية المصطلحات، وربما يكون للشاهد أضرب متعددة يستعمل بها بنفس المعنى، وقد اعتُبر ناقلاً للمشهد من مكان إلى آخر سواء كان ذلك في مجال الحياة كأن ينقل صورة وقف عليها أي حضر واقع رسم أجزاءها كما يحدث في شهادات المحاكم أو أنه يثبت صحة استعمال لغوي والأخير يكون منتزعا من مقال أدبي في مقام أهله لم تتغير سليقتهم اللغوية للاستشهاد به على صحة بنية أو تركيب أو معنى في إطار تنظير قاعدة لغوية ما صرفية أو نحوية أو دلالية، وقد عرفه العلماء المحدثون بعدة تعريفات يمكن اختيار بعضها لزيادة التوضيح.

(1) المغرب في ترتيب المعرب: (1/ 459).

(2) التوظيف البلاغي للشاهد الشعري في التحرير والتنوير، محمد عبد السلام سويسي، جامعة المرقب، 2016م:.

(3) الكتاب، سيبويه: (3/ 445).

«ما يؤتى به من الكلام العربي الفصيح، ليشهد بصحة نسبة لفظ، أو صيغة، أو عبارة، أو دلالة إلى العربية»⁽¹⁾.

«ما جيء به من كلام العرب شاهداً لعامل نحوي، أو لأثر إعرابي، أو علامة بناء، أو إعراب أصلية كانت أم فرعية.. يستوي في ذلك الشاذ النادر، والقياس المطرد»⁽²⁾.

والتعريفان السابقان مع توافقهما في مصدر الشاهد غير أن الأول أكثر شمولاً والثاني مختص بعلم الإعراب. هذا والشاهد النحوي ينبغي عند تعريفه مراعاة أن ينصرف عند الإطلاق على الشاهد الصرفي أيضاً، لأن كلاهما يثبت قاعدة نحوية (تركيبية) أو صرفية (بنوية)، أما الشاهد الدلالي فإنه يثبت استعمالاً عربياً صحيحاً لمفرد أو مركب، وهناك نوع آخر من الشواهد لسنا بصدد الحديث عنه ف هذا المختصر وهو الشاهد البلاغي الذي يُعنى بإثبات المظهر الجمالي للتركيب. بقي في مبحث الشاهد أمران مهمان هما نوع الشاهد ومعياريه.

أما نوع الشاهد، فقد استشهد العلماء لإثبات صحة اقواعد النحوية والصرفية بالقرآن الكريم وكلام العرب نثره وشعره، واختلفوا في صحة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وذلك بحجة جواز روايته بالمعنى الأمر الذي لا يحتم كون لفظه للرسول -صلى الله عليه وسلم- وبذلك يضع احتمال أن يكون من كلام الرواة المحدثين غير المسموح بالاستشهاد بكلامهم.

وبالنسبة لمعياري اعتبار الكلام المستشهد به شاهداً فقد جعله المتقدمون زمناً بالنسبة لشواهد القواعد النحوية والصرفية، إذ اعتبروا إبراهيم بن هرمة آخر شاعر يمكن الاستشهاد بكلامه ومن أمثلة الاستشهاد بشعره قوله:

(1) الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، د. محمد حسن جبل، دار الفكر، القاهرة: 51.

(2) الشواهد اللغوية، يحيى جبر، مجلة أبحاث النجاح، المجلد الثاني، العدد السادس: 1992، ص: 256.

(وأنت من العوائل حيث ترمى * ومن ذم الرجال بمنتزاح
على أن الالف تولدت من إشباع فتحة ما قبلها) (1)، وجعلوا من منتصف القرن
الثاني الهجري أي 150هـ حدا زنيا للاستشهاد بكلام العرب، أما الاستشهاد
للمعاني والجمال فقد القوا له العنان إلى أبعد من ذلك.
المبحث الأول: شواهد الجملة الإسمية

الجملة الإسمية هي كل جملة بدأ المتكلم الحديث فيها باسم منطوقا أو مقدرًا،
وتتكون عادة من مبتدأ وخبر، ومطولات أخرى، وربما تعترض تركيبها عوارض نحو
حذف أحد ركنيها، أو اختلال رتبتها، أو دخول ناسخ عليها، شواهد كل ما سبق
ضمنتها في هذا المبحث، وهي وفق سبق ورودها في الأنوار المنبلجة في شرح
المنفجرة للنقاوسي بتحقيق الدكتور محمد عبد السلام سويس كالآتي:
الشاهد الأول -

فَإِنْ يَكُ جُثْمَانِي بِأَرْضِ سِوَاكُمُ ... فَإِنَّ فُؤَادِي عِنْدَكَ الدَّهْرَ أَجْمَعُ (2)

البيت لجميل بثينة، في ديوانه: 118، وهو من شواهد: التصريح: 1/ 166،
والأشمنوني: "144 / 1 / 93، وهمع الهوامع: 1/ 99، والدرر اللوامع: 1/ 75،
وأمالي ابن الشجري: 1/ 5، 330، وأمالي القالي: 1/ 217، وسمط اللآلي: 505،
والعيني: 1/ 525، وخزانة الأدب: 1/ 190 ومغني اللبيب: "812 / 579"،
وشواهد السيوطي: 286.

استشهد به النقاوسي على صحة أن يعمل متعلق الظرف في الاسم الظاهر
وتفسير العمل هنا أن "أجمع" المرفوع توكيد للضمير المستكن في الظرف "عندنا"
والضمير لا يستتر إلا في عامله، والذي أكد ذلك التوجيه أنه لا يصح أن يكون

(1) شرح شافية ابن الحاجب: (4/ 25).

(2) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 104.

توكيدا للضمير المضاف لـ"عندنا" الذي محله الجر ولا توكيدا لـ"الدهر" لأنه منصوب، ثم أردف النقاوسي عبارة أفصحت عن رأيه قال فيها: (وليس في هذين كبير دليل) يقصد مثال عدم جواز تقديم الحال على الظرف وهذا البيت الذي أثبت تأكيد فاعل متعلق الظرف المستتر فيه، وقد تبع النقاوسي جل العلماء في استشهاده بهذا البيت.

اللغة:

الجثمان: (الشخص، يقال: أأنا بقرص مثل جُثمان القطة)⁽¹⁾.
الإعراب:

فإن: الفاء: حسب ما قبلها، إن: حرف مبني على السكون يفيد الشرط ويعمل الجزم، يك: فعل مضارع ناقص مجزوم وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، جثمانى: اسم "يك" مرفوع بضممة مقدرة لانشغال المحل بحركة المناسبة، وهو مضاف، والياء ضمير بارز متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة، بأرض: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر يك، وهو مضاف، سواكم: مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة على الألف للتعذر، وهو مضاف، وكم: ضمير بارز متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة، فإن: الفاء رابطة لجواب الشرط، إن: حرف توكيد ونصب، فؤادى: اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مضاف والياء ضمير بارز متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة، عندك: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر إن وهو مضاف والكاف: ضمير بارز متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة، الدهر: ظرف

(1) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمنى (المتوفى:

573هـ) نخ: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) ط1 ، 1420 هـ - 1999 م: 992 / 2: جثمان.

زمان متعلق بمحذوف خبر إن، أجمع: توكيد للضمير المستكن بالظرف المرفوع على الفاعلية، وهذا هو موضع الشاهد في البيت عند النقاوسي⁽¹⁾، غير أنه لم يُسَلِّم بحكم تنافي الحذف والتوكيد، وقوّاه وروده في السماع وتبَيَّى سيئويه له نقلا عن الخليل حيث قال في الكتاب: (وسألْتُ الخليل رحمه الله عن: مررت بزَيْدٍ وأتاني أخوه أنفسهما، فقال: الرفع على هما صاحباي أنفسهما، والنصب على أعنيهما...)⁽²⁾

الشاهد الثاني-

لَكَ الْعِزُّ إِنْ مَوْلَاكَ عَزَّ وَإِنْ يَهِنُ ... فَأَنْتَ لَدَى بَحْبُوحَةِ الْهُونِ كَأَنَّ⁽³⁾

البيت من الطويل وهو شاهد مجهول القائل استشهد به النحويون على إظهار متعلق شبه الجملة العام ضرورةً، فهو من شواهد مغني اللبيب، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وهمع الهوامع في نفس موضع الاستشهاد، أما النقاوسي، فقد استشهد بالبيت على أَنَّ تقدير المتعلق يجب أن يكون وصفا وهو قول الأخفش وجماعة هكذا قال⁽⁴⁾، ثم جعل هذا البيت شاهدا على أَنَّ من حق الشاعر أن يقدر المتعلق، فلما احتاج إلى إظهاره أظهره وصفا لا فعلا، ويعد هذا البيت دليلا سماعيًا على الرأي الذي جنح إليه النقاوسي.

اللغة:

العِزُّ بكسر العين: القوة والشدة بعد الذلة.⁽⁵⁾
الْبُحْبُوحَةُ: وَسَطُ الْمَحَلَّةِ⁽¹⁾

(1) الأتوار المنبلجة: 104.

(2) الكتاب، سيئويه: 60 / 2، 104.

(3) الأتوار المنبلجة، النقاوسي: 106.

(4) ينظر الأتوار المنبلجة : 106.

(5) ينظر إسفار الفصيح، الهروي: 810/2.

الهون: يقال: هو هين: إذا ذل. (2)

الإعراب:

لك: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، العز: مبتدأ مؤخر، إن: شرطية، مولاك: مولى: فاعل لفعل محذوف يقع فعل الشرط، يفسره المذكور بعده، ومولى مضاف والكاف ضمير بارز متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة، عز: فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى مولى، والجملة مفسرة لا محل لها، وجواب الشرط محذوف يدل عليه الكلام؛ أي: إن عز مولاك، فلك العز، وإن: الواو عاطفة، وإن: شرطية، يهن: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون؛ فعل الشرط، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى مولى أيضا، فأنت: الفاء: واقعة في جملة جواب الشرط، أنت: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، لدى: ظرف متعلق بكائن الآتي، وهو مضاف و بحبوحة: مضاف إليه، وبحبوحة مضاف والهون: مضاف إليه، كائن: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة "فأنت لدى..." في محل جزم جواب الشرط.

الشاهد فيه إظهار متعلق الظرف وصفا في قوله: كائن، حيث صرح به وهو متعلق الظرف الواقع خبرا شذوذا، وذلك لأن الأصل عند الجمهور إذا كان الخبر شبه جملة يكون متعلقا بكون عام واجب الحذف.

(1) تاج العروس، مادة: بحج.

(2) ينظر إسفار الفصيح، مصدر سابق: 810/2.

الشاهد الثالث -

مِية موحشا ظلل ... [يلوح كأنه خلل]⁽¹⁾

البيت من مجزوء الوافر لكثير عزة في ديوانه: 506، وقيل: هو لذي الرمة، بسبب ذكر اسم مية محبوبية ذي الرمة فيه، وقد ورد في جل كتب النحو في نفس موضع استشهد النقاوسي الذي استشهد به على أن موحشا حال وأن صاحبها "ظلل" المبتدأ المؤخر عن خبره، وأن العامل فيه هو الاستقرار المتعلق به الظرف، وأسقط ذلك على بيت الشيخ: "والخلق جميعا في يده... فذوو سعة وذوو حرج" مقويا فيه اعتباره أن "جميعا" حال من "الخلق" والعامل فيه متعلق الجار والمجرور "في يده" اللغة:

الظلل: ما شخص من آثار الديار، قال في الصحاح: (الظلل: ما شخص من آثار الدار، والجمع أطلال وظلول⁽²⁾).

الخلل: بالكسر جمع خلة: بطانة يغشى بها أجان السيوف، قال في الصحاح: (الخللة بالكسر: واحدة خلل السيوف، وهي بطائن كانت تغشى بها أجان السيوف منقوشة بالذهب وغيره⁽³⁾). الإعراب:

لمية: اللام حرف جر، مية: اسم مجرور بالفتحة، والجار والمجرور متعلقان بخبر المبتدأ المحذوف، موحشا: حال منصوب، ظلل: مبتدأ مؤخر. يلوح: فعل

(1) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: (ص: 197)

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 5/ 1752.

(3) المصدر نفسه: 4/ 1687.

مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره هو، كأنه: حرف تشبيه ونصب، والهاء: ضمير في محل نصب اسم "كأن"، خلل: خبر "كأن" مرفوع.

الشاهد الرابع-

وقائلة: خَوْلَانُ فَانكحُ فِتَاتَهُمْ وَأُكْرِمَةُ الحَيِّينِ خُلُوٌّ كَمَا هِيَا

نقله النقاوسي حجة على أن الفاء في بيت الشيخ: "ونزلهم وطلوعهم فعلى درك وعلى درج" زائدة في الخبر متبعا للأخفش⁽¹⁾ الذي لم يشترط أن يكون ما بعد الفاء طلبا ولا نهيا، أما الفراء⁽²⁾ ومن تبعه، فقد اشترطوا أن يكون ما بعد الفاء طلبا أو نهيا في اعتبارهم الفاء في "خولان فانكح" زائدة، وسيبويه⁽³⁾ لا يجيز زيادة الفاء في الخبر إلا إذا كان موصولا أو موصوفا، فإن لم يكن كذلك يوجب تقدير مبتدأ قبله، فخولان خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه.

اللغة:

خولان: اسم قبيلة، الأكرومة: فعل الكرم، الحيان: حي أمها وحي أبيها، والمقصود فتاة ذات كرم ومجد من ناحية الأم والأب، الخلو: الخالية.

الإعراب:

وقائلة: الواو واو رب، قائلة: اسم مجرور لفظا مرفوع محلا على أنه مبتدأ، خبره محذوف.

خولان: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه، فانكح: الفاء حرف استئناف، "انكح" فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر وجوبا تقديره أنت، فتاتهم: مفعول به، وهو مضاف، و"هم": في محل جر بالإضافة، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، هذا على قول سيبويه، أما على قول الأخفش، فأعرابها: خولان: مبتدأ

(1) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: 38/1.

(2) المصدر نفسه.

(3) ينظر: الكتاب، سيبويه: 139/1.

علامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاء: زائدة واقعة في جملة الخبر، انكح: فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر وجوبا تقديره أنت، فتاتهم: مفعول به، وهو مضاف، وهم: في محل جر بالإضافة وجملة "انكح": في محل رفع خبر المبتدأ.

وأكرومة: الواو حالية، أكرومة: مبتدأ مرفوع، وهو مضاف. "الحيين": مضاف إليه مجرور بالياء؛ لأنه مثني، خلو: خبر المبتدأ، كما: الكاف حرف جر، وما: يجوز أن تكون زائدة، وعليه تكون "هي" ضميرا في محل جر، والجار والمجرور متعلقان بخبر ثان للمبتدأ أكرومة، ويجوز أن تكون ما اسما موصولا، في محل جر بحرف الجر، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان للمبتدأ. و هيا: مبتدأ خبره محذوف، والألف للإطلاق. والجملة تكون صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

الشاهد: قوله: "خولان فانكح فتاتهم" حيث رفع "خولان" على أنها مبتدأ وما بعده خبره عند الأخفش وتبعه النقاسي في ذلك، أما على رأي سيبويه، فخولان: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه؛ أي: "هذه خولان"، وما بعده كلام مستأنف، لأن سيبويه لا يجيز زيادة الفاء في خبر المبتدأ، وأجازه الأخفش.

الشاهد الخامس -

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّىٰ إِذَا اذْكَرْتُ ... فَأَيْمًا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ⁽¹⁾

استشهد به النقاسي على صحة الإخبار بـ(حَكَمٌ) في بيت المنفرجة: "حِكْمٌ نُسِجَتْ بِيَدِ حَكَمَتْ ثُمَّ انْتَسَجَتْ بِالْمُنْتَسِجِ" على التوسع في الكلام بغرض المبالغة، وهو يتمثل قول سيبويه في تعليقه على البيت في كتابه: (فجعلها الإقبال والإدبار، فجاز

(1) الأنوار المنبلجة، النقاسي: 242.

على سعة الكلام، كقولك: نهازك صائمٌ وليلك قائمٌ⁽¹⁾، فالإخبار بالمصدر على سبيل المبالغة كما قال ابن جني في الخصائص: (وما كان مثله؛ من قبل أن من وصف بالمصدر فقال: هذا رجل زور، وصوم، ونحو ذلك، فإنما ساغ ذلك لأنه أراد المبالغة، وأن يجعله هو نفسه الحدث، لكثرة ذلك منه.)⁽²⁾.
اللغة:

تَرْتَعُ: رتعت الماشية ترتع رتوعا، أي أكلت ما شاءت.⁽³⁾
أذكرت: ذكرت الشيء بعد النسيان، وذكرته بلساني وقلبي، وتذكرته. وأذكرته غيرى وذكرته، بمعنى. قال الله تعالى: * (واذكر بعد أمة) *، أي ذكره بعد نسيان.⁽⁴⁾
إقبال: أقبل نقيض أدبر. يقال: أقبل مقبلا، مثل (أدخلني مدخل صدق). وفي الحديث: سئل الحسن عن مقبله من العراق، وأقبل عليه بوجهه.⁽⁵⁾
إدبار: أَدْبَرَ إِدْبَارًا وَدُبْرًا: وَلَّى عَن كُرَاعٍ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ الإِدْبَارَ المَصْدَرُ ، وَالدُّبْرُ الإِسْمُ.⁽⁶⁾
الإعراب:

الإعراب: ترتع: فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره: هي، ما: حرف مصدري. رتعت: فعل ماضٍ، حتى: حرف ابتداء وغاية، إذا: ظرف زمان يتضمن معنى الشرط، متعلق بجوابه. اذكرت: فعل ماضٍ فاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره: هي، فإنما: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إنما: أداة حصر،

(1) الكتاب، سيبويه: 1/ 337.

(2) الخصائص: 3/ 192.

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين: 3/ 1216.

(4) المصدر نفسه: 2/ 665.

(5) المصدر نفسه: 5/ 1797.

(6) المحكم والمحيط الأعظم: 9/ 311.

حبيبة المخاطب، بِعَافِيَةٍ: العَافِيَةُ: دَفَاعٌ اللهُ عَنِ العَبْدِ عَافَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ المَكْرُوهِ عِفَاءً وَمَعَاوَةً وَعَافِيَةً: وَهَبَ لَهُ العَافِيَةَ مِنَ العِلَلِ وَالبَلَاءِ (3)، إِذْ: ظَرْفٌ. الإعراب:

نهيتك: فعل ماض مبني على السكون، و"التاء": ضمير متصل في محل رفع فاعل، و"الكاف": ضمير متصل في محل نصب مفعول به: عن طلابك: جار ومجرور متعلقان ب"نهيتك"، و"الكاف": ضمير متصل في محل جر بالإضافة. أم: مفعول به ل"طلاب" منصوب بالفتحة. عمرو: مضاف إليه مجرور بالكسرة. بعافية: جار ومجرور متعلقان ب"نهيتك". وأنت: "الواو": حالية، "أنت": ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ. إذ: ظرف للزمان الماضي في محل نصب مفعول فيه متعلق ب"صحيح". صحيح: خبر "أنت" مرفوع بالضمة.

الشاهد السابع -

بِنْدَلٍ وَجُلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَتَى ... وَكُونُكَ إِيَّاهُ عَلَيَّكَ يَسِيرٌ (4)

البيت بلا نسبة في تخلص الشواهد ص233، والدرر 1/ 56، وشرح التصريح 1/ 187، وشرح ابن عقيل ص138، والمقاصد النحوية 2/ 15، شرح الأشموني لألفية ابن مالك (1/ 228)، وهمع الهوامع 1/ 114، واستشهد به النقاوسي على صحة المذهب القائل بأن كان وأخواتها تدل على الحدث والزمن معا إلا ليس، وإنما سميت ناقصة لأنها تحتاج إلى خبر مع اسمها حتى يتم معناها، بدليل استخدام حدثها (مصدرها) في هذا البيت، وكذلك كل تصريفاتها ومنها المضارع " لتكون" في بيت الشيخ القائل:

(1) المصباح المنير - العلمية: 2/ 629.

(2) القاموس المحيط: 1/ 91.

(3) المصدر نفسه: 3/ 452.

(4) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 321.

"لتكون من السُّباق إذا ما جئت إلى تلك الفرج"
اللغة:

ببذَل: بذلت الشيء أبذله بذلا، أي أعطيته وجدت به. (1)

وحلِّم: الحلم بالكسر الاناة. تقول منه: حلم الرجل بالضم. (2)

ساد: سَادَ يَسُودُ سِيَادَةً و الاسم السُّودَدُ وهو المجد والشرف، فهو سَيِّدٌ والأُنثى سَيِّدَةٌ. (3)

قَوْمِهِ قوم: الرجال دون النساء، لا واحد له من لفظه. (4)

الْفَتَى: الفتى: الشَّابُّ، يكونُ اسماً وصفةً، وَفِي المِصْبَاحِ الفَتَى فِي الأَصْلِ يُقَالُ للشَّابِّ الحَدِيثِ ثُمَّ اسْتُعِيرَ للعَبْدِ وَإِنْ كَانَ شَيْخاً مَجَازاً لِنَسْمِيَّتِهِ بِاسْمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ. (5)

الإعراب: ببذل جار ومجرور متعلق بساد، وحلم: معطوف على بذل، ساد:

فعل ماضٍ، في قومه: جار ومجرور متعلق أيضا بساد، وقوم: مضاف والضمير مضاف إليه، الفتى: فاعل ساد، وكونك كون: مبتدأ، وهو مصدر كان الناقصة، فمن حيث كونه مبتدأ يحتاج إلى خبر، وهو قوله: يسير الآتي، ومن حيث كونه مصدر كان الناقصة يحتاج إلى اسم وخبر، فأما اسمه فالكاف المتصلة به، فلهذه الكاف محلان أحدهما جر بالاضافة، والثاني رفع على أنها الاسم، وأما خبرها، فقوله: إيا، وقوله: عليك: جار ومجرور متعلق بيسير، وقوله: يسير: خبر المبتدأ.

الشاهد الثامن -

وَرُبَّ بَقِيْعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ ... أَتَأْنِي كَرِيْمٌ يَنْغُضُ الرُّأْسَ مُعْضِبًا (1)

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين: 4 / 1632.

(2) المصدر نفسه: 5 / 1903.

(3) المصباح المنير - العلمية: 1 / 294.

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين: 5 / 2016.

(5) تاج العروس: 208/38.

البيت للأعشى في ديوانه، شرح: محمد حسين، مكتبة الآداب: 115، و في
عيون الأخبار: 104 /3، ومقاييس اللغة: 282 /1.

استشهد به النقاوسي على دلالة التتوين على التكثير في "بمندرج" من قول الشيخ:
وكتاب الله رياضته لعقول الخلق بمندرج
وذلك كما دلَّ على التكثير في قوله: "كريم" من البيت، وقد سبقه إلى هذه الدلالة
في نفس البيت صاحب اللباب في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿نَفْسٌ﴾ من قوله
تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ
السَّٰخِرِينَ﴾⁽²⁾ فجعل دلالة التتوين في ﴿نفس﴾ التكثير حيث قال: (وإنما نكَّر
نفساً لأنه أراد التكثير كقول الأعشى:

وَرُوبٌ بَقِيعٌ لَوْ هَتَّقْتُ بِجَوْهٍ ... أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْغُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبًا

يريد أتاني كراماً كثيرون لا كريم فذَّ لمنافاته المعنى المقصود، ويجوز أن يريد نفساً
متميزة عن الأنفس باللجاج الشديد في الكفر والعذاب العظيم.)⁽³⁾
اللغة:

الْبَقِيعُ مِنَ الْأَرْضِ: مَوْضِعٌ فِيهِ أَرْوْمٌ شَجَرٍ مِنْ ضُرُوبٍ شَتَّى.)⁽⁴⁾

هتقت: الهتفتُ: الصوتُ. يقال هتفتِ الحمامةُ تهتفتُ هتفاً.⁽⁵⁾

جوه: (الجو: ما بين السماء والارض.)⁽⁶⁾

(1) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 455.

(2) الزمر: 56

(3) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد
عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م: 16/
531.

(4) مقاييس اللغة (1/ 282).

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين: 1442 /4.

(6) المصدر نفسه: 2306 /6.

يَنْعِضُ: (تَغَضَّ رَأْسُهُ يَنْعِضُ وَيَنْعِضُ: إِذَا تَحَرَّكَ، وَالْمَصْدَرُ: نَعِضٌ وَنُعُوضٌ وَيُقَالُ: نَعِضَ فُلَانٌ رَأْسَهُ، أَي: حَرَّكَهُ، يَتَعَدَّى وَلَا يَنْعَدَى، حَكَاهُ الْأَخْفَشُ وَيُقَالُ: أَنْعَضَ رَأْسَهُ، أَي: حَرَّكَهُ.)⁽¹⁾

الإعراب:

وَرَبٌّ: الواو لربِّ، ربٌّ: حرف جر شبيه بالزائد، بَقِيْعٍ: مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر شبه الزائد، لَوْ: حرف امتناع لوجود، هَنَفْتُ: فعل وفاعل، بِجَوِّةٍ: جار ومجرور متعلق ب"هَنَفْتُ"، أَتَانِي: فعل ماض مبني على الفتح والنون للوقاية والياء ضمير متكلم مفعول به، كَرِيْمٍ: فاعل مرفوع بالضمة، يَنْعِضُ: فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل مستتر تقديره هو يعود على كريم، الرَّأْسِ: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره، مُعْضِبًا: حال منصوبة.

الشاهد التاسع-

وَإِنَّ حَرَامًا أَنْ أَسْبَّ مُجَاشِعًا ... بِأَبَائِي الشُّمَّ الْكِرَامِ الْخَضَارِمِ⁽²⁾

البيت من الطويل ورد في نفس موضع الاستشهاد في المقتضب: 74 / 4، شرح

التسهيل لابن مالك: 357 / 1، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 436 / 1

الشاهد فيه: جعل اسم إن "حراما" نكرة، والخبر المصدر المؤول، وقد استشهد النقاوسي بهذا البيت عند بيانه أحوال خبر كان مع اسمها من حيث التعريف والتكثير عند إعرابه لقول الشيخ:

وإذا كنت المقدم فلا تجزع في الحرب من الراجح

حيث أشار إلى أنه لا يأتي مبتدأ أو ما في حكمه نكرة والخبر معرفة إلا في الضرورة من ناحية، وأنَّ العرب تعتبر "أَنْ وَأَنَّ وما" المصدريات في حكم الضمير،

(1) اقتطاف الأزهر: 77.

(2) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 481.

فعلى قوله هذا وقوع " حراماً " اسم إنَّ ضرورة. لوقوع الاسم نكرة والخبر مصدر مؤول في حكم الضمير معرفة، والمشهور العكس، ولعل بيت حسان رضي الله عنه الذي عجزه " يَكُونُ مِرْاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ " أولى بالذكر هنا لأنه يمثل شاهداً للفعل الناقص الذي جاء اسمه نكرة وخبره معرفة، لا سيما بيت الشيخ موضع الشرح مثيله معرف الطرفين.

اللغة:

حَرَامًا: (الحِرْمَانُ: حَرَمَهُ يَحْرُمُهُ حِرْمًا وَحِرْمَانًا وَحَرِيمَةً، وهو عليه حَرَامٌ وَحَرِمٌ وَحُرْمٌ، إِذَا مَنَعَهُ. وَأَصْلُ الْحَرَامِ الْمَنْعُ.)⁽¹⁾

أَسْبَبٌ: سَبَّهُ سَبًّا، فهو سَبَّابٌ، ومنه قيل للإصبع التي تلي الإبهام سَبَابَةٌ؛ لأنه يشار بها عند السب و السُّبْبَةُ: العار، و سَابَهُ مُسَابَةً و سَبَابًا، واسم الفاعل منه سَبَّبَ بالكسر.)⁽²⁾

الشُّمُّ: (شتمه يشتمه ويشتمه شتماً ومشتمة ومشتمة، فهو مشتموم وهي مشتمومة وشتميم : سبه والاسم : الشتمية، وشاتما وتشاتما: تسابا، والشتميم: الكريه الوجه.)⁽³⁾

الْكِرَامُ: الكَرْمُ: ضِدُّ اللُّؤْمِ. وقد كَرَّمَ الرجل بالضم فهو كَرِيمٌ، وقومٌ كِرَامٌ.)⁽⁴⁾
الخَضَارمُ: الخِضْرَمُ: الجَوَادُ الكَثِيرُ العَطِيَّةِ، وقيل: السَيِّدُ الحَمُولُ، والجمع: خَضَارمُ، وخَضَارمة، والهاء لتأنيث الجمع...ولا تُوصف به المرأة.)⁽⁵⁾
الإعراب:

(1) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: 82.

(2) المصباح المنير، العلمية : 1 / 262.

(3) القاموس المحيط: 1453.

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 5 / 2019.

(5) المحكم والمحيط الأعظم: 5 / 329.

وإنّ: الواو حسب ما قبلها، إنّ: حرف توكيد ونصب، حرّامًا: اسمها منصوب، أن: مصدرية ناصبة، أسبّ: فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، مُجَاشِعًا: مفعول به منصوب، والمصدر المنسبك من أن وفعلها في محل رفع خبر إنّ، بآبائي: جار ومجرور متعلق بـ"أسب"، الشّم: نعت لآبائي الكرام: بدل من الشّم، الخصارم: بدل من الكرام، أو أنها نعوت متراسة.

المبحث الثاني: شوهده الجملة الفعلية

الجملة الفعلية هي كل جملة يبدأ المتكلم فيها بفعل، ويتضمن هذا المبحث كل الشواهد المتعلقة بأجزاء الجملة الفعلية سواء كانت في العمد أو الفضلات او المطولات او العوارض، وقد تم ترتيب الشواهد حسب ورودها في الشرح، وهي كما يأتي:

الشاهد الأول -

لنتمم أنت يا ابن خير فُرَيْش ... فلتنقضي حوائج المسلمينا⁽¹⁾

البيت من الخفيف مجهول القائل، أورده الكوفيون للاستدلال على الجزم بلام مقدرة كما جزموا بلام ظاهرة⁽²⁾، وقد تبع ابن هشام في المغني قول الكوفيين في مسألة جزم فعل الأمر بلام مقدرة حيث يقول: (وزعم الكوفيون وأبو الحسن أن لام الطالب حذف حذفا مستمرا في نحو فم واقعد وأن الأصل لتقم ولتقعد فحذفت اللام للتخفيف وتبعها حرف المضارعة، ويقولهم أقول؛ لأن الأمر معنى حقه أن يؤدي بالحرف؛ ولأنه أخو النهي ولم يدل عليه إلا بالحرف؛ ولأن الفعل إنمّا وضع لتقييد الحدّث بالزّمان المحصل

(1) الأتوار المنبلجة، النقاوسي: 78.

(2) لسان العرب: 15/ 186.

وَكُونَهُ أَمْرًا أَوْ خَبْرًا خَارِجَ عَنِ مَقْصُودِهِ؛ وَلِأَنَّهُمْ قَدْ نَطَقُوا بِذَلِكَ الْأَصْلِ⁽¹⁾ وأورد البيت محل الدراسة، واستشهد به النقاوسي⁽²⁾ لإثبات أن أمر المُخَاطَب جَاءَ فِيهِ بِاللَّامِ وَهُوَ فِي الشَّعْرِ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي النَّثْرِ أَرَادَ: "لَنْقُمَ"، وَكَذَا اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: فلنقضني لأمر المُخَاطَب، وَالْيَاءُ إِشْبَاعُ الْكُسْرَةِ؛ لِأَنَّ حَقَّ الْيَاءِ الْحَذْفَ، فَالْفِعْلُ مَجْزُومٌ بِاللَّامِ الْأَمْرِ، وَهُوَ مَعْتَلٌ عَلَامَةٌ جَزَمَهُ حَذْفُ حَرْفِ الْعِلَّةِ.
اللغة:

تقضي: (قضاء الشيء: إكمامه وإمضائه والفراغ منه.)⁽³⁾
حوائج: الحاجة والحاجة: المأرية... وجمع الحاجة حوائج...⁽⁴⁾
الإعراب:

لنقم: اللام لام الأمر، وتقم: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت، أنت: توكيد للفاعل، الياء: حرف نداء، ابن: منادى منصوب بالفتحة، خير: مضاف إليه مجرور بالكسرة وهو مضاف وقريش مضاف إليه
فلنقضني: الفاء للعطف والترتيب، واللام: لام الأمر، وتقضني: فعل مجزوم بحذف الياء والياء الباقية للإشباع، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت، حوائج: مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف والمسلمينا: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء أنه جمع مذكر سالم، والألف للإطلاق.

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: 300.

(2) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 78.

(3) لسان العرب: 15 / 186

(4) المحكم والمحيط الأعظم (3/ 460).

الشاهد الثاني -

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ ... وَالصَّالِحِينَ عَلَى سِمَعَانَ مِّنْ جَارٍ⁽¹⁾

البيت من شواهد سيبويه: 320 / 1 على أن الياء هنا للتبئيه، وعلى حذف المنادى في الأصول في النحو (1/ 354)، وفي شرح التسهيل لابن مالك: 389/3 بل نقل ابن مالك اجماعاً من العلماء على ذلك في باب حبذا، وكان التقدير يا قوم لعنة....

أما الشاهد فيه عند النقاوسي، فهو نداء ما لا ينادى أي الجملة هنا، وذكر وجه الاستشهاد لسابقه بصيغة التضعيف بعد إيراده الأبيات المنادى فيها بغير الاسم حيث قال: (ف قيل: المنادى محذوف سدا لباب الاشتراك، مع إمكان المجاز الذي ثبت راجحيته عليه، وقيل: للتبئيه لا لطلب الإقبال لتعذر المجاز هنا...)⁽²⁾، وهذا وجه استشهاد مستحدث منه.

اللغة:

اللعنة: قال الهروي: (أصل اللعن: الإبعاد والطرده. ومعنى قولهم: لعنه الله؛ أي أبده منه، أو من رحمته.)⁽³⁾ الإعراب:

يا: حرف نداء، لعنة: مبتدأ وهي مضاف ولفظ الجلالة: مضاف إليه، الواو: حرف عطف، الأقوام: معطوفة على لفظ الجلالة، كل: توكيد وهو مضاف والضمير مضاف إليه، والواو: حرف عطف، الصالحين معطوفة على لفظ الجلالة، على سمعان:

(1) الأتوار المنبلجة، النقاوسي: 86.

(2) المصدر نفسه.

(3) إسفار الفصيح: 712/2.

متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، من جار: جار ومجرور في محل نصب تمييز.

بقي تقدير المنادى، فعلى قول سيبويه فإن الياء للتثنية ولا محل لها من الإعراب ولا منادى في الجملة.

أما على قول ابن مالك ومن نقل إجماعهم، فإن ياء: حرف نداء، والمنادى محذوف وتقديره ب قوم.

أما على ما ذكره النقاوسي، فإن إعرابه يا حرف نداء، والجملة الإسمية في محل نصب منادى.

الشاهد الثالث -

فقلتُ لجنادٍ: خذِ السيفَ، واشتمل عليه بحزم، وارقبِ الشمسِ
تغرب⁽¹⁾

البيت من الطويل لعمر ابن أبي ربيعة في ديوانه (ص: 62)، استشهد به النقاوسي على صحة جزم المضارع الواقع في حيز الطلب اللفظي أيضا تشبيها له بالمعنوي بجعله "تغرب" جوابا للأمر "ارقب" وهو لا يكون مسببا له.

اللغة:

اشتمل: (صارت له مشملة. والمشمّل، كمنبّر: سيفٌ قصيرٌ دقيقٌ نحو المغول، يتغطى بالثوب، ونصُّ المحكم: يشتمل عليه الرجل، فيعطيه بثوبه.)⁽²⁾

بحزم: حزم في أمره حزما: ضبطه.⁽³⁾

(1) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 88.

(2) تاج العروس: 289 / 29.

(3) الأفعال: 233 / 1.

أرقب: رقب يرقب رقوباً فهو رقيب، قال الجوهرى: (الرقيبُ: المُنْتَظِرُ. تقول رقبت الشيء أرقبه رقوباً، ورُقْبَةً ورُقْبَاناً بالكسر فيهما، إذا رَصَدْتَهُ.)⁽¹⁾

الإعراب:

فقلتُ: الفاء حسب ما قبلها، قلت: فعل وفاعل، لجنادٍ جار ومجرور متعلق بـ قلت، خذ: فعل أمر مبني على السكون المقدر منع من ظهوره حركة المناسبة وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنت، السيف: مفعول به، واشتمل: الواو عاطفة واشتمل: فعل أمر مبني على السكون وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنت، عليه: جار ومجرور متعلق بـ اشتمل، بحزمٍ: جار ومجرور متعلق بـ اشتمل أيضاً، وارقب: أمر مبني على السكون وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنت، الشمس: مفعول به، تغرب: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه واقع في حيز الطلب اللفظي تشبيهاً له بالمعنوي.

الشاهد الرابع -

هَذَا سُرَاقَةٌ لِلْفَرَانِ يَدْرُسُهُ [وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَا إِنْ يَلْقَاهَا ذَيْبٌ]⁽²⁾

هو صدر بيت من البسيط تمامه: وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَا إِنْ يَلْقَاهَا ذَيْبٌ، استشهد به النقاوسي على أن الفعل لا يتعدى إلى الظاهر وضميره في وقت واحد متبعا في ذلك الفارسي الذي قال في المسائل السفريّة عند حديثه على هذا البيت: (...أي: يدرس الدرس، إِذْ لَيْسَ الضَّمِيرُ لِلْفُرَّانِ، لَأَنَّ اللَّامَ مُتَعَلِّقَةً بِيَدْرُسَ وَلَا يَتَعَدَّى

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 1/ 137.

(2) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 178.

الْفِعْلُ إِلَى ضَمِيرِ فِعْلِ وَإِلَى ظَاهِرِهِ جَمِيعًا⁽¹⁾ فالضمير في البيت يقوم مقام المصدر المؤكد للفعل خاصة؛ أي: يدرس الدرس، فلو صرح بالمصدر لم يفد إلا التوكيد، فكذلك ضميره⁽²⁾، وهذا ما يقصده الرضي من قوله: (وكلفظ الفعل المتضمن للمصدر المفسر لضمير متصل بذلك الفعل) ثم ذكر البيت⁽³⁾، وَهُوَ مِنْ أَيْيَاتِ سَبِئَوِيَّةِ الْخَمْسِينَ الَّتِي لَمْ يَقِفْ عَلَى قَائِلِهَا أَحَدٌ، غَيْرَ أَنَّهُ اسْتَشْهَدَ بِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ غَيْرِ مَوْضِعِ اسْتِشْهَادِ النِّقَاسِيِّ بِهِ، وَهُوَ حَذَفَ جَوَابَ الشَّرْطِ فِي الشَّعْرِ خَاصَّةً.

اللغة:

سُرَاقَةُ: اسم شخص.

الْقُرْآن: كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب بين دفتي المصحف من بداية سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس. يَدْرُسُهُ: يحفظه قال في الأفعال: (درس الكتاب درسا ودراسة: أقبل عليه ليحفظه)⁽⁴⁾

الرِّشَا: جمع رشوة وهي العطية للحاكم، قال الزبيدي: (الرِّشْوَةُ: مُتَلَثِّئَةٌ، الْكِسْرُ هُوَ الْمَشْهُورُ، وَالضَّمُّ لُغَةٌ، وَعَلَيْهِمَا اقْتَصَرَ ابْنُ سَيِّدِهِ وَالْأَزْهَرِيُّ وَالْجَوْهَرِيُّ وَصَاحِبُ الْمِصْبَاحِ، وَالْفَتْحُ عَنِ اللَّيْثِ؛ الْجُعْلُ: وَهُوَ مَا يُعْطِيهِ الشَّخْصُ الْحَاكِمَ أَوْ غَيْرَهُ لِيَحْكُمَ لَهُ، أَوْ يَحْمِلَهُ عَلَى

(1) المسائل السفرية، أبو علي الفارسي: 13.

(2) ينظر: التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الشيخ خالد: 1/ 494.

(3) ينظر: شرح الرضي على الكافية: 2/ 404.

(4) الأفعال: 1/ 349.

مَا يُرِيدُ؛ ج: رُشَاءً، بِالضَّمِّ، كَمَذْيَةٍ وَمُدَى؛ وَرِشَاءً، كَسَدْرَةٍ وَسِدْرٍ وَهِيَ
الْأَكْثَرُ. (1)

الإعراب:

هَذَا: مبتدأ، سُرَاقَةٌ: خبر المبتدأ مرفوع بالضممة، لِلْقُرْآنِ: جار
ومجرور متعلق بـ يدرسه بعده يَدْرُسُهُ: فعل مضارع مرفوع بالضممة
الظاهرة على آخره، والفاعل مستتر تقديره هو يعود على سرقة،
والهاء نائب عن المفعول المطلق، والمَرْءُ: الواو: حالية، المرء:
مبتدأ، عِنْدَ: ظرف منصوب متعلق بـ يلقها وهو مضاف والرُّشَا
مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه كسرة مقدرة منع من ظهورها
التعذر، إن: شرطية جازمة، يَلْقُهَا: فعل مضارع مجزوم وعلامة
جزمه حذف حرف العلة، وفاعله مستتر تقديره هي، والهاء مفعول
به، ذِيب: خبر، وجواب الشرط محذوف للضرورة.

الشاهد الخامس -

وَإِذَا الْأُمُورُ تَعَاظَمَتْ وَتَشَابَهَتْ ... فَهَنَّاكَ يَعْتَرِفُونَ أَيْنَ الْمَفْرَعِ (2)

البيت من الكامل، للأفوه الأودي، وهو في شرح التسهيل، ابن
مالك: 1/ 251. وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 1/ 305،
والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: 1/ 384،
واستشهد به النقاوسي على أن اسم الإشارة هناك في قول الشيخ:
فهناك العيش وبهجته... يجوز أن يدل على الزمان كما دل عليه
هنا في بيت الشاعر هذا، وهو في ذلك تبع لابن مالك حيث قال

(1) تاج العروس: 38/ 153.

(2) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 328.

في التسهيل: (وقد يشار بهناك وهناك وهنا إلى الزمان) ⁽¹⁾ وأتى بهذا البيت شاهدا على قوله.

اللغة:

الأُمُور: جمع الأَمْر: (... يقال: أَمُرُ فلانٍ مستقيمًا، وأَمُورُهُ مستقيمةً.) ⁽²⁾

تعاضمت: (العظم بكسر العين: خلاف الصغر... عاضمه: عظم عليه، وأمر لا يتعاضمه شيء: لا يعظم بالإضافة إليه.) ⁽³⁾

المفزعُ: (الْفَزَعُ: الذعرُ، وهو في الأصل مصدر ورَّما جمع على أفزاعٍ. تقول منه: فَزَعْتُ إليك وفَزَعْتُ منك، ولا تقل فِرْعُكُ. والمَفْرَعُ: الملجأ.) ⁽⁴⁾

الإعراب:

وإذا: الواو حسب ما قبلها، إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان، الأُمُور: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور تعاضمت، تعاضمت: فعل ماضٍ مبني على الفتح والتاء للتأنيث وفاعله مستتر فيه يعود على الأمور، وتَشَابَهَتْ: الواو للعطف، وتَشَابَهَتْ: فعل ماضٍ مبني على الفتح والتاء للتأنيث وفاعله مستتر فيه يعود على الأمور، وجملة تَشَابَهَتْ معطوفة على جملة تعاضمت، فهناك: الفاء الواقعة في جواب الجزاء، وهناك: ظرف زمان متعلق بـ يعترفون، يَعْتَرِفُونَ: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وفاعله واو الجماعة والجملة في

(1) شرح التسهيل، ابن مالك: 1/ 251.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين: 2/ 580.

(3) القاموس المحيط: 1470.

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين: 3/ 1258.

محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنتم أو هم والجملة الكبرى جواب إذا، أي: اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم، المفعول: مبتدأ مرفوع بالضممة الظاهرة على آخره مؤخر عن خبره وجوبا لاستحقاق أسماء الاستفهام الصدارة.

الشاهد السادس -

لَيْنُ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا ... وَأَمْكُنِّي مِنْهَا إِذَا لَا أُقِيلُهَا⁽¹⁾

البيت من الطويل لكثير عزة في ديوانه: 1/ 164، شرح ناظر الجيش للتسهيل: 6/ 3134، حاشية الصبان على شرح الأشموني 422/3.

استشهد به النقاوسي على أن إذا لتأكيد ربط الجزاء بالشرط وأن ما بعدها مسبب عما قبلها، فعدم إقالتها مسببة لتمكنه منها في بيت كثير عزة، وكذلك هيجان الأعمال مرتبط بهيجان العامل في بيت الشيخ. غير أن إذا في بيت كثير مهمله لم تعمل في الفعل بعدها لعدم تصدورها، وإذا في بيت الشيخ عملت الجزم حملاً لها على متى ضرورة (في الشعر فقط) على رأي النقاوسي؛ لأنها توسطت بين الشرط والجزاء أي أنها ليست متصدرة لجملتها، وهو رأي ابن مالك حيث قال في شرح التسهيل: (لما خالفت إذا) "إن" وأخواتها فلم تكن للتعليق على الشرط المشكوك في وقوعه، فارقتها في حكمها، فلم يجزم بها في السعة، بل تضاف إلى الجملة، وإذا وليها المضارع كان مرفوعاً.⁽²⁾

(1) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 345.

(2) شرح التسهيل لابن مالك: 4/ 81.

اللغة:

عاد يعود عوداً: رجع. (1)

لا أقيلها: الإقالة في البيع لأنها رفع العقد و قاله قَيْلاً من باب
باع لغةً، واستقاله البيع، فأقاله. (2)

الإعراب:

"لئن" اللام موطئة للقسم، وإن شرطية جازمة "عاد" فعل الشرط
"عبد العزيز" عبد فاعل عاد، والعزير مضاف إليه، بمثلها: متعلق
بعاد، وجواب الشرط محذوف، وأمكنتني: معطوف على عاد، إذا:
حرف جواب مهمل: لا: نافية، أقيلها: فعل مضارع والفاعل ضمير
مستتر تقديره أنا، والهاء: مفعول به.

الشاهد السابع-

اسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى ... وَإِذَا تُصِيبُكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلْ (3)

البيت من الكامل، وهو لعبد القيس بن خفاف البرجمي،
وقيل: لحارثة ابن بدر الغداني، وهو من شوهده الملحمة في شرح
الملحة: 2 / 880، و شرح التسهيل لابن مالك: 2 / 211، مغني
اللييب عن كتب الأعراب: 128، والشاهد فيه عند النقاوسي
الجزم بإذا حملا على متى: في قول صاحب المنفرجة: (إذا تهج)
من قوله:

فهج الأعمال إذا ركدت فإذا ما هجت إذا تهج

(1) جمهرة اللغة: 2 / 666.

(2) المصباح المنير: 2 / 521.

(3) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 437.

كما جزم (تصبك) حيث جزم بـ (إذا)؛ وهذا خاصٌ بالشعر، وهو تابع في ذلك لابن مالك حيث جوز جزمها الفعل في الشعر وعلل ذلك بقوله: (إنما جاز أن يُجزم بها في الشعر لأن فيها ما في إن من رُبط جملة بجملة وإن لم يكن ذلك لها لازماً)⁽¹⁾، غير أن ابن الحاجب ضعف ذلك الجزم في أماليه حيث قال: (وقد ثبت أنها في اللغة الفصيحة لا عمل لها في الفعل. تقول: إذا تكرمني أكرمك، والجزم ضعيف)⁽²⁾

يُنظر هذا البيت في: المفضّلات 385، ومعاني القرآن للفرّاء 158/3، والأصمعيّات 230، وأمالي المرتضى 383/1، وشرح عمدة الحافظ 374، والمغني 128، والهمع 180/1، والأشْمونيّ 13/4، و اللّحة في شرح الملحّة (2/ 880) استغنى: ... غني عن الشيء غنى: استغنى عنه. والغناء: بالفتح والمد: الكفاية.⁽³⁾

خَصَاصَةٌ: ... الخَصَاصَةُ والخَصَاصُ: الفقر.⁽⁴⁾

فَتَجَمَّلَ: تجمل تجملا بمعنى تزين وتحسن...⁽⁵⁾

الإعراب:

(1) شرح التسهيل، ابن مالك، ت 672هـ، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ - 1990م: 211 / 2.

(2) أمالي ابن الحاجب ت646هـ، تح: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت، 1409 هـ - 1989 م : 871 / 2.

(3) المطلع على ألفاظ المقنع: ص: 428.

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: 3/ 1037.

(5) المصباح المنير: 1/ 110.

استغن: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره: أنت، ما: مصدرية ظرفية والمصدر المؤول من ما والفعل أغناك: ظرف زمان منصوب متعلق بـ(استغن)، أغناك: فعل ماضي مبني على الفتح المقدر على الألف، الكاف: ضمير متصل في محل نصب مفعول به، ربك: فاعل مرفوع بالضمة، والكاف: ضمير متصل في محل جر بالإضافة، بالغنى: جار ومجرور بكسرة مقدرة على الألف متعلقان بـ استغن، وإذا: الواو: للعطف، إذا: ظرف زمان متضمن معنى الشرط، في محل نصب مفعول فيه متعلق بجوابه، تصبك: فعل مضارع مجزوم بالسكون، والكاف: ضمير متصل في محل نصب مفعول به، خصاصة: فاعل مرفوع بالضمة، فتجمل: الفاء: رابطة لجواب الشرط، تجمل: فعل مضارع مجزوم بالسكون وحرك بالكسرة لضرورة القافية، و"الفاعل": ضمير مستتر تقديره أنت، والجملة جواب الشرط.

الشاهد الثامن -

لَلْبُسِّ عَبَاءَةٌ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ⁽¹⁾

هذا بيتٌ من الوافر، وهو لميسون بنت بحدل الكلبية، وهو من شواهد الكتاب لسيبويه: 45 / 3، و المقتضب للمبرد: 27 / 2، الأصول في النحو: 150 / 2، اللحة في شرح الملحمة: 2 / 837، وغيرها، والشاهدُ فيه: (وتَقَرَّرَ) حيث نصب الفعل المضارع بـ

(1) الأنوار المنبلجة، النقاوسي: 385.

(أَنْ) المضمرة وجوبا عند سيبويه بعد واو عاطفة على اسم خالص من التقدير بالفعل؛ وهو قوله: لبس.

اللغة:

لُبِسَ: اللِّبَاسُ واللِّبْسُ سَوَاءٌ واللُّبْسُ بالضَّمِّ، والمصدرُ، لَبِسَ لُبْسًا. (1)

عِبَاءَةٌ: العِبَاءُ كسحاب: كِسَاءٌ ... مَعْرُوفٌ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْأَكْسِيَّةِ، كَذَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، زَادَ الْجَوْهَرِيُّ: فِيهِ خُطُوطٌ، وَقِيلَ هُوَ الْجَبَّةُ الصُّوفُ كَالْعِبَاءَةِ، قَالَ الصَّرْفِيُّونَ: هَمَزَتْهُ عَن يَاءٍ، وَإِنَّهُ يُقَالُ: عِبَاءَةٌ وَعِبَائِيَّةٌ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَالرُّيُّنِيُّ فِي الْمَعْتَلِّ (2)

وَتَقَرَّرَ عَيْنِي: كُلُّ قِرَّةٍ عَيْنٍ... هُوَ مِنْ بَرُودَةِ الْعَيْنِ عِنْدَ السَّرُورِ. (3)

الشُّفُوفِ: الشَّفُّ بِالْفَتْحِ وَيُكْسَرُ: النَّوْبُ الرَّقِيقُ. (4)

الإعراب:

"ولبس": الواو: حسب ما قبلها، لبس: مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، وعباءة: مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الكسرة الاهرة على آخره، وتقر: الواو عاطفة تفيد السببية، تقر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد الواو العاطفة على اسم خالص من التقدير بالفعل، عيني: فاعل تقر مرفوع بالفاعلية وعلامة رفعه ضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وعين مضاف وياء المتكلم مضاف إليه، أحب: خبر المبتدأ مرفوع بالمبتدأ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، إلي: جار ومجرور متعلق بأحب، من لبس، جار ومجرور متعلق بأحب أيضا، الشفوف: مضاف إلى لبس.

(1) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: 137.

(2) تاج العروس: 1/ 338 - 1/ 137.

(3) المعجم الاشتقاقي المؤصل: 4/ 1756.

(4) تاج العروس: 5946.

الخاتمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للمرسلين الملمه لبعض عباد المرهفين بمدحه والتغني بمناقبه ومآثره، أسنا مأمورين بحبه والصلاة والسلام عليه، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فهذه حوصلة لما وصلت إليه في عملي هذا الذي حاولت فيه دراسة استخدام أحد شراح المنفرجة للشواهد الشعرية في إثبات صحة اللغة الشعرية لمبدع المنفرجة ابن النحوي طيب الله ثراه، فبصفة عامة لم يختلف النقاوسي عن غيره من البحاث اللغويين والنحاة في استخدام الشواهد الشعرية سواء من ناحية الاختيار أو من ناحية اسقاط الشاهد على الظاهرة الموجودة في المدونة اللغوية التي يعتني ببيان جمالياتها ومن جملة النتائج التي يمكن استخلاصها هنا:

- 1- استخدم الشارح عددا لا بأس به من الشواهد المنوعة قرآنية ونبوية وشعرية وثنائية لتعزید موقف صاحب المنفرجة اللغوي من ناحية وللاستشهاد على سلامة استخداماته اللغوية من ناحية أخرى، ولكثرة هذه الشواهد اقتصر درسنا في هذا البحث على الشواهد الشعرية في محور الجملتين الاسمية والفعلية فقط تاركين المجال لبحاث آخرين لبحث بقيتها.
- 2- الشواهد التي استخدمها النقاوسي في شرحه جملها متكررة في كتب النحو والتفاسير المهمة يمثل هذه الدراسات لكن ما ميز النقاوسي أنه استخدم بعضها للاستشهاد في مواضع غير التي اشتهرت فيها والناظر في الدراسة سيتمتع بتلك المواضع؛ لأن هذه الظاهرة تتم عن عقلية فذة وتفتح آفاقا للبحاثة بحيث تتغير النظرة الموميائية لدراسة الشاهد النحوي إلى نظرة

ثاقبة فيها كثير من الحركة والتنويع والبراعة في إسقاط الشاهد الواحد على
المواقف اللغوية المتعددة.

3- استشهد الشيخ بعدد تسعة أبيات فيما يخص الجملة الإسمية، وثمانية
شواهد للجملة الفعلية.

هذا، وأرجو الله العلي القدير أن أكون قد أصبت فيما ذهبت إليه عند بيان هذا
العمل، فإن كان ذلك، فبتوفيق الله، وإن كانت الأخرى، فمن نفسي، فإن النفس
أمارة بالسوء، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على من
جُعل رحمة للمهتدين من العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- إسفار الفصيح، الهروي 433 هـ، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تح: عبد الإله وآخرون،: مجمع اللغة العربية بدمشق، د: ط، 1407هـ - 1987م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ت: 316هـ، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، ت 515هـ، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ 1983م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت: 685هـ، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 - 1418 هـ.
- الأنوار المنبلجة، النقاوسي، تح: محمد سويسي، جامعة المرقب، ط1، 2016م.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر . بيروت، 1420 هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي ت 1205هـ)، دار الهداية.
- تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا النووي (ت: 676هـ)، تح: عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، ط1، 1408هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي (ت: 749هـ)، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1992م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ)، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1992م
- شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي، أبو عبد الله، جمال الدين ت 672هـ
- تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ - 1990م
- شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش ت: 778 هـ، أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط1، 1428 هـ.
- شرح الكافية الشافية، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى ط1: 1402 هـ - 1982 م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ)، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط1، 1999.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت: 393هـ، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.

- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري
ت: 170هـ، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكتاب، سيبويه [180هـ]، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ط3 1408 هـ - 1988 م
- كتاب سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، ت 180هـ، تح: عبد
السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار
الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407 هـ.
- اللحة في شرح الملح، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو
عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائع، ت: 720هـ، تح: إبراهيم بن سالم
الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة
العربية السعودية، ط1، 1424هـ/2004م.
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار
صادر - بيروت، ط1.
- الطبعة الأولى
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن
منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ت: 711هـ، دار صادر - بيروت، ط3 -
1414 هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت: 637هـ)،
تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة
القاهرة.

- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت: 458هـ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421هـ - 2000 م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت 458هـ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2000م.
- المصباح المنير ، أحمد الفيومي (ت 770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت: 395هـ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تح: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط6، 1985.
- المقتضب، الميرد (ت: 285هـ)، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر.
- المُنَجَّد في اللغة، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بكراع النمل: (ت: بعد 309هـ)، تح: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988 م.
- الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفى: 669هـ)، مكتبة لبنان، ط1: 1996.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى»، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، المتوفى 855 هـ، تح: علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1431 هـ - 2010 م.

الأحكام الفقهية المتعلقة بإسقاط الجنين في طور العلقَة

دراسة فقهية مقارنة

إعداد: د. محمد عبدالله جابر*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وهو الخلاق العليم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القوي المتين وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الغر الميامين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما .

أما بعد: فإن علم الفقه من أفضل علوم الشريعة، لما فيه من بيان لكل ما يتعلق بحياة الإنسان، من لحظة ولادته، بل من قبل ولادته، إلى لحظة مماته، بل حتى بعد مماته، فهو ينظم علاقة الإنسان بربه ﷻ، وعلاقته بدينه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته مع بني جنسه، فما من شيء يسهم في سعادة الإنسان، وإدراكه لسر وجوده، إلا وفي الفقه الإسلامي إيضاح وتنظيم له .

لذلك فإني اخترت موضوعا فقهيا يعالج مشكلةً انتشرت كثيرا في مجتمعنا ومجتمعات العالم؛ ألا وهي مشكلة إسقاط الأجنة ، فكثيرا ما يحدث أن امرأة تحمل وهي لا تريد الحمل لسبب ما ، فهل يجوز لها إسقاط هذا الحمل أم لا ؟ وهل هناك مرحلة من حياة الجنين يجوز فيها الإسقاط ؟ وهل حكم الإسقاط واحد في جميع أطوار حياة الجنين من طور النطفة إلى طور العلقَة إلى طور المضغة أم يختلف الحكم من طور إلى آخر؟ من ثم وقع اختياري على هذا الموضوع الذي هو بعنوان

* كلية الشريعة والقانون/ الجامعة الأسمرية.

(الأحكام الفقهية المتعلقة بإسقاط الجنين في طور العلقَة)

وسبب اختياري لهذا الموضوع :

- 1- كثرة السؤال عنه في واقع الناس، فإيضاحه وبيان حكمه يزيل اللبس الحاصل لدى كثير من الناس.
- 2- إن الله ﷻ أمرنا بالغوص والتفكر في خلقَة الإنسان لما فيها من عجائب وآيات تبهر العقول والألباب .
- 3- بيان أن الفقه الإسلامي اهتم واعتنى بحياة الإنسان وهو جنين في بطن أمه، وأفرد لذلك أبواباً وفصولاً لما لها من أهمية وإعجاز أبهر العلماء المختصين.
- 4- الإسهام في نشر الوعي بين الناس وإيضاح الحكم في هذه المسألة ؛ لعل الله ﷻ أن ينفع بها.

الإشكالية التي يدور حولها البحث :

- 1- هل يجوز إسقاط الجنين في طور العلقَة ؟ .
- 2- ما حكم الدم النازل من المرأة عند إسقاط العلقَة ؟ .
- 3- وما عقوبة من تعمد إسقاط العلقَة ؟ .

الدراسات السابقة حول هذا الموضوع :

- أغلب الدراسات السابقة التي اطلعت عليها تكلمت عن الإسقاط أو الإجهاض بمفهوم عام لا مجزأ ، منها :
- الاجهاض وحكمه في الشريعة الإسلامية: مصطفى محمد أمين، عبدالحميد عبدالخالق .
 - الإجهاض أحكامه وحدوده في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي : د/ محمد بن يحيى النجيمي.

- الإجهاض -دراسة فقهية مقاصدية -د/ فريدة زوزو.
- أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي ، رسالة ماجستير ، د/ محمد بن إبراهيم قاسم .
- مشكلة الإجهاض دراسة طبية فقهية ، د/ محمد البار .

أما بحثنا فهو جزئية منصبة على طور واحد من أطوار خلق الإنسان ألا وهو طور العلقة :

المنهج المتبع في البحث:

- المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي لأقوال العلماء في المسألة، فحرصت على ذكر أقوال الأئمة المشهورين من أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة، ووجهة رأيهم في المسألة المعروضة، مع بيان الأدلة التي استندوا عليها ما أمكن، والرأي الراجح وأسباب الترجيح.
- ربطت المسألة المراد البحث فيها في بعض جوانبها بفتاوى دور الإفتاء في بعض الدول العربية ، وأيضاً بقرارات مجامع الفقه الإسلامي، إتماماً للفائدة وتدعيماً للبحث .
- بما أن الموضوع يتعلق بمسألة لصيقة بالطب، حرصت أن أفهم وجهة نظر علماء الطب في بعض جزئيات البحث، دعماً لقضايا البحث ومسائله.

خطة البحث:

المقدمة:

التمهيد، وفيه:

أولاً: تعريف السقط لغة وشرعا .

ثانيا: تعريف الجنين .

ثالثا: أطوار خلق الإنسان .

رابعا: تعريف العلقه.

المبحث الأول : آراء العلماء في إسقاط الجنين في طور العلقه .

المطلب الأول : القائلون بتحريم إسقاط الجنين في طور العلقه .

المطلب الثاني : القائلون بجواز إسقاط الجنين في طور العلقه .

المطلب الثالث : الرأي الراجح وأسباب الترجيح.

المبحث الثاني: أحكام متفرقة .

المطلب الأول : حكم الدم الخارج بعد إلقاء العلقه .

المطلب الثاني : عقوبة إسقاط الجنين في طور العلقه .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج المستخلصة من البحث .

وإن أقدّم هذا البحث للقراء المحترمين، لا أزعم أنني وفيت هذا البحث حقه

من البحث، ولكنني حسبي أنني اجتهدت وبذلت ، والله ولي التوفيق والسداد .

التمهيد

أولاً: تعريف السقط لغة وشرعا .

تعريف السقط لغة :

السقط « بالفتح والضم والكسر ، والكسرُ أكثر » : الولد الذي يسقط من بطن

أمه قبل تمامه⁽¹⁾.

«السَّقْطُ» الولد ذكرًا كان أو أنثى يسقط قبل تمامه وهو مستبين الخلق ، يقال :

«سَقَطَ» الولد من بطن أمه «سُقُوطاً» فهو «سِقْطٌ» ، بالكسر والتثنية لغة ، ولا

يقال وقع ، و «أَسَقَطَتِ» الحامل: أَلْقَت «سِقْطاً»⁽¹⁾.

(1) لسان العرب 3 / 2037 ، مادة سقط.

تعريف السقط شرعا :

السقط: الولد تضعه المرأة ميتا، أو لغير تمام⁽²⁾، أو هو: الولد النازل قبل تمام أشهره⁽³⁾ .

وفي القاموس الفقهي: الجنين يسقط من بطن أمه قبل تمامه، ذكر كان أو أنثى⁽⁴⁾.

ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم، بل تسقطه أمه سقطا⁽⁵⁾.

وقال عِكْرَمَةُ: ﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ قال ابن كثير: « وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتله وهو جنين، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء، تطرح نفسها لثلاث تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه⁽⁶⁾ ».

وفي معنى الإسقاط: الإجهاض، يقال: أجهضت المرأة ولدها إجهاضاً: أسقطته ناقص الخلق⁽⁷⁾.

(1) المصباح المنير 1/ 280 .

(2) المعنى شرح مختصر الخرفي (393/2).

(3) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (495/2)، حاشية إبانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (123/2)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق (1/230).

(4) القاموس الفقهي (ص: 175).

(5) تفسير ابن كثير 153/6 ، تفسير سورة غافر الآية 67 .

(6) تفسير ابن كثير (8/ 100) تفسير سورة الممتحنة الآية 12.

(7) المصباح المنير 1/ 113. جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (2/ 56) « وكثيرا ما يعبرون عن الإجهاض بمرادفاته كالإسقاط والإلقاء والطرح

والإملاص » .

تعريف السقط طبيًا : خروج محتويات الحمل قبل ثمانية وعشرين أسبوعاً تحسب من آخر حيضة حاضتها المرأة⁽¹⁾.

انيا : تعريف الجنين .

الجنين في اللغة: جاء من مادة (جَنَّ) جَنَّ الشَّيْءَ يَجْنُهُ جَنًّا سَتَرَهُ، وكلُّ شيءٍ سُتِرَ عنكَ فقد جُنَّ عنكَ⁽²⁾ .

ويقال: أجنَّه الليل وجنَّ عليه الليلُ : إذا أظلم حتى يستره بظلمته، واستجنَّ فلانٌ إذا استتر بشيء⁽³⁾، وبه سُمِّيَ الجنُّ لاسْتِتَارِهِمِ واخْتِفَانِهِمِ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْجَنِينُ لاسْتِتَارِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ⁽⁴⁾. والجنين: الولد ما دام في البطن، جمع: أجنَّةٌ وأجنُّنٌ، وكلُّ مَسْتَوِرٍ، وَجَنَّ فِي الرَّحِمِ يَجْنُ جَنًّا: اسْتَتَرَ، وَأَجْنَتْهُ الْحَامِلُ أَي سَتَرَتْهُ⁽⁵⁾. وفي القاموس الفقهي: الجنين هو الولد ما دام في الرحم، فإن خرج حياً فهو ولد، وإن خرج ميتاً فهو سقط⁽⁶⁾.

ثالثاً : أطوار خلق الإنسان .

يُمرُّ الإنسانُ في خلقته بمراحل ، جاء ذكرها في قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً

(1) خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص 431 .

(2) لسان العرب (1 / 701).

(3) العين الخليل الفراهيدي (6 / 21)

(4) لسان العرب (13 / 92).

(5) القاموس المحيط (3 / 313) ، مختار الصحاح (ص: 56). فقه اللغة - الثعالبي (ص: 17)

(6) القاموس الفقهي (ص: 70).

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١﴾.

ووضح النبي ﷺ مراحل خلق الإنسان في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْفُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكُتُبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ » (2).

من خلال الآية القرآنية والحديث الشريف يتضح أن أطوار نمو الإنسان في بطن أمه تمر بمرحلتين اثنتين:

المرحلة الأولى : قبل نفخ الروح وهي تمر بثلاثة أطوار: الطور الأول يبتدىء من لحظة استقرار النطفة في رحم المرأة وإتمام عملية الإخصاب بين نطفة الرجل وبويضة المرأة، والحديث الشريف يبين أن مدتها أربعون يوماً، ثم بعد ذلك يبتدىء الطور الثاني وهو طور العلقة، ويمتد لأربعين يوماً أيضاً ، ثم يأتي الطور الثالث وهو المضغة ويستمر لأربعين يوماً كذلك.

المرحلة الثانية : بعد نفخ الروح ، وما يستتبع ذلك من كتابة رزقه وأجله وعمله ، وهل هو شقي أم سعيد.

إذاً الأطوار التي يمر بها الجنين قبل نفخ الروح ثلاثة : طور النطفة والعلقة والمضغة .

(1) المؤمنون / 12-14 .

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري رقم (3208)، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (350/6) ، صحيح مسلم بشرح النووي رقم (2643)

كتاب: القدر ، باب: كيفية خلق الأدمي في بطن أمه، (145/6) .

وسيكون البحث بعون الله منصبا على حكم إسقاط الجنين في طور العلقه .
وبعض المسائل الأخرى التي سيتم تناولها في هذا البحث .

رابعاً- تعريف العلقه

العلقه في اللغة: العلق الدم الغليظ، والقطعة منه علقه⁽¹⁾، أو الدم عامه، أو الشديد الحمرة، أو الغليظ، أو الجامد⁽²⁾، و(العَلَقَةُ) المنى ينتقل بعد طوره فيصير دما غليظا متجمدا⁽³⁾، والعلقه طور من أطوار الجنين، وهي قطعة الدم التي يتكون منها، وفي التنزيل العزيز: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾⁽⁴⁾.

العلقه في الطب: هي المرحلة التي تلي تكون النطفة الأمشاج، وتبدأ منذ تعلق النطفة الأمشاج بالرحم ، وتنتهي عند ظهور الكتل البدنية التي تعتبر بداية المضغه⁽⁵⁾.

المبحث الأول : آراء العلماء في إسقاط الجنين في طور العلقه .

اتفق العلماء على أن الجنين إذا نفخت فيه الروح يحرم إسقاطه⁽⁶⁾، واتفقوا أيضا: أن بقاء الجنين إذا ترتب عليه ضرر وخطر بأمه؛ تُقدم حياة الأم على حياة جنينها⁽¹⁾ .

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (4/ 1529) .

(2) القاموس المحيط (ص: 910) وتاج العروس (26/ 181).

(3) المصباح المنير (2/ 426).

(4) المعجم الوسيط (2/ 622).

(5) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص: 201).

(6) ينظر المحيط البرهاني في الفقه النعماني (5/ 374)، القوانين الفقهية (ص: 184)، فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (1/ 399)،

نهاية المحتاج في شرح المنهاج 443/8، الشرح الممتع على زاد المستنقع (13/ 346).

واختلفوا في حكم إسقاط الجنين قبل نفخ الروح⁽²⁾ سواء في طور النطفة أو العلقة أو المضغة .

وفي هذا المبحث يقتصر حديثنا عن حكم إسقاط الجنين في طور العلقة .

المطلب الأول- القائلون بجواز إسقاط الجنين في طور العلقة

ذهب فقهاء الحنفية والشافعية في المشهور عندهم إلى جواز إسقاط الجنين في

طور العلقة ، وذلك على التفصيل الآتي:

مذهب الحنفية:

المشهور في مذهب الحنفية الجواز:

فريق يقول بالجواز ما لم تتفخ فيه الروح، قال ابن الهمام: « يباح الإسقاط بعد

الحمل ما لم يتخلق شيء

منه»⁽³⁾، ويؤيد ابن عابدين- في مطلب حكم إسقاط الحمل- ما المراد بالتخليق

فقال: «يباح ما لم يتخلق منه شيء، ولن يكون ذلك إلا بعد مائة وعشرين يوماً،

وهذا يقتضي أنهم أرادوا بالتخليق نفخ الروح»⁽⁴⁾.

وفريق يقول بجواز الإسقاط إلا إذا ظهر شيء من خلقة الإنسان كالرأس واليد:

أي الإسقاط الاختياري والجنائي الذي يحدث بفعل فاعل ، لا الإسقاط التلقائي وهو الذي يحدث تلقائياً وبدون إرادة الأم - بسبب مرض أو غيره- فهذا لا

تحريم فيه باتفاق العلماء، وليس على الأم حكم شرعي لأنه حدث بدون إرادتها.

(1) ينظر قرار المجمع الفقهي الإسلامي رقم: 71 (4/12): بشأن موضوع إسقاط الجنين المشوه خلقياً.

(2) أي الإسقاط الاختياري والجنائي الذي يحدث بفعل فاعل ، لا الإسقاط التلقائي وهو الذي يحدث تلقائياً وبدون إرادة الأم - بسبب مرض أو غيره-

فهذا لا تحريم فيه باتفاق العلماء، وليس على الأم حكم شرعي لأنه حدث بدون إرادتها.

(3) ينظر شرح فتح القدير لابن الهمام 459/2.

(4) حاشية رد المحتار لابن عابدين 335/4.

قال الموصلي: «امرأة عالت في إسقاط ولدها؛ لا تأثم ما لم يستين شيء من خلقه»⁽¹⁾.

وقال ابن نجيم: «وفي فتاوى أهل سمرقند: إذا أرادت إسقاط الولد فلها ذلك إذا لم يستين شيء من خلقه؛ لأن ما لا يستين شيء من خلقه لا يكون ولداً»⁽²⁾.

وقال في الفتاوى الهندية: «العلاج لإسقاط الولد إذا استبان خلقه كالشعر والظفر ونحوهما لا يجوز، وإن كان غير مستين الخلق يجوز»⁽³⁾.

وهناك رأي في المذهب الحنفي يقول بكرامة إلقاء النطفة، اختاره علي بن موسى من الحنفية حيث قال: «... إنه يكره؛ فإن الماء بعد ما وقع في الرحم مآله الحياة، فيكون له حكم الحياة، كما في بيضة صيد الحرم»⁽⁴⁾.

وهناك رأي آخر يقول بالحرمة إن كان لغير عذر، اختاره ابن وهبان⁽⁵⁾.

مذهب الشافعية :

المشهور في مذهب الشافعية الجواز:

قال الرملي: «الراجح تحريمه بعد نفخ الروح مطلقاً وجوازه قبله»⁽⁶⁾، وقال

القليوبي: «نعم يجوز إلقاؤه ولو بدواء قبل نفخ الروح فيه»⁽⁷⁾، «وقال أبو إسحاق

المروزي: يجوز إلقاء النطفة والعلقة... والمعتمد أنه لا يحرم إلا بعد نفخ الروح

(1) الاختيار لتعليل المختار للموصلي 168/4

(2) البحر الرائق 233/8.

(3) الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (356 /5)

(4) حاشية رد المحتار لابن عابدين (176/3)

(5) المرجع السابق (176/3).

(6) ينظر نهاية المحتاج في شرح المنهاج 443/8.

(7) ينظر حاشية قلوبوي 160/4.

فيه»⁽¹⁾، « وقال الكرابيسي: سألت أبا بكر بن أبي سعيد الفراتي عن رجل سقى جارية شرابا لتسقط ولدها، فقال: مادام نطفة أو علقة فواسع، أي جائز له ذلك»⁽²⁾. بل أكد بعض علماء الشافعية على أن العلقة لا حرمة لها وأن إسقاطها لا أثر له في الأحكام، قال الماوردي: « والعلقه في حكم النطفة في أنه لم يستقر لها حرمة، ولم يتعلق بها شيء من الأحكام الثلاثة بإجماع الفقهاء: فلا تجب فيها غرة، ولا تصير بها أم ولد، ولا تنقضى بها العدة »⁽³⁾.

وهناك رأي آخر في المذهب في مقابل المشهور يقول بالحرمة:

قال أبو حامد الغزالي: « وأول مراتب الوجود: أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جنائية، فإن صارت مضغة وعلقه كانت الجنائية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقه ازدادت الجنائية تفاحشا، ومنتهى التفاحش في الجنائية بعد الانفصال حيا»⁽⁴⁾.

وقال أبو زكريا الأنصاري: « أنه لا يجوز إلقاء النطفة بدواءٍ أو غيره »⁽⁵⁾.

وقال عبدالرحمن باعلوي: « يحرم التسبب في إسقاط الجنين بعد استقراره في الرحم ، بأن صار علقه أو مضغة ولو قبل نفخ الروح»⁽⁶⁾.

استدل أصحاب هذا الرأي بالآتي:

(1) ينظر تحفة الحبيب على شرح الخطيب (83/4)، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (166/20).

(2) ينظر حاشية الجمل على المنهج (265/11).

(3) الحاوي الكبير في الفقه الشافعي(869/12)، وينظر أيضا في هذه المسألة : حاشية إغاثة الطالبين(298/3). (4/ 147)، وحاشية الجمل على

المنهج (267/11).

(4) إحياء علوم الدين (472/1).

(5) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (327/1)، والمعالم أن طور النطفة قبل طور العلقه ، فإذا كان لا يجوز إسقاط النطفة ، فالعلقه من باب

أولى).

(6) بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأمة من العلماء المتأخرين (ص: 522)

1- إن الجنين ما لم يتخلق وتنفخ فيه الروح ؛ فإنه ليس بأدمي ، وسندهم حديث ابن مسعود المتقدم الذي فهموا منه : أن الجنين قبل نفخ الروح لا يعتبر إنسانا، وطالما أنه ليس بإنسان فلا حرمة له، ومن ثم فيجوز إسقاطه.(1)

2- إن الجنين في طور العلقه لم يدخل مرحلة التخلق، ولم يبدأ التصور بعد، ولم يتبين منه شيء من أعضائه الجسمية .

3- إن من لم تحله الروح لا يبعث ، فيؤخذ منه لا يحرم إسقاطه(2).

4- إن الجنين الذي لم تنفخ فيه الروح لا يكون إسقاطه وأدا، لأن الوأد إنما يكون لبدن حلت فيه الروح، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾(3)، إذ الموعودة لا تسأل إلا إذا بعثت، ولا يبعث إلا ما حلت فيه الروح، فما لم تحل فيه لا يبعث، ولا يكون الاعتداء عليه وأدا، فلا يحرم إسقاطه(4).

المطلب الثاني : القائلون بتحريم إسقاط الجنين في طور العلقه .

ذهب المالكية والحنابلة في المشهور عندهم إلى تحريم إسقاط الجنين في طور العلقه وذلك على التفصيل الآتي :

1- مذهب المالكية :

قسّم بعض علماء المالكية حياة الجنين إلى مراحل، وحكموا على كل مرحلة على حدة من حيث الجرم والعقوبة :

(1) ينظر شرح فتح القدير لابن الهمام 459/2 . البحر الرائق 233/8. جامع العلوم والحكم 6/6 .

(2) الفروع لابن مفلح (1 /369).

(3) التكوير : 8-9 .

(4) ينظر الفروع لابن مفلح 369/1 ، وقضايا طبية من منظور إسلامي ص113 .

قال أبو بكر بن العربي: « ولولود في ذلك ثلاثة أحوال: حال قبل الوجود ينقطع فيها بالعزل؛ وهذا جائز، وحال بعد قبض الرحم على المنى؛ فلا يجوز حينئذ لأحد التعرض له بالقطع من التولد، والحالة الثالثة: بعد انخلاقه قبل أن تنفخ فيه الروح؛ وهو أشد من الأولين في المنع، فأما إذا نفخ فيه الروح فهو نفس بلا خلاف»⁽¹⁾.

وقال ابن جزى الكلبي: « وإذا قبض الرحم المنى لم يجز التعرض له، وأشد من ذلك إذا تخلق، وأشد من ذلك إذا نفخ فيه الروح؛ فإنه قتل نفس إجماعاً»⁽²⁾.

وقال محمد عليش « وإذا أمسك الرحم المنى فلا يجوز للزوجين ولا لأحدهما ولا للسيد التسبب في إسقاطه قبل التخلق - على المشهور - ولا بعده اتفاقاً، والتسبب في إسقاطه بعد نفخ الروح فيه محرم إجماعاً، وهو من قتل النفس، والتسبب في قطع النسل أو تقليبه محرم»⁽³⁾.

وإذا نظرنا إلى نقول علماء المذهب نجد أنهم قرروا عدم جواز إسقاط النطفة، وطور النطفة كما هو معلوم قبل طور العلقة، فإذا كان إسقاط النطفة محرماً، فمن باب أولى إسقاط العلقة:

قال الخرشي: « لا يجوز للمرأة أن تفعل ما يسقط ما في بطنها من الجنين، وكذا لا يجوز للزوج فعل ذلك، ولو قبل الأربعين»⁽⁴⁾.

وقال محمد الأمير: « وحرّم قطع نسل وإسقاط حمل، ولو قبل الأربعين »⁽⁵⁾.

بل أفتى علماء المالكية أن مجرد استخراج المنى من الرحم حكمه التحريم :

(1) القيس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص:763).

(2) القوانين الفقهية (ص:184).

(3) فتح العلي المالكي في الفتوى على مذهب الإمام مالك (399/1).

(4) شرح الخرشي على مختصر خليل (225/3).

(5) ضوء الشموع شرح المجموع في الفقه المالكي (2/ 305).

قال البرزلي: «وأما استخراج ما حصل من الماء في الرحم؛ فمذهب الجمهور منعه مطلقاً»⁽¹⁾.

وقال الونشريسي: «إن المنصوص لأيمتنا ﷺ المنع من استعمال ما يبرد الرحم، ويستخرج ما دخل الرحم من المنى، وعليه المحصلون والنظار»⁽²⁾.

وقال التتائي: «إن المنى إذا صار داخل الرحم لا يجوز إخراجه»⁽³⁾.

وقال الدردير: «ولا يجوز إخراج المنى المتكون في الرحم ولو قبل الأربعين يوماً، وإذا نفخت فيه الروح حرم إجماعاً»⁽⁴⁾.

وعلى القرطبي تحريم إسقاط العلقة بأن الجنين يتحوله من نطفة إلى علقة صار في حكم الولد، فقال: «النطفة ليست بشيء يقينا، ولا يتعلق بها حكم إذا ألقته المرأة، إذا لم تجتمع في الرحم، فهي كما لو كانت في صلب الرجل، فإذا طرحته علقة فقد تحققنا أن النطفة قد استقرت واجتمعت واستحالت إلى أول أحوال يتحقق به أنه ولد»⁽⁵⁾.

2- مذهب الحنابلة :

المشهور في مذهب الحنابلة عدم الجواز؛ وعللوا ذلك أن الجنين في طور العلقة انعقد وبدأ في التكوين :

(1) فتاوى البرزلي (2/ 501).

(2) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب (3/ 370).

(3) فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (399/1).

(4) الشرح الصغير على مختصر الدردير 420/2، الشرح الكبير على مختصر خليل للدردير (421/2)، علق السوقي على ذلك بقوله: «هذا هو المعتمد» حاشية السوقي على الشرح الكبير (421/2).

(5) تفسير القرطبي (8/ 12) ... وتنتظر المسألة أيضا في شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (295/3)، والذخيرة للقرافي (419/4)، والتاج والإكليل

لمختصر خليل (6/ 344)، ولوامع الدرر في هنك أستاذ المختصر (6/ 266).

قال الرحيباني: « ولا يجوز شرب دواء لإلقاء علقة لانعقادها»⁽¹⁾.

وقال ابن رجب الحنبلي: « وقد صرَّح أصحابنا بأنه إذا صار الولدُ علقَةً ، لم يجز للمرأة إسقاطه ؛ لأنَّه ولدٌ انعقدَ ، بخلاف النُّطفة ، فإنَّها لم تتعقد بعدُ ، وقد لا تتعقدُ ولداً »⁽²⁾.

وعلل البعض الآخر أن إسقاط الجنين مخالف للمقصود الذي شرع له النكاح : قال ابن الجوزي: « لما كان موضوع النكاح لطلب الولد، وليس من كل الماء يكون الولد فإذا تكوَّن فقد حصل المقصود من النكاح، فتعمد إسقاطه مخالف لمراد الحكمة، إلا أنه إن كان ذلك في أول الحمل قبل نفخ الروح كان فيه إثم كبير، لأنه متروكٌ إلى الكمال وسارٍ إلى التمام، إلا أنه أقلُّ إثماً من الذي نفخ فيه الروح»⁽³⁾، ثم قال : « إذا تعمدت المرأة الإسقاط بشرب دواء يسقط ، فإن كان الحمل لم يبلغ المدة التي تنفخ فيها الروح فلا دية في ذلك ، إنما عليها الإثم فحسب »⁽⁴⁾.

وقال ابن تيمية: « إسقاط الحمل حرام بإجماع المسلمين، وهو من الوأد الذي قال الله فيه: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ، وقد قال ﷺ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾⁽⁵⁾.

وهناك رأي آخر في مقابل المشهور يقول بالجواز قال ابن مفلح: « ...لأن ما لم تحله الروح لا يبعث، فيؤخذ منه لا يحرم إسقاطه»⁽⁶⁾.

(1) ينظر مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (160 /2)

(2) جامع العلوم والحكم 6/6، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (414/16)، كشاف القناع عن متن الإقناع (139/19) (121/1) .

(3) أحكام النساء لابن الجوزي (ص: 306) .

(4) المرجع السابق (ص: 308) .

(5) مجموع الفتاوى (160 /34)

(6) الفروع وتصحيح الفروع (1 /393) وينظر كشف القناع (1 /220).

وقال ابن قدامة : «... ألفت نطفة أو دما لا تدري هل هو ما يخلق منه الآدمي أو لا ؟ فهذا لا يتعلق به شيء من الأحكام ؛ لأنه لم يثبت أنه ولد ، لا بالمشاهدة ولا بالبينة»⁽¹⁾.

واستدل أصحاب هذا الرأي بالآتي :

1- ورد في الكتاب والسنة أن ما قبل نفخ الروح يعتبر من خلقة الإنسان ؛ قال الله

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ

لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾⁽²⁾، وقال ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾⁽³⁾.

فدل على أن العلقه مخلوقة وأنها من خلقة الله ﷻ؛ لأنه نسب الخلقه إليه ﷻ بقوله: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾، وقوله: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ تُرَابٍ ﴾ وذلك بخلق أبي البشر آدم ﷺ، ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ أي: مني، وهذا ابتداء أول التخليق، ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ أي: تتقلب تلك النطفة، بإذن الله دما أحمر⁽⁴⁾.

2- عللوا حرمة الإسقاط أن الجنين في طور العلقه انعقد وبدأ في التكوين،

فإسقاطه اعتداء على جنين لو ترك لأصبح بشرا سويا .

(1) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (452/17)، وحاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع للعاصمي النجدي (54/7).

(2) المؤمنون / 12-14.

(3) الحج/ 5 .

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص 506).

3- استدل أصحاب هذا الرأي بالقياس أيضا :

أ- اعتبروا أن إسقاط الجنين من الوأد الوارد في الآية: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (1).

ب- إن المحرم لو كسر بيض الصيد ضمنه؛ لأنه أصل الصيد ، فعن عبد الله بن عباس ؓ قال في بيض النعام يصيبه المحرم قال: فيه ثمنه أو قال قيمته» (2) ، فلما كان يواخذ بالجزاء، فلا أقل من أن يلحقها إثم هنا إذا أسقطت بغير عذر (3).

4- إن المقصد الأساسي من النكاح في الشريعة الغراء هو تكثير سواد الأمة لقول النبي ﷺ «تَرَوُّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ» (4)، وإسقاط العلقة يعتبر خلافا لهذا المقصد.

المطلب الثالث : الرأي الراجح وأسباب الترجيح .

الرأي الراجح هو ما ذهب إليه أئمة المالكية والحنابلة؛ لقوة الدليل النقلية والعقلية (1)، ولضعف أدلة الفريق الآخر، فهي لا تخلو من مطعن:

(1) مجموع الفتاوى (160 / 34).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى باب بيض النعام يصيبه المحرم (9804)، قال الألباني: صحيح موقوف، إرواء الغليل ص215

(3) الشرح الكبير 72/2 ، منح الجليل 353/2، المغني 549/3 ، وممن أخذ بهذا الرأي السرخسي من الحنفية حيث قال: «ثم الماء في الرحم ما لم

يفسد فهو معد للحياة فيجعل كالحى في إيجاب الضمان بإتلافه كما يجعل بيض الصيد في حق المحرم كالصيد في إيجاب الجزاء عليه بكسره» المبسوط (87 / 26).

(4) أخرجه أبو داود من حديث معقل بن يسار ؓ باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء 2 / 220 . صححه الألباني حديث رقم: 2940 في

صحيح الجامع.

- 1- فحجة أن الجنين في طور العلقه لم يدخل مرحلة التخلق، ولم يبدأ التصور بعد، ولم تنفخ فيه الروح؛ ومن ثم فإنه ليس بآدمي ولا يبعث، حجة واهية، وذلك لأن هذا الإسقاط اعتداء على مرحلة من المراحل التي يتكون منها الجنين وطور من أطواره، وطالما أنها مرحلة من مراحل خلقه الجنين، فلا يجوز التعرض لها بإيقاف نموها، قال الإمام الغزالي: « فأول مراتب الوجود وَقَعُ النطفة في الرحم فيختلط بماء المرأة، فإفسادها جنائية، فإن صارت علقه أو مضغة فالجنائية أفحش»⁽²⁾.
- 2- إن إسقاط الجنين في طور العلقه، يعتبر صورة من صور إهلاك النسل الذي ذمه الله ﷻ في كتابه قال ﷻ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾.⁽³⁾
- 3- إن النبي ﷺ سمي العزل وأدًا خفيًا⁽⁴⁾، مع أن هذه النطفة لم تستقر في الرحم، فإذا استقرت في الرحم ثم تحولت إلى علقه، فيكون إسقاطها من الوأد من باب أولى .

(1) وممن ذهب لهذا القول: أ- بعض دور الإفتاء في الدول العربية: دار الإفتاء الليبية: الفتوى رقم (4336) الفتوى رقم (2146)، ودار الإفتاء المصرية: فتاوى دار الإفتاء المصرية (2/ 318)، (9/ 454)، ودار الإفتاء الأردنية، الفتوى رقم (287)، (749) (2789)، (1579) واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية (21/ 495) الفتوى رقم (19983)، ونص قرار هيئة كبار العلماء رقم (140) الصادر في الدورة التاسعة والعشرين .

(2) إحياء علوم الدين (2/ 51).

(3) (2) الحج/ 205 .

(4) فقد روى مسلم (1442) أن النبي ﷺ سئل عن العزل، فقال: (ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ). وهذا يدل على كراهته جداً روى مالك، عن نافع عن ابن عمر: أنه كان لا يعزل وكان يكره العزل) ويضرب بعض ولده إذا فعله؛ لأنه طريق إلى قطع النسل، ولذا قال ﷺ حين سئل عنه: «ذلك الوأد الخفي» وكذا روي عن عمر وعثمان أنهما كراهاه . شرح الزرقاني على الموطأ (3/ 346).

4- إن الاستقراء لما كُتِب في الاجهاض وأحكامه للفقهاء والأطباء المعاصرين في الندوات العلمية والمجامع الفقهية وفي كتبهم، نجدهم يرجحون عدم جواز إسقاط الجنين قبل نفخ الروح إلا لعذر، ويعد نفخ الروح من باب أولى: ففي ندوة «الإنجاب في ضوء الإسلام» التي عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في دولة الكويت، 24. مارس. 1983م، والتي جاء في توصيتها السابعة في «الإجهاض» قولها: «استعرضت الندوة آراء الفقهاء السابقين وما دلت عليه من فكر ثاقب ونظر سديد... وقد استأنست الندوة بمعطيات الحقائق العلمية الطبية المعاصرة، فخلصت إلى: أن الجنين حي من بداية الحمل، وأن حياته محترمة في كافة أدوارها خاصة بعد نفخ الروح، وأنه لا يجوز العدوان عليها إلا للضرورة الطبية القصوى، وخالف بعض المشاركين فأروا جوازه قبل تمام الأربعين يوماً، وخاصة عند وجود الأعدار»⁽¹⁾.

وفي ندوة حول (الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة) وذلك تحت عنوان: «الحياة الإنسانية: بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي» 1.15. 1985م بدولة الكويت. فمن توصياتها ما يلي: «أولاً: بداية الحياة، بداية الحياة تكون منذ التحام حيوان منوي ببويضة ليكونا البويضة الملقحة التي تحتوي الحقيقية الوراثية الكاملة للجنس البشري عامة وللكائن الفرد بذاته المتميز عن كل كائن آخر- على مدى الأزمنة- وتشرع في الانقسام لتعطي الجنين النامي المتطور المتجه خلال مراحل الحمل إلى الميلاد، ثانياً: منذ

(1) الإجهاض دراسة مقاصدية ص 22 ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي (9/ 2098)

يستقر الحمل في بدن المرأة فله احترام متفق عليه ويترتب عليه أحكام شرعية معلومة»⁽¹⁾.

ومن بين قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة السعودية، 25 جمادى الآخرة 1421هـ الموافق 23 (سبتمبر) 2000م ما يلي: أولاً: حماية الجنين في رحم أمه من كل المؤثرات التي تلحق ضرراً به أو بأمه كالمسكرات والمخدرات واجبٌ في الشريعة الإسلامية. ثانياً: للجنين حقٌ في الحياة من بدء تكوينه، فلا يعتدى عليه بالإجهاض، أو بأي وجه من وجوه الإساءة التي تحدث التشوهات الخلقية أو العاهات⁽²⁾.

ومن فتاوى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، في دورته (27) المنعقدة بمدينة إسطنبول في تركيا، في الفترة من: 18-22 صفر 1439هـ الموافق 7-11 نوفمبر 2017 م. فتوى (27/6) التي نصت: « لا يجوز إسقاط الجنين بعد انعقاده في الرحم، في أي مرحلة من مراحل الحمل حتى قبل نفخ الروح، والتي تكون إذا بلغ الحمل مئة وعشرين يوماً؛ لأنه بانعقاده يكون قد دخل مرحلة النمو، ففي إسقاطه مفسدة للنسل وجناية في حق الجنين، إلا إذا كان لسبب معتبر تم التحقق منه شرعاً وصحةً، وكان بالاتفاق بينها وبين الزوج...»⁽³⁾.

وفي هذا يقول الطبيب زياد التميمي: « يحمل عدد غير قليل من العامة وعدد لا بأس به من المتفكرين فكرة لا أصل لها ولا يؤيدها منطق، وهي أن الجنين لا روح له

(1) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (3/ 279).

(2) مجلة المجمع (العدد الثاني عشر ج4، ص293)، قرار 113 (12/7).

(3) موقع المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث. (البيان الختامي للدورة السابعة والعشرين).

ولا أهمية لحياته قبل ثلاثة أو أربعة أشهر، وقد يشتط البعض في فكرته إلى درجة الاعتقاد أن لا إثم ولا بأس من إسقاط الجنين خلال هذه الفترة أو قبلها ، ونقول عن هذا الفهم : أنه خاطئ لأسباب؛ منها أن الروح التي هي أساس الحياة موجودة في هذا المخلوق منذ تكونت النطفة الأمشاج... فإذا حرم من حق الحياة وأنهيت حياته التي منحها الله إياها، فإن ذلك اعتداء على حياة، واعتداء على حق الخالق الذي يعطي ويأخذ» (1) .

المبحث الثاني: أحكام متفرقة تتعلق بإسقاط الجنين في طور العلقه .

علمنا في المبحث السابق أن الراجح من الآراء المعروضة في حكم إسقاط الجنين في طور العلقه عدم الجواز للأدلة القوية في ذلك، فإن حدث وأن سقط الجنين أو أسقط وخرج دم من المرأة، فهل يعتبر هذا الدم دم نفاس أم لا؟ وما عقوبة إسقاط الجنين في طور العلقه؟ بيان ذلك من خلال المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : حكم الدم الخارج بعد إسقاط العلقه.

يحدث في بعض الأحيان أن المرأة إذا حملت ثم أرادت أن تتخلص من الحمل، أو سقط بنفسه بعد مضي الأربعين يوماً من حدوثه ؛ أن يخرج منها دم ، فما حكم هذا الدم ؟ هل يعد دم نفاس فيأخذ أحكامه من وجوب العدة والغرة، أم أنه دم علة وفساد، ومن ثم لا تترتب عليه الأحكام السابقة ؟ .

اختلف العلماء في ذلك إلى رأيين اثنين :

الرأي الأول : ذهب المالكية إلى أن الجنين إذا أسقط في طور العلقه حكمه حكم الجنين المتخلق فيأخذ أحكامه(2):

(1) الإجهاض دراسة مقاصدية ص 22 .

(2) وهذا ما أخذت به دار الإفتاء الليبية ، في الفتاوى رقم (2146) ، (4336) ، (4265) ، (2983).

قال سحنون لابن القاسم : «أرأيت إن ضربها رجل فألقته ميتا، مضغة أو علقه، ولم يتبين من خلقه أصبع ولا عين ولا غير ذلك، أتكون فيه الغرة أم لا في قول مالك؟»، قال ابن القاسم: قال مالك « إذا ألقته فعلم أنه حمل وإن كان مضغة أو علقه أو دما ففيه الغرة، وتتقضي به العدة من الطلاق، وتكون به الأمة أم ولد»⁽¹⁾.
وما ذهب إليه الإمام مالك سار عليه أئمة المذهب :

قال القاضي عبد الوهاب البغدادي : « ولا تتقضي العدة إلا بوضع جميعه، وسواء كان علقه أو مضغة، من غير مراعاة لتمام الخلق أو لتخطيطه»⁽²⁾.
وقال الآبي الأزهري : « وتتقضي العدة بما أسقطته من مضغة أو علقه»⁽³⁾.
وقال أبو الحسن الشاذلي: « (وكل ما أسقطته مما يعلم أنه ولد فهي به أم ولد) مضغة أو علقه، وكذلك الدم المنعقد على المشهور»⁽⁴⁾.

وابن عبد البر يبين المسألة ويبيّن أقوال العلماء فيها فقال: « وما وضعته الحامل من مضغة أو علقه، فقد حلت به عند مالك وأصحابه، وهو قول إبراهيم وغيره، وقال الشافعي وأصحابه وأحمد بن حنبل: لا تحل إلا بوضع ما يتبين فيه شيء من خلق الإنسان، وهو قول الحسن البصري وغيره»⁽⁵⁾.
ومسألة هل هو علقه أو مضغة مما تعرفه النساء :

قال ابن البراذعي : « وتتقضي العدة بما أسقطت المرأة مما يعلم النساء أنه ولد من مضغة أو علقه، وتكون به الأمة أم ولد»⁽⁶⁾ وقال ابن ناجي التتوخي: « فإن ألفت

(1) المدونة (4/ 630).

(2) التلقين في الفقه المالكي (1/ 136)

(3) للتمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص: 466)

(4) كفاية الطالب الرياني لرسالة أبي زيد القيرواني (2/ 312)

(5) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (15/ 83)

(6) التهذيب في اختصار المدونة (2/ 379)

دما أو مضغة أو شيئاً مما يستيقن النساء أنه ولد؛ فاستبرأها ينقضي به، كما تتقضي بذلك العدة في الحرة، وتكون به الأمة أم ولد»⁽¹⁾.

ثم بيّن أئمة المالكية المعيار في التمييز بين الدم النازل من المرأة هل هو دم علقة أم دم علة ؟ :

قال النفراوي : « العلقة وهي الدم المجتمع الذي لا يذوب بصب الماء الحار عليه » ثم بين الأثر المترتب على إسقاطه فقال: (فهو به) أي بما أسقطته (أم ولد) عند ابن القاسم ، كما تتقضي به العدة وتجب به الغرة، فالثلاثة في الحكم سواء على مشهور المذهب»⁽²⁾.

وقال الدردير: «(وإن) كان الحمل (دما اجتمع) وعلامة كونه حملا أنه إذا صب عليه الماء الحار لم يذب»⁽³⁾، وقال الخرشي : «عدة الحامل في طلاق أو وفاة وضع حملها كله... وإن دما اجتمع المراد بالدم المجتمع الذي لا يذوب بصب الماء الحار عليه»⁽⁴⁾.

الرأي الثاني : ذهب أئمة الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الجنين إذا أسقط في طور العلقة، أو لم يتخلق منه شيء فالدم دم علة وفساد، وإن ظهر منه شيء من خلقته فالدم النازل دم نفاس، وهذه نقول المذاهب في ذلك :

أولاً- مذهب الحنفية:

ذهب أئمة الحنفية إلى وضع حد فاصل بين اعتبار الدم النازل من المرأة بعد إسقاط الجنين دم نفاس أو علة وفساد باستبانة خلقة الجنين من عدمها :

(1) شرح ابن ناجي التتويحي على متن الرسالة (2/ 217)

(2) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (2/ 143)، البهجة في شرح التحفة (2/ 627) .

(3) الشرح الكبير على مختصر خليل (2/ 474).

(4) شرح مختصر خليل للخرشي (4/ 143).

قال السرخسي : « فأما إذا أسقطت سقطا؛ فإن كان قد استبان شيء من خلقه فهي نفساء فيما ترى من

الدم بعد ذلك، وإن لم يستين شيء من خلقه فلا نفاس لها»⁽¹⁾.

وقال ابن نجيم: « فإن رأيت دما قبل إسقاط السقط ورأت دما بعده، فإن كان مستبين الخلق فما رأته قبله لا يكون حيضا وهي نفساء فيما رأته بعده، وإن لم يكن مستبين الخلق فما رأته بعده حيض إن أمكن »⁽²⁾.

وقال بدر الدين العيني: « فنقول على تقدير السقط مستبين الخلق هي نفساء، ونفاسها يكون أربعين يوما، وعلى تقدير أن السقط لم يكن مستبين الخلق لا تكون نفساء»⁽³⁾.

بل قرر أئمة الحنفية أن الجنين الذي ظهر شيء من خلقه كالجنين التام الخلقة في الأحكام :

وقال المرغيناني: « والجنين الذي قد استبان بعض خلقه بمنزلة الجنين التام في جميع هذه الأحكام ... ولأنه بهذا القدر يتميز عن العلقة والدم فكان نفسا»⁽⁴⁾.

وقال الكاساني: « والسقط إذا استبان بعض خلقه فهو مثل الولد التام ، يتعلق به أحكام الولادة من انقضاء العدة وصيرورة المرأة نفساء؛ لحصول العلم بكونه ولدا مخلوقا عن الذكر والأنثى، بخلاف ما إذا لم يكن استبان من خلقه شيء⁽⁵⁾، وقال أيضا: « وشرط انقضاء هذه العدة أن يكون ما وضعت قد استبان خلقه أو بعض خلقه، فإن لم يستين رأسا بأن أسقطت علقة أو مضغة لم تنقض

(1) المبسوط للسرخسي (3/ 389)، وينظر المحيط البرهاني للإمام برهان الدين ابن مازة (1/ 373).

(2) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (1/ 230).

(3) البداية شرح الهداية (1/ 690).

(4) الهداية شرح بداية المبتدي (4/ 190).

(5) بدائع الصنائع (1/ 43).

العدة، لأنه إذا استبان خلقه أو بعض خلقه فهو ولد، فقد وجد وضع الحمل فتنقضي به العدة»⁽¹⁾.

ثانياً - مذهب الشافعية:

أصل الإمام الشافعي هذه المسألة تأصيلاً واضحاً فقال: « وأقل ما تخلو به المعتدة من الطلاق والوفاة من وضع الحمل: أن تضع سقطاً قد بان له من خلق بني آدم شيء عين أو ظفر أو إصبع أو رأس أو يد أو رجل أو بدن، أو ما إذا روى علم من رآه أنه لا يكون إلا خلق آدمي»، ثم بين أن العلقة لا يترتب عليها حكم فقال: « لا يكون دماً في بطن ولا حشوة ولا شيئاً لا يبين خلقه، فإذا وضعت ما هو هكذا حلت به من عدة الطلاق والوفاة، قال: وإذا ألفت شيئاً مجتمعاً شك فيه أهل العدل من النساء أخلق هو أم لا؟ لم تحل به، ولا تخلو إلا بما لا يشككن فيه»⁽²⁾.

وإذا تتبعنا نقول علماء المذهب نجدها تذهب إلى ما ذهب إليه إمام المذهب: قال الماوردي: « فلا يخلو حال المرأة في ولادتها من أحد أمرين: إما أن تضع ما فيه خلق مصور أم لا، فإن لم يكن فيما وضعت خلق مصور لا جلي ولا خفي، كالعلقة والمضغة التي لا تصير بها أم ولد، ولا تجب فيها عدة، ولم يكن الدم الخارج معه نفاساً، وكان دم استحاضة أو حيض على حسب حاله»⁽³⁾، وقال في موضع آخر: « والعلقة في حكم النطفة في أنه لم يستقر لها حرمة، ولم يتعلق

(1) المرجع نفسه (3/ 196).

(2) الأم (5/ 236)

(3) الحاروي في فقه الشافعي (1/ 892)

بها شيء من الأحكام الثلاثة بإجماع الفقهاء⁽¹⁾، فلا تجب فيها غرة، ولا تصير بها أم ولد، ولا تنقضي بها العدة⁽²⁾.

وقال النووي: «أن تلقى نطفة أو دما لا تدري هل هو ما يخلق منه الآدمي أو لا؟ فهذا لا يتعلق به شيء من الأحكام، لأنه لم يثبت أنه ولد لا بالمشاهدة ولا بالبيينة»⁽³⁾.

وقال أيضا « وإن وضعت دون المضغة من نطفة أو علقة، فلا تنقضي العدة بإسقاط العلقة»⁽⁴⁾.

وقال أيضا: « فإذا كان علقة فلا تنقضي به العدة بإجماع الفقهاء، ما عدا الحسن البصري⁽⁵⁾ فإنه قال: إذا علم أنها حمل انقضت به العدة وفيه الغرة، والأصح ما عليه الجمهور»⁽⁶⁾.

بل إن بعض أئمة الشافعية ذهبوا إلى أن الجنين إذا أسقط في طور العلقة فإنه لا يسمى حملا، ولا يعتبر آدميا؛ لأنه لم تظهر فيه صورة الآدمي :

فقال أبو بكر الدمياني: « قوله: (لا بوضع علقة) أي لا تنقضي العدة بوضع علقة، وذلك لأنها تسمى دما لا حملا، ولا يعلم كونها أصل آدمي، ومثلها بالأولى النطفة»⁽⁷⁾.

(1) دعوى الإجماع لا تصح لما علمنا أن أئمة المالكية رتبوا على إسقاط الجنين في طور العلقة أحكاما كما سبق أنفا

(2) المرجع نفسه (869/12)،

(3) المجموع شرح المهذب (128 / 18)،

(4) المرجع نفسه (210/19، 213).

(5) وكذلك الإمام مالك وعامة أصحابه كما مر معنا أنفا .

(6) المجموع شرح المهذب (128 / 18)

(7) حاشية إغاثة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (78 / 4)

وقال شمس الدين الشربيني: « (لا) بوضع (علقة) وهي منى يستحيل في الرحم فيصير دما غليظا، فلا تنقضي العدة بها ، لأنها لا تسمى حملا، وإنما هي دم»⁽¹⁾.

وقال شمس الدين المنهجي الأسيوطي: « ولا تنقضي بإسقاط العلقه، وتنقضي بإسقاط المضغة إن ظهرت فيها صورة الأدميين»⁽²⁾.

وقال الغمراوي: « وتنقضي العدة بميت أي بوضعه، لا بوضع علقه وهي منى يستحيل في الرحم فيصير دما غليظا، وتنقضي بمضغة وهي العلقه التي صارت قطعة لحم»⁽³⁾.

وهناك قول في المذهب الشافعي على خلاف المشهور قرر: أن الدم الخارج في طور العلقه يعتبر نفاسا:

قال زكريا الأنصاري: « (وإن كان) الولد (علقه) أو مضغة فإن الدم الخارج بعده نفاس»⁽⁴⁾

وقال عبد الرحمن باعلوي: « يثبت للعلقه من أحكام الولادة: وجوب الغسل، وفطر الصائم بها، وتسمية الدم عقبها نفاساً، وتزيد المضغة بانقضاء العدة وحصول الاستبراء، وتزيد ما فيها صورة ولو خفية بوجوب الغرة»⁽⁵⁾.

ثالثاً- مذهب الحنابلة:

ذهب أئمة الحنابلة إلى ما ذهب إليه جمهور الأئمة من أن الجنين إذا سقط في طور العلقه لا أحكام تترتب عليه، وهذه نقول أئمة المذهب :

(1) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (5/ 85)

(2) جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود (2/ 148)

(3) السراج الوهاج (ص: 450)

(4) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (1/ 114)

(5) بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين (ص: 54)

قال المرادوي : « فلو وضعت علقة أو مضغة لا تخطيط فيها لم يثبت لها بذلك حكم النفاس »⁽¹⁾.

وقال أيضا: « وأما إذا أُلقت نطفة أو دما أو علقة: فإن العدة لا تنقضي به، قولاً واحداً عند أكثر الأصحاب »⁽²⁾.

وقال موفق الدين ابن قدامة: « إذا رأت المرأة الدم بعد وضع شيء يتبين فيه خلق الإنسان فهو نفاس -نص عليه- وإن رآته بعد إلقاء نطفة أو علقة فليس بنفاس »⁽³⁾.

وقال مجد الدين ابن تيمية : « ومن أُلقت ما لم يتبين فيه خلق الإنسان لا نفاس لها »⁽⁴⁾.

وقال تقي الدين ابن تيمية: « والولد الذي تثبت فيه أحكام النفاس: هو ما بين فيه شيء من خلق الإنسان مثل يد أو أصبع، وذلك إذا نُكِّس في الخلق الرابع، فإن أُلقت مضغة لا تخطيط فيها أو علقة فليس بنفاس »⁽⁵⁾.

وقال الزركشي : « أما إن أُلقت نطفة، أو دما، أو علقة، فإن العدة لا تنقضي به بحال عند الشيخين⁽⁶⁾، وغيرهما »⁽⁷⁾.

وقال ابن عثيمين : « فالمرأة إذا وضعت الحمل قبل أن يتبين فيه خلق إنسان، فإن الدم الذي يخرج ليس دم نفاس »⁽¹⁾.

(1) الإحصاف في معرفة الراجح من الخلاف (1/ 275) وينظر كشف القناع (1/ 219) ،

(2) الإحصاف في معرفة الراجح من الخلاف (9/ 273)

(3) المغني (1/ 392) ، وينظر مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (2/ 165)

(4) المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (1/ 27)

(5) شرح عمدة الفقه لابن تيمية (1/ 621)

(6) هما: موفق الدين بن قدامة المقدسي، ومجد الدين ابن تيمية. ينظر المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (ص: 216)

(7) شرح الزركشي على مختصر الخرقى (5/ 556)

وعلة علماء الحنابلة في عدم ترتب الأحكام على إسقاط الجنين في طور العلقه أنه لم يثبت أنه ولد:

قال أبو الفرج ابن قدامة: «ألقت نطفة أو دماً لا تدري هل هو ما يخلق منه آدمي أو لا؟ فهذا لا يتعلق به شيء من الأحكام، لأنه لم يثبت أنه ولد بالمشاهدة ولا بالبينة⁽²⁾، وقال أيضاً: «فأما إن ألقت نطفة أو علقه لم يثبت به شيء من أحكام الولادة؛ لأنه ليس بولد»⁽³⁾.

وقال ابن مفلح: «ألقت نطفة أو دماً، لا تدري هل هو ما يخلق منه آدمي أو لا؛ فهذا لا يتعلق به شيء من الأحكام؛ لأنه لم يثبت أنه ولد بالمشاهدة ولا بالبينة»⁽⁴⁾.

الرأي الراجح وأسباب الترجيح:

إن الراجح هو ما ذهب إليه الأئمة الحنفية والشافعية والحنابلة من أن الجنين إذا أسقط وظهر منه شيء من خلقه فالدم النازل دم نفاس، وإن لم يتخلق منه شيء فالدم دم علة وفساد⁽⁵⁾، وهذا الترجيح مبني على الآتي:

1- قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَايُّنَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى»⁽⁶⁾ اختلف المفسرون في معنى كلمة

(1) الشرح الممتع على زاد المستنقع (11/ 343).

(2) الشرح الكبير على متن المقنع (9/ 82)

(3) المرجع السابق (12/ 490)

(4) المبدع في شرح المقنع (7/ 74)

(5) وممن أخذ بهذا الرأي: دار الإفتاء الأردنية رقم الفتوى (1897)، ودار الإفتاء المصرية فتوى رقم (5182)، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية

والإفتاء بالسعودية: فتوى رقم (8230)، وفتوى رقم (10653) وفتوى رقم (9520).

مخلقة وغير مخلقة إلى أقوال عدة من بينها: أن معنى مخلقة مصورة إنسانا، وغير مخلقة أي غير مصورة إنسانا كالسقط الذي هو مضغة، ولم يجعل له تخطيط وتشكيل، وممن نقل عنه هذا القول: مجاهد، والشعبي، وأبو العالية⁽¹⁾. وجه الدلالة أن الجنين إذا كان في طور المضغة غير المخلقة فهو لا يعتبر إنسانا لعدم تصويره على هيئة الإنسان، وطالما أنه كذلك فإذا سقط في هذه المرحلة لا يعتبر الدم النازل نتيجة الإسقاط دم نفاس، لأن النفاس يخرج نتيجة لولادة إنسان وهذا لا يعتبر إنسانا، قال ابن المنذر: «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم، أن عدة المرأة تنقضي بالسقط، إذا علم أنه ولد، وممن نحفظ عنه ذلك ... النخعي والزهرري والثوري ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق»⁽²⁾.

2- أجمع العلماء على أن الأمة تكون أم ولد بما تسقطه من ولد تام الخلق⁽³⁾، فجعل العلماء اعتبارا لمن تخلق من الأجنة أن أمه الأمة تصيح أم ولد فتعتق بعد موت سيدها، ولم يجعلوا هذا الحكم في من أسقطت جنينا في طور العلقة ولا المضغة غير المخلقة .

3- إن الجنين الذي بدأ في التكوين والتخلق بأن ظهرت يده ورجلاه واستدار رأسه وتشكل يعتبر كالجنين التام ومن ثم يأخذ أحكامه، فإن لم يتخلق ولم تظهر خلقته كيف نعتبره ولدا، قال الجصاص: «إن المضغة التي لم يستبن فيها خلق

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (4/ 266) ، أحكام القرآن للجصاص (5/ 58)، وينظر تفسير القرطبي (12/ 9) السراج المنير في الإعانة

على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (2/ 538). تفسير الرازي (23/ 204) ، زاد المسير في علم التفسير (3/ 223).

(2) المجموع شرح المهذب (18/ 127).

(3) تفسير القرطبي (12/ 9).

الإنسان ليس بولد»⁽¹⁾، وقال الكاساني: «والسقط إذا استبان بعض خلقه فهو مثل الولد التام، يتعلق به أحكام الولادة من انقضاء العدة وصيرورة المرأة نساء؛ لحصول العلم بكونه ولدا مخلوقا عن الذكر والأنثى، بخلاف ما إذا لم يكن استبان من خلقه شيء»⁽²⁾، وقال أيضا: «وشرط انقضاء هذه العدة أن يكون ما وضعت قد استبان خلقه أو بعض خلقه، فإن لم يستبان رأسا بأن أسقطت علقه أو مضغة لم تنقض العدة، لأنه إذا استبان خلقه أو بعض خلقه فهو ولد، فقد وجد وضع الحمل فتتقضي به العدة»⁽³⁾.

المطلب الثاني : عقوبة إسقاط الجنين في طور العلقه .

اتفق أهل العلم على وجوب الدية في الجنابة على الجنين الذي استبان بعض خلقه⁽⁴⁾، واختلفوا في ما لم يتبين خلقه كما في طور العلقه :
الرأي الأول : ذهب المالكية إلى وجوب الغرة⁽⁵⁾ على من أسقط الجنين في طور العلقه ولو لم يستبين خلقه⁽¹⁾.

(1) أحكام القرآن للجصاص (58 / 5).

(2) بدائع الصنائع (43 / 1)

(3) المرجع نفسه (196 / 3) وينظر أيضا مجلة البحوث الإسلامية (410 / 50)

(4) أن يتبين من خلقه شيء يفارق المضغة أو العلقه أصبع أو ظفر أو عين، أو ما بان من خلق ابن آدم. الأم للشافعي (115/6)

(5) دية الجنين الحر المسلم: غرة عبد أو أمة وهي: نصف عشر دية أمه؛ أو خمس من الإبل ، لما «روي عن عمر رضي الله عنه أنه استشار الناس في إملاص المرأة، فقال المغيرة بن شعبه: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة: عبد أو أمة، وهو: نصف عشر الدية. قال: لتأتين بمن يشهد معك، فشهد له محمد بن مسلمة» متفق عليه. وروي عن عمر، وزيد : أنهما قالوا في الغرة: قيمتها خمس من الإبل» ولأنه أقل ما في الشرع في الجنابات. « جنين المرأة الحرة غرة عبد أو أمة وقيمة الغرة خمسون دينارا وذلك عشر دية أمه « الحجة على أهل المدينة (2 / 356)، جاء في الموسوعة الفقهية أن الدينار الإسلامي زنته: مقال، والمقال: أربعة غرامات وربع... « الموسوعة الفقهية الكويتية (21 / 29)، وعلى هذا القول فإن دية الجنين تساوي مائتين واثني عشر جراماً ونصف الجرام . [212.5 = 4 . 25 × 50] . ينظر بدائع الصنائع (7 / 325) والكافي في فقه الإمام أحمد (4 / 19)، والاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار

قال سحنون : «أرأيت إن ضربها رجل فألقته ميتا، مضغة أو علقه، ولم يتبين من خلقه أصبع ولا عين ولا غير ذلك، أتكون فيه الغرة أم لا في قول مالك؟»، قال ابن القاسم: قال مالك: « إذا ألقته فعلم أنه حمل وإن كان مضغة أو علقه أو دما ففيه الغرة، وتنقضي به العدة من الطلاق، وتكون به الأمة أم ولد»⁽²⁾.

وقال ابن رشد الحفيد: « واختلفوا من هذا الباب في الخلق التي توجب الغرة، فقال مالك: كل ما طرحته من مضغة أو علقه مما يعلم أنه ولد ففيه الغرة»⁽³⁾.

والذي أفتى به الإمام مالك سار عليه أئمة المذهب :

قال أبو الحسن اللخمي: « الغرة تجب في الجنين ذكراً كان أو أنثى، طرح علقه أو مضغة، أو هو تام الخلق، إلا أنه لم يستهلَّ صارخاً »⁽⁴⁾.

(8 / 75)، والإتصاف في معرفة الراجح من الخلاف (10 / 69). والمغني شرح مختصر الخرقي 620 (8 / 316). وفتاوى دار الإفتاء الليبية : فتوى رقم (2146).

(1) ولقد مالت دار الإفتاء الليبية إلى هذا الرأي ، الفتوى الأولى: والدتي امرأة كبيرة في السن، كانت قد حملت بمولود منذ زمن طويل، وتناولت دواء لإسقاط الجنين، وفعلاً أسقطته في شهره الثاني، والآن والدتي نادمة على فعلها، فماذا يلزمها؟ الجواب: فالأصل أن الإجهاض محرّم، ولا يجوز إجهاض الجنين، ولو كان علقه، على المشهور والمعتمد عند المالكية، قال الصاوي رحمه الله: « لا يجوز إخراج المني المتكون في الرحم ولو قبل الأربعين يوماً، وإذا نفخت فيه الروح حرم إجماعاً » [حاشية الصاوي على الشرح الصغير: 2/420]، وعلى من تسبب في إسقاط الجنين ولو كانت الأم الغرّة، وهي نصف عشر الدية، (عشر دية أمه)، وتساوي (212.5) جرماً من الذهب الخالص، ولا تترث منها شيئاً؛ لكون القتل من موانع الإرث، قال الحطاب رحمه الله: «وقال الجزولي في شرح الرسالة: وكذلك الأم إذا كانت هي التي أسقطت، مثل أن تشرب ما يعلم أنه يسقط به الجنين، فإن الغرة تجب عليها، ولا تترثها» [مواهب الجليل: 6/258]، وتوزع على الورثة الموجودين يوم إسقاطه، والله أعلم. رقم الفتوى (2146).

الفتوى الثانية: امرأة حامل في الشهر الثاني، قال لها الأطباء: إن الطفل سيخرج مشوهاً، فهل يجوز إسقاط هذا الجنين، أم لا؟ الجواب: فلا يجوز إجهاض الجنين بسبب تشوّهه، إلا أن يقرّ الأطباء أن في بقائه خطورة على حياة الأم، فحينها فقط يجوز الإجهاض، حفاظاً على حياة الأم، والله أعلم. رقم الفتوى (1247).

(2) المدونة (4 / 630)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد (4 / 199)

(3) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (4 / 199)

(4) التبصرة للخصي (13 / 6431)

وقال التسولي: « (و) يجب على المتسبب (في) إلقاء (الجنين) الواحد وإن علقه -وهي الدم المجتمع الذي إذا صب عليه الماء الحار لم يذوب- (غرة من ماله)»⁽¹⁾.
وعلة علماء المالكية في ذلك أن الجنين في طور العلقه حكمه حكم الجنين المتخلق فيأخذ أحكامه:

قال النفراوي: « وألقت ما في بطنها فإنه يضمن، ولو لم تطلب منه، ولو كان الجنين دما مجتمعا بحيث إذا صب عليه الماء الحار لا يذوب، لأن العلقه عندنا في باب الغرة والعدة وأم الولد حكم المتخلق»⁽²⁾.

وقال الرجراحي: « الغرة واجبة على الضارب في ماله، وإن لم يتبين من خلقه الجنين يد ولا رجل، ولا أصبع، ولا عين، وإن كان علقه أو مضغة مما يستيقن أنه ولد مما تنقضي به العدة»⁽³⁾.

ولقد قرر أئمة المالكية أن الغرة ثابتة على المتسبب في إسقاط الجنين، وبينوا الأحوال التي تجب فيها الغرة:

قال الشيخ الدردير: « (وفي) إلقاء (الجنين، وإن علقه) بضرب، أو تخويف، أو شم ريح (عُشر) واجب (أمه)»⁽⁴⁾، علق الشيخ الدسوقي في الشرح بقوله: « (قوله: وفي إلقاء الجنين، وإن علقه) أي هذا إذا ألقته مضغة أو كاملا، بل وإن ألقته علقه أي دما مجتمعا بحيث إذا صب عليها الماء الحار لا يذوب، لا الدم المجتمع الذي إذا صب عليه الماء الحار يذوب؛ لأن هذا ليس فيه شيء، خلافا لما يفيد كلام تت (قوله: أو شم ريح) أي كشم رائحة مسك، أو سمك، أو جبن مقلي، فإذا شمت رائحة ذلك من الجيران مثلا فعليها الطلب، فإن لم تطلب ولم يعلموا بحملها حتى

(1) البهجة في شرح التلحة (2/ 627)

(2) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (2/ 197)

(3) مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها (10/ 222)

(4) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (4/ 268)

ألقته فعليها الغرة لتقصيرها وتسببها، فإذا طلبت ولم يعطوها ضمنوا، علموا بحملها أم لا، وكذا لو علموا به وبأن ریح الطعام، أو المسك يسقطها، ولم يعطوها وأسقطت فإنهم يضمنون، وإن لم تطلب»⁽¹⁾.

الرأي الثاني : ذهب الجمهور من أئمة الحنفية والشافعية والحنابلة إلى وجوب الدية في الجنابة على الجنين الذي استبان بعض خلقه فقط، ومن لم يستبين خلقه لا شيء فيه كما في طور العلقه .

1- مذهب الحنفية :

ذهب أئمة الحنفية إلى أن الجنين في طور النطفة والعلقه إذا أسقط فلا إثم ولا شيء فيه:

قال ابن نجيم الحنفي: « وفي الحمل الغرة إن كان ميتا ، وإن سقط وهو حي ثم مات فإنه يجب قيمته، وإن كان الحمل ماء ودماً فإنه لا يجب فيه شيء»⁽²⁾.
 وذكر ابن نجيم مسألة أفتى فيها الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف وهي : « إذا ضرب الرجل بطن امرأته فألقت جنينا ميتا فلا كفارة عليه ولا يرث منه، وإن ألقت جنينا ميتا قد استبان من خلقه شيء، ثم ماتت هي من تلك الضربة، ثم ألقت جنينا حيا ومات، ففي الأول الغرة ، وفي الأم الدية ، وفي الجنين الثاني الدية كاملة»⁽³⁾.
 وما أفتى به الإمام أبوحنيفة وأبو يوسف هو ما أفتى به أئمة المذهب :
 قال أبو فضل الموصلي: « وإن استبان بعض خلقه ولم يتم ففيه الغرة، لأننا نعلم أنه ولد فكان كالكامل»⁽⁴⁾.

(1) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية السوقي (4/ 268)

(2) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (8/ 390)

(3) المرجع نفسه (8/ 390)

(4) الاختيار لتعليل المختار (5/ 44).

وقال علاء الدين الحصكفي: (وما استبان بعض خلقه)كظفر وشعر (كتأم فيما ذكر) من الأحكام وعدة ونفاس، كما مر في بابه (وضمن الغرة) «⁽¹⁾. بل قرر علماء الحنفية أن إسقاط الجنين في طور العلقه لا حكم له؛ لأنه لا يكون بمنزلة الولد، ولا إثم في إسقاطه :

قال بدر الدين العيني: « (والجنين الذي قد استبان بعض خلقه): قيد به لأنه لو لم يستتب شيء من خلقه لا يكون بمنزلة الولد، وهو إن كان علقه فلا حكم لها في حق هذه الأحكام، ولا يعلم فيه خلاف»⁽²⁾.

وقال ابن عابدين: « لأن الكلام عند وجوب الغرة، وهي لا تجب إلا باستبانة بعض الخلق، ثم يقول: ولو لم يستتب بعض خلقه فلا إثم »⁽³⁾.

2- مذهب الشافعية :

بين الإمام الشافعي مسألة الجنين الذي تجب فيه الغرة فقال: « وأقل ما يكون به السقط جنينا فيه غرة أن يتبين من خلقه شيء يفارق المضغة أو العلقه أصبع أو ظفر أو عين، أو ما بان من خلق ابن آدم سوى هذا كله ففيه غرة كاملة»⁽⁴⁾، وهذا ما سار عليه أئمة المذهب :

(1) الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار (6 / 590).

(2) البنائة شرح الهداية (13 / 227)

(3) رد المحتار (6 / 590)

(4) الأم (6 / 115)

فلقد شبه الماوردي العلقه بالنطفة في الحكم فقال: « والعلقه في حكم النطفة في أنه لم يستقر لها حرمة، ولم يتعلق بها شيء من الأحكام الثلاثة بإجماع الفقهاء⁽¹⁾، فلا تجب فيها غرة، ولا تصير بها أم ولد، ولا تنقضي بها العدة⁽²⁾».

وفرق ابن حجر الهيثمي بين العلقه والمضغة بقوله « وتزيد المضغة على العلقه بكونها تنقضي بها العدة ويحصل بها الاستبراء، ويزيد الولد عليهما بأنه يثبت به أمية الولد، ووجوب الغرة⁽³⁾».

وعلى النووي ذلك أن طور العلقه لم يثبت كونه ولداً ببينة ولا بالمشاهدة فقال: « أن تضع مضغة لا صورة فيها ولم تشهد القوالب بأنها مبتدأ خلق آدمي فهذا لا تنقضي به العدة ولا تصير به أم ولد، لأنه لم يثبت كونه ولداً ببينة ولا مشاهدة، فأشبهه العلقه، فلا تنقضي العدة بوضع ما قبل المضغة بحال، سواء كان نطفة أو علقه، وسواء قيل إنه مبتدأ خلق آدمي أو لم يقل، فإذا كان علقه فلا تنقضي به العدة بإجماع الفقهاء ما عدا الحسن البصري⁽⁴⁾، فإنه قال: إذا علم أنها حمل انقضت به العدة وفيه الغرة والأصح ما عليه الجمهور⁽⁵⁾».

من ثم فإن أئمة الشافعية قرروا وأكدوا أن الجنين الذي يجب في إسقاطه غرة هو الجنين المتخلق لا غير: قال زكريا الأنصاري: « الجنين الذي تجب فيه

(1) الحكم بالإجماع في هذه المسألة لا يصح، لما علمنا في الرأي الأول أن أئمة المالكية قالوا بوجوب الغرة وانقضاء العدة بإسقاط الجنين في طور العلقه

(2) الحاوي الكبير في الفقه الشافعي(869/12)، وينظر أيضاً هذه المسألة في تحفة المحتاج في شرح المنهاج (169/29)، وحاشية إغانة الطالبين (4)

(147)، وحاشية الجمل على المنهج (267/11)، وحاشية البجيرمي على الخطيب (28/10).

(3) تحفة المحتاج في شرح المنهاج (1/258)، وينظر وتحنة الحبيب على شرح الخطيب (1/343)، وبغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض

الأئمة من العلماء المتأخرين (ص: 54) . وحاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (1/90).

(4) والإمام مالك أيضاً وأغلب أئمة مذهبه ، فدعوى الإجماع لا تصح .

(5) المجموع (18/128)

الغرة... بأن يكون مما ظهر فيه صورة آدمي»⁽¹⁾، وقال الشربيني: «ولو ألفت لحما، قال أهل الخبرة: فيه صورة آدمي خفية؛ وجبت الغرة، بخلاف ما لو قالوا لو بقي لتصور أي تخلق، فلا شيء فيه»⁽²⁾.

3- مذهب الحنابلة :

إن المتتبع لنقول أئمة الحنابلة يجد أنهم ذهبوا إلى ما ذهب إليه الحنفية والشافعية:

قال أبو محمد ابن قدامة: «وإن ألفت مضغة لا صورة فيها، لم يجب ضمانها؛ لأنه لا يعلم أنها جنين، وإن شهد ثقات من القوابل: أن فيها صورة خفية، ففيها غرة؛ لأنه جنين، وإن شهد أنه مبتدأ خلق آدمي، لو بقي تصور، ففيه وجهان: أحدهما: فيه الغرة؛ لأنه بدء خلق آدمي، أشبه المصور، والثاني: لا شيء فيه؛ لأنه غير متصور، أشبه العلقة»⁽³⁾.

وقال ابن المفلح: «إذا وضعت مضغة، لا صورة فيها، ولم تشهد القوابل أنه مبتدأ خلق آدمي لم تنقض (أي العدة) ولا تنقض بما قبل المضغة، لا نعلم فيه خلافاً إلا الحسن، قال: إذا علم أنه حمل انقضت به، وفيه الغرة»⁽⁴⁾.

وقال البهوتي: «أو ألفت المجني عليها (ما تصير به الأمة أم ولد) وهو ما تبين فيه خلق إنسان، ولو خفياً بجناية أو في معناها (غرة) أي دية الجنين فيما ذكر غرة (عبد أو أمة) لقضائه ﷺ بذلك»⁽⁵⁾، كما رواه الشيخان⁽⁶⁾.

(1) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (4/ 91).

(2) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (2/ 514)، وحاشية البجيرمي على الخطيب (4/ 156).

(3) الكافي في فقه الإمام أحمد (4/ 20).

(4) المبدع في شرح المقنع (7/ 74).

(5) كشاف القناع عن متن الإقناع (6/ 23).

(6) روى البخاري عن المغيرة بن شعبة ﷺ أن النبي ﷺ: «قضى في الجنين بغرة عبد أو أمة». باب جنين المرأة، رقم الحديث (6510).

الرأي الراجح وأسباب الترجيح :

سبق وأن علمنا أن المذهب المالكي ذهب إلى وجوب الدية على من أسقط الجنين في طور العلقه ولو لم يستبين خلقه، وذهب الجمهور الحنفية والشافعية والحنابلة إلى وجوب الدية في الجنية على الجنين الذي استبان بعض خلقه، ومن لم يستبين خلقه لا شيء فيه⁽¹⁾.

والراجح هو ما ذهب إليه الجمهور للأسباب الآتية :

1- روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أَقْتَنَلْتُ امْرَأَتَانِ مِنْ هُدَيْلٍ، فَرَمْتُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ فَفَقَلْتُهُمَا وَمَا فِي بَطْنِهَا، فَأَخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَنَّ دِيَةَ جَنِينِهَا عُزَّةٌ عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ، وَقَضَى بِدِيَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَاقِلَتِهَا وَوَرَثَتِهَا وَوَلَدَهَا وَمَنْ مَعَهُمْ »⁽²⁾.

وجه الدلالة : قوله : «فَقَلْتُهُمَا وَمَا فِي بَطْنِهَا» السؤال كيف علموا أن في بطنها جنين؟ فيما سبق لم يكن يُعلم للمرأة حمل إلا بكبر البطن، وهذا لا يكون كما ذكر المختصون في علم الأجنة إلا في الشهر الثالث أو الرابع، وإذا نظرنا إلى أطوار خلق الجنين لوجدنا أنه في هذين الشهرين يكون طور المضغة المخلفة وغير المخلفة .

قال الماوردي : « ثم أربعين يوماً مضغة، وهو في حال المضغة يتخلق ويتصور وتظهر أماراته من الحركة ومن غلظ الجوف ، وذلك عند انقضاء الشهر الثالث »⁽³⁾.

(1) وممن ذهب إلى هذا الرأي دار الافتاء الأردنية فتوى رقم (561) .

(2) أخرجه مسلم، باب دية الجنين، رقم الحديث «3185» (9/ 40) .

(3) الحاوي الكبير (11/ 502)

وقال أيضا: «فهو بعد انتقاله من العلقة إلى المضغة في الشهر الثالث تظهر أماراته في بطن أمه؛ فيعرف به حال الحمل»⁽¹⁾.

2- علمنا أن النبي ﷺ قضى على المرأة التي قتلت جنين المرأة الأخرى الدية، وأن الجنين كان في طور المضغة والمضغة تنقسم إلى قسمين مخلقة وغير مخلقة، فهل هذا الجنين كان في المضغة المخلقة أم غير المخلقة؟ الأرجح أن الجنين كان في المضغة المخلقة؛ لأنه الطور الذي تكون فيه بطن أمه كبيرة، ومن ثم علم أن جنينها قتل معها كما ورد في الحديث السابق، إذا الجنين الذي تجب فيه الغرة هو الذي استبان خلقه فظهرت فيه صورة الآدمي، أما الجنين الذي لم يستبين خلقه كأن يكون علقة أو مضغة غير مخلقة فلا غرة فيه، لأنه لم يثبت كونه ولدا بيينة ولا مشاهدة.

الخاتمة

- 1- السقط هو الجنين الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه، ذكرا كان أو أنثى.
- 2- الجنين هو الولد ما دام في الرحم، فإن خرج حيا فهو ولد، وإن خرج ميتا فهو سقط.
- 3- العلقة في الطب: هي المرحلة التي تلي تكون النطفة الأمشاج، وتبدأ منذ تعلق النطفة الأمشاج بالرحم وتنتهي عند ظهور الكتل البدنية التي تعتبر بداية المضغة.
- 4- إن الإسقاط الاختياري أو الجنائي هو الذي يحدث بفعل فاعل فالمتسبب فيه له عقوبة مقدرة من الشارع، أما الإسقاط التلقائي فهو الذي يحدث تلقائياً وبدون إرادة الام - بسبب مرض أو غيره - فهذا لا تحريم فيه باتفاق العلماء، وليس على الأم حكم شرعي لأنه حدث بدون إرادتها.

(1) المرجع نفسه (11/ 753)

- 5- إن العلماء اتفقوا على أن الجنين إذا نفخت فيه الروح يحرم إسقاطه، واتفقوا أيضاً: إن بقاء الجنين إذا ترتب عليه ضرر وخطر بأمه؛ تُقدم حياة الأم على حياة جنينها .
- 6- اختلف العلماء في حكم إسقاط الجنين قبل نفخ الروح سواء في طور النطفة أو العلقة أو المضغة .
- 7- اختلف العلماء في إسقاط الجنين في طور العلقة فذهب فقهاء الحنفية والشافعية في المشهور عندهم إلى جواز إسقاط الجنين في طور العلقة، وذهب فقهاء المالكية والحنابلة في المشهور عندهم إلى تحريم إسقاط الجنين في طور العلقة، والرأي الراجح هو ما ذهب إليه الأئمة المالكية والحنابلة لقوة الدليل النقلى والعقلى، ولضعف أدلة الفريق الآخر فهي لا تخلو من مطعن .
- 8- إن الاستقراء لما كُتب في الاجهاض وأحكامه للفقهاء والأطباء المعاصرين في الندوات والمؤتمرات ومجامع الفقه الإسلامى نجدها تنص على أن الجنين حي من بداية الحمل، فله حقٌ في الحياة، وأن حياته محترمة في كافة أدوارها خاصة بعد نفخ الروح، وأنه لا يجوز العدوان عليها بالإجهاض إلا لضرورة طبية قصوى.
- 9- هناك فكرة يحملها البعض من أن الجنين لا روح له ولا أهمية لحياته قبل ثلاثة أو أربعة أشهر، وأنه لا إثم ولا بأس من إسقاط الجنين خلال هذه الفترة أو قبلها، هذه الفكرة دحضها بعض المختصين من أهل الطب بتقريرهم أن الروح التي هي أساس الحياة موجودة في هذا المخلوق منذ تكونت النطفة الأمشاج ، فإذا حرم من حق الحياة وأنهيت حياته التي منحها الله إياها، فإن ذلك اعتداء على حياة، واعتداء على حق الخالق الذي يعطي ويأخذ .

10- اختلف الأئمة في الدم النازل من المرأة التي أسقط جنينها في طور العلقه ، فذهب أئمة المالكية إلى أن الجنين إذا أسقط في طور العلقه حكمه حكم الجنين المتخلق فيأخذ أحكامه، وجوب العدة والغرة وتصبح به الأمة أمّ ولد، وهذا أخذت به دار الإفتاء الليبية. وذهب أئمة الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الجنين إذا أسقط في طور العلقه أو لم يتخلق منه شيء فالدم دم علة وفساد، والراجح هو ما ذهب إليه الجمهور، وبهذا الرأي أخذت: دار الإفتاء الأردنية، ودار الإفتاء المصرية، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية .

11- اتفق أهل العلم على وجوب الدية في الجنابة على الجنين الذي استبان بعض خلقه، واختلفوا في ما لم يتبين خلقه كما في طور العلقه ، فذهب أئمة المالكية إلى وجوب الدية «الغرة» على من أسقط الجنين في طور العلقه ولو لم يستبين خلقه، وذهب الجمهور من أئمة الحنفية والشافعية والحنابلة إلى وجوب الدية في الجنابة على الجنين الذي استبان بعض خلقه فقط، ومن لم يستبين خلقه لا شيء فيه كما في طور العلقه وعلمنا أن الراجح هو رأي الجمهور .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).

كتب التفسير :

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي (ت : 1393هـ)ن : دار الفكر بيروت - لبنان ، ط 1415 هـ - 1995 م.
 2. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين بن كثير (ت: 774 هـ) دار الأندلس ط5 ، 1984 م .
 3. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت : 1376هـ)ت: عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، مكتبة ابن حزم بيروت ، مكتبة ليبيا الجديدة ، ط1، 2003م.
 4. الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد، شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ) ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ن: دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- كتب الحديث :
5. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. أبو عمر بن عبد البر (ت : 463هـ) ت : مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى ، ن : مؤسسة قرطبة .
 6. جامع العلوم والحكم. ابن رجب الحنبلي، ن: دار المعرفة. بيروت. ط1، 1408هـ
 7. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 275هـ) ت: محمد محيي الدين عبد الحميد ن: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
 8. السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي (ت: 458 هـ) ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ن: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ط: 1، 2011م.

9. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني (1122هـ)، ت/ طه عبدالرؤوف سعد مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ط1، 2003م .
10. صحيح مسلم بشرح النووي، النووي (ت676هـ) دار الخير دمشق سوريا، ط1 1994م .
11. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)دار الريان للتراث القاهرة ط1، 1986
12. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، أبو بكر بن العربي (ت: 543هـ) ت/ محمد عبد الله ولد كريم، ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت .
كتب الفقه :
- 1- كتب الفقه الحنفي :**
13. الاختيار شرح المختار للموصلي، الموصلي، ت : عبد اللطيف محمد عبد الرحمن-: ن/ الكتب العلمية . بيروت / لبنان ط3 - 2005 م.
14. البحر الرائق شرح كنز الدقائق. ابن نجيم المصري (ت: 970هـ) ن: دار الكتاب الإسلامي ط: 2 .
15. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: 587هـ)، ن: دار الكتب العلمية، ط: 2، 1406هـ - 1986م
16. البناية شرح الهداية : بدر الدين العيني (ت: 855هـ) ن : دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 2000 م
17. تحفة الملوك. بدر الدين العيني (ت 855هـ) ت: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، ن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر ، ط1 - 2007م

18. الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، أبو بكر الحدادي العبادي اليمني (ت:800هـ) ن: المطبعة الخيرية، ط1، 1322هـ.
19. حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) ابن عابدين (ت: 1252هـ) ت/ عبدالمجيد طعمه حلبي، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1، 2000م .
20. شرح فتح القدير لابن الهمام (ت681هـ) الناشر دار الفكر بيروت .
21. الفتاوى الهندية، لشيخ نظام وجماعة من علماء الهند العالمكيرية ن: دار الفكر سنة النشر 1991م .
22. المبسوط للسرخسي شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، ت/خليل محي الدين الميس، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 ، 1421هـ 2000م
23. المحيط البرهاني للإمام برهان الدين ابن مازة، ن: دار إحياء التراث العربي.
24. الهداية شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر المرغيناني ، (ت: 593هـ) ، الناشر المكتبة الإسلامية.
- 2- كتب الفقه المالكي:**
25. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد (ت: 595هـ)، ن: دار الحديث - القاهرة
26. التاج والإكليل لمختصر خليل، المواق المالكي (ت: 897هـ) دار الفكر بيروت، ط1، 2002م
27. التبصرة، أبو الحسن اللخمي (ت 478 هـ) تـ: د. أحمد عبد الكريم نجيب ن: وزارة الأوقاف قطر ط.1- 2011 م.
28. الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: الآبي الأزهري (ت: 1335هـ) ن: المكتبة الثقافية - بيروت.

29. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، ابن عرفة الدسوقي (ت: 1230هـ) ن: دار الفكر بيروت ، ط1، 1998م .
30. الذخيرة، شهاب الدين القرافي (ت684هـ) ت/ محمد حجي، ن: دار الغرب بيروت 1994م .
31. شرح ابن ناجي التتوخي على متن الرسالة، ابن ناجي التتوخي (ت: 837 هـ) ت/ أحمد فريد المزيدي، ط1: 2007 م، دار الكتب العلمية.
32. شرح الخرشي على مختصر خليل ، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (ت: 1101هـ) ن: دار الفكر- بيروت.
33. الشرح الصغير على مختصر الدردير، أحمد الدردير(ت: 1201هـ) ت/ مصطفى كمال وصفي ط: دار المعارف.
34. الشرح الكبير على مختصر خليل أحمد الدردير (ت1201هـ) ، ن/ دار الفكر ، بيروت
35. ضوء الشموع شرح المجموع في الفقه المالكي. محمد الأمير (ت:1232 هـ) ت: محمد الأمين الموسوي، ن: دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الإمام مالك ، موريتانيا نواكشوط، ط:2005، 1 م.
36. فتاوى البرزلي (جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام) أبو القاسم بن أحمد البلوي البرزلي،(ت:841هـ) ت/ محمد الهيلة ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م
37. فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، محمد عيش(ت1299هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
38. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم النفراوي (ت: 1126هـ) ن: دار الفكر 1995م

39. القوانين الفقهية، ابن جزى الكلبي الغرناطي (ت741هـ) دار المعرفة المغرب، ط2000م
40. كفاية الطالب الرياني لرسالة أبي زيد القيرواني، أبو الحسن المالكي (ت939هـ)، ت/ يوسف البقاعي، ن: دار الفكر، بيروت 1412هـ.
41. لوامع الدرر في هتك استار المختصر: محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي (ت:1302هـ) راجع تصحيح الحديث وتخرجه: البيدالي بن الحاج أحمد ، ن: دار الرضوان، نواكشوط- موريتانيا ، ط1، 2015.
42. المدونة الكبرى، عبدالسلام بن سعيد التتوخي، الملقب بـ(سحنون) (ت240هـ) ت: عامر الجزار، عبدالله المنشاوي، دار الحديث القاهرة 2005م .
43. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، الونشريسي (ت914هـ) ت: جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية 1981م.
44. منح الجليل شرح مختصر خليل ، محمد عليش (ت1299هـ) دار صادر .
45. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطاب (ت954هـ) دار الفكر بيروت، ط1، 2002م
- 3- كتب الفقه الشافعي :
46. الأم، للشافعي (ت: 204هـ) ن: دار المعرفة - بيروت ، سنة النشر: 1410هـ/1990م
47. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت505هـ) دار السلام القاهرة ط2، 2005م .
48. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري(ت: 926هـ)ن: دار الكتاب الإسلامي

49. بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين، عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر باعلوي، ن: دار الفكر.
50. تحفة الحبيب على شرح الخطيب، البجيرمي الشافعي (ت: 1221هـ): ن: دار الكتب العلمية بيروت/
51. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي (ت: 973هـ): ن: المكتبة التجارية الكبرى مصر،
52. حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، أبو بكر الدمياطي (ت: 1300هـ) / محمد سالم هاشم دار الكتب العلمية بيروت ، ط1، 1995م .
53. حاشية البجيرمي على الخطيب، البَجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (ت: 1221هـ): ن: دار الفكر.
54. حاشية الجمل على المنهج، سليمان بن عمر المعروف بالجمل (ت: 1204هـ): ن: دار الفكر
55. حاشية قليوبي، القليوبي ت: 1069هـ تـ: مكتب البحوث والدراسات، ن: دار الفكر بيروت .
56. الحاوي الكبير في الفقه الشافعي، أبو الحسن الماوردي (450هـ)، ن / دار الفكر بيروت .
57. المجموع شرح المذهب، شرف الدين النووي (ت: 676هـ) ن: دار الفكر .
58. المذهب في فقه الإمام الشافعي، أبو اسحاق الشيرازي (ت: 476هـ) ن: دار الكتب العلمية.
59. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، الرملي (ت: 1004هـ)، ن: دار الفكر، بيروت ط: 1984م
- 4- كتب الفقه الحنبلي:

60. أحكام النساء، لابن الجوزي ت/ عمرو عبد المنعم، ن: مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط1، 1997م
61. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرادوي(ت: 885هـ): ن: دار إحياء التراث العربي
62. شرح عمدة الفقه لابن تيمية (728هـ) ت: محمد الاصلاحى، دار عالم الفوائد، ط1، 1436هـ .
63. الشرح الممتع على زاد المستقنع ابن عثيمين (ت: 1421هـ) ن: دار ابن الجوزي ط1، 1428 هـ
64. الفروع وتصحيح الفروع، ابن مفلح (ت: 763هـ) ن: مؤسسة الرسالة ط1 2003 م.
65. كشف القناع عن متن الإقناع. البهوتي (1051هـ). ت: هلال مصيلحي، ن : دار الفكر
66. مجموع الفتاوى، ابن تيمية(ت: 728هـ) ت: أنور الباز، عامر الجزار، ن: دار الوفاء، ط3، 2005
67. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الرحيباني(ت: 1243هـ): ن: المكتب الإسلامي ط2، 1994
68. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي، ن : دار الفكر بيروت ط1 ، 1405
- كتب المعاجم والقواميس :**
69. القاموس الفقهي :سعدى أبو جيب، ن: دار الفكر. دمشق - سورية، ط : 2، 1988 م
70. القاموس المحيط: الفيروزآبادى (ت: 817هـ) ن : مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان، ط8، 2005 م

71. كتاب معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، ت: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي ، ن : دار ومكتبة الهلال.
72. لسان العرب ، ابن منظور(ت711هـ) ، ن : دار المعارف القاهرة .
73. المصباح المنير. أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ن: المكتبة العلمية بيروت.
- كتب الطب :**
74. الإجهاض دراسة فقهية مقاصدية،د/ فريدة صادق زوزو،: الدار السعودية للنشر جدة ، ط1 1985م
75. خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، محمد علي البار ، الدار السعودية للنشر، ط4، 1983م
76. قضايا طبية من منظور إسلامي، عبدالفتاح محمود إدريس، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط1، 1993
- المجلات والموسوعات :**
77. مجلة البحوث الإسلامية ، المؤلف والناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
78. مجلة مجمع الفقه الاسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة.
79. الموسوعة الفقهية الكويتية، «مجموعة من المؤلفين» صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت .
- الندوات العلمية :**
80. ندوة حول «الإنجاب في ضوء الإسلام» التي عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في دولة الكويت، 24. مارس. 1983م.

81. ندوة حول (الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة) وذلك تحت عنوان « الحياة الإنسانية: بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي » 1.15. 1985م بدولة الكويت.

قرارات المجامع والهيئات العلمية :

82. قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة السعودية، 25 جمادى الآخرة 1421هـ الموافق 23 (سبتمبر) 2000م. قرار رقم 113 (12/7)، «بشأن حقوق الأطفال والمسنين».

83. قرارات مجمع الفقه الإسلامي ، برابطة العالم الإسلامي، في دورته الثانية عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة، 15 رجب 1410هـ الموافق 10. 2. 1990م، قرار رقم: 71 (12/4): بشأن موضوع إسقاط الجنين المشوه خلقياً.

دور الإفتاء العربية :

84. دار الإفتاء الليبية ، موقع دار الإفتاء .

85. دار الإفتاء المصرية ، موقع دار الإفتاء .

86. دار الإفتاء الأردنية ، موقع دار الإفتاء .

87. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

لفظ (حين) في القرآن الكريم دراسة لغوية تفسيرية

أ. عبير إسماعيل الرفاعي*

المقدمة:

الحمد لله خالق الألسن واللغات، واضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته حكمه البالغات، الذي علم آدم الأسماء كلها، وأظهر بذلك شرف العربية وفضلها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح الخلق لساناً، وأعربهم بياناً، وعلى آله وصحبه أكرم بهم أنصاراً وأعاوناً، وبعد..

إن ألفاظ القرآن الكريم لها خصائص تميّزت بها، وقد علّنت بنظمه وتراكيبه فوق أنماط التعبير الأخرى، ولو حاولَ محاولٌ أن يُديرَ اللغة العربية من ألفها إلى يائها ليصعَ لفظاً موضعَ لفظٍ آخر يسدُّ مسدّه من كلِّ الوجوه لطلبَ مُستحيلاً، ولعادَ كليلاً، قال ابن عطية: "كتاب الله لو نزلت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة، وميز الكلام"⁽¹⁾.

ومن ميزات كتاب الله العزيز أنه يؤثر استخدام الألفاظ القصار الثلاثية الأصول، أو الرباعية الأصول، والثلاثية فيه أوفر عدداً من الرباعية، ففي القرآن الكريم ألف وستمئة وأربعون أصلاً ثلاثياً (1640) يتفرع منها ما يزيد عن خمسين ألف لفظة⁽²⁾.

* كلية الآداب/الخمسة - جامعة المرقب.

1 المحرر الوجيز، ابن عطية 1/ 49.

2 ينظر: بحث بعنوان: الكلمة القرآنية وعلماء البيان، د. فضل عباس، ص 19.

وقد شغلَ الزَّمَنُ تفكيرَ الإنسان منذ القَدَم، وحاول تفسيره؛ لأنه شيء غير مادي، وغير ملموس، ولكنَّ الإنسان يشعر به، ويستخدمه في تقدير أمور حياته، وفي تقييمها، وتبدو أهمية الزمن واضحة في القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية، فقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالزمن في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾⁽¹⁾، والعصر اسمٌ للدَّهر، والقَسَمُ به لَمَّا فيه مِنَ العِبَر؛ قال ابنُ عطية: "قال ابنُ عباس: هو الدهر، يقال فيه: عَصُرَ وعَصُرٌ؛ أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب"⁽²⁾؛ ونسب السمرقندي هذا التفسير إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه⁽³⁾.

وهذا البحث تناولت فيه أحد الألفاظ الدالة على الزمن في القرآن الكريم.

وترجع أهمية البحث إلى كونه يَخُصُّ دراسة لفظٍ في أظهر وأشرف الكتب، كتاب الله العظيم، ولا يخفى أن الاهتمام بألفاظ القرآن الكريم ومعرفة دلالاتها من أفضل ما يمكن أن يحظى به العقل وترتوي منه النفس، وربما يكون موضوع البحث قد تعرض للدراسة من قِبَل بعض الباحثين، إلا أنني لم أعثر على دراسات سابقة للموضوع نفسه كمحتوى، وقد وجدت بحثاً في مجلة علمية يتحدَّث الباحث فيه عن لفظ (حيث) الظرف المكاني، كما وجدت بعض الكتابات المتفرقة عن لفظ (حين) ولكنها ليست دراسات متكاملة، ومع ذلك لا بدَّ أن يكون موضوع ألفاظ القرآن الكريم قد حظي بالدراسات من قبل المختصين، والله أعلم.

1 سورة العصر، الآيتان 1، 2.

2 تفسير البحر المحيط، أبو حيان التوحيدي 8 / 507.

3 ينظر: بحر العلوم، السمرقندي 3 / 590.

أما ما يخص منهج البحث، فقد اتبعت في بحثي المنهج الإحصائي التحليلي، حيث قمتُ بحصر الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ (جِئْنَ) ثم حَلَلْتُ اللفظ، لُغَوِيًّا وتفسيرِيًّا، في هذه الآيات، بعد ما جمعتُ أقوال اللُّغويين من كتب اللغة والمعاجم، وآراء المفسرين من كتب التفسير القرآني، وذكرتُ آراءهم في كل آيةٍ، وكيف اختلفت آراؤهم أحيانًا، واتفقت أحيانًا أخرى.

ولفظ (جِئْنَ) لفظٌ زمني ثلاثيُّ الأصل، من ظروف الزمان المُبهِمة، التي لا يزول إبهامها ولا يُعرفُ المُرادُّ منها إلا بعد ذكر ما بعدها، وقد اختلف أهلُ اللُّغة في تفسيرها، كما اختلف علماء القرآن في تفسيرها أيضًا، وسوف أحاولُ جمعَ آراء علماء اللغة وأهل التفسير حول هذا اللفظ، واستخراج الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ (جِئْنَ) وتتبع آراء اللغويين والمفسرين.

وقد اقتضت دراسة هذا الموضوع أن يأتي البحثُ مُقسَّمًا على مقدمةٍ ومبحثين وخاتمة، درستُ في المبحث الأول: ألفاظُ الزمان عند النحويين وتقسيماتها، حيث درستُ فيه معنى الظرف، وتقسيماته باعتبارياتٍ مختلفة، وآراء النحويين في هذه التقسيمات، مع الاستدلال بالشواهد القرآنية كلِّما أمكن ذلك.

أما المبحث الثاني: فقد ذكرت فيه المواضع التي ورد فيها لفظ (جِئْنَ) في القرآن الكريم، وهي خمس وثلاثين آية في ثلاثٍ وعشرين سورة، مع استعراض آراء اللُّغويين وآراء أهل التفسير، وتوضيح اختلاف توجيهاتهم لهذا اللفظ في مواضع الاستشهاد المذكورة.

وتضمَّنت الخاتمة أهم النتائج التي توصلتُ إليها مع ذكر بعض التوصيات التي بدا لي أن أدلي بها في خاتمة البحث.

والله وليُّ التوفيق.

المبحث الأول: ألفاظ الزمان عند النحويين وتقسيماتها

الظرف عند النحويين: ما ضمّن من اسم أو وقت أو مكان، معنى (في) باطراد لواقع فيه مذكور أو مُقدّر ناصب له⁽¹⁾.

وعليه قول ابن مالك:

الظرف وقت أو مكان ضمنا

في باطراد كهنا امكث أزما

وعلى هذا فإنّ ظرف الزمان هو ما انتصب من وقت على تقدير (في)، وإنّ كلّ اسم وقت قابل للنصب على الظرفية، سواء أكان مبهماً أو مختصاً.

فالمبهم: ما دلّ على قدر من الزمان غير مُعيّن، نحو: وقت، وزمان، وحين⁽²⁾.

أمّا المُختصّ، فينقسم على قسمين:

1_ مختصّ معدود: وهو ما دلّ على مقدار من الزمان مُعيّن، نحو: سنة، وشهر.

2_ غير معدود: وهو ما دلّ على مقدار من الزمان غير مُعيّن، نحو: أسماء الأيام كالسبت والأحد، وما أضافت إليه العرب لفظة شهر من أعلام الشهور، وهو: رمضان، وربيع الأول، وربيع الآخر.

كما أنّ الظرف ينقسم باعتبار آخر إلى متصرف وغير متصرف.

1 همع الهوامع، السيوطي، 2/ 137.

2 ينظر: شرح التصريح على التوضيح، الأزهرى 1/ 536.

الأول: المتصرف: هو ما يفارق الظرفية إلى حالة لا تشبهها، كأن يُستعمل مبتدأً، أو خبرًا، نحو: اليوم يومٌ مباركٌ، برفعهما، أو فاعلاً، نحو: أعجبنى اليوم، أو مفعولاً به، نحو: أحببتُ يومَ قُدومِك، أو مضافاً، نحو: سرتُ نصفَ اليوم، ف (اليوم) في الأمثلة السابقة هو ما يُطلقُ عليه اسم الزمان؛ لأنه لا يلزم النصب على الظرفية، وإنما تتغير حركة إعرابه بتغيُّر موقعه الإعرابي⁽¹⁾، وعليه قول ابن مالك:

وَمَا يُرَى ظَرْفًا وَغَيْرَ ظَرْفٍ

فَدَاكَ ذُو تَصَرُّفٍ فِي الْعُرْفِ

لأنه من المعروف أن ظرفَ الزمان لو ترك النصب على الظرفية إلى حالةٍ أخرى غير الظرفية، ولو إلى الجرِّ ب (في) الدالة على الظرفية وغيرها، لا يُسمَّى ظرفَ زمانٍ وإن دلَّ على الزمان، وهذا هو الفرقُ بين ظرفِ الزمان واسمِ الزمان، فكلُّ اسمِ زمانِ ظرفٍ، وليس كلُّ ظرفٍ اسمَ زمانٍ؛ لأنَّ الزمان يُستخدمُ ظرفًا وغيرِ ظرفٍ، أي اسمًا.

وينقسم المتصرفُ إلى:

1_ مُتصرف مُنصرف، نحو: يوم، وجين، وشهر، ووقت، وساعة، وعلامة المُنصرف أن يُجرَّ بالكسرة مع الألف واللام والإضافة وبدونهما، وأن يدخله الصرف، وهو التتوين.

2_ مُتصرف غير مُنصرف، نحو: غدوة، وبكرة، وعلَمَيْنِ فُصِدَ بهما التعيين أو لا؛ لأنَّ عَلَمَيْتَهُمَا جنسيَّة، وقد يخلوَانِ من العلمية، بأن يُنْكَرَا فينصرفَانِ ويتصرفَانِ،

1 ينظر: شرح التصريح على التوضيح، الأزهرى 1/ 539.

ومنه قوله _تعالى_: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾⁽¹⁾، وعلامة غير المُنصرف أن يُجَرَّ بالفتحة، ولا يدخله التثوين.

الثاني: غير المتصرف، وهو نوعان:

1_ ما لا يفارق الظرفية أصلاً، نحو: (قَطَّ) في استغراق الماضي، و(عوض) في استغراق المستقبل، فلا يستعملان إلا بعد نفي. تقول: ما فعلته قط، و: لا أفعله عوض، والمعنى ما فعلته في الزمن الماضي، ولا أفعله في الزمن المستقبل، و(قط) مشتقة من قطط الشيء أي: قطعته، فمعنى: "ما فعلته قط": ما فعلته فيما انقضى من عمري؛ لأن الماضي ينقطع عن الحال والاستقبال، وهي مبنية، وعلّة بنائها تضمنها معنى حرفي ابتداء الغاية وانتهائها، إذ المعنى: ما فعلته مذ خلقني الله تعالى إلى الآن، وبنيت على حركة فراراً من التقاء الساكنين، وكانت ضمة في بعض لغاتها حملاً على (قبل، وبعد).

و(عوض) مشتقة من العوض، وسُمِّيَ الزمان (عوض)؛ لأن الدهر كلما مضى منه جزء خلفه آخر، فكان عوضاً منه، ويبينى على الحركات الثلاث إذا لم يكن مضافاً⁽²⁾، وهاذان لم يرد ذكرهما في كتاب الله العزيز .

2_ ما لا يخرج عن الظرفية إلا بدخول الجارِّ، نحو: (قبل، وبعد) فيُحكَم عليهما بعدم التصرف، مع أن (من) تدخل عليهما، إذ لم يخرجنا عن الظرفية إلا إلى حالةٍ شبيهة بها؛ لأنَّ الظرف والجارَّ والمجرور أخوان، وقد اختصَّت (من) بذلك لكونها أمَّ الباب، ولكلِّ بابٍ أم تمتازُ بخاصةٍ دون أخواتها⁽³⁾.

1 سورة مريم، من الآية 62.

2 شرح التصريح على التوضيح، الأزهرى 1/ 539.

3 شرح التصريح على التوضيح، الأزهرى 1/ 539.

والظرفُ المتصرف يردُ منصرفاً، نحو (سَحَرَ) إذا كان نكرةً، فإنه ينصرف ويتصرف، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾⁽¹⁾. ف (سَحَرَ) هنا ليس المقصود منه يوم معين، بل هو ظرف مُبهم لا يدل على سَحَرَ يوم بعينه، لذلك صُرفَ⁽²⁾.

المبحث الثاني: معنى لفظ (حين) في المعاجم وعند المفسرين

أولاً- معنى (حين) عند أهل اللغة والمعاجم:

جاء في معجم العين: والحينُ وقتٌ من الزمان، نقول: حان أن يكون ذلك يحينُ حينئذٍ، وحيثُ الشيء: جعلتُ له حيناً، والتَّحِينُ: أن تحلب الناقة في اليوم مرّة واحدة، نقول: حينها، إذا جعل لها ذلك الوقت، و(حينئذٍ) تبعيد لقولك الآن، فإذا باعدوا بين الوقت باعدوا ب (إذ)، فقالوا: حينئذٍ، خففوا الهمزة فأبدلوا ياءً فكتبوا (حينئذٍ)، والحينُ يومُ القيامة⁽³⁾.

وقال الأزهري: "والحين وقتٌ من الزمن، يقال: حان أن يكون ذلك، وهو يحين، ويجمع على الأحيان، ثم تجمع الأحيان: أحيانين. وجميع من شاهدناه من أهل اللغة يذهب إلى أن الحين اسمٌ كالوقت، يصلح لجميع الأزمان كلها، طالت أو قصرت"⁽⁴⁾.

وقال ابنُ فارس: "الحاء والياء والنون أصلٌ واحد، ثم يُحمَل عليه، والأصل: الزمان، فالحينُ: الزمان قليله وكثيره، ويقال: عاملتُ فلاناً مُحايِنَةً من الحين، وأحيئتُ

1 سورة القمر، الآية 34.

2 شرح التصريح على التوضيح، الأزهري 1/ 539، والنحو الوافي، عباس حسن 4/ 258.

3 ينظر: معجم العين، الفراهيدي، 3/ 304.

4 تهذيب اللغة، الأزهري، 2/ 191.

بالمكان: أقمْتُ به حينًا، وحاز حينٌ كذا: أي قُرب، ويقال: حَيَّنْتُ الشاةَ، إذا حَلَبْتَهَا مرة بعد مرة، ويقال حَيَّنْتُهَا: جعلت لها حينًا⁽¹⁾.

وذكر ابنُ سيده أنَّ الحين هو الدهر، والجمع أحيان، وأحيان جمع الجمع، وحان الشيء: قرب، وحانت الصلاة: دنت، وحان سنبل الزرع: يبس فأن حصاده، وأحين القوم: حان لهم ما حاولوه أو حان لهم أن يبلغوا ما أملوه، وقيل: وقتٌ من الدهر مبهمٌ لجميع الأزمان كلها طالت أو قصرت، فقد يكون سنة أو أكثر، وخصه بعضهم بشهرين، أو بستة أشهر، أو بسنتين، أو سبع سنين أو أربعين سنة، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ تُوْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾⁽²⁾: كل سنة، وقيل: كل سنة أشهر، وقيل: كل غدوة وعشية، وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾⁽³⁾، أي: حتى تنقضي المدة التي أمهلوا فيه.⁽⁴⁾

وأما المحمول على هذا، فقوله للهلاك: حَيِّنٍ، وهو من القياس؛ لأنه إذا أتى، فلا بد له من حين، فكأنه مسمًى باسم المصدر⁽⁵⁾.

وفي لسان العرب: الحين: الدهر، وقيل: وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أو قصرت، يكون سنة وأكثر من ذلك، وخص بعضهم به أربعين سنة، أو سبع سنين أو سنتين أو ستة أشهر أو شهرين والحين: الوقت، والحين: المدة، ومنه قوله تعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر ﴾⁽⁶⁾.

1 مقاييس اللغة، ابن فارس، 2/ 125، 126.

2 سورة إبراهيم، من الآية 25.

3 سورة الصافات، الآية 174.

4 ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده 3/ 446، 447، 448.

5 مقاييس اللغة، ابن فارس، 2/ 126.

6 لسان العرب، ابن منظور (حين) 13/ 133.

وفي المصباح المنير: وَحَانَتْ الصَّلَاةَ حَيْنًا بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَ(حَيْنُوتَةً): دَخَلَ وَقْتُهَا، وَالْحَيْنُ: الزَّمَانُ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، وَالْجَمْعُ: أَحْيَانٌ، وَالْحَيْنُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تُوتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ سِتَّةُ أَشْهُرٍ⁽¹⁾.

ونقل الفيومي في المصباح المنير قولاً لأبي حاتم مفاده: "قال أبو حاتم: وغلط كثير من العلماء فجعلوا (حِين) بمعنى (حيث)، والصواب أن يقال: حيثُ بالثاء المثلثة ظرف مكان، و(حِين) بالنون ظرف زمان، فيقال: قمتُ حيثُ قمتَ، أي: في الموضع الذي قمتَ فيه، واذهب حيثُ شئتَ، أي: إلى أي موضعٍ شئتَ، وأما (حِين) بالنون فيقال: قمتُ حِينَ قمتَ، أي: في ذلك الوقت، ولا يقال: حيثُ خرج الحاجُّ بالثاء المثلثة، وضابطه أن كلَّ موضعٍ حسن فيه (أَيْنَ وَأَيَّ) اختصَّ به (حَيْثُ) بالثاء، وكلَّ موضعٍ حسن فيه (إذا ولما ويوم ووقت) وما شابه، اختصَّ به (حِين) بالنون"⁽²⁾.

[وقولُهُ: وغلط كثير من العلماء فجعلوا (حِين) بمعنى (حيثُ)، أقول فيه:

ما قاله أبو حاتم ووصفه بالغلط لعله يشبه ما جاء في مختار الصحاح في باب: (ح ي ث)، حيث قال الرازي: "حَيْثُ ظرف مكان بمنزلة حين في الزمان"⁽³⁾. فهو لم يُقَلَّ إنَّ معنى (حيث) هو معنى (حين)، وإنما ذكر أنَّ (حيث) ظرف مكان بمنزلة (حين) للزمان، فكلاهما ظرف، وتطابق المنزلة بينهما إنما هي في الظرفية نفسها مع اختلاف نوع الظرف، فـ(حين) مختصة بالزمان، و(حيث) مختصة بالمكان].

1 المصباح المنير، الفيومي (ح ي ن) 1 / 85، 86.

2 المصباح المنير، الفيومي (ح ي ن) 1 / 85، 86.

3 مختار الصحاح، الرازي 1 / 167.

والذي اتَّضح بعد عرض أقوال أهل اللغة والمعاجم في معنى لفظ (حِين)، أنَّهم اختلفوا في تفسير لفظ (حِين) كما تمَّ عرضه آنفًا، إلا أنَّهم يكادون يُجمَعون على أنَّ المقصود بالحين هو الوقت، أو المدة، أو الزمن، طال أو قصر، فالأصل الواحد في هذه المادَّة (حِين) هو قطعة من الزمان المبهم المطلق من دون أن يقيَّد بقيد من زمان ماضٍ أو مستقبل أو زمان قليل أو كثير، ويتعيَّن معناه بقيود خارجيَّة وقرائن لفظيَّة أخرى.

وليتضح المراد أكثر، يلزم التفريق بين الحين والزمان والمدة:

فالزمان بمعنى مطلق ما يمتدّ من الزمان من حيث هو .

والمدة: زمان محدود مقيد بامتداد ما .

والحين: زمان محدود غير مقيد بامتداد .

فهذا المفهوم، أي قطعة محدودة من الزمان المطلق، مأخوذ في موارد استعمال كلمة الحين في القرآن الكريم، وبه يظهر لطف التعبير به، وأمَّا تعيين تلك القطعة من الزمان فبقرائن لفظيَّة، وتتضح هذه القرائن بتفسير الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ (حِين) في القرآن الكريم.

ثانيًا - آراء المفسرين في لفظ (حِين):

وردت كلمة (حِين) في القرآن الكريم في خمسٍ وثلاثين آيةً، في ثلاثٍ وعشرين سورةً، وكما اختلف أهل اللسان واللغة في تفسير لفظ (حِين)، فقد اختلف كذلك أهل التفسير القرآني في تفسيره، وتعددت آراؤهم وأقوالهم، ويمكن القول إنَّ لفظ (حِين) جاء في القرآن الكريم على تسعةٍ أوجهٍ على ما ذكره المفسرون:

الوجه الأول: ستة أشهر، ومنه تفسيرهم لقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾⁽¹⁾.

نقل الفراء عن عكرمة أنه قال: إن الحين حِينان: حين لا يوقف على حده، والحين الذي ذكره الله جل ثناؤه: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ ستة أشهر⁽²⁾.

قال الماوردي: "وفي (الحين) ها هنا ستة تأويلات:

أحدها: يعني كل سنة، قاله مجاهد؛ لأنها تحمل كل سنة. الثاني: كل ثمانية أشهر، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنها مدة الحمل ظاهراً وباطناً. الثالث: كل ستة أشهر، قاله الحسن وعكرمة؛ لأنها مدة الحمل ظاهراً. الرابع: كل أربعة أشهر، قاله سعيد بن المسيب؛ لأنها مدة يرونها من طلوعها إلى جذاذها. الخامس: كل شهرين؛ لأنها مدة صلاحها إلى جفافها. السادس: كل غدوة وعشية؛ لأنه وقت اجتنائها، قاله ابن عباس⁽³⁾."

قال فخر الدين الرازي: "واختلفوا في تفسير هذا الحين، فقال ابن عباس ستة أشهر؛ لأن بين حملها إلى صرامها ستة أشهر، جاء رجل إلى ابن عباس فقال: نذرت أن لا أكلم أخي حتى حين، فقال: الحين ستة أشهر، وتلا قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، وقال مجاهد وابن زيد: سنة؛ لأن الشجرة من العام إلى العام تحمل الثمر، وقال سعيد بن المسيب: شهران، لأن مدة إطعام النخلة شهران، وقال الزجاج: جميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهبون إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان

1 سورة إبراهيم، من الآية 25.

2 ينظر: معاني القرآن، الفراء 2/ 45.

3 النكت والعيون، الماوردي 3/ 132، 133.

كلها طالت أم قصرت، والمراد من قوله: «تَوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ»: أنه ينتفع بها في كل وقت، وفي كل ساعة ليلا، أو نهارًا، أو شتاءً، أو صيفًا⁽¹⁾.

وذكر القرطبي نقلًا عن ابن عباس وأصحاب الرأي في قوله تعالى: «تَوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» أنه ستة أشهر، وعن الأوزاعي وأبي عبيد أن الحين عندهما أيضا هو ستة أشهر، بينما الشافعي لا يرى في الحين وقتًا معلومًا، ولا يرى له غاية، فقد يكون الحين عنده مدة الدنيا، وعند أبي ثور يكون معنى الحين والزمان على ما تحتمله اللغة، فقد يقال: قد جئت من حين، ولعله لم يجيء من يوم أو نصف يوم مثلاً⁽²⁾.

بينما يرى الألوسي أن الروايات قد اختلفت عن ابن عباس، والأشهر أنه فسره بستة أشهر، ودلّل على ذلك بما نُقِلَ عنه من أنه أفتى لرجل حلف أن لا يكلم أخاه حينًا أنه لو كلمه قبل ستة أشهر حنث، وهو الذي قال به الحنفية، فقد ذكروا أن الحين والزمان سواء أكانا معرفين أو منكرين، واقعين في النفي أو في الإثبات فإن معناهما ستة أشهر؛ وعَلّلوا ذلك بأن الحين قد جاء بمعنى الساعة، وبمعنى أربعين سنة، وبمعنى الأبد، وبمعنى ستة أشهر، فعند عدم النية ينصرف إليه؛ لأنه الوسط من حيث العدد، ولأن القليل لا يقصد بالمنع لوجود الامتناع فيه عادة، أما الأربعون سنة فلا تقصد بالحلف عادة؛ لأنها في معنى الأبد، والحين لو سُكِّتَ عنه ينصرف إلى الأبدية⁽³⁾.

1 التفسير الكبير، فخر الدين الرازي 19 / 95.

2 ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 1 / 323.

3 ينظر: روح المعاني، الألوسي 13 / 214.

الوجه الثاني: منتهى الآجال، أي: الموت، أو يوم القيامة، ومنه ما فسروا به قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽¹⁾.
قال الطبري: "وأما قوله: ﴿ومتاع إلى حين﴾، فإنه يقول جل ثناؤه: "ولكم فيها متاع"، تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا، وذلك هو الحين الذي ذكره، كما حدثت عن عبيد الله بن موسى، قال، أخبرنا إسرائيل، عن السدي، عن حدثه، عن ابن عباس: ﴿ومتاع إلى حين﴾، قال: إلى يوم القيامة وإلى انقطاع الدنيا. و"الحين" نفسه: الوقت، غير أنه مجهول القدر، يدل على ذلك قول الشاعر:

وَمَا مِرَاكِبُ بَعْدَ الْحِلْمِ وَالِدِّينِ وَقَدْ عَلَاكَ مَشِيْبٌ حِينٌ لَا حِينِ

أي: وقت لا وقت⁽²⁾.

وذكر الزمخشري وابن عطية أنّ معنى الحين في هذه الآية يحتمل معنى الموت، وهذا قول من يقول إنّ المستقر هو المقام في الدنيا، ويحتمل معنى يوم القيامة، وهذا قول من يقول المستقر هو في القبور.⁽³⁾
 ونقل القرطبي عن الربيع أنّ معنى: (إلى حِينٍ): إلى أجل، والحين: الوقت البعيد⁽⁴⁾.

وهذا المعنى ينطبق على معنى حِين في الآيات الكريمة الآتية:

في سورة الأعراف: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽⁵⁾.

1 سورة البقرة، الآية 36.

2 جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري 12 / 359.

3 المحرر الوجيز، ابن عطية 1 / 113، والكشاف، الزمخشري 1 / 157.

4 ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 1 / 322_324.

5 سورة الأعراف، الآية 24.

- وفي سورة يونس: ﴿
- كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَآبَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽¹⁾.
- وفي سورة النحل: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽²⁾.
- وفي سورة الأنبياء: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽³⁾.
- وفي سورة يس: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽⁴⁾.
- وفي سورة الصافات: ﴿فَأَمَّنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽⁵⁾.
- قال السمرقندي: "قوله: ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ يعني: أبقيناهم إلى منتهى آجالهم"⁽⁶⁾.
- وفي سورة المؤمنون: ﴿فَذَرْنَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾⁽⁷⁾.
- خصَّ الزمخشري تفسير ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا بالموت أو القتل.⁽⁸⁾
- وذكر أبو حيان أنَّ معنى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يحتمل معنى: حتى ينزل بهم الموت، أو: حتى يأتي ما وعدوا به من العذاب، ويحتمل أنه يوم بدر.⁽⁹⁾
- وفي سورة (ص) في أحد أوجه تفسيرها: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾⁽¹⁰⁾

1 سورة يونس، من الآية 98.

2 سورة النحل، من الآية 80.

3 سورة الأنبياء، الآية 111.

4 سورة يس، من الآية 44.

5 سورة الصافات، من الآية 48.

6 بحر العلوم، السمرقندي 3 / 145.

7 سورة المؤمنون، من الآية 54.

8 ينظر: الكشاف، الزمخشري 3 / 193.

9 ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي 6 / 377.

10 سورة ص، الآية 88.

قال ابن كثير: "وقال قتادة في قوله _تعالى_: ﴿ وَتَعَلَّمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ قال الحسن: يا ابن آدم، عند الموت يأتيك الخبر اليقين"⁽¹⁾.

وفي سورة الزمر: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾⁽²⁾ ذكر السمرقندي نقلا عن الكلبي أن المعنى: أن الله تعالى يقبض الأنفس عند موتها، ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ فيقبض نفسها إذا نامت أيضا، ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ فلا يردها ﴿ ويرسل الأخرى ﴾ التي لم تبلغ أجلها ﴿إلى أجل مسمى﴾، يردها إلى أجلها، وقال مقاتل: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ عند أجلها والتي قضى عليها الموت فيمسكها عن الجسد، على وجه التقديم، ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ فتلك الأخرى التي أرسلها لتعود إلى الجسد إلى أجل مسمى، وعن سعيد بن جبير أن الله يقبض أنفس الأحياء والأموات، فيمسك أنفس الأموات، ويرسل أنفس الأحياء إلى أجل مسمى⁽³⁾.

وفي سورة الأنبياء: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ﴾⁽⁴⁾.

قال ابن عطية: " وقوله: ﴿ حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ﴾ ، يريد يوم القيامة"⁽⁵⁾.

وفي سورة الفرقان: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴾⁽⁶⁾.

1 تفسير ابن كثير 7 / 83.

2 سورة الزمر، الآية 42.

3 ينظر: بحر العلوم، السمرقندي 3 / 180.

4 سورة الأنبياء، الآية 39.

5 المحرر الوجيز، ابن عطية 4 / 101.

6 سورة الفرقان، الآية 42.

فسَّرَه السمرقندي بأنه يوم القيامة⁽¹⁾.

وفي سورة الزمر: «أَوْ نَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»⁽²⁾.

ومن الآيات التي احتملت في تفسيرها الموت كأحد وجهين قوله تعالى في سورة (المؤمنون):

«إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَنَرَّبَّنَا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ»⁽³⁾.

وذكر السمرقندي أنَّ المعنى: انتظروا حتى يتبين لكم أمره وصدقه من كذبه، ومنهم من قال إن المعنى: حتى يموت فتتجوا منه⁽⁴⁾.

وزاد الماوردي في تفسير هذه الآية معنى آخر غير معنى الموت، وهو: حتى يستبين جنونه⁽⁵⁾.

الوجه الثالث: الساعة، أو الساعات، أو الوقت، ومنه قوله _ تعالى _ في سورة الروم:

«فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ»⁽⁶⁾.

1 ينظر: بحر العلوم، السمرقندي 2 / 539.

2 سورة الزمر، الآية 58.

3 سورة المؤمنون، الآية 25.

4 ينظر: بحر العلوم، السمرقندي 2 / 478.

5 ينظر: النكت والعيون، الماوردي 4 / 52.

6 سورة الروم، الآيتان 17، 18.

- ذكر ابن كثير أنَّ المعنى: وقت القيلولة⁽¹⁾.
- وقال الطاهر ابن عاشور: "إشارة إلى أوقات الصلوات"⁽²⁾.
- وفي سورة النور: ﴿وَجِئَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾⁽³⁾.
- وفي سورة النحل: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾⁽⁴⁾.
- ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: فسره ابن كثير بأنه وقت رجوعها عشياً من المرعى فإنها تكون أمدهً خواصر، وأعظمه ضروعاً، وأعلاه أسنمة، ﴿وَجِئَ تَسْرَحُونَ﴾ أي: غدوة حين تبعثونها إلى المرعى⁽⁵⁾.
- وفي سورة المائدة: ﴿وَإِنْ تَسَاءَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدِ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾⁽⁶⁾.
- قال السمرقندي: "حين ينزل القرآن، يعني الوقت الذي ينزل جبريل"⁽⁷⁾.
- وفي سورة المائدة:
- ﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾⁽⁸⁾.
- وفي سورة هود: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾⁽⁹⁾.
- وفي سورة الطور: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾⁽¹⁰⁾.

1 تفسير ابن كثير، 6/ 81.

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور 65/21.

3 سورة النور، الآية 58.

4 سورة النحل، الآية 6.

5 ينظر: تفسير ابن كثير 4/ 557.

6 سورة المائدة، من الآية 101.

7 بحر العلوم، السمرقندي 1/ 443.

8 سورة المائدة، من الآية 106.

9 سورة هود، الآية 5.

10 سورة الطور، الآية 48.

قال الماوردي: «وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ»، فيه أربعة أقاويل: أحدها: أن يسبح الله إذا قام من مجلسه، قاله أبو الأحوص، ليكون تكفيراً لما أجرى في يومه. الثاني: حين تقوم من منامك، ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله، قاله حسان بن عطية. الثالث: حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر، قاله زيد بن أسلم. الرابع: أنه التسبيح في الصلاة، إذا قام إليها⁽¹⁾.

الوجه الرابع: وقتٌ مُبَهَّمٌ، أو الزمان المُطْلَقُ، ومنه تفسيرهم قوله تعالى في سورة الإنسان: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ»⁽²⁾.

ذكر الماوردي أن في معنى (حين) في هذه الآية ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه أربعون سنة مرت قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف، قاله ابن عباس، في رواية أبي صالح عنه، الثاني: أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك، الثالث: ما نُقِلَ عن ابن عباس أيضاً، وهو أن المراد هنا وقت غير مقدر وزمان غير محدود.⁽³⁾

ومثله في سورة ص: «وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»⁽⁴⁾

نقل النحاس عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية إنه يوم بدر⁽⁵⁾.

وذكر الثعالبي أنَّ الحين هنا هو القطعة من الزمان غير محدودة⁽⁶⁾.

1 النكت والعيون، الماوردي 5 / 387.

2 سورة الإنسان، الآية 1.

3 النكت والعيون، الماوردي 6 / 161.

4 سورة ص، الآية 88.

5 ينظر: معاني القرآن، النحاس 6 / 142.

6 ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي 2 / 279.

بينما نقل ابن كثير عن قتادة في هذه الآية أن المعنى: عند الموت يأتيك الخبر اليقين (1).

وقال الطاهر ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية: "وحيث كل فريق ما مضى عليه من زمن بين هذا الخطاب وبين تحقق الصدق. والحين: الزمن من ساعة إلى أربعين سنة" (2).

الوجه الخامس: أربعون سنة، ومنه قوله _تعالى_ في سورة الإنسان: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ (3).

قال القرطبي: "وقد ورد الحين في موضع آخر يراد به أكثر من ذلك لقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ قيل في التفسير: أربعون عاما" (4).

الوجه السادس: نصف النهار، ومنه قوله _تعالى_ في سورة القصص: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ (5).

قال الماوردي: "على حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فيه أربعة أقاويل:

أحدها: نصف النهار والناس قائلون، قاله ابن جبير. الثاني: ما بين المغرب والعشاء، قاله ابن عباس.

الثالث: يوم عيد لهم وهم في لهوهم، قاله الحسن. الرابع: لأنهم غفلوا عن ذكره لبعد عهدهم به، حكاه ابن عيسى (6).

1 ينظر: تفسير ابن كثير 7 / 83.

2 التحرير والتنوير، ابن عاشور 23 / 310.

3 سورة الإنسان، من الآية 1.

4 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 9 / 361.

5 سورة القصص، الآية 15.

6 النكت والعيون، الماوردي 4 / 241.

وذكر البيضاوي أن المراد: في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة، وقيل بين العشاءين⁽¹⁾.

الوجه السابع: خمس سنوات، أو سبع سنوات، ومنه قوله _تعالى_ في سورة يوسف: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنُّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾⁽²⁾. ونقل السمرقندي عن الكلبي أن المراد خمس سنين⁽³⁾.

قال الماوردي: " لَيْسَجُنُّهُ حَتَّىٰ حِينٍ، فيه ثلاثة أوجه، أحدها: إن الحين ها هنا ستة أشهر، قاله سعيد بن جببر. الثاني: أنه سبع سنين، قاله عكرمة. الثالث: أنه زمان غير محدود، قاله كثير من المفسرين"⁽⁴⁾.

الوجه الثامن: ابتداء القتال يوم بدر، ومنه قوله _تعالى_ في سورة الصافات: ﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾⁽⁵⁾، وفي السورة نفسها قوله _تعالى_: ﴿وَنَوَّلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾⁽⁶⁾، قال

وذكر الماوردي أنّ في تفسير (حين) هنا أربعة أقاويل:

أحدها: يوم بدر، قاله السدي. الثاني: فتح مكة، حكاه النقاش. الثالث: الموت، قاله قتادة. الرابع: يوم القيامة، وهو قول زيد بن أسلم⁽⁷⁾.

وخصَّه البيضاوي بموعد النصر، ويوم النصر عنده يحتمل يوم بدر، وقيل: يوم الفتح⁽¹⁾.

1 ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي 4 / 286.

2 سورة يوسف، الآية 35.

3 بحر العلوم، السمرقندي 2 / 192.

4 النكت والعيون، الماوردي 3 / 34.

5 سورة الصافات، الآية 174.

6 سورة الصافات، الآية 178.

7 النكت والعيون، الماوردي 5 / 73.

وذكر ابن كثير أنَّ معنى: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: اصبر على أذاهم لك، وانتظر إلى وقت مؤجل، فإننا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر⁽²⁾.

الوجه التاسع: ثلاثة أيام ، ومنه قوله _تعالى_ في سورة الذاريات: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾⁽³⁾.

قال البيضاوي: "﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيره قوله: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام"⁽⁴⁾.

الوجه العاشر: بمعنى الحال، نحو ما فسروا به قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾⁽⁵⁾.

وقال الماوردي: "قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه أربعة أوجه: أحدها: حين تقوم في الصلاة، قاله ابن عباس. الثاني: حين تقوم من فراشك ومجلسك، قاله الضحاك. الثالث: يعني قائماً وجالساً وعلى حالاتك كلها، قاله قتادة. الرابع: يعني حين تخلو، قاله الحسن، ويكون القيام عبارة عن الخلوة لوصوله إليها بالقيام عن ضدها"⁽⁶⁾.

ثم زاد حالاً آخر، حيث قال: "﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾: لجهاد المشركين"⁽⁷⁾. وفسره ابن عطية بأنه عبارة عن الإدراك، وأنَّ ظاهر الآية أراد قيام الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات، وهو تأويل مجاهد وقتادة⁽¹⁾.

1 ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي 5 / 31.

2 ينظر: تفسير ابن كثير 7 / 45.

3 سورة الذاريات، الآية 43.

4 أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي 5 / 240.

5 سورة الشعراء، من الآية 218.

6 النكت والعيون، الماوردي 4 / 188، 189.

7 النكت والعيون، الماوردي 4 / 189.

وخصَّه البيضاوي بوقت التهجد.(2).

وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾(3).

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ أي: في حال الفقر، وهو البأساء، وفي حال المرض والأسقام، وهو الضراء. ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ أي: في حال القتال والنقاء الأعداء، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وأبو العالية، ومُرَّة الهمداني، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، ومقاتل بن حيان، وأبو مالك، والضحاك، وغيرهم"(4).

ويُحتمل أن يكون بمعنى الوقت أيضًا، أو الساعة، فيكون من الوجه الثالث.

وفسره ابن عطية بوقت شدة القتال(5).

_ وقد جاء لفظ (حين) مسبقًا ب (لات) واقعًا خبرًا لها مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله _تعالى_: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾(6).

و(لات) هذه حرف مختصُّ بنفي الأزمان وما في معناها، قال ابن مالك في الألفية:

وما لـ لاتٍ في سوي حينٍ عملٍ

وهي مركبة من (لا) النافية زيدت عليها التاء، وهذه التاء زائدة لا تفيد تأنيبًا؛ لأنها ليست هاء، وإنما هي كزيادة التاء في قولهم: رَبَّتْ وَثُمَّتْ، والنفي بها لغير الزمان ونحوه خطأ في اللغة(7).

1 ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية 4/ 294.

2 ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي 4/ 255.

3 سورة البقرة، الآية 177.

4 تفسير ابن كثير 1/ 488.

5 ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية 1/ 230.

6 ينظر: الكشاف، الزمخشري 4/ 73.

7 ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 23/ 207.

وقد ذكر العلماء في إعراب الآية الكريمة وجوهاً، منها:

الأول: (لات) حرف مُشبه بـ (ليس)، ولا تُستعمل إلا مع الحين، واسمها مُضمر، والتقدير: وليس الحينُ حينَ مناصٍ، وهو قول الجمهور⁽¹⁾.

ومن هذا الباب كلمة (حينئذ)، إلا أنّ التتوين هنا للتعويض، والتقدير: حين إذ كان أو يكون كذلك، فالحين مضاف ومنصوب على الظرفيّة، وجملة - إذ كان- مضاف إليها، والتتوين عوض عن المحذوف، ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾⁽²⁾، أي: حين إذ بلغت الحلقوم. و(إذ) هنا للمباعدة، قال ابن منظور: "وإذا باعدوا بين الوقتين باعدوا بـ (إذ) فقالوا: حِينِيذٍ"⁽³⁾.

الخاتمة

الحمد لله أولاً، وأخيراً، وفي كل حين، الحمد له سبحانه على توفيقه، والشكر له على نعمة التمام، وفي الختام، لا يسعني إلا أن أشكر الله على هذه الفرصة التي أتاحت لي للحديث عن هذا الموضوع.

وهنا أكون قد وصلتُ إلى ختام هذا البحث بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وأتمنى أن أكون قد أحطت بموضوع البحث إحاطة تامة دون إسهاب في السرد أو إطالة، وأن أكون قد وضعت الكلمة في مكانها الصحيح. وإليكم بعض النتائج التي توصلتُ إليها، وبعض التوصيات التي رأيتُ أن أقدمها إلى القارئ الكريم.

أولاً: النتائج:

_ إنَّ (حين) لفظ واحد تتعدَّدُ معانيه بحسب ما يُضاف إليه.

1 ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام 1/ 335.

2 سورة الواقعة، من الآية 84.

3 لسان العرب، ابن منظور (حين).

_ في كل المواضع التي ذُكر فيها لفظ (حين) كان دالاً على الظرفية ولم يخرج عنها وهي معناه الأصلي، وإنما اختلف المفسرون في مقدار الوقت المقصود منه في هذه المواضع.

_ لفظ (حين) يحتمل ساعة لحظية، ويحتمل يوم الساعة الأبدية، ويحتمل حال العدم؛ ولأجل إبهامه علق الوعيد به؛ ليغلب الخوف، لاستغراق مدة العذاب نهاية الأبد فيه، ف جاء نكرة في كل المواضع التي ذُكر فيها من باب التهويل والإشارة إلى عظمة الشيء.

_ جاء لفظ (حين) مضافاً إلى المفرد في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، وهذه الإضافة تفيد التخصيص.

ثانياً: التوصيات:

1. النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ أَعْظَمُ النُّصُوصِ الَّتِي يَجِبُ الِاسْتِعَالُ عَلَيْهَا مِنْ خِلَالِ الْبَحْثِ، وَالْكَشْفُ عَلَى مَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ مَعَانٍ مُعْجِزَةٍ، بِاعْتِبَارِهِ كَلَامَ اللَّهِ الْمُعْجِزِ، وَمَرْكَزُ اِهْتِمَامِ الدَّارِسِينَ وَالْبَاحِثِينَ، بِوصفه أهم مصدر من مصادر الدراسة اللُّغوية، ومنه نستنبط معالم حياتنا اليومية، فالحياة مَعْبَرٌ زَمَنِي، وَالزَّمَنُ هُوَ الْمَحْرُكُ لِهَذِهِ الْحَيَاةِ.
2. الْبَحْثُ فِي لَفْظِ (حِينَ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْسَعُ بِكَثِيرٍ مِمَّا كَتَبْتَهُ، لِأَنِّي اِقْتَصَرْتُ فِي بَحْثِي هَذَا عَلَى دَلَالَتِهِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَرَاءِ الْمَفْسِرِينَ فِيهَا، وَلَكِنِ اللَّفْظُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ لَهُ زَوَايَا أُخْرَى لِلدَّرَاسَةِ، مِثْلًا: إِعْرَابِهِ حَالِ الْإِفْرَادِ، وَحَالِ الْإِضَافَةِ، سِوَاهُ أَكَانَتْ إِضَافَتَهُ إِلَى الْمَفْرَدِ أَوْ إِلَى الْجُمْلَةِ، وَدُخُولِ حَرْفِ الْجَرِّ عَلَيْهِ، وَإِعْرَابِهِ وَبِنَاؤِهِ، وَالشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا، وَغَيْرِهَا.

قائمة المصادر والمراجع

1. أنوار التتزيل وأسرار التأويل، المؤلف: البيضاوي، دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: 5.
2. بحث بعنوان: الكلمة القرآنية وعلماء البيان، د. فضل عباس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، السنة الثانية، العدد الرابع، ربيع الأول 1406 هـ - ديسمبر 1985م.
3. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم عباس، الناشر: دار الوطن - الرياض، السعودية، ط: 1، 1418 هـ - 1997م.
4. تفسير البحر المحيط، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، (654 هـ - 745 هـ)، تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، شارك في التحقيق د. زكريا عبد المجيد النوقي د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت 1422 هـ - 2001م، عدد الأجزاء 9.
5. تفسير التحرير والتنوير: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس (د.ت. د. ط).
6. تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل أبي الفداء عماد الدين بن كثير، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالمنصورة، أمام جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996م.
7. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (544 هـ - 604 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421 هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 32.

8. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، (د.ت. د. ط.).
9. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، (د.ت. د. ط.).
10. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، عدد الأجزاء: 4.
11. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف العلامة: أبي النشاء شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ت 1270هـ، تحقيق: أبي عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، (د.ت. د. ط.).
12. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تأليف: خالد بن عبد الله الأزهرى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م.
13. كتاب العين، المؤلف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8.
14. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1407هـ.
15. لسان العرب، المؤلف: ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: 6.

16. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان - 1413 هـ . 1993م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، عدد الأجزاء: 5.
17. المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت/ 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: دار الكتب العلمية، 2000م، بيروت، عدد الأجزاء: 11.
18. مختار الصحاح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، طبعة جديدة، 1415 هـ - 1995م، عدد الأجزاء: 1.
19. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 2.
20. معاني القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ت/ 338هـ، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهر، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة العربية، 1405هـ، 1985م.
21. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت/ 207هـ، تحقيق ومراجعة: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت. د. ط.).
22. معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، ط/ 1، 2001م.

23. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م، عدد الأجزاء: 6.
24. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، 1985م.
25. النحو الوافي، المؤلف: عباس حسن (ت/ 1398هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، عدد الأجزاء: 4.
26. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، (د.ت. د. ط).
27. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية، مصر، عدد الأجزاء: 3.

حذف نون الأفعال الخمسة في حالة الرفع

إعداد: د. عبد المولى محمد الدبار •

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، سبحانه اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.
أما بعد ...

فقد وجدت علوم اللغة العربية لخدمة كتاب الله وسنة رسوله الكريم، وأن تكون قواعد هذه اللغة متماشية مع ما جاء فيهما وفي شعر العرب، وقد اخترت موضوعًا له شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر، رغم أن قواعد اللغة لا تجيز ذلك إلا على سبيل الضرورة، وهو موضوع ((حذف نون الأفعال الخمسة في حالة الرفع)) ولكنني بعد البحث والتقصي في أركان الاحتجاج الثلاثة وجدت شواهد لهذا الحذف ليست بالكثيرة، ولكنها موجودة، ونحن نعرف أن العرب يقعدون أحيانًا للبيت المجهول القائل، فكيف بهم وقد وجدت شواهد لهذا الحذف في قراءات قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات شعرية؛ ولذلك كان هذا سبب اختياري لهذا الموضوع حتى أستطيع أن أجد في العربية ما يوافق.

الحذف في العربية من الظواهر اللغوية التي اشتهرت بها اللغة العربية، والحذف مصدر للفعل (حَدَفَ) وهو في النحو والصرف: إسقاط بعض أجزاء الكلمة أو الجملة الكاملة لسبب ما كحذف نون المثني أو جمع المذكر السالم عند

إضافتهما، أو حذفها للتخفيف كم ورد في هذا البحث من حذفها من الأفعال الخمسة في حالة الرفع، وإن كان هذا الحذف لم يرد كثير في العربية إلا أنه له شواهد. وقد تضمن البحث حذف نون الأفعال الخمسة في حالة الرفع وهو نادر ولكن وجدت له شواهد في بعض القراءات القرآنية، وفي الحديث الشريف، وأشعار العرب، وتطرق في أيضاً لحذف النون الواجب وذلك عند اتصال الأفعال الخمسة بنون التوكيد الثقيلة، وكذلك الحذف الجائر وذلك عند اتصالها بنون الوقاية، وقد وردت عليها قراءات قرآنية صحيحة بالإدغام والفاء والحذف لغرض التخفيف.

أهمية البحث:

1- تعلق الموضوع بالحديث الشريف باعتباره أحد الأركان الأساسية لوضع قواعد اللغة.

2- لم أجد دراسة مستقلة لهذا الموضوع إلا ما هو موجود في طيات كتب اللغة، حيث تناولته معظم الكتب اللغوية في ثنايا موضوعات أخرى، وقد حاولت جمع شتات هذا الموضوع وما تعلق به من آراء.

وسوف انتهج المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بجمع الشواهد عليه وجمع الآراء التي سوف تتعلق بالموضوع.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة، أما المقدمة فذكرت فيها أهمية البحث، والمنهج المتبع فيه أما الدراسات السابقة فلم أجد فيما بين يدي من مصادر أي بحث خص هذا الموضوع ببحث مستقل، ثم جاء الفصل الأول الذي خصصته لدراسة الأفعال الخمسة وما يتعلق بها من أحكام بشيء مختصر لوجود ذلك مفصلاً في كتب النحو، أما الفصل الثاني فذكرت فيه الشواهد التي ورد فيها حذف النون من الأفعال الخمسة في حالة الرفع، وكانت هذه الشواهد من بعض القراءات القرآنية، والحديث الشريف، والشعر العربي، ثم الخاتمة التي ذكرت فيها بعض النتائج والتوصيات.

الفصل الأول - الأفعال الخمسة

كل فعل مضارع اتصلت به ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة.

لماذا سميت الأفعال الخمسة بهذا الاسم؟

سميت بالأفعال الخمسة؛ لأن الفعل المضارع إذا اتصل بألف الاثنين فسيكون، إما للغائبين (يفعلان)، أو الحاضرين الاثنين (تفعلان)، وإذا اتصل بواو الجماعة فسيكون، إما لجماعة الغائبين (يفعلون)، أو جماعة الحاضرين (تفعلون)، وإذا اتصل بياء المخاطبة فلا يكون إلا للواحدة المخاطبة (تفعلين)، فإذا عددنا هذه الأمثلة وجدناها خمسة، ولهذا أطلق عليها اسم الأفعال الخمسة.

أحكام نون الأفعال الخمسة:

1- عند اتصال الأفعال الخمسة بألف الاثنين فإن النون تكسر لمشابتها لنون المثني، مثل: رجالن.

2- وعند اتصالها بواو الجماعة وياء المخاطبة فإن النون تفتح لمشابتها بنون جمع المذكر السالم، مثل: كاتبون.

3- عند دخول نون التوكيد الثقيلة على الفعل المضارع صحيح الآخر المتصل بألف الاثنين فإن نون الرفع تحذف منه، مثل الفعل: (لتعلمان)، ويعرب: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي النونات، وألف الاثنين ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والنون المشددة حرف مبني على الكسر لا محل له من الإعراب، وإذا كان الفعل المضارع معتل الآخر ردت اللام إلى أصلها مع تحريكها بالفتحة مثل: لترميان.

والسؤال هنا كيف يجتمع ساكنان، الألف ونون التوكيد ولا يحذف أحدهما؟
والجواب: أن العربية تجمع بين الساكنين إذا كان الأول حرف الألف والثاني حرف
مشدد مثل: ﴿وَلَا تَكْفُرْ﴾⁽¹⁾، و(دَابَّة) وأمثالهما⁽²⁾.

وقال الأزهري: "لم يجز حذف الألف لئلا يلتبس بالواحد، ولا تحريكها؛
لأنها لا تقبل الحركة، ولم يجز حذف النون لفوات المقصود منها، فحركت النون
بالكسر تشبيهاً بنون التنثية الواقعة بعد الألف"⁽³⁾.

4- عند دخول نون التوكيد الثقيلة على الفعل المضارع صحيح الآخر
المتصل بواو الجماعة، فإنها تحذف منه نون الرفع، والضمير (واو الجماعة)
لالتقاء الساكنين، هما: واو الجماعة، والنون الساكنة الأولى من نون التوكيد، مثل
الفعل (يكتنبن) ويعرب: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون المحذوفة لالتقاءها
مع نون التوكيد، وواو الجماعة المحذوف لالتقائه مع نون التوكيد ضمير متصل
مبني على السكون في محل رفع فاعل، والنون المشددة حرف مبني على الكسر لا
محل له من الإعراب، أما إذا كان معتل الآخر بالواو أو بالياء فإنه تحذف لأمه
عند إسناده إلى واو الجماعة مثل: (تدعو) يصبح: تدعون على وزن تفعون، وعند
توكيده تحذف نون الرفع وواو الجماعة لالتقاء الساكنين يصبح: لتدعُن، أما إذا كان

1. سورة الفاتحة من الآية: 7.

2. ينظر التطبيق النحوي والصرفي لبعده الراجحي: 60/2.

3. شرح التصريح على التوضيح: 53/1، وينظر الكتاب: 519/3.

معتل الآخر بالألف، فإنه بعد التوكيد تكون لامه محذوفة قبل التوكيد، ثم تحذف نون الرفع، ويجب تحريك واو الجماعة بالضممة، ولا تحذف الواو مثل: لتسعون⁽¹⁾.

5- عند دخول نون التوكيد الثقيلة على الفعل المضارع صحيح الآخر المتصل بياء المخاطبة، فإنها تحذف منه نون الرفع، والضمير المتصل ويكسر ما قبلها ليدل عليها، مثل: لتكثبن⁽²⁾، وإذا كان معتل الآخر بالواو أو بالياء تحذف لامه ونون الرفع وياء المخاطبة، ويبقى ما قبلها مكسورًا مثل: لتدعين⁽³⁾، أمّا إذا كان معتلاً بالألف فتحذف لامه، وتبقى الياء وتحرك بالكسر، ويبقى ما قبلها مفتوحًا، مثل: لتسعين⁽²⁾.

6- عند دخول نون التوكيد الثقيلة على الفعل المضارع صحيح الآخر، والمعتل الآخر المتصل نون النسوة، فإنه لا يحذف منه شيء مثل: أنتن تكتبن⁽³⁾، فتلتقي ثلاث نونات ولا يمكن الاستغناء على إحداها؛ لأنه ليس هناك دليل على الحذف، فيجعل بينهما ألف وتحرك نون التوكيد بالكسر فتصبح هكذا: لتكتبن⁽³⁾، ولتدعون⁽³⁾.

الفصل الثاني - حذف نون المضارع المرفوع

إن اللغة العربية تتعرض في وقتنا الحاضر إلى دعاوى هدامة لغرض النيل منها، والتي منها التحريض على الكتابة بالعامية، وترك الفصحى؛ وذلك لصعوبتها وصعوبة النطق بها، ومنها وصفها بالصعوبة والتعقيد، وقد تناسوا أنها لغة الاختصار، وقمة البلاغة فيها الوصول إلى المراد بأقل العبارات، وقد تكلم الدكتور

1. ينظر جامع الدروس العربية: 166/2.

2. ينظر التمهيد في النحو والصرف: 39.

3. ينظر التطبيق النحوي والصرفي لعبده الراجحي: 62/2.

عبد الجواد حسين عبد الرحمن البابا في بحث له حول هذا الموضوع، وهو الاختصار في العربية أوجز منه بعض النقاط، والتي منها⁽¹⁾:

أنه باستقراء المعاجم اللغوية نجد أن أكثر الكلمات المستعملة في اللغة العربية هي الأسماء الثلاثية والأفعال الثلاثية، أما الرباعية والخماسية، فهي قليلة مقارنة بالثلاثية؛ وذلك بسبب أنه كلما قل عدد أحرف الكلمة زاد عددها وكثر استعمالها، وعلل ذلك بأن خفة الكلمات الثلاثية ناتجة من أن الحرف الأول يبتدأ به، والثاني يستراح عليه، والثالث ينتهي به.

ومن مظاهر التخفيف في العربية الترخيم في النداء، وهو: حذف آخر الاسم في النداء طلباً للتخفيف والتلميح، ونحن نعرف أنه من شروط الترخيم ألا يقل الاسم المراد ترخيمه عن أربعة أحرف، فيحذف منه حرف إذا كانت الكلمة على أربعة أحرف، ويحذف حرفان إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف، أما الثلاثية فإن كانت لمذكر فلا يصح ترخيم العلم الخالي من تاء التأنيث مطلقاً مثل: سعد، وأما إن كانت مؤنثة فيحذف منها حرف لغرض التخفيف والتلميح، وهذا خاص بالمؤنثة؛ لأن التأنيث يحتاج إلى مزيد من التلميح والتخفيف، وتقول في فتاة اسمها (هبة) نداء ترخيم: (يا هب) بالفتح أو بالضم⁽²⁾.

وأيضاً من مظاهر الحذف في اللغة العربية حذف الحرف الواحد كحذف نون المثني والجمع عند الإضافة؛ وذلك طلباً للتخفيف، وكذلك حذف الحرفين -

1. ينظر ميل اللغة العربية إلى التخفيف، د. عبد الجواد حسين عبد الرحمن البابا بحث في مجلة

الفصل العدد 153، ص: 47، وما بعدها.

2. ينظر النحو الوافي: 103/4، 104.

وذلك كما ورد سابقاً في هذا البحث من حذف نون الرفع والضمير المتصل بعد توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد الثقيلة، وهذا الحذف واجب - وهناك حذف جائز لغرض التخفيف كراهة توالي نونين زائدتين، وذلك عند اتصال نون الوقاية بالأفعال الخمسة، نحو قولك: الصديقان يكرمائي، والأصدقاء يكرموني، وأنت تكرميني، والتقدير: يكرمانني، ويكرموني، وتكرميني، ويجوز فيها حذف إحدى النونين للتخفيف، فنقول: يكرماني، ويكرموني، وتكرميني، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِعِبَادِهَا الْجَاهِلُونَ ﴾⁽¹⁾، فقد قرأ الجمهور ﴿ تَأْمُرُونَ ﴾ بإدغام النون في نون الوقاية وسكون الياء، واختاره مكي، وقال: "والاختيار تشديد النون؛ لأن الأكثر عليه، ولأنه أخف من الإظهار، ولأنه وجه الإعراب"⁽²⁾، وقرأ ابن كثير بالإدغام وفتح الياء، والأصل فيه (تأمروني) النون الأولى علامة الرفع والثانية مع الياء في موضع نصب، ثم أدغمت الأولى في الثانية فصار (تأمرني)، وقرأ ابن عامر وابن ذكوان (تأمروني) بنونين على الأصل، فلم يدغم ولم يحذف، والحجة إجماع الجميع على إظهار النون في قوله تعالى ﴿ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾⁽³⁾، فردّ ما اختلف فيه إلى ما أجمع عليه، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن ذكوان (تأمرني) بنون واحدة خفيفة مفتوحة، وحذف واحدة منهما⁽⁴⁾، وفي تعيين المحذوف من النونين خلاف فقيل: المحذوفة هي نون الوقاية⁽⁵⁾، واختير حذفها لأنها هي التي حصل بها

1. سورة الزمر من الآية: 64.

2. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: 343/2.

3. سورة الأعراف من الآية: 150.

4. ينظر الرياض الناضرة في توجيه القراءات العشر المتواترة: 630.

5. ينظر شرح الكافية الشافية لابن مالك: 208/1.

التكرار، وقيل: المحذوفة الأولى وهي نون الرفع، وهو مذهب سيبويه⁽¹⁾، واختير حذفها؛ لأنها حرف إعراب عرضة للتغيير، وهذا الحذف الغرض منه التخفيف⁽²⁾.

قال ابن مالك: "فلو حُذِفَ نون الوقاية، وأبقي نون الرفع لتعرض بذلك إلى حذف نون الرفع عند دخول الجازم والناصب، وإذا حُذِفَ نون الرفع لم يعرض لنون الوقاية ما يقتضي حذفها، وحذف ما لا يحوج إلى حذف أولى من حذف ما يحوج إلى حذف"⁽³⁾.

ومن حذف إحدى النونين ما جاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ نُسِدُوا بِهِمُ النَّعُورُ، وَيُبْقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قِضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: انْتَهُمُ فَحْيُوهُمْ، فَنَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سَكَّانُ سَمَائِكَ وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ أَفْتَأْمُرْنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنَسَلِمَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَنُسِدُوا بِهِمُ النَّعُورُ، وَيُبْقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا

1. ينظر الكتاب: 519/3. ونصه: "وإذا كان فعل الجميع مرفوعاً، ثم أدخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع، ... فحذفوها إذ كانت تحذف، وهم في ذا الموضع أشد استنقلاً للنونات، وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا، بلغنا أن بعض الفقهاء قرأ: (أتحاجوني)، وكان يقرأ: (فيم تبشرون).

2. ينظر الشامل في القراءات العشر: 526، 527.

3. شرح الكافية الشافية لابن مالك: 109/1.

يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾⁽¹⁾.

قال: يعبدوني، والأصل يعبدونني، حذف إحدى النونين تخفيفاً؛ ولا يوجد سبب لحذفها⁽²⁾.

ومن أنواع حذف النون لغرض التخفيف حذفها من الأفعال الخمسة في حالة الرفع، وقد جاء هذا الحذف في مصادر اللغة الثلاثة القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي وسوف أبدأ بالحديث الشريف لكثرة ورود هذا الحذف فيه ثم الشعر وأخيراً أورد بعض القراءات القرآنية التي جاءت على هذا الحذف.

أولاً- الحديث الشريف

نحن نعلم أن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - خير من نطق بالعربية، ومن فصاحته أنه تكلم بألفاظ لم تُسمع من العرب قبله، وهو أفصح الناس على الإطلاق.

الحديث الأول:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلَا أَدَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"⁽³⁾.

1. مسند أحمد رقم الحديث (6570): 131/11، ومسند الصحابة في الكتب التسعة: 71/32، سورة الرعد الآية: 24.

2. ينظر إعراب الحديث النبوي للعكبري: 291

3. ينظر سنن ابن ماجه: 47/1، وسنن أبي داود: 771/2، ومسند الإمام أحمد رقم الحديث (1430): 43/3.

في الحديث حذف نون الرفع من (لَا تَدْخُلُوا) ومن (وَلَا تُؤْمِنُوا) مع كون الفعلين مرفوعين و(لا) نافية ولا يوجد ناصب ولا جازم.

الحديث الثاني:

عن مسروق، قال دخلنا على عائشة - رضي الله عنها - وعندها حسان بن ثابت، ينشدها شعراً يشيب بأبيات له، وقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزِنُ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ عَرَى مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ⁽¹⁾

فقلت له عائشة: لكنك لست كذلك، قال مسروق: فقلت لها: لِمَ تَأَذَّنِي له أن يدخل عليك، وقد قال الله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، فقلت: وأي عذاب أشد من العمى؟ قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -⁽³⁾.

في الحديث حذف نون الرفع من (لِمَ تَأَذَّنِي) دون وجود ناصب ولا جازم والأصل: تأذنين.

الحديث الثالث:

ومن شواهد حذف النون ما جاء في حديث قتلى بدر:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: "يَا أَبَا جَهْلٍ بَنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بَنَ خَلْفٍ، يَا عُنْبَةَ بَنَ

1. البيت من بحر الطويل، وهو في ديوانه: 190.

2. سورة النور من الآية: 11.

3. ينظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: 789/1، وقوله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ ليس المقصود حسان، وإنما هو عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وقول عائشة: "أنه كان ينافح عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -"، فيروى أن عائشة كانت تكره أن يسب عندها حسان، وتقول: أنه هو الذي قال:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرِضِي لِعَرِضٍ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُونَ وَأَتَى يُجِيبُوا وَقَدْ جِئُوا؟ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَفِدُرُونَ أَنْ يُجِيبُوا"، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلْبِ بَدْرِ (1).

والشاهد فيه: فقد حذف النون من الفعل المضارع المرفوع المتصل بواو الجماعة من قوله: (يسمعوا - يجيبوا) وهي لغة صحيحة، وإن كانت قليلة الاستعمال.

الحديث الرابع:

ومن ذلك أيضًا ما ورد عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَبْعُنَا، فَتَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَمَا يَقْرُونَا، فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ: "إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ، فَأَقْبِلُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ" (2).

فقال: (فلا يقرونا) بدون نون .

الحديث الخامس:

ومنه أيضًا أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَزْهَرِ، وَالْمَسُورَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالُوا: افْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنَّا جَمِيعًا، وَسَلِّهَا عَنِ الرِّكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَقُلْ: أَخْبِرْنَا أَنَّكَ تُصَلِّيهِمَا، وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَهَى عَنْهَا (3).

الشاهد فيه: (تصلييهما) حيث حذف نون الرفع تخفيفًا.

1. صحيح مسلم، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار: 2203/4.

2. صحيح مسلم، باب الضيافة ونحوها: 1353/3. سنن ابن ماجه: 1212/2.

3. مستخرج أبي عوانة رقم الحديث (1140): 320/1.

ثانياً - الشعر العربي

من المقرر لدى النحويين أن الأفعال الخمسة ترفع بثبوت النون، وتنصب وتجرم بحذفها، وأما حذفها من دون ناصب ولا جازم فقد اختلف العلماء فيه، ففريق يرى أنه يجوز حذفها للتخفيف في الضرورة، وهذا ظاهر كلام ابن جني في الخصائص⁽¹⁾، قال: سألت أبا علي - رحمه الله - عن قوله:

أَبَيْتُ أُسْرِي وَتَيْبَتِي تَدْلُكِي وَجَهَكَ بِالْغَنْبِرِ وَالْمِسْكَ الذُّكِي⁽²⁾

فقال: فحضنا فيه، واستقر الأمر فيه على أنه حذف النون من (تبيبتين)، كما حذف الحركة للضرورة في قوله:

فَالْيَوْمَ أَشْرِبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٍ⁽³⁾

وحذف الحركة للتخفيف عند ابن عصفور جائز سماعاً وقياساً فقال: "أما القياس فإن النحويين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الإعراب للإدغام، لا يخالف في ذلك أحد منهم، وقد قرأتُ القراء (مالكٌ لا تأمناً) بالإدغام، وخطَّ في المصحف بنون واحدة، فلم ينكر ذلك أحد من النحويين، فكما جاز ذهابها للإدغام فكذلك ينبغي أن لا ينكر ذهابها للتخفيف"⁽⁴⁾.

1. ينظر الخصائص: 388/1.

2. البيت من الرجز، وقال البغدادي في الخزانة: (342/8) "وهذا البيت لم أقف على قائله"، وينظر الدر المصون: 828/1.

3. البيت من بحر السريع، وهو لامرئ القيس في ديوانه: 134، وفي الكتاب: 204/4، واللباب: 247/1، وضرائر الشعر: 94، والشاهد فيه: (أشرب) حيث سكن (الباء) وهي لام الفعل من غير جازم للضرورة الشعرية.

4. ضرائر الشعر: 96.

وذكر أيضاً بعض القراءات القرآنية التي خففت فيها الحركة بحذفها، كقراءة مسلمة بن محارب: ﴿وَيَقُولُونَ أَحَقُّ بِرَبِّهِمْ﴾⁽¹⁾، ساكنة التاء⁽²⁾، وكذلك قراءة أبو الحسن ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾⁽³⁾، بسكون الدال، للتخفيف، وفراراً من الكسر والضم وكثرة الحركات⁽⁴⁾.

وسبب هذا الحذف كراهية تفضيل النائب عن المنوب عنه، وبيان ذلك أن النون نائية عن الضمة، والضممة قد حذفت لمجرد التخفيف كقراءة أبي عمرو، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁵⁾، بسكون الراء بدل الضم في ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾⁽⁶⁾، بسكون الراء بدل الضم في ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَحْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾⁽⁷⁾، بسكون الراء بدل الضم في ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾.

قال⁽⁸⁾: كذا وجهته معه، فقال لي: فكيف تصنع بقوله: (تدلكي)؟ قلت: نجعله بدلاً من (تبيتي) أو حالاً فنحذف النون، كما حذفها من الأول في الموضوعين، فاطمأن الأمر على هذا، وقد يجوز أن يكون (تبيتي) في موضع النصب بإضمار (أن) في غير الجواب، كما جاء بيت الأعشى:

1. سورة البقرة من الآية: 228.

2. المحتسب: 121/1.

3. سورة النساء من الآية: 120.

4. ينظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري: 98.

5. سورة الأنعام من الآية: 109. ينظر البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: 108.

6. سورة البقرة من الآية: 67. ينظر المستنير لابن سوار: 211.

7. سورة آل عمران من الآية: 160. ينظر المستنير لابن سوار: 211.

8. ينظر الخصائص: 388/1.

لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ويأوي إليها المستجير فيعضما⁽¹⁾

وفريق يرى أنه يقع في الشعر والكلام نادر، وهو ظاهر كلام ابن عصفور في كتاب الضرائر⁽²⁾.

ومن حذف النون في الشعر قول أيمن بن خريم:

وإذ يغضبوا الناس أموالهم إذا ملكوهم ولم يغضبوا⁽³⁾

ومنه قول الشاعر:

فإن يك قوم سرهم ما صنعتم ستحتلبوها لإحاً غير باهل⁽⁴⁾

يريد: فستحتلبونها، قال السمين الحلبي: "ولا يجوز أن يتوهم في هذا البيت أن يكون حذف النون لأجل جواب الشرط، لأن الفاء مرادةً وجوباً، لعدم صلاحية (ستحتلبوها) جواباً لاقترانته بحرف التنفيس"⁽⁵⁾.

وفي البيت شاهد آخر وهو حذف النون من الفعل (يكُ).

وقول الآخر:

أبيت أسري وتببتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

ألا ترى أن النون قد حذف من (يغضبون)، و(تبيبتين) و(تدلكين) بغير ناصب ولا جازم كما فعل بالحركة في (اشرب).

1. البيت من بحر الطويل وهو لطرفة في العمدة في محاسن الشعر وآدابه: 205/1، والشاهد فيه:

نصب بالفاء على الجواب بإضمار (أن)، ونسب البيت للأعشى في خزنة الأدب: 341/7.

2. ينظر 109 وما بعدها.

3. البيت من بحر المتقارب، وهو له في خزنة الأدب: 341/8.

4. البيت من بحر الطويل، وهو لأبي طالب في ديوانه: 191.

5. الدر المصون في علم الكتاب المكنون: 828/1.

ثالثاً - القرآن الكريم

من ذلك ما ورد في بعض القراءات القرآنية كقراءة الحسن⁽¹⁾ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾⁽²⁾، ﴿يَدْعُوا﴾ بالياء، ورفع ﴿كُلُّ﴾ على أنه بدل من الضمير الواو، قال السمين الحلبي: "إن الأصل: يُدْعَوْنَ فَحُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ، كَمَا حُذِفَتْ فِي قَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا"، وقول الشاعر:

أَبَيْتٌ أَسْرِيٌّ وَتَبَيْتِي تَدْلِكِي وَجَهْكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ الذِّكِّي

و(كلُّ) مرفوعٌ بالبدل من الواو التي هي ضميرٌ، أو بالفاعلية والواو علامة على لغةٍ (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةً)⁽³⁾.

ومنه قراءة محبوب عن الحسن، ويحيى بن الحارث الذماري، وأبو حيوة، وأبو خالد عن اليزيدي: (تَظَاهَرَا) بالتاء، وتشديد الظاء لقوله تعالى: ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾⁽⁴⁾؛ وذلك أنه مضارع حذفته منه النون⁽⁵⁾.

ومنه قراءة عبيد بن عمير (تلبسوا) و(تكنموا) على حذف النون من قوله تعالى: ﴿يَتَاهَلُّ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁶⁾، وقد خرّجت هذه القراءة على أن (لِمَ) تعمل عمل (لَمَ) الجازمة، ولكن هذا التخريج بعيد، والأقرب منه "فليكن مما حذف فيه نون الرفع تخفيفاً حيث لا مقتضى لحذفها"⁽¹⁾.

1. ينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 123/2.

2. سورة الإسراء من الآية: 71.

3. الدر المصون: 390/7، والحديث في صحيح مسلم باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافضة عليهما رقم الحديث (1464) : 113/2.

4. سورة القصص من الآية: 48.

5. ينظر تفسير البحر المحيط: 118/7، والدر المصون: 828/1.

6. سورة آل عمران الآية: 71.

فهذه شواهد حذفت فيها نون الرفع تخفيفاً، وكذلك إذا اتصل بهذه النون نون الوقاية جاز حذفها تخفيفاً وإدغامها في نون الوقاية والفك، ولكن هل يجوز القياس عليها؟ القليل من العلماء من صرح بذلك في السعة، وابن مالك الذي قرر أنه ورد في صحيح فصيح الكلام نثرًا وشعرًا لم يصرح بالقياس، ولا يلزم من الفصاحة صحة القياس عليه.

إن حذف نون الرفع ليس خطأ وليس نادرًا ولا يخل بفصاحة الكلام، ولكن لا يحسن الكلام عليه.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. فبعد هذا الجهد المتواضع، والذي اسميته (حذف نون الأفعال الخمسة في حالة الرفع) والذي لخصت فيه جزءًا قليلًا فيما تعلق بحذف النون من الأفعال الخمسة، منها ما هو واجب كحذفها عند اتصال نون التوكيد الثقيلة بالفعل المضارع، وما هو جائز عند دخول نون الوقاية على الفعل، أو حذف جائز لغرض التخفيف، وهو موضوع هذا البحث، توصلت إلى النتائج الآتية:

- 1- إن التخفيف ظاهرة موجودة في العربية.
- 2- إن الحذف قد وجد في اللغة العربية في الحركة الأصلية للرفع وهي الضمة لا لسبب إلا التخفيف، والأولى أن يكون في العلامة الفرعية، وهي ثبوت النون.
- 3- هناك عدة شواهد لهذا الحذف ذُكرت في البحث من قراءات قرآنية وأحاديث نبوية، وأبيات شعرية.

ويوصي الباحث بدراسة مثل هذه الظواهر الموجودة في العربية، وتبيين وتوضيح أحكامها حتى لا يلتبس على المتعلمين مثل هذه الأحكام، كما يوصي الباحث تكملة ما نقص من هذا البحث، فالكمال لله وحده.

وفي نهاية البحث أرجو أن أكون قد وفقت في جمع شتات هذه المسألة اللغوية، ولا أستطيع أن أقول إنه بحث شامل ويتصف بالكمال؛ لأن كل عمل ابن آدم ناقص، ويحتاج إلى المزيد ليصل إلى مستوى من العلم والمعرفة.

قائمة المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 1- إتحاف الفضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تأليف أحمد بن محمد بن عبد الغني البنا الدمياطي، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، د/ط، 2009م.
- 2- إعراب الحديث النبوي، أملاه أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1986م.
- 3- إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، وعبد الغفور خليل، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، سنة 2009م.
- 4- الدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُرى، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- 5- التطبيق النحوي والصرفي، الدكتور عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2012م.
- 6- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشاركهما الدكتور زكريا عبد المجيد النوقي، والدكتور أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، د/ط، 2001م.
- 7- التمهيد في النحو والصرف، تأليف: د. محمد مصطفى رضوان، ود. عبد الله درويش، ود. محمد التونجي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط4، 1987م.

- 8- جامع الدروس العربية، للشيخ مصطفى غلاييني، راجعه ونقحه: د. عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، بيروت، ط18، 1986م.
- 9- خزانة الأدب ولب لباب العرب، لعبد القادر البغدادي، قدم له ووضع فهرسه: محمد نبيل طريقي، إشراف: أميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- 10- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- 11- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف أحمد يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د/ط، د/ت.
- 12- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، صنعة أبي هفان المهزومي البصري، وصنعة علي بن حمزة البصري التيمي، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2000م.
- 13- ديوان امرئ القيس ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 2004م.
- 14- ديوان حسان بن ثابت شرحه وكتب هوامشه قدم له الأستاذ عبداً مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م.
- 15- الرياض الناضرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، تأليف أحمد بن محمد كمال بن سليمان دخان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط2، 2016م.
- 16- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت

- 17- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د/ط، د/ت.
- 18- الشامل في القراءات العشر لغة وتفسيراً وأسراً، للدكتور عبد الله محمد منصور، دار الرفاعي، ودار القلم العربي، حلب، ط2، 2009م.
- 19- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، وهو شرح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تحقيق: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
- 20- شرح الكافية الشافية، لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
- 21- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 22- ضرائر الشعر، لابن عصفور الأشبيلي، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.
- 23- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.
- 24- الكتاب كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
- 25- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، د/ط، سنة 2007م.

26- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

27- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، د/ط، 1999م.

28- مستخرج أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائني، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1998م.

29- المستنير في القراءات العشر، لأبي طاهر بن سوار، إعداد الشيخ: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، د/ط، د/ت.

30- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط2، 1420 هـ، 1999م.

31- مسند الصحابة في الكتب التسعة (المصدر المكتبة الشاملة).

32- النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط7، د/ت.

البحوث العلمية:

* ميل اللغة العربية إلى التخفيف، د. عبد الجواد حسين عبد الرحمن البابا بحث في مجلة الفيصل العدد 153.

جوانب من العلاقات الثقافية والاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة

في العصر الإسلامي

إعداد: شريفه عبدالرزاق الشريف*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين :

انتشر الإسلام بين السكان في بلاد المغرب منذ سنة 21هـ وحكمت أقاليم بلاد المغرب حكومات إسلامية حاولت كل منها نشر مبادئ الإسلام وقيمه وتحفيظ القرآن الكريم وتدبر آياته وتعليم اللغة العربية لسكان بلاد المغرب، واستمر ذلك خلال العصر الإسلامي وكان ذلك حتى في ظل اختلاف الحكومات ايدولوجيا وعرقيا، ورأت بعض المجتمعات في بلاد المغرب التي ترتبط مع الأخرى بروابط جغرافية أو مذهبية أو عرقية أنها بحاجة إلى التواصل المكثف لتوطيد العلاقات وتعميقها بهدف نشر الفقه الإسلامي بين تلك المجتمعات من جيل إلى آخر.

وبما أن ليبيا تشترك جغرافيًا من الجهة الشمالية الغربية مع جنوب تونس بسواحل وسهول وسلاسل جبال وأراضي شاسعة وهضاب تمتد بين البلدين فيما يسمى بالمغرب الأدنى، نتج عن ذلك التقارب الجغرافي والاقليمي والمذهبي حركة تواصل كبيرة ودؤوية بين سكان مدن وقرى البلدين التي تتوزع على امتداد تلك

* عضو هيئة التدريس بتدريس بقسم التاريخ كلية الآداب - جامعة سيها.

الجبال والهضاب، متجاوزة البحر لتقيم جسراً من العلاقات بين مدن جبل نفوسة⁽¹⁾ مع مدن جزيرة جربة المجاورة، وقد تميز هذا التواصل بينهما بعلاقات مميزة وقوية على مر العصور لاسيما في العصر الإسلامي، حيث تميزت العلاقات بالعمق والتوازن في حالات الهدوء والاستقرار السياسي بالمنطقة، وكانت هذه العلاقات تحركها دوافع كثيرة، ركزنا على بعض الجوانب منها في هذه الدراسة، فكانت أهمها الدوافع الثقافية لطلب العلم والتطور الفكري أو التبحر في علوم الدين، كذلك الدوافع الاجتماعية كالرحلات والهجرة وظروف القحط ناهيك عن رحلات الحج المشتركة التي تجعل رجال ونساء المنطقة في رفقة واحدة منذ خروج الراكب من جبل نفوسة إلى حين عودته والتي كانت تستغرق شهوراً طويلة، ومن هذا المنطلق وسمنا هذا البحث بوسم جوانب من العلاقات الثقافية والاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة في العصر الإسلامي.

أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة في البحث عن تاريخ ليبيا الإسلامي المنسي وخاصة تاريخ جبل نفوسة الذي تمثل ظهور المدارس فيه خلال العصر الإسلامي لحظات فاصلة في التاريخ الثقافي والتعليمي في ليبيا عامةً وغربها خاصةً بعد انتشار الإسلام واللغة العربية بين البربر.
- زد على ذلك التعرف على دور الإسلام في التطور الثقافي والاجتماعي بين المجتمعات المتجاورة وخاصة بلدان الدراسة.
- المساهمة في إثراء النقاش العلمي حول موضوع الدراسة.

(¹) جبل نفوسة جبل عال منيف فيه منبران لمدينتين تسمى أحدهما شروس وتقع بوسط الجبل، ومدينة جادوا من ناحية نفراوة وفيها منبر وجامع والجبل، ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص94.

أهمية الدراسة:

تكمن الأهمية في أن الدراسات الحديثة في هذا الجانب قليلة وهذه الدراسة تسلط الضوء لتبين تاريخ منطقة هامة من ليبيا، وتركز على علاقاتها الثقافية والاجتماعية مع مدن الجوار وتطورها خلال العصر الإسلامي، تحت كل الظروف سواء فترات السلم والحرب أو فترات الرخاء والقحط لتصل إلى نتائج تلك الصلات ودرجة تعمقها بين الطرفين.

وتكمن أهمية الدراسة أيضاً في الوقوف على الجهود التي كانت مبذولة من سكان الجبل وسكان جربة في الحرص على هذه الأنواع من العلاقات التي تزيد من أواصر الترابط والألفة ونشر الثقافة والعلوم.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن عمق العلاقات الثقافية والاجتماعية بين مدن الجوار جبل نفوسة وجزيرة جربة لتؤكد دور الإسلام في تحسين هذه العلاقات وتطورها وتعمقها وتوطيدها بين المسلمين بكافة مظاهر التعاون المختلفة كما تكشف عن تطور تلك العلاقات وأثارها على البلدين من خلال الاجابة على تساؤلات الدراسة.

كما تسعى الدراسة الى استكمال الصورة القريبة من الدقة عن تلك العلاقات من خلال التدقيق وتحليل الروايات التي أوردتها المصادر وسرد تفاصيل وقائعها.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة مخصصة تناولت العلاقات الثقافية أو الاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة وأغلب الدراسات تناولت الأوضاع السياسية في منطقة المغرب الأدنى وبلاد المغرب كافة.

وهناك دراسات لمحت أو تطرقت للحياة العلمية بجبل نفوسة مثل دراسة ل محمود حسين، عن الحياة العلمية في جبل نفوسة، هذه الدراسة لم تغط الجوانب التي سنتناولها في دراستنا هذه، خاصة جانب العلاقات الثقافية والاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة، بل خصصت تلك الدراسات لتناول اهتمام أهل الجبل بالتعليم فقط.

كما توجد دراسات لبعض المستشرقين تناولت طبيعة الجبل وجغرافيته، والسكان، وفقه المذاهب من الناحية الايديولوجية، والسياسية مثال: جغرافية جبل نفوسة، لديبورا، موجود بصيغة وورد على الشبكة، وهذه الجوانب بعيدة عن ما سنتناوله في هذه الدراسة.

اشكالية الدراسة:

مما لا شك فيه أن الإسلام بعد دخوله لبلاد المغرب الأدنى طبع العلاقات بين سكانه بسمات خاصة، تكمن اشكالية الدراسة في عدم معرفة طبيعة هذه العلاقات بين مدن الجوار (جبل نفوسة وجزيرة جربة) ومستواها، وعدم وضوح العوامل التي ساعدت على توطيد تلك العلاقات الثقافية منها والاجتماعية في العصر الإسلامي، وعدم بروز مظاهر هذه العلاقات وأنواعها وأثارها، مما يستدعي البحث والتقصي للوقوف على قوة العلاقات وترابطها بين الجبل والجزيرة خلال العصر الإسلامي.

التساؤلات:

انطلقت الدراسة من تساؤلات عدة حاولنا الإجابة عليها:

ماهي اشكال الترابط الثقافي والعلمي بين الجانبين؟ ما العوامل الرئيسية التي ساعدت على عمق العلاقات الثقافية والاجتماعية وقوتها بين مدن جبل نفوسة

وجزيرة جربة؟ ماهي دوافع التواصل الاجتماعي بين سكان الجبل والجزيرة خلال العصر الإسلامي؟ وماهي أشكال التعاون وأنماطه التي وطدت العلاقات الاجتماعية بين الجبل والجزيرة؟ وما دور الإسلام في العلاقات بين الجبل والجزيرة من الناحية الثقافية والاجتماعية؟

منهج الدراسة:

لا يمكن فهم طبيعة العلاقات الثقافية والاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة إلا على ضوء عدة مناهج تعين الباحثة على حل تلك المشكلات وتجييب على تلك التساؤلات فاعتمدت على المنهج السردى لسرد المعلومات والمنهج الاستنباطي بهدف الوصول الى احكام منطقية والمنهج التحليلي الذي يركز على تحليل الأحداث والوقائع التاريخية المنتقاة في سياق علمي سليم وربطها في وحدة متكاملة.

مجال الدراسة يتضمن الأتي:

المجال الزمني: العصر الإسلامي من نهاية القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري.

المجال الجغرافي: غرب ليبيا (اقليم طرابلس وجبل نفوسة شرقاً) والجنوب التونسي وجزيرة جربة غرباً.

قامت هذه الدراسة على محاور تضمنت عدة عناصر :

تمهيد: للتعريف بالمنطقتين محور الدراسة: جبل نفوسة بليبيا وجزيرة جربة بتونس من حيث الموقع والمدن وطبيعة السكان والوضع السياسي في المغرب الأدنى خلال العصور الإسلامية.

ومبحثين:

المبحث الأول: العلاقات الثقافية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة.

تضمن هذا المبحث عدة عناصر: المدارس واقسامها الداخلية كعامل ازدهار للعلاقات الثقافية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة، الرحلات العلمية المنظمة كجسر للتواصل بين علماء جبل نفوسة وجزيرة جربة، التأليف ونسخ الكتب وتبادل المصنفات بين جبل نفوسة والجزيرة ، تبادل الفتوى والمناظرات والزيارات العلمية والمراسلات.

المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة.

تضمن هذا المبحث عدة عناصر: العوامل التي اسهمت في خلق مناخ ملائم للعلاقات الاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة، ظروف المحن والقحط ودورها في توطيد العلاقات الاجتماعية بين الجبل والجزيرة، البعد الاجتماعي لركب الحج بين الجبل والجزيرة، من مظاهر النشاط الاجتماعي الهجرات والمصاهرات بين الجبل والجزيرة.

وخاتمة ونتائج وتوصيات

تمهيد:

جبل نفوسة وجزيرة جربة (الموقع، المدن، السكان)

قبل البدء في الحديث عن العلاقات الثقافية والاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة علينا أن نحدد جغرافية موقع المنطقتين من بلاد المغرب الأدنى، فجبل نفوسة: هو عبارة عن مرتفعات جبلية تقع في الشمال الغربي لليبيا تحيط بمنطقة طرابلس الساحلية من جهة الجنوب الغربي على شكل هلال وتفصلها عن اقليم فزان من جهة الجنوب، وجبل نفوسة هو جزء من سلسلة جبال اطلس التي تمتد من المغرب الأدنى إلى المحيط الأطلسي، ويدخل طرف جبل نفوسة بالبحر⁽¹⁾، وسمى هذا الجبل

(1) الحميري، الروض المعطار، ص76.

بنفوسة نسبة إلى أكبر قبائل البربر في المغرب الأدنى وهي نفوسة التي تقطنه، والجبل واسع وحصين، ووعر المسالك، وكثير الزروع⁽¹⁾، وهو موطن البربر ومحل اقامتهم الدائمة وممتلكاتهم الخاصة وبعد استقرار مجموعات من العرب منذ الفتح الاسلامي شاركوا البربر في سكناه⁽²⁾.

تنتشر على هذا الجبل مدن وقرى كثيرة حول مصادر المياه فعلى ضفة وادي لالوت تقع مدينة تغيت، وإلى الشمال منها بلدة تاغرويت التي تتميز بكثرة العيون، وإلى الجنوب منها تقع قرية تكوت المعروفة بكثرة نخيلها، وإلى الشرق من تغيت تنتشر مجموعة من القرى أشهرها تالات وتيركت، وعلى ضفاف وادي اكرين تقع مجموعة من القرى ومدينة كاباو وإلى الشرق منها تقع بلدة فرسطاء وإلى شمالها تقع بلدة قنطارة ، وعلى ضفاف وادي شروس تقع أهم حواضر الجبل وهي مدينة شروس التي فتحها عمر بن العاص سنة 22هـ⁽³⁾ وإلى الغرب منها تقع العديد من القرى والمدن أشهرها مدينة تدميرة التي اشتهرت بالعلم، وإلى الغرب منها تقع مدينة تملوشايت التي كانت تنازع مدينة شروس وتنافسها، وإلى الغرب من تملوشايت تقع قرية تمصمص وطمزين⁽⁴⁾.

ويلي لالوت غربًا مدينة وازن وهي الحد الفاصل بين الدولتين غرب ليبيا وجنوب تونس، وعلى الضفة الغربية من الوادي شروس تقع مدينة تلات، وعلى الغرب منها تقع مدينة تنومات⁽⁵⁾.

(1) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص115، انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص279.

(2) الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية ، ص97.

(3) الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية ، ص97.

(4) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ، ص398.

(5) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ، ص401.

وعلى الضفة الغربية لوادي الزرقاء تقع مدينة ارجان وإلى الشمال منها تقع مدينة نفوسة مركز الحكم في الجبل، وإلى الشمال الشرقي منها تقع مدينة طرميسة⁽¹⁾، بالإضافة إلى العديد من القرى المتناثرة ذات الأحياء المنفصلة والتي تتوزع بين وديان الجبل.

أما جزيرة جربة: فهي إحدى الجزر التونسية الصغيرة التي تقع على السواحل الجنوبية للبحر المتوسط جنوب شرق تونس عند خليج قابس، بينها وبين البر نحو ميل⁽²⁾، اطلق الفينيقيين على هذه الجزيرة اسم جربة، وهي ذات أرض منبسطة قليلة المرتفعات تمتاز بموقع تجاري يربط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب⁽³⁾، أرضها اشبه بالهضبة تتحدر برفق ناحية الشمال الشرقي⁽⁴⁾.

أما بالنسبة للسكان، فسكان جربة الأصليون هم البربر من قبائل افار و لماية و زواغة و هواره وكتامة ولواتة التي من بطونها بنو مكى الذين حكموا طرابلس والجزيرة في القرن السابع الهجري، وسكان الجبل أيضاً قبائل من البربر وهم من نسل "مازيغ بن كنعان، وينقسمون إلى قسمين: البتر(البدو) والبرانس(الحضر)، ويتفرع كل قسم إلى عدة قبائل، فقبائل البتر هي: أداسة ونفوسة وضريسة، وبنو لواء الأكبر، أما قبائل البرانس فهي: مصمودة وأورية وعجيسة، وكتامة وصنهاجة، وأوريغة⁽⁵⁾، ويذكر ابن خلدون أن نفوسة نزلت في مدينة صيرة⁽⁶⁾، بالإضافة إلى العرب الذين تشير بعض الدراسات لوجودهم منذ عصور قديمة في الشمال الأفريقي

(1) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص408، 412، 413.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص158.

(3) سالم بن يعقوب، جزيرة جربة مدارسها العلمية، ص30.

(4) سالم بن يعقوب، جزيرة جربة مدارسها العلمية، ص30.

(5) انظر بن خلدون، المبتدأ والخبر، ج6، ص149، وما بعدها.

(6) ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج2، ص573.

وتحديداً بعد حلول الجفاف وقلة الأمطار في شبه الجزيرة العربية فهاجر العرب منذ قديم الزمان عبر مضيق باب المندب من اليمن نحو مناطق أكثر أمناً وتتوفر فيها المياه، فاتجهوا إلى المنطقة الممتدة غرب النيل وحتى المحيط الأطلسي⁽¹⁾ وبعد الفتح الإسلامي انتشر العرب بشكل كبير في المدن والأقاليم المفتوحة، وتذكر المصادر "زحف إلى افريقية في عهد الخليفة عثمان بن عفان عشرون ألفاً من الصحابة وكبار العرب"⁽²⁾ فشكّلوا هؤلاء مع البربر خليطاً لسكان شمال افريقيا بعد الفتح الإسلامي.

تتكون جزيرة جربة من مدن كثيرة أهمها حومة الحشان، وحومة جعبيرة، وحومة قلاله وحومة، سدويكش، وحومة ورسيعن وحومة صدغيان وغيرها من الحومات والمدن، وقد دخل الإسلام جزيرة جربة سنة 46هـ بعد أن دخلها رويغ بن ثابت⁽³⁾ عن طريق البر من جنوب تونس ما يقابل جهة القنطرة حيث توجد مدينة مينانكس على الساحل الداخلي⁽⁴⁾.

ومن خلال تحديد موقع الطرفين (الجبل والجزيرة) تظهر الأسس الهامة التي وطدت الصلات بينهما كوجود الطرق التي تربط بين الطرفين بدون حلقات وصل أخرى، والتي اسهب الجغرافيون في ذكرها وتفصيل مراحلها القصيرة والميسرة، مثال ما ذكره الإدريسي بالخصوص أن كل مدن هذه البلدان كشروس بجبل نفوسة ومدن جزيرة جربة تتقارب في مقاديرها وصفاتها وفي متاجرها وأسواقها⁽⁵⁾.

(1) سالم محمد الهريشي، المكونات الاجتماعية للمجتمع الليبي، ص 133.

(2) ابن خلدون المبتدأ والخبر، ج 4، ص 236.

(3) التيجاني، رحلته، ص 124.

(4) سالم بن يعقوب، جزيرة جربة مدارسها العلمية، ص 30.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص 279.

الوضع السياسي في المغرب الأدنى خلال العصور الإسلامية

بعد الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا وبلاد المغرب خضعت المنطقة للخلافة الأموية في دمشق بتعيين ولاية على ولاية إفريقية، ولكن في أواخر القرن الأول الهجري انتشرت المذاهب المختلفة بين البربر خاصة المذهب الإباضي بجبل نفوسة في غرب ليبيا وبلاد المغرب الأوسط وجنوب تونس، وخضع الجبل وجزيرة جربة إلى الدولة الرستمية التي قامت في المغرب الأوسط منتصف القرن الثاني الهجري إلى أن سقطت على يد الدولة الفاطمية الشيعية التي بذلت جهداً في القضاء على المذاهب الأخرى بالمغرب،، فكان للأسس السياسية دوراً في توطيد الصلات في بعض الفترات بين الطرفين الجبل والجزيرة عندما أسست الدولة الرستمية في تاهرت وضمت إليها الطرفين فأصبح كل طرف وطناً للآخر، بتوحد الرؤى السياسية، وهذه الصلة شجعت على قوة التواصل الثقافي والاجتماعي في تلك الفترة، وبعد سقوطها وتأسيس الدولة الفاطمية حاول سكان الجبل الاستقلال بالجبل وحكمه ذاتياً، كما سيطرت دولة المرابطين على بلاد المغرب وحاولت مد نفوذها إلى طرابلس والجبل والأقاليم الجنوبية وجزيرة جربة ثم سيطرت دولة الموحيدين على بلاد المغرب من برقة إلى المحيط الأطلسي ومع كل هذه الحكومات كانت مدن الجبل وبعض مدن الجزيرة تحاول التنصل من التبعية لتلك الدول وحكم هذه المدن ذاتياً من قبل المشائخ والفقهاء.

أولاً: العلاقات الثقافية بين جبل نفوسة في ليبيا وجزيرة جربة:

بما أن المدن بين البلدين متجاورة ومتقاربة، فالحركة بينها بالكاد تكون طبيعية خاصة أنه لم تكن هناك عوائق تعيق التنقل بين تلك المدن، مع انتشار القبائل وتوزعها بين تلك القرى والمدن، وبالتالي فإن استمرار العلاقات وكثافتها في بعض

القرون تعود لظروف معينة كرحلات العلم المتبادلة بين طلاب الجبل والجزيرة ومن جهة أخرى فإن اهتمام علماء جبل نفوسة وجزيرة جربة بالعلم والتعليم خاصة العلوم الدينية والشرعية وتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره وتعلم اللغة العربية وفروعها طور تلك العلاقات وجعلها تأخذ اتجاهين متبادلين بين الطرفين ولكن أكثر الرحلات كانت تسير في اتجاه الجبل من الجزيرة.

المدارس كعامل ازدهار للعلاقات الثقافية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة:

لقد كانت الحركة العلمية في هذه الفترة مرتبطة بانتشار الإسلام في المنطقة وكان علماء ومشائخ الجبل يحفظون طلابهم لدراسة اللغة العربية وفروعها لان لغة السكان كانت قبل الإسلام هي اللغة البربرية، فيذكر أن أبا عمران بن موسى وهو أحد مشائخ الجبل قال مراراً في مجالس العلم: (من تعلم حرفاً من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع وتعلم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة ومن حمل كتاباً إلى بلد لم يكن فيه ذلك الكتاب فكأنما حمل ألف حمل دقيقاً، وتصدق بها على أهل ذلك البلد)⁽¹⁾، فكانت دائماً مثل تلك العبارات عامل مشجع على طلب العلم ودراسة اللغة العربية ونشرها بين طبقات المجتمع في الجبل، وبما أن المسجد كان يجمع المسلمين في أوقات متفرقة من اليوم لإقامة الصلوات استغل المشائخ أوقات ما بين الصلوات للتعليم فأخذوا يحفظون على طلب العلم وفضله، وبعد مرور الوقت تطورت تلك الحلقات التي تدار في المسجد، فأنشأوا المدارس كملاحق بجانب دور العبادة (المساجد والجوامع) التي عقدوا فيها الحلقات العلمية لنشر العلم بين الأهالي ولتشجيعهم على طلبه. وكان يلتقى الطلاب في تلك المدارس بمعلميهم من الأشيخ للاستزادة في الدين والفقہ والعلم والمناقشة وتدارس علوم القرآن وحفظه، ومن أهم

(1) الشماخي، السير، ج2، ص73، الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص411.

تلك المساجد في جبل نفوسة: مسجد أبو عبيدة عبد الحميد الجانوني الذي عاش في القرن الثالث الهجري وأسهم في الحركة العلمية والثقافية بالجبل.

وفي البداية كان التوافد على هذه الحلقات من مدن الجبل وقراه فقط، ومن شدة الازدحام على تلك الحلقات قد لا يجد طالب العلم من القرى المجاورة مكاناً يقيم فيه لحضور تلك الحلقات، فهذا يحيى الفرستائي أحد رواد تلك الحلقات من فرسطاء لم يجد له منزلاً ليقوم فيه كطالب في مدينة شروس التي تقع فيها المدرسة، فاضطر إلى العودة لقريته⁽¹⁾، وتعتبر مدينة شروس من أكبر مدن الجبل مما يشير إلى الازدحام الكبير لطلاب العلم الوافدين من الجبل للدراسة فيها.

الأقسام الداخلية:

من هنا جاءت فكرة انشاء الأقسام الداخلية ورافقها بالمدارس لإيواء طلاب العلم من خارج الجبل، وبالتأكيد كان لهذا التطور في مجال العلم وإقامة الأقسام الداخلية للطلاب الغريب دور في استقطاب طلاب العلم من الجبل وخارجه. ولابد من الإشارة إلى أن تأسيس هذه الأقسام كان من مساهمات الأغنياء والمشائخ للإنفاق عليها وعلى الطلبة، ومن البديهي أن هذا التطور زاد أولاً في أعداد طلاب العلم الوافدين على هذه المدارس من داخل الجبل، ثم الطلاب الوافدين من خارج الجبل، ومن أمثلة هذه المدارس التي كانت تحتوى على أقسام داخلية للطلبة الغريب بالجبل:

مدرسة سليمان بن ماطوس (ع:ق3هـ) بمدينة شروس⁽²⁾ وهي مدرسة خاصة يدير حلقتها سليمان بنفسه، ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن أغلب المشائخ المقتردين يسارعوا في فتح حلقات للدراسة بجانب المساجد ويقوموا بإدارتها بأنفسهم، وكان سليمان بن

(¹) يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص.335.

(²) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص.335.

ماطوس معلماً ومربيًا وسيرته مضرب للأمثال، ويعد من العلماء الذين نجوا بعد معركة مانو سنة 283هـ^(*)، التي قتل فيها عدد كبير من علماء جبل نفوسة، وهكذا كان لهذا الشيخ جهود كبيرة في نشاط الحركة الثقافية بالجبل وربط جسور التواصل بين مدن وقرى الجبل واستقطاب طلاب العلم في القرن الثالث الهجري.

ومن العلماء الذين فتحوا حلقات وكفلوا الطلاب النفوسي أبو عبدالله محمد بن سليمان الذي كان يعلم طلبته وينفق عليهم بل كان يكسيهم من ماله وكان إذا أقبل الشتاء اشترى لهم أكسية جديدة فيها دفء، فإذا أقبل الصيف اشترى لهم أكسية خفيفة يرسم الصيف، ويدخر الأخرى للشتاء وربما باعها بالثمن الذي اشتراها به ويخرج لهم كل يوم ما يقيم طعامهم وإدامهم، وكان يفرق الدنانير على العزابة في شروس⁽¹⁾، ومنهم أيضًا الشيخ أبو سهل البشر بن محمد النفوسي الذي كان يعطى لعزابته صرائر الدراهم من زكاة ماله⁽²⁾، وكان عيسى بن عيسى الطراميسي أيضًا يرسل إلى يخلف الفرسطائي برغورة يطلب منه الزكاة التي ينفقها على الطلبة والتلاميذ⁽³⁾، واستخلاصًا لما سبق يلاحظ أن ظاهرة الانفاق على الأقسام الداخلية وطلاب الحلقات وكفالتهم كانت جزءًا من تسهيل أمور المعيشة والإقامة للوافدين باتجاه الجبل، وبطبيعة الحال هذا كان مشجعًا لطلاب مدن الجوار في تقوية هذه الرابطة العلمية والعلاقات الثقافية بين مدن المجال، واصبحت المدارس واقسامها جسرًا ثقافيًا بين المدن المجاورة للجبل خلال العصور الإسلامية.

ولابد من التأكيد هنا على أن انشاء المدارس بالجبل قد استمر وتوالى بعدما اشتد الازدحام أكثر وتوافد الطلاب على تلك المدرسة من داخل الجبل وخارجه، ومن تلك

(*)انظر: ابو زكريا، سير الائمة واخبارهم، ص252.

(¹) الدرجيني ، طبقات المشائخ، ج2، ص417.

(²)البغطوري، روايات الاشياخ، ص322.

(³)الشماخي، السير، ج2، ص190.

المدارس التي كانت مركزًا لاستقطاب طلاب مدن الجوار وبالأخص طلاب جزيرة جربة في القرن الرابع الهجري مدرسة "أبان بن وسيم" بجبل نفوسة التي تخرج منها أبو محمد عبدالله بالخير⁽¹⁾، واجتهد أبان في العلم حتى صار من أفضل أهل زمانه علمًا⁽²⁾، وجلس للتدريس والفتوى في الجبل للرجال والنساء⁽³⁾، حيث أنه لم يكتف بالمدرسة بل كان يقيم حلقات للذكر خاصة بالنساء⁽⁴⁾.

وفي القرن السابع الهجري قام أبو يحيى زكريا بن ابراهيم الباروني (ع:ق7هـ) والذي يعد موسوعة علمية في كل مجالات العلوم، بإنشاء مدرسة خاصة بالجبل كان ينفق على أقسامها الداخلية من ماله وعلى طلابه الذين يتراوح عددهم بين الخمسين والمائة⁽⁵⁾.

ومن الملاحظ أن بعض العلماء في الجبل قد جمعوا بين مهنتي التجارة والتعليم، مما جعلهم يسهمون في النفقة على طلاب العلم، ومن هؤلاء التاجر المعلم "ابن معروف ويدرن" الذي أسس مدرسة له في شروس⁽⁶⁾، كذلك التاجر المعلم "أبو هارون موسى بن يونس الجاللي النفوسي" الذي جمع بين غزارة العلم ووفرة المال، وأسس مدرسة خاصة أيضًا، وأرقفها بقسم داخلي للطلاب من خارج الجبل، وخصص لها ميزانية من ماله حيث تتكفل المدرسة بإيواء العديد من الطلبة البعداء⁽⁷⁾ وقد تخرج من مدرسته اعداد أكثر من أن يحصيها العدد.

(1) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ج2، ص230

(2) البغطوري، روايات الاشيخ، ص239، الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص249، 250.

(3) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ج2، ص231

(4) انظر: البغطوري، روايات الاشيخ، ص243، الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص247.

(5) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ج2، ص265

(6) البغطوري، روايات الاشيخ، ص219، الوسياني، ج1، ص243..

(7) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ج2، ص240

وتتميز علماء نفوسة بالمواظبة على الدروس في الحل والترحال فكان بعض المشائخ يعتمدون على نظام التنقل والسفر لقضاء امورهم الخاصة فيضطروا لاصحاب طلابهم معهم للتعليم بين القرى ومدن الجوار، وهذا يعد من مظاهر الرغبة القوية في نهل العلم والاهتمام بالتعليم والتنقيف في جبل نفوسة، مما جعل حلقات العلم لا تتقطع مع كل الظروف، ومن أمثلة ذلك: كان الشيخ ابو ميمون بن احمد الجيطالي(ت:283هـ) عندما خطر بباله أن ينظر في التزويج من بلد غير بلده، فمضى ومضى معه تلامذته وهم متمادون على دراستهم واجتهادهم ولم يغتروا في مقام، ولا في رحيل فتزوج أبو ميمون وابنتى بامراته والتلامذة مواظبين على درسهم عاكفين على عزمهم⁽¹⁾، وهذا مما يفسر وجود "مقابر في اغلب مدن وقرى نفوسة تنسب للغرباء"⁽²⁾، وكذلك كان يفعل أبو النجاة يونس التملوشايتي حيث كان يطوف بطلبته في جبل نفوسة غاديا ورائحا يذكر ويوعظ ويأمر وينهى وقيل رجع مرة إلى بلده على سبعة أعوام وقيل أقام بيفرن عامًا متقللاً بين مدن الجبل⁽³⁾، وكان المستقبلون في تلك المدن يقومون بواجب الضيافة فيذكر ان الشيخ ايوب الجيطالي كان يدير حلقة في الجبل فوفد عليه طلبة غرباء فنأدى في المسجد من يخدمهم فقال بعض الاغنياء من الجبل: نحن نخدمهم⁽⁴⁾، فلم يكن بغريب على أهل نفوسة اكرام الضيف خاصة طلبة العلم الغرباء.

وبعض العلماء انقطعوا في سلك التعليم وحرموا انفسهم من الدنيا فهذا عيسى بن عيسى الطراميسي(ع:ق8هـ)، لم يتزوج قط لاشتغاله بالعلم وانشأ هو الآخر مدرسة

(1)الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص295، البغطوري، روايات الاشياخ، ص156.

(2)محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة، ص139.

(3) الشماخي، السير، ج2، ص195.

(4) الشماخي، السير، ج2، ص201.

خاصة في قرية طرميسة لطلابه واشرف عليها بنفسه وتولى مهمة التدريس أيضاً في مدرسة أبي يزيد المزغورتي بعدما لاحظ الاهمال والتدهور فيها⁽¹⁾، وربما كان ذلك بعد وفاة مؤسسها.

وبما لا يدع مجالاً للشك، فإن جزيرة جربة لم تكن أقل من الجبل في الاهتمام بإنشاء المدارس وبناء المساجد لإدارة حلقات العلم فيها واستقبال الطلاب الوافدين والعلماء من الجبل والجنوب التونسي وجبل دمز في أقسام داخلية تتبع تلك المدارس، فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت أول مدرسة أسست بجزيرة جربة لأبي مسور يسجا، بدأ بنائها في القرن الثالث الهجري بحومة الحشان وأتمها ابنه فصيل في القرن الرابع الهجري وتسمى بالجامع الكبير، دام نشاطها العلمي عدة قرون كان لها شأن تعليمي بالغ الأهمية حيث كانت تستقطب الطلاب من الجبل وميزاب بالجزائر، وكان ابنه أبو زكريا فصيل ينفق على طلابه في الأقسام الداخلية ويجعل الدراهم في القراطيس والصرر ثم يعلقها في الواح التلاميذ وهم لا يشعرون فلم مات انقطعت عنهم⁽²⁾ فعرفوا أنه صاحبها، وأيضاً تأتي مدرسة وادي الزبيب في حومة جعبيرة في المرتبة الثانية لمدارس جربة العلمية والهامة والتي بنيت في بداية القرن الثامن الهجري اشترك في بنائها أهل البر والإحسان وأشرف على الأشغال الشيخ محمد بن أحمد الصديغاني وكان أول المدرسين بها الشيخ "يعيش بن موسى الزواغي الجربي"⁽³⁾.

وهكذا ضرب مشائخ الجبل وجزيرة جربة اسهمهم في العلم والثقافة فكانوا مثلاً للصبر والكفاح والاجتهاد والمثابرة والعتاء وكانت هذه المؤسسات أساساً لنشر

(1) الشماخي، السير، ج2، ص193.

(2) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص363، سالم بن يعقوب، تاريخ جزيرة ج، ص91.

(3) سعيد الباروني، الحركة العلمية والفكرية بجزيرة جربة عبر التاريخ، ص7

الثقافة وتبادل العلوم والاهتمام بتعليم العامة وتثقيفهم، واستقبال الطلاب من كل صوب في اقسام مخصصة لهذا الغرض، والاحتفاظ بالعلم في كتب ومخطوطات ومؤلفات للأجيال.

الرحلات العلمية المنظمة جسراً للتواصل بين علماء جبل نفوسة وجزيرة جربة

ولا مناص من القول أن جزيرة جربة ارتبطت بالأقاليم المجاورة لها بالرحلات سواء كانت رحلات علمية بحثه أو تجارية أو دعوية أو رحلات عرضية زادت من التقارب بينها وبين جبل نفوسة تحديداً، ولاسيما التواصل الثقافي الذي ساهم في خلق مناخ علمي مشترك بين البلدين المتجاورين حيث شد طلابها ومشائخها الرحال إلى جبل نفوسة والعكس، لما في تلك الرحلات من لقاء بمشائخ العلم وتحصيل علمي راسخ واكتساب لخبرات وعلوم مختلفة بالإضافة إلى طلب (الاجازة) وهي: الإذن بممارسة المهنة والتعليم، وعادة تمنح في جميع مجالات العلم وتعتبر شهادة أو كفاءة تأهيل للقيام بالتعليم، وربما الفكرة من وراء ذلك هي توحيد المنهج التعليمي بين الجبل والجزيرة، لذلك نجد الطلاب يتوجهون إلى اقرب المراكز الثقافية والحواضر العلمية في الجبل والجزيرة لمنحهم هذه الرخصة، وقد أشرنا إلى دور المدارس وأقسامها الداخلية في استقطاب الطلاب في كلا البلدين حيث كانت عاملاً مشجعاً على هذه الرحلات.

ناهيك عن ما تحدثت عنه المصادر والسير التاريخية من ظهور شخصيات علمية وفقهية كانت تنصدر المشهد الثقافي والعلمي في الجبل والجزيرة مثلت روح التواصل بين الجانبين، وكان لعلماء الجبل حظوة ومكانة علمية أكبر في نفوس أهل جربة لدورهم الكبير في توجيه الطلبة إلى دراسة الفقه والاهتمام بعلمه من عبادات ومعاملات، مما جعل طلاب العلم يرتحلون من جربة إلى الجبل لنهل العلم من مركزه في صورة عكست لنا مدى عمق التواصل الفكري والثقافي والعلمي بين

مدن الجبل والجزيرة، وهكذا أصبحت الرحلة في طلب العلم من أقوى العلاقات بين الجانبين حيث ضاعفت النشاط والتواصل الثقافي رغم التجزئة السياسية في الاقليمين المتجاورين في بعض الفترات.

ومن أمثلة البعثات العلمية ممن قصدوا الجبل من جزيرة جربة لحضور حلقات العلم على سبيل الذكر لا الحصر أبو زكريا فصيل الذي اجتهد في طلب العلم من نفوسة ثم كر عائداً إلى جربة⁽¹⁾ بعد أن اكمل جدولته المنظم على مدار سنوات إلى أن وصل إلى المرحلة الأخيرة الإجازة بشهادة شيوخه، وتوجه إلى الجبل أيضاً من علماء جربة يسجا بن يوجين اليهراسني ويكر بن قاسم اليهراسني اللذان أقاما في مدينة شروش واصبحا تلميذان يتعلمان عند أبي معروف ويدرن بن جواد⁽²⁾. ولم تكن مدة الدراسة فترة قصيرة بل كانت تأخذ وقتاً طويلاً يصل إلى عشرات السنوات تتخللها مراحل كثيرة حتى يصبح الطالب عالماً بالعلوم، فتذكر المصادر أنهما أخذتا يعرضان ما درساه على أبي الربيع سليمان بن ماطوس النفوسي⁽³⁾، وهذه مرحلة من مراحل العلم في الجبل يأخذ الطلاب العلم من شيخ ويعرضون ما درسوه على شيخ آخر لكي تتم لهم الإجازة بالعلم، والمرحلة الثالثة هي المراجعة والتصحيح، فيذكر الشماخي أنهما أخذتا في تصحيح ما تعلماه ونظراه على ابن ماطوس فصحاه في ستة أشهر، وبعد ثماني عشرة سنة⁽⁴⁾ من التعليم في مدرسة أبي معروف بالجبل

(1) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص160.

(2) أبو زكريا، سير الائمة، ص252.

(3) الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص294، علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ج2، ص238.

(4) الشماخي، السير، ج2، ص32، ص235، محمود حسين، كتاب الحياة العلمية في جبل نفوسة، ص538.

رجعا إلى أهاليهما بجرية⁽¹⁾، وكان يسجا بن يوجين أول من عاد إلى جربة من طلاب العلم المبتعثين للدراسة بجبل نفوسة، وخلال هذه الفترة قاما كليهما بنسخ العديد من الكتب.

ومن طلاب العلم الذين شدوا الرحال في سبيل العلم إلى الجبل: الجربي ويسلان بن يعقوب المزاتي الدجمي (الدجي) الذي درس على يد مشائخ جربة ثم عزم على المسير والارتحال إلى جبل نفوسة مركز العلم في تلك الفترة لتصحيح العلوم حيث أراد العلو لأعلى المراتب في التعليم فعرض ما درسه للإجازة على مشائخ الجبل، ووصل إلى الجبل بعد أن استأذن والدته، فجعل يقرأ العلم حتى حفظ في الفقه كتبًا كثيرة⁽²⁾، ومن شدة انشغال الطلاب بالعلم وهمتهم العالية في طلبه فانهم ينقطعون عن أهاليهم وهذه ضريبة من ضرائب رحلات العلم، فتذكر المصادر أن ويسلان كان في أثناء هذه المدة إذا وصله كتاب من أهله رمى به في الكوة لا يقرأه، حتى قضى وطره من علم الفروع وتحقق له مراده، وعقد النية على الرجوع إلى أهله، فقرأ الكتب وعرف منها أن والدته توفت ولم يعلم بوفاتها وهو بعيد عنها وكانت أقامته بينهم في الجبل سبع سنين⁽³⁾، وهكذا كانوا لا يكفون جهدًا في سبيل العلم ومد جسور الثقافة والتواصل خلال العصور الإسلامية بين الجانبين.

بعد الإجازة والعودة إلى بلدانهم يصبحون مشائخ وعلماء ويقوم كل منهم بإنشاء مدرسة ومسجد لنشر ما تعلمه في مدينته، مما ساهم في تطور وإثراء النهضة العلمية بالجزيرة وهذا الأخير أصبح معلمًا وشيخًا في جربة يقصده أهل الجزيرة والجنوب التونسي وأهل نفوسة أيضًا، ومن تلامذته النفوسيين أبي الربيع سليمان بن

(¹) الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص295.

(²) الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص781.

(³) البغطوري، روايات الأشياخ، ص377.

يخلف المزاتي النفوسي الذي تلقى العلم في الجبل أولاً على يد أبو عبدالله محمد بن بكر النفوسي تم انتقال إلى جزيرة جربة لاستكمال تعليمه على يد أبي محمد ويسلان بن يعقوب الدجمي الذي عقد حلقة لأصول الدين وهناك بجربة وفد إليه الطلبة من كل ناحية⁽¹⁾، ونتيجة تخصيص الحلقات في مختلف العلوم هو ما جعل الطلاب يتوافدون على العالم المختص للعلم الذي يرغبه في أي مكان لتكملة الدراسة، ولا يتوقفون عن الدروس إلا بعد وصولهم إلى درجة عالية من الفقه والتفقه.

وبالتأكيد كانت هناك رحلات علمية عكس السابقة، فقد ارتحل من طلاب الجبل الذين قصدوا جزيرة جربة طلباً للعلوم المختصة عند مشائخ معينين، طالب العلم عبدالله بن مانوج الذي درس في الجزيرة على يد المشائخ يسجا وأبو صالح وأبو موسى عيسى بن السمح، فمكث عندهم في الجزيرة فترة من الزمن، ثم عاد لأهله، وكانوا يختبرون علمهم بمعرفة بعض المسائل، فعندما سؤل عبدالله في مسألة ولم يعرف جوابها عاد إلى الجزيرة ومكث عندهم ما امكن للدراسة، ثم عاد لأهله، ودخل في الاختبار الذي يحدد كفايته من العلم والدراسة، فلقبه شيخ فسأله سؤالاً لم يعرف اجابته، فرجع الثالثة إلى المشائخ في جربة ومكث عندهم ما شاء الله يقرأ العلم حتى تفقه⁽²⁾، وهكذا كان الطالب يتحمل أعباء السفر والترحال من أجل الوصول لأعلى درجات الفقه والعلم دون ملل أو كلل، وممن قصد جربة للتعلم أيضاً من الجبل أبو سليمان داود التلاتي النفوسي الذي قال: قدمت من نفوسة إلى جربة وقرأت بها عند الفقيه أبي القاسم يونس السدوسكي⁽³⁾.

(1) أبو زكريا، سير الائمة، ص281.

(2) الدرجميني، طبقات المشائخ، ج2، ص400.

(3) يحيى معمر، الاباضية في تونس، ص590، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ص81.

ومن الملاحظ في بعض الفترات كان بعض مشائخ الجبل يقومون بمهمة امتحان الطلاب القادمين من جربة فيمرون بمرحلة القراءة وتصحيح ما درسه على ابن ماطوس في زمانه بعد التحاقهم بحلقات الدروس في الجزيرة للإجازة بالعلم⁽¹⁾، فيجيزوا ان اجتازوا الامتحان ويعودوا إلى الدراسة إن لم يوفقوا⁽²⁾.

ولم تقتصر الرحلة من الجبل إلى الجزيرة على طلاب العلم فقط، وإنما من جانب آخر فعلماء نفوسة من أصحاب الحلقات والدروس الذين ينتسبون لمدنهم وقراهم عملوا كذلك على مد جسور التواصل لنشر العلم بين أهل الجزيرة والمساهمة في النهضة العلمية الثقافية في جزيرة جربة فقاموا بتأسيس حلقات للدروس وإقامة نشاطات علمية تشمل الارشاد والوعظ والتأليف جعلت حركتهم ظاهرة وكثيفة بين الاقليمين، ومن هؤلاء أيوب الجيطالي الذي سافر إلى جربة⁽³⁾ ليكون حلقة علمية في مساجدها، وأيضًا ارتحل أبو عامر التصراري إلى جربة من نفوسة للتدريس⁽⁴⁾ ويذكر أن الشيخ أبو النجاة يونس بن سعيد التملوشايتي كان حلقة وصل بين نفوسة وجربة⁽⁵⁾، كما أن النفوسي ماكس بن الخير ارتحل من مدينة يفرن بالجبل إلى جزيرة جربة لإحياء الحركة العلمية هناك في زمانه⁽⁶⁾.

(¹) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ج2 ص238، الشماخي، السير، ج1، ص235.

(²) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص401.

(³) الشماخي، السير، ج2، ص201.

(⁴) البغطوري، روايات الاشياخ، ص226، الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص434.

(⁵) يحيى معمر، الاباضية في تونس، ص589.

(⁶) الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص771، الدرجيني، ج2، ص402.

كما ارتحل أبو عبدالله محمد بن بكر النفوسي إلى جزيرة جربة في بداية القرن الخامس الهجري رفقة أبو الخطاب عبدالسلام بن منصور الذي هجر الأهل طلباً للعلم⁽¹⁾، ولإقامة نظام تعليمي تربيوي سري يسمى العزابة لإحياء الحركة العلمية في جزيرة جربة⁽²⁾، وهو نظام ديني اجتماعي تعليمي تربيوي، ولقب عزابي يمنح لكل من لازم طريق أهل العلم الاباضي وحافظ عليها وعمل بها فإن حسن كل هذه الصفات سمي عزابياً.

وبناء على ما تقدم فإن الحركة العلمية لطلب العلم كانت تقصد الجبل من الجزيرة في القرون الأولى لدرجة أن مشائخ الجبل وعلمائه قصدوا الجزيرة لعمل حلقات هناك، أما في القرون المتأخر نشطت الحركة العلمية من الجبل للجزيرة من أجل الانخراط في نظام العزابة.

إن قيام نظام العزابة (الاباضي) في جربة كان نتيجة الظروف السياسية المحيطة بالجزيرة في القرن الخامس الهجري - تنافس الفرق الإسلامية للسيطرة السياسية وحكم بلاد المغرب الأدنى- وبما أن هذا النظام سري فالمكان أو المقر المخصص للدرس والحلقة يختلف عن المدارس ودور العبادة فهو غار في جبل يسمى غار امجماج اجتمع فيه الطلاب وكانت البداية من سبعة أشخاص^(*) جلهم من جزيرة جربة مع استاذهم النفوسي محمد بن بكر، ثم تطور هذا النوع من نظام التعليم واستقطب الطلاب من جميع الأماكن بما فيهم جبل نفوسة، وحلقاته العلمية تكون أولاً مع شيخ للمبتدئين فإذا انتظموا في حلقاته علمهم السير ثم ينتقلون إلى

(1)الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص405.

(2)الدرجيني ، طبقات المشائخ، ج2، ص405.

(*)وهم: أبو عمران وأبو عمرو النميلي وعبد الله بن مانوج وأبو زكريا بن جرناز النفوسي وجابر بن سدرمام، وكباب بن مصلح، وأبو مجبر بن توزين، الشماخي، السير، ج2، ص. 74.

حلقة أخرى يجرون قراءة القرآن الكريم ويتعلمون اللغة العربية والإعراب ثم ينتقلون إلى شيخ آخر يعلمهم أصول الدين والفقه إلى أن تتم الإجازة له بالتعليم⁽¹⁾، وطلبة الجبل قبل الانضمام إلى نظام العزابة التعليمي بجرية يمرون على مرحلة التمهيد، فتكون أول مسيرتهم العلمية بحلقة لأبي يعقوب محمد بن يدرن الزنزفي النفوسي من سكان قرية امسنان عليه جلب العزابة من أهاليهم فيبتدؤون عنده ويعلمهم السير والأدب ثم ينتقلون إلى الشيخ محمد بن سدرين الوسياني فيعلمهم الإعراب والنحو ثم ينتقلون إلى أبي عبد الله محمد بن بكر في جربة فيعلمهم علم الكلام والأصول⁽²⁾، بحيث يمر نظام التربية والتعليم المشترك بين الجبل وجربة بأربعة أقسام: عزابة، عرفاء، تلاميذ، مستمعون⁽³⁾ وحتى العاجزين جسديًا وعقليًا يجدون استضافة في حلقة العزابة⁽⁴⁾، والحلقة هي عبارة عن حلقة من الطلاب الذين ليسوا عامة، يدرسون علماً واحداً بعينه، يجتمعون حول أحد المعلمين للاستماع لتعاليمه⁽⁵⁾، ولقد دام هذا النظام ما لا يقل عن تسعة قرون في جزيرة جربة⁽⁶⁾.

اعطت هذه النشاطات شهرة علمية للمشائخ والعلماء الاباضية خارج حدود مجتمعاتهم ومدنهم، وكان من حصيلة نتائج الرحلات العلمية وتبادلها بين الجبل والجزيرة على مدى العصور الإسلامية غرس العلوم في نفوس الطلاب ونيل شرف مصاحبتهم للعلماء والأخذ عنهم ونقل الثقافات والعلوم المختلفة ونشر اللغة العربية بين السكان والأهالي.

(1) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص397.

(2) الشماخي، السير، ج2، ص163.

(3) يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص369.

(4) روبيرتو، العزابة، ص32

(5) روبيرتو، العزابة، ص37

(6) الوسياني، سير الوسياني، ج3، ص769.

التأليف والنسخ وتبادل المصنفات بين جبل نفوسة والجزيرة .

يعد جبل نفوسة كما اسلفنا مركزاً للإشعاع الثقافي في بلاد المغرب الأدنى، وأن نشاط الحركة الثقافية فيه ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي خاصة (المذهب الاباضي) الذي انتشر في المنطقة منذ القرون الأولى للهجرة، إذ أن الدراسات الشرعية كانت هي جوهر النشاط العلمي والتواصل الثقافي في أقاليم المغرب الأدنى، وقد شهد جبل نفوسة تطوراً ملحوظاً في الحركة العلمية والثقافية خلال العصر الإسلامي حيث شكلت التفاعلات اليومية لسكان الجبل نوع من الحياة الثقافية التي اشتهر بها مشائخهم الذين كان لهم باع طويل في التأليف في سائر العلوم النقلية والعقلية، يذكر الوسياني: "إن العلم فشا في الجبل وشاع حتى أن خدمهم واماءهم إذا خرجن إلى الاستقاء لا يرجعن حتى يذكرن بينهن جميع رسائل كتاب سليمان بن ماطوس النفوسي(ح:283هـ) وفيه 300 مسألة⁽¹⁾، ولا نعتقد أن الوسياني يبالغ في ذلك لما للعلم من مكانة عظيمة عند أهل الجبل، كما اهتموا بالفقه لدرجة أن جبل نفوسة لم يحتاج أهله للفتوى في بعض الفترات والأزمات، وذكرت السير بهذا الصدد أنه مر زمان على جبل نفوسة فشي فيهم العلم وكثرت فيه العلماء حتى لم يبق فيهم منزل يرد مسألة إلى الآخر إذا نزلت مسألة (بلالوت) (* سارت إلى منازلهم إلى تغرمين فيردها بعضهم إلى بعض حتى تبلغ منازلهم كلهم ثم ترجع إلى المنزل الذي نزلت فيه فيجيبونها فيفتونها⁽²⁾)، ومما زاد في نشاط الحركة الثقافية والعلمية بالجبل والجزيرة والمغرب الأدنى ككل وبشكل واضح وجلي ظهور الفرق الإسلامية(*) التي تناظر بعضها بسبب الاختلاف في الرأي والتباين

(1) الوسياني(ق6هـ)، سير الوسياني، ج1، ص273.

(* قرية بجبل نفوسة.

(2)المزاتي، كتاب السير، ص52، البغطوري، سير الاشيخ، ص107.

(* الفرق الاسلامية مثل المالكية والاباضية (الوهبية والنكار) والشيعية والمعتزلية

في بعض المسائل الفقهية لدرجة أنهم برعوا في علم الكلام لقيام المناظرات، وهذا زاد من حصر النشاط الثقافي والعلمي في الاهتمام بالعلوم الدينية والشرعية على حساب العلوم الأخرى، وقد قام علماء الجبل بتأليف العديد من المؤلفات والكتب الفقهية وكتابة سير مشائخهم من الاباضية وتفسير القرآن الكريم وعلومه ونشر كل تلك العلوم وتعليمها للأجيال، ومن أمثلة ذلك ما قام به محمد بن أبي خالد الذي ألف اثني عشر كتابًا للرد على النكار^(*)(1)، وبدورهم النكار أيضًا ساهموا في نشاط الحركة العلمية بالجبل والجزيرة ومنطقة المغرب الأدنى بتأليف الكتب للرد على الوهيبية^(*) فكان لهذا التنافس المذهبي دور في انعاش الحركة العلمية والثقافية في غرب ليبيا وجزيرة جربة ومن أمثلة كتب النكار كتب فرج بن نصر النفوسي التي رد عليها مهدي النفوسي، وهذه الكم من الكتب شجع طلاب العلم الوافدين والقارين على نسخها لنشر العلوم والتنافس على ذلك.

زد على ذلك فقد كان لأهل نفوسة رغبة قوية في نسخ الكتب ودراستها مسألة، مسألة، فتذكر السير أن عمرو بن فتح النفوسي (ق:3هـ) واخته، نسخوا مدونة (مدونة أبي غانم) كاملة استودعها عندهم مشرقى عندما اكمل طريقه إلى المغرب الأوسط، فمن حرص عمرو على العلم عمد إلى نسخها قبل عودة صاحبها، وكان هو يكتب واخته تلمي عليه، وعندما عاد صاحبها وجد نقطة حبر على إحدى صفحات المخطوط فعرف أنه نسخها فقال له: يا سارق العلم⁽²⁾.

(*) النكار فرق من فرق الاباضية.

(1) الشماخي، السير، ج2، ص86.

(*) الوهيبية فرقة من فرق الاباضية.

(2) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص323.

ومن آثارهم العلمية في الجبل وجود ديوان به تأليف كثيرة قال أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر (ت: 504هـ): فلازمت الدرس به أربعة أشهر لا أنام إلا فيما بين أذان الصبح إلى صلاة الفجر⁽¹⁾، وهذا مؤشر للولع بالعلم والثقافة الدينية بين علماء ومشائخ جبل نفوسة فيمضون الشهور والليالي منكبين على الدراسة ونهل العلم والتأليف.

وقد ألف أبو العباس أحمد بن محمد النفوسي (ت: 504هـ) كتباً كثيرة: منها أصول الأرضين المتكون من ستة أجزاء، والسيرة في الدماء أكثر من جزء، والجامع المسمى بابي مسألة، وكتب القسمة وتبين أفعال العباد ثلاثة أجزاء، وكتاب الألواح⁽²⁾، وذكر أبو العباس عن أبي القاسم عبد الرحيم: إنه صنف في آخر عمره تصنيفاً في خمسة وعشرين جزء، وكتاباً تركه في الألواح⁽³⁾، وهذه المخطوطات كلها يعاد نسخها من قبل طلاب العلم لحملها إلى مدنهم ونشرها.

وكذلك في مجال التأليف والنسخ يعد الشيخ أبو زكرياء يحيى بن أبي العز الشماخي (ح: 704هـ) من الذين انشغلوا بالفقه بجبل نفوسة، وهو سليل أسرة الشماخي العلمية، كان ناسحاً للكتب ولم يشغله العلم عن النسخ ولم يشغله النسخ عن العلم، فقام بشرح كتاب الدعايم في سفرين، وتبع طريقة الوصاف، وله الفضل في نسخ كتب عديدة، إلى درجة لا تخلو مكتبة من مكتبات جبل نفوسة إلا وفيها كتاب من نسخ يده ويخطه⁽⁴⁾.

(1) الشماخي، السير، ج2، ص90.

(2) الشماخي، السير، ج2، ص89.

(3) الشماخي، السير، ج2، ص90.

(4) محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في نفوسة، ص140.

والجدير بالذكر أن النفوسي عيسى بن عيسى الطرميسي (ت:722هـ) مؤلف كتاب السؤالات اتجه اتجاهاً جديداً في مدرسته، فقد أمر طلابه بتأليف الكتب⁽¹⁾، وهم في مرحلة الدراسة، ويعد ذلك إجازة منه لهم لمحصلتهم العلمية الملمة بكل الأصول والفروع فاجتهدوا للوصول إلى اتقان التأليف وزيادة الانتاج العلمي واثراء تلك المدارس بالمؤلفات والعلوم المختلفة، وكان أبرز طلبته آنذاك أبو طاهر اسماعيل الجبطلاي⁽²⁾.

ومن الملاحظ أن جل هذه المصنفات والنسخ والتأليفات تتعلق بالعلوم الشرعية والفقهية المتعلقة بالشريعة الإسلامية على المذهب الاباضي، بالإضافة إلى اللغة العربية وفروعها من نحو وصرف وبلاغة.

كما كان للنفوسي اسماعيل بن موسى أبي طاهر الجبطلاي الذي عاش في القرن الثامن الهجري مؤلفات كثيرة منها كتاب الحج والمناسك، والحساب، قواعد الإسلام والفرائض، قناطر الخيرات، وكتاب الجراحات⁽³⁾.

ومن شدة الاهتمام بالعلم ونسخ الكتب والاحتفاظ بها في حزنات العلم بالجزيرة أيضاً والتي تداولها الطلاب بين هذين البلدين المتجاورين تذكر السير: أن أبا محمد جمال المدوني (ج:ق4هـ) خرج في ركب للحج وخرج معه مشائخ ومعهم اثنا عشر جملاً فدعوه ليعينهم على ارتحالها فقال لهم: ليس ذلك من شأني فقالوا له: وما شأنك قال القرطاس والقلم وحسبكم أنى كتبت أحد عشر كتاباً في عشرة أيام⁽⁴⁾ هذا

(1) يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص348.

(2) الشماخي، السير، ج2، ص195.

(3) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص72.

(4) الشماخي، السير، ج1، ص246، الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص348.

يؤكد مدى اهتمام أهل الجزيرة بالعلم والثقافة فيستغل الحاج منهم مسيرة الحج الطويلة في الكتابة والنسخ والتعلم، وفي موضع آخر تذكر السير: أنه "اختلف شخصان على شراء كتاب فقام جمال المدوني بقسمته بينهما ثم قال: من أراد نسخ النصف الآخر فليأت"⁽¹⁾ كما قامت أحد نساء نفوسة وتدعى أم يحيى بعرض كتاب الخليل الصالح للنسخ بقولها: من أراد النسخ فليأت⁽²⁾، وكل ذلك مؤشرات على الاهتمام بكتب العلماء والفقهاء لنسخها ونشرها بين طلاب العلم للدراسة والتفقه في الدين ونشر الثقافة والعلوم.

ونتيجة للترابط الفكري والعقدي بين سكان الجبل وسكان جزيرة جربة فقد اهتم جماعة من العلماء في المنطقتين بالتأليف وتركوا العديد من المؤلفات والنسخ في مكاتب جربة ومدارسها وقد اشترك سبعة علماء من نفوسة وجربة^(*) بتأليف ديوان الفقه بغار امجماج، ذلك الغار الذي كان بمثابة مدرسة جمعت هؤلاء العلماء من المنطقتين كما اسلفنا القول فخرجوا بتلك المحصلة، وقد قام الجربي أبو عمران موسى بن زكريا (ع:ق:5هـ) بتولي نسخ هذا الديوان المشهور⁽³⁾.

ومن علماء جربة أيضاً عمر بن جميع الجربي (ع:ق:8هـ) ومن مؤلفاته كتاب مقدمة التوحيد⁽⁴⁾، وخلف الجربي يعيش بن موسى الزواغي (ع:ق:8هـ) مؤلفات كثيرة من أثاره فتوى فقهية، وله قصيدة يرثى فيها تلاميذه الذين ماتوا بالطاعون

(1) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص345.

(2) الشماخي، السير، ج1، ص200.

(*) أبو عمران، أبو عمر النميلي، عبدالله بن مانوج، أبو زكريا يحيى، جابر بن سدرمام، كباب بن مصلح، أبو مجبر توزين.

(3) الشماخي، السير، ج2، ص. 74.

(4) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص62.

سنة 750هـ⁽¹⁾، وبالتأكيد كان لتلك الواقعة أو الكارثة وقع كبير على نفسه جعلته يرثي تلاميذه، والشيخ سعيد بن علي الخيري الجربي (ع:ق10هـ) ترك مكتبة كبيرة تحتوى على نفائس الكتب في جربة، وكل هذا الاثرء العلمي يشير إلى الكم الكبير للكتب والمؤلفات التي تزخر بها المكتبات الخاصة والعامرة في الجبل والجزيرة والتي تساهم في التطور الثقافي لرواد هذه المكتبات من كل مكان.

تبادل الفتوى والمناظرات والزيارات العلمية والمراسلات

مُدت جسور التواصل الثقافي في العصر الإسلامي بين مدن الجبل ومدن الجوار في جزيرة جربة في أمور الفتوى والنوازل عندما اضطر بعض أهالي الجبل والجزيرة إلى البحث عن حلول شرعية لبعض المسائل الهامة، ومن قوة الترابط المذهبي والثقافي بين الجبل وجربة فأى حادثة أو فتوى أو نازلة بأحدهما نجد لها صدى في الجانب الأخر، وتذكر المصادر أن فتيا ابن ماطوس النفوسي بلغت جزيرة جربة وغيرها من البلدان المجاورة⁽²⁾، وأشار أبو زكريا إلى أن علي بن يعقوب الجربي وصل إلى نفوسة ووجد عجوز يجتمع عليها أهل القرية يستفتونها فجلس عندها يستفتي⁽³⁾، وهذا مؤشر لتصدر النساء في الجبل للفتوى وجلس الرجال من مدن الجوار لأخذها عنها.

ومن زاوية أخرى فإن جبل نفوسة احتاج أهله في بعض الأزمنة للفتوى من علماء (جربة)⁽⁴⁾، بعد معركة مانو التي مات فيها عدد كبير من مشائخهم ولم يجد

(1) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص428.

(2) البغطوري، روايات الأشياخ، ص218.

(3) ابو زكريا، سير الائمة، ص274.

(4) يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص406.

الناس من يبين لهم أموالهم من الأشجار لكثرة قتلاهم في المعركة⁽¹⁾ وكذلك عند الاختلاف في مسألة ما، يضطر أهل الجبل إلى الاستعانة بعلماء من جربة في الفتوى والعكس، فتنتم عن طريق المراسلات تبعاً للظروف الأمنية أو بالسفر قصدًا فقد سار الشيخ أبو محمد ماكسن بن الخير بن محمد اليفرنى (ت: 491هـ) حتى وصل جزيرة جربة ليسأل المشائخ بها وهم أبو محمد وأبو عبدالله محمد بن مانوج اللمائي عن مسألة ما⁽²⁾، وهذه مؤشرات جلية على قوة العلاقة ومثانتها وعمقها فيما بين مدن الجوار شملت تجاوب وتبادل في الآراء والمسائل العلمية والفقهية والمذهبية وأخذ الفتيا.

وفي الجبل كان أبو ميمون بن أحمد الجيطالي يدير حلقات الذكر ومجالس للفتوى بحضور طلاب العلم الوافدين⁽³⁾، وكانت تعقد اجتماعات متكررة في جبل نفوسة وجزيرة جربة يحضرها كبار العلماء والمشائخ⁽⁴⁾، فيجتمع فقهاء الجبل مع فقهاء جزيرة جربة للأجوبة عن الأسئلة الفقهية وقد وجدت مخطوطات للنوازل وغيرها من الأجوبة، ليؤكد ذلك أن هذه الاجتماعات بين الطرفين عادة ما تكون مستمرة لمواجهة الأحداث الطارئة، فيجتمعون لبحث النوازل المستعصية والقضايا المشتركة بين مدن الجوار ذات السياق والمجال الواحد، والتي كان لها الأثر الإيجابي على أهل الجبل والجزيرة فكلما ضعف طرف تداعى الطرف الآخر

(1) الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص272.

(2) الشماخي، السير، ج2، ص55، 71.

(3) الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص262، 263.

(4) يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص403.

للمؤازرة والدعم، وكان دأبهم في ذلك الزمان إذا نزلت مسألة اجتمعوا للتشاور في النوازل بالمساجد⁽¹⁾.

أما فيما يتعلق بالمناظرات كانت تقام حلقات مخصصة لتعلم أصول المناظرة لأهميتها عند رجال الدين والفقهاء، وقد استغرق أبوهارون الجلامي ثلاثين سنة عند أبي القاسم لتعلم أصول الحجة والمناظرة⁽²⁾، ولقد اجتهد أبو مسور يسجا في جزيرة جربة في الحث على حضور مجالس العلم التي كانت تعقد في مساجد الجزيرة، وبدوره عقد مناظرات مع النكار⁽³⁾، وهذا يشير إلى طول باعه في العلم.

وفي باب المناظرات التي كانت تدار بين علماء المذاهب المختلفة في بلاد المغرب الأدنى، قام الشيخ سعيد بن علي الخيري الجربي بقصد شعراء المالكية بالمنطقة في سؤال كتبه شعراً وطلب الجواب عليه شعراً⁽⁴⁾، وهذا نتيجة التبحر في علوم اللغة والآدب والبلاغة حيث كانت المناظرات تدار شعراً.

كما ازادت متانة التواصل الثقافي بتبادل الزيارات والوفود، وتميزت بالجماعية فقد توجه وفد من مشائخ الجبل نحو طرابلس ثم ركبوا البحر إلى جربة فحضروا مجلساً به ابا مسور تذكروا بعض المسائل بالإضافة إلى مشاركتهم في المناظرات⁽⁵⁾، وازادت قوة الترابط الثقافي بين هذه المناطق بسيل الرسائل التي كانت تتبادل بين علماء الجبل ونظرائهم في الجزيرة للاستفسار عن أمور معينة، فقد كان للجيطالي

(1) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص442.

(2) الشماخي، السير، ج1، ص236.

(3) الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص280.

(4) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص280.

(5) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص348.

مجموعة رسائل وجهها إلى بعض علماء عصره بجرية في صورة فتاوي⁽¹⁾، ومن المراسلات أيضاً التي تشير إلى قوة التواصل في العصر الإسلامي بين الجبل والجزيرة تلك التي تمثلت بوصول كتاب من أهل الجبل إلى أبي مسور يسجا يحذرونه من فرقة النكار واستشاروه في تقديم العون له وهم على استعداد تام في حال تعرضوا له⁽²⁾. وهكذا كانت تلك المناظرات والفتيا والزيارات تشير إلى قوة العلاقات الثقافية بين الجبل والجزيرة مع ما افرزته من انتاج علمي غزير شمل تأليف الكتب والنسخ وانتشار المكتبات والمدارس.

ثانياً: العلاقات الاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة

العوامل التي اسهمت في خلق مناخ ملائم للعلاقات الاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة

وحدة المذهب والعرق:

هناك عوامل مشتركة بين سكان المجال في الجبل والجزيرة شكلت نقاط التقاء الطرفين ويسرت سبل التواصل كوحدة الدين والعرق (العصبية المذهبية والعصبية القبلية) التي قربتهم فكرياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، خاصة العصبية المذهبية التي كانت اقوى من العصبية القبلية لما لها من خصوصية دينية عززت الترابط الثقافي والاجتماعي فجعلتهم يتمسكون ببعضهم في وجه المذاهب الأخرى خاصة ضد النكار سعياً لدحض آرائهم، وهذه العصبية أثمرت فيهم واصبحوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكذلك بروز العلماء التابعين لهذا المذهب في جبل نفوسة والجزيرة جعلهم مقصداً

(¹) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص72.

(²) الوسياني، سير الوسياني، ج1، ص281.

لاتباعهم في تلك المدن المتجاورة فيتوجهون إليهم في رحلات منظمة أو كأفراد لتعلم فقه المذهب وعلومه والعمل به في شؤون القضاء والحسبة والفتوى، مما متن تلك العلاقات بين الطرفين.

أما العامل العرقي كما أشرنا سلفاً أن البربر كانوا يشكلون أغلب سكان المغرب الأدنى بالإضافة إلى القبائل العربية المنتشرة بينهم، فإن جل القبائل البربرية كانت تتقاسم تلك الأنحاء من الجبل والجزيرة وبلاد المغرب، وتتوزع قبائلها بين مدن البلدين، فشكل هذا الاندماج العرقي والقبلي بين المدن والبلدان المختلفة جزءاً من عوامل التواصل بين البلدين.

أنماط العيش المشتركة:

كانت أساليب العيش وتشابه العادات والخصائص الحياتية ناتج عن تشابه الظروف البيئية والتضاريسية والجغرافية والسمات التي جمعت سكان تلك الأنحاء وجعلت أنماط الحياة متشابهة كامتلاك البساتين وحرث الأرض في المواسم، حتى العلماء منهم وأساتذة الدروس كالشيخ أبا عبدالله محمد بن بكر يملكون أراض زراعية كان هذا الشيخ إذا أقبل الشتاء وفرغ من حرث ضيعته طلع إلى حلقاته، واشترى ابو المهاصر بستانا وخدم البستان فاخضر وأتى اكله ضعفين⁽¹⁾، وكان سكان المجال يعتمدون في أكلهم على منتوجات البلدين كالتمر واللبن والتين والشعير وزيت الزيتون في غذائهم، ويتبادلون الأنواع فأبو سهل البشر بن محمد من الجبل لا يطعم عزابته إلا بثمر جربة في رمضان⁽²⁾، وهذا لا يعني أن الجبل لا

(¹) الشماخي، السير، ج1، ص174.

(²) البغطوري، روايات الاشياخ، ص322.

ينتج الثمور ولكن لتعدد الأنواع والتسميات للصنف الواحد وتفضيل بعضها على بعض لإطعام ضيوفهم، وأبو أيوب التمنكرتي زارته المشائخ فاطمهم بسيياً مركباً من العسل والزيت وغيرها من الأطعمة⁽¹⁾، وتميز الجبل بكثرة الضيوف والزيارات من قبل أهالي جربة فنزل عزابة على الشيخ "ضيفا الساكن بالرمال" في بيته فضيفهم واستبشرت زوجته وانتهم بلبن وثمر وقدم الزوج واطعمهم واحسن اقراءهم واعطاهم⁽²⁾، ومن كان معه ضيوف يشعل مصباحاً على باب منزله حتى يعلم الجميع أنه يستقبل أي ضيف ليتقدم من بالطريق فيدخل ليأكل، قال أبوالقاسم البغطوري لأبي المهاصر: إذا رأيت على مغلق بيتي مصباحاً فسر إليّ، فإذا رأى ذلك سار فوجد اضيفاً أكل معهم⁽³⁾. وهكذا العلاقات كانت مبنية على حسن الجوار بين المدن المتجاورة والتي حرص كل منها على مراعاتها وتعميقها.

كما اشتركوا في اللباس والزي لما لهؤلاء السكان من سمات خاصة فالعلامة التي تميز العزابي في الجبل والجزيرة عن غير العزابي حلق الرأس كلية، وهذا الفعل له قيمة رمزية، لأنه ربما يعبر عن ترك "الطريقة التي يعيش بها الناس في تلك الأثناء، ويرتدي العزابي زياً أبيض اللون، يتكون من قميص بسيط وعباءة أو (لحاف)، وعمامة⁽⁴⁾.

كما تميزت العلاقات بين جبل نفوسة وجزيرة جربة بخصوصية جغرافية مناسبة من حيث أن جبل نفوسة بموقعه الجغرافي وتكوينه الاجتماعي والعرقى جعل من علمائه يعززون الروابط الاجتماعية مع سكان جزيرة جربة الواقعة شمال غرب

(1) الشماخي، السير، ج2، ص18.

(2) الشماخي، السير، ج2، ص158.

(3) الشماخي، السير، ج1، ص173.

(4) روبرتو، العزابة، ص32.

الجبل متجاوزين بذلك التقسيمات الجغرافية فركبوا القناطر لاجتياز البحر والوصول للجزيرة، وتجاوزوا التقسيمات السياسية التي كان بإمكانها أن تشكل عائقاً لو كانت في مناطق أخرى، بينما هنا لم تشكل عائقاً كبيراً للتواصل بين مدن الجارتين، إلا في بعض الفترات النادرة، فعندما كانت جزيرة جربة وجبل نفوسة تحت نفوذ الدولة الرستمية في تاهرت كان التواصل ميسراً جداً ومكثفاً، نتيجة الاستقرار الذي تمتعوا به سياسياً، وبعد سقوط الدولة الرستمية بداية القرن الرابع الهجري أصبحت الجزيرة تتبع دولة سنية وأخرى شيعية بينما جبل نفوسة بقي مستقلاً عن هذه الدول المستقلة⁽¹⁾، ورغم ذلك الاختلاف السياسي بين المنطقتين فلم تتأثر العلاقات بين الجبل والجزيرة، بل استمرت العلاقات بينهما في ظل هذا التفكك السياسي، وكانت نفوسة طيلة هذه القرون الإسلامية تتمتع باستقلال فعلي وبلا أطر سياسية⁽²⁾، الأمر الذي جعل هذا التواصل بجميع اشكاله يستمر من قيل مدن جبل نفوسة حتى في ظل سيطرة المذاهب الأخرى سياسياً على الجزيرة.

ظروف المحن والقحط ودورها في توطيد العلاقات الاجتماعية بين الجبل والجزيرة

بطبيعة الحال توطدت العلاقات الاجتماعية من جوانب أخرى كتبادل المساعدات وتقديم يد العون والوقوف جنباً إلى جنب في المحن التي ألمت بالجميع في احلك الظروف بين الجبل والجزيرة، وهذا التعاون (التكافل الاجتماعي) شكل الروابط والآثار المتبادلة بين المجتمعات والتفاعلات المختلفة ومن أمثلة ذلك عندما تعرض الجبل والجزيرة لضغوط من قبل السياسات العباسية والأغلبية والفاطمية والصنهاجية والنكار وغيرهم، كان لهذا الضغط في اغلب أحواله تأثيرات ايجابية على الجبل والجزيرة حيث زاد من قوة التواصل الاجتماعي بينهما، ونمثل لذلك

(¹) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ج2، ص229.

(²) ديبور، جغرافية جبل نفوسة، ص287.

التواصل عندما لاح لأهل الجبل خطر فرقة النكار على أهل الجزيرة في عصر الشيخ يسجا الیهراسني، عرضوا استعدادهم ورغبتهم في نصرتهم بقولهم: كسرنا غمد السيوف والنصل وهي ملصقة في ايدينا، فامتلاً النكار رعباً⁽¹⁾، وقاموا بإرسال امدادات للدفاع عن أبو مسور يسجا وهو في جربة⁽²⁾. وفي موضع آخر عندما أراد أبو خرز أن يقوم بالثورة على الفاطميين في الجزيرة استشار اعيان جبل نفوسة وطلب المساعدة⁽³⁾، كما أن مشائخ أهل الجبل عندما شعروا بالخوف من يحيى بن اسحاق الميروقي في القرن السابع الهجري تحصنوا عنه بجزيرة جربة⁽⁴⁾، واصبحت الجزيرة ملاذا لهم يحتمون بها، وبالمقابل تعرضت الجزيرة لهجوم من قبل كتامة فخرج لهم من جبل نفوسة أبو يحيى زكريا الأرجاني مدافعاً وهزمهم⁽⁵⁾، وهذه كلها مؤشرات على قوة ومثانة العلاقات الاجتماعية والقبلية بين أهل الجزيرة والجبل بعيداً عن الأنظمة السياسية التي تحكم البلدين بل كانت المساعدات والامدادات بجهود ذاتية من سكان الجبل والجزيرة وبدوافع انسانية وعرقية ومذهبية فكان أهل مدن ذلك المجال الجغرافي كالجسد الواحد عندما يشتكى منه عضو تتداعى بقية الأعضاء لنجدته في شكل تقديم التعزيزات والمساعدات دفاعاً عن جربة وأهلها والجبل وأهله، إذ لا فرق عندهم بين البلدين عندما يجدوا في أنفسهم القدرة على تقديم يد العون.

ولكن نجد في بعض الفترات هناك فتور في العلاقة وتكاد تكون معدومة ولم نرصد تعاون فيها بين الجانبين في ظل بعض الظروف، فعندما يتعرض الطرفين

(1) الشماخي، السير، ج2، ص33.

(2) يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص535، السير الشماخي، ج2 ص44.

(3) يحيى معمر، موكب التاريخ، ص523.

(4) الشماخي، السير، ج2، ص188.

(5) البغطوري، روايات الاشياخ، ص318

في نفس الوقت لحرب أو حصار أو معركة واحدة أو ملاحقات من قبل الأنظمة السياسية الحاكمة للمنطقة والاقاليم، تكون العلاقة علاقة روحية فقط بينهما، حتى في حال طلب احدهما المساعدة بشكل مباشر من الطرف الآخر، وتذكر المصادر بهذا الصدد أن أبا نوح سعيد بن زغيل (*) خرج إلى نفوسة وشاور أبو عبدالله ابن أبي عمرو بن أبي منصور مساعدته للمطالبة بدم أحد مشائخهم، من الخليفة الفاطمي الذي قام عامله في نفراوة بجنوب تونس بقتل الشيخ، فقالوا له: نحن في تمام الضعف من وقعة مانو ولكن إذا تهيأتم نعينكم بما نقدر، أما أهل جربة فعزموا على المطالبة بدم الشيخ⁽¹⁾، ولكن نتيجةً لغياب الدعم النفوسي من الجبل انهزموا أمام الفاطميين، وهنا تكاد تنقطع الاتصالات في مثل تلك الظروف بين الجبل والجزيرة عدا الرسائل المتبادلة بين الطرفين للاطمئنان، ومن أقوى الأمثلة التي تؤكد فتور العلاقات التكافلية والاجتماعية بين الطرفين عندما تعرضت جزيرة جربة لغزو الاسبان في القرن التاسع الهجري وطلب أهلها النجدة من اخوانهم في جبل نفوسة، لم يجدوا استجابة حينها، وذلك يعود لتعرض الجبل أيضا لظروف مشابهة فلم يستطيع نجدة الطرف الآخر ومد يد العون له، واعتذروا واكتفوا بالدعاء لهم.

وفي جانب آخر كانت مدن المجال ملجأً للأخرى بحكم العلاقات الاجتماعية والعرقية والفكرية واتسم هذا الاتصال بطابع اللجوء والبحث عن الأمان عند الآخر فقد انحاز ابن خلف النفوسي من نفوسة إلى جزيرة جربة واحتتمى فيها عند قوم من زواغة، ويدورهم حموه من شيخ الجبل أبي منصور النفوسي زعيم نفوسة ومنعوه

(*) هو من بلاد الجريد بتونس عاش في جربة ثم انتقل إلى ورجلان بالجزائر كان استادا في الجزيرة

للشيخ النفوسي ابي عبدالله محمد بن بكر .

(1) الشماخي، السير، ج2، ص36.

منه⁽¹⁾. وخرج طاهر بن يوسف من جزيرة جربة في عهد المعز بن باديس إلى جبل نفوسة بعد اختلافه معهم في الخراج وجمع له أهل الجبل الأموال وسكن في قرية اشفي بالجبل⁽²⁾، فكان الجبل وقراه ملجأً وأماناً لأهل الجزيرة الذين فروا من ويلات الظلم لطلب الأمان.

ومازلنا في صدد الحديث عن المساعدات الاجتماعية في الظروف القاسية التي صنعت جسوراً من التواصل الاجتماعي بين أهالي البلدين، والمساعدات هنا من نوع آخر فرغم الانتاج الوفير للحبوب والتمور في الجبل إلا أنه تعرض في بعض الفترات للقحط والشدة والجفاف والجذب ونقص الغذاء فعانى الأهالي كثيراً من شدة الجوع، وتذكر المصادر في هذا الصدد أن شدة وقعت بجبل نفوسة وجدباً وبلاءً وقحطاً حتى اضر الناس وماتوا جوعاً، فأرسل الشيخ "وزجمين" ولده إلى عاصم السدراتي يرغبه أن يغيث أهل الجبل، ويذكر أن البغطوري اتاه ثمانون فارساً من الشدة والقحط عندما كان عائداً من المسجد في الشدة وجد حول باب داره سبعة وعشرون رجلاً من جبل دمر جنوب تونس فأطعمهم⁽³⁾، كذلك تتم العلاقات بين الجانبين في وقت الشدة لجلب المؤن، فيذكر أن أبا مرداس خرج في قافلة إلى جربة يمتاروا في وقت الشدة⁽⁴⁾، وتعرض الجبل في القرن الثالث الهجري إلى مجاعة اضطرروا معها لأكل الميتة والارتحال فخرج أبو ميمون إلى جنوب تونس وذلك قبل معركة مانو⁽⁵⁾، وخرج بعض أهل نفوسة إلى مدينة ريضة بجزيرة جربة بسبب القحط فاستضافهم أبو

(1) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص191.

(2) الشماخي، السير، ج2، ص30

(3) الشماخي، السير، ج2، ص21.0

(4) البغطوري، روايات الاشياخ، ص168.

(5) الشماخي، السير، ج1، ص198، الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص295.

أيوب بن كلابة لمدة شهر وانزلهم واحسن نزلهم فكان يذبح لهم كل يوم كبشين⁽¹⁾، وانتقل إلى جربة أبي صالح أبو بكر بن قاسم حين كثرت الزلازل وجاوره بعض علماء نفوسة بجربة⁽²⁾، وحصل قحط وشدة في جربة فتوقف عن الحلقات⁽³⁾، كذلك ارتحل أبو محمد القنطاري ببنااته إلى جنوب تونس بعد أن عم القحط⁽⁴⁾. كما أن رخص الأسواق والأسعار كان دافع للتواصل بين المجتمعات المتجاورة يذكر الشماخي أن أهل نفوسة سمعوا برخص الطعام بجربة فأرادوها ليمتاروا⁽⁵⁾ وهكذا كانت الحركة والتواصل مستمر بين مدن الجوار مع كل الظروف، وتميزت العلاقات بالود والتعاون والاحتكاك والتكافل وتقديم الدعم قدر الامكان، ولم يعكر صفو تلك العلاقات أي نزاع أو خلاف أو مواجهات بينهما بل استمرت مع جل الظروف والأوضاع.

البعد الاجتماعي لركب الحج بين الجبل والجزيرة

وعلى المستوى الاجتماعي متن ووثق ركب الحج المغربي الذي وجد منذ وقت مبكر في العصر الإسلامي العلاقات الاجتماعية بين الجبل والجزيرة، حيث كان له بعداً ثقافياً واجتماعياً فلقد كان جبل نفوسة نقطة ارتكاز يلتقى فيها ركب الحج الجربي والرستمي والتونسي⁽⁶⁾، المتجه من بلاد المغرب إلى المشرق حيث يجتمع أهل جربة وافريقية وطرابلس في اماسن ويصل عددهم نحو ألف أو أقل أو أكثر ثم

(1) أبو زكريا، سير الائمة، ص 201.

(2) الشماخي، السير، ج2، ص50.

(3) الشماخي، السير، ج2، ص48.

(4) الشماخي، السير، ج1، ص218.

(5) الشماخي، السير، ج1، ص240.

(6) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص65.

يجتمعون في الجبل⁽¹⁾، هذا الركب المشترك المتوجه لبلاد الحجاز شرقاً والذي يستغرق شهوياً بين الذهاب والاياب خلق نوع من التعاون الجماعي بين أهل الجبل والجزيرة وغيرهم لتفادي الأخطار وقطاع الطرق والحفاظ على النفس والمال، بالإضافة إلى التعاون في تجهيز الطعام والسقية والتطبيب وغيرها من الأمور التي تركت بصمات واضحة على التعاون الاجتماعي في ركب الحج الجربي والنفوسي، كما أن حجاج جربة عند عودتهم كانوا يتسوقون من أسواق مدن ليبيا خاصة أسواق طرابلس والجبل وهذا وطد العلاقات الاجتماعية بين مدن الجوار وجعل لها مواسم خاصة بها، يقول ماكس اقبلت أنا وأصحابي من الحج وصلنا طرابلس فاشترينا منها كسوتنا ودخلنا جربة فشكروا ذلك منا واستحسنوه ودخل عليهم من السرور ما لا يتصف⁽²⁾.

من مظاهر النشاط الاجتماعي الهجرات والمصاهرات بين الجبل والجزيرة

من هذه المنطلقات نجد أمور كثيرة جعلت حركة الهجرة والترحال لا تتوقف بين الجبل والجزيرة منها هجرة طوعية ومنها هجرة اضطرارية لظروف سياسية⁽³⁾ أدت إلى عدم الاستقرار كهجرة أهل الجبل بعد معركة مانو إلى المغربيين الأدنى والأوسط، أو الهجرة لظروف القحط والجذب الذي كانت تصيب الطرفين أو المشاجرات والخلافات أو دوافع الحركة الثقافية والعلمية أو روح المغامرة التي تدفع أفراداً من هنا وهناك إلى مغادرة الجبل أو الجزيرة، فقد كانت جربة الملاذ الأيمن للنفوسيين، فكانت كلها عوامل مساعدة على الهجرة بين البلدين، وعاشوا كالجسد الواحد يتأثرون بكل ما تمر به المنطقة من عوارض، ورأى ديبورا أن هذه الهجرات

(1) البغطوري، روايات الاشياخ، ص106.

(2) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص434.

(3) انظر، فرج نجم، القبيلة والإسلام والدولة، ص107-115.

كانت مقصورة على البربر فقط دون العرب لأنهم يمتلكون ما يكفي ويزيد من المجال، عكس الأمازيغ المخنوقين في مرتفاعاتهم وهم أكثر نشاطاً ومبادرة من جيرانهم⁽¹⁾، فشد النفوسيين الرحيل إلى الجزيرة والعكس، ويذكر أن ثلث سكان جربة من هذه القبيلة⁽²⁾، فحومة غيرن عامرة بأهل نفوسة إذ أن أكثر عائلاتها انحدرت منهم⁽³⁾، ومن الملاحظ أن هذه الهجرات كانت بطابع أسري حيث تنتقل أسرة كاملة لقيادة حركة التعليم أو الهجرة لظروف أخرى، وكثير من أعلام البلدين استوطنوا البلد الآخر، فأسرة بكر بن ابي بكر الفرساطوي ذات الشأن العلمي وهي أسرة العلامة أبو محمد عبدالله بن بكر، هاجرت إلى الجنوب التونسي بدايات القرن الرابع الهجري واستقرت هناك⁽⁴⁾، وقد استقبل الجنوب التونسي لحمة مهمة من قدامى النفوسيين على امتداد قرون⁽⁵⁾، فعندما تضررت بعض قرى الجبل من الحروب هاجر أهلها إلى جربة ومنهم العلامة داود التلاتي⁽⁶⁾، وهاجر الشيخ أبو طاهر الجيطالي إلى جربة عندما امتنع بعض أهل الجبل عن تسليم مجرم انتهاك الحرمه بشرب الخمر فعزم الشيخ على الارتحال إلى جربة من جبل نفوسة وبقي فيها إلى أن وافاه الاجل سنة 750هـ⁽⁷⁾، ولا تخلو بقعة في تونس من طرابلسيين غالبيتهم العظمى نفوسيون ويمتهنون شتى الحرف والمهن، بعضهم حديث العهد بالوصول، وآخرون مقيمون منذ قرون كما هو شأن مهاجري فرسطاء وهي قرية صغيرة مجاورة

(1) ديبورا، جغرافية جبل نفوسة، ص182.

(2) سالم بن يعقوب، جزيرة جربة مدارسها العلمية، ص58.

(3) سالم بن يعقوب، جزيرة جربة مدارسها العلمية، ص58.

(4) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص405.

(5) ديبورا، جغرافية جبل نفوسة، ص289.

(6) يحيى معمر، الاباضية في تونس، ص395.

(7) يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ص352.

لكاباو كما اسلفنا، يعرفون باسم "قراقر"، كما أنشأوا بساتين صغيرة⁽¹⁾،، وأبو الربيع سليمان بن علي أصله من نفوسة ارتحلت أسرته فهاجرت إلى كنومة بجزيرة جربة⁽²⁾، وارتحل أبو الخطاب عبدالسلام مع قومه مزاته إلى جبل نفوسة بعد أن ضاقت سبل العيش عليه في جزيرة جربة⁽³⁾، والجدير بالذكر أن هذه الهجرات لا تعد هجرة من بلد لآخر وإنما تعد هجرة ذات طابع محلي لديهم.

كما كان للمصاهرات دور في توطيد العلاقات الاجتماعية بين جبل نفوسة وجزيرة جربة حيث أن علاقات المصاهرة تؤطر العلاقات المجتمعية والقبلية برباط إسلامي مقدس يعتمد على تقاليد القرابة والانتماء وبناء تحالفات بين المجتمعات والأسر والقبائل المختلفة، ففي بعض قرى جربة كانوا إذا أرادوا أن يبقى معهم شيخ من المشايخ يزوجه من بينهم حتى يضمنوا بقاءه بينهم وهذا ما حصل مع أبو الخطاب عبدالسلام بن منصور الذي طلب منه الشيخ محمد بن بكر صاحب العزابة البقاء بينهم وزوجه من قرية كنومة في الجزيرة التي كان يطلب فيها العلم من هذا الشيخ⁽⁴⁾، وتزوج أبو المسور يسجا الجربي امرأة من نفوسة أثناء دراسته بالجبل وقدم بها إلى جربة وولدت له أبا زكريا⁽⁵⁾، ويذكر الشماخي أن يخلف الفرستائي تزوج امرأة من جربة في الجبل⁽⁶⁾، وتزوج أحد الطلاب الوافدين إلى جربة من نفوسة امرأة من جربة كانت مهتمة بأمور التلاميذ⁽⁷⁾، ولا غرو أن هذه

(1) ديبورا، جغرافية جبل نفوسة، ص183.

(2) محمد محفوظ، تراجم التونسيين، ج1، ص183، الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص220.

(3) الشماخي، السير، ج2، ص72، 73، الدرجيني، ج2، ص406.

(4) الشماخي، السير، ج2، ص72، 73، الدرجيني، ج2، ص406.

(5) أبو زكريا، سير الائمة، ص252.

(6) الشماخي، السير، ج2، ص191.

(7) أبو زكريا، سير الائمة، ص274.

المصاهرات لها أثر من الناحية الاجتماعية من جانب نقل العادات والتقاليد والخبرات وغيرها من نشاطات الحياة اليومية، ومن الملاحظ في هذه الامثلة ان أغلبها كانت في الأصل رحلات ثقافية وعلمية أدت الى ظهور وحدات وقرابة جديدة تربط أهل الجبل والجزيرة برباط النسب والمصاهرة، ومما لا شك فيه أن استقرار البعض في البلد الآخر تحت أي ظرف من الظروف نتج عنه مصاهرة لسفره الطويل أو هجرته إليها.

على أي حال ومما سبق تناوله نجد أن التوافق الفكري مهد لهذه العلاقات وفتح أمها الطريق، وان المستوي الثقافي والاجتماعي في الجانبين كان على مستوى متقارب مما جعل العلاقات تستمر وتتطور وتعمق على مدى قرون العصر الإسلامي.

الخاتمة والنتائج

بعد استعراضنا لبعض الجوانب من العلاقات العميقة بين سكان جبل نفوسة وأهل جربة توصلنا إلى عدة نتائج :

- توصلت الدراسة إلى أنه كان للروابط المذهبية والعقدية والايديولوجية دور كبير في تكوين علاقة تكاملية مصحوبة بالتنطور العلمي والثقافي مما ساعد على تعميق وتمتين العلاقات بين جبل نفوسة بليبيا وجزيرة جربة بتونس بحضور المناظرات والحلقات ونشر الفتيا وتبادل العلوم وترسيخ مبادئ التربية الإسلامية.

- بينت الدراسة ان التجاور الجغرافي للدول، عزز العلاقات بين سكان جزيرة جربة وجبل نفوسة حتى في حال غياب الإدارة السياسية.

- أوضحت الدراسة أن الاهتمام بالإقسام الداخلية التي تُرفق بالمدارس والمساجد، والتنافس بالإنفاق عليها من قبل العلماء والفقهاء كان من الحوافز التي عمقت روح العلاقات الثقافية بين طلاب العلم في جبل نفوسة وجزيرة جربة وطورتها.

- رأت الدراسة أن خصوبة الحياة الثقافية والعلمية بكثرة العلماء في الجبل والجزيرة وتنوع معارفهم وثقافتهم وتخصصاتهم وحلقاتهم ومؤلفاتهم وانتشار المكتبات كان عاملاً مشجعاً على التواصل بين الجبل والجزيرة .

-استنتجت الدراسة أن مساندة ودعم سكان الجبل والجزيرة لبعضهم في المحن والأزمات وسنوات القحط عمق روح التواصل الاجتماعي بينهم.

- أظهرت الدراسة أن لركب الحج بُعداً ثقافياً واجتماعياً لطول الرفقة والألفة بين الحجيج، فتوطدت العلاقات والروابط الاجتماعية وتعمقت بين سكان الجبل والجزيرة مع هذا الركب الذي يخرج سنويًا إلى الديار المقدسة.

_ ابرزت الدراسة أنه كان لهذا التواصل والعلاقات أثراً ايجابياً على جميع المستويات كظهور أعداد كبيرة من العلماء والمشائخ على مر العصور مما ضمن استمرار نشر العلم والثقافة بين الاجيال خلال العصر الإسلامي، وازدهار المدن وتطورها بازدياد عدد المدارس والاقسام الداخلية والمكتبات وانعكس أثر ذلك على الصلات الاجتماعية والثقافية المتبادلة.

- كان من أبرز عوامل التفاعل الثقافي انتشار اللغة العربية ومجالاتها بين البربر في المنطقتين واقبال بعضهم على الترجمة والتأليف واعتمادها اللغة الرسمية بدل لغة الأم السائدة بينهم.

وبهذا يمكن أن نوصي بـ :

التوصيات:

- على ضوء النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة وفي ظل الاشكاليات الجديدة المنبثقة، تؤكد الباحثة أن هذه الدراسة لا تعنى أنها تمكنت من كشف كل خفايا تاريخ المنطقة وعلاقتها، بقدر ما أنها اجتهدت وفتحت الباب أمام الباحثين والمتخصصين في الدراسات التاريخية الليبية وللمنطقة لدراسات وأبحاث مستقبلية أكثر عمقاً يتناولون فيها:

- رحلات الحج وأثارها الاجتماعية والاقتصادية، العلاقات الاقتصادية بين الجانبين في كل الظروف (الرخاء والقحط)، دور المكتبات ودور العبادة والمدارس في تطور المسيرة العلمية والفكرية في الاقليمين، دور التقارب العرقي والمذهبي في توطيد العلاقات الاجتماعية.

- كما توصي الباحثة بدراسة الجوانب الأخرى للعلاقات بين سكان المجال الواحد لتكتمل هذه الدراسة.

- وتوصي باهتمام مكتبات الجامعات بتوفير الكتب الحديثة والمصادر والمخطوطات التي تساهم في الانتاج العلمي والبحثي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- 1) الإدريسي، ابو عبدالله محمد بن محمد بن الادريسي(ت:559هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج11، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م.
- 2) البغطوري، مقرين بن محمد البغطوري، روايات الاشياخ، ت: عمر لقمان، ط1، مكتبة خزائن الآثار، سلطنة عمان، 2017م.
- 3) التجاني، عبدالله بن محمد التجاني، رحلة التيجاني، ت: حسن حسني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م.
- 4) ابن حوقل، محمد بن حوقل(ت:367هـ)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، لبنان، 1938م.
- 5) الحميري، محمد عبدالمنعم، الروض المعطارفي خبر الاقطار، ت: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- 6) ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، المبتدأ والخبر، ت: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- 7) الدرجيني، ابو العباس احمد الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ت: ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر.
- 8) ابو زكريا يحيى بن ابي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ت: ابراهيم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982م.
- 9) الشماخي، احمد بن سعيد الشماخي، السير، ت: سعود السيابي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1987م.
- 10) المزاتي، أبو الربيع سليمان بن يخلق المزاتي، كتاب السير، ت: حاج سعيد، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1993م.

11) الوسياني، ابو الربيع سليمان عبدالسلام الوسياني(ق6هـ)، سير الوسياني، ت: عمر لقمان، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009م.

ثانيًا: المراجع

1) الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ط1، مكتبة النور طرابلس، ليبيا، 1968م.

2) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار الرشد، القاهرة، مصر، 2000م.

3) ديبورا، جغرافية جبل نفوسة، بصيغة وورد على الشبكة.

4) روبرتو روبيناتشي، العزابة، ت: لميس الشجني، مؤسسة تاولت للثقافة، د.ت.

5) سالم بن يعقوب، جزيرة جربة مدارسها العلمية، ت: فرحات الجعيري، دار سراس للنشر، تونس، 2002م.

6) سعيد الباروني، الحركة العلمية والفكرية بجزيرة جربة عبر التاريخ، بصيغة وورد على الشبكة.

7) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، م: سليمان الحاج، ط3، مكتبة الضامري للنشر، سلطنة عمان، 2008م.

8) فرج نجم، القبيلة الإسلام الدولة، دار الدعوة، القاهرة مصر، 2004م.

9) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م.

10) محمود حسين كوردي، الحياة العلمية في نفوسة، منشورات مؤسسة تاولت الثقافية، د.ت..

واقع الخدمات التعليمية للتعليم العام في واحات منطقة الكفرة

إعداد: د. بشير عمران أبوناجي

أ. هيام أبو القاسم فرج

د. العماري محمد النعمي

المقدمة:

تعد الخدمات التعليمية واحدة من أهم الخدمات الضرورية التي تقدمها الدولة لكلفة شرائح المجتمع، وهي الخدمة التي يجب أن يعتنى بها لإخراج جيل واع وبناء تعتمد عليه الدولة في كافة المجالات، فهي اللبنة الأولى وهي الأساس في إعداد الكوادر المتينة التي تلبي حاجات المجتمع من كوادر طبية، ومهندسين، ومدرسين، وغيرها من احتياجات سوق العمل، وهذه المخرجات تحتاج إلى اهتمام من قبل أجهزة الدولة لكي تلبي هذه الاحتياجات من حيث وجود عدد كاف من المدارس التي توازي أعداد السكان بكل مدينة من مدن الدولة، إضافة إلى وجود المدرسين الكفؤ، وخاصة أن هذه الدراسة قامت على منطقة من مناطق الجنوب الشرقي لليبيا وهي منطقة الكفرة، فمثل هذه المناطق يجب الاهتمام بدراستها ومعرفة العوامل المؤثرة فيها، وذلك لوضع لها الحلول المناسبة التي تقف عائقاً للخدمة التعليمية من حيث: أعداد المدارس، والفصول، والمدرسين، ومعرفة مدى كفاءتها وكفايتها مع الوضع القائم.

أولاً- مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية والتي من أهمها

هي:

- 1- هل عدد المدارس متوافق مع عدد الطلاب؟
- 2- هل عدد الفصول متوافق مع عدد الطلاب والذي بدوره يؤثر على كفاءة الخدمة؟
- 3- هل الخدمة التعليمية بالمنطقة ذات كفاءة وكفاية تتوافق مع المعايير المحلية التي وضعتها الدولة؟

ثانياً - أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة في الآتي:

- 1- التعرف على فترة إنشاء المؤسسات التعليمية بواحات الكفرة لمعرفة ما تقدمه الخدمات التعليمية للسكان.
- 2- التعرف على التوزيع الجغرافي للخدمة التعليمية.
- 3- التعرف على كفاءة وكفاية الخدمة التعليمية.

ثالثاً - الفرضيات:

تتمثل فرضية الدراسة في الإجابة على السؤال التالي:

- 1- هناك علاقة بين كفاءة الخدمة التعليمية وبين اكتظاظ أعداد الطلبة بالمدارس.
- 2- هناك علاقة بين كفاية الخدمة التعليمية وبين أعداد المدارس.

رابعاً - الأهمية:

تعد الخدمة التعليمية هي أحد المواضيع الهامة في تخطيط المدن، وتبرز أهمية هذا الموضوع في مدى توافق أعداد الطلبة مع وجود المؤسسات التعليمية بالمنطقة من حيث كفايتها وكفاءتها.

خامساً - المناهج والأساليب:

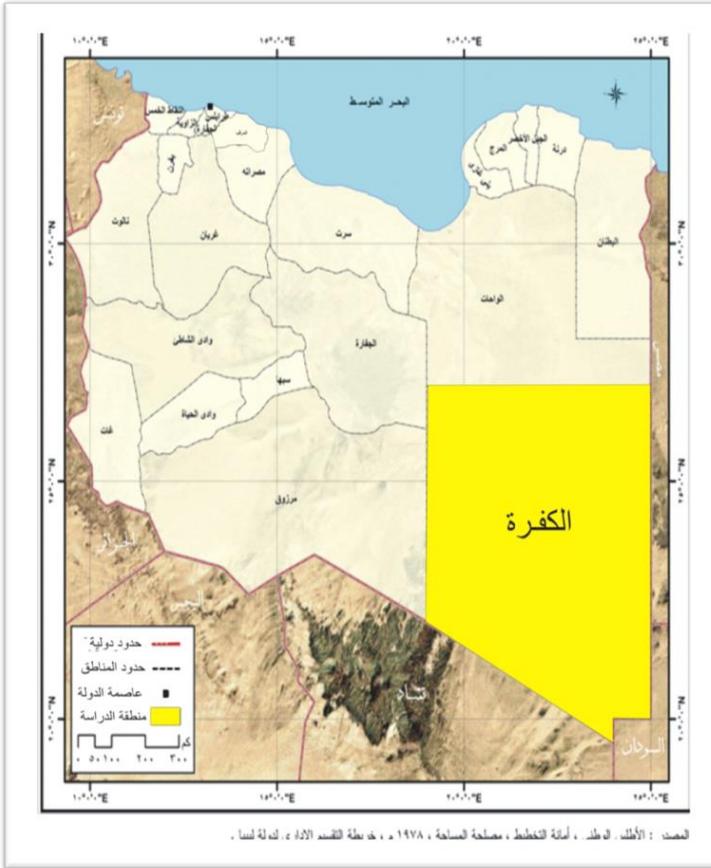
قامت الدراسة على المنهج الموضوعي: تم اتباع هذا المنهج كموضوع يتمثل في دراسة الخدمات التعليمية باعتبارها الحيز المكاني الذي تشغله الدراسة، كما تم استخدام المنهج الوصفي وذلك لوصف ظاهرة الدراسة وتحليلها. كما تم استخدام المنهج الأصولي للدراسة، وذلك لفهم وتحليل العوامل المؤثرة في توزيع المدارس وتحليلها، هذا مع استخدام الأساليب الكمية والكارتوغرافية.

سادساً - حدود منطقة الدراسة:

تقع واحات منطقة الكفرة في الركن الجنوبي الشرقي من ليبيا، وتشمل عدة واحات منها سبع متقاربة وهي: الجوف، والهورى، والهورى، والهورى، وبومة، وبومة، والطلاب، والطليليب، وهذه الواحات هي التي تشملها منطقة الدراسة.

وتقع واحات منطقة الكفرة بين دائرتي عرض $18^{\circ}59'05''$ - $26^{\circ}59'1''$ شمالاً وخطي طول $18^{\circ}58'57''$ - $25^{\circ}02'06''$ شرقاً. كما هو موضح بالخريطة رقم (1). أما عن المجال الزمني للدراسة، فتتحدد فترة الدراسة للخدمات التعليمية ما بين عامي 2018-2019م.

خريطة (1) الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة الكفرة



سابعاً- مصادر الدراسة:

لقد استعانت الدراسة بوسائل لجمع المعلومات والبيانات، والتي ضمت الجانب المكتبي والتي تشمل الكتب، والدوريات، والرسائل العلمية، مع الاطلاع على الإحصائيات الرسمية التي صدرتها وزارة التعليم بالمنطقة.

ثامناً- الدراسات السابقة:

1. دراسة علي محمد التير (2008) تحت عنوان: التعليم والصحة في منطقة زليتن دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة دكتوراه، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ركزت هذه الدراسة معرفة كفاءة الخدمة التعليمية، وفق مجموعة من مؤشرات التخطيطية.
2. دراسة وداد الثابت (2005) تحت عنوان: الوظيفة التعليمية في منطقة العجيلات للمدة 1990-2003، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من أبريل.
3. دراسة سيف محمد العتيبي (2005) تحت عنوان: التعليم العام بحاضرة الإحساء دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، كما اهتمت الدراسة بمدى كفاءة وكفاية الخدمات التعليمية، وتوضيح العلاقات المكانية بكل مرحلة.
4. دراسة أسامة البرعصي (2004) تحت عنوان: التباين المكاني للخدمات الصحية والتعليمية بمدينة المرج الجديدة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس، تناولت هذه الدراسة التوزيع الجغرافي للخدمات التعليمية على مختلف أحياء المدينة، كما استعرضت هذه الدراسة مستوى كفاءة وكفاية هذه الخدمة باستخدام الأساليب الإحصائية.
5. دراسة ونيس الشركسي (2001) تحت عنوان: التعليم والصحة في بلدية مصراته، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، تطرقت هذه الدراسة إلى تطور هذه الخدمة وعددها ومراكز انتشارها وتوزيعها الجغرافي حسب القطاعين الخاص والعام.

الخدمات التعليمية التعليم الأساسي

أولاً- نشأة الخدمة التعليمية بواحات المنطقة:

والجدول رقم (1) يوضح تاريخ إنشاء مدارس منطقة الكفرة. لم يكن التعليم بمنطقة الكفرة وليد الحاضر وإنما كان منذ 1965م بالمؤسسات التعليمية فقد كانت أقدم

الجدول (1) تاريخ إنشاء مدارس منطقة الكفرة

ت	اسم المدرسة	فترة الدراسة	تاريخ الإنشاء
1	أسامة بن زيد	فترتين	1974
2	شهاء الكفرة	صباحي	1965
3	المنارة	صباحي	1989
4	طارق بن زيد	فترتين	1976
5	الجوف	فترتين	1984
6	17 فبراير	صباحي	1976
7	05 مايو	فترتين	1970
8	أجنادين	فترتين	1977
9	شهداء الأجهر	فترتين	1980
10	علي بن أبي طالب	صباحي	1984
11	الكرامة	صباحي	1975
12	عمر بن الخطاب	فترتين	1984
13	اليرموك	صباحي	1975
14	حطين	فترتين	1984
15	زيد بن الحارثة	صباحي	1976
16	حسان بن ثابت	صباحي	1976
17	حمزة بن عبد المطلب	صباحي	1976
18	المستقبل	صباحي	1976
19	مصعب بن عمير	صباحي	2014
20	محو الأمية	مسانني	1993

المصدر: من عمل الباحثين استنادا إلى بيانات وزارة التربية والتعليم بالكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

مؤسسة تعليمية بالمنطقة مدرسة شهداء الكفرة، وجل المدارس الأخرى افتتحت في فترة السبعينيات، باستثناء مدرسة واحدة أنشئت في فترة 2014م وهي مدرسة مصعب بن عمير.

ثانياً- التوزيع الجغرافي العددي والنسبي لعدد الطلبة والفصول والمدرسين بمدارس التعليم الأساسي بوحدات منطقة الكفرة.

ينتضح من الجدول أن عدد المدارس تتوزع بوحدات المنطقة ولكن الغالبية العظمى منها تتركز بواحة الجوف، وذلك لتركز السكان فيها عن بقية الواحات الأخرى، إضافة إلى أن واحتي بومة وبويمة لا تفصلها عن واحة الجوف إلا طريق معبد، وبالتالي فإن جميع طلبة هاتين الواحتين يدرسون بمدارس واحة الجوف، كما أن عدد السكان بهاتين الواحتين قليل جداً لا تتجاوز مساكنهم أربعين منزلاً. أما عن بقية الواحات الأخرى فإن الخدمة التعليمية لا تتجاوز مدرسة واحدة لكل واحة نتيجة لقلّة السكان بهذه الواحات كما هو الحال بواحة الهواري والهويويري والطلاب. والجدول رقم (2) يوضح التوزيع الجغرافي العددي والنسبي لعدد الطلبة والفصول والمدرسين بمدارس واحات منطقة الكفرة.

جدول (2)

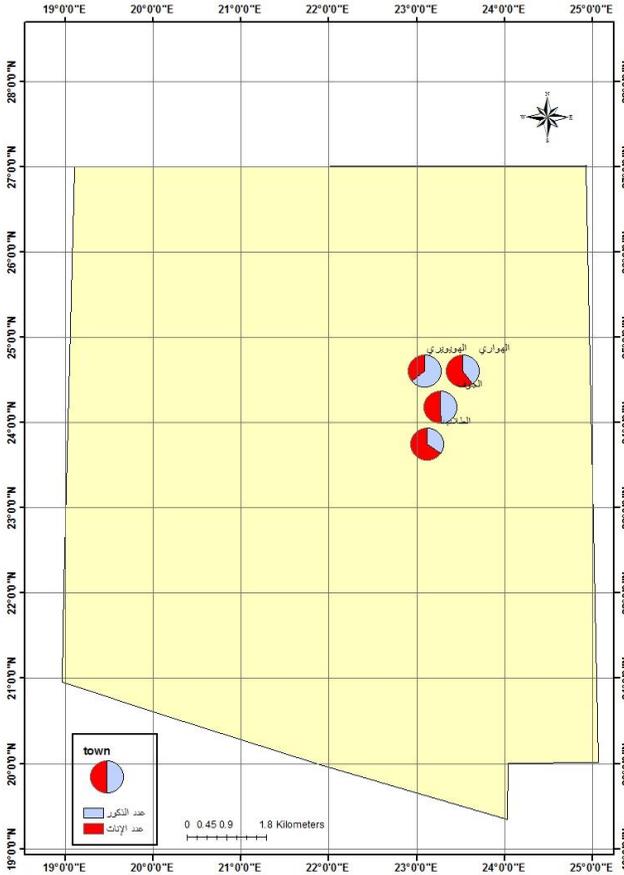
التوزيع الجغرافي العددي والنسبي لعدد الطلبة والفصول والمدرسين بمدارس واحات

منطقة الكفرة عام 2019م

ت	اسم المدرسة	عدد الطلبة ونسبتهم				المجموع	%	عدد الفصول	%	عدد المدرسين	%
		ذكور	%	إناث	%						
1	أسامة بن زيد	403	11	439	11	842	11	28	10	105	14
2	05 مايو	329	9	294	8	623	8	21	7	46	6
3	عمر بن الخطاب	326	9	297	8	623	8	24	8	75	10
4	17 فبراير	250	7	310	8	560	7	18	6	82	11
5	طارق بن زيد	247	7	281	7	528	7	18	6	73	10
6	شاه الأجر	235	6	248	6	483	6	18	6	33	4
7	الجوف	246	7	227	6	473	6	13	4	78	10
8	المنارة	206	6	254	7	460	6	15	5	12	2
9	حسان بن ثابت	244	7	198	5	442	5	17	6	36	5
10	حطين	199	5	235	6	434	6	15	5	2	0
11	علي بن أبي طالب	186	5	182	5	368	5	13	4	34	4
12	أجنادين	168	5	172	4	340	4	16	6	52	7
13	شاه الكفرة	168	5	155	4	323	4	13	4	34	4
14	المستقبل	149	4	167	4	316	4	10	3	24	3
15	مصعب بن عمير	147	4	142	4	289	4	9	3	1	0
16	الكرامة	148	4	130	3	278	3	11	4	34	4
17	محور الأمية	0	0	97	2	97	2	7	2	24	3
18	حمزة بن عبد المطلب	17	0	26	1	43	1	7	2	5	1
19	زيد بن الحارثة	27	1	15	0	42	0	8	3	15	2
20	البرموك	12	0	23	1	35	1	9	3	1	0
	المجموع	3707	100	3892	100	7599	100	290	100	766	100

المصدر: من عمل الباحثين استنادا إلى بيانات وزارة التربية والتعليم بالكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

الشكل (2) التوزيع الجغرافي لطلبة التعليم الأساسي على مستوى منطقة الدراسة



المصدر: من عمل الباحثين استناداً إلى بيانات الجدول رقم (2).

يتضح من الجدول والشكل السابقين أن عدد المدارس تنتوزع على النحو التالي 17 مدرسة في واحة الجوف، وواحدة في الهويويري، وأخرى في الهواري والطلاب، ويتضح من خلال الجدول كذلك أن عدد الطلبة على مستوى الواحات بلغ

7599 طالباً وطالبة، وقد لوحظ في كثير من المدارس أن أعداد الطلبة في ازدياد يفوق المعدلات والمعايير المحلية، وكذلك الدولية، علماً بأن المعيار الذي وضعتة الدولة يبلغ (305,6) طالباً لكل مدرسة. فمن خلال الجدول يتضح أن ستة مدارس وفق المعايير المحلية، والباقي كلها تتزايد عن المعدل الذي وضعتة الدولة ربما يرجع ذلك إما لقرب المسكن من المدرسة وإما لوجود مدرسين ذات كفاءة عالية بهذه المدارس، أو أن كثافة السكان ببعض الواحات مرتفعة وبعضها الآخر منخفضة مما ترتب عليه انخفاض في عدد الطلبة. وفيما يتعلق بعدد الفصول على مستوى الواحات، فقد بلغ عددها 290 فصلاً، أغلبها العظمى تحتلها واحة الجوف بينما باقي الواحات الأخرى لا تتجاوز 9 فصول، بينما بلغ عدد المدرسين 766 مدرساً ومدرسة، أغلب المدرسين يتوزعون على واحة الجوف حيث بلغ أعلى عدد لهم بمدرسة أسامة بن زيد بنحو 105 مدرساً ومدرسة، وبلغ أدناها في مدرسة حمزة بن عبد المطلب، ومدرسة محو الأمية.

كفاءة الخدمة التعليمية:

تعرف الكفاءة هي الاقتصاد في الجهود والتكاليف باستخدام أقصر الطرق وأرخص الوسائل من أجل تحقيق الأهداف المطلوبة، فالكفاءة التعليمية تستلزم التخطيط السليم وتعتمد على أسس علمية تنبع من خلال كفاية عناصر مكوناته⁽¹⁾ يرتبط معدل كفاءة الخدمة التعليمية بعدد من المعايير منها:

1- كثافة الفصول.

2- معدل عدد الطلاب بالمدرسة.

¹ - صفا رحيم مفتن العبودي، التحليل المكاني للخدمات التعليمية والصحية في مدينة الزبير (دراسة في جغرافية المدن)، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2005، ص111.

3- معدل أعداد الفصول في المدرسة.

4- معدل أعداد الطلاب لكل مدرس.

5- معدل عدد المدرسين لكل فصل.

أولاً- معدل كثافة الطلاب في الفصول:

يعد هذا المعيار من المعايير المهمة في معرفة كفاءة الخدمة التعليمية حيث يؤثر ارتفاع معدل الطلاب عن المعدل مما يؤثر ذلك على التحصيل العلمي لدى الطلاب، فمن خلال الجدول رقم () يتضح وجود ارتفاع في معدلات الكثافة في (14) مدرسة من مدارس منطقة الدراسة علماً بأن المعيار المحلي الذي وضعته الدولة (24.6) طالب لكل فصل، حيث وصلت كثافة الفصول في بعض المدارس إلى (36) طالب وطالبة كما هو الحال في مدرسة الجوف وهذ مما لا شك فيه مؤثراً على التحصيل العلمي للطلاب وخاصة طلاب المرحلة الابتدائية، ويرجع هذا الارتفاع الحاصل لهذه المدارس إما لقرب المدارس من إقامة السكن لذى الطلاب أو أن المدرسين بهذه المدارس ذات كفاءة عالية من العطاء، والسبب الآخر هو أن الغالبية العظمى من السكان يتركزون بواحة الجوف وبالتالي نجد أن هذا الارتفاع في كثافة الطلاب بهذه المدارس الموجودة بالجوف، في حين ينخفض كثافة لبعض المدارس كما هو الحال في مدرسة اليرموك وزيد بن الحارثة وحمزة بن عبد المطلب حيث لا يتجاوز عدد الطلاب بهذه المدارس عن (43) طالب وطالبة. والجدول رقم (3) يبين ذلك.

الجدول (3) معدلات كثافة الفصول بمدارس منطقة الكفرة

ت	اسم المدرسة	عدد الطلبة	عدد الفصول	كثافة الفصول
1	أسامة بن زيد	842	28	30
2	5 مايو	623	21	30
3	عمر بن الخطاب	623	24	26
4	17 فبراير	560	18	31
5	طارق بن زيد	528	18	29
6	شهاء الأجهر	483	18	27
7	الجوف	473	13	36
8	المنارة	460	15	31
9	حسان بن ثابت	442	17	26
10	حطين	434	15	29
11	علي بن أبي طالب	368	13	28
12	أجنادين	340	16	21
13	شهاء الكفرة	323	13	25
14	المستقبل	316	10	32
15	مصعب بن عمير	289	9	32
16	الكرامة	278	11	25
17	محو الأمية	97	7	14
18	حمزة بن عبد المطلب	43	7	6
19	زيد بن الحارثة	42	8	5
20	اليرموك	35	9	4
	المجموع	7599	290	26

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المستقاة من وزارة التربية والتعليم بمنطقة الكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

ثانياً- متوسط أعداد الطلبة في المدرسة:

مما لا شك فيه أن ارتفاع أعداد الطلبة في المدارس يؤثر تأثيراً سلبياً على ارتفاعهم في الفصول، ويبلغ عدد الطلبة في المدارس حسب المعيار المحلي (305.6) طالب لكل مدرسة، فمن خلال الجدول يلاحظ ارتفاع عدد الطلبة في المدارس بواحة الجوف فقط، والذي بلغ (467) طالب لكل مدرسة، وبالتالي فإن

هذا المعدل مرتفع عن المعدل المحلي، ويعزى ذلك ارتفاع أعداد السكان وتركزهم بهذه الواحة دون غيرها من الواحات بمنطقة الدراسة. والجدول رقم (4) يوضح ذلك.

الجدول (4)

معدل أعداد الطلبة بمدارس منطقة الكفرة

ت	الواحة	عدد الطلبة	عدد المدارس	متوسط عدد الطلبة في المدرسة
1	الجوف	7479	16	467
2	الهوري	43	1	43
3	الهوري	42	1	42
4	الطلاب	35	1	35

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المستقاة من وزارة التربية والتعليم بمنطقة الكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

ثالثاً - متوسط أعداد الفصول في المدرسة:

يعد هذا المؤشر من المؤشرات التي تقاس به معدلات الكفاءة التعليمية، فارتفاع عدد الفصول بالمدرسة يساهم عدم ارتفاع أعداد الطلبة في الفصل، وبالتالي يقلل من كثافة الفصل، وانخفاض الكثافة يزيد من ارتفاع معدل التحصيل العلمي لدى الطلبة خاصة ممن هم في المرحلة الابتدائية، هذا وإن المعيار التخطيطي الذي وضعته الدولة لهذا المؤشر هو 12,2 فصلاً للمدرسة الواحدة، فمن خلال الجدول الخاص بهذا المؤشر يتضح أن ارتفاع معدل الفصول في واحة الجوف مرتفع عن هذا المعيار إلا أن كثافة الفصول في هذه الواحة مرتفع والسبب كما ذكر سابقاً هو ارتفاع أعداد السكان بهذه الواحة، فمتوسط عدد الفصول بالمدرسة بلغ بواحة الجوف (17) فصلاً لكل مدرسة، بينما قل متوسط عدد الفصول في المدرسة عن المعدل في باقي الواحات إلا أن كثافة الطلاب في الفصل أقل من المعدل التي وضعته الدولة نتيجة لانخفاض أعداد السكان بباقي واحات المنطقة والجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول (5)
معدلات أعداد الفصول في المدرسة

ت	الواحة	عدد الفصول	عدد المدارس	متوسط عدد الفصول في المدرسة
1	الجوف	266	16	17
2	الهوري	7	1	7
3	الهويويري	8	1	8
4	الطلاب	9	1	9

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المستقاة من وزارة التربية والتعليم بمنطقة الكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

رابعاً- معدل أعداد الطلاب لكل مدرس:

يعد هذا المؤشر أحد مؤشرات مستوى كفاءة الخدمة التعليمية، فعلى أساس هذا المعدل يمكننا معرفة مدى نجاح النظام التعليمي في تحقيق التوازن بين أعداد الطلاب وأعداد المدرسين، فارتفاع مستوى كفاءة هذه الخدمة يدل على توافر عناصر نجاح العملية التعليمية وهو المعلم، وكفاءة هذه الخدمة لا تستند إلى الكم فقط، ولكن تعتمد كذلك على مدى مقدرة هؤلاء المعلمين على إعداد النشء، من حيث تحفيزهم، وإنشاء الدورات التدريبية لهم⁽¹⁾، هذا وإن المعيار التخطيطي الذي وضعتة الدولة لهذا المؤشر هو 8.2 طالب لكل مدرس. حيث يلاحظ من خلال الجدول رقم (6) ارتفاع معدل الطلاب لكل مدرس لكثير من مدارس منطقة الدراسة، حيث يلاحظ انخفاض في أعداد المدرسين لبعض المدارس، فمنها لا يوجد

¹ - علي محمد التير، التعليم والصحة في منطقة زليتن دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 2008، ص 136-137.

بها إلا مدرس واحد مثل مدرسة اليرموك ومدرسة مصعب بن عمير ومدرسة حطين،

الجدول (6) معدل الطلاب لكل مدرس بمنطقة الكفرة

ت	اسم المدرسة	عدد الطلبة	عدد المدرسين	معدل الطلاب لكل مدرس
1	أسامة بن زيد	842	105	8
2	5 مايو	623	46	14
3	عمر بن الخطاب	623	75	8
4	17 فبراير	560	82	7
5	طارق بن زيد	528	73	7
6	شهداء الأجهر	483	33	15
7	الجوف	473	78	6
8	المنارة	460	12	38
9	حسان بن ثابت	442	36	12
10	حطين	434	2	217
11	علي بن أبي طالب	368	34	11
12	أجنادين	340	52	7
13	شهداء الكفرة	323	34	10
14	المستقبل	316	24	13
15	مصعب بن عمير	289	1	289
16	الكرامة	278	34	8
17	محو الأمية	97	24	4
18	حمزة بن عبد المطلب	43	5	9
19	زيد بن الحارثة	42	15	3
20	اليرموك	35	1	35
	المجموع	7599	766	10

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المستقاة من وزارة التربية والتعليم بمنطقة الكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

في حين أن بعض المدارس الأخرى تتزايد فيها أعداد المدرسين عن عدد الطلبة، وهذا يدل على عدم وجود توازن في توزيع أعداد المدرسين بالمدارس، أو أن هناك سبباً آخر وهو وجود تخصصات لا تلبي حاجات تلك المدارس، فنصف المدارس الموجودة بمنطقة الدراسة يتزايد فيها أعداد الطلبة للمدرس الذي يخدمهم، بينما النصف الآخر منهم موافق للمعدل الذي وضعتة الدولة بل في المدارس بلغ أربع طلاب لكل مدرس. والجدول رقم (6) يوضح ذلك.

خامساً- متوسط أعداد المدرسين في الفصول:

يعد هذا المؤشر من مؤشرات كفاءة الخدمة التعليمية، وقد بلغ المعدل العام على مستوى الدولة لهذا المؤشر 2.5 مدرس/فصل، فمن خلال الجدول رقم (7) يتضح بوجه عام عدم كفاءة هذا المؤشر على مستوى مدارس المنطقة باستثناء ثلاث مدارس انخفاض معدل كفاءة هذا المؤشر كما هو مبين بالجدول.

الجدول (7) معدل مدرس لكل فصل على مستوى منطقة الكفرة

ت	اسم المدرسة	عدد المدرسين	عدد الفصول	معدل مدرس لكل فصل
1	أسامة بن زيد	105	28	4
2	فبراير-17	82	18	5
3	الجوف	78	13	6
4	عمر بن الخطاب	75	24	3
5	طارق بن زيد	73	18	4
6	أجنادين	52	16	3
7	مايو-05	46	21	2
8	حسان بن ثابت	36	17	2
9	شهاء الكفرة	34	13	3
10	علي بن أبي طالب	34	13	3
11	الكرامة	34	11	3
12	شهاء الأجهر	33	18	2
13	المستقبل	24	10	2
14	محو الأمية	24	7	3
15	زيد بن الحارثة	15	8	2
16	المنارة	12	15	1
17	حمزة بن عبد المطلب	5	7	1
18	حطين	2	15	0
19	اليرموك	1	9	0
20	مصعب بن عمير	1	9	0
	المجموع	766	290	3

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المستقاة من وزارة التربية والتعليم بمنطقة الكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

التعليم المتوسط

يعد التعليم المتوسط أحد سلم التعليم العام فهي المرحلة التي ينتقل الطالب من خلالها إلى التعليم العالي، فالمرحلة الثانوية بهذه المنطقة كسائر المراحل لسائر

البلاد، فهي تضم السنة الأولى الثانوي عام، ثم يتخصص الطالب في السنة التي تليها، وهي السنة الثانية إما إلى التخصص الأدبي أو التخصص العلمي حيث يكتمل هذه المرحلة، وتتأثر هذه المرحلة بتوزيع الطلبة على المدارس، وبالتالي يمكن من خلالها معرفة كفاءة وكفاية الخدمة من خلال معرفة كثافة الفصول، وعدد الطلبة في المدارس، ومعدل طالب لكل مدرس، ومن الملاحظ أن هذه المرحلة من مراحل التعليم تتركز في واحة واحدة وهي واحة الجوف موزعة على ست مدارس كما هي موضحة بالجدول التالي.

الجدول (8) التوزيع الجغرافي للتعليم المتوسط بوحدات منطقة الكفرة

ت	اسم المدرسة	عدد الطلبة ونسبتهم					المجموع	%	عدد الفصول	%	عدد المدرسين	%
		الواحة	ذكور	%	إناث	%						
1	أحفاد المختار الجوف	75	17	197	24	272	21	10	20.8	35	37.2	
2	القادسية الجوف	99	23	187	23	296	23	10	20.8	26	27.7	
3	أبويكر الصديق الجوف	49	11	89	11	136	11	7	14.6	12	12.8	
4	الجوف الغربي الجوف	109	25	142	17	251	20	8	16.7	7	7.4	
5	خالد بن الوليد الجوف	40	9	45	5	85	7	5	10.4	6	6.4	
6	النور الجوف	64	15	166	20	230	18	8	16.7	8	8.5	
	المجموع	436	100	826	100	1270	100	48	100	94	100	

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المسفاة من وزارة التربية والتعليم بمنطقة الكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

أ- التوزيع العددي والنسبي لعدد الطلبة:

من خلال الجدول تتوزع أعداد الطلبة على ست مدارس بلغ أعلى عدد للطلبة بمدرسة القادسية نحو (296) طالب بنسبة (23%) من أعداد الطلبة بمدارس المنطقة، بينما تنخفض أعداد الطلبة في مدرسة خالد بن الوليد البالغ عددها (85) طالباً بنسبة (7%)

ب- التوزيع العددي والنسبي لعدد الفصول:

يلاحظ من خلال الجدول السابق أن أعداد الفصول تختلف من مدرسة لأخرى، فبلغ عددها (48) فصلاً فأعلى مدرسة بلغ عدد فصولها (10) فصول، كما هو الحال في مدرسة القادسية ومدرسة أحفاد المختار.

ت- التوزيع العددي والنسبي لعدد المدرسين:

بلغ عدد المدرسين بمدارس التعليم المتوسط 94 مدرساً ارتفع عددهم بمدرسة أحفاد المختار البالغ نسبتها 37% من مجموع عدد المدرسين بالمدارس في حين انخفضت هذه النسبة في ثلاث مدارس أخرى، ففي مدرسة خالد بن الوليد لم تتجاوز النسبة بها عن 6.4%، ولربما يرجع السبب في ذلك إلى انخفاض عدد الخريجين بالمنطقة على الرغم من وجود فرع من الكليات التابعة لجامعة بنغازي، أو توجه أولئك الخريجين إلى العمل في مجالات أخرى؛ وذلك بسبب ارتفاع المردود المادي، كما الحال هو الحال الخدمة في المجال التجاري باعتبار أن المنطقة منطقة حدودية تعتمد على التجارة ونقل البضائع إلى الدول المجاورة، أو توجه معظم الخريجين للعمل في مجال الحقول النفطية.

ثانياً- كفاءة الخدمات التعليمية للتعليم المتوسط:

يتأثر مستوى كفاءة الخدمات التعليمية لمرحلة التعليم المتوسط بعدد من المؤشرات التي تخدمها منها:

1- كثافة الفصل:

يعد هذا المؤشر من المؤشرات الهامة لقياس مدى كفاءة الخدمة التعليمية، فمن خلاله يتم إيجاد العلاقة بين الطلاب وعدد الفصول الموجودة بالمدارس، ليتم فهم وتوضيح كثافة هذه الفصول، وكيفية توفير المدرسين لمواكبة سير العملية التعليمية وفق المعايير التي وضعتها الدولة، فقد وضعت الدولة معيار لمعرفة كفاءة

هذه الخدمة لهذا المؤشر وهو عدم تجاوز الطلبة في الفصول عن 27 طالباً في الفصل. والجدول رقم (9) يوضح كفاءة الفصول بمدارس منطقة الدراسة.

لجدول (9) كفاءة الفصول بمدارس منطقة الدراسة.

اسم المدرسة	كثافة الفصول	متوسط عدد الفصول في المدرسة	متوسط أعداد الطلاب في المدرسة	متوسط عدد المدرسين لكل طالب	مدرس لكل فصل
أحفاد المختار	27	10	272	8	4
القادسية	30	10	296	11	3
أبو بكر الصديق	19	7	136	11	2
الجوف الغربي	31	8	251	36	1
خالد بن الوليد	2	5	85	14	0
النور	29	8	230	29	1
المجموع	13	8	166.6	14	1

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المستقاة من وزارة التربية والتعليم بمنطقة الكفرة، بيانات غير منشورة، 2019م.

من خلال الجدول السابق يتضح أن كثافة الفصول ذات كفاءة متطابقة مع المعايير المحلية وبالتالي ذات كفاءة عالية وعدد الفصول متوافقة مع عدد الطلبة بالمنطقة كماً وكيفاً

2- متوسط عدد الفصول في المدرسة:

بلغ المعدل العام لمدارس المنطقة من حيث عدد الفصول بالمدارس 8 فصول لكل مدرسة، وهذا ما يتوافق مع المعدل العام الذي وضعته الدولة 8.6 فصول لكل مدرسة باستثناء مدرسة خالد بن الوليد انخفض معدل الفصول بها قليلاً عن المعدل العام بنحو 5 فصول بالمدرسة وفي العموم أن هذا المؤشر يعد إيجابياً وذا كفاءة عالية.

3- متوسط أعداد الطلاب في المدرسة:

يقيس هذا المؤشر مدى استيعاب المدارس الموجودة بالمنطقة لعدد الطلاب، فقد بلغ المعدل الذي وضعته الدولة لهذا المؤشر 232.6 طالب لكل

مدرسة، وبوجه عام يتضح كفاءة هذا المؤشر على مستوى مدارس المنطقة البالغ 166.6 طالب لكل مدرسة، إلا أنه قد تزداد أعداد الطلاب ازدياداً طفيفاً في بعض المدارس ويقل في بعضها الآخر ولربما يرجع السبب في ذلك إلى تفضيل بعض الطلاب مدارس دون أخرى وذلك بسبب التحصيل العلمي بها.

4- متوسط عدد المدرسين لكل طالب:

تنخفض كفاءة هذا المؤشر على مستوى مدارس المنطقة بمعنى أن المنطقة تعاني من نقص في أعداد المدرسين، فقد بلغ هذا المؤشر على مستوى المنطقة 14 طالباً لكل مدرس، فقد تجاوز المعيار الذي وضعته الدولة البالغ 5.1 طالب لكل مدرس، فقد وصل في مدرسة الجوف الغربي هذا المؤشر أعلاه إلى 36 طالباً لكل مدرس، وبالتالي يلاحظ أن التحصيل العلمي لهؤلاء الطلاب قليل جداً،

5- معدل مدرس/ فصل:

تأتي دراسة أهمية هذا المعدل لقياس معدل معلم لكل فصل، وهو أحد المؤشرات التي يقاس بها كفاءة الخدمات التعليمية، فتأتي أهمية قياس هذا المعدل في توفر المدرسين، ومدى اكتفاء هذه المدارس من المدرسين الذين هم الأساس والعمود الفقري الذي تقوم عليه العملية التعليمية، وكذلك تأتي أهمية هذا المعدل لقياس عدد المدرسين المطلوبين للمدارس، ومدى احتياج المدارس من هؤلاء المدرسين، وقد بلغ المعدل العام على مستوى الدولة 5.5 مدرس/فصل، في حين يلاحظ أن هذا المؤشر كفاءته ضعيفة جداً بمعنى أن عدد المدرسين قليل جداً، وهذا الأمر يتطلب وقفة جادة لمعرفة انخفاض أعداد المدرسين بهذه المنطقة، ويجب وضع الحلول اللازمة لتدارك هذا الأمر.

نتائج الدراسة:

- 1- أنشئ التعليم الأساسي منذ 1965م بمنطقة الكفرة، ثم تطور عبر السنوات حتى سنة 2014 وتعمل ثمان مدارس بفترتين من جملة عشرون مدرسة.
- 2- تعاني أغلب المدارس من كثافة الفصول حيث يصل أعداد الطلبة في بعض الفصول إلى ستة وثلاثين طالبًا.
- 3- يتجاوز أعداد الطلبة في المدارس بالجوف عن المعيار التخطيطي حيث يصل معدل عدد الطلبة بالمدارس 467 طالبًا.
- 4- تعاني بعض المدارس ويرتفع معدل الطلاب لكل مدرس، وهذا يدل على نقص أعداد المدرسين بالمدارس بمنطقة الدراسة.
- 5- انخفاض معدل المدرسين لكل فصل، وهذا يدل على انخفاض كفاءة الخدمة التعليمية بمنطقة الدراسة.
- 6- وجود خدمات التعليم المتوسط بواحة الجوف فقط.
- 7- يلاحظ ارتفاع أعداد الطلاب لكل مدرس، هذا يدل على انخفاض أعداد المدرسين بهذه المرحلة التعليمية مما يؤثر على انخفاض معدل المدرسين لكل فصل وبالتالي يؤدي ذلك إلى سوء كفاءة الخدمة التعليمية .

التوصيات: توصي الدراسة بالآتي:

- 1- الرفع من كفاءة الخدمة التعليمية بمنطقة الكفرة، وذلك من خلال إنشاء مدارس جديدة لاستيعاب الطلاب؛ لأن ارتفاع أعداد الطلاب بالممارس يؤثر بشكل سلبي على التحصيل العلمي لدى الطلاب، وذلك من حيث ارتفاع عدد الطلاب في الفصول.

2- ضرورة توافر أعداد كافية من المدرسين لسد العجز القائم بهذه المدارس للتعليم العام، خاصة أن المنطقة توجد بها عدد من الكليات التابعة لجامعة بنغازي.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أسامة البرعصي، التباين المكاني للخدمات الصحية والتعليمية بمدينة المرج الجديدة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس، (2004).
- 2- سيف محمد العتيبي، التعليم العام بحاضرة الإحساء دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، (2005).
- 3- صفا رحيم مفتن العبودي، التحليل المكاني للخدمات التعليمية والصحية في مدينة الزبير (دراسة في جغرافية المدن)، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2005.
- 4- علي محمد النير التعليم والصحة في منطقة زليتن دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة دكتوراه، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، (2008).
- 5- وداد الثابت، الوظيفة التعليمية في منطقة العجيلات للمدة 1990-2003، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من إبريل، (2005).
- 6- ونيس الشركسي، التعليم والصحة في بلدية مصراته، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (2001).

أسس المنهج النقدي في فلسفة إيمانويل كنت (1724-1804م)

د. خميس أحمد الجديد (*)

المقدمة:

لو تأملنا الفكر الفلسفي الحديث لوجدنا أن أبرز ما يمثله ذلك العصر من آراء ونظريات لفلاسفة ومفكرين قد انقسم إلى قسمين رئيسيين، هما التيار العقلي الذي جعل العقل المبدأ الوحيد لاكتساب المعارف والحقائق، ويمثله ديكارت وليبنتز، واسبينوزا، أما التيار التجريبي فقد جعل الوسيلة الوحيدة للمعرفة هي التجربة، أو الخبرة الحسية، ويمثله فرنسيس بيكون، وديفيد هيوم، وجون لوك. وعلى يد أولئك الفلاسفة شهد هذا العصر تطوراً ملحوظاً، وتقدماً هائلاً في البحث والمعرفة في المسائل الطبيعية، والإنسانية.

إشكالية البحث:

تدور مشكلة البحث على الرغم من التطور والتقدم الذي شهده هذا العصر، إلا أن هناك خلافاً ونزاعاً بين تيار الفلسفة الاعتقادية التوكيدية، وتيار الفلسفة الارتقادية الشكية من جهة أخرى، فوجد كنت نفسه بين تيارين أحدهما يثبت، ويؤكد، ويقرر، والآخر ينفي، ويسلب، وينكر، دون أن يكون لأيٍ منهما أساس نقدي يمكن الاعتماد عليه، فالتجربة أو الخبرة الحسية وحدها لا تكفي لتكوين المعارف، واكتساب الحقائق، وكذلك العقل المجرد بمفرده عاجز عن إدراك الحقائق، وفهم ماهيات وخصائص الأشياء في هذا الوجود. وهذان التياران كان لهما تأثير قوي على فلسفة كنت، وخاصة في طور الإعداد، أما في مرحلة النضج فقد وجّه لهما انتقادات في مجموعة من الآراء، وخاصة في مجال المعرفة محاولاً الجمع بينهما

(*) عضو هيئة تدريس - بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة بني وليد.

في مبدأ واحد لاكتساب المعارف والحقائق. ويسعى هذا البحث للإجابة على التساؤلات التالية:

1- ما المناخ الذي تتسمه كنط طيلة حياته؟

2- كيف بدأ كنط تأسيسه للمنهج النقدي؟

3- ما أسس المنهج النقدي عند كنط ؟

أهمية البحث:

1- تأكيد القيمة المعرفية لموضوع أسس المنهج النقدي عند فلاسفة عصر النهضة وبيان أهميته.

2- بيان الدور الذي أسس عليه كنط نظريته في المنهج النقدي للمفاهيم والآراء والأفكار التي سبقته.

3- تتبلور أهمية البحث من خلال التعمق في الطرح الذي قدمه كنط حول أسس المنهج النقدي للوصول إلى تقديم أفكار جديدة.

أهداف البحث:

1- معرفة مدى تأثير كنط بأفكار سابقه ومعاصره من الفلاسفة.

2- توضيح ما قدمه كنط من نقد للعقل على أعماله وادعاءاته في معرفة ما وراء الطبيعة.

3- تجسيد نقد كنط في كتاباته، وخاصة فما يتعلق بنقد العقل المحض، ونقد العقل العملي، ونقد ملكة الحكم.

منهج البحث:

اتباع الباحث في هذا البحث المنهج التحليلي النقدي المتمثل في تحليل الأفكار والمفاهيم، مع توشي الحيطة الكاملة، والالتزام التام بالموضوعية في طرح الأفكار والمفاهيم.

ويطمح هذا البحث إلى تسليط الضوء على:

1- المناخ الفلسفي الذي تنسمة كنط وتأثر به .

2- التطور التاريخي للنقد عند كنط.

3- أسس بناء المنهج النقدي عند كنط.

أولاً- المناخ الفلسفي الذي تنسمة كنط وتأثر به:

لقد تأثر كنط في طور الإعداد بفلسفة من سبقه من الفلاسفة وخاصة ليبنتز (1716/1646م) الذي نشر له كتاب بعنوان (مقالات جديدة عن العقل الإنساني) متضمناً بذور نظريته في الزمان والمكان، وهو فيلسوف ألماني صاحب مذهب مثالي موضوعي يهاجم فيه التجربة الحسية كمصدر للمعرفة، وذهب إلى أن العقل وحده يمكن أن يكون مصدر المعرفة، وهو الممثل الحقيقي للمذهب الروحي، ويرى أن "فلسفة المعرفة وفلسفة ما بعد الطبيعة يجب أن تتبع فيها الطريقة القياسية المتبعة في علم الرياضيات"⁽¹⁾، وأن العالم يتكون من أعداد لا متناهية من الذرات الروحية التي أطلق عليها (المونادات).

كما تأثر بالعالم الطبيعي اسحق نيوتن (1727/1643م) وهو من العلماء الذين تركوا بصمة واضحة على العلوم الطبيعية، فهو الذي وضع المفاهيم الأساسية لقوانين الميكانيكا، واكتشف قانون الجاذبية الأرضية العام، ووضع نظرية حركة الأجرام السماوية. إن ما شهده العلم في ذلك العصر من تقدم قائم على أسس نظرية نيوتن التي مفادها " إن القوانين العلمية مطلقة لا يتوقف صدقها على مكان أو زمان معين، أو شروط خاصة "⁽²⁾ تلك القوانين التي مكّنت من فرض هيمنة العلم على مختلف المجالات.

(¹) ليبنتز، المونادولوجيا، ت: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978، ص50.

(²) زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط:2، 1980، ص349.

والواقع أن المناخ الفلسفي الذي تتسمه كمنظومة مناخ عاصف اصطدمت فيه فلسفة ليبنتز بميكانيكا نيوتن التي كانت تحاول في ذلك الوقت التغلب على فيزياء رينيه ديكارت (1650/1596م) مؤسس المذهب العقلي، تولد عن ذلك صراع حاد بين الاستنباط الذي هو فعل البرهنة، أو الاستدلال على نتيجة استناداً إلى اليقين والضرورة من مقدمة أو أكثر عن طريق قوانين المنطق، والاستقراء الذي يهدف إلى تحليل الظواهر المعقدة إلى عناصرها البسيطة وقوانينها، أولهما عند ليبنتز، والآخر عند نيوتن، أي بين المنهج التركيبي والمنهج التحليلي، وبين الرياضيات والفلسفة، وبين مبدأ السبب الكافي وقانون العلية، وبين نظرية الزمان والمكان النسبي، ونظرية الزمان والمكان المطلق، وبين المبادئ الرياضية والميتافيزيقيا العقلية، وبين المدرسة العقلية التي "تجعل الأفكار أو التصورات طريقنا إلى معرفة الأشياء"⁽¹⁾، وبين المدرسة التجريبية الإنجليزية التي اعتمدت على "الإحساس في إدراك العالم الخارجي، وعلى الاستنباط أو الحدس في إدراك العالم الباطني"⁽²⁾ التي مثلها في القرن السابع عشر جون لوك (1632-1704م) صاحب النظرية المادية في المعرفة، والذي نشر له كتاب (مقالة في العقل الإنساني) عام 1690م، والتي تأثر بها كمنظومة في شيتين أساسين أولهما "أن الوظيفة الرئيسية للفلسفة تمحيص آراء السابقين قبل إقامة بناء فلسفي جديد، وثانيهما: ضرورة البداية بالخبرة الحسية لإقامة بناء معرفي أو ميتافيزيقي"⁽³⁾، ومن هنا كانت دعوته إلى اتباع نظام صارم دقيق في دراسة المذاهب الفلسفية السابقة عليه، كما استهل دعوته الفلسفية بأن كل معرفتنا تبدأ من التجربة، وإن كان كمنظومة قد أنكر الموقف الثاني فيما بعد؛ وذلك لأن

(1) إبراهيم مصطفى إبراهيم، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت، 1993، ص79.

(2) محمد عزيز نظمي سالم، تاريخ الفلسفة، مؤسسة الشباب الجامعي، الإسكندرية، ص155.

(3) محمود فهمي زيدان، كمنظومة وفلسفته النظرية، مكتبة التوتى للنشر، الإسكندرية، 1983، ص31.

جون لوك اعتبر التجربة مصدر المعرفة وحدها، بينما كمنط يرى أنّ التجربة ليست المصدر الوحيد للمعرفة.

كما أن تحليلات ديفيد هيوم (1776/1711م)، الذي هاجم فيها التيار العقلي المؤكداً أننا

"نصل إلى الحقيقة عن طريق العقل وحده، وأن هذه الحقيقة ليست إلا أفكاراً، أو تصورات موجودة في العقل وجوداً فطرياً"⁽¹⁾، وكان لها أيضاً كان تأثير على فلسفة كمنط في مسائل كثيرة منها "تصور الانطباعات ووظيفتها، وخصائصها، ومصادر المعرفة، وتصور العلية والتمييز بين قضايا العلاقات وقضايا الواقع"⁽²⁾ وقد أنكر هيوم أن تكون لدينا أي تصورات قبلية، ومن ثم أنكر الميتافيزيقيا كعلم قبلي، وأرجع تصور العلية إلى الإدراك الحسي، وأن العلية لها ضرورة ذاتية صادرة عن إدراك التلازم وتكرار العادة "فالانطباع الحسي الواحد، أو الفكرة الواحدة المتخلفة عن ذلك الانطباع هي وحدة التفكير، فإذا تجاوزت فكرتان في الذهن، ولم يكن بينهما من علاقة سوى علاقة التجاور، وبذلك لم يجد بين السبب ومسببه من علاقة سوى ما بينهما من تلازم في الوقوع"⁽³⁾، وبذلك أحدث هيوم ثورة في عالم الفكر، وكشف في فلسفته عن قصور العقل البشري، وجعله مجرد أثر من آثار العادة، فهدم معتقدات الناس الاعتيادية وأثار شكوكهم في قيمة المعرفة التي يتميز بها عصر التنوير بإعلاء سلطة العقل، وتحليله لعمليات الفكر الإنساني، وحل مشكلات الطبيعة والإنسان، وهذا ما أيقظ كمنط من سباته (الدوجماتيقي) العميق.

(1) علي عبد المعطي محمد، مدخل إلى الفلسفة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص309.

(2) محمود زيدان، مرجع سابق، ص32.

(3) زكي نجيب محمود، مرجع سابق، ص 19.

كما كان للهندسة الإقليدية التي تنسب إلى إقليدس العالم الإغريقي الذي يعد أول من قام بدراسة نسقيه لموضوع الهندسة، والذي " يقيم بناء الهندسي على أساس عقلي صرف"⁽¹⁾، تأثير قوي على فلسفة كنط "خاصة فكرة التأليف، وحدسية الزمان والمكان"⁽²⁾، والتي بنى على أساسها فلسفته فما بعد.

وكان للمنطق الصوري الذي يعرفه أرسطو بأنه " العلم الذي يبحث في شروط صحة الفكر، ويعصم الذهن من الوقوع في الخطأ، وذلك بتمييزه بين الصواب والخطأ من أفعال العقل التي هي التصور والحكم والاستدلال"⁽³⁾، تأثير واضح على فلسفة كنط رغم الاختلاف معه في تقسيم المنطق الصوري إلى تحليل وجدل، إذ يقتصر مبحث التحليل عند أرسطو على موضوع الاستدلال فقط، بينما عند كنط يضم التحليل مبحث التصورات والقضايا إلى جانب مبحث الاستدلال، أما الجدل عند أرسطو فيتناول القياس الجدلي وهو المؤلف من مقدمات احتمالية، أما عند كنط فموضوعه طبيعة البحث الميتافيزيقي.

كما تأثر كنط بأرسطو في تحليله للمبادئ الأولية لذهن (المقولات)، التي صنفها إلى جانب تصنيف أرسطو للأحكام، رغم وجود بعض الاختلاف في هذا التصنيف، فقد اعتبرها أرسطو بمثابة مجموعة من الأجناس العليا التي تندرج تحتها جميع الموضوعات والمحمولات، في حين اعتبر كنط أنها الوظائف، أو الروابط الأولية، أو العلاقات الضرورية بين الموضوعات والمحمولات، بصدور كتابه (صور العالمين المحسوس والمعقول ومبادئهما)، بتاريخ 1770م والذي يتضمن الخطوط العريضة لمذهبه النقدي، ويقرر فيه أن " الصور و المبادئ التي تمثل الشروط التي يجب توافرها لمعرفة الأشياء المحسوسة ينبغي أن تكون صادقة على

(¹) نفس المرجع ، ص 164.

(²) محمود زيدان، مرجع سابق، ص192.

(³) محمد عزيز نظمي، مرجع سابق، ص 121.

كل تجربة، وفي جميع الحالات، واقتصر في هذه الفترة من التفكير الفلسفي على معالجة الصور، ومبادئ الحس فقط⁽¹⁾، أما تطبيق هذه الصور والمبادئ على ميدان العقل فلم يظهر إلا في كتابه (نقد العقل الخالص)، الذي أصدره عام 1781م، فأحدث ثورة كبيرة في عالم الفلسفة، سميت بالثورة الكوبرنيقية* التي تتمثل في استبدال فكرة الانسجام بين الذات والموضوع، بمبدأ خضوع ضروري من الموضوع للذات⁽²⁾، إذ نبّه الناس إلى أن الفكر ليس هو الذي يدور حول الأشياء، وإنما الأشياء هي التي تدور حول الفكر لكي تصير موضوع إدراك وعلم، وأراد أن ينفذ في هذا الكتاب إلى أعماق العقل البشري، فهو دراسة نقدية عميقة لتحديد إمكانيات، وحدود العقل المجرد في مجال المعرفة والميتافيزيقيا، وفحصه فحصاً شاملاً، ومعرفة كل ما يصدر عنه من أحكام، وما نوع المعرفة المسيرة له، وطبيعة المبادئ التي تستند إليها هذه المعرفة، فبيّن لنا فيه صور الحساسة، ومقولات الفهم (الذهن)، وأفكار العقل، وعمد إلى تفسير الملكة العاقلة باعتبارها "وظيفة تأليفية تُرجع إلى الوحدة في شتى عناصر المعرفة المتناثرة"⁽³⁾، وكان هذا الكتاب خطأً فاصلاً بين طور الإعداد، وطور الإنتاج، وقد حدد فيه موقفه الفلسفي من ليبنتز ونيوتن ولوك وهيوم، وبدأ في بناء فلسفته والرد على آرائهم التي تأثر بها، وخاصة ليبنتز الذي كان يرى أنه "لدينا تصورات لا تجريبية، وأن عالم الظواهر عالم كل أفكارنا عنه غامضة ملتبسة بينما يمكننا معرفة عالم المعقول معرفة واضحة متميزة

(1) زكريا إبراهيم، كمنظ والفلسفة النقدية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1972، ص32.

* نسبة إلى كوبرنيك عالم الفلك الذي رفض النظرية الفلكية القديمة التي تنادي بمركزية الأرض.

(2) جيل دولوز، فلسفة كمنظ النقدية، ت:أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1997، ص25.

(3) جيل دولوز، مرجع سابق، ص37.

برهانيه بفضل تصوراتنا الفطرية" (1)، وهذا التصور يقصد به الصورة الحسية المعممة لأشياء وظواهر الواقع، وتردد في الوعي دون فعل مباشر من الأشياء، والظواهر على الحواس.

ثانياً- التطور التاريخي للنقد عند كنط:

انتقد كنط كل هذه الأفكار والآراء التي سبقته وتأثر بها، وبدأ في بناء مثاليته النقدية، وأقام مذهباً فلسفياً نقدياً يقوم على أربعة دعائم: الأولى: الإيمان بقيمة علم الرياضة والطبيعة، والثانية: الإيمان بقيمة القانون الخلقى النابع من الضمير، والثالثة: الإيمان بعدم جدوى قضايا الميتافيزيقيا التقليدية التي انحصرت في مشكلات الوجود، والطبيعة، والنفس، والله، والرابعة: إنشاء نزعة توفيقية بين العقل و التجربة (2). ومن هنا ظهر اتجاه فلسفي جديد في عالم الفلسفة يبحث عن الأسس والمبادئ التي تقوم عليها المعرفة الإنسانية.

ومن هذه المبادئ تقسيمه للعالم إلى (عالم الظواهر)، و(عالم الأشياء في ذاتها) عالم الظواهر يألفه الرجل العادي، وعالم الفيزياء على السواء ويحتوي أشياء مادية جزئية، ووقائع وحوادث طبيعية تدوم في زمن وتوجد في مكان؛ أي أنه عالم الخبرة الممكنة، وهو موضوع لإدراكنا المباشر، أما عالم الأشياء في ذاتها، فيقصد به الماهيات التي تعلق نطاق الطبيعة، وهي بذلك من "مشكلات العقل المحض التي لا مفر منها هي الله والحرية والخلود" (3)، وهي غير قابلة للمعرفة وليست في متناول التجربة، وأن العالم المؤلف من تلك الموجودات، أو المعاني المتضمنة في أسئلة ميتافيزيقية وهي " هل الله موجود؟ وما صفاته؟ هل الإنسان حر؟ ما طبيعة

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 37.

(2) إبراهيم مصطفى، مرجع سابق، ص 104.

(3) عمانويل كنط، نقد العقل المحض، ت: موسى وهبه، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1988، ص 47.

النفس الإنسانية؟ هل النفس خالدة بعد موت الجسد؟ هل للعالم بداية من الزمن؟... وأن عالم الحقائق عالم زمني لا مكاني⁽¹⁾، وحتى العقل ليس له القدرة على معرفة عالم الأشياء في ذاتها معرفة مباشرة أو بالاستدلال، بينما يمكننا معرفة عالم الظواهر معرفة واضحة متميزة، وأن معرفتنا عنه تُولف جانباً أساسياً من نسق معرفتنا؛ لأنه موضوع لإدراكنا الحسي، ولا يمكن معرفة عالم المعقول (الحقائق) معرفة واضحة برهانية؛ لأنه يتجاوز حدود قدرتنا العقلية.

وتتاول كمنظ أيضاً نظرية الزمان والمكان، فالزمان هو نظام تتابع الأشياء أو تعاقبها في الواقع، والمكان هو نظام وجود الأشياء معاً أو تساوقها في الوجود، وهما شكلان رئيسيان لوجود المادة، فقد عرف أرسطو الزمان بأنه: " مقياس أو عدد الحركة بحسب المتقدم والمتأخر، أما المكان فهو السطح الباطن المماس للجسم وهو نوعان: خاص لكل جسم مكان يشغله، ومشارك يوجد فيه جسمان أو أكثر"⁽²⁾، ويعرفهما ديكارت بأنهما: " مقولتان مستقلتان تمام الاستقلال، فالمكان هو الامتداد الهندسي ثلاثي الأبعاد، والزمان نوعان زمان طبيعي و زمان الحدس"⁽³⁾، فهما فكرتان فطريتان من أفكار العقل، أما ليبنتز فقد تصور أن " المكان والزمان يصدران عن العقل، وليس لهما وجود واقعي مستقل، فهما ذاتيان نسبيان"⁽⁴⁾، أي أنهما ينتميان إلى عالم الظواهر ومعرفتنا به غامضة ملتبسة، وهما مجرد علاقات تتضمن الجوار، والبعد، والمصاحبة في الوجود، والتعاقب فيه، فليس لهما وجود مستقل عنّا وموضوعي، أما نيوتن الذي ميّز بين ما يسميه المكان النسبي الذي يمكن أن تمتد فيه موضوعات الإدراك الحسي، وما يسميه المكان المطلق الذي له

(1) عما نويل كمنظ، المصدر السابق، ص45.

(2) علي عبد المعطي محمد، مرجع سابق، ص86.

(3) نفس المرجع، ص88.

(4) محمود زيدان، مرجع سابق، ص37.

وجوده الواقعي دون أن يوجد أي شيء جزئي، والذي يبقى دائماً هو هو متجانس ثابت، ويميّز بين الزمان النسبي الذي يمكن أن تدوم فيه الأشياء المادية، والحوادث العقلية، وما يسمه الزمان المطلق، أو الحقيقي، أو الرياضي، والذي ينساب بطبيعته دون أن تكون له علاقة بأي شيء آخر، والمكان والزمان المطلقان أكثر أهمية عند نيوتن من المكان والزمان النسبيين " إذ هما خالصان ليس بهما شيء، ويصفهما نيوتن بالخلود واللانهائي"⁽¹⁾، ولهما وجود موضوعي مستقل لا يعتمد وجودهما علينا، ولا يمكن إدراكهما إدراكاً حسيّاً، ولا يعتمد وجودهما على وجود الأشياء فيهما.

وجّه كنط انتقاداته لكل هذه التعريفات، وبنى نظريته في المعرفة على أساس أنّ المكان والزمان حدسان قبليان، وأنّ واقع المعرفة " هو أنه لدينا تصورات قبلية نحكم بفضلها وهي الحيز والزمن، وهما شكلان قبليان للحدس، حدسان قبليان هما بالذات يتميزان عن المظاهر التجريبية، أو المضامين البعدية "⁽²⁾. وبذلك فإنّ المكان والزمان شرطين أساسيين لإدراكنا الأشياء، وهما الصورتان القبليتان لملكة الحساسة، وهما ليسا أفكاراً مستمدة من التجربة.

كما بيّن كنط خطأ المحاولات الميتافيزيقية التي سبقته عند بعض الفلاسفة والتي تدرس المبادئ لكل ما هو موجود، والتي لا تبلغها الحواس، ولا يستوعبها إلا العقل المتكامل، والتي لا غني عنها لكل العلوم.

كانت الميتافيزيقيا في العصور الوسطى قد أخضعت لخدمة اللاهوت، وفي القرن السادس عشر وما تلاه أخذت مصطلح (الأنطولوجيا) مبحث الوجود " وهي البحث عن الواقع النهائي البعيد الذي يقف وراء الظواهر الحية، أو هي البحث عن

(¹) نفس المرجع، ص104.

(²) جيل دولوز، مرجع سابق، ص22.

العلل الأولى، أو البعيدة عكس العلوم الجزئية التي تدرس الموجودات الحسية، والعلل الجزئية أو القريبة ⁽¹⁾، أما في القرن السابع عشر، فكان مصطلح الميتافيزيقيا مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالعلوم الطبيعية والإنسانية، فكانت عند ديكارت صاحب المنهج الشكي ونظرية الأفكار الفطرية " الذي قلب أولية الوجود على الفكر رأساً على عقب، فأولية الوجود لم يعد لها موضع في فلسفة تبدأ بالذات المتشككة ⁽²⁾، وأن واقعية الوجود أصبحت في حاجة لتصورات فطرية في الفكر.

وبينما ترى المدرسة التجريبية التي كان يمثلها في العصر الحديث كل من لوك، وهيوم، فقد أعطى كل منهما " الأولوية للوجود بالنسبة إلى الفكر، ولا يتبع الوجود الفكر بل على العكس من ذلك الوجود أولاً، ثم يتلوه الفكر ⁽³⁾، وأصبحت التجربة هي أصل كل ما في العقل البشري من أفكار، وهي مصدر كل معرفتنا.

وعندما قارن كمنظ بين أعمال الميتافيزيقيين السابقين عليه وجد أنهم لم يتفوقوا على منهج محدد فكانت الآراء مختلفة ومتضاربة فما بينهم، وبذلك حدد منهج جديد يهدم الميتافيزيقيا القطعية التي ترى أنّ العقل البشري له القدرة على معرفة الوجود، كما هو في ذاته، والتي تزعم " الانتقال بغير حق من الظواهر إلى الأشياء في ذاتها ⁽⁴⁾، وأراد أن يقيم محلها ميتافيزيقيا جديدة على الرغم من اعتراضه على عدم قدرة العقل تجاوز عالم الظواهر، ومعرفة عالم الحقائق؛ لأنه ليس لدينا حدس عقلي نستطيع أن نرتقي به إلى مستوى تأمل (الموضوعات المطلقة) الحقيقة اللامشروطة، ولا يمكن أن نبرهن بأدلة فاسدة على الميتافيزيقيا للوصول إلى إثبات عالم الأشياء في ذاتها، وبهذا ينبغي أن نضع منهجاً محدداً للميتافيزيقيا بحيث تقف على قدم

(1) علي عبد المعطي، مرجع سابق، ص 293.

(2) نفس المرجع، ص 295.

(3) نفس المرجع، ص 295.

(4) حربي عباس، الفلسفة ومشكلاتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص 66.

المساواة مع المباحث المنطقية، والرياضية، والفيزيائية الجديرة باسم العلم. إن بناء هذا المنهج يستلزم معرفة طبيعة هذا العقل الإنساني، وحدوده، وقدرته على المعرفة، وذلك بنقد ملكتنا العاقلة بالقياس إلى كل معرفة يسعى إليها هذا العقل مستقلاً عن كل خبرة، وهذا النقد لا يكون إلا بفحص المعرفة القبلية التي تكون مستقلة عن أي خبرة حسية، أو مشتقة من الانطباعات الحسية، فهي مستقلة عن الخبرة استقلاً منطقياً.

ويرى كنط أنّ هناك نوعين من المعرفة، وهما معرفة أولية خالصة، والتي يعتبرها قبلية، ومعرفة تجريبية لاحقة، وبهذا فإن كلمة "قبلي أو أولي تقابل بعدي أو الذي مصدره التجربة، فالقبلي مستقل عن التجربة، وصحته لا تتوقف على التجربة" ⁽¹⁾، فعلى سبيل المثال الكلمات (القلم، المنضدة، برتقالة، وغيرها) تصورات تجريبية؛ لأننا نؤلفها من خبرات حسية، بينما كلمة المكان والزمان تصورات قبلية؛ لأننا لا نؤلفها من خبرات حسية، وأنّ "معياري القبلي هما الضروري والشامل، ويتحدد القبلي المستقل عن التجربة" ⁽²⁾، فالكلمات مثل (الجميع، دائماً، بالضرورة، غداً) لا تشتق من التجربة، وبذلك أصبحت لدينا قضايا تجريبية، وقضايا قبلية أولية، ويفرق كنط بين "المعرفة الخالصة التي يعتبرها أولية، وبين المعرفة التجريبية؛ فالمعرفة الأولية وهي بطبيعتها معرفة ضرورية لا تحتمل أدنى احتمال، كما أنها في الوقت نفسه معرفة كلية ليس فيها تحديد أو تخصيص، ومثل هذه المعرفة الأولية متمثلة بصفة خاصة في القضايا الرياضية وبعض القضايا الفيزيائية" ⁽³⁾، وأن هذه القضايا الرياضية لا يمكن أن نستمدّها من التجربة

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 51.

(2) جيل دولوز، مرجع سابق، ص 21.

(3) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 48.

فهي دائماً ذات " أحكام قبلية وليست تجريبية " ⁽¹⁾، ويضرب مثال على ذلك بالقضية القائلة بأن " لكل تغير علة " فيتصورها ديفيد هيوم بأنها وليدة العادة، والتكرار، والاعتقاد، بينما يراها كمنظرة قضية أولية كلية ضرورية لا سبيل إلى إنكارها إلا بإنكار العلم نفسه، وإنّ مبدأ العلية مبدأ أولي سابق على كل تجربة، وأنّ هذه القضايا القبلية الأولية هي أفكار فطرية ليس للإحساسات أو الخبرة دخل فيها " وأساس فطرتها أنها أفكار خالصة واضحة بذاتها لا تحتوي على أي محتويات حسية، كما أنها ليست صورة أو نتيجة الخبرة الحسية " ⁽²⁾، وليست أفكار فطرية منقوشة في العقل، أو حدوس ذهنية مغروسة في طبيعة العقل، كما يرى ديكارت الذي نادى بوجود أفكار فطرية في العقل وقسمها إلى ثلاث أنواع وهي " فطرية، وعرضية، ومصنوعة " ⁽³⁾، فطرية لأنها مفطورة في العقل، عرضية لأنها مستمدة من الخارج، أما التأليفية فهي من اختراع الشخص، وأنّ طريق المعرفة هو العقل بما يحتويه من أفكار كامنة فيه بالقوة، وهذا ما ذهب إليه المذهب العقلي بوجه عام.

ينتقد كمنظرة إمكانية وجود أفكار فطرية في العقل كما يرى ديكارت، بل يرى أن هناك أفكار خالصة قبلية أولية يسميها معارف أولية يعتبرها " بمثابة شروط ضرورية قائمة في الذهن دون أن تكون عبارة عن معارف جاهزة معدة من ذي قبل، أو حقائق فطرية مفطورة في العقل " ⁽⁴⁾، ومن هنا لا يؤمن كمنظرة بوجود إدراكات عقلية فطرية، بل يعتبر العناصر الأولية القبلية بمثابة شروط ضرورية للمعرفة.

(1) عمانويل كمنظرة، مصدر سابق، ص50.

(2) إبراهيم مصطفى إبراهيم، مرجع سابق، ص118.

(3) رواية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص226.

(4) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص48.

وينتقد أيضاً التجريبيين الذين ينكرون وجود أفكار فطرية في العقل، أو وجود معاني ذهنية قبلية، وخاصة جون لوك الذي ينكر " وجود أفكار فطرية في العقل، والذهن يولد صفحة بيضاء، والأفكار تأتي إليه من التجربة، فهي جميعاً مكتسبة، ويحلل التجربة إلى إحساس، وإلى إدراك منعكس"⁽¹⁾، ويضيف هيوم أنه ليس لدينا تصورات أو مقولات، وليس لدينا معرفة بعالم ما وراء خبراتنا الحسية، وأن أفكارنا جميعاً مشتقة من الانطباعات الحسية " وهي عنده نوعان انطباعات الإحساس، والتأمل"⁽²⁾ الأولى تنشأ في العقل من أسباب مجهولة غير قابلة للمعرفة، والثانية نستمدّها من الأفكار حين ترد فكرة إلى العقل تحدث انطباعاتاً تأملياً.

انتقد كمنظ هذه الآراء والأفكار في مقدمة كتابه (نقد العقل الخالص) محاولاً التوفيق بين تلك المذاهب المتضاربة في مصادر المعرفة وحدودها، فيرى أنّ " ليبنتز قد أصاب في أنه لدينا تصورات قبلية، ولكنه أخطأ حين رأى أن وظيفتها تمكننا من معرفة العالم المعقول، وأصاب هيوم في أنه ليس لدينا معرفة بالعالم المعقول، وأن معرفتنا محدودة بالعالم المحسوس، ولكنه أخطأ في أن الانطباعات الحسية، والتصورات التجريبية كافية لتمكننا من معرفة العالم المحسوس"⁽³⁾، وبذلك حاول التوفيق بين التجريبية أو البعدية، والعناصر القبلية في تكوين المعرفة البشرية.

وبعد أن قدم كمنظ نقده لما سبقه من الفلاسفة في كتابه نقد العقل الخالص بدأ في بناء منهجه النظري الذي أطلق عليه التراسندنتالية (المتعالية)، وحدد فيه أسس فلسفته النقدية.

(1) محمد عزمي نظمي، مرجع سابق، ص213.

(2) كريم متى، الفلسفة الحديثة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط:2، 1988، ص204.

(3) محمود زيدان، مرجع سابق، ص28.

لقد جمع كمنظ في فلسفته النقدية بين الإحساسات والعقل، حيث تعتمد معرفة الأشياء على العقل بما له من معانٍ بديهية مستقلة عن التجربة، ومن مجموعة التجارب الحسية أي الخبرة الحسية، فبعض العناصر مستمد من التجربة، وبعضها من المعاني الأولية التي يعرفها "العقل المجرد بطبيعته، فالعقل أداة تشكل الإحساسات وتخلق منها أفكاراً، وتشكل التجارب الحسية المختلطة، وتخلق منها وحدة فكرية هي ما نطلق عليه اسم الشيء" (1)، وتعرف عند كمنظ باسم النزعة المتعالية أو المنهج.

ويبين في نقد العقل الخالص قائلاً "إن العقل هو القدرة التي تمنحنا مبادئ المعرفة القبلية، فإن العقل المحض هو ذلك الذي يتضمن مبادئ معرفة شيء ما على نحو قبلي تماماً، وأن (اورغانونا) للعقل المحض سيكون مجموعة تلك المبادئ التي بموجبها يمكن للمعارف القبلية المحضة أن تكتسب، أو تقوم حقاً" (2)، وأن للعقل ثلاث ملكات مبيناً وظيفة كل منها:

أ - القدرة الحسية (ملكة الحساسية): وظيفتها تستقبل الانطباعات الحسية وتقولبها في قالب المكان والزمان، فتكون النتيجة جملة من المدركات الحسية التي تعتبر شرطاً ضرورياً رغم أنه ليس كافياً للمعرفة.

ب - العقل الفعال (ملكة الفهم): وظيفتها تصدر عنها التصورات القبلية، أي ما يسمى بالمقولات.

(1) إ. وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، ت: أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر،

القاهرة، 1936، ص47.

(2) عمانويل كمنظ، مصدر سابق، ص54.

ج- العقل الخالص (ملكة الأفكار) وظيفتها هي ميلنا إلى التفكير في المطلق وحقائق الأشياء، أي تبدع رسوم تخطيطية يمكن أن تنظم المقولات والحدوس الحسية.⁽¹⁾

ويلاحظ من ذلك أن كل معرفتنا تبدأ من الخبرة أي تبدأ كل معرفتنا مع التجربة، ولا ريب في ذلك البتة؛ لأن قدرتنا المعرفية لن تستيقظ إلى العمل إن لم يتم ذلك من خلال موضوعات تصدم حواسنا، فتسبب من جهة حدوث التصورات تلقائياً، وتحرك من جهة أخرى نشاط الفهم عندنا أي مقارنتها وربطها أو فصلها، بالتالي إلى تحويل خام الانطباعات الحسية إلى معرفة بالموضوعات تسمى التجربة، إذن لا نتقدم أي معرفة عندنا زمنياً على التجربة بل معها تبدأ جميعاً⁽²⁾، وهي التي تنبه قوانا الفكرية الكامنة فينا، وذلك بتأثير الأشياء على حواسنا، فتولد فينا تأملات تدفع عقلا الفعال (ملكة الفهم) إلى المقارنة بين هذه التأملات، وجمع بعضها إلى بعض، أو فصل بعضها عن بعض، ثم نؤلف من المادة الخام لتلك الانطباعات الحسية معرفة الأشياء، إذن ليس لدينا معرفة سابقة سبقاً زمنياً على الخبرة، ومن الخبرة تبدأ كل معرفتنا.

ويعتبر كنط الحدس الحسي، أي ما يطلق عليه التجريبيين الانطباع الحسي هو مصدر وأساس للمعرفة الإنسانية لعالم الظواهر، يقول كنط: إن الحدس " تصور فريد يتعلق من دون واسطة بموضوع التجربة ومصدره موجود في الحساسة"⁽³⁾، إضافة إلى ما يصدر عن العقل الفعال من تصورات قبلية، وأن طبيعة الحدس الحسي هي الصفة الاضطرارية للحدس، أي نستقبل الحدس دون جهد إنساني، دون اختيار منّا، فإن العالم المادي معطي لنا في صورة حدس حسي، وليس إنتاج

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 55.

(2) عمانويل كنط، مصدر سابق، ص 45.

(3) جيل دولوز، مرجع سابق، ص 15.

الخيال، بينما حدوث الحدس الحسي فينّا هي عملية إدراك شيء لا اختيار لنا فيه، وأنّ للحدس الحسي سبقاً زمنياً، وللتصورات القبلية سبق منطقي " وأنّ الحدس الحسي هو مادة الإدراك الحسي، والصورة هي تلك التصورات، وهما عنصران بينهما غاية التمايز، هما مادة المعرفة ونصل إليها من الحواس، وصورة معينة لترتيب هذه المادة نصل إليها من مصدر داخلي هو الحدس الخالص⁽¹⁾، وهما للذان حين تحفزهما الانطباعات الحسية يبدأ نشاطهما فينشأ عنهما تصورات.

انتقد كنط أنّ يكون للكون جانب محسوس، وجانب معقول، وبالإدراك الحسي ندرك عالم الظواهر، والتصورات القبلية هي سبيلنا إلى الإدراك الواضح المتميز لعالم المعقول، كما ورد في المذهب الميتافيزيقي، وبالأخص نظرية المونادات عند ليبنتز، وقد فرق كنط بين الإدراك الحسي، والإدراك القبلي، فيقول " تتولد كل معرفتنا من مصدرين أساسيين في الذهن: الأول هو استقبال التصورات، والثاني هو القدرة على معرفة موضوع بهذه التصورات"⁽²⁾، فالأول يعتمد على قدراتنا الحسية، ويعطي لنا الموضوع، والثاني يعتمد على قدراتنا العقلية التلقائية مع إصدار تصورات قبلية، والإدراك الحسي للأشياء لا يحتاج إلى حدس وخيال، وإنما يحتاج إلى تصورات قبلية، وتلك الحدوس، والتصورات القبلية التي بفضلها نستطيع معرفة الجانب المحسوس فقط لأنه ليس لدينا معرفة بالجانب المعقول.

ولهذا أخفقت كل المحاولات السابقة لفهم الميتافيزيقيا التي ترى أنّ قدرتنا القبلية قادرة على معرفة موجودات مجردة كل التجريد عن الحس، أو عن الحدوس الحسية، وأنّ قدرتنا القبلية قادرة فقط على معرفة عالم الظواهر إذا أضيفت إليها حدوس حسية، وتعرف فقط ما يتفق ويتطابق مع تصوراتنا للأشياء.

(1) نفس المرجع، ص 57.

(2) عمانويل كنط، مصدر سابق، ص 75.

ويذهب كمنط إلى أنه يجب على الحدوس الحسية أن تتطابق وتصورتا القبلية بدلاً من افتراض أنه يجب على تصورتا القبلية أن تتطابق مع الأشياء، ذلك هو المنهج الجديد المقترح للبحث الميتافيزيقي، أي جمع كمنط بين الحس والعقل معاً، وذهب إلى أن المعرفة الإنسانية ما هي إلا تعاون بين أساسيين أساس حسي هو العالم الخارجي بما فيه من ظواهر، وأساس عقلي يضم ثلاث قوي هي ملكة الحساسة وملكة الفهم وملكة الأفكار.

وعندما يتسأل كمنط عن إمكان قيام الرياضيات البحتة، والطبيعيات النظرية لم يقصد التشكك فيهما بل يريد أن يتسأل عن أهم الشروط التي ضمنت لهما الصدق والتقدم، وهذا النقد لا يعني أنه أخذ من الشك نقطة انطلاق إنما كان يريد ضرورة تخليص العقل من كل ما انطوى عليه من معارف سابقة من أجل امتحانه، وإعادة النظر فيه.

رفض كمنط الشك المطلق الذي ذهب إليه ديكارت الذي " شك في قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة حتى في الاستدلالات الرياضية" ⁽¹⁾، ويؤكد أن هناك علمان لا يمكن أن يشك فيهما، وهما العلم الرياضي، والعلم الطبيعي؛ لأن العلم الرياضي يخضع لمعرفة أولية كلية ضرورية سابقة على الخبرة الحسية، والعلم الطبيعي استطاع أن يكتسب طابع العلم، وأن يتخذ من مبادئ العقل وسائط تنظم الظواهر الطبيعية المنتثرة، وإحالتها إلى قوانين علمية كلية ضرورية، وكان التقدم العلمي الذي أحرزه العلم على يد (نيوتن) سبباً في التمييز بين الرياضيات والفيزياء، محققاً " شرطين أساسيين وهما أولاً أن يكون ضرورياً، ثانياً أن يكون واقعياً" ⁽²⁾ فقد جعل من علم الطبيعة بناءً راسخاً من القضايا المطلقة الصدق.

(1) مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، ص90.

(2) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص47.

ويرى كنط أنّ العقل الخالص في استخدامه النظري البرهاني غير قادر على إثبات وجود ما يتعالى على خبرتنا الإنسانية، وبذلك تكون "الميتافيزيقيا النظرية مستحيلة كعلم، وأنها وهم وخداع؛ لأنّ الميتافيزيقيا علم قبلي، وكل ما هو قبلي يتضمن الضرورة المطلقة، ومن ثم ينبغي أن تكون القضايا الميتافيزيقية يقينية" (1)، لهذا لا يستطيع العقل أن يصل إلى إثبات جوهرية النفس وبساطتها وخلودها، وهو عاجز عن تحديد موقفه من الأسئلة التي يطرحها العقل الخالص فيما يتعلق بأصل الكون، ونشأته، وحدوده، وعاجز أيضاً عن إثبات وجود الله؛ لأنه لا يستطيع أن يثبت هذه الأفكار من مجرد تصورات، أو أفكار قبلية، وبذلك استطاع كنط وضع حد لكل ميتافيزيقيا سابقة عليه بفضل منهجه النقدي.

أما وظيفة العقل العملية فهي التي تهتم بالجانب القبلي من عقلنا الذي يهتم بوضع أسس الأخلاق التي تناولها في كتابه (أسس ميتافيزيقيا الأخلاق) عام 1785م، و(نقد العقل العملي) عام 1788م، وقد بسط فيه تصوراته الأخلاقية، ونسب للأخلاق صبغة الضرورة المطلقة، فنأدى بوجود قوانين أولية كلية ضرورية في مضمار السلوك البشري، ونأدى بمفهوم الواجب اللامشروط، "وأن الأخلاق لا يمكن أن تقوم على أية دعامة تجريبية، وأكد على وجود أمر أخلاقي مطلق، وهو بمثابة قضية تركيبية أولية ثم عاد إلى معاني الله، والحرية، والنفس" (2)، والتي كان قد استبعد إمكان البرهنة عليها نظرياً فأعتبرها مسلمات أخلاقية يستلزمها العقل.

وظهر له مؤلف جديد عام 1790م، بعنوان (نقد ملكة الحكم) أراد فيه أن يوفق بين العقليين النظري والعملي، أو بين عالم الطبيعة، والحرية، ولاحظ كنط أنّ "المبادئ الأولية لملكة الفهم مرتبطة بمعرفة الواقعة التجريبية، كما أنّ المبادئ

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 248.

(2) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 38.

الأولية للعقل العملي مرتبطة بالنزوع، فإن الحكم هو الذي يحقق الانسجام بين الطبيعة والحرية، أو بين العقل والإرادة⁽¹⁾، فالوحدة النسقية مختلفة بين نقد العقل الخالص الذي يفرض الوحدة على الطبيعة، وبين نقد ملكة الحكم التي تحاول البحث عن هذه الوحدة بين الموضوعات التي تمثلها، وذلك بالصعود من الجزئي إلى الكلي محاولاً الوصول إلى مبدأ لا تكون الخبرة مصدره، ويحتوي هذا الكتاب على دراسة لمشكلات الجمال وبصوره اكتمل الثالوث النقدي.

ثالثاً- أسس بناء المنهج النقدي عند كنط:

تضمن كتاب كنط " نقد العقل الخالص " الإجابة على ثلاث أسئلة متتالية ، السؤال الأول: كيف تكون العلوم الرياضية البحتة ممكنة ؟ وأجاب عليه في الباب الأول الاستطيقا الترسندننتالية، والسؤال الثاني: كيف يكون علم الطبيعة النظري ممكناً؟ وأجاب عليه في الباب الثاني التحليل الترسندننتالي، والسؤال الثالث: كيف تكون الميتافيزيقيا ممكنة ؟ وأجاب عليه في الباب الثالث الجدل الترسندننتالي.

1- الاستطيقا الترسندننتالية (القدرة الحسية):

التي أجاب فيها عن السؤال الأول، وهي المعرفة التي تتضمن شروطاً قبلية معينة لحصول الإدراك الحسي والمعرفة العلمية، ويعني بهذه الشروط ما يسميه الحدوس القبلية للانطباعات الحسية (المكان والزمان)، والتصورات القبلية (المقولات) وتلك الحدوس والتصورات القبلية ليست مشتقة من الخبرة الحسية، ولكنها ضرورية لكي تتم خبرتنا للعالم التجريبي، وبذلك تكون الصلة بين الحدس القبلي للزمان والمكان وثيقة بالعلوم الرياضية البحتة، والتي تضم الهندسة باعتبارها علم يحدد خواص المكان، وعلم الحساب الذي يؤلف تصورات له لأعداد بإضافة متعاقبة لوحده في الزمان، " وأن قضايا الرياضيات البحتة وخاصة قضايا الهندسة

(1) نفس المرجع، ص 39 .

ليست مشتقة من الخبرة الحسية، وإنما مستقلة عنها، وأن صدقها مطلق ضروري لا يعتمد على الإدراك الحسي⁽¹⁾، بينما الصلة بين حدسي المكان والزمان، والإدراك الحسي للعالم الخارجي فهي بحث في طبيعة المكان والزمان، وطريقة معرفتنا لهما، وتعتبر نظريته في المكان والزمان بمثابة مقدمة إلى نظرية المعرفة التي بناها على النسق المكاني الإقليدي، ولم يوافق كمنط نيوتن و ليبنتز في تعريفهما للمكان والزمان، فهو يعرفهما بأنهما: "صورتان أوليتان تخلصهما القدرة الحسية على شتى المعطيات الحسية التي ترد إليها من الخارج، دون أن يكون لها أدنى وجود واقعي في العالم الخارجي، باعتبارهما موضوعين قائمين بذاتهما"⁽²⁾، فالمكان والزمان مصدرهما إنساني ينبعان من القدرة الحسية في جانبها القبلي، أي قبلان غير مستمدان من الخبرة الحسية، فهما ذاتيان ولهما وجودهما الموضوعي الخارج عن الذات، وأن الزمان ليس شيئاً موضوعياً واقعياً، كما أنه ليس جوهرًا عرضياً أو رابطة، بل هو الشرط الذاتي الذي يجعل في وسع العقل البشري أن يحقق ضرباً من التآزر بين الموضوعات الحسية، وفقاً لقانون محدد، فالزمان إذن حدس صرف، والمكان أيضاً ليس شيئاً موضوعياً واقعياً، وليس جوهرًا، ولا عرضاً، ولا رابطة بل هو: "صورة تخطيطية ذاتية تصورية تتبع من طبيعة الذهن، وتجعل في الإمكان تحقيق الترابط والتآزر بين جميع الموضوعات الحسية الخارجية، وهو حدس صرف، فهما حدسان قبلان مرتبطان بالقضية الرياضية، فهي تركيبية قبلية"⁽³⁾، وأن العنصر القبلي التركيبي يقوم فيها على الحدس، فهي ضرورية صادقة، ومن ثم لن يكون صدقها مستمد من الخبرة الحسية.

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 78.

(2) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 54.

(3) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 81.

ويكون العقل مصدر تلك الضرورة، والحس المتضمن في القضية الرياضية ليس تجريبياً، وإنما هو قبلي، ويقوم صدق القضايا الرياضية على أن المكان والزمان حدسان قبليان، ويورد كمنط عدة أدلة على أن المكان والزمان قبليان لا تجريبين، وأنهما حدسان لا تصوران، ومن هذه الأدلة:

1- أننا لا نستطيع أن نتصور الأشياء متميزة خارجة عنّا، أو مجاورتها لبعضها البعض، أو قربها أو بعدها عن بعضها البعض، إلا إذا كانت لدينا فكرة المكان باعتبارها دعامة أولية سابقة للخبرة الحسية، وكذلك لا نستطيع أن نتصور الأشياء متقارنة في نفس الوقت، أو متعاقبة بعضها على أثر بعض إلا إذا كان لنا تمثّل سابق للزمان باعتباره دعامة أولية سابقة للخبرة الحسية " وأن العلاقات المكانية والزمانية ليست مشتقة من الخبرة الحسية، وأن تلك العلاقات تقترض المكان ككل والزمان ككل، إذ هما قبليان، وكذلك علاقاتهما"⁽¹⁾، وهذا الدليل ذو صيغة أفلاطونية إذ يرى أفلاطون " أن عالم المثل فوق الحسي لا مكاني؛ لأنه مثالي، ولا زمني لأنه أزلي أبدي"⁽²⁾.

2- أن الزمان والمكان من الصور الأولية القلبية السابقة على الخبرة الحسية، بدليل أننا نستطيع أن نسقط أو نغير من أذهاننا الموضوعات الحسية المتحيزة مكانياً، والأحداث المتعاقبة والمتقارنة زمنياً، لكننا لا نستطيع أن نتصور عدم وجود مكان أصلاً، نستطيع أن نتصور زماناً خلوّاً من الظواهر لكننا لا نستطيع أن نتصور ظواهر خارجة تماماً عن الزمان، وغير مترابطة به أصلاً، إذ أننا لن نستطيع أن نمحو من أذهاننا تصوراً للمكان والزمان في حد ذاتهما بسبب أن هاتين الصورتين هما بمثابة الشرطين الأولين الضروريين لإمكان قيام الظواهر"⁽³⁾.

(1) نفس المرجع، ص 83.

(2) علي عبد المعطي محمد، مرجع سابق، ص 86.

(3) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 55.

3- أننا نستطيع أن نتمثل أمكنة عديدة، ونتصور أزمنة مختلفة، ولكننا لا نستطيع أن نتصور الجزئيات المكانية، أو تلك الأقسام الزمانية، إلا إذا كان هناك مكان واحد وزمان واحد يكمنان وراء كل هذه التصورات المتعددة للأمكنة المتباينة، والأزمنة المختلفة، ومعنى هذا أنه لا بد أن يكون تصورنا للمكان بمثابة حدس أولي لا يرجع إلى الخبرة الحسية، وأن المكان والزمان حدسان وليسا تصورين. ويميز كنط بين الحدس التجريبي، والتصور التجريبي، فالأول يشير إلى صفة محددة في الخارج، مثل اللون، أما الثاني فإنه يتضمن خاصية، أو عدة خصائص عامة يمكن أن ندرك فيها عدة أشياء جزئية كثيرة مثل خصائص المنضدة، والتميز، وبذلك نجد " أن الحدس يمكن أن نقسمه إلى أجزاء كل منها يمثل حدس، بينما لا نستطيع تقسيم التصور إلى أجزاء كل جزء يحمل نفس خصائص التصور"⁽¹⁾، وينظر كنط إلى المكان والزمان على أن كل منهما يتضمن أجزاء لكل منها خصائص، إذن ليس المكان والزمان تصورين، بل هما حدسان قليان.

4- أننا نتصور المكان والزمان غير متناهيين؛ لأن الخبرة الحسية لا تأتي لنا إلا بالمقادير الجزئية المتناهية المتمثلة في الأشكال والأحجام والأبعاد المكانية، وفي المدة الزمنية التي تنطبق عليهما المقاييس المكانية والزمنية المختلفة، ويرى كنط أن " المكان والزمان كل منهما واحد خالص، وكل منهما سابق سبباً منطقياً على أجزائه، وكل منهما لانتهائي"⁽²⁾، لكنه ليس معطى وإنما نصل إليه بالتجريد.

ويرى كنط أن المكان والزمان " هما الحدسان اللذان تقيم عليهما الرياضيات الخالصة كل معارفها وأحكامها في حين تستند الهندسة إلى الحدس المكاني، بينما الحساب والميكانيكا يستندان إلى الحدس الزماني"⁽³⁾، ويبحث في طبيعة القضية

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 88.

(2) نفس المرجع، ص 93.

(3) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 57.

الرياضية باعتبارها ليست قضية تحليلية إذ بها جديد أكثر من مجرد تحليل التصورات، وهي قضية تركيبية تقوم على حدس قبلي، فهي قضية قبلية يقينية مطلقة الصدق.

إنّ الجانب الإستمولوجي من نظرية المكان والزمان عند كمنط يتلخص في أنّ المكان والزمان " صورتان قبليتان للحدوس التجريبية، والمكان صورة الإحساس الخارجي، والزمان صورة الإحساس الداخلي، ويتعلق المكان والزمان بعالم الظواهر لا بعالم الأشياء في ذاتها " ⁽¹⁾، ومعرفتنا لعالم الأشياء الجزئية تبدأ بحصولنا على مادة الإدراك الحسي، وأنّ لكل مادة صورة يجب أن ترتب فيها هذه المادة، وأنّ لمادة الإدراك الحسي صورتين قبليتين هما المكان والزمان التي يجب على الأشياء أن تُعطى لنا في إطارها، وأنّ المادة تمثل كل ما يصدر عن موضوع الإدراك الحسي، والصورة تمثل كل ما يصدر عن الذات، وما هو بطبيعته كلي ضروري، وأنّ الحدوس التجريبية ترتب في صورة المكان، وأنّ تتابع الحالات العقلية ترتب في صورة الزمان.

2- المنطق أو التحليل التراسندنتاليه (العقل الفعال):

جعل كمنط من المنطق ركناً أساسياً من أركان فلسفته النقدية، وتناول المنطق التراسندنتالي " القواعد والمبادئ الصورية الضرورية للتفكير في عالم الخبرة الإنسانية، وهذه القواعد والمبادئ صورية من حيث لا تتعلق بشيء تجريبي، وإنما تتعلق بالسمات العامة التي يمكن تطبيقها على كل ما يمكن أن يكون موضوعاً لإدراكنا، أو معرفتنا، وهي ضرورية من حيث إن عالم الخبرة الإنسانية يكون مستحيلاً بدونها، ومن ثم يتعلق المنطق لا بالصورة المنطقية الخاطئة لفرننا

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 96.

فحسب، وإنما بمضمون هذا الفكر⁽¹⁾، وموضوعه تحليل العناصر أو الشروط القبلية التي يصنعها العقل الفعال.

وينقسم إلى قسمين:

أ- **تحليل التصورات**: ويتناول تحليل التصورات القبلية المتضمنة في تفكيرنا عن الأشياء، وتشريح ملكة العقل الفعال ذاته، حتى يمكن الوصول إلى إمكان وجود تصورات قبلية وهي المقولات، وهذا ما يطلق عليه كنط (نظرية المقولات)، ويعرف كنط المنطق الصوري بأنه العلم الذي يبحث في قواعد العقل الفعال أي العلم الذي يحوي قواعد الفكر الضرورية مطلقة بدونها يكون استخدام العقل الفعال مستحيلًا، وهي القوانين الصورية الضرورية لكل فكر، وهذه القواعد كلية ضرورية قبلية يخضع لها كل إنسان في تفكيره، ويتسق مع تعريفه للعقل الفعال الذي يعرفه بأنه: " قدرة العقل الإنساني على إنتاج تصورات من ذاته"⁽²⁾، أي لا تعتمد على الخبرة الحسية، أي قبلية وهو مصدر الفكر الصوري.

ويميز كنط بين المعرفة والتفكير، فالمعرفة تستلزم عنصرين هما الحدوس والتصورات، ولا تتحقق المعرفة إلا إذا توفر لها هذان العنصران، فالتصورات بدون حدوس حسية جوفاء، كما أنّ الحدوس الحسية بدون تصورات عمياء فيقول كنط: "الأفكار من دون مضمون فارغة، والحدوس من دون أفاهيم عمياء"⁽³⁾، أما التفكير فهو " الفعل الذي يقوم على إقامة صلة بين حدس معطي وموضوع"⁽⁴⁾، أي القدرة على إنتاج واستخدام تلك التصورات، وهو ما يسمه كنط بالعقل الفعال، وهو قدرتنا على التفكير، أو على إنتاج تصورات. ويعني هذا أنّ الفكر، والتصور، والحكم إنما

(1) نفس المرجع، ص132.

(2) نفس المرجع، ص126.

(3) عمانويل كنط، مصدر سابق، ص75.

(4) نفس المصدر، ص166.

هي كلمات مترابطة تدل على فعل عقلي واحد، يصدر عن العقل الفعال الذي وظيفته هي قدرتنا على الفكر، والتصور، والحكم، وكذلك تصدر عنه المقولات، وتشمل نظرية المقولات التي بواسطتها يستطيع أن يتعقل العقل الفعال الأشياء، ويصدر عليها الحكم: وتضم أحكاماً، وهذه الأحكام تشمل:

- قائمة القضية: الكلية - الجزئية - الشخصية.

- قائمة الكيف: وتضم القضية الموجبة - السالبة - اللانهائية.

- قائمة العلاقة: وتضم القضية الحملية - الشرطية المتصلة - المنفصلة.

- قائمة الجهة: وتضم القضية الاحتمالية - الخبرية - الضرورية⁽¹⁾.

وأن كل نوع من هذه الأحكام منطوي على مقولة قبلية تم بواسطتها تركيب عناصر الحكم، ويمكن اشتقاق المقولات من صور الأحكام وهي:

- مقولات الكم: الوحدة - الكثرة - الجملة.

- مقولات الكيف: الإثبات - النفي - التحديد.

- مقولات العلاقة: الجوهر - العلة والمعلول - التأثير المتبادل بين الجواهر.

- مقولات الجهة: الإمكان والاستحالة - الوجود واللاوجود - الضرورة والحدوث⁽²⁾.

(1) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 64.

(2) نفس المرجع، ص 64.

ويرى كنط من هذا التصنيف أن المقولة الثالثة ناشئة عن ارتباط المقولة الأولى بالثانية، فالوحدة شرط للكثرة في حين " أن الجملة ليست سوى الكثرة منظور إليها كوحدة، وأنّ التحديد هو وليد الجمع بين الإثبات والنفي، وأنّ التأثير المتبادل هو ناتج الجمع بين الجوهر والعلة، وأنّ الضرورة هي نتيجة التأليف بين الإمكان والوجود"⁽¹⁾، وهذا لا يعني أنّ المقولة الثالثة مجرد تصور مستخلص من المقولتين الأخيرتين، بل لا بد من اعتبارها بمثابة معنى أولي من معاني العقل الفعال، وبالمقولات يستطيع العقل الفعال أن يدرك الحدوس الحسية التي تستلمها القدرة الحسية، وتضعها في إطار العلاقات المكانية والزمانية، ويضع العقل الفعال "هذه الحدوس الحسية تحت مقولة واحدة أو أكثر وعندئذ يتعلّقها، ويقوم بتكريب وتوحيد إدراكات الخبرة الحسية المبعثرة في عالم منتظم معقول فالقدرة الحسية تمدنا بمادة المعرفة"⁽²⁾، بينما العقل الفعال يمدنا بصورة المعرفة، ولولا ملكة الحساسية لكانت المعرفة غير ذات موضوع، ولولا ملكة الفهم لصارت المعرفة غير قابلة لتعقل.

وأنّ وظيفة المقولات هي في الأساس نظرية الإدراك الحسي، وأنه لكي يتم إدراكنا لشيء ما فإنّه يمر بتحليل ابستمولوجي؛ أي تحليل ما يتضمّنه الإدراك المباشر من عناصر، وبما أنّ المعرفة الإنسانية في جانبها النظري إنما هي معرفة عالم الخبرة، وأنّ حدوسنا الحسية مصدر أولي لتلك المعرفة بفضل القدرة الحسية التي تستقبل الإحساسات المميزة، ووضعها في إطار علاقات المكان والزمان، وأنّ الحدوس الحسية وحدها لا تقدم لنا إدراكاً حسيّاً، أو تؤلّف لنا معرفة بسبب عدم ترابط هذه الحدوس الحسية، وبهذا يرى كنط لكي يقوم لنا الإدراك الحسي بوظيفته يلزم إيجاد عنصر خارجي يقوم بالربط بين الحدوس الحسية وتوحيدها، وهذا لا يتم

(1) عمانويل كنط، مصدر سابق، ص 91.

(2) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 66.

إلا عن طريق فعل التأليف الذي يصدر عن العقل الفعال، وينقسم إلى نوعين: تأليف تجريبي، وتأليف خيالي، ووظيفة الأول التأليف بين الحدوس الحسية المشتتة ووضعها في حدس مركب واحد، وتقديمها إلى ملكة الفهم بمقولاتها المتنوعة، أما وظيفة الثاني فتأليف أو صياغة هذا الشتات المُعطى عن طرق الحدس ليوافق الوحدة التركيبية للوعي، وهذا التأليف الخيالي ما يسميه كمنظ ملكة المخيلة، وهي تبذل رسوم تخطيطية مهمتها ترتيب وتوحيد شتات الحدوس الحسية في حدس مركب، ويقوم الخيال بدوره عبر ثلاث مراحل: وهي "تأليف الضم، والتأليف الاسترجاعي، والتأليف التصوري"⁽¹⁾ ويعني كل منهما ما يلي:

- تأليف الضم: وهو عبارة عن تأليف سريع للانطباعات الحسية المشتتة الآتية من الخارج.

- التأليف الاسترجاعي: في الخيال، ويتم بفضل قوانين الترابط مثل التتابع في الزمان والتجاور في المكان والتشابه.

- التأليف التصوري: أو تأليف الإدراج تحت تصور ما، وهو الذي يقوم بالتركيب بين الحدوس القبلية.

التأليف الأول والثاني يدخلان تحت التأليف التجريبي، بينما التأليف الثالث يدخل تحت تأليف الخيال، وهو إنتاج الصور التخطيطية؛ أي الإسكيمات، وهي التي تؤلف الحدوس الحسية بواسطة تصور يتناسب مع التصور القبلي، وفرض على الحدس درجة أولى من التنظيم والتركيب، وهذا ما "يصل إليه تحليلنا النقدي للإدراك الحسي، وهو الحدس المركب"⁽²⁾، ولكن الحدس المركب يحتاج إلى تصورات قبلية لكي يكون مدركاً حسيّاً، وبهذا نجد أنّ العقل

(1) محمد عثمان الخشب، العقل ما بعد الطبيعة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1993،

ص74.

(2) محمود زيدان، مرجع سابق، ص150.

الفعال هو ملكة الفكر القبلي، وأنّ القدرة الحسية هي ملكة الاستقبال الحسي، وأنّ ملكة المخيلة هي الوساطة بينهما، ويقدم الخيال الحدس المركب إلى العقل الفعال؛ ليبدأ في تحليل الإدراك الحسي.

وبهذا اهتم كمنط بمعرفة (النفس الإنسانية) وميّز بين ثلاث أوجه للنفس، وهي الأنا المتعالية، والنفس التجريبية، والنفس الحقيقية، وأشار في نظرية المقولات إلى (الأنا المتعالية) الفكر الواعي الخالص، وهي وجه من أوجه النفس، وتعني عنصر الشعور بالذات، وهي جوهر روحي متميز من البدن، وليس نفساً، أو روحاً وليس له وجود، وإنما هو شرط ضروري، وأتة المبدأ الأول لإمكان المعرفة، فهناك علاقة بين الذات المدركة، والحدوس الحسية، وبهذا لا قيمة للحدوس الحسية إلا إذا توفرت لها ذات واعية؛ لأن المعرفة تستلزم وجود ذات في مقابل موضوع المعرفة، فالخيال هو حلقة الوصل بين الحدوس الحسية، والتصورات القبليّة، وهو الذي يقدم الحدس المركب إلى العقل الفعال، ويعمل الخيال داخل الذهن فهو حدس أولي قبلي يشبه المكان والزمان، ويرى كمنط " أنّ الزمان متجانس مع المقولة، والحدس قبلي كالمقولة"⁽¹⁾، فالزمان وسيط بين الحدس الحسي والمقولات أي متجانس مع المقولات من حيث إنّه قبلي، وفي نفس الوقت متجانس مع الحدس، فحدس الزمان يرسم قبلياً إطارات يمكن أن تدخل فيها الظواهر، وتدل على المقولة التي يجب أن ترتب تحتها.

ويصنف كمنط الرسوم الخيالية تصنيف المقولات، فمقولات الكم لها رسم خيالي واحد وهو العدد، ومقولات الكيف لها رسم خيالي واحد وهو الدرجة؛ أي الواقعية في الزمان، ومقولات العلاقة لها ثلاثة رسوم، وهي الثبات الدائم، والتعاقب، والمعية، ومقولات الجهة لها ثلاثة رسوم، وهي الاتفاق والوجود في الزمان المحدد، والوجود

(1) نفس المرجع، ص162.

في كل زمان، وبذلك يعتبر الزمان هو الشكل العام للاسكيمات التي يقدمها الخيال إلى العقل الفعال لوضع الظواهر في إطارات وإدراجها تحت التصورات، وبذلك توجد في العقل الفعال صور الحكم، ويقدم له الخيال مادة الحكم، وبواسطة ملكة المخيلة يربط الإنسان بين الحدس والمقولات، ولا بد أن يحدث توافق بين القدرة الحسية، والعقل الفعال بفضل الوظيفة الخيالية.

دافع كنت عن نظريته في المقولات برفضه آراء ليننتز الذي يرى بوجود مقولات (موندات) نستطيع بها معرفة عالم الأشياء في ذاتها، وهي عنصر ضروري لمعرفتنا لعالم الحقائق، رغم ذلك فهو يتفق معه بأن لدينا مقولات، ولكنه يختلف معه في وظيفة هذه المقولات التي تمكنا من إدراك عالم الظواهر فقط، وليس لدينا القدرة على معرفة عالم الحقائق، وكذلك يرفض آراء ديفيد هيوم الذي يرى أنه ليس لدينا تصورات قبلية، بل لدينا انطباعات حسية، وليس لدينا القدرة على معرفة عالم الحقائق، بل معرفتنا مختصرة عن عالم الظواهر، ويعتبر الانطباعات الحسية شرط ضروري لتلك المعرفة، ويتفق معه في أنّ معرفتنا محدودة بعالم الظواهر، ويختلف معه في أنّ إدراكنا لعالم الظواهر يتألف من عنصرين هما المقولات، والخبرة الحسية.

ب- تحليل المبادئ:

يتناول تحليل مبادئ العقل الفعال، وهي القوانين التي يخضع لها العالم الطبيعي، وكذلك تحليل الفروض الأساسية في تفكيرنا العلمي والحياة العلمية، تلك القوانين القبلية التي يملها العقل الفعال كأساس ضروري لمعرفتنا العلمية التجريبية، ويجب فيه عن السؤال الثاني كيف يكون العلم الطبيعي الخالص ممكناً؟

إنّ علم الطبيعة في أساسه علم تجريبي نصل إلى قوانينه ونظرياته بالمشاهدة والتجربة، وبذلك يميّز كنت بين القوانين التجريبية، والتي هي عبارة عن تعميمات

تجريبية، وليست كلية، أو موضوعية، والمبادئ القبلية للعقل الفعال، وهي قوانين كلية موضوعية، وهي التي تجعل القوانين التجريبية ممكنة. وتتقسم مبادئ الفهم الخالص:

1- بديهيات، وهي تقابل مقولات الكم: إنّ كل مدرك حسي إنما هو كم ممتد، ويشمل الامتداد الزماني والمكاني، ومن تم يمكن قسمته إلى أجزاء، وتلك الأجزاء متصلة اتصال تتابع أو تعاقب، وإذا أضيفت الأجزاء إلى بعض تألف الكل، وأجزاء الكل متجانسة، وأنّ الكل ممكن القياس؛ لأنه يتسق وبديهيات الهندسة الاقليدية، ومن هذه البديهيات لا يمكن إقامة أكثر من خط مستقيم واحد بين نقطتين.

2- توقعات الإدراك الحسي، وهي "تقابل مقولات الكيف بمعنى أنّ يكون للشيء الواقعي الذي هو موضوع الإحساس درجة ما من الشدة"⁽¹⁾.

3- قواعد التجربة، وهي تقابل مقولة العلاقة؛ أي المبادئ القبلية للمعرفة العلمية، ومنها مقولة الجوهر، والعلية، والتأثير المتبادل بين الجواهر، ويبين ضرورة مقولة الجوهر لإدراكنا الحسي ومن المبدأ القبلي المشتق فيها الذي هو ضروري لمعرفةنا العلمية، وعرّف كمنظ الجواهر بأنه "الموضوع الأول لكل المحمولات أي الموضوع الثابت للتغير، والمجال الوحيد لتطبيق هذا التعريف هو عالم المادة"⁽²⁾، ويرفض كمنظ أنّ يسمي العقل الإنساني، أو النفس الإنسانية جوهرًا؛ لأنه لم يجد فيها عنصر ثابت.

4- مسلمات التفكير التجريبي، وهي تقابل مقولات الجهة، ويصوغ كمنظ هذا المبدأ القبلي بما ينفق مع "الشروط الصورية للتجربة، وهي صورتا الحدس والمقولات فهو

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 75.

(2) نفس المرجع، ص 174.

ممكن"¹، إن الهدف من عرض كمنظ لمبادئ الفهم الخالص هو إثبات واقعية العالم الخارجي عالم الظواهر، ورفضه للمثالية لهدفان "أولاً: البرهان على أن العالم المادي الخارجي موجود وأنا ندرکه إدراكاً حسيّاً مباشراً، ومن ثم معرفتنا له معرفة يقينية، وثانياً: البرهان على أن شعوري بوجودي غير ممكن إلا بالقياس إلى وجود هذا العالم، وشعوري بأنّ العالم متميز عني، ولكن رغم ذلك يوجد جانب مثالي في فلسفته، وهو تفسيره القبلي للمكان والزمان، وتقديره أنّ الذات بتصوراتها القبليّة تدخل عنصراً أساسياً لتكوين معرفتنا عن العالم المادي أو التجريبي"⁽²⁾، وكان يسميها الواقعية التجريبية، أو المثالية الترانستندالية، ومن المثاليات التي رفضها مثالية ديكرت التي يرى أنها مثالية احتمالية تقرر الوجود اليقيني الذي لا شك فيه وهو الشعور بالذات.

ويشير كمنظ هنا إلى النفس التجريبية التي نشعر بها في الخبرة الباطنية، وبما أنّ هذه الخبرات تتضمن أفكاراً، ووجدانات، وإرادات حين نشعر بها ككائن مفكر يستلزم أن تتضمن إلى الذات حدوس لأن الوجود الواقعي المحدد، والمعرفة بما هو واقعي يستلزم حدوسنا إلى جانب الفكر، وهذه الحدوس يجب أن تكون داخلية، ويميز كمنظ بين الشعور بالذات، ومعرفة الذات، الأول مصدره الأنا المتعالية، والثاني مصدره النفس التجريبية.

ويميّز كمنظ بين ما يسميه عالم الظواهر، وعالم الأشياء في ذاتها فهو يرى بأن معرفتنا الظاهرة للشيء المحسوس تتركب من تأليف عناصره لحدوس تجريبية نتيجة تأثرها بالظاهرة، وصور، وتصورات قبليّة في تطبيقاتها التجريبية، ولكن للشيء في ذاته يجب أن ندرکه بالعقل الخالص دون حاجة إلى حدوس حسية، وأنّ الشيء في

(¹) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 76.

(²) نفس المرجع، ص 220.

ذاته لا يمكن أن يكون موضوعاً لإدراكنا، أو معرفتنا؛ لأنه لا يتفق وحدود قدرتنا العقلية، وما لا تصدر عنه حدوس تجريبية، وأن المقولات تجد مجال تطبيقها تجريبياً فقط، ولا تنطبق المقولات على الأشياء في ذاتها.

وبهذا يرى كنط أن تصور الشيء في ذاته ممكن من الناحية المنطقية؛ لأنه لا تناقض فيه، لكننا عاجزون عن معرفته في الواقع، وليس معنى ذلك أن كنط أنكر وجود الشيء في ذاته، بل أقر بوجوده، ولكننا لا نستطيع معرفته؛ لأن معرفتنا محدودة بقدرتنا العقلية، ولكن لدينا أفكار خالصة لا نصل إليها في عالمنا المحسوس " لكنها لا تزال طاغية ملحة تملئ نفسها علينا، وإحاحها أمر واقع"⁽¹⁾، ونقع في الخطأ إذا اعتقدنا أن هذه الأفكار تقابل واقعاً خارجياً، وأنه يمكننا معرفتها.

3- الجدل الترانستندالي:

عرّف كنط الجدل كمبحث من مباحث المنطق الصوري يتناول المبادئ الصورية للفكر، وهو البحث الذي يحلل أخطاء النظريات الميتافيزيقية السابقة، وأن ينبّه إلى الحذر من الوقوع في هذه الأخطاء، والإجابة على السؤال الثالث كيف تكون الميتافيزيقيا ممكنة؟ وبما أن كنط يستخدم ملكة المعرفة، أو العقل الإنساني ليبدل على ثلاث وظائف له، وهي القدرة الحسية والتي بفضلها نستقبل الحدوس الحسية، والعقل الفعال وهو ما تصدر عنه التصورات القبلية، أو المقولات، ويضيف ملكة العقل الخالص وهو القدرة التي تتعلق بالمطلق، أو بما هو أولي، وما لا يوجد فوقه شيء؛ أي ملكة الأفكار للمعرفة الميتافيزيقية وله وظيفتان هما: الوظيفة المنطقية وهي القدرة على الاستدلال الغير مباشر، وهي وظيفة استدلالية لحظية، والانتقال من مقدمة كبرى إلى مقدمة أكثر عمومية منها، ليصل إلى تصور مقدمة أولى لا توجد مقدمة أخرى أعم منها، ويقوم برد المعرفة الجزئية إلى معرفة كلية.

(1) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 241.

الوظيفة الميتافيزيقية، وهي الأفكار التي تصدر عن العقل الخالص، وصنف كمنظ الأفكار تصنيف الاستدلالات غير المباشرة، أو الأقيسة، واستمد تصنيفه للتصورات القبلية للعقل الفعال، ومن تصنيف المنطق الصوري للصورة المنطقية للحكم أو القضية.

وأنّ أفكار العقل الخالص ثلاث وهي " فكرة الذات المفكرة الإنسانية المطلقة، فكرة السلسلة الكاملة للعقل في العالم، فكرة أسمى الموجودات أو الله " (1)، وهي التصورات الخاصة بالعقل ويتم اشتقاقها من أنواع الأقيسة، وخاصة القياس الحملي الذي نسند فيه محمولاً إلى موضوع، ويقوم العقل الخالص بصياغة قضايا أكثر عمومية من المقدمة الكبرى لهذا القياس، ونصل إلى قضية أكثر عمومية، ولا تسبقها قضية أعم منها، ولا يكون الموضوع هو نفسه محمولاً، وهذا الموضوع يشير إلى الأنا باعتبارها جوهرًا لا مشروطاً، أو ذاتاً مطلقة.

أما إذا كان القياس الشرطي المتصل الذي نعلق فيه مشروطاً على شرطه، بالبحث عن قضية أكثر عمومية من المقدمة الكبرى، بحيث تكون القضية الأكثر عمومية مفسرة تفسيراً علياً لمقدمتها الكبرى حتى نصل إلى قضية أولى تتطوي على مجموعة الشروط والعلل المطلقة لسائر العلل الطبيعية، وهي فكرة العالم، أما في حالة القياس الشرطي المنفصل الذي نحدد في مقدمته الكبرى كل عناصر الحد بحيث نصل إلى الشرط الذي يمثل تحديد الاحتمالات، ونصل إلى فكرة الله باعتبارها الوحدة المطلقة التي هي الشروط الضرورية لجميع موضوعات الفكر بصفة عامة (2)، إن هذه الأفكار الثلاث لا تعبر عن موقف كمنظ الميتافيزيقي بأنّ العقل الخالص قادر على الاستدلال القياسي على أنّ النفس الإنسانية جوهر بسيط

(1) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 260.

(2) نفس المرجع، ص 87.

خالد، أو أنّ للعالم بداية أولى في الزمن، أو أنّ الله موجود، وإنما ينكر إمكان إقامة البراهين الاستدلالية على هذه الأفكار؛ لأنها أفكار أصلية في العقل الخالص، تصدر عنه بطبيعته، رافضاً النظريات السابقة التي تناولت المسائل بالبرهان المنطقي وهي النفس، العالم، الله، وهي التي تمثل المباحث الميتافيزيقية الثلاثة علم النفس النظري الذي يدرس النفس باعتبارها جوهرًا مفكرًا، أو ذاتًا مطلقة، وعلم الكون النظري وهو العلم الذي يدرس النفس باعتبارها جوهرًا يضم مجموع الظواهر. علم اللاهوت النظري وهو العلم الذي يدرس الله باعتباره الشرط الأسمى الذي يحوي جميع الكمالات.

يعالج كنط أغاليط العقل الخالص التي وقعت فيها النظريات الميتافيزيقية السابقة في مفهوم النفس في علم النفس العقلي فهو " يبحث في النفس بحثاً قليلاً، ويستبعد البحث التجريبي، ويرى أصحاب هذه النظريات أنّه يمكن الوصول إلى معارف كاملة عن أنفسنا بطريقة استنباطية كالرياضيات البحتة دون أن نلجأ إلى ملاحظات، أو تجارب بادئين فقط من خبرة الإنسان الأساسية بشعوره بذاته، وطائفة من الأفكار القبلية"⁽¹⁾، فأرسطو يدرج مبحث النفس ضمن العالم الطبيعي؛ لأن النفس مبدأ الكائن الحي الموجود في الطبيعة، وفكرة الكائن الحي مكونة من عنصرين هما الصورة والهيولي، وأنّ النفس هي صورة هذا الكائن، وقد ميّز بين الهيولي الذي يمثل المادة، والصورة التي تمثل النفس، وأنهما يتحدان اتحاداً جوهرياً ليكونا موجوداً واحداً، وكل واحد ناقص في ذاته مفنقر إلى الآخر.

استطاع ديكارت باستخدام الكوجيتو (أنا أفكر فأنا موجود) أن يثبت ذاته، واستقلاليّتها بما تتطوي عليه من تأمل وأحاسيس عن الجسد كما أثبت " أنّ معرفتها أيسر من معرفة الجسد؛ لأنّ النفس تدرك بالفكر ذاته، بينما الجسد يدرك بالظن

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 269.

"(1) وان أثبات وجود النفس هي محاولة لأثبات وجود الذات في أي فعل تقوم به حتى في حالة الشك نفسه فكون الإنسان يشك يفيد أنه يفكر، وكونه يفكر يفيد ثبوت أنيته، وهي إثبات وجود الذات (الوعي).

بينما يرى ليبنتز " أن الخلود لا يحتاج إلى براهين معقدة، ولا بسيطة، وأنه مترتب على مفهوم المنادات التي لا تقبل القسمة، وهي خالدة"(2) وهذا ما يسري على مناداة العقل.

ويرى كنط أن النفس الإنسانية جوهر بسيط، وهي واحدة لا يمكن أن ننظر إليها على أنها نفوس متعددة مترابطة، ومن ثم فلها ذاتيتها الشخصية، والنفس مستقلة عن البدن، ومتميزة عن الأشياء الخارجية في المكان، ويحاول أن يبحث عن المصدر الذي يشتق منه علم النفس العقلي هذه التصورات، وأن الفلاسفة الذين تم ذكرهم كانت بدايتهم من خبرة الشعور بالذات، وأقاموا استنباطاتهم المنطقية واستدلالاتهم عليها لكي يصلوا إلى جوهرية النفس الإنسانية، وبذلك رفض كنط هذه النظريات وسماها أغاليط علم النفس العقلي، واعتمد في نقده لهذا العلم على الفكرة القائلة بأن "الفكر لا يكفي وحده لمعرفة أي موضوع، وإنما لابد من حدس ينطبق عليه هذا الفكر"(3) فمثلاً حين أقول: (أنا أفكر) فإنني انطلق من الشرط العام الذي تتوقف عليه كل تصوراتي، وعندما أريد أن أعرف ذاتي فإنه لابد من حدس باطني؛ لأنه لن أستطيع عن طريق تحليل الفكر بصفة عامة أن أنسب إلى الذات صفات كالجوهر، والبساطة، والهوية، والسبب في ذلك أن نسبة الصفات إلى الذات تقتضي تركيباً، وهي في حاجة إلى حدس، وبما أن الذات ليست كائن، وإنما مجرد فعل الفكر، ومن ثم فالأنا هي شرط المعرفة؛ أي مبدأ كل معرفة لكنها لن تكون

(1) رواية عبد المنعم عباس، مرجع سابق، ص226.

(2) محمود سيد أحمد، مفهوم الغائية عند كنط، دار الثقافة والنشر، القاهرة ، 1988، ص54.

(3) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص 90.

ذاتها موضوع معرفة، وبالتالي ليست جوهرًا، وأن إثبات بطلان معرفتنا للنفس أنها جوهر يرجع ذلك لأنّ الجوهر يستلزم وجود حدس حسي ثابت دائم، وهذا الحدس الحسي لا يمكن العثور عليه؛ لأن كل حدوسنا متغيرة متعاقبة، فالشعور بالذات لا يدل على جوهرية النفس لعدم وجود حدس حسي يمكن اعتباره أساس لها، فهي شرط المعرفة، وليست موضوع للمعرفة، وبما أنّ النفس لم تكن جوهرًا فلا يمكن أن تكون بسيطة، فالشيء البسيط يلزم أن يكون جوهرًا، فهي ليست بسيطة، وبالتالي فهي ليست خالدة؛ لأنّ الخلود مقترن بالبساطة، وما يخلد إلا البسيط؛ لأنه ليس له أجزاء، ومن ثم لا يتحلل ولا يفنى، فقد رفض كمنط بساطة النفس وخلودها بسبب عدم إمكان إقامة البراهين الصحيحة على خلودها وبساطتها .

وأنّ للنفس الإنسانية ثلاث وجوه وهي الأنا الترانستدالية (الفكر الواعي الخالص، أو الشعور بالذات)، وتعبّر عن الشرط الضروري الاستمولوجي الذي لا غنى لنا عنه لتمام إدراكنا، ومعرفتنا للأشياء. إنّه الشعور بالذات، وبه أعلم أنّي موجود، والنفس التجريبية، أو الظاهرية هو ما نتحدث عنه في الواقع ، وتلك النفس موضوع إدراكي ومعرفي، وهذه النفس جزء من عالم الظواهر، النفس الحقيقية، النفس العارفة، أو ماهية النفس، ولا سبيل لنا لمعرفتها، وإن كان بالإمكان أن نفكر فيها كشيء نتصوره ليس مناقض لذاته.

رفض كمنط التفسير الديكارتي القائل بأنّ النفس والجسم جوهران متميزان فهو يؤكد " أنّ النفس والبدن ليسا من طبيعتين متنافرتين بل من طبيعة واحدة " (1) إن علاقة العلية بين النفس والبدن هي علاقة تفاعل، ولكن طرفا هذه العلة ليس البدن؛ لأنّ علاقة العلية عنده بين جوهريين، وأنّ البدن ليس جوهرًا، بينما هو ظاهرة ينتمي

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 284.

إلى عالم الظواهر، وكذلك النفس ليست جوهرًا فإنّ علاقة العليّة ستكون بين البدن في ذاته، والنفس في ذاتها باعتبارهما موجودين في عالم الأشياء ذاتها.

ويتناول في علم الكون النظري (الكوسمولوجي) البحث في أصل العالم، وتركيبه، ووحدته وقدمه، وخلوده، والقوانين الصورية التي يخضع لها، ويعالج فيه تناقض العقل الخالص وهو العامل القوي الذي أيقظ الفلسفة من سباتها الدوجماتيكي منبهاً إلى عمل نقدي شاق لكي يحل مشكلة التناقض الصوري للعقل ذاته، وقد حصر نقائص العقل الخالص، والتي تنشأ عن أفكاره، وهي الميل الطبيعي للعقل الخالص لاستخدام مقولات العقل الفعال بحسب طبيعته منطقاً إلى المطلق، وهذه النقائص مشتقة من المقولات وأنها تتطوي على سلسلة مترابطة يتألف منها العالم ككل، ويتناولها العقل الخالص بحسب طبيعتها فيستخدمها استخداماً متعالياً؛ أي يطبقها على ما وراء الخبرة الممكنة عن طريق وظيفته المنطقية التي عن طريقها يصل العقل الخالص إلى المطلق، وهذه النقائص هي نظريات ميتافيزيقية عن العالم ترتبط " النقيضة الأولى بالنظريات الميتافيزيقية التي تقرر، أو تنكر أنّ العالم مخلوق، بينما ترتبط النقيضة الثانية بالنظرية الميتافيزيقية التي تقرر، أو تنكر وجود الذرات، والمونادات من أي نوع، وتتضمن النقيضة الثالثة مشكلة المقابلة بين الحتمية واللاحتمية التلقائية في العالم الطبيعي، والمقابلة بين الجبرية والحرية في الأخلاق، أما النقيضة الرابعة، فتحاول البرهنة على وجود الله، أو إنكار وجوده من مقدمات العالم "⁽¹⁾، وتنشأ هذه النقائص عن تطلع العقل الخالص في تجاوزه حدود الخبرة الممكنة، وادعاه الوصول إلى معرفة ما وراء الحدود، ومن هنا تنشأ نقائص أفكار العقل الخالص، إذ لا خبرة لنا بالمطلق لأنّ معرفتنا مقيدة بعالم الظواهر.

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص 294.

ويعالج كمنط في هذا القسم أيضاً أخطاء الفلاسفة اللاهوتية السابقة، ويسجل فيه موقفه عن فكرة الله، ونشأتها، ومصدرها، ويبحث في صحة أدلة الفلاسفة السابقين على وجود الله، أو فسادها، وما إذا كان في قدرتنا معرفة شيء عن طبيعة الله، وورد كمنط ثلاثة أدلة رئيسية وهي:

- الدليل الوجودي على وجود الله (الانطولوجي):

وبما أنّ السابقين يقبلون المبدأ المنطقي ويسلمون به، ولكنهم يرون أن فكرة الله فريدة تستلزم وجوداً واقعياً لا يعترض كمنط على هذا المبدأ من الناحية المنطقية؛ أي أنّ عناصره لا تحوي في طياتها تناقضاً لكن نرى أيضاً من الناحية المنطقية أنّ هذا التصور لا يشير إلى وجود فعلي. ويصنف قضية (إن الله موجود) إلى قضية تحليلية، وتركيبية، فإذا كانت تحليلية فالمحمول لا يضيف جديداً عن فكرة الله، وبذلك لن تشير إلى شيء واقعي، بل هي تكرار المحمول لما هو متضمن من قبل في الموضوع، أما إذا كانت تركيبية فيلزم أنّ نخرج من مجال التصور إلى الواقع بالبحث عن مصدر نقيم على أساسه ضرورة وجود الله وجوداً واقعياً، وبأننا لا نستطيع معرفة الله عن طريق الحواس فهو لم يكن موضوع إدراك حسي، وأنّ مقولاتنا القبلية لا يمكن أن نستخدمها في إثبات وجود الله؛ لأنه خارج عالم الظواهر، وبهذا نصل إلى وجود الله عن طريق أفكار العقل الخالص.

- الدليل الكوسمولوجي على وجود الله:

يعتمد هذا الدليل على القانون القبلي للعلية الكلية في العالم الطبيعي؛ أي ينطلق من التجربة باعتبارها شيئاً حادثاً من أجل الانتقال إلى فكرة الله باعتبارها واجب لوجوده، ويستمد هذا الدليل قوته من مبدأ العلية، وهو مشتق من المقولة القبلية للعلية الكلية في عالم الظواهر، ومن الخطأ تطبيق هذه المقولة على شيء وراء هذا العالم، وهذا يعني أنه لا يمكن إقامة دليل على وجود الله على مقولة من مقولات العقل الفعال؛ لأن هذه المقولات لا تنطبق على عالم الشيء في ذاته بل

عالم الظواهر فقط، وأنّ فكرة واجب الوجود هي مجرد شرط صوري للفكر، ولكنها ليست بأي حال من الأحوال شرطاً مادياً للوجود، وأنّ جميع الجهود التي يبذلها العقل في سبيل بلوغ الموجود الضروري ما هي إلا عبث ضائع.

- الدليل اللاهوتي الطبيعي على وجود الله:

يبدأ هذا الدليل من وقائع العالم الطبيعي من وجهة نظر معينة تؤدي إلى إثبات وجود الله، وهو أقرب الأدلة إلى الإدراك الإنساني، ويبدأ بملاحظة ما في العالم من تناسق، وترابط، وانسجام، وخضوع إلى القوانين، والعالم الطبيعي لا يفسر هذه الخصائص بل يسندھا إلى "علة لها عامل التدبير والإحكام، وأنّ الطبيعة عاجزة عن تنظيم الكون"⁽¹⁾ فلا بد من وجود علة ضرورية تنظم هذا العالم.

وقد حصر كمنظريات الميتافيزيقية على كثرتها وتباينها في موضوعين أساسيين وهما: الطبيعة والحرية، الأولى تبحث فما ينبغي أن نعرفه، وتتناول الأسس القبلية لعالم الظواهر الموجود في الواقع، وكذلك تتناول الموجودات في عالم الأشياء في ذاتها، ولا تقتصر على الأسس القبلية؛ أي بما يوجد في إطار الخبرة الحسية بل البحث فيما إذا كان هناك موجودات غير محسوسة، وإعطاء البرهان على وجودها، ومعرفة العالم الخارجي، وتتناول الأسس والمبادئ للتصورات القبلية؛ أي مقولات العقل الفعال وحدود استخدامها، وبيان تطبيق تلك المبادئ القبلية على عالم الظواهر، بينما الثانية تبحث عما ينبغي أن نعمله، وتقوم هذه الثانية على أساس أن لعقلنا الخالص وظيفتين وظيفية نظرية، وهي استخدام البرهان العقلي، وأن العقل في وظيفته البرهانية غير قادر على إثبات وجود ما يتعالى على خبرتنا الإنسانية، وبذلك تكون الميتافيزيقيا النظرية مستحيلة كعلم وأنها وهم وخداع؛ لأنها علم قبلي، وكل ما هو قبلي يتضمن الضرورة المطلقة، ومن ثم ينبغي أن تكون القضايا

(1) محمود زيدان، مرجع سابق، ص336.

الميتافيزيقية يقينية، وبما أن الميتافيزيقيا هي علم المبادئ الأولى للمعرفة الإنسانية؛ أي البحث فما وراء الطبيعة، لهذا لا يستطيع العقل أن يصل إلى إثبات جوهرية النفس وبساطتها وخلودها، وهو عاجز أيضاً عن تحديد موقفه من الأسئلة التي يطرحها العقل الخالص فيما يتعلق بأصل الكون، ونشأته، وحدوده، وعاجز أيضاً عن إثبات وجود الله؛ لأنه لا يستطيع أن يثبت هذه الأفكار من مجرد تصورات، أو أفكار قبلية، وبذلك تكون النقطة المنهجية للميتافيزيقيا هي ضرورة البداية بتعيين حدود العقل الخالص، وما هي حدود معرفته وإمكانياته. وبذلك نجد أن المنهج النقدي يتمثل في البحث عن منهج " يبحث في العقل الإنساني في جانبه القبلي أي حصر التصورات القبلية التي ترتبط بمعرفتنا التجريبية "¹)، والبحث في هذا العقل وفي حصر تصورات، ومبادئه القبلية وتحديدها، وكيفية اشتقاقها من هذه التصورات، والأفكار التي تدور فيه، وكذلك معرفة حدوده، ومداه، وقدرته على المعرفة.

الخاتمة:

من خلال ما سبق توصلت إلى مجموعة من النتائج يمكن عرضها على النحو التالي:

- 1- إن مفهوم النقد كأداة منهجية تحليلية عند كمنط تخلصنا من مأزق الدوغماتيات التي تجعل الفكر راكداً لا يقبل التطور.
- 2- تعتبر فلسفة كانط مرحلة نقدية تفصل بين مرحلة سابقة، وأخرى لاحقة في حياته ومشروعه الفلسفي.
- 3- لقد اعتمدت نظرية المعرفة النقدية لدى كانط على الإرث النقدي الذي دشنته عدد من الفلاسفة قبله.

(¹) محمود زيدان، مرجع سابق، ص341.

4- استطاع كانط أن يتجاوز الأزمة التي نادت بها الفلسفات أحادية الاتجاه كالفلسفة التجريبية والفلسفة المثالية، محاولاً في تفكيره بناء نظرية نقدية.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- إبراهيم مصطفى إبراهيم، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت، 1993م.
- 2- إ. وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، ترجمة: أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936.
- 3- جيل دولوز، فلسفة كنط النقدية، ترجمة: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1997م.
- 4- حري عباس، الفلسفة ومشكلاتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
- 5- راوية عبد المنعم عباس، ديكارث والفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 6- زكريا إبراهيم، كنط والفلسفة النقدية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1972.
- 7- زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: 2، 1980.
- 8- علي عبد المعطي محمد، مدخل إلي الفلسفة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991.
- 9- عمانويل كنط، نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبه، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1988.
- 10- كريم متى، الفلسفة الحديثة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة: 2، 1988.
- 11- ليبنتز، المونادولوجيا، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978.
- 12- محمد عزيز نظمي سالم، تاريخ الفلسفة، مؤسسة الشباب الجامعي، الإسكندرية.

-
- 13- محمد عثمان الخشب، العقل ما بعد الطبيعة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1993.
- 14- محمود فهمي زيدان، كمنط وفلسفته النظرية، مكتبة ألتوتي للنشر، الإسكندرية، 1983 .
- 15- محمود سيد أحمد، مفهوم الغائية عند كمنط، دار الثقافة والنشر، القاهرة ، 1988.
- 16- مهدي فضل الله، فلسفة ديكرت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، بدون: تاريخ.

آليات المنهج النقدي عند علي حرب

إعداد: د. رحمة محمد إصميدة(*)

المقدمة:

الحمد لله فاتح كل خير وتمام كل نعمة، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم -.

وبعد ،،

فإنَّ المنهج النقدي يختلف في الفكر العربي المعاصر عنه في الفكر الأوروبي، فإذا كانت الممارسة في الغرب الأوروبي تعتبر تقليداً راسخاً تدعمه التقاليد السياسية، وترسخه المنظومات الفلسفية منذ عصر النهضة، فإن الأمر يختلف عندنا في العالم العربي، فالنقد يعتبر أداة هدم وتقويض، وتغفل جوانبه الإيجابية البناءة.

سيتناول هذا البحث قراءة تجاوزه لآليات المنهج النقدي عند (حرب) الذي أضحت تجربته الفلسفية المرجعية الأساسية في الدراسات الفلسفية المعاصرة، وهي نتاج أكثر من ثلاثة عقود من القراءة والمفاهيمية والنقدية التي غيرت أنماط التفكير وآلياته في التعبير، ومعانى مفاهيم الحقيقية والتأويل والقراءة والمجتمع، والإنسان، واللغة، والزمن، والتاريخ وغيرها من التصورات التي كانت مجال بحث البدايات أو المطلقات.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

(*) عضو هيئة التدريس بقسم الفلسفة كلية الآداب الجامعة الأسمرية الإسلامية.

1- ما الآليات التي يستند عليها المنهج التفكيكي عند علي حرب في تفكيك النصوص والخطابات؟

2- ما الآليات التي وضعها علي حرب لمجابهة الواقع الجديد ومعالجته؟

3- ما العقبات التي تسببت في أزمة الدول العربية، وجعلتها هامشية عند علي حرب؟

هدف البحث:

تهدف هذا البحث إلى توضيح آليات النقد في فكر علي حرب الذي أحدث ثورة نقدية بكل ما للكلمة من معنى حين أزاحت هذه المفاهيم من منغلقتها الماورائي أو الثابت إلى منفتحها الواقعي أو المتحوّل؛ لأنها مفاهيم هي من صنعنا في سياقاتنا التاريخية أو الثقافية، ولم نجنيها من الأعماق الباطنية.

حدود البحث:

قد اقتصر هذا البحث على آليات المنهج النقدي عند علي حرب فضمت:

- مفهوم المنهج النقدي .
- نقد الإصلاح وتحدياته.
- نقد الإرهاب وتداعياته.
- نقد المشهد العربي وكوارثه.
- نقد ظاهرة العولمة.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي في صياغة الأفكار والآراء، والمنهج النقدي الذي لا يكتفي بالتسليم المجرد، وإنما يناقش ويرفض ليصل إلى أفضل الآراء.

أولاً: مفهوم المنهج النقدي:

عرف النقد الحديث والمعاصر مجموعة من المناهج النقدية، وذلك بفضل الثقافة والترجمة والاحتكاك بالغرب، ومن بين هذه المناهج المنهج البنوي، والمنهج التفكيكي، والمنهج الفسيولوجي الذي ظهر في أواخر الستينات⁽¹⁾، والمنهج **method** بمعناه العام هو الوسيلة أو الطريقة التي توصلنا إلى هدف محدد، ومعناه الخاص هو خريطة الباحث في تحصيل المعرفة، كما أنه معيار لها من حيث حقيقة مطابقتها للقوانين الموضوعية التي تحكم تطور الواقع⁽²⁾.

ويتراءى لبعض الدارسين أن الاهتمام بدراسة المناهج قبل الخوض في الدراسات التجريبية يعد بمثابة مغامرة ميتافيزيقية عقيمة، والحقيقة في اعتقادنا أن العكس هو الصواب، فمع غياب كل من المنهج الذي يحكم تحصيلنا للمعرفة، والمعيار العلمي الدقيق تقع الدراسات التجريبية ذاتها في خطر المغامرة الميتافيزيقية، وهذا ما سيرجعنا عند دراسة آليات المنهج النقدي لمفكرنا (علي حرب)⁽³⁾ إلى نشأته واهتمامه؛ لأن كل ذلك انعكس على منهجه النقدي.

(1) رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ت: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996، ط: بدون، ص 117.

(2) محمد لخضر زيادية، من أعلام النقد العربي الحديث والمعاصر "دراسات في المنهج"، دار غريب لطباعة والنشر، القاهرة، ط: 1، 2007، ص 5.

نقد الحقيقة

(3) علي حرب: هو كاتب ومفكر وفيلسوف لبناني له العديد من المؤلفات والمقالات، وكان شديد التأثر بجاك دريد، وخاصة في منهجه التفكيكي، وأتبع منهج كانط في نقد العقل وآلياته وبنيتيه الفكرية. ومن مؤلفاته: أزمة الحدائث الفانقة، حديث النهايات، الممنوع والممتع، نقد الحقيقة. لمعرفة المزيد ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ar.wikipedia.org/wiki علي حرب، 28، 8، 2021م.

أما بالنسبة لمعنى "النقد" فجاء في المعجم الوسيط أن النقد "فن تمييز جيد الكلام من رديئه وصحيحه من فاسده"⁽¹⁾ والمعرفة النقدية العربية أخذوها من لغة الصيارفة العرب الذين كانوا يختبرون العملة الفضية (الدرهم) بتقادها هل هي زائفة أم صحيحة؟ فالأصل في المعنى الأول لفظ: النقد هو تعبير الدراهم وإعطاؤها إنساناً، وأخذها: الانتقاد..... ونقدت الدراهم وانتقدتها إذا أخرجت منها الرِّيف⁽²⁾ فمعنى النقد في المصطلح الأدبي العربي القديم كان يعني تميز شيء من شيء آخر، أو اختبار حقيقة شيء لمعرفة قيمته، لتجنب الوقوع في خديعة مادية "ينقاد الدرهم لاختبار زيفه عن صحته"⁽³⁾.

لا خلاف بين الناقدین حول ماهية النقد في كونه عملية لها حقيقتها وقواعدها وشروطها وأنواعها، إنه عملية متعلقة بالفهم والسلوك الاجتماعي. يقول علي حرب: نقد القراءة الحرفية لا يعني تبني القراءة المقابلة لها والدفاع عنها، ونقصد بها القراءة التي تقوم على انتقاد روح النص بالبحث عن معانيه الجوهرية، أو الكشف عن دلالاته الأصلية، أو الوقوف على مقاصده الخفية، وأهل هذه القراءة يعتبرون أن المعنى لا يكون ظاهراً بذاته بيئاً بنفس عباراته الأولى، بل يحتاج دوماً إلى أعمال واستقصاء، أو إلى استخراج واستتباط. فالمعنى في نظرهم ليس صورياً⁽⁴⁾. والناقد لا يعيش بمعزل عما يموج به عصره من مشكلات، والعملية النقدية في صميمها عملية تجريدية، والناقد البصير هو الذي يفحص كل

(1) المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2014، ص944.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج:8، دار الحديث، القاهرة، 2003، ص667.

(3) عبد الملك مرتاض، الكتابة التحليلية بين التراث والحداثة، المجلة العربية للثقافة، العدد 24، 1993، ص 170.

(4) علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، المغرب(الدار البيضاء)، ط:1، 1993،

ما يقع تحت يديه، ومن هنا نستطيع أن نلمس التشابه بين العملية النقدية والعملية الفلسفية⁽¹⁾. فهما يلتقيان في أنهما يتجاوزان السطح، ويتجهان إلى العمق بحثاً عن الجذور المستتبطة في الظاهر الذي تراه العيون، ولكن التفكير الفلسفي قد يتحرك في اتجاه أفقي كما هو الشأن في التحليلات المنطقية، فكذلك النقد أيضاً، وعندما يشمل الناقد نفسه بنقد فكر معين⁽²⁾.

ويرى حرب أن النقد ليس مجرد نقد بقدر ما هو اجترار امكانيات جديدة للتفكير أو للتعبير للقول أو العمل، والذين يمارسون النقد كدحض للمقولات، أو كنفى للأعمال الفكرية على الطريقة التهافتية لا يشهدون إلا على تفاهتهم، ولا يؤكدون إلا نفيهم من مجال التفكير الخلاق والمنتج، ويقول حرب: "إن أبا حامد الغزالي -شيخ النقاد بالمعنى التهافتية قد أدرك أن مثل هذا النقد هو أعجز من أن يولد حقيقة، لأن منطلقه أن الحقيقة معروفة سلفاً، أي أن مرماه تبرير ما هو معروف، وقوامه الحكم على الأشياء استناداً إلى ما هو معلوم بصورة مسبقة، ولهذا فهو لا ينتج فكراً، ولا يحقق سبقاً معرفياً"⁽³⁾. وأياً كان الشأن فإن النقد لا ينبغي له أن يكون فلسفة، ومن الفلسفة التفويضية أو التفكيكية⁽⁴⁾.

لقد أصبح للنقد في العصر الحديث مذاهب وتيارات تقوم على خلفيات معرفية وفلسفية تنطلق منها في صوغ نظرياتها، فالنقد لم يعد مجرد إصدار أحكام ساذجة أو متحيزة، أو حتى موضوعية، ولكنه أسس ممارسة معرفية شديدة التعقيد،

(1) محمد عزت عبد الموجود وآخرون، أساسيات المنهج وتنظيماته، دار الثقافة، القاهرة، 1981، ص 9.

(2) مصطفى عبد الغني، زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2002، ط: بدون، ص 137، 138.

(3) علي حرب، مصدر سبق ذكره، ص 7.

(4) عبد الملك مرتاض، نظرية التفويض (مقدمة في المفهمة والتأسيس)، القاهرة، 1999، ص 34.

لقد أمسى النقد جهازاً معرفياً لا ينفك يتعمق ويتعمق كلما أوغلنا في المعرفة الانسانية المتطورة، ومن ثم كلما تقدم الزمن بنا إلى الأمام (1).

ثانياً - نقده الإصلاح وتحدياته:

إن حرب يرى أن الإصلاح سواء "أكان سياسياً أم اقتصادياً أم ثقافياً يتعلق بالديمقراطية أم بالتنمية، بالتعليم أم بالمعرفة، ليس عبارة عن نموذج جاهز ننصاع لمعاييره لكي نقوم بتطبيقه، وإنما هو فكرة نشغل عليها، ونصبح ثمرتها، بحيث نتحول معها وندمج فيها، بقدر ما نسهم في إغنائها وإعادة ابتكارها، وبصورة لا يبقى معها شيء ما هو عليه، سواء من جهة الفكرة أو الفاعل أو الواقع. فإذا كان الأمر يتعلق بالديمقراطيين مثلاً فالعمل الناجح في هذا المجال لا يعني أن هناك ديمقراطيين يطبقون فكرتهم عن الديمقراطية، وإنما هو يعني الاشتغال على فكرة بقدر ما هو الانخراط في تجربة يصير معها الواحد ديمقراطياً بقدر ما يعيد ابتكار الفكرة ويغير صورة الواقع" (2).

وهذا هو الرهان أن نتغير لكي نسهم في تغيير سوانا أو في تحويل واقعنا بقدر ما ننجح في تغذية العناوين المطروحة وتحويل المفاهيم السائدة في ضوء التحديات والمستجدات. ويوضح حرب أن العرب يقفون على مفترق الطرق، أما أن نخشى التغيير ونهرب من المواجهة، وفي هذه الحالة سوف نتغير، ولكن لكي نتراجع ونهمش ونضعف أو لكي نمسي آله أو مادة لمشاريع الغير واستراتيجياته، أو هناك إمكانية أخرى هي أن نتصرف بوصفنا كائنات عاقلة نملك حرية التفكير والقدرة على العمل والتدبير. وفي هذه الحالة نخرط في ورشة التغيير لكي نعيد

(1) المرجع نفسه، ص 34.

(2) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، (الإصلاح - الإرهاب - المشاركة)، المركز الثقافي العربي، المغرب (الدار البيضاء)، ط: 1، 2005، ص 26.

البناء. الأمر الذي يتطلب أضعاف ما نحن فيه للنقد والتشريح لتفكيك حتمياتنا وأنظمتنا العاجزة وأفكارنا المستهلكة، بصورة تخلق الإمكانيات لمعالجات جديدة.

إن من أهم المسائل التي يشغل بها العرب اليوم هي: هل الإصلاح ينبع من الداخل أم يملأ من الخارج؟، يؤكد حرب أن هذه ثنائية خادعة من وجوه متعددة بقدر ما تطمس الوقائع: "الوجه الأول للخداع هو أن فكرة الإصلاح في العالم العربي قد انبثقت بسبب الاتصال الحضاري مع الخارج الأوروبي، كما حصل في عصر النهضة، أو من جراء الضغوط الاستراتيجية التي تمارسها الولايات المتحدة. وهكذا لقد شكل الغرب، ثم اليابان في ما بعد الإنموذج الأول للإصلاح والتحديث والتطوير في المجتمعات العربية. هذه هي الحال في معظم الأفكار والعناوين المتداولة بشأن الإصلاح، كالديمقراطية والتنمية، الوجه الثاني: أن ثنائية الداخل والخارج، هم يحتاجون إلينا كموارد وأسواق ومواقع، ونحن نعيش على منتجاتهم المادية والرمزية، الوجه الثالث أن لا مجال بعد الآن للفصل بين المحلي والعالم، أو بين بلد وآخر، لقد باتت المصالح متشابكة، الوجه الآخر للخداع هو أن المشكلة ليست ما إذا كانت فكرة الإصلاح نابعة من الداخل أو آتية من الخارج، وإنما هي أن الفكرة أيا كانت مصدرها تحتاج إلى العمل عليها لتحويلها إلى وقائع حية"⁽¹⁾.

إن الأفكار هي رأسمال بشري يشترك فيه الناس كافة والنماذج الناجحة في مكان تغدو ملكية عامة يمكن الانتفاع بها من جانب الذين يحسنون العمل عليها واستثمارها. ولذا لا تبقى الفكرة على ما هي عليه عند من يتلقاها، وإنما يعيد تشكيلها أو توظيفها حسب خبرته وهمومه ومشكلاته. ومن المشاكل التي ينقدها حرب وي طرحها في مسائل الإصلاح: هل نحن حقا مع الثوابت وأوفياء للقيم التي

(¹) علي حرب، أزمنة الحداثة الفاتكة، ص28.

تربينا عليها؟ ويرى حرب أن واقع الحال في العالم العربي يشهد بعكس ذلك، بما هو عليه من الفقر والامية والفساد. مما يعني أننا أبعد ما يكون عن مراعاة القيم والحقوق المتعلقة بالعدالة والمساواة، والرهان الحقيقي هو أن نتحول عما نحن فيه لا لكي ننسل عن خصوصيتنا وتراثنا بل لكي نقيم معها علاقات حية مثمرة وراهنه.

ومن المشكلات التي تثار في مواجهة محاولات الإصلاح على المستوى العربي التفاوت والاختلاف في الأوضاع بين بلد عربي وآخر، سواء من حيث درجات التطور أو من حيث القوانين والتشريعات، كما تشهد قضية الحريات، ففي تونس مثلاً تتمتع المرأة بحقوق مدنية حديثة يضمنها القانون لا تتمتع بها المرأة في البلدان العربية التي تسود بها الأحكام الشرعية والتقاليد الأبوية، وهكذا نحن إزاء واقع عربي هو كأي واقع معقد بمشكلاته والتباساته وتفاوتاته على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فلا يجدي تجاهله أو تبسيطه؛ وإنما الأجدى قراءته وتشخيصه للكشف عن عوائقه.

ويؤكد حرب أن التفاوت هو على عكس ما يظن البعض ليس عائقاً، وإنما هو حافز ومحرك للنمو. أما المساواة التامة فلا تنتج سوى السكون والركود، كذلك ليس الاختلاف آفة بقدر ما هو مصدر تنوع وغني، وإن الكلام على إصلاح النظام العربي بصورة مطلقة هو قفز فوق الواقع يعطي مردوده العكسي لكي يعمل على استحكام الأزمات؛ فالأولى في كل مشكلة درس التجارب والنماذج المخففة أو الناجحة من أجل تبادل الخبرات وتوسيع المجالات، بابتكار أطر وآليات للعمل المشترك، كما أنه لا يجدي تبسيط المسائل بحيث تطرح لائحة بكل المطالب، فمن يتعهد بتحقيق كل شيء يهون الأمور لكي لا ينجز شيئاً⁽¹⁾.

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفاتكة، ص32.

ومن الأفكار التي يطرحها حرب لنقد الإصلاح في الدول العربية فكرة الاعتراف بالآخر، والتداول والتبادل مع من هو مستبعد سياسياً أو ثقافياً أو حتى معرفياً، فإنه يعني من الوجه الآخر أن تنمية المجتمعات يمكن أن تتغذى مما هو مستبعد ومهمش، ولو أعطينا مثلاً في مجال التنمية نجد مثلاً صارت تجسده مالايزيا التي كانت على هامش الهامش بالنسبة إلى العالم الإسلامي، فإذا بها تصنع معجزة تنموية على طريقتها، وفي مجال العمل الديمقراطي تُقدّم لنا إفريقيا السوداء مثلاً ساطعاً يجسده نيلسون مانديلا الذي رفض تجديد الولاية، مع أن الغالبية العظمى كانت تتمنى عليه البقاء في سدة الرئاسة. وهذا ما اخفق فيه العرب ساسة ومثقفين⁽¹⁾.

من النقاط المهمة أيضاً التي تتعلق بمشاريع الإصلاح والتحديث هي الثمرة المنتظر منها. ثمة من يتخيل أن الحداثة فردوس موعود بقدر ما يتعامل مع الديمقراطية بصفاتها تريباقاً شافياً من كل الآفات والأعراض. وفي رأي حرب أن هذه النظرة الطوباوية الفردوسية أدت إلى مزيد من الاستبداد والتلف أو الفقر؛ ذلك أن التغيير إصلاح أو تنمية إنما هو عمل متواصل على الذات .. وأن الحداثة هي جهد واجتهاد، تراكم وتكديس، بناء وتركيب وأن التغيير أيًا كان الشعار لا ينجز على نحو نهائي، خاصة ونحن في عصر التحولات المتسارعة والطفرات المفاجئة في المعلومات مما يعني أن لا حلول قصوى إنما الأمر يتعلق بمهمة يومية، أو مشروع هو دوماً قيد الإنجاز، وإعادة البناء⁽²⁾.

أي أن الحداثة لا تتحقق كما يحلم الذين ينتظرون حصول المعجزة، إن الأمر على عكس ما يظن الكثيرون أن ننظر في أعمال التحديث والتطوير لكي

(1) المصدر نفسه، ص34.

(2) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، ص36.

نزداد إنتاجية واستهلاكاً أو قدرة وفاعلية، معناه أن نفقد الكثير من الحريات الشخصية التي يمارسها الفرد في المجتمعات العربية بصورة استبدادية أو عقيمة. وبهذا يرى حرب أنه "إذا كان الإصلاح قضية قديمة فالأولى أن يُعاد النظر فيه بإخضاعه للنقد من أجل فتحه على ممارسات جديدة، أو تغذيته بعناصر وأبعاد جديدة. هذا شأن سائر القضايا والعناوين. كل مطلب إصلاحي يحتاج إلى جهود حثيثة وتحولات بنوية لبناء مجاله وبلورة صيغه، وإذا كانت أعمال الإصلاح والبناء لا تتوقف بوصفها إنجازات يُعاد إنجازها باستمرار، فإن أعمال المراجعة ليست عارضة أو عابرة، وإنما هي مهمة دائمة، والنقد من حيث مجاله لم يعد يقتصر على الآليات والوسائل دون المبادئ والمقاصد، ولذا لم يعد يُجدي أن نقول: إن الأعمال لم تكن على مستوى الأهداف، فانتهاك الأهداف والثوابت يعني على الأقل أنها بحاجة إلى الإصلاح على سبيل الترميم، أما أن يساء إليها باستمرار، فمعناه أنها باتت بحاجة إلى المراجعة والتغيير"⁽¹⁾.

والنقد - كدور وممارسة - لا يقتصر على فئة دون أخرى، أو على قطاع دون سواه. وإنما هو مهمة الجميع ومسؤوليتهم المتبادلة وسط الأزمة العامة. من هنا لا مفر من المراجعة الشاملة على سبيل المداولة بين مختلف المرجعيات والمنظمات والهيئات سواء على مستوى الدول والبلدان، وهذه مهمة لا تقبل التأجيل ولا بد من المباشرة بإصلاح الذات قبل إصلاح الغير، أو من أجل المساهمة في إصلاح الشأن المشترك اجتراح الصيغ والتشريعات والآليات التي تتيح التعايش على الأرض.

لاشك أن المجتمعات العربية تواجه تحديات كبيرة من الخارج ومن الداخل أيضاً، فالعالم لم يعد كما كان عليه بقواه وموارده وأدواته وأنظمتها وعلاقاتها وأفكاره،

(1) المصدر نفسه، ص38.

وإنما يعاد تجميعه وتركيبه على نحوٍ جديد ومغاير وبصورة لا سابق لها مخالفة لكل التوقعات، كل ذلك بفعل الثورة التقنية واللغة الرقمية وسواها من وقائع العصر وفتوحاته الأمر الذي يجعل البشرية تتخبط في موجه جديدة من موجات الحداثة، بقدر ما يتشكل مجتمع جديد ونظام للحياة والعمل جديد.

وبالتالي يرى حرب أنه لا مفر من مجابهة الواقع الجديد بآليات ومعالجات جديدة بصورة تجعلنا نعيد الحسابات العقلية وتخترق الحدود الفكرية المرسومة، ومن هذه الآليات⁽¹⁾:

1- الشراكة: التحرر من عقلية النخبة والوصاية للاشتغال بمنطق المشاركة والمداولة. فالأعمال المتعلقة بإصلاح مجتمع تقع على عاتق الجميع، على اختلاف القوى والفاعليات وتعدد الحقول والقطاعات. مثل هذا الفهم لعملية التغيير يقتضي كسر ثنائية المعرفة العلمية والمعرفة العامة، بحيث يُعامل العاملون خارج قطاعات الإنتاج العلمي والثقافي لا بوصفهم جهلة أو قاصرين بل بوصفهم أصحاب خبرة وذوي معرفة في مجالات اختصاصهم، وهذا هو شأن المجتمع التداولي؛ أنه ليس مجتمعاً نخبويًا وإنما هو مساحة لتبادل المعلومات والخبرات.

2- الفكر التركيبي: التفكير بصورة أحادية البعد والجانب ينتج العوائق، ولذا فالإصلاح يقوم على تجاوز مثل هذا المنهج للتعامل مع الواقع بعقل تركيبي؛ لأن الواقع يحتاج في فهمه وتدبره إلى صيغ تركيبية مرنة تأخذ بالحسبان تعدد الاختصاصات. بهذا المعنى لا جدوى من التعامل مع العولمة مثلاً بوصفها مجرد نشاط اقتصادي أو استراتيجي للهيمنة، فهي ظاهرة مركبة وصدور متحولة يمكن مقاربتها على غير مستوى وبأكثر من منهج، وذلك بقدر ما يتداخل فيها أكثر من

(¹) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، ص44، 49.

عنصر، الواقع يحتاج إلى مقاربات تتشابه فيها وجهات النظر وتتعدد مستويات التحليل بقدر ما تتضافر أدوات الفهم والتشخيص وتتساند وسائل الفعل والتأثير.

3- فن التغيير: الخروج من عقلية المطابقة والمحافظة بإتقان فن التغيير في مواجهة التحولات وإقامة علاقات متحركة ومتجددة مع الثوابت بقدر ما يعني إعادة توظيف المكتسبات وتشغيلها لإدراجها في أنظمة أكثر وسعاً وتركيباً. على أي حال لا شيء يلغي سواه. فالحديث لا يلغي القديم، كما أن الأحدث لا يلغي الحديث، إنما يعيد توظيفه، أو تشغيله، أو دمجها في نظام جديد أكثر غني أو تركيباً، وكل طغيان لبعده واحد على ما عدها يرتد سلباً ويولد فقراً أو جهلاً بقدر ما يمارس الحجب والتضليل أو الاستلاب.

4- الأفق الكوكبي: مع الدول في العصر الكوكبي أصبح من المتعذر إجراء إصلاحات في أي بلد من البلدان بعد أن أصبح من المحال الفصل الحاسم بين الداخل والخارج. والذين يتحدثون عن مقاومة أفكار الخارج، كما نسمع ونقرأ لبعض الساسة والمثقفين إنما يدعون أنفسهم بعد أن باتت أنظمة المصالح متشابكة على الساحة العالمية، الأفكار لا تخص مجتمعاً دون آخر بقدر ما تخرق حواجز الثقافة والخصوصية، لكن لا يعني هذا أن الأفكار تتسخ على سبيل التقليد الأعمى. فالصيغ والنماذج والمفاهيم والآليات التي أثبتت نجاحها في مكانٍ تحتاج عندما تنتقل إلى التصنيع والتحويل في مختبر البيئات والتجارب الجديدة.

5- العقل التواصلية: من أكثر العوائق التي عرقلت مشاريع الإصلاح والتغيير، التفكير والعمل بمنطق الحتميات المقلدة. تجسد ذلك لدى أصحاب المواقف والشعارات الأحادية ممن قالوا: لا حل إلا بالإسلام أو الاشتراكية أو الوحدة أو الديمقراطية. مثل هذه الآليات الفكرية الحصرية التي تقوم على أحادية البعد والبحث عن الحلول القصوى، كانت أقصر الطرق إلى حصد الفشل والإخفاق؛ لأنها أحلت القضايا والهويات إلى سجون عقائدية. وبالتالي لا بد بالعمل المتواصل على الذات

والأفكار والسلطات من أجل التمرس بسياسة الاعتراف وإتقان لغة التوسط وفن التعايش.

6- فعل الخلق: لا يوجد إصلاح بدون امتلاك القدرة على الخلق والابتكار، ولا خلق من دون توليد أفكار جديدة أيًا كان حقل العمل. والخلق هو منبع القوة وآلة التغيير أو الإصلاح وهكذا، فالحدث يستبق دومًا البحث عن شروط إمكانية هذا شأن الحدث القرآني، فقد أدى بالعرب إلى تغيير الشروط والموازن بقدر ما قلب علاقتهم بالممكن مسهمًا في خرق السقف وعبور العتبات الفاصلة، مما مكنهم من بناء نموذج حضاري استمر فاعلاً خلال قرون طوال. ونحن إذ نفكر الآن في الشروط التي جعلت هذا الحدث ممكناً بقدر ما يشكل خرقاً لقوانين الضرورة وخروجاً على أطر التاريخ وحتمياته المقلقة، من هنا فالتفكير في الشروط المسبقة هو اتجاه نحو الماضي، أما تغيير الشروط فهو تفكير باتجاه صناعة المستقبل وبناء الحاضر.

إذا كانت المجتمعات البشرية تواجه تحولات متسارعة وبصورة تزداد معها المشكلات والأزمات، فمعنى ذلك أن إدارة العالم تحتاج إلى عقليات جديدة، وإلى طريقة جديدة في التفكير من قواعدها، وأن من يحسن أن يغير بفكره عما هو عليه هو القادر على مواجهة المتغيرات بصورة فعالة، وأن الحل لا تقوم على نفي الواقع والأعمال، وإنما هي عملية متواصلة تحتاج إعادة الصنع والبناء تحليلاً وتركيباً، وأن فهم الحاضر مفتاح لتدبر الواقع، وصناعة الحياة عبر نظام من الوصل والفصل لا ينفك يتجدد باستثمار التراث من أجل الإعداد للمستقبل، وأن الأزمة الشاملة تحتاج إلى معالجات عالمية تقوم على الشراكة والمداولة.

ثالثاً- نقد الإرهاب وتداعياته:

إن الإرهاب صراع داخل العالم العربي والإسلامي بين نمطين في ممارسة الوجود والدفاع عن الكيان والهويات في مواجهة التحديات والأزمات؛ النمط الأول

يتعامل أصحابه مع هويتهم، كما هو شأن الأسوياء من الناس الذين تحركهم إرادة العيش بكفاية وكرامة واستحقاق بحيث يسعون إلى تحصيل أرزاقهم وتحسين أحوالهم، أو يساهمون في بناء مجتمعاتهم بصرف النظر عن الاختلاف في المعتقد والمذهب أو اللغة، ومقابل هذا النمط الذي يصدر عن عقلية مدنية سوية معتدلة هناك نمط آخر يتعامل مع هويته الدينية أو القومية بأقصى الغلو والتطرف والانغلاق.

من هنا فليس الإرهاب مجرد احتجاج على ظلم وفقر قد تكون أسبابه تردي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، ولكنه في الحالة الجهادية الإسلامية خاصة لدى زعمائها وأمرائها الذين يستغلون البائسين والمهوسين في مشاريعهم المجنونة هو ذو جذر عقائدي وثقافي بقدر ما هو حرب متعددة الجبهات ضد المواطن والدولة كما هو ضد المدنية والمجتمع أيضاً، ولذا فليست المشكلة مع الإرهاب محصورة في شرذمة من الناس منحرفة عن جادة الحق. وإنما نحن إزاء آفة أو ظاهرة متفشية هي نتيجة البيئة الثقافية الدينية الرائجة بمرجعياتها ورموزها وخطاباتها وأحكامها، وهناك ثقافة تساهم في إنتاجه ذات أركان خمسة من حيث المبدأ، والشعار، والمنهج، والأداة⁽¹⁾:

- 1- الركن الأول: هو المعتقد الاصطفائي الذي بموجبه يتصور أصحابه وأتباعه أنهم خلفاء الله، وحراس الإيمان والسائرون على النهج القويم وحدهم دون سواهم.
- 2- الركن الثاني: هو الخط الأصولي بما يعنيه من وهم التطابق المستحيل مع الأصول، وبما يعنيه من الادعاء بأن الشرائع القديمة تتطوي على أجوبة وحلول للأسئلة والمشكلات الراهنة.

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفارقة، ص 89.

3- **الركن الثالث:** هو شعار الحاكمية الإلهية الذي يُطرح لاحتكار المشروعية وممارسة الوصاية على الناس.

4- **الركن الرابع:** هو استراتيجية الرفض والإقصاء وعدم الاعتراف، وذلك بالتعامل مع المختلف والآخر بوصفه مبتدعًا ضالاً أو كافراً مرتدًا أو ذميًا مشرکًا أو غريبًا صليبيًا.

5- **الركن الخامس:** هو استخدام أصحابه العنف والإرهاب قتلاً، وتصفية، أو استشهاداً، أو انتحاراً مدفوعين بعقيدة الثأر والانتقام من كل من لا يشبههم أو لا يفكر على شاكلتهم، وذلك تحت دعوى مشبوهة ومزيفة هي إنقاذ الأمة الإسلامية.

هذه هي الآليات التي استخدمها حرب لنقد وتفكيك مشكلة الإرهاب في العالم العربي، ويرى أن هذه الأركان تعتبر الرسالة التي يريد الجهاديون إبلاغها، كما يعلن عنها مسلسل التقجيرات والتعامل مع الناس بلغة التهديد والوعيد. إن جذور المشكلة تكمن في ثقافتنا وتعليمنا وفي ما نبشر به ونروج له وندافع عنه من مبادئ وشعائر أو من قضايا وشعارات. ويرى حرب أننا إذا شئنا الخروج من المأزق فعلياً أن نتخلى عن نرجسيتنا، وأن نرجع إلى رشدنا بحيث نعيد الأمور إلى نصابها لكي نفكر ونتصرف أو نعقل ونتدبر بوصفنا جماعة من الناس أو أمة وسط الأمم لا أكثر ولا أقل. فإنه من قبيل الزيف والتعمية والادعاء أن نهجم الغرب وثقافته، فيما نحن نحتاج إليه في علومنا وأدواتنا وتعليم أبنائنا، بل في تحريرنا من طغائنا، والأولى أن نبتكر شيئاً نثبت به جدارتنا وننتزع اعتراف الغير بنا⁽¹⁾.

يرى حرب في التراث الإسلامي فضاءً دلاليًا واسعاً، فمقابل خطاب التبذيع والتكفير والترهيب والتطرف ونبذ الآخر هناك خطاب آخر مفرداته هي: الاختلاف، والتعارف، والوسطية، والعالمية. إن الخطاب في القرآن موجه أساساً إلى الإنسان

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفارقة، ص90.

بعده العالمي والكوكبي، وهذا أحوج ما نحتاج إليه الآن، بحيث يتحمل البشر المسؤولية المتبادلة بعد أن تداخلت المصالح والمصائر، وأخذ يتشكل مجتمع عالمي تتسع معه مساحة الخيرات والمنافع والموارد العامة والمشكلات المشتركة بين البشر⁽¹⁾.

إن معالجة الإرهاب تحتاج إلى إجراءات أمنية بقدر ما تحتاج إلى تحولات في بنية الثقافة بثوابتها ونماذجها أو برامجها وتعليمها، وبالطبع لن يتم ذلك بالعنف بل بفتح المناقشات العمومية والانخراط في المداولات العلنية والعقلانية حول ما نتمسك به من الثوابت والأصول؛ فلعل ما نخشى عليه وندافع عنه في مواجهة ما نسميه عالم الكفر والظلم هو الذي يوِّلد ما نصطدم به ونفزع منه. فهل هناك أكثر عدوانية وأشد ظلمًا وجحودًا وكفرًا من مجموعات يدعي أفرادها الإيمان، وينصبون أنفسهم وكلاء على الأكثرية الساحقة من الجماعة الواسعة والأمة الكبيرة لكي يدينوا ويعاقبوا ويذبحوا الأبرياء باسم شرع الله.

ويستمر حرب في نقد وتفكيك الآليات التي أدت إلى الإرهاب، ويوضح أن الأصولية الإسلامية هي من أبرز الظواهر الراهنة وأكثرها أهمية من حيث أثرها وفعاليتها في المشهد الراهن ليس فقط في العالم الإسلامي بل أيضًا على المستوى العالمي؛ فمن حيث منشأها تعد الأصولية الإسلامية الشكل الراهن للسلفية الحديثة التي تكونت مع بداية عصر النهضة والإصلاح، وهي اتجاه فكري يدعو إلى الإحياء والنهوض انطلاقًا من شعار القائل: "لا يصلح حال المسلمين إلا بما صلح به حال أسلافهم"، أي بالرجوع إلى الشريعة الدينية للأخذ بتعاليمها وتطبيق أحكامها.

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، ص 91.

الموقف الأصولي يتجلى في ادعاء امتلاك الحقيقة، وفي احتكار النطق باسم الإسلام وفي تكفير كل رأس مخالف. وهذا الموقف يبني على أساس عقائدي مزدوج، وجهه الأول: هو الإيمان بصدق الأصل وأحقيته وأحاديته وثباته وصفائه، وبوصفه يجسد الحقيقة المطلقة المتعالية التي لا تقبل الجدل ولا يعتربها التغيير والتعدد والتنوع. أما الوجه الثاني: فهو إيمان الأصولي بإمكانية التماهي مع الأصل مماهاة تامة، سواء بتصوره كما هو في حقيقته عينها أو بترجمته وتطبيقه على الوجه الأفضل. وبما أن الأصل بحسب النظرة الأصولية هو أحادي المعنى لا يحتمل سوى تفسير واحد فكل فريق أصولي يعتبر أن تفسيره هو التفسير الصحيح، وأنه وحده من دون سواه على الصراط المستقيم باستبعاد سواه من فلك الحقيقة والإيمان⁽¹⁾.

غير أن حرب يوضح أن الأصولية ليست حكرًا على الديانة الإسلامية، وإنما هي ظاهرة دينية عامة نجدها في الإسلام، كما نجدها في المسيحية واليهودية؛ لأن النمط الديني هو في أساسه سلوك فكري يقوم على عبادة الأصول، والوقوف من الآباء المؤسسين موقف التقديس والتعظيم، لاشك أن الأصولية الإسلامية هي الأكثر فاعلية وحضورًا، وأيًا كانت العوامل المؤثرة في انتشار الفكر الأصولي، فإن الحركات الأصولية لا تشكل نموذجًا في الفكر، والعمل يسهم في أعمال التنمية والبناء، أو يعزز قيم التواصل والتعارف، أو التبادل والتفاعل المثمر بين الناس أفرادًا أو جماعات، إنها ردة فعل في مواجهة العالم ومتغيراته، ذات طابع سلبي يتصف بالعقم لكي يشوه ويدمر بقدر ما تعمل بمنطق الثبات والانغلاق، أو الأحادية والتطرف، أو العنف والإرهاب فضلًا عن الوهم الذي تتغذى منه⁽²⁾:

(¹) علي حرب، أزمنة الحداثة الفارقة، ص 94.

(²) علي حرب، أزمنة الحداثة الفارقة، ص 96.

1- الوهم الأول: هو ادعاء التطابق مع الأصل، وهذا الوهم يشكل إحدى الخرافات المؤسسة للفكر الأصولي؛ ذلك أنه من المستحيل تطابق الخلف مع السلف مطابقة تامة، نظرًا لاختلاف الظروف التاريخية والسياقات الحضارية والبيئات الثقافية.

2- الوهم الثاني: هو ادعاء الثبات، وهذه خرافة أخرى من الخرافات التي تغذي الفكر الأصولي؛ وذلك أنه لا ثبات في هذا العالم خاصة فيما يتعلق بالبنى الاجتماعية والنظم الفكرية والهويات الثقافية. فالفكر في حراك دائم.

3- الوهم الثالث: هو وهم الصفاء، هذه أيضًا خرافة تالفة تغذي الحركات الأصولية في دفاعها عن اصطفاء الهويات والخصوصيات والعمل على نبذ الآخر واستئصاله؛ ذلك أن الهوية الإسلامية هي في زمنها الحديث كما كانت في الزمن القديم، مجال للتغير والتحول، بقدر ما هي بيئة للتلاقح والتفاعل مع الغير، كما حصل بشكل خاص في عصر الازدهار الحضاري حيث تفاعلت معظم الثقافات القديمة في فضاء الحضارة الإسلامية. فكيف ونحن اليوم في عصر التواصل والانتقال والاختلاط والتهجين بين الجماعات البشرية والهويات الثقافية.

ويوضح حرب أنه من المفارقات الفاضحة في هذا الخصوص أن الأصوليات الإسلامية المعاصرة على اختلاف تياراتها وتنظيماتها تدعي مقاومة الغرب وغزوه الثقافي في حين أن معظمها لا يجد سوى الغرب ملجأ وملاذًا أو مكانًا لإعلان ثورته أو للتبشير بدعوته، ويرجع ذلك لسببين: إمّا أن الغرب الذي تقوم الحركات الإسلامية بمحاربهته يقدم لها مساحة للتعبير عن أفكارها أو أهدافها لا تجدها في البلدان الإسلامية حتى لو كانت ضد الغرب نفسه، أو أن الدول الغربية تستخدم لمصلحتها هذه الحركات من حيث لا يعي ولا يحتسب أصحابها، وفي كلا الحالتين ثمة مأزق بل فضيحة، فإذا كان الغرب يتيح للتنظيمات الأصولية التي لا تقبل المعارضة أن تعارضه، فإن ذلك يجردها من مصداقيتها بقدر ما يعني أن الغرب يعترف بنا وينصفنا أكثر مما نفعل مع أنفسنا، أما إذا كانت هذه التنظيمات

تضرر بنا بقدر ما تتفح الغرب فتلك هي الكارثة، كما تشهد ساحات العمل الجهادي حيث الممارسات الإرهابية تضر الغرب الضرر القليل لكي تعود على البلدان الإسلامية شرًا ووبالًا، أو تخلفًا وخرابًا، وكلا الاحتمالين وارد، فالغرب قياسًا علينا هو أفضل من حيث علاقته بالقيم أو أقل انتهاكًا لها⁽¹⁾.

رابعاً - نقد المشهد العربي وكوارثه:

إن الأزمات في العالم العربي مضاعفة بقدر ما باتت التحديات الداخلية والخارجية جسيمة وخطيرة، ففي الداخل ثمة تعثر وتراجع وفشل وإحباط، من حيث العلاقة مع مجمل المشاريع والقضايا والبرامج المتعلقة بالتحديث والتنمية، أو بالحرية والعدالة، أو بإنتاج المعرفة والتقنية من حيث العلاقة مع الخارج طالما شكلت البلدان العربية موضوعًا للضغط والابتزاز من جانب القوى العظمى الطامعة بالغنيمة من الموارد والأسواق والمواقع والقضايا المصيرية التي ندافع عنها لا نحسن سوى انتهاكها، والخصوصية التي نحافظ عليها تتحول إلى عزلة خانقة، والثوابت التي تتمسك بها تعيدنا إلى الوراء أو تقودنا إلى الاستسلام والمطابقات التي نتقنها مع الذات، والأصول نتردى بها إلى القاع والأسفل، والآخر الذي ندعي مجابته أو نقاومه يزداد قوة وهيمنة، فيما نزداد نحن تبعية وهامشية.

وهكذا يرى حرب أن الوضع الأخطر على المصير هو بقدر ما تشكل الحلقة الأضعف بين الأمم بعد أن تجاوز التراجع كل الحدود، وأن لا مبالغة في الوصف، فالذي يتأمل المشهد العربي تصدمه هذه الصور والنماذج الطاغية والبارزة؛ مجتمعات ميتة سياسيًا، شعوب كسولة ثقافيًا، اقتصاد قوامه الفقر أو التبذير، مجتمع يتزايد نسله بصورة تبتلع ميزانيات التنمية، أنظمة تنتج العجز والبطالة، إدارات حكومية ينخرها الفساد والفوضى، جامعات مفصولة عن واقع

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، ص 97.

الحياة تُخرج أفرانًا من العاطلين عن العمل، تعليم يتراجع باستمرار من حيث كوادره وبرامجه ونتائجه؛ باختصار من وجهة نظر حرب أن الأمة التي تدعي أنها خير أمة هي على الهامش، وفي المؤخرة⁽¹⁾.

كل ذلك من وجهة نظر حرب يجعلنا في وضع لا نحسد عليه بقدر ما يشوه صورتنا في العالم، وهذا واقع نتحمل نحن مسؤوليته بصورة كبيرة؛ ذلك أن سمعتنا العالمية تتوقف على وضعيتنا الوجودية في الداخل، أي على الطريقة التي نصنع بها حياتنا وتقود مصائرنا، كما تتوقف على ما نحققه من إنجازات، أو نقدمه من إضافات مبتكرة للمساهمة في صناعة الحضارة. ونحن لم ننجح حتى الآن في هذه المهمة المركبة، وبالتالي نحن نفتقر إلى المصدقية والمشروعية والفاعلية فيما ندعيه من الحقوق، أو ندعو إليه من المبادئ والقيم. لعلنا نعمل بعكس الإسرائيليين في هذا الخصوص فهم يريحون في الخارج بقدر ما ينجحون في الداخل بنظامهم الديمقراطي وبتصديريهم للخبرات إن لم يكن للعلوم والأفكار.

ويبدأ حرب بتوضيح وتفكيك مكان العجز والتردي في الأمة العربية بقوله: "جذر المشكلة يكمن في مرجعيات المعنى وأنماط الرؤية، أو في شبكات الفهم وسلم القيم، أي في عالم الفكر بنظامه ومسبقاته، أو بقولبه وأحكامه، أو بإدارته وسياسته، فالتفكير الذي هو حيلة الإنسان ومنبع إمكاناته هو سيف ذو حَدَّين، قد نصنع به المعجزة؛ لكي ننتج المعرفة، والثروة والقوة، وقد يولّد العجز أو الجهل أو التسلط والاستبداد، وذلك بقدر ما نتعامل مع أفكارنا بصورة متحجرة ومغلقة...، وهكذا فأزماتنا وكوارثنا ليس مصدرها أقدارنا فقط، بل أفكارنا بشكل خاص، كما تتجسد في العقلية والمرجعيات والنماذج والعقائد والطقوس التي تهيمن على المشهد الثقافي

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، ص129.

العربي، وتتحكم في الخطابات لكي تنتج العوايق والمآزق وتلغم المساعي الوجودية والمشاريع الحضارية⁽¹⁾.

ويوضح حرب جذور المشكلة بالنقد والتفكيك لمحاولة توضيح العقبات التي أدت إلى الأزمة في الدول العربية وجعلتها دول هامشية⁽²⁾:
1- عبادة الأصول:

لعل النرجسية الدينية وعقيدة الاصطفاء وعبادة الأصول هي من أبرز عوايق المشروع الحضاري، إذ هي تخدم على العقل لكي تنتج النموذج المهيمن على المشهد الفكري بنسخه الثلاثة: الداعية التراثي الذي يعتقد أن الشرائع القديمة تنطوي على أجوبة وحلول لكل الأسئلة والمشكلات الراهنة، الأبله الثقافي هو الشخص القاصر الذي يجري غسل دماغه على يد شيخه أو أميره لكي يصبح طوع أمره بحيث ينفذ بصورة آلية ما يملئ عليه، الأصولي الإرهابي الذي يدعي امتلاك مفاتيح الحقيقة والهداية والسعادة لإنقاذ الأمة الإسلامية والبشرية من الكفر والفساد، هذه هي النماذج التي تنتجها الثقافة الدينية الرائجة بمرشديها ورموزها.

2- عبادة الحداثة:

الوجه الآخر للداعية التراثي هو المتقف الحداثي من حيث العجز عن الخلق والابتكار. فالحداثيون على اختلاف منطلقاتهم أخفقوا في تطوير العناوين والمفاهيم التي تداولوها طوال عقود حول التقدم والاستتارة والحرية والعقلانية والحداثة، كما أنهم لم يستطيعوا ابتكار صيغ أو نظريات أو مقولات خارقة تتعدي النطاق العربي لكي تخلق مجالها التداولي على ساحة الفكر العالمي. والعلة في ذلك أنهم تعاملوا

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، ص 131.

(2) المصدر نفسه، ص 132، 133.

مع الأفكار الحديثة بعقلية التشير والتقليد، وثمره التقديس للأفكار إنها تتحول إلى أوثان لكي تطمس الحقائق وتستبد بأصحابها.

3- هواجس الهوية:

من العوامل المعيقة للتفكير الحي: هواجس الهوية، وعقلية المناضلة، وتجنيس العلوم والعقول والمعارف بحسب التقسيمات العرقية أو الدينية أو الإقليمية بين الأنا والآخر، ومن المفارقات أن نقف موقف السلب والنفي من ثقافة الغرب وفلسفته على ما يفعل فلاسفتنا ونقادنا من حراس الهوية والخصوصية، حيث نجد حماة الإسلام يطلون عبر الشاشات لكي يهاجموا الغزو الثقافي والإعلامي بألقابهم الأجنبية وأزيائهم الغربية ومعارفهم المستمدة من الجامعات الأوروبية. والمحصلة لذلك هو التعامل مع الخصوصية الثقافية بصورة هشّة تزداد معها هامشية وفقراً.

4- إرادة التآله:

ثمة صور طاغية على الحياة العربية تفضح السلوك السياسي والثقافي، وهي صورة الزعيم الأوحده والبطل المنقذ الذي يمارس تجاهه طقوس التبجيل والتعظيم بقدر ما تملأ صورته وخطبه وتمائيله الساحات والشاشات، وأطراف الحاكم بأمره بألقابه وصفاته ليست من صنع الجماهير والعامه بقدر ما هي من صنع المثقفين بالذات. تشهد على ذلك التسميات والألقاب التي نستخدمها في وصف مكانتنا وأعمالنا وأدوارنا مثل "رائد الرواية" أو "سيده الشاشة" أو "الإمام الأكبر"، وتلك هي الخديعة، فالنخبة المثقفة ليست نقيض النخبة السياسية، وإنما هي ضدها المتواطئ معها ضد الناس، كما يتجلى ذلك في ممارسة الوصاية على الأمة.

5- بربريتنا الإنسانية:

يختنم حرب نقده للواقع العربي بفضيحة من وجهة نظره وهي موقف العرب من المقابر الجماعية في العراق؛ فيلاحظ أن أكثرية العرب سياسيين وبرلمانيين ومثقفين يميلون إلى طمس الحقيقة، وتناسي المشكلة بذريعة أن الأهم هو مقاومة

الاحتلال، بل إن الكثيرين يتحدثون عن الهول الذي تمثل في سرقة أو تدمير الآثار والمتاحف دون أن تستلفت أنظارهم أهوال المقابر، معنى ذلك أننا نولي أهمية للحجر والأثر أكثر من الإنسان والبشر.

ولذا فإن حرب يرى أن أحوج ما نحتاج إليه الآن هو ممارسة النقد بما هو جرح وفحص أو تشريح وتفكيك أو تعرية وفضح لنماذجنا الإنسانية والخلقية من أجل إعادة التأهيل والتربية والبناء، من حيث علاقتنا بالحقيقة والعدالة والحرية. فليست الأنظمة السياسية وحدها المسئولة عن المظالم والهزائم والكوارث. العلة تكمن في نظام الفكر بقناعاته الأفية وخرافاته العفائية، بتصنيفاته الإرهابية، بقوالبه المتحجرة؛ وكلها ممارسات تشل العقل وتحول دون خلق موارد جديدة تلك هي حصيلة الهوية أو عقيدة الاصطفاء، ولا عجب أن نترجم علاقتنا بفكرنا في البقاء على الهامش والعجز عن الخلق والابتكار للمشاركة في صناعة العالم⁽¹⁾.

والخروج من المأزق يحتاج إلى تغيير المهمة الوجودية والعدة المعرفية، بصورة تطل علاقتنا بمختلف مفردات حياتنا. والمهمة - في رأي حرب - نقدية بقدر ما هي نضالية، بل هي نقدية بالدرجة الأولى. فلنسأل أنفسنا عما تفعله بنا أفكارنا لماذا نفكر لكي نحصد الهزائم أو نصب الفخاخ والكمان؟

ولذلك أحوج ما نحتاج إليه الآن - عربًا وبشرًا - في مواجهة التحديات والأزمات والمخاطر المشتركة الأمنية والبيئية، أو الصحية والاجتماعية، كما تتجلى في تفاقم العنف أو تزايد الفقر والتسلط أو تدهور البيئة والمجال الحيوي: تجديد أشكال المصادقية المعرفية والمشروعية الخلقية والسياسية، بتغذية العناوين وتجديد المفاهيم والمعايير المتعلقة بمفردات الوجود. إنها سياسة فكرية أساسها عقلية الشراكة والمداولة والإحساس بالمسؤولية المتبادلة عن المصائر ومفرداتها: عقلي

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، ص138.

تواصلتي وفكر تركيبتي، منهج تعددي ومعياري تبادلي. هذا هو الرهان الآن إدارة هويتنا وأفكارنا وثوراتنا وعلاقتنا بالعالم بابتكار الجديد من الصيغ والمهام أو الطرق والوسائل. أما ثقافة التعصب والتطرف فهي تؤدي إلى تفخيخ العلاقات بين البشر والانتقال من مأزق إلى آخر، ومن صدمة إلى أخرى⁽¹⁾.

وأيضاً من المشاكل التي قام حرب بنقدها وتفكيكها مصادر الخلل في المجتمعات العربية؛ إن النظام حصيلة لمجمل الأوضاع السائدة في العالم العربي بأنظمتها السياسية وأبنيته الاجتماعية، وبمرجعياته الفكرية ونماذجه الثقافية. ولا مرآة أن النظام السياسي العربي هو وجه من وجوه العطب، ومصدر من مصادر الخلل في الحياة العربية، بقدر ما أثبت فشله أو تعثره سواء في مجال العمل العربي المشترك أو في معالجة القضايا المتعلقة بالحريات والتنمية، الأمر الذي جعله يتحول إلى مصنع لإنتاج الفساد والاستبداد، وقد قام حرب بنقد الخلل في النظام السياسي العربي وتفكيكه كآلاتي:

1-الحاكم بأمره:

إن النظام السياسي العربي هو نظام يجمع بين القديم والحديث سواء من حيث المصطلح والمفهوم، أو من حيث منطق السلطة وآليات الحكم. فإن أصحابه يستخدمون مفردات الولاء والبيعة والرعية إلى جانب مفردات الدستور والقانون والديمقراطية. من حيث شكل الحكم هناك جمع ملفق بين نظام الخلافة والنظام الشمولي، بين مجلس الشورى والمجلس النيابي، بين عصبية القبيلة وقوالب الحزب، بين الشريعة الدينية والقوانين الوضعية باختصار بين أمير المؤمنين ورئيس الجمهورية. وهكذا نحن إزاء نظام هجين ومركب، لا على سبيل التنوع والغنى بل على سبيل التلفيق والزيغ، بمعنى أنه يأخذ من الشورى اسمها الخاوي بقدر ما يأخذ

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفاتكة، ص139.

من الديمقراطية شكلها الكاريكاتوري، ويستقي من الشرع الديني فكرة الحكم المطلق بقدر ما يحول النظام الديمقراطي إلى حكم شمولي ونظام فاشي.

من هنا يرى حرب أن المقارنات والمفاضلات التي يشغل بها الفكر السياسي العربي بين الشورى والديمقراطية تبدو عديمة الجدوى فاقدة المصادقية. ذلك أن التجربة العربية لم تسفر حتى الآن لا عن تطوير الشورى ولا عن تطوير الديمقراطية، والمشكلة أننا نجمع بينهما منذ زمن بمسح الاثنتين وتجريدهما من كل معنى، وذلك بتحويل الشورى إلى مؤسسات تؤمر فتطاع وتتفد، أو بإحالة الديمقراطية إلى طقس من طقوس الولاء والبيعة، كما تشهد نسب الانتخابات حيث الأصوات متعددة والاسم واحد. والحصيلة هي التآله والانتقام والطغيان، حيث الحاكم هو الزعيم الأوحده الذي لا شريك له في حكمه، وحيث الأمة أو الشعب يدين له ويتبعه ويخضع له بوصفه منقذه⁽¹⁾.

هذا هو النموذج الغالب والمسيطر في كثير من الدول العربية حاكم بأمره يتصرف في مجتمعه ورعاياه بوصفه مالك الملك بقدر ما تستحوذ عليه إرادة البقاء في السلطة باستبعاد كل معارضيه. ومن هنا لا يثق بأحد ولو كان من أقرب المقربين إليه، يكون هاجسه حفظ أمنه الشخصي بممارسة الرقابة والإرهاب على كل من عداه. ولذا فهو ينشئ أمناً مضاعفاً ومركباً تتعدد أجهزته لكي يراقب بعضها البعض، أو يهرب بعضها البعض، أو يترصد واحدها بالآخر، الأمر الذي يؤدي إلى طغيان العقل الأمني على الدولة والمجتمع والناس⁽²⁾.

2- الكسل الثقافي:

(¹) علي حرب، أزمنة الحداثة الفارقة، ص152.

(²) المصدر نفسه، ص153.

يرى حرب أن أصل الخلل ومصدر العطب ما تعاني منه المجتمعات العربية من الضعف والعجز والتخلف، إنما يكمن بالذات في الثقافة بوصفها منبع المعنى ومصدر القوة، وتشكل الثقافة سيرورة الإنسان في نموه وتحوله، وفي توسعه وازدهاره عبر الابتكار والإنتاج في مختلف الحقول والقطاعات. ويؤكد حرب على أن الثقافة العربية تتصف بالتعثر والعجز والتراجع أكثر مما تحقق الإنجازات أو تصنع المعجزات. فالمجتمعات العربية هي اليوم ميتة سياسيًا بقدر ما هي كسولة ثقافيًا، متحجرة فكريًا، وعلامة الكسل هي هبوط مستوى القراءة في العالم العربي إلى حدوده الدنيا⁽¹⁾.

ويعطي حرب مثالاً على الكسل الثقافي بالمظاهرات الشعبية التي تشهدها عواصم العالم، نجد أنها ليست سلوكًا عفويًا، وإنما هي فعل ثقافي، ولنتقارن بيننا وبين الأوروبيين في هذا الخصوص. فالتظاهرات عندهم فعالة بقدر ما هي ثمرة ثقافتهم المزدهرة ومجتمعاتهم المنتخبة، فالغربي الذي يحتج ويتظاهر يملك استقلالية الرأي وحرية الاختيار، بقدر ما يعتبر أنه هو الذي انتخب حكامه، وأنه يحق له مطالبتهم أو نقدهم ومحاسبتهم. أما عندنا فتجري الأمور معكوسة؛ نحن نتظاهر دومًا ضد الآخر، ومع الذات لكي نحصد العزلة والخسارة. والتظاهرات عندنا ولو كانت بالألوف المؤلفة؛ فإنها تصدر عن عقلية الحشد الأعمى. ولذا تسير التظاهرات غالبًا لإعلان الولاء، أو لرفع شعارات الفداء للزعماء بالدماء والأرواح⁽²⁾، طبعًا هذه الظروف تغيرت في ظل ثورات الربيع العربي.

نحن نتصرف في الغالب بوصفنا مدينين لزعمائنا وقياداتنا أو لنخبنا الثقافية في حين أن الغربي يعارض ويتظاهر؛ لأنه يعتبر أن حكامه مدينون له

(1) علي حرب، أزمنة الحداثة الفارقة، ص155.

(2) المصدر نفسه، ص156.

بانتخابهم ومناصبهم. وقيماً قال أبو العلاء المعري: "الحكام أجراء". وقال أبو بكر الصديق لما ولي الخلافة: "وليت عليكم ولست بأكملكم، فمن رأى فيّ اعوجاجاً فليعمل على تقويمه". ولكننا الآن ندعي المحافظة على التراث والخصوصية والأصالة لكي نمارس علاقتنا بها بصورة سيئة أو مشوهة. بهذا نجتمع بين أسوأ ما في القدماء وأسوأ ما في الحداثة: أي الأكثر أحادية وتسلطاً في الملكية والجمهورية، أو الأكثر تعصباً وفساداً بين القبيلة والشركة والأكثر تطرفاً وفاشية في الطائفة والحزب، أو الأقل إنتاجاً وإبداعاً في الجامع والجامعة.

3-هدر الثروات:

من وجوه الخلل في الحياة العربية طريقة التعاطي مع الثروة إدارة وتدبيراً واستثماراً. والملاحظ في هذا الخصوص أن هناك فجوة واسعة بين ما يملكه العرب وما ينتجون، والهدر في الإنفاق والتبذير للثروات. ومن عوائق التنمية أيضاً تزايد السكان بصورة متصاعدة لا تتفق مع الموارد، ومن الأسباب الأخرى قلة التدبير وسوء الإدارة والافتقار إلى العقلنة فيما يتعلق بإقامة التوازن الرشيد، أو التلازم الفعال بين الحقول والقطاعات، ولهذا نرى الجامعات تخرج أفواجا من المتعلمين الذين لا يجدون فرصاً للعمل.

ومن هنا تحتاج التنمية إلى استراتيجية إدارية جديدة ركيزتها العقلانية

المرنة المتحركة والمركبة بوجوهها الثلاثة:

- الوجه الأول: هو إخضاع الواقع الاجتماعي الحي والمعاش بحاجاته وآفاته وأزماته للدرس المعرفي والتحليل العلمي.

- الوجه الثاني هو التنسيق بين الحقول والقطاعات المنتجة بحيث يأتي القرار السياسي والإداري ثمرة ناضجة للتبادل والتفاعل بين المشروع الاقتصادي والإنتاج العلمي والتطور التقني.

- الوجه الثالث: أن العقلانية الجديدة التي تزداد تركيبيًا وفاعلية مع تطور مناهج الدرس وشبكات الفهم ليست نخبوية بل تداولية. فالنخبوية كما مارسها أصحابها وصايا على الأمة، وقد أعطت مردودها العكسي استبداد وقرًا. وبالتالي لا بد من الانتقال من مجتمع النخبة إلى مجتمع الاختصاص الذي هو مجتمع تداولي، حيث الكل بصرف النظر عن مهمتهم وحقول عملهم هم عاملون منتجون يساهمون في معالجة المشكلات وتحسين الأحوال بالمناقشات الخصبية والمداوات العقلانية⁽¹⁾.

4-الكسل:

السبب الرابع هو أننا لا نحسن تشغيل طاقاتنا العقلية لاستثمار مواردنا البشرية والطبيعية على غرار ما تفعله الشعوب اليقظة والمجتمعات الحية التي تبذل الجهد وتشتغل على ذاتها وواقعها من أجل استثمار مواردها أو لخلق موارد جديدة. هذا ما تفعله البشرية بعد أن استطاعت بفكرها الخلاق تحويل المادة إلى طاقة إعلامية وإلى مورد جديد لا ينضب؛ أما نحن فإننا نسير بعكس التيار. وكما أننا نخشى المتغيرات التي هي فرص وإمكانات لكي نتراجع ونهملش، فإننا نهدر الطاقات والثروات من جراء الكسل الثقافي والتحجر الفكري⁽²⁾.

رابعًا- نقد ظاهرة العولمة:

يرى حرب أن ما يحدث في العالم يشكّل تغييرًا هائلًا في مشهد العالم تدخل معه البشرية في عصر جديد يسيطر فيه المجال البشري، حيث يطغى الشاهد على الغائب والمرئي على المقروء، والصورة على الفكرة، والإشارة على الدلالة⁽³⁾. ويبين حرب أن هذا التغيير يمكن تلخيصه بعبارة "إنه انتصار الزمان الفعلي الذي

(¹) علي حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، ص160.

(²) المصدر نفسه، ص161.

(³) ريجيس دوبريه، حول علم الوسائط، الميديولوجيا، ت: فؤاد شاهين وجورجيت حداد، دار الطليعة، بيروت، 1996، ص55.

يجري بسرعة الضوء على المكان التقليدي الممتد بأبعاده الثلاثة. حتى الآن كأن التاريخ يجري في أمكنة محلية تشغلها الدول والأوطان، أو في أزمنة جزئية يمثلها التراث والثقافات الخاصة بالشعوب والأمم التي تقطن الأرض. أما الآن فإن تاريخ العالم يجري وفقاً لزمان واحد ووحيد هو زمن عالمي يوصف بأنه فوري ومباشر ومشهدي. إنه زمن عابر للحدود بين القارات والمجتمعات واللغات، عبر طرق الإعلام المتعدد وشبكات الاتصال الفوري التي تنقل الصور والرسائل بالسرعة القصوى من أي نقطة في الأرض إلى أي نقطة أخرى⁽¹⁾.

هذه هي العولمة التي تتحول معها الأرض إلى قرية كونية صغيرة تسبح في فضاء سبراني إلكتروني. إنها ظاهرة جديدة على مسرح التاريخ العالمي تتقلب معها الأولويات وتتغير خارطة العلاقات بكل شيء، بالكائن والحادث، بالمكان والزمان، بالحاضرة والذاكرة، بالفكر والحقيقة، فضلاً عن الصناعة والإنتاج والمبادلة. إذن ثمة منطقتان جديدتان يشغلان مع الفضاء الإلكتروني لا تعود معه الأشياء على ما كانت عليه. نحن إزاء عالم شبحي أثري، لا يتألف من أشياء عينية ولا من مفاهيم ذهنية، بل يتركب من وحدات لا لون لها ولا وزن ولا حجم⁽²⁾.

هي عبارة عن فيض متواصل من العمليات عبر الشبكات والتقنيات. إنها الكائنات العددية تحل محل الأشياء المصنوعة بعد أن حلت هذه محل الأشياء الطبيعية، شاهدة على طور تقني جديد يتجاوز العصر الصناعي إلى العصر السبراني. وهذه الكائنات - أو الوحدات - التي تسكن في العقول الإلكترونية وتساfer بسرعة الضوء، على أساسها يتوحد العالم اليوم، وبواسطتها يجري الاتصال

(¹) علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، فتوحات العولمة مأزق الهوية، المركز الثقافي العربي، المغرب (الدار البيضاء)، ط:1، 2000، ص 97.

(²) فرانسيس بيزاني، حدود الفضاء السبراني، الإنترنت، النشوة والذعر، ص 14.

بين البشر. وهكذا فبعد غزو السلع والأدوات والكتب نشهد غزواً من نوع آخر تمثله النصوص الفائقة المقروءة على الشاشات الإلكترونية⁽¹⁾.

إن دعاة التحرر وقادة الثورات والمنظرين والعقائديين ساسة ومتقنين قديماً وحديثاً، فمن لينين إلى سمير أمين، ونعوم تشومسكي، يرون الظواهر الحضارية والكيانات الثقافية من خلال مقولات الاستعمار والإمبريالية والغزو. هكذا تناولوا الحداثة والعالمية، هكذا ينظرون اليوم إلى ظاهرة العولمة. إنهم يرونها رؤية ضيقة وحيدة الجانب، أي لا يرون منها سوى مظهرها الإمبريالي أو بعدها الاقتصادي الرأسمالي، وهذا اختزال وتبسيط للحضارات. ذلك أنه ما من حضارة إلا وهي شكل من أشكال الغزو والفتح. قد يكون الفتح بالسيف والمدفع، أو بالفكر والمعتقد، أو قد يكون بالاثنين معا كما كان شأن الحضارة اليونانية في عصر ازدهارها، أو الحضارة الإسلامية في عصر تفوقها وانتشارها. وهذا شأن الحضارة الغربية الحديثة لها وجهها الاستعماري والإمبريالي.

غير أن أصحاب العقل الأيديولوجي المغلق لا يرون بفكرهم الأحادي سوى الوجوه السلبية والجوانب المعتمدة من الظواهر الحضارية، إنهم لا يجدون في العولمة سوى شكل جديد من أشكال التمرکز الغربي، أو الغزو الثقافي، أو الاستغلال الاقتصادي. ولا شك أنهم سيفشلون في مناهضتها، كما فشلوا في محاربة الإمبريالية والاستعمار والرجعية، بإعادة إنتاج التبعية والتخلف والفوضى. والأجدى أن نقرأ ما يحدث لكي نُحسن التعامل معه والمشاركة في صنعه⁽²⁾.

ثمة حَدَثٌ كبير لا عودة عنه، ولا جدوى من القفز فوقه؛ الممكن هو قراءته وتفسيره بسبر إمكاناته واستثمار طاقاته للمساهمة في صناعة العالم وإنتاج

(¹) علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية، ص100.

(²) المصدر نفسه، ص101.

الحقيقة. ولهذا الحدث الذي سمي عولمة، إذ معه يتغير عالمنا من حيث بنيته ونظامه، أو من حيث مرجعياته ونماذجه، أو من حيث منطق اشتغاله وشيفرات تواصله. فلا يجدي التعامل معه، وكأن شيئاً لم يحصل، لأن في نظر حرب من يفعل ذلك يقرأ المجريات بلغة ميتة ومقولات متحجرة على ما يفعل عندنا الذين يقرأون العولمة باللغة الأيديولوجية لحركات التحرر الوطني والاجتماعي.

من هنا نجد الحاجة إلى قراءة ما يحدث ويتشكل بلغة جديدة لا تفي بها المقولات والنماذج السائدة لدى النخب المثقفة. لعل المثقف بشكله الحديث قد استنفد نفسه وبلغ نهايته مع استنفاد عالم الحداثة الذي يخضع الآن للنقد والتفكيك بفضائه وبنيته، بمقولاته ومؤسساته. مع الحدث الكوني الذي تجسده العولمة. تنشأ طريقة جديدة في ممارسة الوجود والتعامل مع الواقع، ويتكون نمط مغاير من العلاقة بالتعامل مع الغير والأشياء. ولكن نمط وجودي أشكاله المعرفية ومقتضياته العملية. من هنا تأسست مع العولمة أشكال جديدة من التفكير والعمل وأنظمة مغايرة من التواصل والتبادل⁽¹⁾.

ومن يحاول أن يقرأ ما يحدث يجد أن العالم يتوحد بقدر ما ينقسم ويتشتت. فهو يميل إلى الوحدة على الصعيد الحضاري أي بكل ما يتعلق بنمط العيش وتقنيات الاتصال وأسواق التبادل. على هذا الصعيد ثمة نمط كوني يتشكل ويتعمم على مستوى الكرة. ولكن حرب يرى "رغم ذلك العالم يبدو ممزقاً على صعيد الخصوصيات الثقافية والقومية. إنه ساحة للصراعات والحروب من أجل البقاء توظف فيه فوارق الثقافة وتؤجج هواجس الهوية والذاكرة. وهذا شأن العوالم الصغرى التي يتألف منها العالم الأكبر، كل عالم ثقافي يشكل بدوره ساحة لخوض الصراعات على المواقع والمغانم. وها هو العالم الإسلامي تبدو فيه العقليات المغلقة

(1) علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، ص 107.

العاملة تحت خانة العقائد التوحيدية، أو الأيديولوجيات الوحودية، عاجزة عن توحيد حي من مدينة فكيف بأن توحد عالمًا من الشعوب والدول والقبائل!"⁽¹⁾.

هكذا نجد أن آليات التحضر وقوانين السوق وطرق الإعلام توحد البشر فيما يفرقهم التراث والهويات الثقافية. إذن تجمعهم إمكاناتهم الحضارية بقدر ما تفرقهم أزمئتهم الثقافية. ولعل هذا الفرق بين الحضارة والثقافة، فالحضارة تحيل إلى المكان والحاضرة، أما الثقافة فتحيل إلى الزمان والذاكرة. والحضارة تقنية وأداة، أما الثقافة فقيمة ومعيار، والحضارة سوق ومبادلة يغلب فيها الإنتاج المادي، أما الثقافة فهي إنتاج للرموز والنصوص، والحضارة تنتج المجانسة في حين أن الثقافة تخلق التنوع والغني والتفرد، ومن هنا الحاجة إلى إقامة التوازن بين آليات التحضر وإبداعات الثقافة⁽²⁾.

هذا التغيير في مشهد العالم يُفضي إلى تغيير الثقافة بالذات، فالثقافة لم تعد كما كانت عليه سواء من حيث أطرها ومضامينها، أو من حيث وسائطها ومسالكها، أو من حيث آليات تشكلها والقوة المنتجة لها. إن الثقافة الأكثر فاعلية الآن لم تعد ثقافة الكتاب والصحيفة أو الفكرة والعقيدة بقدر ما أصبحت ثقافة الصورة والمعلومات، أو الحاسوب وبنوك المعلومات. ذلك أن بنية المعرفة هي التي تخضع الآن للتبدل والتغيير بقدر ما تتغير وسائطها وآليات إنتاجها. ولا عجب فكل تغيير في أداة المعرفة يغير علاقتنا بالمعرفة نفسها.

ويوضح حرب أن هذا ما يخشاه حراس الهويات والعقائد وحُماة التراث والذاكرة، حيث اعتدنا دومًا على الكلام بلغة الصدمة والإحباط إزاء ما يحدث مما هو غير منتظر أو غير متوقع. وهذا شأننا إزاء العولمة ووسائط الإعلام. إننا

(¹) المصدر نفسه، ص 109.

(²) سيرج لاتوش، تغريب العالم، ت: هاشم صالح، المؤسسة العربية والابداع، الدار البيضاء، ط: 1، 1993، ص 65.

نخشى بسببها على ثقافتنا وتراثنا ومستقبلنا من الضياع والتبدد والتلاشي وذلك الذي جعله يسأل المثقفين: ما هي ثمرة الثقافة التي سادت في العقود الأخيرة طوال سنوات النضال وراء مشاريع النهوض والتقدم والتنوير والتحرير أو التغيير؟⁽¹⁾.

ويوضح حرب أنه لا يخشى الإجابة على هذا السؤال بالقول: "الثمرة هي إعادة إنتاج الواقع المراد تغييره بشكله الأحدث ولكن الأسوأ، أي المزيد من التبدد والاستبداد، أو الفوضى والعماء. وإذا لم أشأ المبالغة أقول: إن حصيلة المشاريع الأيديولوجية المختلفة أو المتعاقبة هي أن العالم العربي قد تغير بعكس ما أراد له المثقفون. فالذين نصّبوا أنفسهم بوصفهم النخبة المستنيرة أو الطليعة المتقدمة قد سبقهم المجتمع وتخلفوا عنه بأفكارهم، بقدر ما شهدوا على جهلهم بمجريات الأحداث وآليات التغيير. لا يعني ذلك أن المثقفين من أصحاب المشاريع النضالية لم يفعلوا في الواقع بالعكس؛ إن الواقع كان محصلة تهويماتهم وهواماتهم حول الحرية والعدالة والاشتراكية والوحدة. ولهذا فما حصل على أرض الممارسة كان مفاجئاً لهم، الأمر الذي يعني أننا لم نكن نعرف معنى أقوالنا وأفعالنا"⁽²⁾.

وبالتالي يرى حرب أن المثقف ينصّب نفسه قيماً على شؤون الثقافة والهوية والذاكرة حماية لها من العولمة والحدثة الجديدة، وبذلك هو يقف مع الهوية ضد الحدثة، ويتعامل مع الثقافة بوصفها ضد الحضارة. هذا شأن المثقف خصوصاً نوعه الحديث. فهو يريد الحدثة، ولكن معنى قوله وخطابه أنه أصولي أكثر من الأصوليات التي ينتقدها. فالأولى في نظر حرب أن يعمل على نقض عدته الفكرية وتحديث معطياته الثقافية إذا شاء أن يكون فاعلاً في صناعة المشهد عبر إنتاجه الفكري والثقافي.

(¹) علي حرب، حديث النهايات، ص121.

(²) المصدر نفسه، ص122.

ويرى حرب أن المثقف في ظل العولمة والوسائط الحديثة لم يعد بوسعها أن يمارس وكراته الفكرية عن المجتمع أو وصايتها الخلفية على الناس، فالمثقف في عصر الوسائط وسيط بين الناس، يسهم في خلق وسط فكري أو عالم مفهومي أو مناخ تواصل، أي ما من شأنه أن يزيد في المجتمع من إمكانات التواصل والتبادل والتعارف، أما الدور النخبوي التحريري أو التنويري، فقد أنتج التفاوت والاستبداد والاصطفاء والعزلة عن الناس والمجتمع، وبالإجمال لم تعد النماذج السائدة منذ عصر التنوير تفي بقراءة ما يحدث، بل هي تستنفد طاقتها وتفقد مصداقيتها بما فيها هذا النمط الذي يمثله المثقف، فمع استنفاد عالم الحداثة تنتهي أشكال إنسية متوارثة ونماذج ثقافية مهيمنة ومهام تاريخية طوباوية؛ لكي تنشأ أشكال ونماذج وأدوار جديدة تطوي القديمة وتستوعبها في صيغ جديدة للعمل التاريخي وللعمل الثقافي.

ويوضح حرب أن الممكن الآن هو العمل على ابتكار إنسانية جديدة تتيح لنا أن نوازن بين الثقافة والحضارة وبين القيمة والأداة، بين الفكر والوسائط، بين المعنى والسلعة، بين الإنسان والطبيعة⁽¹⁾.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نصل إلى النتائج التالية:

1- اعتمد علي حرب على المنهج النقدي في تحليل النصوص والخطابات ونقد العولمة، والحداثة ربطها بمشكلة الثقافة التي سيطرت على فكره، ولم يتطرق حرب للحوادث التاريخية في كتبه بطريقة تجعلنا ننتقد تاريخيته، بل معظم اهتمامه انصب على الحياة المعاصرة، ومحاولة إيجاد حلول للمشاكل الموجودة في المجتمع من وجهة نظر فلسفية.

(1) علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، ص131.

- 2- يرى حرب أنه لا مفر من مجابهة الواقع الجديد بآليات ومعالجات جديدة بصورة تجعلنا نعيد الحسابات العقلية، وتحترق الحدود المرسومة، ومن هذه الآليات (الشراكة - الفكر التركيبي - فن التغيير - العقل التواصلي - فن التغيير)
- 3- إن الإرهاب عند حرب صراع داخل العالم العربي والإسلامي بين نمطين في ممارسة الوجود والدفاع عن الكيان والهويات في مواجهة التحديات والأزمات.
- 4- يوضح حرب العقبات التي أدت إلى الازمة في الدول العربية وجعلتها دول هامشية منها: عبادة الأصول، عبادة الحداثة، هواجس الهوية، إرادة التآله، بربريتنا الإنسانية .
- 5- يرى حرب أن المثقف ينصب نفسه قِيَمًا على شؤون الثقافة والهوية والذاكرة حماية لها من العولمة والحداثة الجديدة.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابن منظور، لسان العرب، الجزء: الثامن، دار الحديث، القاهرة، 2003م.
- 2- رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تحقيق: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م.
- 3- ريجيس دوبريه، حول عالم الوسائط، الميديولوجيا، ترجمة: فؤاد شاهين وجورجيت حداد، دار الطليعة، بيروت، 1996م .
- 4- سيرج لاتوش، تغريب العالم، ترجمة: هاشم صالح، المؤسسة العربية والإبداع، الدار البيضاء الطبعة:1، 1993م.
- 5- عبدالمك مرتاض، نظرية التفويض (مقدمة في المفهومة والتأسيس) القاهرة، 1999م .
- 6- عبدالمك مرتاض، الكتابة التحليلية بين التراث والحداثة، المجلة العربية للثقافة، العدد 24، 1993م.
- 7- علي حرب، أزمة الحداثة الفائقة "الاصلاح -الإرهاب - الشراكة" المركز الثقافي العربي المغرب (الدار البيضاء)، الطبعة:1، 2005.
- 8- علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومأزق الهوية، المركز الثقافي العربي، المغرب (الدار البيضاء)، الطبعة:1، 2000م.
- 9- علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، المغرب (الدار البيضاء)، الطبعة:1، 1993م.
- 10- علي حرب، الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربية، المغرب (الدار البيضاء)، الطبعة:1، 1995م.
- 11- فرنسيس بيزاني، حدود الفضاء السبراني، الإنترنت، النشوة والذعر .
- 12- محمد لخضر زبادية، من أعلام النقد العربي الحديث والمعاصر " دراسات في المنهج"، دار غريب لطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة:1، 2007.

-
- 13- محمد عزت عبد الموجود (وآخرون): أساسيات المنهج وتنظيماته، دار الثقافة، القاهرة 1977م.
- 14- المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2014م.
- 15- مصطفى عبد الغني، زكي نجيب محفوظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: بدون، 2002م.

تطور استخدام الأرض في مدينة مسلاته

د. عائشة مصطفى أحمد المقرئ*

المقدمة:

إن مفهوم استخدام الأرض من المفاهيم الواسعة والمعقدة، ومهما تعددت الآراء فإنها تجمع على أنها العلاقة المتفاعلة بين الإنسان والأرض، وقد عرفت على أنها "التوزيع المكاني لوظائف المدينة المتعددة، التي تشمل الوظائف السكنية والصناعية والتجارية والخدمية"⁽¹⁾.

كما أن دراسة استخدام الأرض ذات أهمية بالغة لإعداد تخطيط سليم لأي منطقة.

كما تعد أنماط استخدام الأرض في أية مدينة نتاجاً للتطور الذي مرت به المدينة عبر تاريخها⁽²⁾، كما تعتبر نتاجاً لتفاعل مجموعة كبيرة من القوى الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة والفعالة، وانعكاس منطقي لأهمية الوظائف التي تمارسها المدينة⁽³⁾، والتي على هديها يمكن إعادة تخطيط المدينة في المستقبل⁽⁴⁾.

* كلية الآداب والعلوم مسلاته/ جامعة المرقب

(1) الموسوعة الجغرافية، شبكة المعلومات الدولية <http://www.geography.com>

(2) أحمد علي إسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، دار الثقافة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1993م، ص254.

(3) محمد عبد العزيز الهنداوي، استخدام الأرض في مدينة دمياط دراسة جغرافية، بحث غير منشور، 1989م، ص2.

(4) محمد محمد سطيحة، خرائط التوزيعات الجغرافية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1970م، ص125.

ولذلك فهي تتسم بالديناميكية والتطور تبعاً لتغير احتياجات المجتمع⁽¹⁾، وعلاوة على ذلك فإن فهم تركيب المدينة وظيفياً يعتمد على خريطة استخدام الأرض.

إن كثافة استعمالات الأراضي بالمدن سواء كانت مخططة أو عشوائية تؤدي لا محالة إلى توسيع دائرة هذه المناطق على حساب الأراضي المجاورة، وهذا بدوره يؤدي إلى الزحف على الأراضي الريفية والتعجيل بتدميرها، وتدمير الحدود التي ترسمها المخططات الحضرية للفصل بين العمران الحضري والمناطق الريفية .

كانت مدينة مسلاتة إحدى المدن الصغيرة التي توفرت بها الخدمات، فمع توفر الخدمات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية أصبحت منطقة لجذب السكان ، شأنها في ذلك شأن معظم المدن الليبية ، وهذا أدى إلى نموها وازدهارها العمراني.

وقد تناول هذا البحث موضوع تطور استخدامات الارض في مدينة مسلاتة.

وتقع مدينة مسلاتة عند تقاطع خطي طول (5° 14' _ 14°) شرقاً ودائرتي عرض (36' 32° _ 33' 32°) شمالاً اذ تقع في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا وتبعد عن سواحل البحر المتوسط بحوالي 10 كم، ويحدها من الجنوب مدينة ترهونة وتبعد عنها بحوالي 43 كم اما من الشمال فتحدها مدينة الخمس وتبعد عنها حوالي 35 كم، وتبعد عن مدينة طرابلس بحوالي 135 كم.⁽²⁾

(1) وليد شكري، المجمع الحضري لمدينة المنصورة، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، 2005م، ص110.

(2) المخطط الشامل 2000 شركة بولسيرفيس، استشارات هندسية، وارسو، بولندا، تقرير رقم ط 34 ن ص 15.

أولاً- مقارنة بين استخدام الأرض لمدينة مسلاته عام 1980م - عام 2000م:

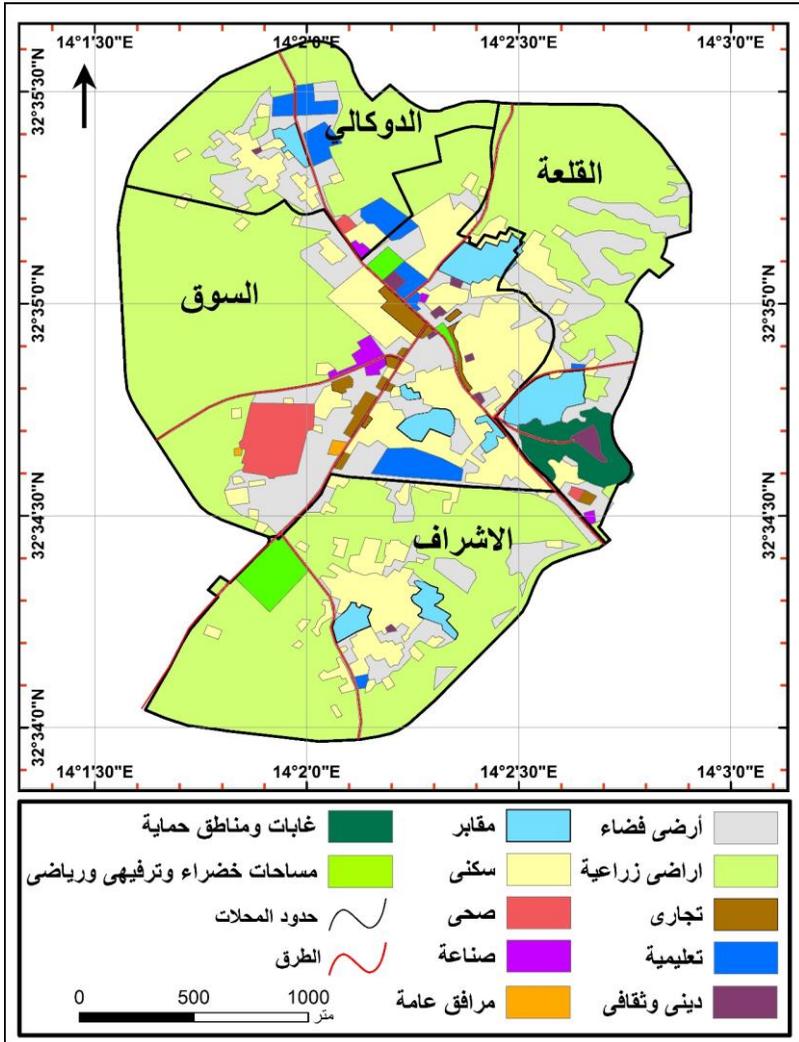
بالرغم من أن مخطط المدينة أكثر ميلاً نحو التحديث والمعاصرة حيث يلاحظ أن الفترة الأولى من تنفيذ المخطط، ثم هدم المدينة القديمة والمنطقة المحيطة بميدان الشهداء من أجل تعميمها، مع بقاء المباني القديمة في بعض المحلات التي تدل على أصالتها، يلاحظ أن هناك تبايناً مكانياً وتشابكاً وتداخلاً في الوظيفة والتناقضات واضحة، فنلاحظ وجود مبان ذات دورين وأكثر بجانب منازل ذات الدور الواحد، كما يلاحظ انتشار الورش مختلفة الأنواع بجانب المنازل، بينما تم تخصيص منطقة محددة للصناعات الخفيفة، وكذلك خصص المخطط مناطق خضراء تعتبر رئة المدينة، لكن هذه المناطق أعيد تخطيطها بطريقة أو أخرى وحلت محلها مبان سكنية وغيرها وتعاني المدينة في الوقت الحاضر من عديد المشكلات، ولعل من أهمها عدم وجود مخطط ديناميكي يراعي نمو سكانها واتساع مساحتها حيث يلاحظ أن عديد من المساكن أقيمت في الفترة الأخيرة خارج المخطط على حساب الأراضي الزراعية، أي الزحف العمراني على الأراضي الزراعية.

جدول (1) مقارنة بين استخدام الأرض بمدينة مسلاته بين 1980 والمخطط لسنة 2000م

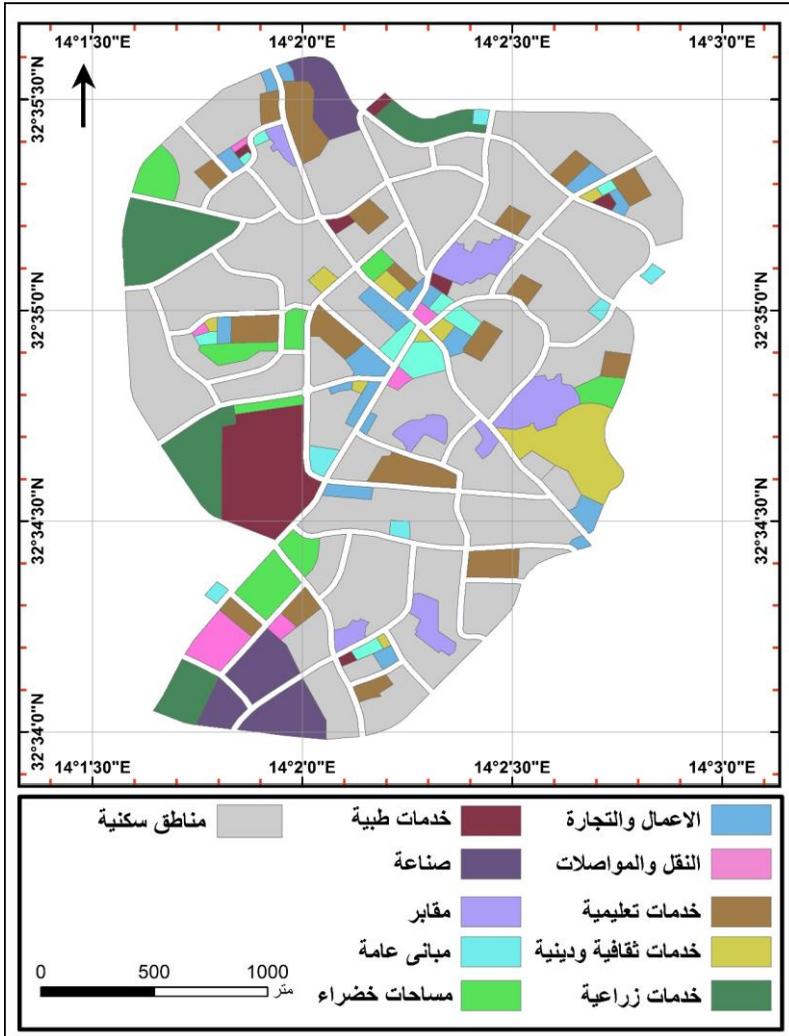
2000		1980		نوع الاستخدام
%	مساحة بالهكتار	%	مساحة بالهكتار	
52.8	228	47.3	73	السكن
7.5	32.3	6.3	9.8	التعليمية والثقافية
3.5	14.5	8.9	13.8	الصحة
5.9	25.7	12.6	19.4	المرافق الدينية
1.5	14.5	1.7	2.6	المنافع العامة
6.3	27.1	4.2	6.5	الصناعة
17	73.7	14.9	23	النقل والمواصلات
3.7	16.2	4.1	6.4	الترفيه
%100	432	%100	154.5	المجموع

المصدر: مسلاته، المخطط الشامل 2000 التقرير النهائي رقم طق-34- بولسيرفس، وارسو، بولندا، 1980م.

شكل (1) استخدامات الأرض في سنة 1980



شكل (2) استخدامات الأرض في سنة 2000م.



المصدر: المخطط الشامل

من خلال الجدول السابق (1) والشكلين (1)، (2) يتضح أن مساحة المدينة بلغت كواقع لسنة 1980م (154.5) هكتار تقريبا وفي سنة 2000م بلغت

(432) هكتار تقريبا، فنجد أن في عشرين سنة لم تزد المساحة عن (278) هكتار تقريبا، اي بنسبة زيادة قدرها 180.5% حيث تم بناء العديد من الوحدات السكنية وبعض المباني الادارية ومباني الخدمات الأخرى على انقاض المباني القديمة التي تم ازلتها عام 1980م والبناء مكانها.

وبمقارنة مساحة استخدامات الأراضي في عام 1980 وبين مخطط المدينة لعام 2000 نلاحظ وجود زيادة كبيرة في مساحة الاستخدام السكني حيث زاد من مساحة 73 هكتار إلى 228 هكتار مما أضاف مساحة كبيرة من المساكن المخططة ومحاولة الحد من بناء المساكن العشوائية، كما زادت مساحة الاستخدام التعليمي والثقافي من 9.8 هكتار إلى 32.3 هكتار مما أحدث وفرة في الخدمات التعليمية والثقافية، كما زادت مساحة الاستخدام الصحي من 13.8 هكتار إلى 14.5 هكتار حيث إن الزيادة لم تكن كبيرة إلا أن المدينة لم تشعر بالعجز في الخدمات الصحية، كما زادت المرافق الدينية من 19.4 هكتار إلى 25.7 هكتار، وأيضا المنافع العامة من 2.6 هكتار إلى 14.5 هكتار وهو ما يظهر تحسنا واضحا في الخدمات بصفة عامة، كما زادت مساحة الاستخدام الصناعي من 6.9 هكتار إلى 27.1 هكتار، وذلك بسبب تخصيص مناطق في جنوب المدينة ومنطقة أخرى في شمالها، مما ساعد على التقليل من التلوث البيئي للمدينة، كما زادت مساحة الطرق من 23 هكتار إلى 73.7 هكتار، وهو ما يظهر تصميم شبكة طرق جيدة للمدينة، أما مساحة الترفيه فزادت من 6.4 هكتار إلى 16.2 هكتار والمتمثلة في بعض المساحات الخضراء والمنتزهات .

ثانياً: استخدام الأرض لمدينة مسلاته 2017م:

يشير الجدول التالي إلى أنماط استخدام الأرض داخل مدينة مسلاته لعام

2017م.

جدول (2)

توزيع استخدامات الأرض الحالية في مدينة مسلاته عام 2017م

النسبة المئوية %	المساحة بالهكتار	نوع الاستخدام
61.4	451.3	الاستخدام السكني
1.7	13.6	الاستخدام التجاري
2.8	22.6	الاستخدام الصناعي
3.0	24.6	الاستخدام التعليمي
2.3	18.3	الاستخدام الصحي
2.0	15.8	الاستخدام الديني - الثقافي
1.3	10.1	الاستخدام السياحي والترفيهي
1.0	9.2	مباني عامة
9.7	78.9	الطرق
10.1	81.7	سكني تجاري
0.1	0.43	سكني صناعي
1.9	15.6	مقابر
5.6	44.9	الأراضي الفضاء
2.7	22.0	خدمات زراعية
	784.43	المجموع

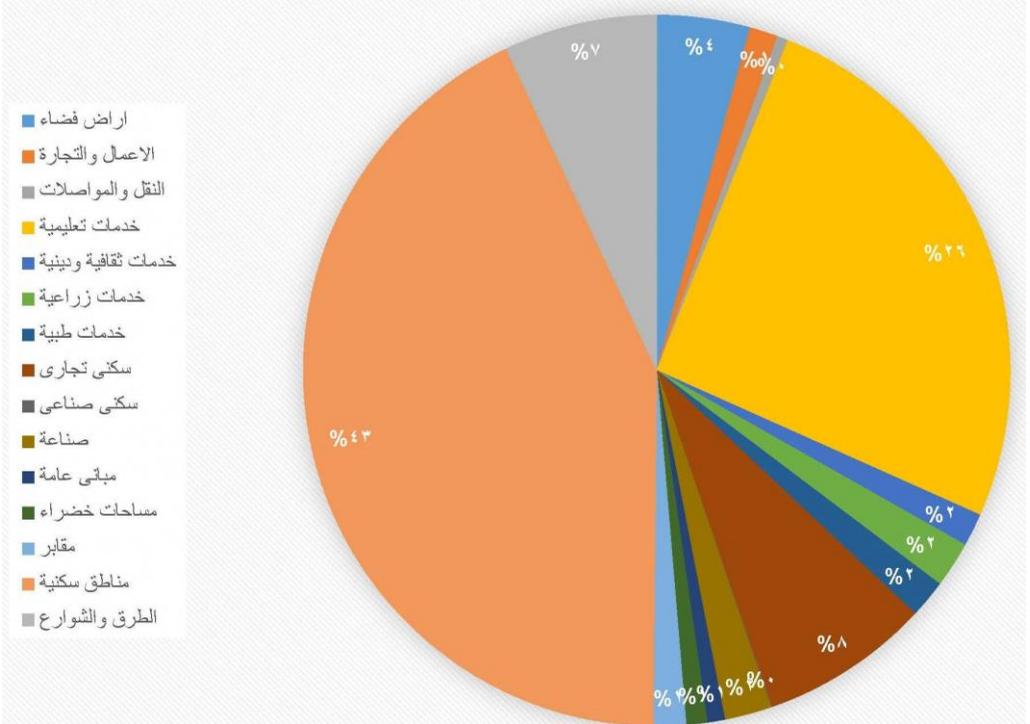
المصدر: اعتماداً على برنامج Ark Gis

ومن العرض السابق في استخدام الأرض في مدينة مسلاته عام 1980م نستنتج إن مدينة مسلاته قد نشأت قديماً ونمت وتطورت حتى أصبحت مجتمعاً حضرياً على الجبل الغربي في شمال غرب ليبيا، وتطورت حتى صُنفت من ضمن المدن

الصغيرة في ليبيا، ومن ثم وضع لها مخطط وزاد تطورها ونموها للانتعاش الاقتصادي والهجرة من المناطق المحيطة من الريف إليها.

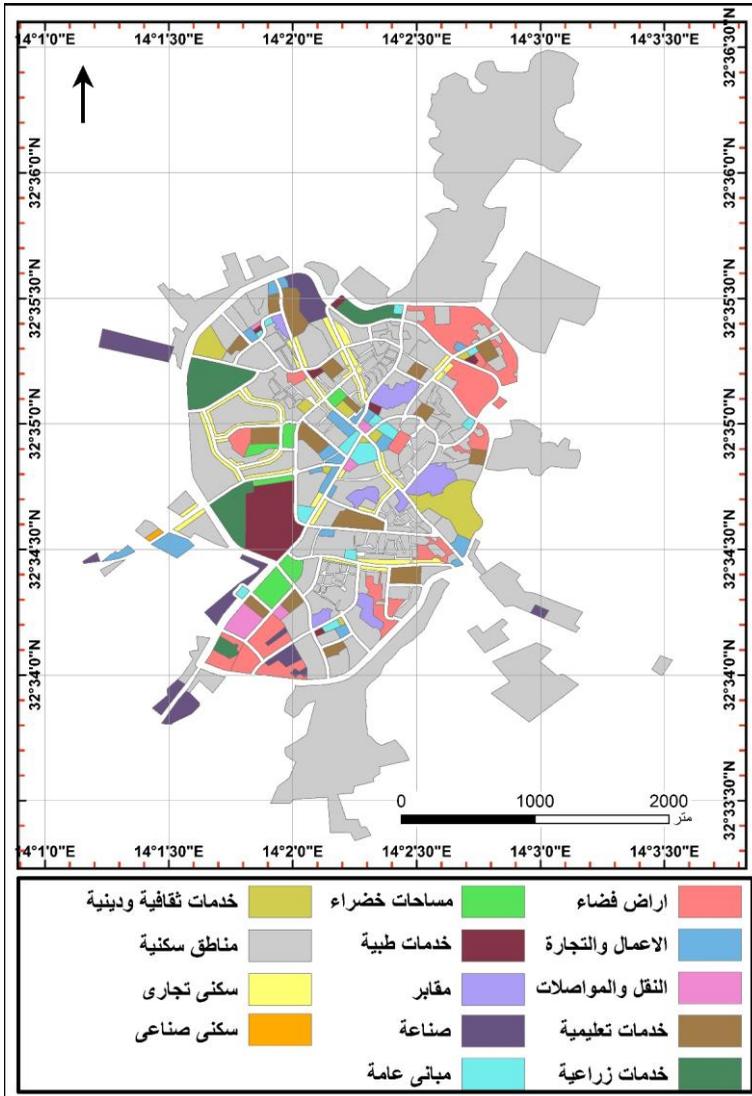
شكل (3) استخدام الأرض في مدينة مسلاته عام 2017م

المصدر: من عمل الباحثة اعتماداً على الجدول السابق.



المصدر: اعتماداً على برنامج Art gis والدراسة الميدانية..

شكل (4) استخدام الأرض في مدينة مسلاتة خلال عام 2017م



من خلال الجدول رقم (2) والشكل (4) يتضح الآتي:

بلغت مساحة مدينة مسلاته حوالي 784 هكتاراً موزعة على استعمالات الأراضي للأغراض المختلفة، أي بلغت الزيادة في المخطط لعام 2000 حوالي 352 هكتاراً، وبذلك تكون النسبة المئوية للزيادة في 2017م ، وفي عام 2000م حوالي 81.5%.

كما نلاحظ من خلال خريطة استخدامات الأراضي رقم (4) أن أغلب الاستخدامات الموجودة هي الاستخدام السكني، حيث بلغ 71.5% من إجمالي مساحة المدينة المتضمن مساحة 451.3 هكتار كاستخدام سكني ، ومساحة 81.7 هكتار كاستخدام سكني تجاري حيث يستخدم الدور الأول في المحلات وباقي المبنى يستخدم سكني، وهذا الاستخدام نجده واضحاً على الطرق الرئيسية، ومساحة 43.0 هكتار سكني صناعي حيث يستخدم الدور الأول كورش وباقي المبنى يستخدم كسكن.

بينما بلغت مساحة الخدمات 12.3% من إجمالي مساحة المدينة والمتضمنة مساحة الخدمات التعليمية حيث بلغت 24.6 هكتار ، والاستخدام الصحي والذي بلغ مساحة 18.3 هكتار، والخدمات الدينية والثقافية والتي بلغت 15.8 هكتار، والخدمات السياحية والترفيهية والمتمثلة في المسلات الخضراء إذ تمثل 10.1 هكتار ، والمباني العامة والتي تبلغ مساحتها 9.2 هكتار .

بينما بلغت مساحة الأنشطة الاقتصادية 4.5% من إجمالي مساحة المدينة، والتي تتضمن النشاط التجاري والمتمثل في 13.6 هكتار والمتمركز في قلب المدينة (D.B.C) وعلى الطرق الرئيسية.

أما النشاط الصناعي فبلغت مساحته 22.6 هكتار والمتمركز في الطرق الجنوبية الفرعية والمنطقة الصناعية في الشمال وعلى اطراف المدينة، بينما بلغت نسبة مساحة الطرق 9.7% من إجمالي المدينة والمتضمنة مساحة المقابر حيث بلغت 15.6 هكتار بينما أراضي الفضاء بلغت مساحتها 44.9 هكتار والمتمركز في منطقتها الشمالية الشرقية حيث أراضي متضرسة والجنوبية الغربية كذلك.

كما يتبين أن التطور الحضري يتمركز في وسط المدينة، كما يتضح من خلال الخريطة أن هناك طرقاً معبدة داخل مخطط المدينة، وأخرى غير معبدة، كما نلاحظ من الخريطة انتشار الاستخدام التجاري بكثرة داخل مخطط المدينة، وخاصة على امتداد الشوارع والطرق الرئيسية.

ثالثاً- أنماط استخدام الأرض:

1 (استخدام السكني:

شهدت مدينة مسلاته تطوراً عمرانياً كبيراً خلال النصف الثاني من القرن العشرين وكان أحد جوانب هذا التطور "الاستخدام السكني" حيث يعد من أكثر الاستخدامات تغيراً بسبب الزيادة في عدد السكان والتغيرات الاجتماعية ومستوى الدخل والمعيشة، وتحتل المساكن المساحة الأكبر من رقعتها في كل مكان تقريباً ولكن بأعداد متفاوتة. وتختلف المناطق السكنية في شكلها وتوزيعها باختلاف حجم المنطقة وتطورها، فالمنطقة القديمة تتركز المساكن فيها حول مقدمة رواقها بصفة دائمة، ولكن مع التطور العمراني ونموه بدأ السكان يتوجهون إلى خارج المنطقة وترك وسطها لوظائف أخرى أكثر أهمية كالوظيفة التجارية والإدارية⁽¹⁾.

(1) عبد الفتاح وهيب، دار النهضة العربية، بيروت ن 1973م، ص117.

هذا وتغطي المساحة المخصصة للسكن بليبيا نسبة عالية من إجمالي مساحة المخططات حيث تتراوح النسبة ما بين 40-60%. ونجد أن الاستخدام السكني يحتل الصدارة في منطقة الدراسة، ففي سنة 1980م بلغت المساحة المخصصة للوحدات السكنية حوالي 73 هكتاراً وهي تشكل نسبة 47% من مجمل الأراضي، بينما في سنة 2000م بلغت حوالي 228 هكتاراً، وهي تمثل 52.8% من مساحة المدينة وارتفعت عام 2017 الى 451 هكتار وهو يمثل 61.4 من مساحة المدينة (شكل رقم 2)، وبناء على ذلك فإن نوع الاستخدام السكني ونسبته في منطقة الدراسة وكثافة السكان تلعب دوراً هاماً في مبادرات السكان لتشييد المنازل من جهة، ولتوسع مساحة المخطط وتنظيمها، وإعداد البنية التحتية، وإصدار التراخيص من جهة آخر

(2) الاستخدام التجاري:

تعد التجارة من أهم الأنشطة الاقتصادية في المدن، وخاصة الكبيرة منها، ويمثل هذا الاستخدام أفضل المواقع، وأكبر قدر من سهولة الوصول عن طريق شبكة جيدة من الطرق⁽¹⁾، فكلما زاد عدد سكان المدينة، وتطورت وسائل النقل، وتيسرت مسالكها داخل المدينة وخارجها كلما زادت أهمية التجارة وزاد حجم الاستخدام التجاري، إذ تحتل المنطقة التجارية داخل المدن عادة مساحة تقدر بنحو 5% من المساحة الكلية للاستعمالات بالمدينة، إذ يعد النشاط التجاري من أهم الأنشطة التي تقوم بها المدينة⁽²⁾.

(1) حسن الخياط، المدن الخليجية، ط1، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، 1988م، ص262.

(2) محمد صالح المرسومي وآخرون، المبادئ العامة لجغرافية المدن، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، 2000م، ص39.

إن ما تتميز به مدينة مسلاته هي كونها مركزاً تجارياً مهماً تقدم خدمات تجارية مختلفة لسكان المدينة والتجمعات المجاورة لها حيث إنها تتسم منذ القدم بالتمركز السكاني، وذلك لملاءمة أراضيها للاستقرار، وقابليتها لجذب السكان، وما نتج عنه من حركة اقتصادية، وتبادل تجاري للمنتجات والمزروعات على مر السنين، حيث إن للمدينة سوقاً أسبوعياً أعطى المدينة شهرة تجارية حيث يلجأ إليه التجار من أغلب المناطق المحيطة من ترهونة والخمس وسوق الخميس وزليتن ومصراته وقصر الأخيار، كما أن المدينة منذ القدم تشتهر بوجود المحلات التجارية والمهنية والحرفية.

وقد شهدت منطقة الدراسة تطوراً عمرانياً كبيراً خلال الفترة الأخيرة، وكان أحد جوانب هذا التطور إنشاء مجموعة من الأسواق العامة، والجمعيات التعاونية التي توزعت في شتى أنحاء المدينة، واعتمدت كقنوات تسويق، فلقد أجاز لمؤسسات القطاع الخاص بمزاولة النشاط التجاري الذي أدى بدوره إلى نشأة مناطق تجارية جيدة، كذلك تم التوسع في تحويل الطوابق الأرضية في بعض الشوارع الرئيسية من الاستعمال السكني إلى التجاري المختلط، وأغلب هذه المساكن المختلطة توجد في محلة السوق في منطقة (C.D.B) في مدينة مسلاته.

وتتنوع المؤسسات التجارية في منطقة الدراسة منها: محلات الملابس والمفروشات والأثاث، ومحلات المجوهرات والصياغة والعطور. وكذلك محلات الأحذية، محلات المواد الغذائية والتموينية والأدوات الكهربائية والزراعية والمنزلية، ومحلات خاصة بالمعدات والآلات الدقيقة والثقيلة ولوازم المكتبات ومحلات البقالة والخضار وغيرها.

صورة (1)



بعض المحلات الحديثة في محلة السوق

المصدر: الدراسة الميدانية 2017م.

وهذه المحلات عبارة عن محلات تجارية تتركز طبقاً للنشاط السائد حيث تتركز بعض المحلات الخاصة بالملابس والمجوهرات في بعض الشوارع مثل شارع الدوكالي والجمهورية، كما تتركز معظم المحلات في (D.B.C) وهي منطقة الأعمال المركزية، وتوضح الصورة رقم (1) بعض نماذج الاستخدامات التجارية بالمدينة، هذا وقد ازدادت مساحة المحلات التجارية (بيع المواد التموينية والغذائية) حيث بلغ إجمالي المحال المرخصة المتعددة التي تنتشر داخل المدينة (655) محلاً تجارياً⁽¹⁾.

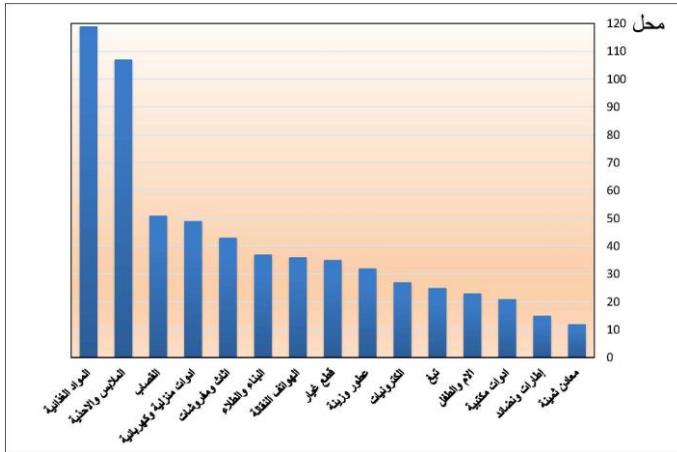
(¹) الدراسة الميدانية 2017م.

جدول (3) إحصاء المحلات التجارية وفقاً لنوع الاستخدام

العدد	نوع الاستخدام
119	المواد الغذائية
107	الملابس والأحذية
51	القصاب
49	أدوات منزلية ومكهربائية
43	أثاث ومفروشات
37	البناء والطلاء
36	الهواتف النقالة
35	قطع الغيار
32	عطور وزينة
27	إلكترونيات
25	تبغ
23	مستلزمات الأم والطفل
21	أدوات مكتبية
15	إطارات ونضائد
12	معادن ثمينة
7	أعلاف وحبوب
6	موزع غاز
5	كماليات السيارات
3	محلات التصوير

المصدر: الدراسة الميدانية 2017م.

شكل (5) أعداد المحلات التجارية حسب الاستخدام في مدينة مسلاته 2017



المصدر: من عمل الباحثة بناء على الجدول السابق.

كما تشمل المصارف والشركات الاستثمارية، وإن كانت هذه المؤسسات لا تمثل أماكن للبيع والشراء، إلا أنها ترتبط بالنشاط التجاري بشكل أساسي ويوجد في منطقة الدراسة أربعة مصارف وهم مصرف الوحدة ويقع في محلة السوق، وكذلك مصرف الصحاري، ومصرف شمال أفريقيا، ومصرف الجمهورية.

صورة (2) مصرف الصحاري ومصرف الجمهورية



المصدر: تصوير الباحثة 2017

الاستخدام الصناعي:

ظهر هذا الاستخدام بوضوح في نهاية القرن الثامن عشر، إذ شهدت هذه الفترة نشأة وحدات صناعية خاصة، حيث أثرت الصناعة على موقع المدينة وتركيبها وشكلها ودخل هذا الاستعمال في تنافس مع باقي الاستعمالات الأخرى⁽¹⁾.

إن الاستعمالات المتعلقة بالأراضي الصناعية في مدينة مسلاته قد انحصرت في فترة الخمسينيات والستينيات على بعض الصناعات الخفيفة، وعلى ما تنتجه من موارد التي تتمثل في معاصر الزيتون، ومطاحن الحبوب، لأنهما الموردان الأساسيان في المدينة واللذان يعتمد عليهما السكان منذ القدم، إضافة إلى بعض الصناعات الأخرى مثل النجارة والحدادة، والمخازن، وبعض الصناعات كالنسيج والصوف، وبسبب عدم وجود توجيه استثماري قوي في مجال الصناعة، وفي غياب تخطيط مناطق صناعية تستوعب النشاطات الضرورية، فقد نشأت

(¹) محمد مدحت جابر، جغرافية العمران الريفي والحضري، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003م، ص 227.

صناعات ثانوية عديدة، وتوزعت داخل مسطح منطقة الدراسة، وتداخلت مع الاستعمالات الأخرى، فنجدها تتمركز أغلبها في وسط المدينة وفي الأحياء السكنية التي تسبب الضوضاء والضجيج للسكان، إضافة إلى التلوث البيئي الذي تسببه وتشويه منظر المدينة بالمخلفات الصناعية والقمامة، وقد بلغت نسبة الاستخدام الصناعي بالمدينة 22.6 هكتار تقريبا وبنسبة 2.8%.

صورة (3) صناعة الرخام والبلاط بمحلة السوق



المصدر: تصوير الباحثة 2017م.

(4) الاستخدام التعليمي:

يعد التعليم الركيزة الأساسية لأي بلد ومؤشر تقدمه، كما أنه الأداة الرئيسية للتنمية الاقتصادية والبشرية ومظهراً من مظاهر الخدمات الحكومية⁽¹⁾. ويتركز الاستخدام التعليمي داخل الحيز الحضري، ويتأثر نمط التنظيم المكاني له بمساحة المنطقة السكنية، وحجم السكان وشبكة الطرق والتطور التاريخي للمراكز الحضرية.

(¹) محمد، المغني الكبير في الجغرافيا التعليمية للبحيرة، نشرة الدراسات الجغرافية، جامعة المنيا، المجلد الرابع، العدد الخامس، 1995م، ص1.

وتعد منطقة الدراسة مركزاً للإشعاع الثقافي والعلمي حيث يوجد بها عدد كبير من المدارس بمختلف أنواعها، تبدأ من رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والاعدادية .

ويشغل الاستخدام التعليمي عام 2017م مساحة 24.6 هكتاراً، أي ما يعادل نسبة 5.47% من جملة مساحة المدينة.

وبالاعتماد على المعلومات المتوفرة من مكتب التقويم والقياس فإن أقدم المدارس الموجودة بمنطقة الدراسة هي مدرسة القصبات الابتدائية، أما في بداية السبعينيات من القرن الماضي وخلال العقود الأخيرة زاد إنشاء المؤسسات التعليمية في منطقة الدراسة حيث بلغ عدد مدارس التعليم الأساسي عام 2009م نحو 17 مدرسة، و(5) مدارس للتعليم المتوسط، بالإضافة إلى عدد من مراكز تحفيظ القرآن الكريم .

وينتشر بالمدينة نمط تعليم الثانويات التخصصية في نهاية التسعينيات وهي المرحلة التعليمية التي تسبق مرحلة التعليم الجامعي، والتي يكون فيها متوسط أعمار الطلاب بين 15-19 سنة، وتسمى هذه المرحلة مرحلة التعلم المتوسط ومدّة الدراسة بها أربع سنوات لتزويد الطلاب بمختلف العلوم والمعارف، تمهيداً لالتحاقهم بسوق العمل أو لاستكمال دراستهم بالجامعات والمعاهد العليا .

فمثلاً الذين يدرسون العلوم الهندسية يلتحقون مباشرة بكلية الهندسة، وكذلك الذين يدرسون علوم الحياة يلتحقون بكليات الصيدلة والطب، وهكذا في باقي التخصصات.

مرحلة التعليم العالي:

لقد أنشئت في مدينة مسلاته مراكز للتعليم العالي تمثلت في:

أ) كلية الشريعة والقانون

ب) كلية الآداب والعلوم

ج) المعهد العالي للمهن الشاملة

د) المعهد العالي للمهن الطبية

مراكز تحفيظ القرآن الكريم:

تتميز مدينة مسلاته بكثرة حافضي القرآن الكريم مقارنة بعدد سكانها، بالإضافة إلى كثرة مراكز تحفيظ القرآن الكريم، إذ يوجد ما يزيد عن 18 مركزاً لتحفيظ القرآن الكريم موزعة على المحلات الأربع منها: مركز تحفيظ منارة الدوكالي، ومركز تحفيظ المجابرة، كما تمتاز بكثرة عدد مدرسي ومدارسات القرآن الكريم. هذا ويصل عدد الطلبة الدارسين بهذه المراكز إلى 2300 طالب⁽¹⁾.

5) الاستخدام الصحي:

شغلت الاستخدامات الصحية في مدينة مسلاته عام 2017م مساحة 18.3 هكتاراً وبنسبة 2.3% من إجمالي المساحة المستخدمة داخل المخطط⁽²⁾.

(1) الهيئة العامة للأوقاف، مكتب أوقاف مسلاته.

(2) مخطط بولسيرفيس، مرجع سابق، ص 23.

صورة (4) مستشفى مسلاته المركزي



بالإضافة إلى القطاع الخاص والذي بدأ يزدهر في المدينة وينتشر في مختلف التخصصات.

(6) الاستخدام الديني والثقافي:

تعتبر مدينة مسلاته كغيرها من المدن الإسلامية، حيث تشغل نسبة من مساحتها والتي تتمثل في وجود عديد من المساجد لأداء الصلاة، وإلى جوار البعض مقابر لدفن الأموات المسلمين، وقد شغل هذا الاستخدام نحو 15.8 هكتار وبنسبة 2.0%⁽¹⁾.

وتتحصّر استعمالات المرافق الدينية في المساجد المختلفة، وقد بلغ عدد المساجد في منطقة الدراسة 20 مسجداً موزعة على محلات المدينة بشكل يخدم كل السكان(2).

¹ مخطط بولسيرفس مرجع سابق

⁽²⁾ الهيئة العامة للأوقاف، مسلاتة.

هذا ويوجد أقدم جامع "جامع المجابرة"، وهو المكان الذي أعلنت فيه الجمهورية الطرابلسية.

صورة (5) جامع المجابرة



المصدر: تصوير الباحثة 2015م.

المقابر:

يوجد بمدينة مسالته ست مقابر موزعة على محلات المدينة، وجميع أماكن المقابر مستغلة، ولا يوجد أماكن مقترحة لإقامة مقابر في المستقبل، إذ تبلغ مساحتها 15.6 هكتار وبنسبة 1.9% من مساحة المدينة.

تخطت الامتدادات العمرانية منطقة المقابر وأصبحت المقابر تقع في قلب المنطقة العمرانية، ونظراً لحساسية هذه المواقع من الناحية الدينية، واحترام مكانة الأموات في الدين الإسلامي أصبح من الصعب التعامل مع هذه الأماكن بكافة صورها، سواء بإزالتها أو بتغيير مكانها، أما الآن فأصبحت توجد في مركز المدينة العديد من المقابر التي يرجع تاريخها إلى فترات قديمة، ومن بينها مقبرة الودكالي، ومقبرة يوسف الجغرافي، وسيدي فايز، وأولاد حامد وغيرها.

(7) الاستخدام السياحي والترفيهي:

على الرغم من توفر عديد من المقومات السياحية في مدينة مسلاته إلا أنها تفتقر إلى الخدمات السياحية بالرغم من وجود متحف في قلعة مسلاته القديمة، وذلك لعدم وجود الجهات المعنية بذلك حيث بلغت مساحتها 10.1 هكتار ونسبة 1.3% من مساحة المدينة الى جانب توفر مساحات خضراء حول المستشفى المركزي للمدينة .

صورة (6) المنتزه السياحي



الم

صدر: تصوير الباحثة 2017م.

أما بالنسبة للترفيه فكان يتمثل في وجود عدد من الحدائق المتركزة في وسط المدينة، وهو ما يسمى بالمنتزه السياحي، لكنه في الآونة الأخيرة تحول إلى مقهى وبناء محلات تجارية على أطرافها، إلى جانب ساحات خضراء متفرقة.

(8) الخدمات الحكومية والهيئات (الاستخدام الإداري):

وتشمل تلك الخدمات الإدارية والمكاتب الخدمية الموجودة بالمجمع الإداري بوسط المدينة، كما توجد المكاتب التنفيذية، بالإضافة إلى المحكمة الجزئية، ومكتب الأوقاف وشؤون الزكاة، وغيرها من الإدارات الأخرى.

ويشغل هذا الاستخدام عام 2017م مساحة 9.2 هكتارات، أي ما يعادل نسبة 1.0% من إجمالي مساحة المخطط .

(9) الشوارع والميادين والطرق :

يعد هذا الاستخدام من أهم استخدامات الأرض بمنطقة الدراسة بعد الاستخدام السكني، إذ يمثل 73.7 هكتار أي حوالي 9.1% من جملة مساحة المدينة ، وهو بذلك يأتي في الترتيب الثاني من استخدامات الأرض حيث لا تقتصر وظيفة الشوارع على كونها منافذ يستخدمها السكان في الدخول إلى مساكنهم والخروج منها، أو على أنها تربط بين أجزاء منطقة الدراسة، بل تتعدى أهميتها إلى قيامها بوظيفة اجتماعية خاصة في الأحياء الشعبية القديمة التي يضيق فيها الحيز السكني ويزداد فيها التزاحم للسكن، وتشكل شبكة الطرق والشوارع والميادين هيكل منطقة الدراسة.

3- الاستخدام الزراعي:

يعد الاستخدام الزراعي أقل الاستخدامات في منطقة الدراسة، إذ تبلغ مساحته 22.0 هكتار تقريباً، أي حوالي 2.7% من مساحة المدينة، ولكن ليس معنى هذا أن الأهالي لا يقومون بمزاومتها، إذ يمتلكون أراضٍ زراعية ولا يمارسون هذه المهنة إذ يعتبرونها مهنة ثانوية، فجد أهالي منطقة الدراسة يمتلكون أراضي زراعية في ريف المدينة، ويقومون بزراعة القمح والشعير وجمع ثمار الزيتون.

وتشكل مزارع محلة الأشراف في منطقة الدراسة ظهيراً زراعياً مهماً يمد المدينة وأقاليمها بالمواد الزراعية الغذائية، وخاصة الزيتون وزيتته، والخضروات، حيث تشتهر مدينة مسلاته منذ القدم بتجارة زيت الزيتون بالدرجة الأولى سواء على مستوى المدينة أو أقاليمها.

ففي مدينة مسلاته بلغ عدد الأشجار المثمرة من الزيتون 255.000 شجرة، ومن اللوزيات 54.000 شجرة مثمرة، ومن التين 16112 شجرة مثمرة، والعنب 45.225 شجرة مثمرة⁽¹⁾.

كما أن المدينة تزود بالخضروات والفواكه مثل المشمش والخوخ والحمضيات من المدن المجاورة.

كما توجد آبار جوفية، وقد سبق الحديث عنها، كما يوجد في منطقة الدراسة نباتات طبيعية، وقد سبق الحديث عنها أيضاً، إذ تدخل هذه النباتات في عديد من الأغراض الطبية، والتي يستخدمها السكان في علاج بعض الأمراض.

إن قلة العاملين بالزراعة لا يعني أن الزراعة ليست عنصراً مهماً في اقتصاد مسلاته، وإنما نجد أن الزراعة في مدينة مسلاته تشكل عملاً ثانوياً لزيادة دخل العائلة، ونجد أن العائلة تشارك في الزراعة كعمل إضافي.

كما أن قطاع الزراعة في مدينة مسلاته يواجه صعوبات تحول دون أن يلعب دوراً مهماً في الاقتصاد العام لمنطقة الدراسة.

(¹) تعداد الحائزين الزراعيين وحيازاتهم الزراعية، 2006م، مصلحة الإحصاء، التعداد الزراعي، مسلاته، 2006م.

الخاتمة:

خرجت الباحثة بعدد من الاستنتاجات التي توضح تطور استخدام الأرض في مدينة مسلاته تتركز حول ما يلي:

أن مدينة مسلاته قد نشأت قديماً ونمت وتطورت حتى أصبحت مجعماً حضرياً على الجبل الغربي بشمال غرب ليبيا.

تعتبر استعمالات الأراضي لأغراض السكن من أكثر الاستعمالات من حيث التجاوز، بالإضافة إلى ذلك فإن بعض الأحياء السكنية تختلط بها الاستخدامات وخاصة الاستخدامات التجارية.

إن ما يميز مدينة مسلاته هي كونها مركزاً تجارياً مهماً تقدم خدمات تجارية مختلفة لسكان المدينة والتجمعات المجاورة .

لقد شهد استخدام الأرض الصناعي في مدينة مسلاته توسعاً ملحوظاً حيث يتضح التركيز العالي للمنشآت الصناعية على طول الطرق الرئيسية وداخل الشوارع الفرعية.

تعد مدينة مسلاته مركزاً للإشعاع العلمي والثقافي إذ يوجد بها عدد من مدارس التعليم الأساسي نحو 15 مدرسة ، 5 مدارس للتعليم المتوسط بالإضافة إلى الثانويات التخصصية ، كما أنشئت في مدينة مسلاته مراكز للتعليم العالي .

يتمثل الاستخدام الصحي في مدينة مسلاته في مركزين مهمين هما مستشفى مسلاته المركزي في محلة السوق، والثاني مركز الرعاية الصحية، بالإضافة إلى المصحات ذات التخصصات المتعددة.

بلغ عدد المساجد بمدينة مسلاته 20 مسجدًا موزعة على محلات المدينة، بالإضافة إلى عدد من المقابر.

إن الخدمات الترفيهية ناقصة مقارنةً بغيرها إذ تقتصر على بعض الحدائق إلى جانب مناطق ترفيهية توجد في جنوب المدينة كالأندية الرياضية.

يشمل الاستخدام الإداري الخدمات الإدارية والمكاتب الخدمية... الخ، إذ توجد بوسط المدينة بما فيها المرافق العامة المتمثلة في البنية التحتية كالمياه والصرف الصحي والاتصالات.

أما بالنسبة للطرق والشوارع والبيادين فيعد هذا الاستخدام من أهم استخدامات الأرض بمنطقة الدراسة بعد الاستخدام السكني.

يعد الاستخدام الزراعي أقل الاستخدامات في منطقة الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

- 1_ البيانات النهائية من رئيس التعداد بمسلاته، غير منشورة، لعام 2006م
- 2- تعداد الحائزين الزراعيين وحيازاتهم الزراعية 2006م، مصلحة الاحصاء والتعداد الزراعي، مسلاته 2006م.
- 3- المخطط الشامل 2000 شركة بولسيرفيس، استشارات هندسية، وارسو، بولندا، تقرير رقم ط 34.
- 4- احمد على إسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، دار الثقافة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1993م.
- 5- حسن الخياط، المدن الخليجية، ط 1، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، 1988م.
- 6- عبد الفتاح محمد وهيب، جغرافية العمران، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.
- 7- محمد صالح المرسومي وآخرون، المبادئ العامة لجغرافية المدن، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، 2000م.
- 8- محمد عبد العزيز الهنداوي، استخدام الأرض في مدينة دمياط دراسة جغرافية، بحث غير منشور، 1989م.
- 9- محمد محمد سطيحة، خرائط التوزيعات الجغرافية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1970م.

-
- 10- محمد مدحت جابر، جغرافية العمران الريفي والحضري، ط 1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2003م.
- 11- محمد المغني، الكبير في الجغرافية التعليمية للبحيرة، نشرة الدراسات الجغرافية، جامعة المينا المجلد الرابع، العدد الخامس، 1995م.
- 12- وليد شكري، المجمع الحضري لمدينة المنصورة، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، 2005م.
- 13- الموسوعة الجغرافية، شبكة المعلومات الدولية
<http://www.yhpargoeg.moc>

أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق من خلال مخطوط

(656-685هـ / 1258-1286م)

إعداد: د. نعيمة عبد المولى سالم (*)

أ. سميرة سالم حمد (*)

المقدمة:

مخطوط: رقم الحل في نظم الدول المؤلف: لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب (ت776) هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن أحمد بن علي كنيته: أبو عبد الله نسبه السلماي، اللوشي، الغرناطي، الأندلسي شهرته: لسان الدين، ابن الخطيب، ذو الوزارتين، ذو العمرين، ذو الميبتين، ذو القبرين ميلاده: في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، ولد في ببلوشة، وتلقى بها علومه، فكان فقيهاً، واعظاً وأديباً، وشاعراً، ومؤرخاً، ونشأ في غرناطة، ثم سبتة وتلمسان، ثم المغرب، ومات في أوائل عام سبعمائة وستة وسبعين، وله العديد من الكتب منها ما هو مخطوط ومطبوع، والموضوع الذي بين أيدينا مخطوط مصور بالميكروفلم عن النسخة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية تحت رقم 300 (172 ق) هذه النسخة تحتوي على صفحة رقم 201 مقاس (20×17) تحتوي على

* - عضو هيئة تدريس بجامعة الزيتونة، كلية التربية، قسم التاريخ.

* - عضو هيئة تدريس بجامعة الزيتونة، كلية التربية، قسم التاريخ.

26 سطر، وفي كل سطر 13:15 كلمة تقريباً، كتبت بخط مغربي مشكول متوسط الجودة، كلماتها كلها مشكولة، مما تجعل القراءة صعبة، وعند سرد الأحداث والوقائع زاد من غموض القراءة؛ لأنها كتبت على شكل شعر، كما اتسمت بالإسهاب في ذكر الأحداث، وكل ما يتعلق بعهد السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق.

الشخصية المرينية التي نحن بصدد الحديث عنها، هو الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق، يكنى أبا يوس، لقبه: القائم بأمر الله، أمه: الحاجة أم اليمين بنت محلى البطوي، بويح بتاز في سنة ست وخمسين وستمائة، وتوفي في الجزيرة الخضراء من الأندلس، وهو معسكره للجهاد عند زوال يوم الثلاثاء، الثاني والعشرين من محرم سنة خمس وثمانين وستمائة، وله خمس وسبعون سنة، مولده في عام تسعة وستمائة، وكانت دولته تسعا وعشرين سنة⁽¹⁾.

كان هذا الأمير رجلاً من رجالات السياسة والإدارة والحرب وله خبرات كثيرة في الحكم، وعندما كان والياً على إقليم تازة⁽²⁾ من قبل أخيه أبي بكر⁽¹⁾.

¹ - ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، مخطوط مصور بالميكروفيلم عن الخزانة العامة بالرباط (المغرب) رقم 2073 (d1604) ورقة 164.

ابن الأحمر، النفحة النسرينية واللحة المرينية، مخطوط مصور بالميكروفيلم عن الخزانة العامة بالرباط (المغرب) رقم 1773 ورقة 36.

² - تازة، مدينة تقع شرقي مدينة فاس نحو 127 كم، وهي أول بلاد المغرب الأقصى، وتيزا وتيزي كلمة بربرية معناها الصخرة، وتجمع تازة أو تيزا ولمكانتها الحربية اتخذها السلطان يوسف قاعدة له لغزو تلمسان.

عندما تولى أمر الدولة المرينية قام بتدعيم أركانها وتأمين الجبهة الداخلية، وخاصة بعد وفاة الأمير أبي يحيى بن عبد الحق محرم 657هـ / 1258⁽²⁾ عندما قتل عمر بن يحيى (656هـ / 1258م)⁽³⁾ عند ساقية عيوله قتله بنو عمه، وهم عمر بن عثمان، وإبراهيم بن عثمان، والعباس بن محمد بن عبد الحق، في دم وثأر كان بينهم، وبمقتله أعاد الأمير أبو يوسف مكناسة الزيتون⁽⁴⁾ إلى النفوذ المريني وجددت له البيعة، وتوحدت الأراضي المرينية تحت قيادة واحدة. كما تم الاستيلاء على مدينة سلا⁽⁵⁾، وكان واليها يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق⁽⁶⁾. وشرع في ترميم سورها الغربي الذي تسلل منه النصارى الإسبان. ودخله في 14

ابن خلدون، العبر، ج7، ص 209، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 392، مجهول الذخيرة السنية، ص 96، ابن الناصري، الاستقصاء، ج3، ص 20، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 284، الزركلي، الأعلام، ج9، ص 262.

1 - أبي بكر ابن الأمير عبد الحق يكنى أبا يحيى، أمه تاعزنة بنت حفص التنالفتي بويغ بعد مقتل أخيه محمد يوم الخميس التاسع من جمادى الأخرى سنة اثنين وأربعين وستمئة توفي بقصره في قصبه فاس حتف أنفه يوم الخميس منسلخ جمادى الأخرى سنة ست وخمسين وستمئة، وله اثنتان وخمسون سنة. ابن الأحمر، المخطوط، النفخة النسرينية واللحة المرينية ورقة 35.

2 - ابن الأحمر، مخطوط، النفخة النسرينية واللحة المرينية، ورقة 35 - ، مجهول، الذخيرة السنية، ص 97.

3 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 99، مجهول الذخيرة السنية، ص 97، ابن خلدون، العبر، ج7، ص 209-210.

4 - مكناسة الزيتون: المغربية التي توجد مساكنها بإقليم تازة فتتألف من ثلاثة بطون، أولاد بكار، وبني علي، وبني هيثم ولهم سوق أسبوعي شهير في المكان المدعو عين بوقلال ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 100، مجهول الذخيرة السنية، ص 98.

5 - سلا: مدينة برباط شالة بالمغرب الأقصى، وهي مدينة رومانية قديمة على ساحل المحيط الأطلسي.

6 - يعقوب بن عبدالله بن عبد الحق (ابن أخيه).

شوال 658هـ/1269م⁽¹⁾ قد اشترك بنفسه في عمليات التحصين والبناء وعين عليها أبا عبد الله بن أحمد الفزاري⁽²⁾، وخرج بعدها إلى تامسنا⁽³⁾، فأخضعها للحكم المريني وبذلك وصل نفوذ بني مرين حتى وادي أم الربيع⁽⁴⁾.

الاستيلاء على مراكش⁽⁵⁾

ظهرت ملابسات حول تاريخ الاستيلاء على مراكش، فابن أبي زرع يذكر سنة (659هـ/1260م)⁽⁶⁾. وابن خلدون وصاحب الذخيرة السنوية يحدد سنة (660هـ/1261م)⁽⁷⁾ وكان اللقاء عند بطن وادي أم الربيع في منطقة تنحصر عنها مياه الوادي، فتبدو

- 1 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 100، مجهول الذخيرة السنوية، ص 98. ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 423 الناصري، الاستقصاء، ج 3، ص 22.
- 2 - أبو عبد الله بن أحمد الغزاوي، ابن عذارى، المصدر السابق، ص 424.
- 3 - تامسنا يغلب على الظن أنها مدينة أثفا العتيقة التي خربت وحلت محلها في القرن الثامن عشر الميلادي، مدينة الدار البيضاء، عاصمة المغرب الاقتصادية.
- 4 - مجهول، الذخيرة السنوية، ص 104، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 384، ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 209، ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 427.
- 5 - وادي أم الربيع؛ نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس ويصب في المحيط الأطلس عند أزموار.
- 6 - مراكش: أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك بن عبد المؤمن، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين في حدود سنة 470هـ، للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 94.
- 7 - روض القرطاس، ص 395.
- 8 - العبر، ج 7، ص 212، مجهول، ص 105.

وكانها أرجل، فسميت الموقعة بأُم الرجلين⁽¹⁾ فانهزموا الموحدون هزيمة شنيعة⁽²⁾ .

وبعد ما انصرف بني مرين إلى بلادهم، ولم يستغلوا هذا النصر، وعادوا إلى مراكش ويمرور الوقت عبأ الأمير يعقوب بن عبد الحق جيشاً ضخماً سار به نحو مراكش، ووصل حتى جبل إيكليز⁽³⁾ حيث أقام مدة، ويذكر صاحب الذخيرة السنية إنه: ((ركب في جميع جيوش المنصورة، ثم أقبل حتى نزل على باب المدينة، واصطفت جيوشه أمامها وبرز عليها في أحسن تبرير فانحصر المرتضى بداخلها وغلق على نفسه أبوابها))⁽⁴⁾ واستمر الحصار قرابة الشهرين⁽⁵⁾، خسر فيه الأمير يعقوب بن عبد الحق ابنه عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق (العجوب)، وعلى أثرها يذكر ابن خلدون: ((فغدت مهلكة في عضدهم، وارتحلوا عنها إلى عملهم))⁽⁶⁾ ويذكر صاحب الذخيرة السنية: ((فأرتحل عن مراكش

¹ - أم الرجلين : ابن عذارى ، البيان المغرب (قسم الموحدون) ص 428 ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 395 ، ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 212 ، مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 105.

² - مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 105 ، ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 212 ، الناصري ، الاستقصاء ، ج3 ، ص 12 ، ابن أبي زرع روض القرطاس ، ص 395.

³ - جبل أيكيز ، يذكره الناصري ، جبل جيليز ، الاستقصاء ، ج2 ، ص 24. ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 211 ، ابن عذارى البيان المغرب ، ص 434.

⁴ - مجهول ، ص 107.

⁵ - المصدر السابق نفس الصفحة.

⁶ - العبر ، ج7 ، ص 212.

بسبب قتل ولده)) (1) وقد أرسل المرتضى (2) رسالة يعزي فيها الأمير يعقوب بن عبد الحق ويلطفه، وضرب له أتاوة يبعث بها إليه في كل عام فرضى يعقوب بن عبد الحق وارتحل (3)

ما يمكننا قوله، إن جهود بني مرين لم تتوقف في الاستيلاء على مراكش، ففي عام 663هـ/1264 (4) وصل إلى أحوازها وبايعته القبائل المحيطة بالمدينة من العرب المصامدة إلى فاس (5). حتى جاء إليه أبو العلاء إدريس ابن عبد الله بن أبي حفص بن الخليفة عبد المؤمن بن الموحي الملقب بأبي دبوس (6)، حيث أحسن استقباله، وسأله عن سبب مجيئه فردّ عليه: ((ولست بزائر ولكني دخيل مستجير بك إنني فررت من القتل، وقصدت حماك لتتصرني وتعينني على عدوي وعدوك)) (7).

1 - مجهول، ص 107.

2 - المرتضى هو الخليفة المرتضى الموحي .

3 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 396، مجهول، الذخيرة السننية، ص 123.

4 - المصدر نفسه والصفحة .

5 - فاس: هي مدينة بالمغرب أسسها الأمير إدريس الأول ، 172هـ- 789م ، على أن المؤسس الحقيقي لهذه المدينة هو ابنه إدريس الثاني ، كما أسس لنفسه مدينة مقابلة لمدينة فاس، ولا يفصلها عنها سوى نهر صغير وأسماها العالية، للمزيد من المعلومات عن هذه المدينة ينظر: ابن الخطيب، مشاهدات، ص 110.

6 - أبو العلاء ادريس هو أبي عبد الله محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن المعروف بأبي دبوس، الملقب بالوائق، وهو من أمراء الخليفة المرتضى الموحي، خرج على الخليفة ، واستبد بالحكم ، المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 418، ابن أبي زرع روض القرطاس، ص 396.

7 - ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 141.

اختلفت هنا الأسباب وراء هروب أبي دبوس، تـري مُعظم المصادر أن قرار أبي دبوس كان لخوف المرتضي من تطلعه إلى العرش الموحد⁽¹⁾، بينما تـرى بعض المصادر الأخرى أن فراره كان سبب علم المرتضي بأن هناك مراسلات سرية تتداول بين ابن مـرين وأبي دبوس⁽²⁾، وعلى أية حال، فإن لجوء أبي دبوس إلى أبي يوسف، يوضح مدى العلاقات والتعاون بينهم، ويتضح عمق هذه العلاقة عندما طلب أبي دبوس من أبي يوسف (تعطيني جيشاً من بني مـرين وطبولاً وبنوداً تعينني بما أنفعه على ذلك في طريقي أنا أتضمن لك فتح مراكش وأحوازها، فإن أكثر من بها من الجيوش والقواد والأشياخ شـيعة لي وإذا ملكتها يكون بيننا ملكها مشتركاً نصفها لك ونصفها لي)⁽³⁾.

ربما لقيت هذه الفكرة استحسان أبي يوسف فمدّ أبو دبوس ديناراً بخمسة آلاف من جنود بني مـرين، وأعطاه أموالاً كثيرة بلغت على حد تقدير ابن خلدون خمسة آلاف دينار⁽⁴⁾.

1 - مجهول، الذخيرة السنية، ص 123-124.

2 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 212، الناصري، الاستقصاء، ج3، ص 12.

3 - مجهول، الذخيرة السنية، ص 127. ابن أبي زرع روض القرطاس، ص 397 (مع خلاف اللفظ).

4 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 212، الزركلي، الأعلام، ج9، ص 262، وابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 397، (ويذكر صاحب الذخيرة أن أبا يوسف يعقوب أمد أبا دبوس بألف فقط من المحاربين، وهذا يخالف ما ذكره ابن خلدون وابن أبي زرع، من أنهم أمدهم خمسة آلاف وقد يكون ذلك الرقم هو عدد من خرج من المرينيين مضافاً إليه من خرج معهم من جند القبائل الخاضعة للنفوذ. المريني، ص 124.

وكذلك آلات الحرب كما أمر القبائل⁽¹⁾ الخاضعة للنفوذ المريني بالرجال العتاد، واستطاع في حين غفلة من المرتضي دخولها من باب اغمات⁽²⁾، وفزّ المرتضى ومعه الوزير أبو زيد بن يعلو⁽³⁾ إلى أزمو⁽⁴⁾ مستتجداً بصهره ابن عيوش وإلى ازمو⁽⁵⁾ في 22 محرم (665هـ/1266م)⁽⁵⁾، ولكن ثمّ تسليمه أسيراً إلى أبي دبوس، وقُتل على يد مولاة مزاحم في الطريق وأحتز رأسه، وتولى أبو دبوس خلفه الموحيدين⁽⁶⁾.

وما فعله أبو يوسف عندما وصلتته أنباء استيلاء أبي دبوس على مراکش بعث أبو يوسف رسولا يهنئه ويطلب منه الوفاء بالعهد، فرّد أبو دبوس إلى رسول أبي يوسف ((ما بيني وبينه عهد إلا السيف أرجع إليه، وأقره أن يبعث ببعثه، وأقره على ما بيده من البلاد، فإن بادر بالبيعة، وسارع إلى الخدمة خير له من الدنيا

1 - القبائل: (قبائل الخط، هسكورة، هزرجة) ابن خلدون، العبر، ج7، ص 212.

2 - اغمات: مدينة صغيرة تقع على بعد 40 كم جنوب مراکش، وقد عرفت نشاطاً أدبياً قبل تأسيس عاصمة المرابطين، وزادت شهرتها عندما نفى إليها المعتمد من عبد مالك اشبيلية الذي خلعه يوسف بن تاشفين.

3 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 212.

4 - أزمو: وهي بلد بالمغرب في جبال البربر، باقوت الحموي معجم البلدان، م/1، ص 169. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 212.

5 - مجهول، الذخيرة السنية، ص 135، ابن خلدون، العبر، ج7، ص 212.

6 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 212، الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 12، ابن أبي دينار المونس في أخبار إفريقية وتونس، ص 129. ابن الخطيب، الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 141.

والآخرة، وإن امتنع من ذلك غزوته بجنود لا قبل له بذلك، وكتب له بذلك كتاباً يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء إلى عمالهم⁽¹⁾.

بعد هذه الرسالة قرر أبو يوسف حشد قوات ضخمة وخرج بها إلى مراكش، وألقى عليها حصاراً، وأطلق سرايا الجيش المريني في جهات مراكش ونواحيها تحطم الزروع وتتسف الأوقات⁽²⁾.

ما اعتقده أبو دبوس أن الأحداث تسير في غير صالحه، فأرسل إلى أبي يوسف الشيخ العالم أبو العباس أحمد بن مخلوف الهسكوري، ومعه هوية سنوية يطلب من أبي يوسف أنه سوف يعني بما عاهده عليه فرضي بذلك أبو يوسف، وعاد إلى فاس⁽³⁾.

في هذه الأثناء استغل أبو دبوس الفرصة، وطلب مبايعة من قبائل السوس وعرب الخلط والمفعل ويغمراسن بن زيان الذي راسل أبا دبوس بقوله: (إياك أن تطمع بنو مرين فيما لديك فأنا أكفيك شهرهم، وأنا وأنت يد واحدة في حربهم)⁽⁴⁾ ما حدث من تطورات، نقض العهد أبو دبوس مع أبي يوسف، فخرج إليه، وألقى عليه حصاراً ضاقت فيه مدينة مراكش، وانتشرت المجاعة ببلاده، وغلت

1 - مجهول، الذخيرة السنوية، ص 126، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص 129، ابن أبي زرع، روض القرطاس ص 397، مع خلاف اللفظ بينما يذكر المراكشي أن أبا دبوس سلم للمرينيين مدينة مراكش ثمناً لمعونتهم، وهو بذلك يخالف ما رواه المؤرخون، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 336.

2 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 398، ابن خلدون، العبر، ج7، ص212، الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 12.

3 - مجهول، الذخيرة السنوية، ص 126.

4 - المصدر نفسه، ص 127، يذكر تفاصيله كاملة.

الأسعار مما جعله يطلب الإغاثة من يغمر اسن بن زيان أمير تلمسان⁽¹⁾ فرفع أبو يوسف الحصار عنها، وعاد إلى فاس لكي يتأهب، ويستعد لحرب يغمر اسن، وكان ذلك في منتصف ربيع الأول 666هـ/1267م، قاصداً تلمسان، ومتخذاً من وادي ملوية⁽²⁾ طريق أجر سيف⁽³⁾ وكان اللقاء بوادي تلاح⁽⁴⁾ في (22 جمادى الآخر 666هـ/1267)، دارت معركة طاحنه قُتل فيها أبو حفص عمر أكبر أبناء يغمر اسن بعد أن لحقت به الهزيمة، هو وقومه من بني عبد الواد؛ وعاد أبو يوسف إلى فاس ليستأنف فيها العمل على مراكش⁽⁵⁾.

وفي شعبان 666هـ/1275م خرج أبو يوسف من فاس في حشود ضخمة عبر بها وادي أم الربيع، ولكن هذه المرة خطته؛ كانت ضد مؤيدي أبي دبوس، وذلك لإضعاف جهودهم.

1 - تلمسان: كانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وتكتب بكسرتين وسكون الميم تقع في الشمال الشرقي من مدينة وجدة وهي مدينة أزلية.

2 - وادي ملوية : اسم عقبة قرب نهاوند ، سميت بذلك ؛ لأن المسلمين وجدوا طريقها يدور بصخرة فسموها بذلك ، معجم البلدان ، ج5 ، ص 195.

3 - أجر سيف: وهي قرية لها حصن وقنطرة ، وهي موضع وعر كثير الحجارة صعب المسلك ، لا يكاد يخلو من الأسد ، ودائم الريح العاصفة ، ولذلك يقال: إذا هُبت أجر فعجل فإن فيه حجراً بيبري ، وأسد يغري ، وريحاً تدوي وحوال أجر قبائل من العرب والبربر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص 102.

4 - وادي تلاح أقيمت فيه معركة لمواجهة جيش يغمراسن بن زيان خلف الجيوش لإثارة حماس المقاتلين. ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 146.

5 - ابن الأحمر ، روضة النسرين ، مخطوط ، ورقه 165 ، مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 131 ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 398 ، عنان ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ق 2 ، ص 567.

وانتشرت سرايا الجيش المريني تحطم الزرع، وتخرّب الضياع، وتسلب وتتهب كل ما يقع في يدها، مما اضطر بأشياخ القبائل من العرب المصامدة إلى لقاء أبي دبوس، وقالوا له: ((يا مولانا كم تعتقد عن حرب بني مرين، وقد ترى ما نزل بنا في حريمنا وأموالنا منهم فأخرج بنا إليهم، لعل الله يجعله سبب الفتح فإنهم قليلون، وجمهورهم وذو والشوكة منهم قد بقوا برباط تازا لحراسة ذلك الثغر من بني عبد الواد ، ولم يزالوا تقيلون له الذرورة والقارب حتى أجابهم إلى رأيهم))⁽¹⁾ .

استعد أبو دبوس للقاء أبي يوسف، فخرج من مراكش في جيوش ضخمة وجموع وافرة، فكانت خطة أبي يوسف التظاهر بالانسحاب حتى يبعده عن أي إمدادات تصله من مراكش⁽²⁾ ، وظل أبو يوسف ينسحب حتى وادي عفو⁽³⁾ عندها حاول أبو دبوس الفرار من المعركة إلى مراكش، فأدركته الخيول وحطمته الرماح فخر صريعاً وأخذ رأسه، وجيء به إلى السلطان كان ذلك في يوم الأحد 2 محرم سنة ثمان وستين وستمائة/1286⁽⁴⁾ .

¹ - ابن خلدون ، العبر، ج7، ص 213، الناصري، الاستقصاء، ج2 ، ص 13. مجهول، الذخيرة السنينة، ص 131.

² - المصدر نفسه والجزء، ص 215، الناصري، الاستقصاء، ج2 ، ص13، مجهول، الذخيرة السنينة، ص 132-133 .

³ - وادي عفو.

⁴ - ابن الاحمر، مخطوط ، روضة النسرين ن ورقة 165، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 400، ابن خلدون، العبر، ج7، ص 215، مجهول ، الذخيرة السنينة ، ص 133.

كانت هذه المعركة نقطة تحول في تاريخ دولة بني مرين، إذ كانت هذه المعركة نهاية الدول الموحدية، وقيام الدولة المرينية.

ودخل أبو يوسف مراكش يوم الأحد التاسع من محرم 668هـ/1269م، وكان في استقباله فقهاؤها وصلحاؤها، وقضااتها، وعمالها وشيوخها، وأعلنوا بيعتهم لأبي يوسف يعقوب⁽¹⁾، ولُقب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بلقب "أمير المسلمين" وأصبحت دولته تسيطر على سائر أنحاء المغرب الأقصى من وادي ملوية وجبال الأطلس الوسطى شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن رباط تازي وجبال غمارة شمالاً حتى مراكش ووادي تنسفت جنوباً⁽²⁾، كما أرسل أبو يوسف حملة كبيرة إلى بلاد السوس⁽³⁾ بقيادة ابنه أبي مالك عبد الواحد، وتمكنت هذه الحملة من إخضاع ثوار السوس ومن فرّ إليهم من بقايا الموحدين⁽⁴⁾، وقام أبو يوسف بنفسه بغزو منطقة درعه⁽⁵⁾ وبعد شهرين، عاد إلى مراكش وترك عليها محمد بن علي بن يحيى والياً وقائداً للجيش.

1 - الناصري، الاستقصاء، ج2، ص12. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 400، ابن خلدون، العبر، ج7، ص 215، مجهول، الذخيرة السنية، ص 134.

2 - مجهول، الذخيرة السنية، ص 138. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 401. الناصري، الاستقصاء، ج2، ص13.

3 - السوس: وهي بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية، وقيل السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، م/3، ص 281.

4 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 134، مجهول، الذخيرة السنية، ص 134.

5 - دَرَعَة (إنما تعرف درعة بواديتها فإنه نهر كبير يجري من المشرق إلى المغرب ومنبعه من جبل درن وعليه عمارة متصلة نحو سبعة أيام وفيها أسواق جميلة كثيرة.

والحدث الهام في سلا عندما شعر بالمرض جمع شيوخ مرين وأخذ عليهم العهد بولاية أبي مالك عبد الواحد⁽¹⁾ .

هذه أول مرة يتم فيها مراسم تعيين ولي العهد في الدولة المرينية، كان هذا الحدث سبباً في خروج بعض المعارضين بجبل علودان⁽²⁾؛ لذا عزم أبو يوسف على محاربتهم، فأرسل إليهم جيشاً من خمسة آلاف جندي بقيادة ولده يوسف يعقوب، فحاصروهم بالجبل، فطلبوا الأمان وسُمح لهم بمغادرة الأراضي المرينية إلى تلمسان وبعضهم إلى الأندلس⁽³⁾ .

وهكذا تغلب أبو يوسف على هذه الثورة التي كانت تهدد وحدة البيت المريني، وما عليه الآن مواجهة يغمراس بن زيان الخصم العنيد، خاصة بعد طلب ابن الأحمر النجدة من أبي يوسف ضد نصارى الإسبان، فبعث إليه يطلب عقد الصلح بينهما والتعاون في إنقاذ الأندلس من العدو⁽⁴⁾ حيث رفض ((وأقسم ألا يصلحه أبداً حتى يأخذ منه بالثأر أو يموت دون ذلك⁽⁵⁾ وحشد أبو يوسف الجيوشى الضخمة وحاصر تلمسان)) وقطعوا الثمار والجنات وخربوا الرباع وأفسدوا الزروع، وحرقوا القرى والضياع حتى

¹ - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 216. ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص 402. الناصري، الاستقصاء، ج2، ص15.

² - جبل علودان؛ جبل من جبال غمارة .

³ - مجهول، الذخيرة السنية، ص 143. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 216.

⁴ - المصدر نفسه والصفحة، المصدر نفسه والصفحة.

⁵ - المصدر نفسه والصفحة.

لم يدع بتلك النواحي قوت يوم⁽¹⁾ واضطر أبو يوسف إلى فك الحصار والعودة إلى فاس 671هـ/1272م، وبعد عودته توفي ولي العهد أبو مالك في صفر 671هـ/1272م، وفي آخر صفر أخذ البيعة لولده الأمير يوسف من بني مرين⁽²⁾.

وفي سنة 672هـ/1273م سار أبو يوسف إلى طنجة⁽³⁾ وضرب عليها حصاراً ضخماً لمدة ثلاثة أشهر، وتمكن من دخول المدينة يوم الخميس أول شهر الربيع الأول 672هـ/1273م⁽⁴⁾، وفي تلك الأثناء أرسل الأمير أبو يوسف ولي عهده الأمير يوسف إلى سبتة⁽⁵⁾ فحاصرها حصاراً شديداً، وقطع عنها ما كان يأتيها من الإمدادات من الريف والبوادي⁽⁶⁾، اضطر ابن العزفي إلى عقد صلح من الأمير يوسف مقابل دفع مبلغ من المال سنوياً للخزانة الدولة المرينية⁽⁷⁾.

1 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 406.

2 - المصدر نفسه و الصفحة. مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 154.

3 - طنجة وهي مدينة في الإقليم الرابع ، طولها من جهة المغرب ثمانون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف ، ومن جهة الجنوب: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من أكبر الأعظم وبلاد البربر ، للمزيد ، ينظر : ياقوت الحموي ، ج/4 ، ص 43.

4 - مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 157 ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 407.

5 - سبتة: وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طوق الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة وهي مدينة حصينة تشبه المهديية بإفريقيا ، ينظر : ياقوت الحموي ، ج/3 ، ص 182.

6 - مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 157.

7 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 407. مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 98. الناصري ، الاستقصاء ، ج/2 ، ص 18.

وما يمكننا قوله إنه بفتح طنجة وسبته أصبح العبور إلى الأندلس ميسر، ولم يبقَ أمام المرينيين إلا سجالمة،⁽¹⁾ في الجناح الغربي.

فحشد أبو يوسف القوات من زناته والعرب والبربر وكأنه جنده، وتقدم إليه ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والرعايات⁽²⁾، ولأول مرة استخدم البارود في هذا الحصار، وبعد سنة من الحصار اقتحم المرينيون المدينة من فتحة السور، وكان ذلك في صفر 673 هـ / 1274م⁽³⁾.

وهكذا سيطر المرينيون على أراضي المغرب الأقصى كلها، واتخذ أبو يوسف من فاس عاصمة للدولة المرينية، وبما أن أمر الأندلس يشغل بال الأمير أبي يوسف يعقوب خاصة بعد أن تم له القضاء على دولة الموحيدين المسيطرة على ممتلكاتها والقضاء على القبائل الثائرة، أخذ يفكر في أمر الأندلس، كما فعل أسلافه من المرابطين، والموحيدين خاصة أمام تدهور أوضاع المسلمين في بلاد الأندلس.

1 - سجلماسة: مدينة قديمة كانت واقعة في ناحية تافيلالت على بعد 310 كم في الجنوب الشرقي من مدينة فاس على تخوم الصحراء وقد كانت محطة تجارية هامة في الطريق الواصل بين تلمسان والسودان، كما كانت موضع نزاع بين الدولة الزيانية والدولة المرينية وقد تخربت المدينة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

2 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 223، وابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 408. الزركلي، الأعلام، ج9، ص262.

3 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 223، وابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 408. ابن الخطيب، إعمال الأعلام، ق 3، ص 152. الزركلي، الأعلام، ج9، ص263.

ميدان الجهاد في الأندلس:

تزامن مع عودة أبي يوسف إلى فاس وصول وفد من شيوخ الأندلس لحمل رسالة من السلطان محمد الفقيه⁽¹⁾ سلطان غرناطة تشرح تدهور أوضاع المسلمين في بلاد الأندلس ويطلب النجدة والعون من بن مريـن⁽²⁾ .

على الفور قرر أبو يوسف تلبية نداء المسلمين والإسراع إلى نجدتهم واشترط عليه أن يتنازل للمرينيين على بعض الثغور والقواعد الساحلية، أرسل ابنه أبا زيان مندبل في حملة استطلاعية تتكون من خمسة آلاف مقاتل⁽³⁾ .

فخرج من فارس في شوال سنة 673هـ/ 1274م قاصداً طنجة إلى الفقيه أبي القاسم العزفي بأمره بتعمير الأساطيل للجهاد وإصلاح الأجفان وإعدادها لجواز المجاهدين⁽⁴⁾ ، عبرت الحملة ونزلت بطريف⁽⁵⁾ في 16 من ذي القعدة من بلاد الأندلس،

1 - محمد الفقيه ، تولى أمر الدولة النصرية سنة 1273م بعد وفاة محمد بن يوسف ألقب بالفقيه ؛ لأنه كان قارئاً للقرآن ويطالع كتب الفقه ولد في غرناطة 633-1235 م.

2 - مجهول ، روض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، مخطوط ، مصور بالميكروفيلم عن الخزانة العامة بالرباط المغرب تحت رقم 1246 ، ورقة 339 ، 340. ابن الخطيب ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 133.

3 - الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص19. مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 164. المقرئ ، نفخ الطيب ، ج 1 ، ص449. يذكر ابن الأحمر في مخطوط النفخة النسرينية واللحة المرينية ، أن أبو زيان مندبل هذا ولد أبي يوسف وليس حفيده ورقة.

4 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 409. ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 226.

5 - ظريف: اسم بلدة ظريف على نهر الشامي في أول المجاز ، وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب ومن جزيرة ظريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً.

وقامت بعدة غارات على أراضي النصارى وتقدمت حتى شريش⁽¹⁾. ونتج عن هذا استيلائهم على الغنائم والسبي من النصارى⁽²⁾ وكانت ورود هذه الأنباء عاملاً مشجعاً لأبي يوسف للعبور بنفسه إلى الأندلس للجهاد، عبر أبو يوسف للمرة الأولى في 21 صفر 674هـ / 15 / أغسطس / 1275م⁽³⁾.

بعد عقد صلح مع يغمراسن ابن زيان. فنزل بطريف ومنها إلى الجزيرة الخضراء⁽⁴⁾ والوادي الكبير⁽⁵⁾ بقوة استطلاعية قوامها خمسة آلاف جندي، وجعل ولده الأمير يوسف قائدا وانتشرت الجيوش تقتل وتأسر وتتسلف الزروع، وتخرب الضياع حتى حصن المدور⁽⁶⁾ وبياسة⁽⁷⁾ وأبذة⁽⁸⁾ بالقرب من قرطبة⁽¹⁾ واستولى على

1 - شريش: من كور شذونة بالأندلس على مقربة من البحر ، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روضة على شاطئ البحر بينها ستة أميال.

2 - ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 226. الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص19.

3 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 411. ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 227. مجهول ، الذخيرة السننية ، ص 167. ابن الخطيب ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 147. الزركلي ، الأعلام ، ج9 ، ص262.

4 - الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس وقيالتها من البر بلاد البربر سبتة وأعمالها متصلة بأعمال شذونة ، وهي شرقي شذونة وقبلى قرطبة ، ومدينتها من أشرف المدن ، وأطيبها أرضاً وسورها يضرب به ماء البحر ، للمزيد من المعلومات ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج2/ ، ص 136.

5 - الوادي الكبير: وينبع الوادي الكبير من سفوح جبال سيرامونيا ويصب في المحيط الأطلسي ، الأدريسى ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ص 561.

6 - حصن المدور: يقع بالقرب من مدينة فحرنجوش.

7 - بياسة بينها وبين جيان عشرون ميلاً وبياسة على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر من قرطبة.

8 - أبذة: بينها وبين بياسة سبعة أميال ، وهي مدينة صغيرة من النهر الكبير.

حصن بلمة⁽²⁾ بالقوة،⁽³⁾ وامتلات أيدي بني مرين بالغنائم، فأمر أمير المسلمين بجمع المغانم، فجمع البقر والغنم والخيل والدواب والعجول⁽⁴⁾ والروميات والذراري والثياب والعدد فتألف منها ما ملأ السهل والوعر ولا يحويه عدد ولا حصر⁽⁵⁾ .

وعند أستجة⁽⁶⁾ التقى أبو يوسف دننه المعروف باسم نونيودي لارا بجيش، قدرت بعض الروايات عدده بثلاثين ألف فارس وستين ألف راجل⁽⁷⁾، واستطاع أبو يوسف التفوق عليه، ويبيد هذا الجيش بين قتيل وأسير وفار، وذلك يوم السبت الخامس والعشرين من

1 - قرطبة: هي أعظم مدينة بالأندلس وليس لجميع المغرب لها شبيه ولا بالجزيرة والشام ومصر ، وما يدانيها في كثير أهل وسعة رقة وفسحة أسواق ونظافة محلات وعمارة مساجد وكثيرة حمامات وفنادق هي كانت دار ملك بني أمية في الأندلس ، وتقع قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير ، وسقطت قرطبة في يد الإسيان سنة 633/1236م ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 107 ، وينظر : الزهري ، كتاب الجغرافيا ، (تح) محمد حاج الصادق ، ص86. الحميري ، روض العطار في خير الأقطار (تح) إحسان عباس ، ص 457.

2 - حصن بلمة: الواقع على النهر.

3 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 412. ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 228. الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص20.

4 - العلوج: العُلج: الرجل من كفار العجم ج علوج ، وأعلاج وغالجه علاجاً ومعالجه: زاوله ودأواه ورجل عالج: شديد صريحٌ معالجٌ للأمور.

الطاهر أحمد الزاوي ، مختار القاموس ، ص 433 ، 434.

5 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 412.

6 - استجة: اسم لكوره بالأندلس متصلة بأعمال ربة بين القبلة والمغرب من قرطبة ، وهي كوره قديمة واسعة الرسانيق والأراضي على نهر سنجل وهو نهر غرناطة ، وبينها وبين قرطبة عشرة فراسخ وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة ، ينسب إليها محمد بن ليث الاستجي محدث ذكره أبو سعيد بن يونس في تاريخه مات سنة 328هـ. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج1/ ، ص 174. ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 412.

7 - مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 169 ، 170 ، عنان نهاية الأندلس ، ص 100. محمد كمال شبانة ، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان الأندلس ، ص 28. ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ص 565.

ربيع الأول 674هـ / 1275م⁽¹⁾ ، وذكرت بعض الروايات أن عدد القتلى بلغ ثمانية عشر ألف قتيل⁽²⁾ قتل قائد النصاري دننه، قُطعت رأسه، وأُرسلت إلى ابن الأحمر، وأُرسِلها إلى بلاط قشتالة⁽³⁾ وقد أطلق على هذه الموقعة غزاة (ذونونه) للنصر السالح الذي أحرزه المسلمون على هذا القائد النصاري⁽⁴⁾ .

رجع أبو يوسف إلى الجزيرة الخضراء، حيث قسّم الغنائم بين المحاربين وجعل خمسها لبيت المال، وبعد أيام خرج أبو يوسف متجهاً إلى إشبيلية⁽⁵⁾ ونزل بظاهرها عن موضع يعرف (بالماء المفروس)⁽⁶⁾ لِبَيْتِ الرعب والفرع والخوف في نفوس النصاري وباقي قواته تدمر المناطق المحيطة بإشبيلية وتخريبها⁽⁷⁾ ، وعاد إلى الجزيرة الخضراء وأمر ببناء مدينة البنية⁽⁸⁾ لتكون معسكراً للقوات

1 - مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 173. ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة مج 1 ، ص 565. ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 416.

2 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 415. مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 178. بينما ذكرت بعض المصادر أن القتلى كانوا ستة آلاف من النصاري وثلاثين من المسلمين ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 228.

3 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 415. مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 174.

4 - مجهول ، الذخيرة السنية ، ص 171.

5 - اشبيلية: مدينة جبلية بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام ، ومن الأميال ثمانون ، وهي كبيرة عامرة لها أسوار حصينة ، وهي على النهر الكبير في غربها.

6 - الماء المغروس؟؟.

7 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 417 ، وقد وصف ابن خلدون والناصرى ماغنمها المسلمون ، العبر ، ج 7 ص 229.

8 - البنية: تقع في خارج الجزيرة الخضراء.

العابرة إلى الأندلس، ومنها عبر إلى المغرب كان ذلك في رجب 674هـ/1276م⁽¹⁾.

نتج عن هذا العبور تثبيت أقدام المرينيين في رندة⁽²⁾ وطريف والجزيرة الخضراء، وتأسيس قاعدة أخرى وهي مدينة البنية.

عبور أبي يوسف يعقوب الثاني إلى بلاد الأندلس:

ظهرت اختلافات في سنة العبور فيهم من حدد آخر محرم 676هـ/1277م، وبعضهم حدد سنة (677هـ/1278م)⁽³⁾، اتجه أبو يوسف إلى اشبيلية وعاونه كل من: أبو إسحاق ابن أشقيلولة صاحب قمارش⁽⁴⁾ وأبو محمد بن أشقيلولة صاحب مالقه⁽⁵⁾ قد نجح في هزيمة ابن أدفونش ملك النصارى، وكما قضى على كافة الحصون المحيطة بها، ونالت شريش مانالته إشبيلية.

1 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 229.

2 - رندة: هي مدينة تقع في جنوب الأندلس في الشمال من الجزيرة الخضراء وإلى الغرب من مالقة على ارتفاع 2200 متر من سطح البحر.

3 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 422. ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 132. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 231.

4 - قماش: تقع بالقرب من مدينة غرناطة وكانت تعد من الحصون القوية الهامة في مملكة غرناطة. ابن الخطيب، معيار الاختيار ضمن مشاهدات، (تح) أحمد مختار العبادي، ص 79.

5 - مالقة: اسم مدينة وولاية على ساحل البحر المتوسط جنوبي شرقي إسبانيا وفي أيام ابن الخطيب كانت مالقة تعتبر العاصمة الثانية بعد مدينة غرناطة في مملكة لئبي الأحمر، ابين الخطيب، مشاهدات لسان الدين من المغرب الأندلس، مجموعة رسائل، (تح) أحمد مختار العبادي، ص 57.

رأى أبو يوسف أن قرطبة هي الخطوة القادمة، ولكنها تحتاج إلى تكاثف جهود سائر القوى وخاصة قوة غرناطة "ابن الأحمر" الذي استجاب له والتقى به عند قرطبة⁽¹⁾.

هاجمت القوى قرطبة ولم تستطع الجيوش النصرانية مقاومته فتراجعت، وتحصنت في المدينة، وسرعان ما أرسل ملك النصارى القشتالي وفداً من القساوسة⁽²⁾. والرهبان يطلب من أبي يوسف الصلح. ولكي يظهر أبو يوسف لابن الأحمر سلامة نواياه، وأن أهداف عمله في الميدان الأندلسي ليس إلا العمل من أجل حماية الإسلام والمسلمين قال: ((إنما أنا ضيف، والضيف لا يصلح على رب المنزل))⁽³⁾. عقد ابن الأحمر الصلح مع نصارى قشتالة⁽⁴⁾.

ولكن هذه العلاقة بين أبي يوسف وابن الأحمر لم تدم طويلاً بعد وفاة أبي محمد بن عبدالله بن إشبيلية صاحب مالقة⁽⁵⁾، فقد وفد ولده محمد علي أبي يوسف، وهو بالجزيرة الخضراء، وتتازل له عن مالقة والغريبة، وقد أثار غضب ابن الأحمر لأن مالقة في

1 - ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة م 1، ص 565. عنان نهاية الأندلس، ص 102.

2 - ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 232.

3 - ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 232.

4 - الناصري، الاستقصاء، ج 2، ص 23.

5 - ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 233. الناصري، الاستقصاء، ج 2، ص 24.

نظره عمالة من عمالات دولته⁽¹⁾، وعاد أبو يوسف إلى المغرب سنة 677هـ/1278م⁽²⁾.

عبور أبي يوسف الثالث إلى بلاد الأندلس:

كان سبب العبور هذه المرة تنازل محمد بن اشقيلولة عن مالقة والغريبة ، ولأمير المسلمين أبي يوسف ردود فعل عنيفة لدى محمد بن الأحمر، إذ قرر ابن الأحمر التحالف مع القشتالين ضد أبي يوسف⁽³⁾.

حيث أرسل ملك قشتالة أساطيله إلى الجزيرة الخضراء لتقطع الطريق أمام أية إمدادات، وفي نفس الوقت هاجمت أساطيله الجيش المريني في الجزيرة .

أما ابن الأحمر فقد أغرى عامل أبي يوسف على مالقة، واتفق معه أن يتنازل لابن الأحمر عن مالقة مقابل أن يعطيه ابن الأحمر شلوبانية⁽⁴⁾ والمنكب⁽⁵⁾، ولم يكتب ابن الأحمر بذلك بل راسل يغمراس بن زيان ، واتفق معه على أن

1 - المصدر نفسه ، ص 234.

2 - المصدر نفسه ، ص 240.

3 - المصدر نفسه ، ص 283. الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص24.

4 - حصن شلوبانية: حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة يكثر به الموز وقصب السكر ، وهو من الثغور الصغيرة الواقعة جنوبي ولاية غرناطة على البحر المتوسط ، تقع جنوبي غربي مدينة موتريل وشرقي المنكب بينها وبينه عشرة أميال ، الحميري ، الروض العطار ، ص 343. ينظر : ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 1 ، ص 112. أحمد محمد الطوجي مدينة شلوبانية في عصري من خلال المصادر العربية ، ص9.

5 - المنكب: هو بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة ، بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج 5 ، ص 216.

يقوم بمهاجمة حدود الدولة المرينية حتى يصرف أبا يوسف عن العبور للأندلس⁽¹⁾.

وأن هذه الأحداث لم تصرف أبا يوسف عن الجهاد في الأندلس، فأمر في صفر 678هـ/1279م، ولي عهده يوسف بقيادة حملة تتألف من أكثر من سبعين سفينة، وتمكنت من تحطيم الأسطول القشتالي ودخول الجزيرة الخضراء بالقوة⁽²⁾، وفي نفس الأثناء قاد أبو يوسف حملة تأديبية ضد يغمراس بن زيان، وتمكنت من هزيمة يغمراس في موقعة الملعب قرب تلمسان⁽³⁾.

كانت لهذه الانتصارات صداها على المرينيين حيث لجأ الملك الإسباني هراندة يطلب معاونته في استرجاع عرشه الذي استولى عليه ولده شانجه.

عبر أبو يوسف إلى الجزيرة في ربيع الثاني 681هـ/1282م وعند صخرة عباد نفي بهراندة "الفونسو العالم"⁽⁴⁾.

ويقول ابن خلدون فاغتمم (أبو يوسف) الفرصة في فساد بينهم لقضاء إريه من الجهاد⁽¹⁾.

1 - ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 283.

2 - المصدر السابق ، والصفحة .

3 - الملعب ملعب تيفي ، ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 241. الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص27.

4 - ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 242. مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 147. الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص27.

مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 133. ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 242. المقرئ ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 120.

منح أبو يوسف مائة ألف دينار للفونسو ليستعين بها على حرب ولده سانشو مقابل رهن الفونسو تاجه لدى المنصور⁽²⁾. وهاجم أبو يوسف والفونسو قرطبة وطليلة وحصن مجريط⁽³⁾ وعاد إلى الجزيرة متقلاً بالغنائم⁽⁴⁾. وقام أبو يوسف بجولة حربية شملت طليطلة وقرطبة حتى وصل آبدة وبياسة⁽⁵⁾ وجبال البرت⁽⁶⁾، وغص جيشه بالسبي والغنائم ثم عاد إلى المغرب بعد أن ولى أحد أحفاده وهو عيسى بن عبد الواحد⁽⁷⁾.

عبور أبي يوسف الرابع للأندلس :

هذا العبور لم يكن باستغاثة بل كان عبور انتقام من شانجه الذي بعث إليه أبو يوسف بالعزاء لوفاة أبيه الفونسو العاشر، فرد عليه رداً قاسياً، فقرر أبو يوسف العبور إلى الأندلس وكان ذلك في 5 صفر 684هـ/1285م⁽⁸⁾، وبصحبه قبائل المغرب فنزل في

1 - 119. العبر ، ج7 ، ص 242.

2 - الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص27. ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 242..

3 - حصن مجريط: بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن وهي قريبة من قنطرة ماقدة آخر حيز للإسلام في بلاد الأندلس وهي بمقربة من طليطلة.

4 - ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 244.

5 - بياسة .

6 - جبال البرت.

7 - مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 148. ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 244. ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 459. الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص 58.

8 - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 459. ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 245.

طريق ثم الجزيرة الخضراء المتطوعين ثلاثة عشر ألف ومن المصامدة ثمانية آلاف جندي⁽¹⁾.

هاجمت الجيوش إشبيلية أربع مرات حتى دخل الفزع والخوف والهلع أهله، كما اشترك الأسطول المريني الذي يتكون من ست وثلاثين سفينة⁽²⁾ التي استطاعت منع وصد سفن الأسطول القشتالي من الاقتراب.

في ضوء هذه القوة رأى شانجة إنه غير قادر على حرب ومواجهة أبي يوسف، فأرسل مرتين على التوالي القساوسة والرهبان وزعماء النصارى لطلب الصلح⁽³⁾.

وعقد الصلح على أساس شروط وضعها أبو يوسف، وقبلها شانجة ملك قشتالة؛ وقد حضر بنفسه لمقابلة أمير المسلمين أبي يوسف، فاجتمع به حصن عين الصخرة⁽⁴⁾ على

مقربة من وادي لك، وتمّ الصلح بينها. في 20 شعبان 684هـ / 1285م⁽⁵⁾. والمثمر في هذا اللقاء أن أبا يوسف طلب من شانجة أن يبعث إليه بالكتب العربية التي استولوا عليها من القواعد الإسلامية، فبعث إليه بثلاثة عشر حملاً فيها جملة من الكتب

1 - الناصري، الاستقصاء، ج2، ص61.

2 - ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 469. الناصري، الاستقصاء، ج2، ص62.

3 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص 248.

4 - عين الصخرة كان اللقاء الأول في حصن الصخرة بين نهر اندة (الفونسو العالم) حصن الصخرة وعلى مقربة من وادي لك.

5 - الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 63.

ككتاب الله العزيز ، وتفسيره لابن عطية والثعالبي، وفيها كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار وكتب الأصول والفروع ، واللغة العربية والأدب وغيرها.

وأمر أبو يوسف بجمعها وحملها إلى فاس على طلبة العلم بالمدرسة التي قام ببنائها⁽¹⁾.

ورجع أبو يوسف إلى الجزيرة الخضراء في 27 شعبان 684هـ/ 1285م. فوجد القصر الذي بُني له بالمدينة الجديدة المشهور والجامع قد تم ذلك كله ، كما أرسل أبو يوسف ولده الأمير أبا زيان بجيش ليقف به "على الحدود (بين بلاده وبلاد ابن الأحمر وأمره أن لا يحدث في بلاد ابن الأحمر حدثاً)"⁽²⁾ .

و مالبث أبو يوسف قليلاً حتى مرض ووافته المنية بقصره في مدينة البنية بالقرب من الجزيرة الخضراء في 20 محرم 685 هـ / 1286م⁽³⁾ وُدُقل جثمانه إلى رباط الفتح حيث دفن بمسجد

¹ - ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 475. ابن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص 248.

² - المصدر نفسه والصفحة ، ص 475 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج3 ، ص 309. ابن الخطيب ، اللحة البدرية في الدولة النصرية ، ص36.

³ - ابن الخطيب ، الحلل الموشية ، ص 133. ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 244. ابن الخطيب ، اللحة البدرية في الدولة النصرية ، ص 42. ويذكر ابن الأحمر أن وافته المنية في 22 محرم 685هـ. روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة 27 ابن الأحمر ، النفخة النسرينية واللحة المرينية ، ورقة ، ص 36. ابن الأحمر ، روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة 27 ، الناصري ، الاستقصاء ، ج2 ، ص 65. ابن كثير البداية والنهاية ، م 13 ، ص 309 ، ابن الخطيب ، اللحة البدرية في الدولة النصرية ، ص 36.

شالة⁽¹⁾ ما يمكننا قوله : هكذا طوت أربعة وخمسين عامًا من البناء والفتوح في المغرب الأقصى والجهاد في الأندلس لنصره إخوانهم مسلمي غرناطة

المخطوط

ما نسرده من معلومات وأخبار تطابق وفقاً ما جاء في ورقة المخطوط :

قاص له الحكم وحق ثابت	وفي موقف يرحم فيه الشامت
وجاء في الحال الأيسر الهارب	فحين وافاه فعبد القارب
نسالك التحسين للعواقب	أغرى به حد الحسام القاضب
مستصرخ منه بعز نصر	وحلّ في حضرته ابن نصر
كأنه مازال عن محله	فكان في فاس محط رحله
وواصل البر والأرض نزل	لما تلقاه تخفي واحتفل
بمحضر الأعيان من حضرته	وعاهد الله على نصرته
يكرم الجار ويرضي الأملأ	وكان خيراً حبيباً فاضلاً
والباس للسلطان أوقى جنه	لكنه كان ضعيف المنه
وأفسدت أطماعها أوطانه	فغلبت سلطنة البطانة
الاضياح العز الحرير	ا..... ⁽²⁾ وهو بين الغير
ومورد الخذلان أوردوه	وخانه الناس فأفردوه
وصار عنه صحبتته في الملك	فقد ⁽¹⁾ القصر المشكلة

1 - شالة: تقع أسوار شالة على الضفة اليسرى الوادي إلى الرقراق إلى الجنوب من أسوار مدينة الرباط وتمتاز بموقع سوقي هام وقد اختارها السلطان يعقوب لتكون مقبرة لهم ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ج3 ، ص 56.

2 - [كلمة غير واضحة .

وسرير الملك للملك نقل	ومن غير سيف أسيرا وقتيل
والأمر منه لم يكن يلين	رفيع (2) تاشفين
فلم يكن لطا مع فيه طمع	وظن أن الحال فيها منتفع
عبد الحليم القادم ابن عمر	وحصر البلدة بعد خبر
فكانت الطاهرة المنصورة	وبارز الطايفة المحصورة
وابن أخيه بعد أن حط رفع	ثم أزيل تاشفين وخلع
فتم وجه الغرض المروم	وجه عنه لبلاد الروم
لعمرنا قرالت التي فيها	يُدعى أبا زيان وهو فيها
فقد يعد قلبي سريره	دافع عن حوزته وزيره
وخطب ملكه (3)	وبعد على إعرابه ضميره
بفضله عمّ الوري كثيره	والله يكفي الدين ما يضره

وهو عبد الحق من محيو بن أبي بكر بن حمامة بن وزير بن فكوس بن كرماط بن مرين يكنى أبا محمد (4) ظهر بالمغرب

1 - [كلمة غير واضحة .

2 - [كلمة غير واضحة .

3 - [كلمة غير واضحة .

4 - (592-614هـ) (1194-1217م) عبد الحق بن الأمير محيو بن الأمير أبي بكر بن الأمير حمامة بن محمد بن وزير بن يحوش بن جرماط بن مرين بن ورتاجن بن ماوخ بن وجديج بن فاتك بن نظر بن يحيى بن يصلبتين بن عبد الله بن ورتيت بن المعز بن إبراهيم بن سجيح بن وأسير بن يصلبتين بن مسر بن زاكيا بن ورسير بن زانات بن جانا بن تامزيت بن ضمير يس بن رجيج بن مادغيس الابتر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ولقب أبا الملوك ، ويكنى أبا محمد مولده بأرضه من زاب إفريقيا سنة اثنين وأربعين وخمسائة ، قتل يوم الأحد الثاني والعشرين لجمادى الأخرى سنة أربع عشرة وستمائة ، وله ثلاث وسبعون سنة ، ودفن بقربة من مكناسة تسمى تاقرطاست ، وكانت إمارته في الغرب ثلاثة أعوام وستة أشهر ، وعمره ثلاث وسبعون سنة. ابن الأحمر ، مخطوط ، روضة النسرين في دولة مرين ، ورقة 162 ، 163. ويذكر صاحب مخطوط النفحة النسرينية والملحة المرينية هو الأمير أبو محمد عبد الحق ابن الأمير أبي بكر بن الأمي حمامة ، لقبه أبو الأملاك بويح بالمغرب في بواديه في شهر

الأقصى في أخريات الدولة المرينية، واستخلص الملك بسيفه عام عشرة وستمائة⁽¹⁾ (قولى وصدقت رؤياه في الوجود) إشارة إلى أنه كان رأى شعلا⁽²⁾ أربعاً من نار خرجن منه فعلون في جو المغرب، ثم استوين على جميع أقطاره، مكان تاويلها بثملك بنية الأربعة بعده على مارأه عبد الملك بن مروان⁽³⁾ من بوله⁽⁴⁾ في المحراب⁽⁵⁾، وكان لعبد الحق من الولد ادريس⁽⁶⁾ وعثمان⁽⁷⁾

رمضان عام عشرة وستمائة وقتله عربٌ رياح بأوغار بظاهرة بني عسكر عليه في جمادى الأخرى سنة أربع عشرة وستمائة. ابن الأحمر، ورقة 33. ويذكر بعض المؤرخون أبو الأملأ. مجهول الذخيرة السنية. الفلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 195.

1 - الموافق 610هـ/1213م يتفق معظم المصادر أن حصول المرينين إلى المغرب الأقصى كان سنة 610هـ/1213م بينما ابن عذارى يرى أن دخول المرينين للاستقرار في المغرب الأقصى كان في سنة 601هـ/1204م أما روجيه لوتورنو، فيذكر دخول بني مرين إلى المغرب الأقصى كان في سنة 612هـ. ابن الأحمر، مخطوط، روضة النسرين، ورقة 163، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص 146. مجهول الذخيرة السنية، ص 24. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 369. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 169. البيان المغرب، ج4، ص 247، ابن عذارى، البيان المغرب، ج4 ص 247.

2 - شعلاً: شعل النار - كمنع وأشعلها: ألهبها والشعلة: ما أشعلت فيه من الحطب ولهب النار ج شعل والشعلة: الفتيلة فيها نار شعل والمشعل: القنديلٌ وذهبوا شعاليل: أي متفرقين، الطاهر الزاوي، مختار القاموس، ص 33.

3 - عبد الملك بن مروان.

4 - [نومة].

5 - المخراب: الغرفة، صدر البيت، ومقام الإمام من المسجد ومحاريب بن إسرائيل: مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها، الطاهر الزاوي، مختار القاموس، ص 133.

6 - إدريس: وهو أكبر أبناء عبد الحق أهمهم سوط النساء من بنى علي الشرفاء الحسنين، أشقاء عبد الله ورحو.

7 - عثمان: (614-638هـ/1217-1239م) عثمان بن الأمير عبد الحق يُكنى أبا سعيد بويغ بعد أبيه بوادي المغرب بأوغار يوم الأحد الثاني والعشرين لجمادى الأخرى، سنة أربع عشرة وستمائة، وقتل بوادي ردادت في أول محرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة وله خمس وأربعون سنة، وكانت إمارته أربعة وعشرين سنة وتسعة أشهر، وقد اشتهر بين المرينين بأيرغال هي تعني

وعبد الله (1) ومحمد (2) وأبو يحيى (3) ويعقوب (4) ، ولي منهم عثمان ابنه ثم لما هلك ولي محمد أبو معرف ثم أبو يحيى أبو زكريا ، ثم أبو بكر وكانت وفاة أبي يحيى حثف انفه بفاس في

بلغتهم البربرية الأعور. هي أمه النوار بنت من بني يحاسن وشقيق محمد. ابن الأحمر ، مخطوط ، روضة النسرین ورقة 164. ابن الأحمر ، مخطوط ، النفحة النسرينية ورقة 34.

1 - عبد الله ، أمه سوط النساء من بني علي الشرفاء الحسينين.

2 - محمد ، أمه النوار بنت من بني يجانس *محمد (638-642/1239-1244م) وهو محمد ابن الأمير عبد الحق ، يُكنى أبا معرف ولد عام عشرة وستمائة ، ببيع بعد أخيه بوادي رداد في أول محرم من عام ثمانية وثلاثين وستمائة ، وقتل في المعترك يوم الخميس التاسع من جمادى الأخرى سنة (الثنين وأربعين وستمائة) وله اثنتان وأربعون سنة وكانت إمارته ثلاث سنين وستة أشهر ، ويسمى الأعرج ولذلك تسمى بأرجولك. ابن الأحمر مخطوط ، النفحة النسرينية واللحة المرينية ، ورقة 34.

3 - أبو يحيى. أمه تاغرنة بنت حفص التتالغتي ، بينما يذكره ابن أبي زرع ، الحرة العبد الوادية ، روض القرطاس ، ص 380؛ **أبو يحيى (642-656/1244-1258م) وهو الأمير أبو بكر بن الأمير عبد الحق يكنى أبا يحيى أمه تاغرنة بنت حفص التتالفتي ولد عام ثلاثة وستمائة ، ببيع بعد مقتل أخيه محمد يوم الخميس التاسع من جمادى الأخرى سنة اثنين وأربعين وستمائة وتوفي بقصره من قسبة مدينة فاس يوم الخميس منسلخ جمادى الأخرى سنة ست وخمسين وستمائة ، وله اثنتان وخمسون سنة ، وكانت دولته أربع عشرة سنة.

وعلى اتفاق أنه أول من ملك من بني مرين ملك البلاد ، وضرب الطبول ، ونشر البنود.

ابن الأحمر مخطوط ، روضة النسرین ورقة 165 - 166 .

ابن الأحمر مخطوط ، النفحة النسرينية واللحة المرينية ، ورقة 35.

4 - يعقوب. أمه الحرة الحاجة الصالحة أم اليمن بنت محلى البطوي ، يوسف يعقوب بن عبد الحق (656-685/1258-1286م) هو أمير المؤمنين القائم بأمر الله يعقوب بن الأمير عبد الحق ي،كنى أبا يوسف لقبه القائم بأمر الله ، أمه الحاجة أم اليمن بنت محلى البطوى ، ولد سنة سبع وستمائة ، ببيع في سنة ست وخمسين وستمائة ، وتوفي في الجزيرة الخضراء بالأندلس ، وهو معسكره للجهاد عند الزوال يوم الثلاثاء الثاني والعشرين لمحرم سنة خمس وثمانين وستمائة وكانت دولته تسعاً وعشرين سنة.

ابن الأحمر ، مخطوط ، روضة النسرین ، ورقة 165 - 166 ابن الأحمر ، النفحة النسرينية واللحة المرينية ، ورقة 36.

مجهول ، روض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين في أهل فاس ، مخطوط مصور بالميكروفيلم ، رقم 1246 ، 340.

ابن الأحمر ، مخطوط ، روضة النسرین ، ورقة 11 ، النفحة النسرينين ، واللحة المرينية ، ورقة 34.

رجب عام ستة وخمسين وستمائة⁽¹⁾ وولي بعده رابع الأخوة أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مرتب الملك ومجتب شجرة بني عبد المؤمن. فتعهد له الملك واستقر الأمور بالمعزب وخالف عليه ابن أخيه أبي يحيى⁽²⁾ ثم كان خلوص الأمر له (قولي فثم في مراكش)⁽³⁾.

مراده وما بعده ، وخبر ادريس بن ابي دبوس⁽⁴⁾ بين بنفسه وقد جرى شيء منه في دولتهم (قولي ومهد السوس بعبد الواحد)⁽⁵⁾ هو الأمير أبو مالك ولده ، وولي عهده قبل أخيه واسمه عبد الواحد ، وكان ملكاً كبيراً وهو الذي قتل عم هذا الفخذ والمستقرين من هذا البيت بالأندلس واسمه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق⁽⁶⁾.

1 - الموافق 656هـ- 1258م.

2 - عمر بن الأمير أبي يحيى بن عبد الحق يكنى أبا حفص بويغ بعد أبيه أبي يحيى بمدينة فاس يوم الخميس منسلخ جمادى الأخرى سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم خلفه عمه يعقوب بدولة بفاس ستة أشهر ، وكانت دولته بمكناسة سنة واحدة.

ابن الأحمر مخطوط ، روضة النسرين ورقة 165.
ابن الأحمر مخطوط ، النفحة المرينية ، واللحة المرينية ، ورقة 36.

3 - مراكش: مدينة عظيمة تقع جنوب المغرب.

4 - ادريس بن أبي دبوس السيد محمد بن السيد الأمير عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي مدخل مراكش مالكها لها يوم الأحد ثاني يوم من المحرم سنة ثمان وستين وستمائة وانقرضت دولة الموحدين على يديه. وابن الخطاب ، الحلل الموشية في ذكر ، ص 128.
ابن الأحمر ، مخطوط ، روضة النسرين ، ورقة 14 ، ص 14.

5 - عبد الواحد: الأمير أبي مالك عبد الواحد يعقوب بن الأمير عبد الحق ، ت 671هـ- 1272م.

6 - يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق بن الأمير محيو بن الأمير أبي بكر شقيق إدريس ورحو ، ت 668هـ/ 1269 قتله طلحة بن علي سباقية عبولة.

بما أوجب تفرقهم عنه إلى اليوم (قولي واستدعى المنصور⁽¹⁾ نحو الأندلس)

لما عظمت في المسلمين فتكاثف العدو ، واشتهر ظهور هذا القبيل توجهت رغبات المسلمين إلى استصراخهم فأجابته الداعي وابتدأ الجهاد في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة⁽²⁾ فصدرت منه الأفعال الكريمة في سبيل الله والجهاد المبرور ما وقع به الإمام (قولي وكان ذو النون له قد استعد) ذو النون⁽³⁾ هذا زعيم كبير قام على النصارى بدفاع من جاز من المسلمين وانظم إليه العدد الذي لا يكثر ، وكانت الوقعة على الروم بظاهر استجة واستأصلت منهم ما يناهز الثمانية آلاف⁽⁴⁾ ، منهم الزعيم المذكور قائدهم إلى مصرعهم وظاهره أمير الأندلس أبو عبد الله بن

1 - المنصور: هو الخليفة المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (554-595) أعظم ملوك الموحدين وهو الذي قام ببناء مدينة الرباط بمنطقة المغرب وسماها رباط الفتح. هذه المدينة تقابل وتواجه مدينة سلا فليل الرباط وسلا يفصلهما وادي أبو الرقراق ، ينظر : ابن الخطيب ، مشاهدات ، ص 105.

2 - الموافق 672/1274م. ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 316.

3 - ذو النون قائد النصراني ذنونة ، تذكره الروايات الاسبانية باسم دون نونيو دي لارا وتسميه الرواية الاسلامية دونونة دننة أو ذونونة. ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 1 ، ص 565. محمد كمال شبانة يوسف الأول بن الأحمر ، سلطان غرناطة ، ص 28.

4 - أكدت بعض الروايات أن عدد القتلى بلغ ثمانية عشر ألف قتيل. ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 415. مجهول الذخيرة السننية ، ص 173. مجهول ، الذخيرة السننية ، ص 169. محمد كمال شبانة ، ص 28. عنان ، نهاية الأندلس.

بينما تذكر الأخرى أن القتلى كانوا ستة آلاف من النصارى وثلاثين من المسلمين ، ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 288. لو أمعن النظر بعدد القتلى الهائل وتقدير لبعض الروايات جيش النصارى بثلاثين ألف فارس وستين ألف رجل تؤكد العدد الضخم.

نصر⁽¹⁾ - رحمه الله - فغزوا جميعا قرطبة ونواحها واطهروا عز الإسلام (قولي وشاهد الناس جميعا فخره) إشارة إلى ما كان من لقاءه ملك قشتالة الفونس بن هراندة⁽²⁾ المستولي على قرطبة وغيرها من بلاد الإسلام متطارحا عليه مستنصرا به على ابنه شانجة⁽³⁾ بظاهر حصن الصخرة⁽⁴⁾، ويُذكر انه قبّل يده فدعا السلطان - رحمه الله - بماء فغسلها من تلك القبلة، ولقد ذكرت هذه الحكاية بمحضر قاضي الحضرة⁽⁵⁾ وغيره لرسول سلطان قشتالة حافدة، وقد فهمت منه جملاً على ملك بني مرين فيما جره العتاب بين الملوك فابتهته وكبحت تقاليداً، بما احتسبه عند الله (قولي ووقعت بين ابن نصر فتنة وبينه) إشارة إلى ما وقع بينهما من التقاطع بسبب إظهار السلطان أبي عبد الله بن نصر من بني أشقيلولة⁽⁶⁾ الرؤساء بمالق ووادي اش⁽¹⁾ وقمارش .

1 - أبو عبد الله بن نصر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محي بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري.

2 - ملك قشتالة أفونس العاشر الملقب بالعالم أو الحكيم ت 683-1284م.

3 - شانجة سانشو.

4 - حصن عين الصخرة على مقربة من وادي لك تم الصلح في العشرين بن شعبان 684هـ/1285م.

5 - الناصري، يذكر أبا يوسف دعا بماء فغسل يده أمام جمع من النصارى والمسلمين لمسح أثر تلك القبلة منه، الاستقصاء، ج3، ص 55. ابن أبي زرع، روضة القرطاس ص 363.

6 - أشقيلولة، بني أشقيلولة، اسم ليس عربياً إنما هو من أصل إسباني اختلفت المصادر؛

فالبعض يكتبها بكسر الالف والبعض الآخر بفتحها وهناك من يكتبها بدون ألف، وكيفما كان الأمر فإن بني أشقيلولة كانوا من أسرة غرناطية عريقة ذات أصل نصراني قديم ترتبط بأسرة بني الأحمر (برباط القرابة والمصاهرة وهم من وجوه الأندلس وأهل الرياسة).

ابن الخطيب، أعمال الأعلام ج 3 ص 287، 288.

محمود مكي، تاريخ الأندلس السياسي ج 3، ص 129.

وكانوا قد خرجوا عن طاعته وانتشروا عليه ، فلما أجاز السلطان أبو يوسف إلى الأندلس لحقوا به ونصحوا له وأغروه .

بسلطانهم وربما صدر له منهم جفوة بحضرته أنتج ذلك كله انتبازاً وفساداً ، وكان آخر أمرهم أن خرجوا للسلطان أمير المسلمين أبي يوسف عن مدينة مالقة فملكها السلطان المذكور ، وولي عليها عمر بن يحيى بن علي (2) وضاق ذرع السلطان ابن نصر بذلك فعمل الحيلة في صرف المدينة إلى دعوته باستتال ثقة السلطان عمر صاحب المغرب عنها بمال بُذل إليه ، وعوّضه بحصن شلوبانية ، ثم تدارك الله أمر المسلمين بصلاح ذات بينهم واتصال أيديهم ، وكانت وفاة السلطان أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق بالجزيرة الخضراء في صفر من عام خمسة وثمانين وستمائة (3) .

1 - وادي آش: مدينة قريبة من غرناطة ، وقد كانت من المدن الزاهرة بمملكة غرناطة وسقطت في يد الإسبان قبل سقوط غرناطة بقليل في سنة 1490م ، ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ثم محمد عبد الله عنان ، ص 109. ابن الخطيب ، أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الإسلام من ملوك الإسلام ، تشريعي ، 32 ، ص 287-288. محمود مكي ، تاريخ الأندلس السياسي ، ج1 ، ص 129.

2 - عمر بن يحيى بن علي ، وهو من أكبر وزراء أبي يوسف وقرابته أسند إليه قيادة الجيوش ثم ولي وإلى حكم مالقة.

3 - الموافق آخر ذي القعدة 684هـ الثلاثاء 22 محرم 685هـ / 19 مارس 1286م ، ابن الأحمر ، مخطوط ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، ورقة 12 ابن الأحمر ، مخطوط ، النسخة النسرينية واللمحة المرينية ، ورقة 36. ابن الخطيب ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 133. ابن كثير البداية والنهاية ج 13 ص 309 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المخطوطات :

- 1- ابن الاحمر ، أبو الوليد اسماعيل بن يوسف ، 807 هـ 810 م .
روضة النسرين في دولة بني مرين ، مخطوط مصور بالميكرو
فيلم عن الخزانة العامة بالرباط المغرب رقم 2073 (d1604) د
- 2- ابن الاحمر ، النفخة النسرينية واللحة المرينية ، مخطوط مصور
بالميكرو فيلم عن الخزانة العامة بالرباط المغرب رقم 1773 .
- 3- مجهول - الروض العاطر الانفاس باختيار الصالحين من أهل
فاس ق 1099 هـ 1688 م مخطوط مصور بالميكرو فيلم عن
الخزانة العامة بالرباط المغرب رقم (1246) د .

ثانياً - المصادر :

- 1- الأدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج 2 مكتبة الثقافة
الدينية 1994 م.
- 2- الحموي ، الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ، معجم البلدان ، مج 2
، دار صادر ، بيروت ، ط 2 1994 م .
- 3- الحميري، محمد بن عبد الله ، توفي أواخر القرن التاسع الهجري،
السادس عشر الميلادي، كتاب الروض المعطار في أخبار
الاقطار (تح) إحسان عباس ، بيروت (د - ت) .
- 4- ابن حوقل ، النصي ، صور الأرض ، منشورات مكتبة دار الثقافة
الدينية (د - ت) .

- 5- ابن الخطيب ، لسان الدين محمد ، ت 776 هـ / 1374 م .
- 6- معيار الاختيار ضمن مشاهدات لسان الدين الخطيب تح أحمد مختار العبادي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1983 م
- 7- الحلل الحوشية في ذكر الأخبار المراكشية ، لصاحبها البشير الفورتي ، تونس المكتبة العتيقة (د_ت)
- 8- ریحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، ج 1 ، تح محمد عبد الله عنان ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة 1980 م
- 9- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام ، تح ليفى بروفسال ط 2 بيروت دار الكشوف 1956 م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 1424 هـ ، 2003 م .
- 10- ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد ت 808 هـ 1405 م ، كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 7 ، بيروت لبنان 1413 هـ / 1992 م .
- 11- ابن ابي دينار ، محمد بن القاسم القيرواني ، المؤسس في اخبار افريقيا وتونس تح محمد شمام ط 3 المكتبة العتيقة بتونس 1387 هـ .
- 12- ابن أبي زرع الفاسي ، على ، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الملكية بالرباط 1420 هـ / 1992م.

- 13- الزركلي ، خير الدين، الأعلام وقاموس تراجم ط 2 ، مطبعة كوستاتوماس ،القاهرة ،1966 م .
- 14- الزهري ، كتاب الجغرافيا ، تح محمد حاج صادق ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية (د - ت) .
- ثالثا - المراجع :**
- 1- أحمد محمد الطوجي ، مدينة شلويانية في عصر بني نصر من خلال المصادر العربية والقشتالية ، دار نشر الثقافة الاسكندرية ، 1985 م .
- 2- الزاوي ، الطاهر ، مختار القاموس ، الدار العربية للكتاب 1993 - 1994 م
- 3- عنان ، محمد عبد الله ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ،ق 2 ،عصر الموحدين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر م 1384 هـ / 1964 م
- 4- روجية لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، تر. د/نقولا زيادة ، مؤسسة قرانكيل ، بيروت .
- 5- محمد كمال شبانة يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة لجنة البيان العربي ط 1969 .

الحرب الأمريكية الطرابلسية وأثرها على إيالة طرابلس الغرب

1801م - 1805م

إعداد: د. علي العجيلي جماعة.*

د. محمود العارف قشقش.*

المقدمة :

من خلال دراستنا لهذا الموضوع تعد منطقة البحر المتوسط بشكل عام من أهم المناطق التي تزاومت حولها القوي الدولية، وتنافست فيما بينها من أجل السيطرة عليها، لأهمية موقعها المهم والاستراتيجي بين القارات حيث كانت إيالة طرابلس الغرب من ضمن اهتمامات الدول الأجنبية فقد تعرضت إيالة طرابلس في تلك الفترة التاريخية إلى الحرب الطرابلسية الأمريكية من سنة 1801م - 1805م بسبب ازدياد المنازعات البحرية مع الدول الأوروبية في عهد يوسف باشا وأصبحت أكثر حدة مع الولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت تدخل في مجال الصراع البحري في البحر المتوسط ف وقعت اتفاقية بين الطرفين لصالح البحرية الطرابلسية، وتكمن إشكالية الدراسة تكمن في الإجابة عن التساؤلات الآتية، كيف كانت تدار الحرب بين يوسف باشا والولايات المتحدة الأمريكية ؟ وما هي الآثار والنتائج المترتبة على إيالة طرابلس الغرب خلال هذه الحرب؟ وستتعلق الدراسة من فرضية أساسية وهي سياسة ومكانة يوسف باشا التي أسهمت ولعبت دورا بارزا في كيفية إدارة الصراع

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب الخمس، جامعة المرقب،

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب الخمس، جامعة المرقب،

مع أمريكا وحصول إيالة طرابلس الغرب على نتائج ومكاسب اقتصادية وسياسية في منطقة الحوض البحر المتوسط، وتعتبر طرابلس الغرب والسنوات الأربع من 1801م إلى 1805م هي الإطار المكاني والزمني للدراسة، ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة لكونها تعالج فترة تاريخية هامة تكشف النقاب عن بشاعة الحرب الأمريكية وقسوته ضد الليبيين وما ترتب عليها من أضرار سياسية واقتصادية ولمعالجة حيثيات الفترة واستجلاء غوامضها. تهدف الدراسة عموماً إلى تبيان مدى تأثير وتأثر الصراع الطرابلسي الأمريكي على العلاقات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية بين الطرفين والخروج بتقييم يوضح سلبيات الفترة وإيجابياتها،

واتبعت الدراسة المنهج التاريخي السردى التحليلي مستعينة بمجموعة من المصادر والمراجع، وقسمت الدراسة إلى ما يلي: مقدمة، ثم أسباب الحرب الطرابلسية الأمريكية 1801م - 1805م مع استعراض الصراع مع الولايات المتحدة الأمريكية 1801م - 1805م ، وكذلك يوسف باشا والدبلوماسية الأمريكية: ومن تم تسوية الحرب الطرابلسية الأمريكية 1801م - 1805م ، كما تضمنت الدراسة خاتمة.

أسباب الحرب الطرابلسية الأمريكية 1801-1805:

كان الأسطولان الليبي والجزائري يقومان بحماية السفن التجارية التي تعمل في البحر المتوسط مقابل رسوم تدفعها الدول الأوروبية مقابل حماية سفنها من القراصنة الذين كانوا يجوبون المتوسط.¹

في سنة 1800 طالب يوسف باشا من الولايات المتحدة الأمريكية بدفع ضريبة سنوية مماثلة للضريبة التي تدفعها الدول الصغرى، وقد أدى رفض الولايات المتحدة

¹. المنتدى العربي للدفاع والتسلح ، إصدار 1- يناير - 2010 يوسف القره مالي

إلى إعلان حرب على الإيالة* فأعلن الباشا يوسف 1801/05/24م الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية وخرجت الفرق البحرية الطرابلسية لتفتيش السواحل الطرابلسية.¹

عام 1801م طالب يوسف باشا بزيادة الرسوم المدفوعة إلى (225,000) ألف دولار من الرئيس الأمريكي توماس جفرسون (Thomas Jefferson)، ولكن الرئيس الأمريكي كان معتمدا على قدرة الولايات المتحدة والقوة البحرية الأمريكية المنشأة حديثاً في حماية السفن الأمريكية حيث تجاهل هذه المطالب، ولما شعر يوسف باشا بأن الأمريكيين يماطلون في دفع الجزية المفروضة على مرور السفن الأمريكية التجارية بالبحر المتوسط عمد إلى إهانتهم في رمز شرفهم الوطني، فأمر في 14 مايو 1801م جنوده بأن يحطموا سارية العلم الأمريكي القائم أمام القنصلية الأمريكية في طرابلس إشارة على إعلان الحرب على الولايات الأمريكية المتحدة، انطلقت بعدها الطرادات الليبية تجوب البحر بحثاً على السفن الأمريكية للاستلاء عليها، واغتنام ما فيها وإجبار حكومة واشنطن على دفع جزية سنوية مجزية.²

من هنا قام القنصل الأمريكي في طرابلس (كاتا كارت Cat Cart) بمقابلة باشا يوسف بعرض احتجاج دولته الرسمي على الإهانة التي لحقت بالعلم الأمريكي،

* الإيالة Aaalh : في التقسيم العثماني كانت تشكل الإيالة المستوى الإداري الأول الأعلى بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر كان يرأسها باشا وظل نظام الإيالات ساريا إلى أن تم استبداله بنظام الولايات. وللمزيد إرجع إلى: صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 45

¹. اتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي في سنة 1911 ، ترجمة ، خليفة التليسي ، بيروت : دار

الثقافة ، 1394-1974،ص320

².المنتدى العربي للدفاع والتسلح إصدار 1-يناير 2010 يوسف القره مالي

وطلب إعادة البضائع التي سلبت من السفن الأمريكية، فقال له الباشا يوسف: أيها القنصل لا توجد أمة أريد معها الصلح مثل أمتكم كل دول العالم تدفع لي، ويجب أن تدفع لي أمتكم ، فقال القنصل: لقد دفعنا لك كل ما تعهدنا به إليك ولسنا مدنين بشيء، فرد الباشا متهكماً في ما يتعلق بالسلام قتمت فعلاً بدفع اللازم أما في ما يتعلق بالسلام فلم تدفعوا شيئاً¹، وفي يوم 14 مايو 1801م قام يوسف باشا بقطع سارية العلم فوق القنصلية الأمريكية وفر الوكيل القنصل كاتاكارث cat إلى ليفورنو²

كان وقع حرق العلم الأمريكي على قلب القنصل كواقع الصاعقة، واشتت غضباً حينما وصله خطاب الباشا يأمره بمغادرة البلاد وفوراً فلم يستطع القنصل فعل شيء سوى تمزيق معاهدة السلام التي وقعها مع طرابلس الغرب عام 1796م ، وبعد عشر أيام من الحادث غادر القنصل الأمريكي هو وعائلته إلى تونس عن طريق البر³

هكذا يكون يوسف باشا قد دق فعلاً أجراس الحرب، وهلع ديل Dale قائد الأسطول الأمريكي مما سمع وأعطى أوامره بإغراق وحرق أكبر عدد ممكن من المراكب الطرابلسية التي من المحتمل أن تواجههم في عرض البحر المتوسط .

¹ .المنتدى العربي للدفاع والتسليح ، إصدار 1 - يناير - 2010 يوسف القره مالي

www:anmow:kiped:aorg:

² .اتوري روسي ، المرجع السابق ، ص 320

³ . إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية من دول المغرب العربي والولايات المتحدة الأمريكية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، الجزائر، ص134

لما علم ديل Dale بإعلان الحرب على إيالة طرابلس الغرب اتخذ قراره بالاستيلاء على المراكب الطرابلسية في جبل طارق التي كان الإنجليز قد احتجزوها قبل ذلك خشية أن تنتشر في أوروبا الحصبة التي كانت في ذلك الوقت قد تفشت في الشمال الإفريقي، وكانت المراكب بقيادة صهر يوسف باشا، أميرال Amiral إيالة طرابلس الغرب، المستجد على الإسلام، والمعروف باسم الرئيس مراد moored raise واتجهت نية قائد السفينة الأمريكية فلادفيا Philadelphia إلى إلقاء القبض على الرئيس مراد العدو للبحارة الأمريكيين، وحاول أن يستدرجه إلى مركبه بحجة التفاوض معه إلا أن المخطط لم ينجح عند ذلك ترك ديل Dale فلادفيا Philadelphia لمراقبة سفن القرصنة واتجه إلى شواطئ الشمال الإفريقي.¹

كانت أسباب الصراع الأمريكي الليبي تكمن في محاولة الأمريكان فرض سيطرتهم العسكرية والسياسية على المرور في البحار والمحيطات لغرض تأمين تجارتهم مع العالم، وكذلك تأسيس إمبراطورية أمريكية قوية مفروضة على تلك البحار والمحيطات في الذهاب والإياب وفي هذه الفترة تحديداً مثل تحولاً في وضع إيالة طرابلس الغرب من مركز قوة وسلطان بزعامة يوسف باشا القره مالي، وهذه الأسباب هي:²

1- الفوضى العامة التي نشأت عن انتقال عاصمة الولايات المتحدة من فلادفيا Philadelphia إلى مدينة (واشنطن) الجديدة، كان بسبب انتشار

¹ بروشين ، تاريخ ليبيا منذ منتصف القرن السادس مطلع القرن العشرين ، ترجمة ، عماد حاتم ،

ط 2 ، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة ، (د-ت) ، ص 177 - 178

² . المنتدى العربي للدفاع والتسليح ، إصدار 1- يناير -2010 يوسف القره مالي

(الحمى الصفراء) في مدينة فيلادلفيا، وقد كان (تشارلز لي Tcharles) في 17 مايو معترفاً بأنه كان من الضروري إهمال قضايا أفريقيا الشمالية، وذلك بسبب التغيرات المتلاحقة التي طرأت على (الكابتن بندريج al captain bainbrige) من جهة وبسبب انتقال العاصمة من فلادلفيا إلى واشنطن من جهة ثانية كما اعترف بأن جميع الأوراق والمعاملات والرسائل قد جمعت في رزم خاصة ولكن وعد باستئناف العمل في أسرع وقت ممكن.¹

2- أنها لم تكن تهدي من روع القناصل الأمريكيين في أفريقيا الشمالية الذين لم يستطيعوا فهم معنى التغييرات الطارئة على (الكابتن بريلي Preble) أو التوتر في العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية إلى مرتبة عليا من الاعتبار والاحترام، تفوق مرتبة أي دولة مسيحية أخرى ما عد بريطانيا العظمى، وكان من شأن وصول السفينة (هيرو Hero) ومعها المعدات البحرية أن عجلت وبطريقة غير مباشرة وقوع الحرب بين تونس والدنمارك.²

3- في الوقت الذي كانت تشن فيه تونس الحرب على الدنمارك كانت تلك الحرب التي اقتصرت بصورة رئيسية على الاستيلاء السلمي على السفن الدنمركية من غير مقاومة معاكسة، واستهلت طرابلس هجومها على التجارة السويدية ، وهددت بإعلان الحرب على الولايات المتحدة في خلال 6 شهور ما لم يبعث رئيس الولايات المتحدة بخطاب جواي إلى الباشا وكان (كاتا كارت) واثقاً من أن الحرب قد أصبحت على الأبواب، فأرسل تعميماً في 16 نوفمبر بإشراف جميع السفن الأمريكية على السفن

¹ . لويس رأيت ، وجوليا ما كليود ، الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا ، ترجمة ، محمد روجي

البلبكي 1799- 1805

² . لويس رأيت ، وجوليا ما كليود ، ص108,109,114

التجارية كما تكون على أهبة الاستعداد لصد أي محاولة قد تقوم بها الطارادات الطرابلسية للاستيلاء عليها.¹

4- ازدادت التهديدات بإعلان الحرب علي الولايات المتحدة ، التي كانت تطلقها إيلات شمال إفريقيا وفي أواخر الخريف كان باي تونس، مثلاً حانقاً بسبب تأخر وصول بقية البضاعة الموعود بها، وكان يوبخ إيتون Eton بقسوة لأن بلاده قد حنثت بالعهد الذي كانت قد قطعتة على نفسها، وعدم وصول هدية المجوهرات التي كان قد عقد النية على استلامها، مع الشحنة الأمريكية، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد كتبوا بصراحة بأن أمامهم أحد الحلين إما الدفع أو الحرب للاستلاء على المراكب والسفن الأمريكية، لنقض المعاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية، بحيث يصبح في مقدوره أن يستولى على السفن الأمريكية.²

5- دأت الولايات المتحدة الأمريكية تتجح في تأمين علاقات سلمية مع دول شمال إفريقيا، وكان ريتشارد أوبراين Orprian Relshard * قد استلم مهام وظيفته كقنصل عام في الجزائر، وفي نهاية ذلك العام أصدر (تيموني taymate . بيكر ينغ bekeryeng) أوامره إلى كل من إيتون eton، وكاتا كارت cat cart بالاستعداد للإبحار إلى تونس وطرابلس.³

¹ لويس رأيت ، وجوليا ما كليود، المرجع السابق،ص118

² لويس رأيت ، وجوليا ما كليود، مرجع السابق،ص83،126،127،125

* ريتشارد أوبراين: هو قنصل عام الولايات المتحدة الأمريكية في شمال إفريقيا، إقامته الدائمة في الج 1 زئر عيين بتاريخ 25 ديسمبر 1797 م وهو مفاوض ومندوب في الاتفاقية الطرابلسية الأمريكية 1796 م... للمزيد ارجع إلى: إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة الأمريكية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978 ، ص 142

³ . المرجع السابق،ص54

وكانت الاضرابات قد بدأت في مراكش من جديد فقد مات الإمبراطور الأخير وراح خليفة مولاي سليمان يهدد بالحرب كل دولة لم تجدد معاهدها التي كانت قد عقدتها مع والده بعدم دفع مبلغ معين عند التجديد وكانت الخسائر لمواطنيه أن ينسوا أن قرطاجة يجب أن تدمر، وفي آخر الأمر تمكنت روما من احتلال قرطاجة .

6- جاءت هذه الحرب بسبب ظروف الولايات المتحدة التاريخية والجغرافية، وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية لم تكن في وضع يمكنها من اتباع الأسلوب الأوروبي في التوسع بقوة السلاح وإمكانية امتلاك أراضي جديدة وإدارتها إدارة مباشرة وتكوين مستعمرات تحت سيادتها تضم أراضي وشعوبًا في أماكن مختلفة من بلاد العالم.¹

7- التلخص من المشاكل الأوروبية والتركيز على بناء الدولة الجديدة ، وتوطيد أركانها والعمل على توسعها داخل القارة الأمريكية، وتأكيد مكانتها فيها، وبسبب الخروج عن تلك السياسة التقليدية حدث استثناء لأسباب موضوعية ونموذجية لجميع الاتفاقيات التجارية التي عقدت في الفترات اللاحقة لها، وتضمنت تلك الاتفاقية المبادئ الأساسية التي وردت في خطط سنة 1776م والتي صدرت في المؤتمر الأمريكي ، وتتضمن هذه الاتفاقية التجارية مبادئ أخرى محاولة الحصول على نوع من الالتزام من الجانب الفرنسي بحماية السفن الأمريكية من القرصنة التي تمارسها بلاد الشمال الإفريقي في حوض البحر الأبيض المتوسط وعقد اتفاقية لاحقة وهي اتفاقية السلام الأمريكية الإنجليزية التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة عن التاج البريطاني في 30 أكتوبر

¹. صلاح الدين حسن السوري، ليبيا والتوسع الأمريكي 1776-1805م، ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج1، طرابلس، المركز الليبي للمحفوظات التاريخية 2011، ص503

1782م لاتفاقية الأمريكية الأساسية التي وقعت في 30 أكتوبر 1795م فالتركيز في تلك الفترة كان على التجارة والتوسع الأمريكي كان توسعاً تجارياً واقتصادياً.¹

8-محاولة (يوسف باشا) تحسين وضع الإيالة الاقتصادي وما صاحبها من ركود تجاري وتخفيض قيمة العملة المتداولة، فقد بدأ التدهور الاقتصادي في طرابلس بعد حكم أحمد الأول القره مالي 1745م ، 1711م بفترة وجيزة والسبب في ذلك يمكن في الرحيل للأتراك الشرقيين نتيجة لعدم وجود حوافز من جهة والمشاكل السياسية والحروب الأهلية العاصفة ، من جهة أخرى منذ أواخر القرن الثامن عشر ميلادي وبالتالي حرمان البلاد من المساهمات الاقتصادية لهؤلاء الأجانب الصناعيين، أضف إلى ذلك المجاعة والركود التجاري، ثم وباء الطاعون الذي فتك ب25% من عدد السكان وهذا يعني هبوطاً في الإنتاج الزراعي والتجاري.²

9-محاولات (يوسف باشا) تحويل طرابلس من الوضع المتدهور إلى مركز القوة، فقد أصبح الأسطول الطرابلسي في الفترة ما بين 1800 ، 1798 يضم 21 سفينة يرأسها و21 قيادة رئيس القبطان كلهم تحت رئاسة أمير البحر ((الرئيس مراد)) مناصب أعلى ضابط بحري في الدولة.³

كان الاتصال الأمريكي الطرابلسي الأول بعد اكتمال القوة البحرية الطرابلسية عام 1796 إذا لم يكن لأمريكا أي معاهدة صداقة مع طرابلس، وبالتالي فإن حركة سفنها لم تكن محمية ضد هجمات القراصنة وعليه أسر أمير البحر ((الرئيس مراد

¹ . صلاح الدين حسن السوري، مرجع نفسه، ص506،505،504،503

² . المنتدى العربي للدفاع والتسليح ، إصدار 1- يناير -2010 يوسف القره مالي

www.ar.m.wikibad .org /wik:

³ . المنتدى العربي للدفاع والتسليح ، إصدار 1- يناير -2010 يوسف القره مالي

www.ar.m.wikibad .org /wik:

(في أغسطس 1796 سفينتين أمريكيتين هما (صوفيا ، وتبسي) تم إطلاق سراح الأولى التي تحمل أموال الاتفاقية التي ستدفعها أمريكا للجزائر، وإن استقلال طرابلس ليس عن الجزائر فحسب وإنما أيضاً عن السلطان العثماني كما أكد (الباشا يوسف) هذا القرار القائم بالأعمال الأمريكي السيد أنحوام عام 1798 إلى وجوب معاملة أمريكا كدولة مستقلة، وذلك من أجل إقامة علاقات طيبة.¹

وهكذا فإن تشبث (يوسف باشا) برأيه وإصرار الأمريكيان على مواقفهم كان السبب الرئيسي لنشوب الحرب الأمريكية الطرابلسية أعوام 1801 - 1805 ، ثم برهن (الباشا يوسف) لإظهار حكمه احترام طرابلس كقوة بحرية بإطلاق سراح سفينة أمريكية بحمولتها ثم أسرها من قبل إحدى ضباط البحرية الطرابلسية وعندما قطعت علاقتها الدبلوماسية مع أمريكا بإنزال العلم الأمريكي وإعلان الحرب ضدها في 14 مايو 1801 هنا سعت أمريكا لإصدار أوامرها لقنصلها في تونس والجزائر وطرابلس للاجتماع فوراً في تونس والتوجه فوراً لمقابلة (الباشا يوسف) ومحاولة الوصول إلى تسوية سلمية وإصرار (الباشا يوسف) على سيادة واستقلال بلاده وتحصيل حقه الكامل في الأموال والهدايا المتفق عليها في الاتفاقية نظير مرور السفن الأمريكية الحاملة العلم الأمريكي في المياه الإقليمية للإيالة طرابلس.²

الصراع مع الولايات المتحدة الأمريكية 1801-1805م:

كانت أول إشارة إلى المراكب الأمريكية في مياه البحر الأبيض المتوسط ترجع إلى عام 1034هـ - 1625م قبل الاستقلال عندما استولت البحرية المراكشية على مركب شراعي أمريكي من مستوطنة إنجلترا الجديدة ، وفي عام 1678 وقع قارب

¹ . المنتدى العربي للدفاع والتسليح ، إصدار 1- يناير -2010 يوسف القره مالي

www.ar.m.wikibad .org /wik:

² . المنتدى العربي للدفاع والتسليح ، إصدار 1- يناير -2010 يوسف القره مالي. نفس المرجع

آخر في يد المراكشيين كان على ظهره الدكتور (ماسون) الذي أبحر من إحدى المستوطنات الأمريكية، وبحلول القرن الثامن عشر زاد عدد المراكب المأسورة، وبالتالي زاد عدد الأسرى الأمريكيين في إيلات الشمال الإفريقي، وخاصة مراكش والجزائر، وكانت تبحر تحت العلم البريطاني الذي لم يستطيع الحماية اللازمة.¹

وكانت السفينة (ماريا) تغادر بوسطن تحت قيادة القبطان (إسحاق ستيفن) قاصدة إلى قادس، فأسرها في 25 يوليو قابلة رأس (سنت فنسان)، وهو قارب جزائري به 14 مدفعا، من نوع القرصانية . وكان احد بحارة (ماريا) (جيمس ليندر كاتكارت*)².

عندما صعدت السفينة (ماريا) عام 1776 م كانت تبحر من بوسطن تحت العلم الأمريكي، وبعد ذلك زاد عدد القوارب التجارية في الأسرة. نتيجة لازدهار التجارة الأمريكية عبر البحر الأبيض المتوسط والتي حققت فائضا في الأرباح خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وتعرضت السفن التجارية للهجوم من قبل الأساطيل المغربية³، وعندما شهدت البلاد خلال هذه الفترة 1776 نوعا من النشاط

¹. إ. محمد سعيد الطويل، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا 1795-1832م، بيروت، الكتاب

الجديد المتحدة. د-ت، ص222

*. جيمس ليندر كاتكارت James leander cathart : هو أحد الأسرى الأمريكان في الجزائر حيث تقرب من الداوي ليصبح قنصلاً لبلاد في طرابلس، ثم قنصلاً عاماً لأمريكا على إيلات المغرب.. للمزيد ارجع إلى مايكل أورين، القوة والإيمان والخيال، أمريكا في الشرق الأوسط منذ عام 1776 م حتى اليوم، ترجمة أسر حطبية، الطبعة 1، دار الكلمة، الإمارات العربية، 2008 ، ص

40

² . جلين تكرر، معارك طرابلس، ترجمة، عمر الريراوي، مجلة طرابلس، مركز الجهاد الليبي، د-

ت، ص98,99

³ . إ. محمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص222

والاستقرار سياسياً نسبياً شهدت البلاد تطوراً في القوة البحرية في البحر الأبيض المتوسط ، وأم على مستوى السياسة الخارجية ، أبرمت الدول الأجنبية عدة اتفاقيات مع حكومة طرابلس من أجل ضمان السلامة لمرور سفنهم قبالة الشواطئ الليبية ، وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية ببناء العلاقات مع العالم الخارجي بعد حصولها على الاستقلال عن بريطانيا في عام 1783 م لم يكن موقع السفن التجارية الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط أفضل من موقف الدول الأوروبية بين حالة السلام والحرب.¹

وقد قامت المؤسسات الخيرية في عدة مدن أمريكية بجمع التبرعات لافتداء الأسري تحت رعاية الكنيسة ، كما حدث في مدينة ساليم sale وقرر الكونجرس عام 1779م أي بعد الاستقلال بثلاث سنوات إرسال لجنة لعقد اتفاقيات مع ولايات المغرب ومنها مراكش² وكانت هناك عدة خيارات حاولت السياسة الأمريكية من خلالها التحرك عبر الدبلوماسية. ويعتبر لقاء السفير الطرابلسي الحاج عبد الرحمن البديري مع جون آدامز* وتوماس جيفرسون في لندن عام 1786 م أول لقاء رفيع المستوى بين مسئول طرابلس في مهمة رسمية في ذلك العام 1786 م.³

¹ محمود أحمد الديك ، رؤية في الصراع الليبي الأمريكي، ط1، طرابلس، مركز الجهاد الليبي، د- ت، ص534،535

² . إمام سعيد الطويل، مرجع سابق، ص223

* جون آدامز: 1735 م – 1826 ثاني رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية 1797 م – 1801 م رجل دولة ودبلوماسي أمريكي وهو من أمضى على الاتفاقية الطرابلسية الأمريكية سنة 1797 م...

وللمزيد اطلع على: www.marefa.org/index.php

³ . إمام سعيد الطويل، مرجع سابق، ص223

ذهب جيفرسون إلى لندن مع جون آدامز للقاء سفير طرابلس عبد الرحمن آغا، وجد أن تلك الولاية (وهي أضعف الولايات في شمال إفريقيا)، وقد طالبت المجموعة بـ 160 ألف دولار من الولايات المتحدة، وكان السفير الطرابلسي يري أن تونس ستقبل بمثل هذا المبلغ ولكن كان مطلب الدول المغاربية الأربعة بأن ترتفع القيمة إلى حوالي مليون دولار.¹

وفي عام 1776م قام جون آدامز وتوماس جيفرسون اللذان وصلا من لندن إلى باريس بالاتصال بالسفير الليبي عبد الرحمن آغا وتركزت المفاوضات التي لم يتم ترتيبها وبدون أخذ إذن من يوسف باشا حاكم طرابلس الغرب عن توفير حرية حماية السفن الأمريكية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وأن المفاوضات الليبية طلب مبلغًا كبيرًا 160 ألف دولار من الولايات المتحدة لم ترغب الولايات المتحدة في دفع هذا المبلغ خشية أن تطلب تونس والجزائر وربما المغرب مبالغ مماثلة وأن الولايات المتحدة الأمريكية ليس لديها مثل هذه التجارة الكبيرة لدرجة أنها تدفع الأتاوة * ضخمة لجميع هذه البلدان وهكذا فشلت المفاوضات.²

قال الحاج عبد الرحمن آغا لمفاوضيه إن التوصل إلى سلام دائم مع بلاده سيكلف الولايات المتحدة 30 ألف جنيه فقط ، ويمكن تقسيم المبلغ على أقساط ، حيث

¹ . جلين تکر، معارك طرابلس، ترجمة، عمر الريراوي، مجلة طرابلس، مركز الجهاد الليبي، د-

ت، ص 536، 537

* الأتاوة: هي مبلغ من المال تقوم الدولة بتحديدده ويقتصر دفعه على طبقة معينة من أفراد المجتمع كأصحاب العقارات، كما كان يفرضها حكام ايلات المغرب على الأساطيل التجارية الأوروبية... انظر إلى فتحي عبد السلام إبراهيم، التشريعات الجمركية في ضوء الفقه والقضاء،

مطبعة أبناء وهبة حسان، القاهرة، 1991، ص 112

² . إمحمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص 223

سيكون المبلغ أقل بالتأكيد كما أكد السفير الطرابلسي أنه بإمكان الولايات المتحدة عقد اتفاق مع تونس ومراكش وأن الجزائر سنطلب مبلغاً أكبر، على الرغم من أن هذا لم يؤد إلى يأس المفاوضين من التوصل إلى اتفاق مع طرابلس.

ووقع أول اتصال دبلوماسي بين الحكومة الأمريكية وليبيا خلال زيارة الوفد الليبي إلى لندن برئاسة عبد الرحمن آغا البديري وفي سنة 1800م كلف الجنرال هراسي سببا سبياتي horace sebastian مندوب نابليون الخامس بالتفاوض باسم الولايات المتحدة الأمريكية مع يوسف باشا وبناءً على هذه المفاوضات عقد في طرابلس اتفاق سلام معه.¹

يوسف باشا والدبلوماسية الأمريكية:

إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أهملت -عن قصد أو عن غير قصد- المفاوضات مع طرابلس في نهاية عهد الأسرة القره مالية وحتى فترة حكم الجزائر، تولى (يوسف باشا) الحكم ومقاليد الأمور واعتمد على البحرية لترميم بناء الايالة وتأكيد سيادتها وزيادة الحملات البحرية خلال الفترة ما بين 95 - 1797 واحتجازها العديد من المراكب المختلفة بما في ذلك المراكب الأمريكية، وقد استولى الرئيس مراد بتاريخ 8-9-1796م على أول مركب أمريكي في عهد يوسف باشا إلا أنه أفرج عنه الباشا بسبب جواز سفره الجزائري حيث كان يحمل لها الجزية السنوية²

وقع الاشتباك الأول بين البحارة الليبيين والسفن الأمريكية في شهر 1696 م عندما تم الاستيلاء على سفينتين تابعتين للولايات المتحدة الأمريكية من القراصنة

¹ . محمود أحمد الديك ، مرجع سابق ، ص 538

² . إمحمد سعيد الطويل ، مرجع سابق،ص225

الليبيين ، وإحدى السفن كانت تحمل زواج سفر من داي الجزائر مع الجزية والهدايا حسب المصالحة المبرمة بين الطرفين ، وتم الإفراج عن هذه السفينة وبفضل شفاعة داي الجزائر الذي كتب لـ (يوسف باشا) أنه راضٍ عن قبوله مبلغ أربعين ألف قرش مقدما،¹ كما أن جميع السفن الأمريكية التي كانت تشاهد في البحر الأبيض المتوسط كانت مثقلة بالبضائع كما كانت تبدو عاجزة عن الدفاع عن نفسها.²

حيث قام بتسليم المبالغ المالية المتفق عليها والهدايا الخاصة (بالباشا يوسف)، والتي تتكون من ساعات ومجوهرات وأقمشة، وذلك بتاريخ 1796/11/21م وحتى قبل تصديق الحكومة الأمريكية عليها.³

كان تعيين يوسف باشا القره مالي وتدعيم وتعزيز العلاقات الودية مع النائب الجديد للسلطان أهده الباب العالي سفينة مجهزة بـ 18 مدفعًا وذخيرة وإمدادات، وقد وعد يوسف باشا في رده على الفرمان السلطاني بأن ينفذ كل ما طلب منه، ومن هنا بدأ ببناء إيالة طرابلس الغرب واستعادة الأمن والسلام بها، ولهذا السبب بدأ العمل بكل طاقته وحزمه لترسيخ النظام في إيالة طرابلس الغرب، ومن أجل القضاء على النهب، فرض عقوبة الإعدام لأقل سرقة.⁴

¹ . محمود أحمد الديك ، مرجع سابق ، ص، 537

² . لويس رأيت ، وجوليا ماكلويد ، الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا من 1799 - 1805 ،

ترجمة ، محمد روجي البعلبكي ، طرابلس : مكتبة الفرجاني ، (د - ت) ، ص 106

³ . أحمد سعيد الطويل ، مرجع سابق، ص، 226-227

⁴ . بروشين ، تاريخ ليبيا منذ منتصف القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، ترجمة عماد

الدين غانم، ط2، بيروت، الكتاب الجديد المتحدة، د-ت، ص156

من أول أيام وصوله السلطة كان يوسف باشا يكافح بشدة من أجل إبرام معاهدة جديدة دون ذكر الجزائر ليضمن لنفسه دفعة أولية قدرها 225 ألف دولار وجزية سنوية لا تقل عن 20 ألف دولار، وواصل (كات كارت) مساوماته حتى إنه عرض مبلغ 30 ألف دولار على يوسف باشا القرماتلي لعد مطالبه والحفاظ على السلام لمدة 18 شهرًا، ومنتظر ردًا من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ورفض (يوسف باشا) هذا العرض.¹

كان (الريس مراد) هو مصدر هذه المعلومة بناء على معلوماته السابقة، وكان بحارًا صغيرًا على أحد زوارقه القليلة ، وأصبحت الحرب حتمية رغم جهود داي الجزائر لإقناع (يوسف باشا). أن يكون مرثًا ويقبل من مطالبه، وقرر باشا يوسف إعلان الحرب لتأكيد سيادة واستقلال الإيالة. في 14/5/1801 تم تدمير عمود العلم الأمريكي بفناء القنصلية. وبالتالي ، فشلت الاتصالات الدبلوماسية في تحقيق أهدافها، على الأقل في الوقت الحالي، مما ترك مجالاً للمدافع والبنادق والمؤامرات السياسية لتجربة حظهم في المرحلة التالية.²

الحرب بين الولايات المتحدة وإيالة طرابلس الغربية 1801-1805:

وصل توماس جفرسون وصل أخيرًا إلى السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية وهو من أنصار استخدام القوة ضد إيالات شمال أفريقيا منذ أن كان عضوا في لجنة المفاوضات التي شكلها الكونغرس فقد أدى اليمين الدستورية في 3/4/1801 ليصبح رئيسًا للدولة، خلفًا لجون آدمز، وتزامن وصوله إلى السلطة مع تكامل بناء

¹. لويس رأيت ،وجوليا ماكليود، مرجع سابق،ص148

². أمحمد سعيد الطويل ، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا 1795 - 1832م ، مرجع

الأسطول الأمريكي، واستعداده للخروج إلى مياه البحر الأبيض المتوسط وحتى إعداد حكومة جيفرسون كان أعظم مقياس نجاح لهذا الأسطول أنه أرسل وزير خارجيته في 1801/5/21م، بعد أقل من أسبوع من إعلان يوسف باشا الحرب على أمريكا¹.

احتدمت الحرب فوق البحر بفتور ولم تبد سفن طرابلس فعالية وكانت تتجنب الاشتباكات الغير الضرورية في الوقت نفسه لم يطرح يوسف القره مالي موضوع الهدنة على أمل أن يلقي القبض على عدد كاف من الأسرى لاستخدامهم فيما بعد أثناء المفاوضات مع الجانب الأمريكي. في ربيع عام 1801م، أنهت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل أساسي الاستعدادات لإرسال أسطولها الحربي إلى البحر الأبيض المتوسط ، وكان يضم فرقاطتين، كل واحدة مجهزة بـ 44 مدفعاً بربر يدنت) و(فيلادلفيا، براسيادنت)، واحدة مجهزة بـ 32 مدفعاً هي إيسكس، وشرع واحد مجهزة بـ 12 بندقية هو انتر برايز².

أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية في يوليو 1801م، أسطولاً حربيًا يتكون من فرقاطتين (فيلادلفيا، و وليدج بربر يدنت) كل واحدة مجهزة بـ 44 مدفعاً، ترافقها سفينتان حربيتان مع 32 مدفعاً وأضيفت سفن أخرى إلى الأسطول³، وغادر الأسطول في بداية فجر اليوم الثاني من شهر يوليو 1801م، حيث وصل إلى جبل طارق بعد حوالي شهر، ولدى وصوله عثر على سفينتين من طرابلس في الميناء،

¹. أحمد سعيد الطويل ، مرجع نفسه ، ص 231 - 232

². بروشين ، تاريخ ليبيا منذ منتصف القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، مرجع سابق ،

ص 179

³. المنتدى العربي للدفاع والتسليح ، إصدار يناير 2010 يوسف

WWW:Ar.mowikipedia.org.wiki-

وهي (فيلادلفيا واسكيس) ويرغم علم داييل بشأن خبر إعلان الحرب يوسف باشا وإخفاء مراد الرئيس الذي كان يقود إحدى السفينتين، أمر إحدى فرقاطاته (فيلادلفيا) بالبقاء في جبل طارق لمراقبة هاتين السفينتين بينما اتجه بقية الأسطول شرقاً، وعند وصولها إلى الساحل التونسي أمر الفرقاطة (اسكيس) المحملة بالهدايا والجزية السنوية للباي حمود بالتوجه إلى ميناء حلق الواد لتسليم حمولتها وإرضاء الباي وزيادة التملق¹ قادة حماية الأسطول التجارة في فرقاطات حربية لحرمان القراصنة من إمكانية مهاجمة السفن المعزولة التي تسبب حصار طرابلس في نقص في الحبوب، والأمر الذي كان له تأثير على يوسف باشا فقد بعث برسائل إلى الجزائر وتونس أشار فيها إلى أنه في حال موافقتهم الصامتة على الحصار في 8 ديسمبر 1801م ، توصل الرئيس جفرسون إلى موافقة الكونغرس على إعلان الحرب على طرابلس الغرب التي كانت ،من الناحية العلمية قد بدأت على مدار 6 أشهر في 6 فبراير 1802 صدر مرسوم لحماية تجارة الولايات المتحدة الأمريكية من أسطول طرابلس الغرب.²

في 6 فبراير 1802 أصدر (الكونغرس A congers) قانوناً لحماية التجارة الأمريكية ،من خطر الطرادات الطرابلسية، ولقد خول لهذا القانون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بعض الصلاحيات، وأهمها صلاحية تزويد سفن الأسطول الأمريكية بالأسلحة والذخائر، وصلاحية تمديد فترة خدمة البحارة والعتاد وإعدادها للخدمة الفعلية، وصلاحية مدة خدمة البحارة من سنة إلى سنتين، وفي 6 فبراير 1802م سمحت الولايات المتحدة الأمريكية باستعمال القرصنة ضد سفن الطرابلسية

¹.أحمد سعيد، الطويل ، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا ، مرجع سابق ، ص 231 -

².بروشين ، مرجع سابق ، ص 179 - 181

في عرض البحر وحسب لا ضد مرافئ طرابلس لردع الحرب، وانطلق الأسطول نحو الشرق ربيع 1802م أي بعد صدور قانون حماية التجارة الأمريكية من خطر طرادات طرابلس في (6/2/1802 م).¹

في 15 يونيو 1802، احتجزت سفينة طرابلس السفينة الأمريكية "فرانكلين" وكان قبطانها موريس قائد الأسطول الأمريكي في البحر المتوسط وقد استول عليها الليبيون، وذلك نتيجة تعهد الجزائر بإعطاء الحرية للبحارة الطرابلسيين استعمال مواניהا، وتضامًا ضد حصار الأسطول الامريكي لطرابلس.²

في أغسطس 1802م تم اتهام موريس بإفشال الحملة فعزل عن قيادة الحملة ثم سرح من الأسطول البحري وفي 20 مايو 1803م تم تشكيل حملة جديدة بقيادة ادوارد برييل تتألف من 7 قطع هي سفينة القيادة كونستيليشن Kotystyshtion - فرقاطتان (Philadelphia Enterprise Lnterpraz) ومن أربع سفن جديدة، وتقرر مرافقة الكولونيل برييل الذي تم تعيينه ليحل محل أوبرين opreain كقنصل عام في الجزائر، والقنصل الجديد مطلوب لإجراء مفاوضات سلام مع حكام دول شمال إفريقيا، في المقام الأول مع باشا يوسف، وفي سبتمبر 1803 تجمعت الحملة في جبل طارق وعندما كان إمداد السفن بالمياه والمؤن أمر صعبًا، وهذا هو سبب تجدد الحرب بين إنجلترا وفرنسا.³

لقد تخيل ((موريس)) بعد هذه المعركة بأن خسارة طرابلس كانت جسيمة، وهي كفيلة بأن تجعل (الباشا يرضخ) لقبول الصلح مقابل مبلغ بسيط ، ولكن ذلك لم

¹ .لويس رايت وجوليا مكلويد ، مرجع سابق ، ص. 179

² .ابتهاال خليفة أبو شينة وآخرون ، 2005 ، 2006

³ . بروشين ، مرجع سابق ، ص. 185

يكن إلا وهما ، فقد أصر الباشا يوسف على مبلغ 200.000 دولار، وجزية سنوية تقدر بحوالي 20.000 دولار بالإضافة إلى التعويض عن أضرار الحرب وهدايا أخرى.¹

قامت فرقة البحرية الأمريكية الموجودة في البحر الأبيض المتوسط بمحاصرة طرابلس طوال الصيف وقصفت سفينة طرابلسية ، واستولت عليها وأسرة قائدها (محمد سوس) ثم أطلق سراحه وفي العام الثاني أعلنت الولايات المتحدة الحرب على طرابلس فأرسلت فرقة بحرية بقيادة الكومودور (موريس) في ربيع 1803 المحاصرة ميناء طرابلس وفي يوم 1803/10/21م نجحت البحرية الطرابلسية في جر الفرقاطة البحرية (فيلادلفيا) بقيادة الكابتن (بيلن درج) تتقدم الفرقة البحرية الأمريكية العاملة تحت قيادة الكومودور (بريلي) وقد تقدمت الفرقاطة نحو ميناء طرابلس وهي تلاحق مركب طرابلسياً بقيادة (الرئيس زريق آغا) فأطلقت عليها النار، ولكن السفينة البحرية مزودة ، 42 مدفعاً و370 بحارة ، منهم 29 ضابطاً، وقد جاء الكومودور (بريلي) إلى طرابلس في ديسمبر ولكنه لم يفلح في إطلاق صراح الأسري ولكنه نجح في إحراق فيلادلفيا بواسطة سفينة (انتر بيد) ثم عاد إلى أمريكا بمهاجمة طرابلس أغسطس عام 1804.²

وفي يوم 31 أكتوبر 1803 قامت القوات البحرية الأمريكية بإحكام الحصار حول ميناء طرابلس وعزلها عن جارتها تونس والجزائر حيث كانت تخشي القوات

¹ . أمحمد سعيد الطويل ، مرجع سابق ن ص 237

² . اتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، مرجع سابق ، ص 320 ، 321

الأمريكية أن تتضامن هاتان الدولتان مع ليبيا وتعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية.¹

لقد هزت خسارة فيلادلفيا مجلس الكونغرس الأمريكي نفسه وأيقظته من سيادته وبلاده، ولا مبالاته التي كان يبديها تجاه العمليات البحرية السابقة الجارية في البحر الأبيض المتوسط² وفي 16/2/1804م حدث ما كان يتوقعه الحاج محمد بيت المال حيث تسلل في تلك الليلة فريق تخريب في زي مالطي إلى ميناء ونجح في تدمير الفرقاطة فيلادلفيا وأصبحت المدينة في ارتباك شديد.³

في 25 يوليو 1804 عاد العميد البحري (برييل) إلى طرابلس على رأس أسطول مؤلف من الفرقاطة وعدة سفن ومراكب وزوارق، ولم يسفر هجومه الأول إلا على الاستلاء على ثلاثة زوارق ليبية، وأما الهجوم الثاني فكان في 17 أغسطس حيث وجهت القوات البحرية نيرانها بكثافة نحو المدينة وقام (برييل) بمفاوضة الباشا يوسف، وبتقديم فدية مقدارها 80 ألف قرش مقابل إطلاق سراح الأسرى.⁴

وفي 16/17/1804 نجحت سفينتان شرعيتان تقلان 60 رجلاً بقيادة الملازمين (ديكتاتور وسيتوارات) من التسلسل تحت جناح الظلام إلى الميناء وصعداً على ظهر الفرقاطة فيلادلفيا وفي مارس 1804 كان الأسطول الأمريكي يعيد الحصار على مدينة طرابلس بعدها بدأت فرنسا في وساطة بين ليبيا والولايات المتحدة بطلب أمريكي لإطلاق سراح أسراهم ، ولكن (يوسف باشا) رفض لأنه أراد اتفاقاً شاملاً

¹ . محمود أحمد الديك ، مرجع سابق ، ص 539

² . لويس رأيت ، جوليا ما كليود ، الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا ، مرجع سابق ، ص

³ . أمحمد سعيد الطويل ، سابق ن ص 241

⁴ . محمود أحمد الديك ، مرجع سابق ، ص 543

على جميع القضايا وفي 14 أغسطس 1801، وفي 4 سبتمبر من نفس العام بدأ الأسطول الأمريكي بضرب مدينة طرابلس بالقنابل.¹

تسوية الحرب الطرابلسية الأمريكية:

عمدت الولايات المتحدة إلى المفاوضات عقب معركة درنة، وتم توقيع معاهدة انهاء الحرب في 10 يونيو 1805 عرفت ب اتفاقية طرابلس. وطلب يوسف باشا من الولايات المتحدة غرامات مالية تقدر بثلاثة ملايين دولار ذهباً، وضريبة سنوية قدرها 20 ألف دولار سنوياً، وظلت الولايات المتحدة تدفع هذه الضريبة حماية لسفنها حتى سنة 1812م، حيث سدد القنصل الأمريكي في الجزائر 62 ألف دولار ذهباً، وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي تسدد فيها الضريبة السنوية.

حيث كانت نتيجة الحرب الطرابلسية تلائم الولايات المتحدة والمصالح الأمريكية كل الملائمة، فإن هذه النتيجة لم تكن لتحضي برضي (وليام إيتون) فأرسل تقريراً إلى ناظر البحرية الأمريكية يتهجم فيه على القنصل العام الكولونيل (توبياس لير) وتصرفاته واصفاً إياه باحتقار، ولم ينس (إيتون) أن يحمل أيضاً على فشل الأسطول الأمريكي في الظهور بمظهر قوي أمام طرابلس وداعي (إيتون) أنه كان بوسع الولايات المتحدة الأمريكية بفضل أسطولها المكون من ستة فرقاطات وأربعة سفن شراعية بصاريين، ومركب شراعي وحيد الصاري بالإضافة إلى ما كان لديها من سفن مدفعية كانت جميعها مستقرة في قاعدة (سيراكوزة) الإستراتيجية.²

¹. ابتهاج خليفة أبو شينة وآخرون ، مشروع 2005 ، 2006 ،

². لويس رأيت ، وجوليا ماكليود ، الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا من 1799 - 1805 ،

ترجمة ، محمد روجي البعلبكي ، طرابلس : مكتبة الفرجاني ، (د - ت) ، ص 313

إن الولايات المتحدة الأمريكية تلج بقولها أنه ليس الأسطول ولا الجيش البري بالقوة العددية، وهناك شيء آخر من الضروري أن يتوفر في كليهما، فالأسطول ليس هو سطوح سفنه وعارضاتها ، وقلوع أشرعه ومدافعه ورجال مدفعيته، وحتى بحارته، وحسب أنه بقيادته الحكيمة على التحديد وأتخاذ القرار المناسب لصالح البلاد، وأثناء ما كان (توبياس لير) يقوم بالمفاوضات تسلم رسالة مفادها أن الأسطول الفرنسي قد خرج من البحر في مرساها طولون بقيادة فلينون.¹

لازم (إيتون) القاعدة البحرية الأمريكية في (سيراكوزة) منذ أواسط شهر يونيو وحتى بدء شهر أغسطس وبعد أن وصل إلى هناك عمل (ايتون) كقاضي في محكمة الاستجواب، قبل (ايتون) لتحقيقها أمام قيامه بوظيفة قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في تونس، وانتقام الأمريكيين من الباي التونسي الذي خلق له عدداً لا يحصي من المشكلات والمازق، غضب باي تونس لاستيلاء الأمريكيين على المراكب التونسية التي كانت متجهة في طريقها إلى طرابلس المحاصرة، وراح يطالب بالتعويض عن الأضرار التي لحقت بمراكبه، مهدداً في الوقت نفسه، بإعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلن الباي التونسي أنه ينوي إرسال سفير تونسي إلى الولايات المتحدة الأمريكية كما يتفاوض مع حكومة (واشنطن في موضوع أنها المشكلات ووضع حد لاشتباكات بين كل من الدولتين، وإدراك (روجرز) أن هذا الطلب الذي تقدم به باي تونس لم يكن إلا إجراء هدفها التخلص من الأسطول الأمريكي.²

¹. جليل تکر ، معارك طرابلس ، ترجمة ، عمر الريراوي أبو مجلة ، طرابلس : مركز الجهاد

الليبي ، (د - ت) ، ص 655

². لويس رايت ، وجوليا ماكليود ، مرجع سابق ، ص 314 - 315

أن رود جرز يرء بأن باي تونس اللوح الذي طرد (ايتون) وخلق حول نفسه كثيراً من الضجة، لمداومته طلب تقديم فرقاطة من الولايات المتحدة الأمريكية تكون هدية له وإكراماً مع أنه كان بمقدوره شراء واحد بنصف المجهود الذي بذله في ملاحظة تلك الهدية.

أثناء محاصرة رود جرز لطرابلس في 24 أبريل 1805 على التحديد قد ألقى القبض على قرصنة تونسيين كانت تسوق مركبتين استولت عليها قاصدة أن تدخل بهم ميناء طرابلس¹ وعلى إثر ذلك رفض الطرابلسيون قبول تسوية، فإن العداوة ظلت عنيفة أكثر من ذي قبل وقد تفاقمت أحقاد كلا الجانبين ضد الآخر إلى حد أصبح من المستحيل معه وضع حد للحرب.²

عمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى المفاوضات عقب معركة درنة وتم توقيع معاهدة إنهاء الحرب في 10 يونيو 1805 وطلبت إيالة طرابلس (الباشا يوسف) من الولايات المتحدة الأمريكية غرامات مالية تقدر بـ 3 ملايين دولار ذهباً، وضريبة سنوية قدرها 20 ألف دولار سنوياً، وطلبت من الولايات المتحدة الأمريكية أن تدفع هذه الضريبة حماية لنفسها حتى سنة 1812 حيث سدد القنصل الأمريكي في الجزائر 62 ألف دولار ذهباً، وكانت هذه المرة الأخيرة التي تسدد فيها الضريبة.³

وفي الأثناء كانت توجد بمياه طرابلس سفينة أمريكية كانت قد قامت للتفاوض فقبل (الباشا يوسف) بالمفاوضة، وإبرام معاهدة الصلح في 3 يونيو سنة 1805 وذلك

¹. جلين نكر، معارك طرابلس، مرجع سابق، ص 655

². شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة، محمد عبد الكريم الوافي، ج 1، طرابلس: مكتبة

الفرجاني، (د - ت)، ص 338

³. ليوسف باشا القره مانلي: WWW.Ar.m.wikipedia.org/wiki/

بعد أن دفع مبلغ 60 ألف قرش فقط لافتداء الأسرى الأمريكيين ، ثم جلاء الأمريكيون عن درنة وحملة احدي فرقاطاتهم سيدي أحمد.¹

وفي النصف الأخير من 3 يونيو 1805 بمقر عباب الصحراء وسط تحديات جمة من عصيان وتمرد بعض القوات نتيجة لعدم تجانس واختلاف مأرب ومصالح أفرادها، وقدم أحمد القره مالني سيفه المرصع بالجواهر هدية إلى (بانون) أحد رجال البحرية الأمريكية عرفاً منه في إنجاح هذه الحملة، ولا يزال شعار السيف رمزاً لرجال البحرية الأمريكية تخليداً لرحلتهم عبر رمال برقة إلى درنة.²

وفي 27 ابريل 1805 وصلت الحملة درنة وكان مخططاً اقترن الهجوم البري بالهجوم البحري، فتم تدمير التحصينات الساحلية وسقطت المدينة، ولكن إمدادات يوسف باشا بدأت تصل وتواصل القتال، ومن ثم توصل كل من (بورن وليير) إلى اتفاقية نصت، إحدى موادها على انسحاب الأمريكيين من درنة ومغادرة أحمد بك للبلاد ووصلت الحملة درنة.³

عاد الأمريكان إلى فكرة المنافسة بين أحمد ويوسف من أجل إضعاف الاسطول البحري ليوسف باشا، فبدأت هذه الفكرة وتنفيذها حيث وصل الجنرال (بارون) إلى البحر المتوسط بأسطول (ايتون) على ظهر احدي السفن إلى الإسكندرية حيث قابل أحمد باشا في مصر في منطقة (الفيوم) في فبراير 1805، ودرس معه خطة الهجوم البري على درنة عبر الساحل بمساعدة الأسطول الأمريكي، وقد تم الاستلاء

¹. شارل فيرو ، الحوليات الليبية ، مرجع سابق ، ص 3 ، 5 ، 564

². إمحمد سعيد الطويل ، البحرية الطرابلسية 1795 - 1832 ، طرابلس : دار الكتاب الجديد

المتحدة ، (د - ت) ، ص 249

³. صلاح الدين حسن السوري ، ليبيا والتوسع الأمريكي ، طرابلس،المركز الليبي للدراسات

والبحوث التاريخية، 2011 (د - ت) 525

علي درنة من قبل أحمد والأمريكان خلال شهر أبريل 1805، وكانت تجري في نفس الوقت بين يوسف باشا وقنصل الأمريكان في الجزائر مباحثات أو مفاوضات انتهت في عام 1805 بدفع 60 ألف دولار للباشا فدية 200 أسير أمريكي .¹

رغم ذلك وصلت الحملة أخيراً المكان المحدد لها، ووجدت (ارجوس) في انتظارها حيث اقتربت من الشاطئ يوم 16/4/1805 وهو الأمل المرتجى في الحصول على المواد الغذائية والإمدادات المطلوبة الأخرى ، وأن وصول هذه الحملة قد أثار شعوراً بالارتياح لدي جميع أفراد الحملة ، وعلى (ايتون) استغلال هذا الشعور من أجل تحقيق النجاح في المرحلة الأساسية القادمة وحتى احتلال مدينة درنة ، وبعد أن ارتاح قصيراً في منطقة خليج (بومبا) واصل (ايتون) وحشية الزحف صوب مدينة درنة إلى وصلها يوم 25 ابريل 1805 .²

وصل القبطان كمبل إلى درنة في 11 يونيو 1805 ومعه التعليمات إلى القومندان (رود جرز) بالانسحاب من درنة فنقدها على الفور وغادر (ايتون) وأحمد بك البلاد إلى (سيراكوزا) في صقلية على متن السفينة (كونستنتيوش) ومن هناك رجع (ايتون) إلى الولايات المتحدة ورجع أحمد بك إلى مصر .³

تم توقيع اتفاقية 4 يونيو 1805 في هذه الأثناء حلت بالمغرب سفارة طرابلسية تطالب الدعم والمساعدة بالمغرب فخطبها مولاي سليمان مؤكداً استجابته لطلبها، لكن سفن أمريكية اعترضت والسفن المغربية المحملة بالقمح في بوغاز جبل طارق وهي في طريقها إلى طرابلس ، مما أدى إلى الدخول في مواجهات عسكرية مع هذه

¹. اتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 ، مرجع سابق ، ص 322

². إمام سعيد الطويل ، البحرية الطرابلسية ، مرجع سابق ، ص 249

³. محمود أحمد الديك ، مرجع سابق ، ص 526

السفن بقيادة (الريس لوباريس) وكان السلطان مولاي سليمان بطنجة، فقد جاء في رسالة جوابية له على رسالة من قنصل أمريكا إن اللذين وصلوا إلينا من إخواننا المسلمين، كان من الصعب علينا إن نرد طلباتهم ، وحتى لو فرضنا أن طرابلس أعداء لكم، وتخليلوا أنهم وصلوا إلى دارنا فقد كان عليكم إلا تمسوهم فهم رعايا لجانينا.¹

في 3 يونيو 1805م تم دفع مبلغ 60 ألف قرش فقط لافتداء الأسرى الأمريكيين بعد أن قضوا تسعة عشر شهراً في الأسر، وتم جلاء القوات الأمريكية عن درنة، ورأت الحكومة الأمريكية من أجل مصالحتها التخلي عن حليفها أحمد القره مانلى الذي عاد إلى الإسكندرية في أواخر مارس 1805.²

في 20 أبريل بدأ مادي سون وزير الخارجية يفكر في إمكانية التوصل إلى الصلح بدون أي ثمن وذلك بعد أن وصلته أخبار نجاح عمليات القصف التي قام بها (برييل) على مدينة طرابلس ، وفي نفس الشهر اقترح الباشا عن طريق القنصل الإسباني اتفاقاً يقوم على أساس أن تدفع الولايات المتحدة الأمريكية مبلغ 200 ألف دولار كدفية وثمان للسلام ، وأن ترد له بالإضافة إلى ذلك جميع رعاياه من الأسرى بكامل ممتلكاتهم ، فرفض (الير) ذلك الاقتراح، وفي نفس الوقت كتب (بانبردج) قائد فيلادلفيا و(نيسن) قنصل الترويج في طرابلس ما يفيد بأنه يمكن الوصول إلى تسوية بدفع مبلغ 20 دولار فقط.³

¹. يوسف القره مالي – WWW:AR.Mowikipedia.org.wiki

². محمود أحمد الديك ، مرجع سابق ، ص 547

³. محمود أحمد الديك ، مرجع سابق ، ص 527

لعل الأمريكان قد سئموا خوض حرب ليس فيها منتصراً وأدركوا ذلك أرادوا أن يبحثون عن أسلوب جديد لعله يكون أجدى وأنفع لهم في إجبار ليبيا على التنازل والاستسلام. وفي صيف 1805 كان يوسف باشا متشوقاً إلى توقيع اتفاقية سلام أكثر من أي وقت مضى ذلك لإنقاذ الموقف الذي يواجهه، فقد هدم سقوط درنة ولفشل تعزيزاته التي بعث بها ، كما أداء ضعف قواته وعددها ومعداتها حاول أن يرير هزيمته، عن طريق تلك المبالغات التي يلتقطها من أسرى الحرب ويقراها على الناس.¹

إن الهجوم بالقوة البحرية الأمريكية وسياسة الحصار لم تستطع تحقيق أهدافها العسكرية أمام صلابة المقاومة وشدتها ولم تجد الولايات المتحدة الأمريكية مخرجاً سوى الاستعانة بالعملاء واتباع سياسة زعزعة الأوضاع وفي سنة 1805 غير يوسف باشا من سياسته حيال الدول التي انحازت للولايات المتحدة الأمريكية أو التي تدخلت في إيجاد المحن واعتبرت فرنسا هي المسؤولة عن ذلك، إنها كانت تعمل ضد مصلحة الباشا يوسف، وهكذا تخلى عن سياسة الصداقة القديمة مع فرنسا، وعاودا مهاجمة سفنها، وكانت الدول الأوروبية الصغرى هدفاً سهلاً في ابتزازها بضرورة دفع مبلغ مالي كبير من أجل تجديد الاتفاقيات معها.²

إن الأسطول الأمريكي رأى أن يحرز نصراً في عام 1805 وإلا تقرر استدعائه والانصراف إلى الحل الأخير إبقاء فرقاطة وسفينتين للحراسة، وفرقاطة وسفينتين للحراسة، وإبقاء الحصار المضروب وهنا يقع الحمل على حملة (إيتون) فالوقت محدود معلوم، (والكمودور بارون) يستطيع الاستفاد من العمليات البرية، كمرافقة للهجوم البحري، والاستفادة كاملة، وإن الشعب الأمريكي قد قرر منع التوسيع في

¹. ابتهاج خليفة أبو شينة وأخرون مشروع 2005 – 2006

². محمود أحمد الديك ، مرجع نفسه ، ص 547 – 548

تلك الفترة في الحرب بدل الذهاب فيها إلى النهاية الحاسمة في ربيع 1805 بالقرار الذي اتخذه (جفرسون) .¹

كان الوضع صعباً ودقيقاً وكان (ايتون) بأسوأ وقائماً ولكن خطرت له فكرة بينما كان يبحث عن حل ليجبر الجميع على متابعة الحملة بأي ثمن كان فقد أمر رجاله المسيحيين بإخفاء المؤن وحمائتها، وأن (ايتون) افلح في استئجار تسعين جملاً لنقل بضاعته إلى بومبا، وكذلك وعد أصحاب الجمال بالقافلة في التقدم خطوة أخرى بعد هرب الجمال بالقافلة ، وأراني أظن أن ثمة تفاهما بين أنصار (الباشا يوسف) من جهة وبين عرب (نهاري) من جهة أخرى حاول العودة إلى القيود ومنعنا عنهم مؤنتهم حتى تعود القافلة وحتى نستأنف السير من جديد إلى غاية إن عقد الاجتماع.²

في اليوم الذي كان جفرسون يكتب خلاصة أفكاره، الجديدة بشأن حرب طرابلس في مونتسليوا كان (ايتون) ذلك اليوم في راحة قدر أنه يمكن تجنيد بعض رجالها في جيشه وأن (ايتون) قد دفع 1500 دولار إلى الشيخ محمد على إن يتقاسمها هو الشيخ محمد واحتفظ (ايتون) بالنصيب الأكبر لنفسه وأعطى الشيخ محمد حقه منقوصاً.³

كتب ايتون يصف تلك الحادثة فترك الشيخ المكان وغادر المعسكر غاضباً، وهو يقسم بكل قوة دينه بألا يعود إلينا قط وكان يمكنه (الباشا يوسف) أن يوفد ضابطاً

¹جلين تکر ، معارك طرابلس ، مرجع سابق ، ص 588

² لويس رأيت ، وجوليا ماكليود ، مرجع سابق ، ص 271 - 272 - 275

³جلين تکر ، معارك طرابلس ، مرجع سابق ، ص 589 - 590

من قبله لتهدئة الجو، وإعادة الشيخ إلينا ولكن رفضت، فزعل الشيخ ومعه نفر قليل.¹

وفي ذلك اليوم رسم (ايتون) خطة جديد لدخول المدينة، ففي الوقت المتأخر من الليل² دخل (ايتون) وأحمد القره مانلى مدينة درنة في اليوم التالي وهو 1805/4/28م بعد معارك طاحنة ضحيتها العشرات من الضحايا من كلا الجانبين وبذلك تحققت الخطوة الأولى لإيتون لمواصلة السير إلى طرابلس وإسقاط (الباشا يوسف) العنيد.

في يوم 25 ابريل 1805 وصلت حملة أمريكية مع بعض المناوشين لحاكم إيالة طرابلس إلى مدينة درنة وحاصرتها ودعمها الأسطول الأمريكي في البحر، وكان مكون من ثلاث قطع حربية، وبدأت تقصف مدينة درنة، وفي المقابل استعد أهل درنة لمقاومة الغزاة واشتبك الطرفان المقاومة الليبية والغزاة في معركة فاصلة استخدمت فيها جميع أنواع الأسلحة المعروفة في ذلك الوقت واحتل الغزاة مدينة درنة وانزلوا العلم الليبي وارتفع العلم الأمريكي في قلعة المدينة وفي 13/11 يونيو 1805 وبعد ذلك تمت مفاوضات بين الجانبين انتهت بتوقيع اتفاق بين ليبيا والولايات المتحدة الأمريكية انتهت بها حالة الحرب بين الطرفين في نهاية عام 1805م.³

في الواقع إن عملية احتلال درنة ذاتها لم تدم طويلاً فقد وصلت الإمدادات التي أرسلها يوسف باشا بقيادة حسن المملوك من أجل استعادة درنة وطرد أحمد القره

¹لويس رأيت ، وجوليا ماكليود، مرجع سابق ، ص275 - 276

²جلين تكرر ، معاك طرابلس ، مراجع سابق ، ص 278 .

³. ابتهال خليفة أبو شينه ، وآخرون ، مشروع 2005 - 2006

مانلى وأنصاره والذين يجب عليهم التفكير في مواصلة السير إلى طرابلس بقدر كيفية احتفاظهم بدرنة في الوقت الحالي ، وفي 1085/5/29 أرسل إلى رؤسائه يخبرهم بذلك، وفي اليوم التالي ظهرت ثلاث بوارج حربية وسفينة شرعية ذات صاريين أمريكية في الأفاق ترفع على متنها مبلغ (60.000) دولار بالإضافة إلى عدة بنود أخرى تعالج العلاقات المستقبلية بين البلدين بما في ذلك قضية أحمد القره مانلى وأسرته ويتأكد من تخلي أمريكا عنه، وبعد هذه التسوية نزل العقيد (لير) إلى البر واستقبل يوسف باشا يوم 1805/6/3 ورفع العلم الأمريكي على مبني القنصلية، وأطلقت السفن الحربية الأمريكية مدافعها تحية لهذا الحدث التاريخي، وبالمقابل ردت عليها مدفعية القلعة، وقد أقر الباشا يوسف وبمجلس الديوان بنود هذه المعاهدة يوم 10 من نفس الشهر واعتمدها مجلس الشيوخ الأمريكي¹.

وبهذه المعاهدة انتهى ذلك الصراع المرير بين إيالة طرابلس الغرب والحكومة الأمريكية، فقد ترتب على هذا الصراع وتوقيع المعاهدة إلى زيادة اهتمام الحكومة الأمريكية بأسطولها والعمل على تطويره وتدعيمه، حتى أصبح هذا الأسطول يحتل مكانة كبيرة بين أساطيل الدول المختلفة، وكان لهذا الصراع الأثر الأكبر في رفع الروح المعنوية لدى الدول الأوروبية.²

الخاتمة

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى العديد من النتائج التي يمكن أدرجها في النقاط التالية:

¹. إ محمد سعيد الطويل ، البحرية الطرابلسية ، مرجع سابق ، ص 250 - 251 - 252

². ابن إسماعيل، عمر علي 1966م، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835م، ط

1، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا.ص113

أولاً- محاولة يوسف باشا تحسين الأوضاع الاقتصادية في إيالة طرابلس الغرب، وما صاحبها من ركود تجاري وتخفيض لقيمة العملة المتداولة والسبب في ذلك يكمن في المشاكل السياسية والحروب الأهلية العاصفة بالإيالة منذ أواخر القرن الثامن عشر، كما استطاع يوسف باشا تحويل طرابلس من الوضع المتدهور إلى مركز قوة.

ثانياً- كانت هذه الحرب بسبب الضرائب التي فرضها يوسف باشا على سفن الولايات المتحدة الأمريكية التي تمر من حوض البحر المتوسط قبالة السواحل إيالة طرابلس الغرب.

ثالثاً- كانت الحرب متسعة على طرابلس بسبب هبوط القوة السياسية والعسكرية .

رابعاً- تعرضت طرابلس لحرب طويلة لمدة أربعة سنوات مثل الحرب الطرابلسية الأمريكية.

خامساً- لم يكن الاعتقاد الأمريكي صحيحاً بأن الحرب الأمريكية ستؤثر في نفوس الليبيين بل كان العكس تماماً كانت حيث كانت المعنويات مرتفعة جداً .

سادساً- أدت هذه الهزيمة أمريكا بالمحصلة إلى توقيع اتفاقية مذلة لها مع إيالة طرابلس وتونس والجزائر والمغرب تدفع بموجبها تعويضاً إلى إيالات شمال أفريقيا عن كل ما حدث، وتدفع أيضاً الجزية مُضَاعَفَةً عن السابق والاعتذار للولايات الثلاث.

سابعاً- كانت الحرب الطرابلسية نقطة تحول في السياسة البحرية الأمريكية والاهتمام بها وتقويتها بحيث تمكنت من أن تملك أقوى أسطول بحري والتركيز على القوات البحرية خاصة، واتخذوا نشيداً لهذه الحادثة (فيلادلفيا) يردها جنود المارينز كل صباح إلى اليوم.

ثامناً- نتيجة هذه الأحداث التي وقعت على سواحل البحر المتوسط بين البحرية الطرابلسية والأمريكية أصبح الأسطول الأمريكي متواجد بشكل دائم في البحر المتوسط، وشكل نواة الأسطول السادس.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابتهاج خليفة أبو شينة وآخرون ، مشروع تخرج بعنوان الحروب الصليبية وامتدادها في تاريخنا الحديث والمعاصر 2005 - 2006 .
- 2- إبراهيم فتحي عبد السلام، التشريعات الجمركية في ضوء الفقه والقضاء، مطبعة أبناء وهبة حسان، القاهرة، 1991م.
- 3- أبو عجيلة محمد الهادي، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القره مانلية 1711- 1835م وأثر على علاقاتها بالدول الأجنبية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1997م.
- 4- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترجمة، خليفة التليسي، بيروت: دار الثقافة 1394 - 1974 .
- 5- الأنصاري أحمد بك النائب، النهل العدد في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، ليبيا.
- 6- أورين مايكل، القوة والإيمان والخيال، أمريكا في الشرق الأوسط منذ عام 1776 م حتى اليوم، ترجمة أسر حطية، الطبعة 1، دار الكلمة، الإمارات العربية، 2008
- 7- بروشين نيكولاي إيليتش، تاريخ ليبيا منذ منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين ترجمة، عماد حاتم ن ط 2 ، بيروت الكتاب الجديد المتحدة (د-ت)
- 8- برينا كوستاتزيو، طرابلس من 1510 إلى 1850، ترجمة خليفة التليسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1985م.
- 9- بن إسماعيل، عمر علي 1966م، انهيار حكم الأسرة القرمانيية في ليبيا 1795-1835م، ط 1، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا.

- 10- التليسي خليفة محمد، 1985م، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب ط2، الدار العربية للكتاب.
- 11- تيسير بن موسى، 1988م، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب.
- 12- جلين تکر، معارك طرابلس، ترجمة، عمر الريرازي، مجلة، طرابلس، مركز جهاد الليبيين الدراسات التاريخية، د - ت.
- 13- حبيل محمد عبد المجيد، إيالة طرابلس الغرب 1795-1858م دراسة لأنماط الأوضاع الاقتصادية، رسالة ماجستير، جامعة الزاوية، 2004م
- 14- الديك محمود أحمد، رؤية في الصراع الليبي الأمريكي، ط1، طرابلس، مركز الجهاد الليبي، د-ت،
- 15- السوري صلاح الدين حسن، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتي سنة 1911، ج 1، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا، 1795 - 1832 م، بيروت، الكتاب الجديد المتحدة .
- 16- السوري صلاح الدين حسن، ليبيا والتوسع الأمريكي 1776-1805م، ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج1، طرابلس، المركز الليبي للمحفوظات التاريخية 2011،
- 17- الطويل أحمد سيعد، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا، 1795 - 1832م، بيروت، الكتاب الجديد المتحدة .

- 18- عديد الشارف، دور الدبلوماسية الجزائرية في الصراع الطرابلسي الأمريكي، 1795-1801م، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، جامعة بابل، العدد33، 2017م
- 19- العربي إسماعيل، العلاقات الدبلوماسية من دول المغرب العربي والولايات المتحدة الأمريكية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978 ، الجزائر،
- 20- غلبون الطرابلسي عبدالله نحمد بن خليل ، 1967م، تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار، تحقيق الطاهر الزاوي، ط2 ، مكتبة النور، ليبيا.
- 21- فيرو شارل، الحوليات الليبية، ترجمة، محمد عبد الكريم الوافي، ج 1، طرابلس: مكتبة الفرجاني، د-ت
- 22- كولا فوليات، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرماني، عبد القادر مصطفى المعيشي، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م .
- 23- لويس رأيت، وجوليا ماركليود، الحملات الأمريكية على شمال إفريقيا، ترجمة، محمد روجي البعلبكي 1799 - 1805، طرابلس، مكتبة الفرجاني .
- 24- ميكاكي رودلفو، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرماني، طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا
- 25- المنتدى العربي للدفاع والتسليح، إصدار1يناير2010، يوسف القره مالي
- www.ar.m.wikibad.org/wik

اسم الجمع ودلالاته في كتاب عمدة القارئ للإمام بدر الدين العيني

الأسماء : (إيل ، آدم ، ثلاث ، خيل ، ركب ، رهط ، غنم ، نفر ، نسوة) أنموذجاً

إعداد: د. فوزي حسين الراشدي*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه وبعد: فإنّ مصطلح اسم الجمع من المصطلحات الدالة على الجمع، الذي استعمله العلماء قديماً وحديثاً، وإن كان من المفردات باعتبار لفظه، فهو من الجموع باعتبار معناه .

وهذه الدراسة - بعون الله - تتناول هذا القسم من الجموع من جانبين: جانب الاصطلاح العلمي، وجانب المعنى أو الدلالة، وذلك عن طريق تتبعه عند أحد شُراح الحديث النبوي، وهو الإمام بدر الدين العيني- رحمه الله - من خلال شرحه الموسوم ب(عمدة القارئ شرح صحيح البخاري)، وقد اخترته ميداناً لهذه الدراسة؛ لما يتمتع به هذا الشرح من ثروة لغوية دفيئة، ولا غرابة في ذلك؛ إذ يُعدّ صاحبه من أئمة النحو واللغة، فضلاً عن اشتغاله بعلم الحديث.

إشكالية البحث:

يحاول البحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

1- ما دلالات اسم الجمع في شرح العيني؟

* كلية الآداب، المرقب /قاعات القره بوللي

2- وقع خلط عند علماء اللغة قديماً بين المصطلحات الدالة على الجمع،

فهل انعكس هذا الأمر في شرح العيني؟

3- هل كان الإمام العيني موافقاً لأهل اللغة في استعماله مصطلح اسم الجمع

عند شرحه للنص النبوي؟

هدف الدراسة:

1- بيان الدلالات التي يحملها اسم الجمع داخل شرح العيني.

2- معرفة مدى اتفاق مذهب الإمام العيني مع أهل اللغة حول استعمال

مصطلح اسم الجمع، واختلافه معهم.

الدراسات السابقة:

لاشك إن كتاب عمدة القارئ للإمام العيني، قد قامت عليه العديد من

الدراسات، وربما تناولته من جوانب لغوية مختلفة؛ فكان ميداناً مهماً ونافعاً

لدارسين. ولكن من خلال اطلاعي على تلك الدراسات، وفي حدود علمي

المتواضع؛ لم أعثر على أي دراسة عالجت مصطلح (اسم الجمع) معالجة خاصة

ومستقلة داخل النص النبوي، سواء في شرح الإمام العيني، أو في غيره.

أما دراسة الجموع بشكل عام في الحديث الشريف: فهناك دراسة تحمل عنوان

(جموع التكسير في صحيح البخاري) بالجامعة الهاشمية / الأردن، للأستاذ: خالد

محمود شحادة، وهي رسالة ماجستير، ولكنها لم تتطرق إلى دراسة مصطلح اسم

الجمع .

وخارج ميدان الحديث الشريف هناك ثلاث دراسات :

الأولى- تحمل عنوان: (أسماء الجموع في القرآن الكريم) للدكتور محمد إبراهيم عمارة، وهو كتاب مطبوع، تناول فيه اسم الجمع ودلالاته في القرآن الكريم. ويعتبر هذا الكتاب من المراجع المهمة؛ لأنه يمثل دراسة خاصة ومستقلة لميدان مهم من ميادين اللغة، وهو القرآن الكريم.

والدراسة الثانية- تحمل عنوان: (اسم الجمع في العربية دراسة نحوية)، وهو بحث للدكتور خالد العبيدي، قد نشرته كلية العلوم الإسلامية ببغداد، وقد اشتمل البحث على خمسة مباحث :

المبحث الأول - (اسم الجمع ومفهومه عند النحاة)، ذكر فيه تعريفات لاسم الجمع، وبما يختلف عن غيره، ثم تطرق إلى ذكر أوزانه، واختلاف العلماء فيها من حيث إنها اسم جمع أو جمع .

المبحث الثاني - (الحمل على معنى اسم الجمع) ذكر فيه عودة الضمير على اسم الجمع: تارة بصيغة الجمع مراعاة للمعنى، وتارة بالإفراد مراعاة للفظ، وكذلك تذكير ضميره وتأنيثه حملاً على معنى الجمع والجماعة .

المبحث الثالث - (إضافة العدد إلى اسم الجمع)، حيث ذكر فيه اختلاف النحاة في جواز هذه المسألة ، كما أورد رأي جمهور النحاة وهو: أنّ الأصل في هذا أن يؤتى بمفسر هذا النوع مقروناً ب(من) .

المبحث الرابع - (دلالة اسم الجمع)، ذكر فيه أنّ دلالاته كدلالة الجمع، فيُطلق على الثلاثة فصاعداً، وقد يُطلق على المفرد والمنتى مجازاً .

المبحث الخامس - (جمع اسم الجمع) ذكر فيه آراء النحاة في جمع هذا الاسم .

الدراسة الثالثة - تحمل عنوان : (اسم الجمع : دراسة لغوية) وهي كتاب لمؤلفه د. نوح بن يحيى الشهري ، وجاء الكتاب في ثلاثة فصول:

الفصل الأول- بعنوان: (اسم الجمع ودلالاته) الذي تتبّع فيه آراء علماء اللغة حول هذا المصطلح، مستقياً آراء ثلاثين عالماً منهم، من بداية القرن الثاني الهجري وحتى العصر الحديث. وكانت الآراء التي استعرضها مختلفة فيما بينها كمّاً وكيفاً، والتي أظهرت فيما بعد الخلط القائم عند العلماء بين مصطلح اسم الجمع وغيره من المصطلحات الأخرى .

الفصل الثاني- بعنوان : (أوزان اسم الجمع)، وقد جمع مادة هذا الفصل من مصدر مهم من مصادر اللغة، وهو معجم (لسان العرب)، الذي توصل من خلاله إلى استخلاص خمسة وخمسين وزناً لاسم الجمع.

والفصل الثالث- بعنوان: (أحكام اسم الجمع)، تحدث فيه عن أحكام اسم الجمع الصرفية المتعلقة بتثنيته، وتصغيره، ونسبه، وأحكامه النحوية المتعلقة بوصفه وتذكيره، وتأنينه، والإشارة إليه، وعودة الضمير إليه. وتعتبر هذه الدراسة شاملة ومهمة لدارسي هذا المصطلح.

المنهج المستخدم :

لقد اعتمدت في بحثي هذا منهجاً، جمع بين الوصف والاستقراء، الذي يتخلله التقييم والتحليل، والمقارنة، ووفق المعايير والضوابط التي وضعها العلماء لهذا المصطلح، والتي تميزه عن غيره من المصطلحات الدالة على الجمع .

وخوفاً من تضخم البحث وتشعبه، ولضيق المجال؛ ارتأيت أن تكون الدراسة مقتصرة على عدة ألفاظٍ ، قد تخيرتها كنماذج للدراسة، وهي مدونة تحت عنوان البحث الرئيسي

خطة البحث:

التمهيد / وتضمن التعريف بالإمام العيني وكتابه، والتعريف بمصطلح اسم الجمع .

المطلب الأول- مصطلح اسم الجمع عند أئمة النحاة، وعند الإمام العيني .

المطلب الثاني - موقف العيني من المسائل الخلافية ، وتتضمن :

أولاً - لفظة (ركب) .

ثانياً- لفظة (نسوة)

المطلب الثالث - مذهبه في لفظتي : (إبل ، وغنم)

الخاتمة : عرضت فيها بإيجاز أهم نتائج البحث

التمهيد وتضمن :

1- التعريف بالإمام العيني وكتابه :

هو الإمام محمود بن أحمد بن موسى المعروف ببدر الدين العيني (ت762هـ) الذي عدّه المؤرّخون من علماء عصره، ونتاجه العلمي والقارئ له، يشهدان على مدى رسوخ قدمه في العلم، وذبوع صيته بين أهل زمانه، وذلك راجع

إلى ما يتمتع به من كثير اطلاع على مختلف العلوم كالتاريخ، والفقه، والتفسير، وعلوم القرآن، وعلوم اللغة والنحو، وعلاوة على ذلك فإنه كان قاضياً ومُحدثاً⁽¹⁾

ويعتبر كتابه (عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري) من المصنّفات المهمة التي اعتنت بشرح صحيح البخاري، وربما من أهم مؤلفات هذا العالم الجليل، وما يميّز هذا الشرح: هو اشتماله على مادة وفيرة ومتنوعة من علوم اللغة والنحو، التي لا ينضب ماؤها ولا يجف معينها. فلا تكاد تجد في ثنايا هذا الكتاب مسألة لغوية إلاّ والإمام قد أحاط بها، مُدلياً بدلوها فيها: إمّا بالشرح والتعليق تارة، أو بتصويب الآراء الخاطئة تارة أخرى .

2- تعريف اسم الجمع: " هو الاسم الدال على أكثر من اثنين، موضوعاً

لمجموع الآحاد المجتمعة دالاً عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسمّاه⁽²⁾

المطلب الأول

(مصطلح اسم الجمع عند أئمة النحاة، وعند العيني)

أولاً- مصطلح اسم الجمع عند النحاة :

يذكر الدارسون أنّ أول من ضبط مصطلح اسم الجمع، ووصفه للدارسين، ورسّخه في أدهانهم، وأرسى مفهومه، موضحاً الفروق التي بينه وبين الألفاظ المشاركة له في معنى الجمع - هو سيبويه إمام النحاة⁽³⁾

¹ (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي : 275/2

² (اسم الجمع في العربية ، خالد العبيدي ، ص415 .

³ (أسماء الجموع في القرآن الكريم ، محمد إبراهيم عمارة : ص13 - 14

وقد ذكر سيبويه هذا المصطلح في غير موضعٍ من كتابه، حيث يقول: "وأما ما كان اسماً لجمع مؤنث لم يكن له واحدٌ، فتأنيثه كتأنيث الواحد، لا تصرفه اسم رجل، نحو: إبل، وغنم؛ لأنه ليس له واحد" (1)، ويقول في موضع آخر: "باب ما هو اسم ما يقع على الجميع لم يُكسر عليه واحده، ولكنه بمنزلة (نقر) و(قَوْم) و(ذود) إلا أن لفظه من واحده، وذلك قولك: سَفَرٌ وركبٌ" (2)

ومن خلال نصي سيبويه يتبين أن اسم الجمع عنده نوعان:

أحدهما - ما تضمّن معنى الجمع ولا واحد له من لفظه نحو إبل وغنم، فمفردهما : بغير وناقاة، وشاة.

والآخر - ما له واحد من لفظه نحو : ركبٌ وسفَرٌ اللذين مفردهما راكب وسافر. وقد استخدم مصطلح اسم الجمع غير واحدٍ من النحاة، منهم: المبرد (ت210 هـ) الذي يقول في مقتضبه: "وأما قولهم خادم وخدم، وغائب وغيب، فإنّ هذا ليس بجمع فاعل على صحة؛ إنّما هي أسماء للجمع ولكنه في بابه، كقولك: عمود وعمُد وأفيق وأُفُق (3)، وابن السراج (ت316هـ) في أصوله (4)، وابن سيده (ت458هـ) في محكمه (5).

¹ الكتاب: 240/3

² المصدر نفسه : 624/3.

³ المقتضب : 218/2

⁴ يُنظر الأصول في النحو : 31/3.

⁵ يُنظر المحكم : 39 /1 ، 35/2 ، 363/10.

وقد اختار د . نوح الشهري في إحدى دراساته ثلاثين عالماً، من علماء العربية، مستعرضاً آرائهم حول استعمالاتهم لمصطلح اسم الجمع، وقد تبين له في نهاية الأمر، أنّ العلماء قديماً قد وقع اختلافهم في تحديد مصطلح اسم الجمع ، فهناك من سمّاه جمعاً ، وهناك من سمّاه اسم جنسٍ؛ ممّا نتج عنه وقوع الخلط بين المصطلحات الدالة على الجمع فيما بعد ⁽¹⁾ ومن هؤلاء العلماء الذين ذكروهم :

1- الفراء (ت207هـ) الذي يرى " كلُّ ماله واحد من تركيبه سواء كان اسم جمع كباقر وركب، أو اسم جنس كتمر وروم ، فهو جمع " ⁽²⁾

2- الأخفش سعيد بن مسعدة (ت215هـ)، الذي صنّف (ركب) و(سفر) من جموع التكسير ⁽³⁾

3. ابن فارس (ت395هـ) الذي عقد في كتابه الصاحبي فصلاً سمّاه : (من الجمع الذي لا واحد له)، وذكر فيه من أسماء الجموع : الإبل، والغنم، والرهد، والنقر ⁽⁴⁾

4. ابن الشجري(ت542هـ) في كتابه الأمالي: يساوي بين اسم الجمع واسم الجنس الجمعي، فيقول: " السحاب، والحمام، والنخل، والشجر، وما أشبههن ممّا وقع الفرق بينهن وبين واحده بناء التانيث؛ فليست بجموع حقيقة ، وإتّما هي أسماء للجمع "⁽⁵⁾

¹ يُنظر اسم الجمع (دراسة لغوية) ، نوح الشهري: ص25

² يُنظر شرح الكافية للرضي الاسترأبادي : 367/3.

³ . يُنظر المصدر نفسه والموضع نفسه

⁴ يُنظر الصاحبي في فقه اللغة : 196/1 .

⁵ يُنظر الأمالي لابن الشجري : 47/2

5. ابن مالك (ت672هـ)، الذي لم يفرّق بين اسم الجمع، واسم الجنس الجمعي : فيورد في باب اسم الجمع ألفاظاً هي من قبيل اسم الجنس الجمعي منها: تمرّ وتمرة ، وثيقٌ وثيقةٌ، وشجرٌ وشجرة (1)

وإذا عدنا إلى نهج سيبويه في تعامله مع هذه المصطلحات، وجدناه قد وضع فروقاً تميّز بينهما حتى صارت أدلة على صحة مذهبه منها (2) :

1- إنّ أسماء الجمع، لا تخضع لأوزان جمع التكسير .

2- إنّ كلاً من سفرٌ وركبٌ، يُصغران على لفظيهما، فقالوا: سفيرٌ، ورُكيبٌ، ولو كانا من جموع التكسير، لصغرا على لفظ مفرديهما .

3. إنّ جموع التكسير، لا تُجمع جمعاً سالماً؛ وبذلك يبطل المذهب القائل أنّ (سراة) التي مفرداها سري اسم جمع ؛ لأنّها قد جُمعت على (سروات) ، في حين إنّنا لم نسمع فضيات جمعاً لقضاة .

4- التذكير: فيقال: هذا أديم وأدم . وهذا لا يتأتى في جموع التكسير؛ إذ لا يصح هذا كتاب وكُتّب، بل هذه كُتّب. وقد اجتمعت الأدلة الثلاثة أعني: التذكير والتصغير والوزن في اسمي الجمع (ياقر، وجامل)؛ لأنّ التذكير يلزمهما، كما أنّهما على زنة فاعل، التي ليست من أوزان جموع التكسير، ويصغران على لفظيهما فيقال: بويقر وجويمل.

¹ يُنظر شرح التسهيل : 59/1

² يُنظر الكتاب : 624/3 - 625 .

وعلاوة على ما وضعه سيبويه من أدلة، تمثلّ فوارق بين اصطلاحى اسم الجمع والجمع - وضع علماء آخرون ما يمكن أن يُفَرَّق به بين اسم الجمع ومصطلحين آخرين يشاركانه في الدلالة على الجمع؛ وهو: اسم الجنس الجمعي والإفرادى، ولعلّ من أبرز الفوارق التي ذكروها (1) :

1. إنّ اسم الجمع يدل على أكثر من اثنين، وفي الغالب لا يوجد له مفرد من لفظه، وإنّ وُجد لم يفرق بينه وبين مفرده بالتاء، أو الياء نحو رُكْب وراكب، وبذلك يختلف عن اسم الجنس الجمعي نحو تمر وتمرة، أو زنج وزنجي .

3- اسم الجنس الإفرادى ليس له واحد من لفظه، ويدل على القليل والكثير نحو تُراب وماء.

ثانياً - مصطلح اسم الجمع عند الإمام العيني:

يمكن القول إنّ الإمام العيني استطاع تعريف اسم الجمع، كما هو الحال عند أهل اللغة، فقال: " والخيل اسم جمع للعرب والبراذين (2) ، ذكرورها وإنّاتها كالركب، ولا واحد لها من لفظها، وواحداه فرس " (3) .

¹ يُنظر شرح الشافية للرضي الاسترابادى : 178، 193، 195 .

² العرب : الخيول العربية ، والبراذين : غير العربية مفردها برذون . لسان العرب لابن منظور: (ب ر ذ ن)

³ يُنظر عمدة القارئ : 35/9

وهو بهذا يقترب من تعريف سيبويه لهذا المصطلح، الذي يدلُّ على ثلاثة فصاعداً، وهذا أمرٌ متعارف عليه. وفي شرحه ذكر العيني ألفاظاً صرَّح بأنها من قبيل اسم الجمع، فوافق مذهبه مذهب أهل اللغة، من ذلك:

1. (الأدم) - وهو عند العيني اسم جمع، حيث يقول: "الأدم وهو بفتحين اسم جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ" (1)، وهو رأي سيبويه أيضاً (2) ويرجِّح السمين الحلبي مجيء صيغة (فَعَل) بفتحين اسم جمع لا جمعاً، ويستدل على ذلك بأنَّ (فَعَل) ليس من أبنية الجمع (3)، وهو رأي أبي حيان في تفسيره (4).

غير أنَّ ابن عطية خالفهم، وذهب مذهب أبي الحسن في أنَّ (سَلَف) بوزن (فَعَل) في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِالْآخِرِينَ﴾ (5) جمع سالف (6).

2- (الثلاث) - في رده على من ذهب إلى أنَّ (الثلاث) جمع ثلاثة في حديث: ﴿آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أُوْتِمِنَ خان﴾ (7)؛ رجَّح العيني أن يكون (الثلاث) اسم جمع لا جمعاً، حيث قال: "لا نسلم أنَّ الثَّلاث جمع

¹ يُنظر المصدر نفسه : 48/17 .

² يُنظر الكتاب لسيبويه : 625/3 .

³ يُنظر الدر المصون : 600/9 .

⁴ يُنظر البحر المحيط : 383/9 .

⁵ الزخرف : 56 .

⁶ يُنظر المحرر الوجيز : 60/5 .

⁷ عمدة القارئ ، باب علامات المنافق ، (حديث رقم : 33).

، بل هو اسم جمع، ولفظه مُفرد، على أن التَّقْدِير: آية المنافق معدودة بالثلاث
 «(1)» .

3- (الخيَل): اسم جمع عند العيني، ولا واحد له من لفظه، وقد صرَّح بذلك في
 قوله: " والخيَل اسم جمع للعرب والبراذين ذكورها وإناثها كالركب، ولا واحد لها من
 لفظها، وواحدتها: فرس" (2) .

وقد ترد الخيل بالمعنى المجازي: فتدل على الفرسان، وقد وُجد هذا المعنى عند
 العيني عند شرحه لحديث: " بَعَثَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَيْلاً قَبْلَ نَجْدِ
 فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي
 الْمَسْجِدِ " (3) فقال: (بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً) أي: فرسان خيل، وهذا
 من ألطف المجازات وأحسنها " (4)

وبهذا يوافق مفسري القرآن في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ
 وَرِجَالِكَ﴾ (5) أي بفرسانك، ورجالتك (6)

¹ عمدة القارئ : 218/1

² المصدر نفسه : 35/9

³ المصدر نفسه ، باب الربط والحبس في الحرم ، حديث رقم : (3242) .

⁴ المصدر نفسه : 22/18 .

⁵ الإسراء : 46.

⁶ يُنظر أسماء الجموع في القرآن الكريم، محمد إبراهيم عبادة : ص 127 .

4. (الرَّهْطُ): وهو اسم جمع عند الإمام العيني، حيث يقول: " الرَّهْطُ من ثلاثة إلى عشرة، والنفر من ثلاثة إلى تسعة، وكل منهما اسم جمع لا واحد له، ولا مُنافاة بينهما من حيث المعنى"⁽¹⁾ فساوى بينهما في الدلالة على القلة، غير أنه في مواضع أخر جعل الرهط دالاً على الكثرة فذكر: أن الرهط يكون من ثلاثة إلى أربعين، ولا واحد له من لفظه⁽²⁾ وعلى هذا المعنى فسر (الرهط) الوارد في حديث عبادة بن الصامت: " بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ليلة العقبة في رهط، فقال: أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَشْرَبُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ"⁽³⁾ بأنه اثنا عشر رجلاً، وهم النقباء الذين اختارهم النبي - صلى الله عليه وسلم - على أقوامهم في الدعوة إلى الإسلام⁽⁴⁾

وهذا الاختلاف في التفسير؛ رُبَمَا هو ناتج عن اختلاف العلماء في دلالة (الرهط) ، وقد نقل العيني عنهم هذا الاختلاف في غير موضع من شرحه، من ذلك قوله: " وقد قال أهل اللُّغَةِ: إِنَّ الرَّهْطَ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ لَا يَكُونُ فِيهِمْ امْرَأَةٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةَ رَهْطٍ﴾"⁽⁵⁾

⁽¹⁾ عمدة القارئ: 154/20 .

⁽²⁾ يُنظَر المصدر نفسه: 196/1

⁽³⁾ عمدة القارئ ، باب : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، حديث رقم : (7468)

⁽⁴⁾ يُنظَر المصدر نفسه: 158/1

⁽⁵⁾ النمل : 48 .

قال ابنُ دريد: ربما جاوز ذلك قليلاً" (1) وقد اختلف العلماء في اسم الجمع، من حيث دلالاته على القلة أو الكثرة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول - يرى أنّ بعض أسماء الجموع تدل على القلة، وبعضها يدل على الكثرة، ومرجع ذلك إلى السماع.

والثاني - يرى أنّها ألفاظ مبهمة، لا تختص بقلة أو بكثرة.

الثالث - يرى أنّها تختص بالكثرة (2).

5. (النَّفَر): وهو عند العيني اسم جمع، وقد صرَّح بهذا عند شرحه لقوله - صلى الله عليه وسلم - "(أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ)" (3) حيث يقول: " والنفر ليس بجمع، قلت: النَّفْر اسم جمع في وُفُوْعِهِ تَمْيِيزًا كَالجَمْعِ " (4)، كما أنّه يحدّد دلالاته على القلة، فيقول: " النَّفْر والنْفِير: عدّة رجال من ثلاثة إلى عشرة، وجمع النَّفْرِ: أنْفَار وأنْفِرَة ونِفْرَاء. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: نفر الرجل رهطه. فإن قلت: فعلى هذا التّقدير أقل ما يُفهم منه ههنا تسعة رجال؛ لأنّ أقل النَّفْرِ ثلاثة؟ لكنه ليس كذلك، إذ لم يكن المقبولون إلاّ رجالا ثلاثة. قلت: معناه ثلاثة هي نفر، كأنّ النَّفْر هو بيان للثلاثة، أو المراد من النَّفْرِ معناه العرفيّ، إذ هو

(1) عمدة القارئ : 1/158.

(2) يُنظر اسم الجمع (دراسة لغوية) ، نوح الشهري : ص 45 .

(3) عمدة القارئ : 31/2، كتاب العلم (حديث رقم : 66) .

(4) عمدة القارئ : 2/32 .

بِحَسَبِ العَرَفِ يُطْلَقُ عَلَى الرَّجُلِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: ثَلَاثَةُ رِجَالٍ⁽¹⁾ ويقول في موضع آخر: " وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرِّجَالِ خَاصَّةً، ما بين الثَّلَاثَةِ إِلَى العَشْرَةِ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ"⁽²⁾

ومصطلح (النَّفَر) ارتبط معناه في شرح العيني بالقرابة، التي تمثل أهل المرء وعشيرته التي ينتمي إليها، وقد تكرر هذا في أكثر من موضع في شرحه⁽³⁾

المطلب الثاني (موقف الإمام العيني من المسائل الخلافية)

أولاً- لفظة (رُكْب):

ذكر العيني لفظاً في شرحه؛ كان مثار خلافٍ واسعٍ بين النحاة قديماً. هذا اللفظ هو (رُكْب)، بوزن (فَعَل) .

وهذه الصيغة جزم سيبويه بأنها من صيغ اسم الجمع؛ للأسباب التي تم ذكرها آنفاً، وأهمها: أنها ليست من صيغ الجمع. وقد سار على نهج سيبويه أغلب النحاة، وصنّفها الأخفش من جموع التكسير.

أمّا الإمام العيني، فإنّ رأيه كان متبايناً في شرحه : فهو لم يرجّح رأياً عن رأي آخر بل كان يأخذ بهذا تارة، ويأخذ بذاك تارة أخرى، وكانت آراؤه على النحو التالي:

⁽¹⁾ المصدر نفسه : 32/2 .

⁽²⁾ المصدر نفسه : 103/6

⁽³⁾ يُنظر المصدر نفسه : 99/12، 88/15، 153، 21/20

1. يصرّح بأنّ اللفظة من أسماء الجموع. ففي قوله: "والخيل اسم جمع للعراب والبراذين ذكورها وإنانها كالركب" (1). يصرّح العيني في نصه السابق بأنّ الخيل اسم جمع كالركب، فهذا اعتراف منه بأنّ (الرَّكْب) اسم جمع.

2- يكتفي بنقل رأي سيبويه والأخفش، دون أن يأخذ بأحدهما، من ذلك قوله: "رَكْبٌ بفتح الرَّاء جمع راكب كتَجْرٌ وتاجر وقيل اسم جمع كقوم وذود وهو قول سيبويه (2).

3- يأخذ بمذهب الأخفش، فيقول: "الرَّكْب بفتح الرَّاء وسكون الكاف: جمع راكب، كتَجْرٌ جمع تاجر" (3).

ويطلق الرَّكْب لغة على راكبي الإبل في السفر، وهم العشرة فما فوقها، فانحصرت دلالاته في الكثرة (4)، وإلى هذا ذهب العيني معتمداً على أقوال أهل اللغة حيث يقول: "والركب: أصحاب الإبل في السفر، وهو للعشرة فما فوقها قاله: ابن السكيت وغيره، وقال ابن سيده: أرى أنّ الركب يكون للخيل ولإبل، وفي التّنزيل ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ (5) فقد يجوز أن يكون منهما جميعاً وقول عليّ - رضي الله

¹ عمدة القارئ : 35/9

² يُنظر المصدر نفسه : 84/1، والكتاب : 624/3 حيث قال : فالرَّكْب لم يكسر عليه راكبٌ. ألا ترى أنك تقول في التحقير: ركيبٌ وسفيرٌ "

³ المصدر نفسه : 49/17، وشرح الشافية للرضي : 203/2.

⁴ يُنظر لسان العرب، لابن منظور : (ر ك ب)

⁵ الأنفال : 42.

عنه- ما كان معنا يومئذ فرس إلا فرس عليه المقداد بن الأسود يُصَحَّح أَنَّ الركب ههنا ركاب الإبل " (1)

وحَدَّده بثلاثين رجلاً ، في حديث " عَنِ الرَّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أَنَّ عبد الله بن عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرْقِلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ فَرَسٍ " (2)

وخالف ابن عطية مفسري القرآن: فذهب إلى أَنَّ الركب يدل على القلة مستدلاً بحديث للنبي - صلى الله عليه وسلم - قد ساقه أثناء شرحه لقوله تعالى: ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ (3) فقال: " وقال القتيبي: الركب العشرة ونحوها، وهذا غير جيد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، قد قال: والثلاثة ركب " (4) . وحصره أبو حيان في دلالاته على شيتين: أحدهما- الرجال الذين يصل عددهم إلى أربعين .

والآخر - مجموعة الإبل في السفر. فدلالة الركب عنده كانت على الكثرة (5) . وذهب الألويسي (1270هـ) مرجحاً رأي سيبويه في ضبطه للمصطلح، فقال: " وَالرَّكْبُ: أي العير، أو أصحابها أبو سفيان وأصحابه، وهم اسم جمع راكب لا جمع على الصحيح " (6) .

(1) يُنظر عمدة القارئ : 84/1 ، 80 / 8

(2) يُنظر عمدة القارئ ، باب الإيمان، حديث رقم (6)

(3) الأنفال: 42 .

(4) المحرر الوجيز : 533/2 ، والحديث في سنن الترمذي ، باب كراهية أن يسافر الإنسان وحده ، رقمه : 1674 ، ونصه: " الرَّكْبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ " .

(5) يُنظر البحر المحيط : 328/5

(6) روح المعاني : 204/5 .

وهو رأي السمين الحلبي في تفسيره، فيقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾⁽¹⁾: " وَالرَّكْبُ اسْمٌ جَمْعٌ لِرَاكِبٍ لَا جَمْعَ تَكْسِيرٍ لَهُ خِلَافاً لِلأَخْفَشِ لِقَوْلِهِ:

بَيِّنْتُهُ مِنْ عُسْبَةٍ مِنْ مَالِيَا ... أَخْشَى رُكْبِيًّا أَوْ رُجَيْلًا غَادِيَا

فَصَغَّرَهُ عَلَى لَفْظِهِ، وَلَوْ كَانَ جَمْعاً لَمَا صَغَّرَ عَلَى لَفْظِهِ " ⁽²⁾، فَرَجَّحَ السَّمِينُ الْحَلْبِي

رَأْيَ سَبِيئِيهِ، مَسْتَدَلًّا بِتَصْغِيرِهِ عَلَى لَفْظِهِ، وَهُوَ تَرْجِيحُ الْفَارْسِيِّ أَيْضاً نَقْلَهُ ابْنُ مَنْظُورٍ⁽³⁾، وَذَهَبَ الْقُرْطُبِيُّ (671هـ) إِلَى أَنَّ الرُّكْبَ جَمْعُ رَاكِبٍ، فَأَخَذَ بِرَأْيِ الأَخْفَشِ، وَخَصَّهُ بِرَاكِبِي الإِبِلِ وَالْجَمَالِ⁽⁴⁾؛ فَخَالَفَ بِذَلِكَ مَذْهَبَ سَبِيئِيهِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ.

ثَانِيًا - لَفْظَةُ (نِسْوَةٌ):

اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي (نِسْوَةٌ) عَلَى فَرِيقَيْنِ: أَحَدُهُمَا - يَقُولُ: إِنَّهَا اسْمُ جَمْعٍ. وَهُوَ رَأْيُ الأَقْدَمِينَ مِنَ النُّحَاةِ كَسَبِيئِيهِ، حَيْثُ يَقُولُ: " تَقُولُ فِي الإِضَافَةِ إِلَى نِسَاءٍ: نِسْوِيٌّ، أَنَّهُ جَمَاعُ نِسْوَةٍ، وَلَيْسَ نِسْوَةٌ بِجَمْعٍ كَسَرٍ لَهُ وَاحِدٌ"⁽⁵⁾ وَالْمَبْرِدُ⁽¹⁾ وَنُسِبَ هَذَا الرَّأْيُ إِلَى الزَّجَاجِ⁽²⁾ وَالزَّمْخَشَرِيِّ ذَكَرَهُ فِي تَفْسِيرِهِ⁽³⁾.

¹ الأُنْفَالُ : 42

² الدر المصون : 12/5

³ يُنْظَرُ لِسَانِ الْعَرَبِ : (ر ج ل)

⁴ الجامع لأحكام القرآن : 21/8

⁵ الكتاب : 379/3.

والفريق الآخر - يذهب إلى أنها من جموع القلة التي لا واحد لها من لفظها والصيغة تؤيد ذلك ، ولها نظير في الجمع: وهو صِيبِيَّةٌ وِغْلَمَةٌ . وأخذ بهذا الرأي ابن عطية في تفسيره، فقال " ونسوة جمع قلة لا واحد له من لفظه ... وهو أحد الأبنية الأربعة لأدنى العدد " (4) ، وأبو حيان (5) ، والألوسي (6) ، والتزم الحياض السمين الحلبي (7)

وقد أخذ الإمام العيني برأي سيبويه، مستدلاً بقول الزمخشري. فعند شرحه لحديث: " جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً " (8) قال: " قال ابن التَّين: التَّقْدِير: جلس جماعة إحدى عشرة، ومثل هذا ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (9) وَقَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي ولذلك لم يلحق فعله تاء التَّأْنِيثِ. انتهى، قلت: كذلك هنا (إحدى عشرة امرأة) نسوة، فذلك نَكْرُ الفعل " (10). فهو بذلك يذهب ضمناً إلى أن (نسوة) اسم جمع؛ ولذلك يجوز تذكير الفعل وتأنيثه.

¹ يُنظر المقتضب : 292/2.

² يُنظر روح المعاني : 416/6، والبحر المحيط : 305/1 .

³ يُنظر الكشف : 462/2

⁴ المحرر الوجيز : 237/3.

⁵ يُنظر البحر المحيط : 305/1 .

⁶ يُنظر روح المعاني : 416/6.

⁷ يُنظر الدر المصون : 347/1.

⁸ عمدة القارئ ، باب حسن المعاشرة مع الأهل ، حديث رقم : (9815)

⁹ يوسف : 30

¹⁰ عمدة القارئ : 169/20

المطلب الثالث

(مذهب الإمام العيني في لفظتي: إبل، وغنم)

ذكر العيني أسماء في شرحه، وكان النحاة يعتبرونها من أسماء الجموع، ولكن العيني كان له رأي آخر؛ فوضعها تحت مصطلح (اسم الجنس)، وهو مصطلح غير كافٍ لتحديد معنى الكلمة، ومن هذه الأسماء:

1. (الإبل): أطلق العيني على هذا الاسم مصطلح (اسم جنس صالح للجمع والمفرد)⁽¹⁾، وهو بذلك يذهب به إلى اسم الجنس، الذي تعارف النحاة على تسميته باسم (الجنس الإفرادي)، الذي يصلح للقليل والكثير⁽²⁾ وهو رأي ابن حجر العسقلاني في شرحه⁽³⁾

وما ذهبوا إليه يخالف ما عليه أهل اللغة؛ الذين يرون أنّ (الإبل) من أسماء الجموع⁽⁴⁾؛ يقول الجوهري (393هـ): "وهي مؤنثة؛ لأنّ أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها، إذا كانت لغير آدميين، فالتأنيث لها لازم، وإذا صغرتها دخلتها التاء فقلت: أُبيلة وحكى سيبويه إبلان، قال: لأنّ إِبلاً اسم لم يُكسّر عليه"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ المصدر نفسه : 218/1

⁽²⁾ يُنظر أسماء الجموع في القرآن الكريم ، محمد إبراهيم عبادة : ص7.

⁽³⁾ يُنظر فتح الباري : 321/4

⁽⁴⁾ يُنظر الكتاب لسبويه : 574/3

⁽⁵⁾ الصّاح : (أ ب ل)

وينقل الزبيدي (1205هـ) إجماع أهل اللغة على أنّ (إبل) اسم جمع؛ فيقول: " وقوله: ليس بجمع صحيح؛ لأنه ليس في أبنية الجموع فعل بكسرتين، وقوله: ولا اسم جمع فيه شبه تناقض مع قوله بعد: تصغيرها أبيلة؛ لأنه إذا كان واحداً وليس اسم جمع فما الموجب لتأنيثه إذن؟ مع مخالفته لما أطبق عليه جميع أرباب التأليف من أنه اسم جمع ومقتضاه أنه اسم جمع، كغنم وبقر، وقد صرح به الجوهري، وابن سيده، والفارابي، والزبيدي، والزمخشري، وأبو حيان، وابن مالك، وابن هشام، وابن عصفور، وابن إياز، والأزهري، وابن فارس " (1) وإلى هذا نحا بعض مفسري القرآن (2)، حيث يقول السمين الحلبي: " (الإبل): اسم جمع واحد بهير، وناقاة، وجمل، وهو مؤنث؛ ولذلك تدخل عليه تاء التأنيث حال تصغيره، فيقال: أبيلة ويُجمع آبال" (3).

2. (الغنم): والأمر نفسه حدث مع هذا اللفظة؛ حيث أطلق عليها الإمام العيني مصطلح (اسم الجنس) (4)، وقد عدّها أهل اللغة من أسماء الجموع، وتدخلها الهاء في التصغير؛ " لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها، إذا كانت لغير الآدميين؛ فالتأنيث لها لازم يقال: له خمس من الغنم ذكور، فيؤنث العدد وإن عنيت الكباش" (5).

¹ (أ ب ل) تاج العروس

² يُنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 36/20.

³ الدر المصون: 770/10.

⁴ يُنظر عمدة القارئ: 136/1

⁵ لسان العرب لابن منظور: (أ ب ل)

ويبدو أنّ استعمال الإمام العيني لمصطلح (اسم الجنس) غير كافٍ في تحديد معنى الكلمة؛ لأنّ اسم الجنس عند أهل اللغة لا يخلو حاله من ثلاث⁽¹⁾:

الأول - أن يكون اسماً للجنس الجمعي: وهو ما يفرق بينه وبين مفرده بالتاء أو الياء، واللفظتان ليستا كذلك.

الثاني - أن يكون اسماً للجنس الإفرادي: وهو ما لا واحد له، ويدل على القليل والكثير، نحو ذهب، وعسل، وماء واللفظتان لهما مفرد من معنيهما وهما شاة، وناقة.

الثالث - اسم الجنس الأحادي: وهو ما أُريد به واحد غير معيّن، وذلك نحو ذئب وأسد ورجل واللفظتان تدلان على معنى الجمع، فلم يبقَ إلّا اسم الجمع الذي يجب تأنيثه وهو الأقرب إلى الأخذ به.

نتائج البحث:

بعد هذه الدراسة المختصرة لمصطلح اسم الجمع، واستعمالاته عند العيني، وعند غيره من العلماء؛ نصل إلى الخاتمة التي نسجل فيها ما يمكن تسجيله من ملاحظات أو نتائج، والتي أتمنى من الله العليّ القدير أني قد وفّقت في استخلاصها وأهمها:

1. إنّ الإمام العيني كان في استعماله لمصطلح اسم الجمع موافقاً لمذهب أهل اللغة في مواضع، ومخالفاً لهم في غيرها؛ فقد وافقهم في (الخيّل، والرهُط، والنَّقر،

⁽¹⁾ معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي: ص56.

والأدم، والثلاث) على أنها من أسماء الجمع، وخالفهم في أن (الإبل، والغنم) من قبيل اسم الجنس؛ ولعل هذا مردّه إلى تأثره ببعض مذاهب أهل اللغة.

2. أسماء الجموع عند العيني، دلّ بعضها على القلة كالنَّقر، وبعضها على الكثرة كالرَّهط، وهذا يدحض الرأي القائل بأنّ أسماء الجمع تدلّ على الكثرة فقط.

3. استعمل الإمام العيني مصطلح (اسم الجنس) في شرحه، من دون أن يقيدَه بكلمتي (الإفرادي) أو (الجمعي)؛ ممّا قد يُحدث لبساً أو خلطاً بين المصطلحين.

4. لم يتضح مذهب الإمام العيني في لفظة (ركب)؛ فهو متذبذب بين رأي سيبويه والأخفش، ولكن في استعماله للمصطلح كان موافقاً لأهل اللغة، الذين يرون أنّ الركب خاص براكبي الإبل، وكذلك في دلالاته على الكثرة. وقد أخذ بمذهب سيبويه في لفظة (نسوة).

5. كان موقف الإمام العيني من بعض الألفاظ محايداً؛ فلم يتبنّى مذهباً معيناً؛ ولذلك كان يستعمل عبارة: (هو جمع وقيل اسم جمع⁽¹⁾) وفي المقابل نرى أنّ بعض العلماء الآخرين كالفارسي، والسّمين الحلبي، والألوسي، يُرجّحون أنّها من أسماء الجموع.

6. لم ينضبط مصطلح اسم الجمع عند بعض العلماء قديماً؛ فيخلطون بين المصطلحات الدالة على الجمع، وهو ما لاحظناه في مذهب الفراء والأخفش وغيرهما؛ ولذلك يقول الألوسي: " وأنّاس: إمّا جمع أو اسم جمع، وذكر السعد أنّ أهل اللغة يسمون اسم الجمع جمعاً " ⁽²⁾ وقد انعكس هذا الشيء على شرح

⁽¹⁾ عمدة القارئ : 84/1، 304، 58/17

⁽²⁾ روح المعاني : 83/5

الحديث بما فهم الإمام العيني نفسه ، الذي كان تأثره واضحاً بمذاهب أهل اللغة المختلفة .

7- اعتمد الإمام العيني في شرحه لنصوص الحديث النبوي على ملكته اللغوية، وعلى ما أجادت به قريحته العلمية ؛ فاستعمل مصطلح اسم الجمع معرفاً، وموضّحاً ومفسراً به كثيراً من النصوص النبوية؛ فكان موافقاً لما عليه أهل اللغة.

8. اسم الجمع له مصطلحه الخاص به، وله دلالاته، وكذلك صيغته التي تميّزه عن غيره من الجموع، وبهذا استطاع أهل اللغة كسيبويه ومن نحا نحوه التفريق بينه وبين غيره من المصطلحات.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- 1- اسم الجمع دراسة لغوية، نوح بن يحيى الشهري، ط1، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة 2020م .
- 2- أسماء الجموع في القرآن الكريم، محمد إبراهيم عمارة، منشأة معارف الإسكندرية
- 3- الأصول في النحو، ابن السراج ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ط 3، الرسالة، بيروت 1408هـ .
- 4- الأمالي، ابن الشجري، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 5- البحر المحيط، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- 6- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا.
- 7- تاج العروس، الزبيدي، دار الهداية.
- 8- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط 2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1994م.
- 9- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، السمين الحلبي، دار القلم، دمشق.
- 10- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ
- 11- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط 2، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1975 م.

- 12- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط 1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. 1990م .
- 13- شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاسترأبأذي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م.
- 14- شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الاسترأبأذي، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة قاريونس، ليبيا، 1975م .
- 15- الصأحي في فقه اللغة، أحمد ابن فارس، ط1، الناشر محمد علي بيضون، 1997م.
- 16- الصأح في اللغة، الجوهري، ط 4، دار العلم للملأيين، بيروت، 1987م
- 17- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 18- فتح البارئ شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- 19- فيض البارئ على صحيح البخاري، محمد أنور شاة الكشميري، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت، 2005م .
- 20- الكتاب، سيويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط 3 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م .
- 21- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ط/3، دار الكتاب العربي، بيروت 1407هـ .
- 22- لسان العرب، ابن منظور، ط 1، بيروت، دار صادر.
- 23- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ .

- 24- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م .
- 25- معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن 1985م.
- 26- المقتضب، أبو العباس المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، 1994م.
- 27- المنهاج، أبو زكريا النووي، ط 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ .

الدوريات:

- 1- اسم الجمع في العربية، خالد محمد العبيدي، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة بغداد، العراق، المجلد (1)، عدد (16) ، 2014م .
- الرسائل العلمية:

- 1- جموع التكسير في صحيح البخاري، (رسالة ماجستير)، خالد محمود شحادة، الجامعة الهاشمية، الأردن، 2008م.

بعض الأسباب المؤدية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة

وأثارها الاجتماعية على الريف (دراسة ميدانية)

أ. نجية إبراهيم إعيد•

المقدمة:

تعد ظاهرة الهجرة من الريف إلى الحضر إحدى الظواهر الاجتماعية التي صاحبت تكوين المدن، وهي من الظواهر المرغوب فيها إذا تيسرت في الحضر سبل الإقامة والعمل للمهاجرين "وقد شهدت ليبيا منذ بداية السبعينات هجرة داخلية واسعة من الأرياف إلى المدن، وأثر ذلك في نقص العمالة في مجالي الزراعة والرعي اللذان تأثرا كثيراً رغم الاستنجااد بالعمالة الوافدة، فبعد اكتشاف النفط في أوائل الستينات اندفع الكثير من سكان الأرياف إلى المدن تاركين أعمال الزراعة والرعي ذات الطبيعة الشاقة والأجور المتدنية، للعمل مع شركات النفط حيث الأجور العالية، وساعات العمل المحدودة والحياة الأكثر رفاهية"⁽¹⁾

يثير موضوع الهجرة اليوم الكثير من الحوارات والصراعات السياسية، حول الاندماج والخطر على السلم الأهلي وفرص العمل، مع ذلك تتنافس الدول المتقدمة في تقديم الإغراءات لليد العاملة عالية التأهيل لجذبها للعمل

• عضو هيئة تدريس بقسم علم الاجتماع- كلية الآداب الخمس

(¹)- محمد نجيب بوطالب، علم الاجتماع الريفي القري والأرياف العربية، دار جامعة الملك سعود للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2014، ص61

فيها، وقد بدأ مؤخراً الاهتمام بآثار الهجرة على البلدان المصدرة للعمالة من منظور التنمية البشرية، وليس من منظور التحويلات ودورها التنموي، وقد أثارَت منظمة الصحة العالمية المخاطر الناجمة عن هجرة الكفاءات الطبية من الدول النامية إلى الدول المتقدمة، حيث قدر النقص في عدد العاملين في المجال الطبي على المستوى العالمي عام 2006 بـ 403 مليون شخص⁽¹⁾، وعلى الرغم من أن ظاهرة الهجرة السكانية تعتبر قديمة منذ أن خُلِق الإنسان على وجه الأرض، إلا أنها زادت بشكل كبير أثناء فترات الاستعمار والغزو، أو الهروب من الظروف الاقتصادية السيئة، أو بسبب توفر فرص عمل بعد اكتشاف المناطق الجغرافية للموارد الطبيعية، وخاصة النفط، وتعتبر المناطق الريفية وحتى وقتنا الحاضر مناطق طاردة للسكان بسبب القلة في مختلف الخدمات الضرورية، بالإضافة إلى انتشار البطالة المقنعة، والبطالة الموسمية، وكذلك قلة فرص العمل في الريف، وحتى وأن توفرت فهي قليلة جداً مما أضطر العديد من سكان الأرياف للهجرة إلى المدن للبحث على فرص عمل وللحصول على دخل جيد يوفر لهما حياة كريمة داخل المدينة.

ومن هذا المنطلق سوف يتم تقسيم هذا البحث لعدد من المباحث

منها:

المبحث الأول - يحتوي على تحديد مشكلة البحث، وأهميته، وتسؤلاته، وأهدافه، وأهم مصطلحاته.

(1) - نبيل مرزوق، هجرة الكفاءات وأثرها على التنمية الاقتصادية، جمعية العلوم

الاقتصادية السورية، الندوة الثالثة والعشرين، دمشق، سوريا، 27-4-2010، ص1

المبحث الثاني- يتناول أهم النظريات المفسرة لموضوع البحث، والدراسات السابقة. **المبحث الثالث-** سيتناول الهجرة الداخلية، وأسبابها، وأثارها.

المبحث الرابع- ويتناول الجانب الميداني للبحث، من حيث للإجراءات المنهجية، وتشمل (نوع الدراسة، ومنهجها، وأداة جمع البيانات، ومجالاتها، وصدق، عينة الدراسة ومعايير اختبارها، وخطة التحليل الإحصائي، وكذلك النتائج العامة ومناقشتها، وأخيراً الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات).

مشكلة البحث

تعد مشكلة الهجرة من أهم المشكلات التي تعاني منها مختلف المجتمعات في العالم بشكل عام، والمجتمع الليبي بشكل خاص حيث يعاني من هجرة الشباب من الريف إلى المدينة، وبالتالي هناك تزايد في أعداد المهاجرين وخاصة من فئة الشباب، الأمر الذي ترتب عليه ضعف التنمية في الريف حيث إن الفئات المتعلمة والمتدربة من الشباب غادرت من الريف، وبات الريف يعاني من مشكلة كبار السن والأطفال، كما يعاني كذلك من نقص في الخدمات الاجتماعية والترفيهية والمؤسسات العامة ووسائل المواصلات والاتصالات، مما انعكس على الريف الليبي حيث بدأت ظهور ظاهرة تأخر سن الزواج للفتيات وظاهرة زواج الشباب من خارج المناطق الريفية، وزواج الفتيات من مناطق أخرى، إضافة إلى ذلك ضعف الإنتاج الريفي، وقلة الكفاءات العلمية في الريف خاصة الأطباء والمدرسين وغيرهم من المهن الأخرى. " حيث تشير الإحصائيات العالمية إلى أن عدد المهاجرين الدوليين بلغ 272 مليون شخص في العالم، ومع ذلك فإن عدد نسبة المهاجرين يتجاوز بالفعل بعض التوقعات التي أعدت

عام 2025 ، التي كانت تحدد هذه النسبة 6.2 %، وهذا العدد في 230 مليون مهاجر، غير أنه من الصعب التنبؤ بدقة الهجرة الدولية وسرعتها لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأحداث القصوى (مثل الاضطراب الشديد أو الأزمة الاقتصادية أو النزاع) وبالاتجاهات الطويلة الأمد (مثل التغير الديموغرافي والتنمية الاقتصادية والتطورات في تكنولوجيات الاتصالات ووسائل النقل)⁽¹⁾ وبالتالي فأن هناك عدد كبير من السكان في المناطق الريفية يغادر أبناءهم، ويتركون أريافهم وقراهم، وهذا قد سبب حدوث خلل في التركيبات السكانية بحيث أصبح الريف طارداً للسكان، وخاصةً الشباب في الأعمار التي تتراوح بين 38-40 سنة، وقد يتحصل البعض منهم على تعليم وعمل ويؤسسون حياة اجتماعية في المدينة، وهذا البحث سنحاول فيه الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي، وهو ما هي الأسباب المؤدية إلى هجرة الشباب الليبي من الريف إلى المدينة.

أولاً- أهمية البحث:

- 1- أثار النظريات الاجتماعية في مجال علم الاجتماع الريفي خاصة المتعلقة بمشكلات الهجرة حيث تعاني من نقص شديد في المكتبة العربية.
- 2- إتاحة الفرصة للمخططين والمشرفين والعاملين في المهن والمهنيين بشؤون الريف لتصميم ووضع مشاريع إستراتيجية وتموية في المجال

(1) - ماري ماكوليف، أطفال من جزيرة تارو يحملون أشياء خفيفة من توصيل المنظمة الدولية للهجرة للمساعدات الغذائية التي تمولها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، بدعم من الأمم المتحدة، المنظمة الدولية للهجرة/أماندا نيرو، قرية فريك أيببيت، تشاد، تقرير الهجرة في العالم، المنظمة الدولية للهجرة، 2020، ص2

الاجتماعي، وأيضاً إصدار قوانين وتشريعات لحل المشكلات وخاصةً مشكلات هجرة الشباب من الريف إلى المدينة، والحد منها؛ وذلك لتشجيع سكان الريف على الأعمار والتنمية.

3- إتاحة الفرصة لرجال الأعمال بإقامة مشروعات تنموية لتطور الريف الليبي بحيث تصبح مناطق جذبة للسكان.

ثالثاً- أهداف البحث:

1- التعرف على أسباب الهجرة الداخلية في المجتمع الليبي.

2- التعرف على الآثار الاجتماعية التي تخلفها ظاهرة الهجرة على الشباب الريفي.

3- معرفة أهم الاستراتيجيات للحد من ظاهرة الهجرة.

ثالثاً- تساؤلات البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة على التساؤلات التالية:

س1- ما هي الأسباب التي دفعت الشباب للهجرة الداخلية باتجاه المدينة؟

س2- ما هي الآثار الاجتماعية التي تخلفها ظاهرة الهجرة على الشباب الريفي؟

س3- ما هي الحلول والإستراتيجيات للحد من تلك الظاهرة؟

مفاهيم ومصطلحات البحث:

1- **تعريف الهجرة Migration**: "تعرف الهجرة لغة بأنها: مشتقة من الكلمة الثلاثية (هجر)، ومعناها الرحيل عن المكان، والتخلي عن شيء ما، وأيضاً تعرف بأنها: انتقال الأفراد من مكان إلى آخر بغرض الاستقرار في المكان الجديد (معجم المعاني)"⁽¹⁾.

التعريف الإحصائي للهجرة: هو أن كل حركة عبر الحدود ما عدا حركات السياحة تدخل في إحصاءات الهجرة، وإذا كانت الحركة لمدة سنة فأكثر فتحسب كأنها هجرة دائمة، وإن كانت أقل من سنة تعتبر مؤقتة.⁽²⁾

التعريف الإجرائي للهجرة: هي انتقال بعض من الأسر أو الشباب بشكل عام من المناطق الريفية إلى المدن التي تتوفر فيها الخدمات العامة الأساسية والترفيهية، وأماكن العمل المناسبة من أجل كسب وسائل العيش المناسبة لهم.

2- **الشباب YOUTH** "هم الأشخاص الذين وصلوا إلى مرحلة النضج"⁽³⁾ "ومن المعروف أن الشباب يمثلون شريحة هامة من شرائح المجتمع في

(1) - إدريس عزام، موسى أبو حاسة أحمد ربيعة، المجتمع الريفي والحضري والبدوي، الشركة

العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، 2010م، ص 207

(2) - غريب سيد أحمد، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الأزاريطة،

الإسكندرية، مصر، 2005م، ص 205

(3) - عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص

المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء⁽¹⁾ الشباب: هناك اختلاف بين الباحثين حول تحديد مرحلة الشباب، ويرى علماء السكان أن فئة الشباب هي الفئة التي تقع أعمارها بين (15 و 25 سنة)، بينما يرى بعضهم الآخر أن فئة الشباب التي تتراوح أعمارها بين (15 و 30 سنة)، ويرجع ذلك للاختلاف للسياق الاجتماعي الذي يتم في إطاره تحديد هذه الفئة⁽²⁾

التعرف الإجرائي للشباب: هم الأشخاص القنطاطى في المجتمع الريفي ذكوراً وإناثاً من تتراوح أعمارهم بين (15 - 40 سنة) .

3- المجتمع الريفي (Rural Community) يعرف مكتب الإحصاءات القومية بالمملكة المتحدة الريف بأنه يتمثل في تلك المناطق التي تشمل المدن الصغرى، والتي يقل عدد سكانها عن 10 آلاف نسمة⁽³⁾ "والولايات المتحدة الأمريكية" تعرف المجتمع الريفي هو الذي يقل عدد سكانه عن (2500) نسمة، أما إذا زاد عن ذلك فهو مجتمع غير ريفي حتى ولو كان يعمل بالزراعة⁽⁴⁾

(1) - طارق كمال، سكيولوجية الشباب تنمية الشباب اجتماعياً واقتصادياً، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص 7

(2) - علي ليلة، الشباب العربي تأملات في ظواهر الإحياء الديني والعنف، دار المعارف للطباعة والنشر، 1993، ط1، ص 36

(3) - عالية حبيب نجوى عبد الحميد سعد الله، وآخرون، علم الاجتماع الريفي، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، 2011، ص 78

(4) - محمود عبد الحميد حسين، محمد محمود مهدي، محمد السيد حلاوة، علم الاجتماع الريفي، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، مصر، الإسكندرية، ط 1، 2012، ص 22، ص 26

التعرف الإجرائي لمفهوم المجتمع الريفي: يعرف بأنه مجموعة من الناس يقيمون في منطقة معينة وتربطهم علاقات اجتماعية، ويغلب على نشاطهم الزراعة والرعي، وتقل فيه الخدمات الأساسية والترفيهية، ويعتمدون على المدينة في تلبية بعض احتياجاتهم ولا يتجاوز عددهم سكانهم عن خمسة آلاف نسمة.

4- تعريف المدينة حسب الولايات المتحدة الأمريكية في الكتاب الإحصائي السنوي لعام 1952 الحد الأدنى لمجموع السكان في المدينة يساوي عشرين ألفاً نسمة⁽¹⁾ ويمكن تعريف المدينة على أساس الوظيفة⁽²⁾ والبنية فقد عرفها دوركايم على أساس العلاقة العضوية السائدة في المجتمع، أما ماكس فيبر فحددها على أساس الأعمال الفريدة من نوعها وابتكارها التي تختلف عن الأرياف⁽²⁾

تعريف المدينة إجرائياً بأنها: وحدة اجتماعية حضرية، محددة المساحة والنطاق، وهي مقسمة إدارياً، ويقوم النشاط الاقتصادي فيها على التجارة أو الصناعة، وتقل أو تكاد تنعدم فيها نسبة المشتغلين بالزراعة، وتتنوع فيها الوظائف والمؤسسات، وتمتاز بكثافة سكانية مرتفعة، وبسهولة مواصلاتها، وتخطيط مبانيها، وتتمايز فيها الأوضاع والمراكز الاجتماعية والطبقية وتتفاوت بشكل ملموس.

(¹) - كأيد عثمان أبو صبحة، جغرافيا المدن، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ط1، 2003، ص39

(²) - محمود جاد، التضخم الحضري في البلدان النامية، دار العالم الثالث القاهرة، مصر، ط1، 1993، ص28

المبحث الثاني (الإطار النظري للدراسة)

النظريات المفسرة لظاهرة الهجرة:

بالرغم من الاختلافات النظرية بين علماء الاجتماع في تفسيرهم لظاهرة الهجرة، فقد يرون أن اختلافات تكاد تنحصر في جملة من الاتجاهات النظرية وفق المدارس التي ينتمون إليها، وتبين النقاط الآتية بعض النظريات التي حاولت تفسير ظاهرة الهجرة، ومنها ما يأتي:

1- **نظرية الطرد والجذب:** تتمثل هذه النظرية بوجود مجموعة من العوامل الطاردة والتي تدفع المهاجر إلى ترك مكان سكنه الأصلي مثل: البطالة والتمييز العرقي أو السياسي، وانخفاض الأجور، والانتقال إلى مناطق ذات نمو اقتصادي وصناعي كبير تتوفر فيه فرص عمل أفضل، بالإضافة إلى ارتفاع مستوى المعيشة في المدينة⁽¹⁾

وتفسر هذه النظرية ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة بوجود مجموعة من العوامل الطاردة التي تدفع المهاجر إلى ترك الريف مثل: البطالة والتمييز السياسي، وانخفاض الأجور والعوامل المرتبطة بالعمل والوظيفة، وعوامل الجذب الممتلئة بالانتقال إلى مناطق ذات نمو اقتصادي وصناعي كبير تتوفر فيه فرص عمل وأجور أفضل، وهذا هو السبب في هجرة الشباب وخاصة في المناطق الريفية في ليبيا.

(1) - المبروك عاشور الغرياني، الهجرة العكسية من المدينة إلى الريف، "دراسة ميدانية لقرية: وادي القطارة وغوط السلطان، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة، ليبيا، 2006، ص44

2- نظرية الانتقال الريفي الحضري: "يكون في الغالب تيار الهجرة من الريف إلى المدينة وخاصة في الدول النامية، وبالتالي يعتبر الريف مناطق طاردة والمدن تعتبر مناطق جاذبة وذلك بسبب توفر فرص العمل والخدمات العامة، وقد ظهرت هذه الظاهرة بعد زيادة النمو العمراني والتصنيع وفرص التعليم والخدمات الصحية التي تتوفر في المدن، إلا أن القرية مازالت محرومة من بعض الخدمات العامة والمساكن الصحية والمؤسسات التعليمية"⁽¹⁾ وتفسر هذه النظرية ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة بوجود مجموعة من العوامل الطاردة التي تدفع المهاجر إلى ترك مكان سكنه الأصلي، وخاصة أن الريف الليبي من الدول النامية التي لا تتوفر فيها فرص العمل المختلفة، والخدمات العامة، والخدمات الصحية، وعوامل الجذب الممتثلة بالانتقال إلى المدن التي تتوفر فيها الخدمات العامة والمساكن الصحية، والمؤسسات التعليمية، والصحية المختلفة، وجميع فرص العمل المختلفة، وحتى الالتحاق بوظيفتين في نفس الوقت.

الدراسات السابقة:

ستناول في هذا البحث بعض الدراسات العربية والأجنبية التي خصصت للهجرة من الريف إلى المدينة، وذلك بعرض تحليلي لهذه الدراسات، نبدأ بدراسة ياسين الكبير" (1982) ⁽²⁾ بعنوان المهاجرين في طرابلس الغرب، دراسة حالة في معهد الإنماء العربي، بيروت" أجريت هذه

(1)- محجوب عطية الفائدي، أساسيات علم السكان، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا،

1997، ص.265

(2)- ياسين الكبير، المهاجرين في طرابلس الغرب، دراسة حالة التماثل معهد الإنماء العربي،

بيروت، لبنان، 1982

الدراسة على المهاجرين إلى مدينة طرابلس والتي درس فيها حالة التماثل لدى المهاجرين إلى مدينة طرابلس، وهدفت الدراسة للتعرف على مدى التماثل مع ارتفاع مستوى المهاجرين إلى مدينة طرابلس، ومن أهم نتائج الدراسة أن هناك ارتفاع في مستوى التماثل مع ارتفاع مستوى المهاجرين إلى مدينة طرابلس، كما يرتفع مستوى التماثل مع ارتفاع مهنة المهاجر ووظيفته، ويعتبر المهاجرون من الشباب أكثر تماثلاً من المسنين، ويرتفع مستوى التماثل مع ارتفاع نسبة استعمال وسائل الاتصال الجماهيري في طرابلس. ودراسة الحوات (2017)⁽¹⁾ "الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا غير بلدان المغرب العربي، وأجريت هذه الدراسة في ليبيا، وذلك للتعرف على الهجرة غير الشرعية التي تتم بين ضفتي الصحراء الكبرى في إفريقيا وال الضفة الشمالية للبحر المتوسط وخاصة إيطاليا عبر الشواطئ الليبية. وهدفت الدراسة إلى استعراض نموذج من نماذج الهجرة غير الشرعية التي تتم بين ضفتي الصحراء الكبرى في إفريقيا، وال الضفة الشمالية للبحر المتوسط، وإلقاء الضوء على الهجرة غير الشرعية القادمة من إفريقيا عبر الصحراء الكبرى لتعبر بشكل مؤقت إلى ليبيا، ومن ثم المتابعة عبر البحر المتوسط إلى جنوب أوروبا وبشكل أساسي إلى جنوب إيطاليا، ومن أهم نتائج الدراسة أن الهجرة غير الشرعية يدفعها ويحركها الفقر والبطالة بشكل أساسي، وكذلك انخفاض المستوى المعيشي في القارة الإفريقية.

(1) -علي الحوات، الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا غير بلدان المغرب العربي، منشورات الجامعة المغربية خلال، 2006-2007، طرابلس، ليبيا.

دراسة مثلي (2008م)⁽¹⁾: الهجرة الداخلية وأثرها على تركيب السكان في الجمهورية اليمنية" وقد أجريت هذه الدراسة عن الهجرة الداخلية في محافظة عدن، واعتمدت الدراسة على بيانات الإحصائية، وتناولت هذه الدراسة أهم الخصائص الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية للمهجرين مقارنة بخصائص غير المهجرين، وما يرتبط بذلك بتغير في مستوى الخدمات وكفاءة الموارد الطبيعية، وزيادة في معدلات البطالة في عدن، وكذلك تأثير الهجرة على النمو السكاني والتركيب النوعي والعمرى للسكان، وتحديد حجم الهجرة، ومن أهم نتائج الدراسة، أن التحركات السكانية بين المحافظات في اليمن تؤدي إلى زيادة معدل النمو السكاني في المحافظات الجاذبة، على العكس من المناطق الطاردة التي يقل فيها معدل النمو السكاني، وارتفاع نسبة الهجرة بين فئة الشباب الذكور.

ودراسة محسن: (2018) ⁽²⁾ الهجرة الداخلية الوافدة إلى مدينة نابلس بين الأعوام (1994-2018) الأسباب والآثار، وقد أجريت هذه الدراسة في مدينة نابلس، وهي أحد المدن الفلسطينية، وتم جمع البيانات عن طريق المقابلات الشخصية ووسيلة الاستبيان، وقد طبقت الأدوات على عينة متدرجة قوامها 150 شخصاً، واستهدفت الدراسة التعرف على خصائص ظاهرة الهجرة الداخلية في مدينة نابلس من خلال دراسة الأسباب والآثار المترتبة على هذه الظاهرة، ومن أهم نتائج الدراسة أن غالبية المهاجرين إلى

(1) - عبد الله صالح مثلي، الهجرة الداخلية وأثرها على تركيب السكان في الجمهورية اليمنية مجلة العلوم الإدارية والاقتصادية باليمن، 2008م.

(2) - ساجدة عبد الحكيم عبد القادر محسن، الهجرة الداخلية الوافدة إلى مدينة نابلس بين الأعوام (1994-2018) الأسباب والآثار، مدينة نابلس، فلسطين، 2018.

المدينة كانوا من الذكور بنسبة 79%، فيما شكلت الإناث نسبة 21% من المهاجرين، وتعود غالبية أصولهم إلى أرياف محافظة نابلس، أما عن أسباب الهجرة، فقد احتل الوضع السياسي المرتبة الأولى بنسبة 81.8%، تلاه الوضع الاقتصادي 8.5%، المتمثل بوجود فرص العمل، الدافع الثالث للهجرة، يتمثل في وجود الأقارب، يليه طلب العلم، والزواج.

المبحث الثالث- الهجرة مفهومها، وأسبابها، وأثارها:

أولاً- مفهوم الهجرة: تلعب الهجرة دوراً كبيراً في اختلاف معدلات النمو السكاني من قارة إلى أخرى، ومن دولة إلى أخرى، فقد تكون الزيادة الطبيعية مرتفعة، فتعمل الهجرة على خفض معدلات النمو، وقد تكون الزيادة الطبيعية معتدلة، فتعمل الهجرة على رفع معدلات النمو السكاني، وبالتالي تعتبر الهجرة أحد العوامل الفعالة في تغير السكان سواء من حيث مكان الإقامة، أو التركيب السكاني، أو نوع المهنة التي يقوم بها المواطن، كما أن المهاجر قد يحقق أثناء إقامته في منطقة المهجر مستوى من الحياة الاجتماعية، ويصل إلى بعض المراكز، ويتمتع بمكانة اجتماعية واقتصادية مرموقة لم تكن له في المنطقة التي انتقل منها "وتعتبر ظاهرة الهجرة أحد أهم الظواهر التي ارتبطت بدايتها الأولى بوجود الإنسان على الأرض، وقد ساعدت الهجرات الأولى على انتشار الجنس البشري في أرجاء الأرض، ومن خلال هذا الانتشار تشكلت المجتمعات والثقافات الإنسانية المختلفة"⁽¹⁾ وقد تعددت المفاهيم الخاصة بالهجرة سواء كانت من منظور

(1)- عبد القادر القصير، الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب العربي، دار النهضة للطباعة

والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص106

إنساني أو قانوني أو نفسي أو جغرافي، ومن خلال ذلك سيتم تناول مجموعة من المفاهيم من أهمها ما يلي:

1- "النزوح **Emigration**: وهي تعني الخروج من مكان الإقامة الأصلي إلى مكان آخر خارج حدود المنطقة، أو حدود الدول بدون عودة، ويكون النزوح في الغالب لأسباب قهرية خارجة عن إرادة الشخص، مثل نزوح بعض الليبيين بسبب الحروب داخل ليبيا.

2- الهجرات الإيجابية: وهي التي يضطر فيها الفرد إلى الهجرة لأسباب طبيعية أو سياسية، وهو ما يسمى بالتهجير الإجمالي مثل تهجير بعض السكان بسبب الاحتلال⁽¹⁾

3- "الهجرات الاختيارية: وهي الشكل العادي والمسيطر، وتحدث طوعاً دون أكره.

4- الهجرات الفردية: وهي هجرة الأفراد العاديين، وتتم طوعية واختيار الفرد تحت تأثير دافع معين قد يكون اقتصادياً أو اجتماعياً أو ثقافياً.

5- الهجرة الجماعية: وتكون عادة منظمة وشاملة لمجموعات من الناس، كالهجرة بسبب الحرب أو الغزو.⁽²⁾

6- "الهجرة الغازية: وهي مجموعة الأشخاص أو الجيوش التي تأتي إلى منطقة معينة لاحتلالها أو غزوها بقصد الإقامة فيها بالقوة للاستفادة بما

(1) - محبوب عطية الفاندي، أساسيات علم السكان، مرجع سبق ذكره، ص 257، ص 258، 260

(2) - إدريس عزام، موسى أبو حوسة، المجتمع الريفي والحضري والبدوي، مرجع سبق ذكره ص 207

فيها من خيارات بسبب موقعها الجغرافي، أو توفر الموارد الاقتصادية المناسبة.

7- **الهجرات الموسمية "المؤقتة":** " وتتم خلال فصل معين مثل: موسم حصاد محصول معين، فإن العديد من الأيدي العاملة تهاجر للعمل، وبالتالي تسد فجوة النقص في الأيدي العاملة في البلد الأصل، ويعود هؤلاء المهاجرون إلى موطنهم الأصلي". (1)

8- **"الهجرات الدائمة:** ويقصد بها الهجرة الدائمة حيث لا عودة إلى محل الإقامة الأول أو مسقط الرأس، وتعني الإقامة الدائمة (مدة عام واحد فما فوق) في الوطن الجديد" (2)

9- **"هجرة الفتوحات:** وهي تشبه الهجرة الغازية لكن القصد منها هو الفتوحات، أو الاحتلال، أو الرغبة في نشر دين جديد، أو اقتصادية معينة، أو نظام سياسي معين على سكان المنطقة المفتوحة، مثل الفتوحات الإسلامية، أو الأيديولوجية الشيوعية". (3)

10- **"الهجرات الخارجية:** وهي الانتقال من البلد إلى خارجه (عقب الارتحال أو الاغتراب خارج الوطن) وهجرة وافدة، وهي الهجرة (عقب

(1) - فتحى أبو عيانة، دراسات في الجغرافيا البشرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1996، ص140

(2) - عبد على الخفاف، الجغرافيا البشرية أسس عامة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص209

(3) - محجوب عطية الفاندي، أساسيات علم السكان، مرجع سبق ذكره، ص258

التوافد من الخارج)، وكلاهما انتقال عبر الحدود، وعيش دائم في وطن جديد. (1).

11 - الهجرات الداخلية: "هي الهجرة التي تتم داخل حدود الدولة الواحدة، وتكون بقرار اختياري نابع من الشخص نفسه، مثل الهجرة من الريف إلى الحضر، وهي التي تنصدر جميع الهجرات الداخلية في العالم، والتي تشكل أهمها والظاهرة الأكثر انتشاراً ونتائجها أكثر وضوحاً" (2) وتعتبر الهجرة من الريف إلى الحضر الجزء الأكبر من الهجرة الداخلية.

ثانياً - أسباب ودوافع الهجرة:

هناك الكثير من الدوافع والأسباب التي تشجع على الهجرة بعضها يرجع إلى الأفراد أنفسهم بسبب عوامل الجذب والطرده، وبعضها يرجع إلى الدولة الأسباب الاقتصادية، أو أمنية، ويمكن بصفة عامة إرجاع الأسباب، أو الدوافع للهجرة للعوامل الآتية:

1 - "الأسباب الشخصية، أو النفسية: وهي ترجع إلى الطموحات والرغبات التي تتوفر لدى بعض الأفراد في الانتقال إلى مكان آخر يعتبرونه أفضل، ويعود عليهم بالمصلحة الشخصية، والمكانة الاجتماعية، والاقتصادية المرموقة، أضف إلى ذلك البحث عن الحرية السياسية والدينية

(1) - إدريس عزام، موسى أبو حوسنة، المجتمع الريفي والحضري والبدوي، مرجع سبق ذكره ص 207

(2) - صبري محمد حمد، الجغرافيا البشرية دراسات نظرية وتطبيقية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط 1، 2009، ص 146

والشخصية" (1) فهذا اتجاه نفسي نحو السياقين الطارد والجاذب، أي ما يقصد بها رغبة، أو طموح الفرد من أجل الحصول على فرص للعمل، والدخل المتميز والعيش في رفاهية داخل المدن بعيداً عن النقص في فرص العمل داخل المناطق الريفية.

2- الأسباب الاجتماعية: "لها دور في تنشيط الهجرة من الريف إلى المدنية حيث لا تتوفر في القرى، أبسط أنواع الخدمات، كما تفتقر إلى الطرق المعبدة، وإلى الكهرباء ووسائل الترفيه المتنوعة، ومن أجل ذلك تطمح الأجيال الجديدة من أبناء القرى للنزوح إلى المدن المجاورة" (2) لتحسين ظروفهم الاجتماعية، والإقامة والعمل بالقرب من أقاربهم، إذ تتوفر الخدمات الصحية والتعليمية ووسائل الراحة والترفيه مما جعل منها منطقة جاذبة للسكان، خاصة هجرة الريفيين إليها" (3) وعدم توفير الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والترفيه وفرص عمل ودخل مميز مما يجعل الريف مناطق طاردة للسكان.

3- "الأسباب الاقتصادية: وقد يهجر بعض السكان للسعي وراء الالتحاق بمختلف الأعمال التي نشأت نتيجة للتوسع في الصناعة في المدن، فقد ترتب على قيام الصناعات زيادة الطلب على الأيدي العاملة للعمل بالمصانع، مما شجع الريفيين على ترك العمل الزراعي الموسمي إلى عمل

(1) محجوب عطية الفائدي، أساسيات علم السكان، مرجع سبق ذكره، ص272

(2) عبد على الخفاف، الجغرافيا البشرية أسس عامة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص211

(3) إبراهيم حلمي الغوري، السكان في العالم. حلب، سوريا، دار الشرق، 2000،

صناعي يتيح لهم العمل طيلة العام وبأجور عالية نسبياً⁽¹⁾ "وتتميز المدينة بقدرتها على استمالة الناس لما تتمتع به من حياة أفضل في شتى مناحي الحياة، والعمل في وظائف مختلفة، وتتمثل العوامل الطاردة للريف، في عدم توفر فرص العمل طيلة العام وبدخل متميز وبالتالي تدفع الناس إلى الهجرة من الريف إلى المدينة.

4- الأسباب الجغرافية: تقود المساحة الواسعة للقطر إلى زيادة فرص الانتقال والهجرة تحت أسباب مختلفة، ويقود التنوع البيئي والمحيط الجغرافي إلى تنوع في النشاط الاقتصادي وتعدد في فرص العمل، مما يشجع على الهجرة والانتقال من مناطقهم إلى مناطق الجذب للسكان، "ويعتبر المناخ من حيث ارتفاع البرودة وشدة الحرارة وصعوبة الطقس أو الطقس المعتدل من العوامل المهمة في جذب السكان، أو طردهم حيث إن الناس يفضلون الطقس المعتدل إذا كانت فرص العمل متوفرة في تلك المنطقة"⁽²⁾ " وتكمن عوامل الجذب في المدن بالمناخ المعتدل والتنوع البيئي والمحيط الجغرافي الذي يقود إلى تنوع في النشاط الاقتصادي وإلى تعدد فرص العمل في المدينة، مما جعل الريف مناطق طاردة للسكان.

5- الأسباب السياسية والأمنية: المتمثلة بسياسة الدولة والتي تسعى لتجسير عدد من سكانها بهدف إعادة توزيع السكان وتطوير مناطق جديدة ضمن الخطط التنموية، أو السياسات الاستعمارية التي تجعل الدول تدفع بقسم من سكانها إلى مناطق المستعمرات بهدف حماية ممتلكاتها وتثبيت

(1)- إدريس عزام، موسي أبو حوسنة، المجتمع الريفي والحضري، مرجع سبق ذكره،

(2)- محجوب عطية الفاندي، أساسيات علم السكان، مرجع سبق ذكره، ص 273

أقدامها في تلك المستعمرات⁽¹⁾، وتتميز المناطق الجاذبة بقدرتها على استمالة الناس لما تتمتع به من حياة أفضل، وتوفير مؤسسات التعليم المختلفة وفي جميع مراحل التعليم، وتوفير فرص العمل في مختلف المجالات.

6- الأسباب الديموغرافية: "يتجه أغلب الريفيين إلى المدن نتيجة لعملية التصنيع التي تشهدها المدن، وقد تحصل بعض حركات الهجرة بفعل الفيض السكاني الناتج عن ارتفاع معدلات الولادات مما يسبب في التزايد السريع للسكان، وهذا يحصل في المناطق الريفية الفقيرة والمحدودة في مساحاتها الزراعية فيهاجر الشباب بدوافع أخرى مشجعة إلى جانب شعورهم بالفيض السكاني"⁽²⁾ ولذلك تصبح الأرض في الريف غير قادرة على استيعاب هذه الأعداد من السكان، مما يدفعهم للهجرة إلى المدن، وتتميز المناطق الجاذبة بقدرتها على استمالة الناس لما تتمتع به من حياة أفضل بعيدة عن الفيض السكاني .

ثالثاً- آثار الهجرة الريفية: أثارت الآثار المترتبة على الهجرة الريفية الحضرية جدلاً بين علماء الاجتماع، فيؤكد الكثير منهم على أن للهجرة آثاراً سلبية، وأخرى ايجابية، ويرى آخرون أن هناك توازناً بينهما.

أولاً- آثار الهجرة الداخلية على المجتمع الريفي: أشارت العديد من الدراسات التي أجريت في مختلف أنحاء العالم إلى وجود الكثير من الآثار

(1)- فوزي سهاونه، مبادئ الديموغرافيا، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، الاردن، 1983، ص 052.

(2)- عبد علي الخفاف، الجغرافيا البشرية أسس عامة، مرجع سبق ذكره، ص 213

السلبية الناجمة عن هجرة الريفيين إلى الحضر، سواء أكانت تلك الآثار تتعلق بالمجتمع الطارد (القرية) أو بالمجتمع الجاذب (المدينة)، ومن بين هذه الأسباب ما يأتي:

1 - فقدان الطابع الريفي، إذ يتأثر المهاجرون عادة بتقاليد وعادات المدينة في أثناء هجرتهم، بالإضافة للتأثير في درجة التدين، فظروف المدينة قد تؤثر في كيان الشخص العقائدي بما تمليه عليه من التهاون في بعض الممارسات للشعائر الدينية". (1)

2- هجرة الشباب تؤدي إلى ظهور مشكلة في التركيبة النوعية والعمرية في القرى، حيث تزيد نسبة الإناث والشيوخ والأطفال، وهو ما يؤثر بدوره على إنتاجية القرى". (2)

3- نقص الخدمات العامة الصحية والتعليمية وغيرها، نتيجة الاهتمام بتطوير المراكز الحضرية والمدن الكبرى، كذلك ترك مساحات شاسعة من الأرض دون استغلالها، مما يؤثر في إنتاجية الأراضي الزراعية في الريف". (3)

4- يفقد الريف عدد من الشباب الأكثر تعليماً وثقافياً وحضارةً ووعياً.

(1) - إدريس عزام، موسى أبو حوسة، المجتمع الريفي والحضري، مرجع سبق ذكره، ص212

(2) - فتحى محمد أبو عيانة، دراسات في الجغرافيا البشرية،: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 1996، ص145

(3) - سعود شواقفة، فؤاد الهزأيمة، و صفاء إبراهيم، دراسات في جغرافية الوطن العربي، دار عمار، عمان، الأردن، 1991، ص198

5- يفقد الريف عدد من الأيدي العاملة المدربة - زراعياً ومهنيًا- التي هي في سن الفتوة والنشاط الأمر الذي يكون له تأثيره في دولاب العمل.

6- غياب الجهد الذاتي في الريف الذي كان من الممكن أن يفيد به المهاجرون في مجالات التنمية. ⁽¹⁾

ثانياً- آثار الهجرة الداخلية على مجتمع المدينة: أما بالنسبة إلى مجتمع الجاذب (المدينة) فإن الهجرة الريفية الحضرية تسبب له مشكلات كثيرة منها ما يلي:

1- "زيادة الهجرة من الريف إلى المدينة بشكل كبير قد يربك خطط الدولة، ويؤدي إلى مشاكل الإسكان والمواصلات والخدمات الصحية والتعليمية ويلوث البيئة". ⁽²⁾

2- التضخم السكاني السريع في المدينة نتيجة هجرة أعداد كبيرة من الريف إلى المدينة، وخاصة من فئة الشباب ⁽³⁾، وقد تراجع العمل في القطاع الزراعي الذي يوفر 25% من احتياجات ليبيا الزراعية. لذلك أصبحت تعتمد بشكل كبير على الاستيراد من الخارج.

⁽¹⁾- إدريس عزام، موسى أبو حوسة، المجتمع الريفي والحضري، مرجع سبق ذكره، ص211

⁽²⁾- محجوب عطية الفاندي، أساسيات علم السكان، مرجع سبق ذكره، ص275

⁽³⁾- إبراهيم حلمي الغوري، السكان في العالم. مرجع سبق ذكره، ص230

3- الانحراف الخلقي، وانعدام الضبط (نسبياً)، وغياب الزوجين عن بعضهما، فضلاً عن احتمال تعرض أحد الزوجين، أو كليهما للإغراءات، يمكن أن يؤدي إلى انحرافات خلقية.

4- الزحف العمراني على الأراضي الزراعية المحاذية للمدينة من أجل تطوير مشاريع الإسكان والخدمات، والضغط على الخدمات في المدينة، مما يسبب زيادة في الأعباء المادية من أجل توفيرها⁽¹⁾.

5- تركيز العمالة في المدن يؤدي إلى انخفاض الأجور، وهذا يؤدي بدوره إلى انخفاض مستوى المعيشة، وظهور كثير من المشاكل الاجتماعية في مجتمع المدينة.

6- "انتشار الكثير من الأمراض الاجتماعية والسلوك المنحرف، وارتفاع معدلات الجرائم خاصة داخل الأحياء الشعبية الفقيرة التي يسكنها المهاجرون الجدد والقادمون من الريف إلى المدن"⁽²⁾ "وأن دخول آلاف المهاجرين على دولة محدودة الإمكانيات، وخاصة الجيش والشرطة، وكافة أجهزتها الأمنية نتيجة هشاشة مؤسساتها وضعفها والفوضى التي تعاني منها البلاد منذ عام 2011م، ومع انتشار السلاح، وغلاء الأسعار، وشح السيولة المالية، أدى ذلك إلى تناقص فرص العمل في القطاعين العام والخاص، وازدياد نسبة البطالة بين السكان.

(1)- سعود شواقفة، فؤاد الهزأيمة، دراسات في جغرافية الوطن العربي، مرجع سبق ذكره، 199،

(2)- محبوب عطية الفاندي، أساسيات علم السكان، مرجع سبق ذكره، ص274

رابعاً- الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية: يهدف البحث إلى توضيح الإطار المنهجي الذي انطلقت منه الدراسة عن بعض الأسباب المؤدية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة وأثارها الاجتماعية على الريف.

أولاً- منهج الدراسة: لما كانت هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على بعض الأسباب المؤدية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة، وأثارها الاجتماعية على الريف، فقد تم الاعتماد على أكثر من منهج حيث استخدم منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة، وذلك لتشخيص ظاهرة الهجرة، وتمت الاستعانة بالمنهج الإحصائي لتحليل نتائج الدراسة الميدانية وعرضها في جدول نسب مئوية، وذلك للتأكد من صدق تساؤلات الدراسة.

ثانياً- وسيلة جمع بيانات الدراسة: ولقد تم اختيار وسيلة الاستبيان كأداة لجمع البيانات، ثم بناء الاستبيان من خلال تكوين أسئلة مغلقة بحيث تكون الإجابات من خبرات عدة، وتكون الأسئلة مركزة على عدد من السكان في مدينة الخمس، فظهرت الاستمارة بالشكل الذي هي عليه، وتم إجراء اختبار قبلي لها، حيث تمت الاستعانة بالدراسات العلمية السابقة ومرجعيات البحث الاجتماعي للتعرف على خطوات بناء الاستمارة، وكيفية صياغة أسئلتها وتطويرها في شكلها المناسب.

ثالثاً- مجالات الدراسة الميدانية:

أ- المجال الجغرافي: مكان الدراسة هو المجتمع الليبي، وبالتحديد عينة من عدد السكان في مدينة الخمس لمعرفة آثار الهجرة على الشباب من الريف إلى المدينة، وأثارها الاجتماعية على الريف.

ب- **المجال البشري:** أجريت الدراسة على عينة من عدد السكان في مدينة الخمس، وكان عدده (50) مفردة، وقامت الباحثة بجمعها عن طريق العينة العشوائية.

ج- **المجال الزمني:** وينقسم إلى قسمين:

1- الدراسة النظرية، وبدأت من (1-11-2020) إلى (30-4-2021)

2- الدراسة الميدانية، وقد بدأت من (1-5-2021) واستغرقت مراجعة صحيفة الاستبيان وتفرغها .

رابعاً- **العينة إطارها، حجمها، نوعها:** نظراً لكبر حجم المجتمع البحث نسبياً، فقد اخترت عينة من مجتمع الدراسة بالطريقة العشوائية البسيطة، فكان حجمها (50) مبحوث من مجموع أفراد العينة ب (26) إناث و(24) ذكور، وقد وزع الاستبيان على عدد من السكان مدينة الخمس من فئة الذكور والإناث، بالطريقة العشوائية، ثم أخذت بيانات هذه الدراسة من وتنوع إطار العينة من حيث المستوى التعليمي- السن - الدخل - السكن... الخ.

سادساً- **أساليب التحليل الإحصائي:** ثم استخدام التحليل الإحصائي بحساب التكرارات والنسب المئوية، حيث تم تفرغ البيانات بالطريقة اليدوية، وبعد ذلك تمت عملية تبويب البيانات في جداول بسيطة، وهي الجداول التي توضح تكرار متغير واحد.

الخصائص الديموغرافية والاجتماعية لعينة الدراسة: من خلال أداة الاستبيان تم جمع البيانات الأولية للعينة التي توضح خصائص العينة، وتم

تحليل هذه البيانات عن طريق مقياس التوزيع التكراري والنسبة المئوية، وفي هذه الجدال الآتية نعرض خصائص العينة.

1- الجنس: يمثل متغير الجنس أحد المتغيرات الهامة لعينة الدراسة، ونلاحظ أن هناك اختلافات بين استجابات الذكور والإناث في توضيح آرائهم ..

الجدول رقم (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس

النسبة %	التكرار	الجنس
48%	24	ذكور
52%	26	إناث
100%	50	المجموع

يتضح من خلال الجدول رقم (1) إن غالبية أفراد العينة من الإناث حيث تمثل نسبتهم (52%) من مجموع أفراد، وبلغت نسبة الذكور (48%) من مجموع أفراد العينة.

2- العمر: لاشك بأن العمر يؤثر في سلوك الفرد واتجاهاته وموقفه وتفاعله في المجتمع، ويمثل متغير العمر أحد المتغيرات الهامة لعينة الدراسة، ونجد أن هناك اختلافات بين فئات العمر من خلال التعرف على آرائهم واتجاهاتهم حول عدة قضايا

الجدول رقم (2) يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغير العمر

النسبة%	التكرار	الفئات العمرية
18%	9	من 15 - 20 سنة
38%	19	من 21 - 26 سنة
32%	16	من 27 - 32 سنة
12%	6	من 33 - 40 سنة
100%	50	المجموع

يتضح من الجدول رقم (2) أن (38%) من أفراد العينة تتراوح أعمارهم (من 21-26 سنة) ويليهم (32%)، من أفراد العينة تتراوح أعمارهم من (27-32 سنة) ويليهم (18%) من أفراد العينة الذين أعمارهم (من 15-20 سنة) ويليهم (12%) من أفراد العينة تتراوح أعمارهم من (من 33-40 سنة)، يتبين مما سبق أن غالبية أفراد العينة تتراوح أعمارهم من (32-21 سنة) وهم من الشباب الذين يقررون غالبيتهم الهجرة إلى المدينة.

3- الحالة الاجتماعية: ويقصد بالحالة الاجتماعية للعينة سواء كانوا المتزوجين أو غير المتزوجين.

الجدول رقم (3) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية

النسبة %	التكرار	الحالة الاجتماعية
36%	18	أعزب
46%	32	متزوج
100%	50	المجموع

يتضح من الجدول رقم (3) بأن (46%) من أفراد العينة متزوجين، وأن (36%) من مجموع أفراد العينة غير متزوجين.

4- المستوى التعليمي: ويقصد به الالتحاق بمجال التعليم والحصول على مستوى تعليمي معين.

الجدول رقم (4) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
12%	6	تعليم أساسي
26%	13	تعليم ثانوي ومتوسط
62%	31	تعليم جامعي وعالي
100%	50	المجموع

يتضح من الجدول رقم (4) إن (62%)، من أفراد العينة من فئة التعليم الجامعي والعالي، و(26%) من فئة التعليم الثانوي والمتوسط، و(12%) من مجموع أفراد العينة هم من فئة التعليم الأساسي.

5- المهنة: ويقصد به العمل الذي يمارسه أفراد العينة سواء في الريف أو المدينة.

الجدول رقم (5) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المهنة

النسبة %	التكرار	المهنة
18%	9	طالب
46%	23	موظف قطاع عام
8%	4	موظف قطاع خاص
28%	14	عمل مستقل
100%	50	المجموع

يتضح من الجدول رقم (5) أن (46%)، من أفراد العينة هم من موظفي القطاع العام، وتأتي في المرتبة الثانية فئة العاملين في العمل المستقل حيث يمثلون نسبة (28%) من مجموع أفراد العينة، وتأتي في المرتبة الثالثة الطلاب ويمثلون نسبة (18%) من مجموع أفراد العينة، وتأتي في المرتبة الرابعة والأخيرة فئة العاملين في القطاع الخاص حيث يمثلون نسبة (8%) من مجموع أفراد العينة

6- مكان الإقامة: ويقصد به المكان الذي يسكن فيه الفرد سواء في الريف أو المدينة.

الجدول رقم (6) يوضح توزيع أفراد العينة حسب مكان الإقامة

النسبة %	التكرار	مكان الإقامة
68%	34	الريف
32%	16	المدينة
100%	50	المجموع

يتضح من الجدول رقم (6) أن (68%) من أفراد العينة مكان إقامتهم في الريف، وأن (32%) مكان إقامتهم في المدينة من مجموع أفراد العينة .

6- نوع الدخل: ويقصد به المرتب التي يتحصل عليه الفرد نتيجة عمله في وظيفة معينة.

الجدول رقم (7) يوضح توزيع أفراد العينة حسب نوع الدخل

النسبة %	التكرار	نوع الدخل
28%	14	لا يوجد لهم دخل
18%	9	أقل من 400 دينار
32%	16	من 400-600
14%	7	من 600-800
0%	0	من 800-1000
0%	0	من 100-1500
8%	4	من 1500-2000
100%	50	المجموع

يتضح من الجدول رقم (7) أن (32%)، من أفراد العينة يتقاضون مرتب من (400-600 دينار) ويعتبرون من موظفين القطاع العام، ويأتي في المرتبة الثانية الذين يتقاضون مرتب (أقل من 400 دينار) أي بنسبة (18%)، ثم يأتي في المرتبة الثالثة الذين يتقاضون مرتب من (600-800 دينار) أي بنسبة (14%)، ويأتي في المرتبة الرابعة الذين يتقاضون مرتب من (1500-2000 دينار) أي بنسبة (8%)، والنسبة المتبقية والتي تمثل (28%) يعتبرون إما من فئة أفراد العينة الذين لا يعملون، أو الطلاب الذين لا يتقاضون مرتبات.

الجدول رقم (8) يوضح توزيع آراء أفراد العينة حول الأسباب التي دفعت الشباب للهجرة من الريف إلى المدينة

النسبة %			التكرار			الأسباب الاجتماعية
لا أوافق	أوافق أحيانا	أوافق	لا أوافق	أوافق أحيانا	أوافق	
52%	32%	16%	26	16	8	يفرض عليك المجتمع ممن تتزوج
34%	32%	34%	17	16	17	يفرض عليك المجتمع أسلوب تربية أبناءك
52%	32%	16%	26	16	8	أن تساير المجتمع ولو كان خاطئ
52%	16%	32%	26	8	16	أن تضحي من أجل القبيلة والدم لا من أجل الوطن والدين
42%	26%	32%	21	13	16	لا يوجد اهتمام بتعليم الإناث
14%	34%	52%	7	17	26	انعدام خدمة المرأة
34%	32%	34%	17	16	17	تأخر سن الزواج
100%			50			المجموع

يتضح من الجدول رقم (8) إن نسبة 52% يرون بأنه من الأسباب التي دفعت الشباب للهجرة هو انعدام خدمة المرأة، ويأتي في المرتبة الثانية الذين يوافقون على أن المجتمع يفرض عليك تربية أبناءك، وكذلك تأخر سن الزواج في المناطق الريفية حيث شكلوا نسبة 34%، ويأتي في المرتبة الثالثة الذين يوافقون على أن تضحي من أجل القبيلة والدم في المناطق الريفية لا من أجل الوطن والدين، وكذلك لا يوجد اهتمام بتعليم الإناث حيث شكلوا نسبة 32%، وتأتي في المرتبة الأخيرة الذين يوافقون بأن أفراد العينة يسايرون المجتمع ولو كان خاطئ حيث شكلوا نسبة 16%، من مجموع أفراد العينة.

الجدول رقم (9) يوضح توزيع آراء أفراد العينة حول الأسباب التي دفعت الشباب للهجرة من الريف إلى المدينة

النسبة %			التكرار			الأسباب الاقتصادية
لا أوافق	أوافق أحيانا	أوافق	لا أوافق	أوافق أحيانا	أوافق	
%28	%26	%46	14	13	23	عدم وجود فرص عمل للشباب
%40	%22	%38	20	11	19	لا توجد فرص أخرى للتوظيف
%20	%30	%50	10	15	25	اندثار الصناعات التقليدية والحرف اليدوية
%42	%20	%38	21	10	19	قلة الإنتاج الزراعي والحيواني
%28	%42	%44	7	21	22	ارتفاع نسبة البطالة
%26	%18	%56	13	9	28	الازدحام في الطرقات والمؤسسات العامة
%14	%34	%52	7	17	26	زيادة الإنتاج
%20	%32	%48	10	16	19	ازدياد الأيدي العاملة
%14	%34	%52	7	17	26	فرصة الالتحاق في مختلف اتجاهات العمل
%12	%18	%70	6	9	35	ظهور المواهب والإبداع لدى أغلب الشباب
%100			50			المجموع

يتضح من الجدول رقم (9) أن أعلى نسبة من أفراد العينة يوافقون بأن في المدينة تظهر المواهب والإبداعات لدى أغلب الشباب مع توفر المؤسسات التعليمية الخاصة والعامة حيث شكلوا نسبة 70%، ويأتي في المرتبة الثانية الذين يرون بأنه من أسباب هجرة الشباب هو الازدحام في الطرقات والمؤسسات العامة حيث شكلوا نسبة 56%، وتأتي في المرتبة الثالثة الذين يوافقون على أن زيادة الإنتاج في المدن، وكذلك زيادة فرص الالتحاق في مختلف اتجاهات العمل هي من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 52%، ويأتي في المرتبة الرابعة الذين يوافقون بأنه اندثار الصناعات التقليدية والحرف اليدوية في الريف من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 50%، ويأتي في المرتبة الخامسة الذين يوافقون بأنه

عدم وجود فرص عمل للشباب في المناطق الريفية حيث شكلوا نسبة 46%، ويأتي في المرتبة السادسة الذين يوافقون على أن ارتفاع نسبة البطالة مع ارتفاع عدد العاملين في المدينة من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 44%، ويأتي في المرتبة السابعة الذين يوافقون بأنه عدم وجود فرص لتوظيف الشباب، وكذلك قلة الإنتاج الزراعي والحيواني في الريف،

لتوظيف الشباب، وكذلك قلة الإنتاج الزراعي والحيواني في الريف، وازدياد الأيدي العاملة في المدينة من الأسباب الاجتماعية التي دفعت لهجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 38%، من مجموع أفراد العينة.

يتضح من الجدول التالي رقم (10) أن أعلى نسبة من أفراد العينة يوافقون بأن المناطق الريفية لا يوجد فيها فرص للتعليم العالي حيث شكلوا نسبة 80%، ويأتي في المرتبة الثانية الذين يوافقون بأن المناطق الريفية لا يوجد فيها فرص للتعليم الجامعي، وكذلك عدم وجود أنشطة يمارسها الشباب والأطفال حيث شكلوا نسبة 70%، ويأتي في المرتبة الثالثة الذين يوافقون على أن قلة الدورات العلمية والتدريبية في الريف، وكذلك ازدياد عدد السكان في المدن بدون تخطيط مسبق من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 60%، ويأتي في المرتبة الرابعة الذين يوافقون على أن قلة المواصلات وتباعد المدن عن الريف، وكذلك عدم وجود المنتزهات والأسواق والمحلات التجارية وعدم وجود المقاهي والمطاعم من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 56%.

الجدول رقم (10) يوضح توزيع آراء أفراد العينة حول الأسباب التي دفعت الشباب للهجرة من الريف إلى المدينة

النسبة %			التكرار			الأسباب السياسية
لا أوافق	أوافق أحيانا	أوافق	لا أوافق	أوافق أحيانا	أوافق	
40%	24%	36%	20	12	18	الاختلافات السياسية والفكرية بين الأقارب
40%	22%	38%	20	11	19	التعصب القبلي ونظام الثأر
60%	20%	20%	30	10	10	الحد من أنصار نظام سياسي ما
26%	32%	42%	13	16	21	قلة المدارس وعدم تنوع التعليم
28%	42%	44%	14	12	24	ضعف الإمكانيات التعليمية في المدارس
34%	32%	34%	17	16	17	عدم وجود أساتذة متخصصين في الريف
12%	18%	70%	6	9	35	لا يوجد تعليم عالي من جامعات وغيرها
0%	20%	80%	0	10	40	عدم وجود فرص للتعليم العالي
6%	34%	60%	3	17	30	قلة الدورات العلمية و التدريبية
26%	18%	56%	13	9	28	قلة المواصلات وتباعدها عن الريف عن المدن
36%	34%	30%	18	17	15	قلة المؤسسات مثل المؤسسات الاجتماعية
32%	26%	42%	16	13	21	عدم وجود مستشفيات ورعاية صحية
12%	18%	70%	6	9	35	عدم وجود أنشطة يمارسها الشباب والأطفال
16%	28%	56%	8	14	28	عدم وجود المنتزهات والأسواق والمحلات التجارية
20%	32%	48%	10	16	24	قلة عدد سكان الريف
10%	30%	60%	5	15	30	ازدياد عدد السكان بدون تخطيط مسبق
40%	20%	40%	20	10	20	ازدياد الإحياء العشوائية
60%	20%	20%	30	10	10	ازدياد الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني
100%			50			المجموع

ويأتي في المرتبة الخامسة الذين يوافقون بأن قلة عدد السكان في المناطق الريفية نتيجة لهجرة عدد من سكان الريف من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا

نسبة 46%، ويأتي في المرتبة السادسة الذين يوافقون بأن ضعف الإمكانيات التعليمية في المدارس من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 44%، ويأتي في المرتبة السابعة الذين يوافقون على أن قلة المدارس وعدم تنوع التعليم، وكذلك قلة المستشفيات والرعاية الصحية في المناطق الريفية هي من أسباب الهجرة حيث شكلوا نسبة 42%، ويأتي في المرتبة الثامنة الذين يوافقون بأن ازدياد الإحياء العشوائية في المدن من أسباب الهجرة، حيث شكلوا نسبة 40%،، ويأتي في المرتبة التاسعة الذين يوافقون بأن التعصب القبلي ونظام الثأر في الريف من أسباب الهجرة، حيث شكلوا نسبة 38%، ويأتي في المرتبة العاشرة الذين يوافقون بأن الاختلافات السياسية والفكرية بين الأقارب في الريف من أسباب الهجرة، حيث شكلوا نسبة 36%، ويأتي في المرتبة الحادية عشرة الذين يوافقون بأن عدم وجود أساتذة متخصصين في المناطق الريفية هي أيضاً من أسباب الهجرة، حيث شكلوا نسبة 34%، ويأتي في المرتبة الثانية عشرة الذين يوافقون بأن قلة المؤسسات الاجتماعية في الريف هي من أسباب الهجرة، حيث شكلوا نسبة 30%، ويأتي في المرتبة الثالثة عشرة الذين يوافقون بأنه الحد من أنصار نظام سياسي ما في الريف، وكذلك ازدياد الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني هي من أسباب الهجرة، حيث شكلوا نسبة 20%، من مجموع أفراد العينة.

النتائج

1- يتبين من خلال هذه الدراسة أن أغلب أفراد العينة من الإناث تمثل نسبة (52%)، بينما شكلت نسبة الذكور (48%) من مجموع أفراد العينة، وأن غالبية أفراد العينة تتراوح أعمارهم من (21-32 سنة) وهم من الشباب الذين يقررون غالبيتهم الهجرة إلى المدينة من أجل التعليم والبحث عن فرص العمل، وأغلبهم متزوجين، ومن المناطق الريفية، وأن أغلب أفراد

العينة من فئة التعليم الجامعي والعالى، وأغلبهم من موظفين القطاع العام، ولديهم دخل متوسط يتراوح من (400-600 دينار) من مجموع أفراد العينة.

2- يتبين من النتائج السابقة بأنه من الأسباب الاجتماعية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة من وجهة نظر المبحوثين هي انعدام خدمة وعمل المرأة الريفية حيث شكلوا نسبة 52%، كما أن المجتمع الريفي يفرض عليك تربية أبناءك، وتأخر سن الزواج في المناطق الريفية حيث شكلوا نسبة 34%، وكذلك أن تضحى من أجل القبيلة والدم في المناطق الريفية لا من أجل الوطن والدين، ولا يوجد اهتمام بتعليم الإناث في الريف هي من أسباب الهجرة حيث شكلوا نسبة 32%، وأن أفراد العينة يسIRON المجتمع ولو كان خاطئ حيث شكلوا نسبة 16% من مجموع أفراد العينة .

3- يتبين من النتائج السابقة بأنه من الأسباب الاقتصادية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة من وجهة نظر المبحوثين أن المدينة تظهر فيها المواهب والإبداعات لدى أغلب الشباب مع توفر المؤسسات التعليمية الخاصة والعامّة حيث شكلوا نسبة 70%، كما أن الازدحام في الطرقات والمؤسسات العامّة في المدينة تعتبر من الأسباب الاقتصادية التي دفعت الشباب للهجرة حيث شكلوا نسبة 56%، ويرون كذلك أن زيادة الإنتاج، وفرصة الالتحاق في مختلف اتجاهات العمل في المدينة هي من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 52%، كذلك اندثار الصناعات التقليدية والحرف اليدوية في الريف هي من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 50%، من مجموع أفراد العينة.

4 - يتبين من النتائج السابقة بأنه من الأسباب الاقتصادية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة من وجهة نظر المبحوثين هي عدم وجود فرص عمل للشباب في المناطق الريفية حيث شكلوا نسبة 46%، كما يرون بأن ارتفاع نسبة البطالة مع ارتفاع عدد العاملين في المدينة، هي من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 44%، وأن عدم وجد فرص لتوظيف الشباب، وكذلك قلة الإنتاج الزراعي والحيواني في الريف، وازدياد الأيدي العاملة في المدينة هي من أسباب هجرة الشباب حيث شكلوا نسبة 38%، من مجموع أفراد العينة.

5- يتبين من النتائج السابقة بأنه من الأسباب السياسية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة من وجهة نظر المبحوثين هي أن المناطق الريفية لا يوجد فيها فرص للتعليم العالي حيث شكلوا نسبة 80%، ولا يوجد فيها فرص للتعليم الجامعي، وكذلك عدم وجود أنشطة يمارسها الشباب والأطفال حيث شكلوا نسبة 70%، كما أن قلة الدورات العلمية والتدريبية في الريف هي من أسباب هجرة الشباب، وازدياد عدد السكان في المدن بدون تخطيط مسبق حيث شكلوا نسبة 60%، وكذلك قلة المواصلات، وتباعد المدن عن الريف، وعدم وجود المنتزهات والأسواق والمحلات التجارية، والمقاهي والمطاعم من أسباب هجرة الشباب من الريف إلى المدينة حيث شكلوا نسبة 56% من مجموع أفراد العينة.

6- يتبين من النتائج السابقة بأنه من الأسباب السياسية لهجرة الشباب من الريف إلى المدينة من وجهة نظر المبحوثين هي قلة عدد السكان في المناطق الريفية نتيجة لهجرة عدد من سكان الريف إلى المدينة حيث شكلوا نسبة 46%، كذلك ضعف الإمكانيات التعليمية في المدارس الريفية حيث

شكلوا نسبة 44%، كما أن قلة المدارس، وعدم تنوع التعليم، وعدم وجود المستشفيات والرعاية الصحية في المناطق الريفية شكلت نسبة 42%، وأن ازدياد الإحياء العشوائية في المدن شكلت نسبة 40%، كذلك يعتبر التعصب القبلي ونظام الثأر في الريف هي من أسباب الهجرة، حيث شكلت نسبة 38%، كذلك أن الاختلافات السياسية والفكرية بين الأقارب في الريف، شكلت نسبة 36%، كما أن عدم وجود أساتذة متخصصين في المناطق الريفية، شكلت نسبة 34%، وأن قلة المؤسسات الاجتماعية في الريف هي من أسباب الهجرة، حيث شكلت نسبة 30%، كما أن الحد من أنصار نظام سياسي ما في الريف، وازدياد الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني هي من أسباب الهجرة، حيث شكلت نسبة 20%، من مجموع أفراد العينة.

الحلول الإستراتيجية للحد من ظاهرة الهجرة

1- حل المشكلات التي يعاني منها شباب الريف من خلال توفير فرص عمل للشباب.

2 - السعي الدائم في تضيق الفجوة بين الحضر والريف في شتى المجالات لتلافي الآثار السلبية المترتبة على الهجرة الداخلية، وذلك عن طريق تنمية شاملة ومتوازنة في مختلف المناطق الريفية.

3- تعميم إلزامية التعليم واستمراريتها، وتطبيق برامج محو الأمية وتطويرها، وتوفير فرص التدريب والتأهيل في مختلف المناطق وخاصة الريفية منها، ووضع برامج التدريب وفقاً لمتطلبات هذه المناطق .

4- توفير الخدمات الصحية - الوقائية والعلاجية - وتحسينها وتأمين الرعاية الجيدة للأمومة والطفولة والأسرة.

5- نشر الوعي السكاني في المناطق الريفية وتحسين نوعية الخدمات الاجتماعية فيها.6 - التنمية المناسبة وإنشاء عدد من المصانع وخاصة الصناعات الصغرى، وتطوير نظام المنتجات الزراعية بشكل يحقق مصلحة المنتج .

7- إيجاد فرص العمل المناسبة في الريف عن طريق تشجيع الصناعات والحرف الريفية 8 .- تحسين الظروف السكنية بما يتناسب مع الخصائص السائدة في كل منطقة وإنشاء المرافق العامة وتطويرها (كهرباء، مياه صرف صحي، تطوير شبكات المواصلات والاتصالات) توفير الاحتياجات الأساسية من بناء مدارس وإنشاء مراكز للتدريب والتأهيل بين مختلف المناطق الريفية والمدن.

9 - العمل على تحسين ظروف المرأة ورفع مستواها التعليمي وخاصة التعليم الجامعي، وتعليمها قيادة السيارة، وإتاحة فرص العمل المناسبة لها .

10- انخراط المرأة في مؤسسات المجتمع المدني، وإسهامها في التنمية الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، لما في ذلك من أثر في عمليات التحضر، والهجرة الداخلية .

المقترحات

نقترح أن تكون هناك العديد من الدراسات المحلية والعالمية التي تهتم بمشكلة هجرة الشباب من الريف إلى المدينة؛ وذلك لتوضيح الأسباب والآثار التي لم نتمكن من الوصول إليها من خلال هذا البحث وإيجاد حلول مناسبة لها.

قائمة المصادر و المراجع

- 1- إدريس عزام، موسى أبو حاسة أحمد ربيعة، المجتمع الريفي والحضري والبدوي، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، 2010م.
- 2- إبراهيم حلمي الغوري، السكان في العالم، دار الشرق، حلب، سوريا، 2000.
- 3- سعود شواقفة، فؤاد الهزأيمة، و صفاء إبراهيم، دراسات في جغرافية الوطن العربي، دار عمار، عمان، 1991.
- 4 ساجدة عبد الحكيم عبد القادر محسن، الهجرة الداخلية الوافدة إلى مدينة نابلس بين الأعوام (1994 - 2018) الأسباب والآثار، مدينة نابلس، فلسطين، 2018.
- 5- صبري محمد حمد، الجغرافيا البشرية دراسات نظرية وتطبيقية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط1، 2009.
- 6- طارق كمال، سكيولوجية الشباب تنمية الشباب اجتماعياً واقتصادياً، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005.
- 7- عالية حبيب نجوى عبد الحميد سعد الله، وآخرون، علم الاجتماع الريفي، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، عمان، الأردن، 2011.
- 8- عبد القادر القصير، الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب العربي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992.

- 9- عبد علي الخفاف، الجغرافيا البشرية أسس عامة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001.
- 10- عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار النشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005.
- غريب سيد أحمد، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.
- 11- علي ليلة، الشباب العربي تأملات في ظواهر الإحياء الديني والعنف، دار المعارف للطباعة والنشر، ط1، 1993.
- 12- علي الحوات، الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر بلدان المغرب الغربي، منشورات الجامعة المغربية خلال 2007-2006، طرابلس، ليبيا.
- 13- فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في الجغرافيا البشرية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 1996.
- 14- فوزي سهاونه، مبادئ الديموغرافيا، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1983.
- 15- كأيد عثمان أبو صبحة، جغرافيا المدن، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2003.
- 16- محمد نجيب بوطالب، علم الاجتماع الريفي القرى والأرياف العربية، دار جامعة الملك سعود للنشر والتوزيع، السعودية، 2014.

17- محمود عبد الحميد حسين، محمد محمود مهدي، محمد السيد حلاوة، علم الاجتماع الريفي، دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2012م.

18- محمود جاد، التضخم الحضري في البلدان النامية، دار العالم الثالث القاهرة، ط1، القاهرة، مصر، 1993.

19- محجوب عطية الفائدي، أساسيات علم السكان، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، 1997.

المجلات العلمية:

1- عبد الله صالح مثني، الهجرة الداخلية وأثرها على تركيب السكان في الجمهورية اليمنية مجلة العلوم الإدارية واقتصادية باليمن، اليمن، 2008م.

2- نبيل مرزوق، هجرة الكفاءات وأثرها على التنمية الاقتصادية، جمعية العلوم الاقتصادية السورية، الندوة الثالثة والعشرين، سوريا.

3- ماري مأكوليف (المنظمة الدولية للهجرة) وبينود خضرية (جامعة جواهر لال نهرو، تقرير الهجرة في العالم، المنظمة الدولية للهجرة، 2019

الرسائل العلمية

1- المبروك عاشور الغرياني، الهجرة العكسية من المدينة إلى الريف، "دراسة ميدانية، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة، ليبيا، 2006م.

2- ياسين الكبير، المهاجرين في طرابلس الغرب، دراسة حالة التماثل معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982.

أغراض الشعر الليبي "ديوان أشرة الرجاء"

للشاعر الدكتور إمام أبو سطات أنموذجاً

إعداد: د سالم فرج زويك

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، بحث بعنوان "أغراض الشعر الليبي ديوان أشرة الرجاء للشاعر الدكتور إمام أبو سطات أنموذجاً"، يهدف البحث إلى التعريف بأغراض الشعر التي نسج عليها الشاعر الليبي الحديث شعره، ودافع البحث تعريف القارئ بأغراض الشعر الليبي الحديث والمعاصر، ويهدف إلى تسليط الضوء على جانب من جوانب الأدب الليبي وهو الأغراض الشعرية والأوزان التي استعملها الشاعر الليبي، ولأن هذا الموضوع لم يدرس من قبل، فقد واجه الباحث بعض الصعوبات منها قراءة القصيدة كاملة ليتوصل إلى غرضها، ومعرفة وزنها، وإحصاء الأوزان والبحور، وقد اتبع فيه الباحث المنهج الوصفي التحليلي، فكان هذا البحث منكون من مقدمة، وتمهيد، وتوطئة وثلاثة مطالب: التوطئة: تعريف الشعر، وتعريف التجربة الشعرية، والمطلب الأول: أغراض شعرية قديمة: غزل، وحكمة ومثل، ووصف، وهجاء، ورتاء، والمطلب الثاني: أغراض شعرية حديثة: شعر المناسبات، والشعر الوطني، وشعر الإخوانيات، والمديح النبوي، والاعتذار، والتقرير، والمطلب الثالث: الموسيقى الخارجية، والبحور الشعرية التي نسج عليها الشاعر قصائد ديوانه، وخاتمة فيها أهم النتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

التعريف بالشاعر

هو الشاعر إِمحمد علي سليمان أبو سطاتش الفيتوري، وأصله من فواتير زليتن - الجنسية: لبيبي. - ولد سنة 1973م في سوق الخميس شرق مدينة الخمس، وفيها نشأ، درس بمدرسة سيدي علي الفرجاني الابتدائية القرآنية وحفظ القرآن كاملاً، وفي سنة 1986م التحق بمعهد أبي ذر الغفاري للقراءات، ومنه إلى معهد المعلمين الخاص الذي تخرج فيه سنة 1991م حاصلًا على الدبلوم في اللغة العربية، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة ناصر بمدينة الخمس، وتخرج فيها سنة 1997م حاصلًا على شهادة الليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، عُين معيدًا بكلية نفسها، وكلف أمينًا لتحرير صحيفة ناصر الصادرة عن الجامعة، كانت بدايته الشعرية مذ كان طالبًا في الجامعة، وكان تأثره واضحًا بالشعر الجاهلي، نشر بعض أشعاره في صحيفة "أخبار الجماهير" الصادرة عن أمانة الإعلام بمنطقة الخمس⁽¹⁾، تحصل على الماجستير عام 2002م من جامعة المرقب، ثم تحصل على الدكتوراه بتاريخ 2011م من جامعة الإسكندرية بجمهورية مصر التخصص الدقيق: نحو وصرف، طبع ديوانه الأول بعنوان أشرعة الرجاء الذي كان اسمه "خطوة على الطريق" قبل الطباعة عام: 2012م، وسبب تسميته بذلك القصيدة التي تحمل هذا العنوان، وكانت في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم -، وديوانه الثاني الموسوم خواطر

(1) الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، الدكتور قريرة زرقون نصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 204م، ج2، "مقابلة شخصية مع الشاعر في سنة 1999م" : 102- 103.

الكنانة طبع عام: 2012م⁽¹⁾، وبعد التعريف بالشاعر سيعرف الباحث بالديوان موضع الدراسة.

التعريف بالديوان:

ديوان الشاعر إمام علي أبو سطات بعنوان (أشعة الرجاء)، وهو عنوان قصيدة في الديوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم شارك بها الشاعر في مهرجان طرابلس الدولي للمديح النبوي 2005م، ونالت الترتيب الأول مع قصيدتين أخريين إحداهما للدكتور محمد بن صوفية - رحمه الله -، والأخرى للدكتور نزار البغدادي، والديوان يحمل نتائج مرحلة عمرية للشاعر من عام: 1996م - إلى أواسط 2006م، ويحمل هذا الديوان في طياته ما يقارب عن: 122 قصيدة ومقطوعة⁽²⁾، وبعد التعريف بالشاعر والديوان يعرف الباحث الشعر والتجربة الشعرية وأهمتها.

توطئة

تعريف الشعر:

الشَّعْرُ - أَسْعَدَكَ اللهُ - كلامٌ منظومٌ بَانَ عَنِ الْمُنْثُورِ الَّذِي يَسْتَعْمَلُهُ النَّاسُ فِي مَخَاطِبَاتِهِمْ بِهَا خُصَّ بِهِ مِنَ النَّظْمِ الَّذِي إِنْ عُدِلَ بِهِ عَنِ جِهَتِهِ مَجِّئَتْهُ الْأَسْمَاعُ وَقَسَدَ عَلَى الدُّوقِ. وَنَظْمُهُ مَعْلُومٌ مَحْدُودٌ؛ فَمَنْ صَحَّ طَبْعُهُ وَدَوَّقَهُ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى الْإِسْتَعَانَةِ عَلَى نَظْمِ الشَّعْرِ بِالْعَرُوضِ الَّتِي هِيَ مِيزَانُهُ، وَمَنْ اضْطَرَبَ عَلَيْهِ الدُّوقُ لَمْ يَسْتَغْنِ

(1) مقابلة مع الشاعر في يوم: 13/10/2016م مع الباحث، مجلة المعرفة، جامعة بني وليد، كلية التربية، العدد السادس ديسمبر: 2016م، بحث للباحث سالم فرج زويبيك: 24-25.
(2) ينظر مقدمة الديوان أشعة الرجاء، إمام علي أبوسطات، ط1، 2012م: 5-6.

عَنْ تَصْحِيحِهِ وَتَقْوِيمِهِ بِمَعْرِفَةِ الْعَرُوضِ، وَالْحَذَقِ بِهَا حَتَّى تَصِيرَ مَعْرِفَتُهُ الْمُسْتَفَادَةُ كَالطَّبْعِ الَّذِي لَا تَكُفُّ مَعَهُ (1).

التجربة الشعرية

هو انفعال الشاعر بمشهد أو حدث أو فكرة أو موضوع أو عاطفة أو خاطرة، أو غير ذلك مما يهز المشاعر ويحرك الأحاسيس ويثير الوجدان، ويلهب العاطفة، ويحيي الخواطر ويبعثها، لتتلاحم كلها في عالم الشعور، أي: في معامل النفس والوجدان والمشاعر والعواطف في تجربة شعرية تتحرك إلى مجالها، مجال الأسلوب والإبداع في التصوير، الذي يتعاون فيه العقل والخيال معاً في انتقاء الألفاظ والأساليب والصور والموسيقى والإيقاع، ليتناسب الجميع مع الغرض والموضوع والمعاني والعاطفة والمحسنات، في اتزان وتوازن بين العقل والخيال؛ بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر في داخل النفس (2).

المطلب الأول

أغراض قديمة:

معلوم أن الشعر منذ القدم ينشد على أغراض شعرية تعارف عليه الشعراء منذ القدم، وقد استحدثت أغراض حديثة، فالشاعر موضع الدراسة قد تناول الأغراض القديمة، والحديثة، وفي هذا المطلب سنرى الأغراض التي تناولها الشاعر في ديوانه.

(1) عيار الشعر، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت: 322هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي - القاهرة: 5-6.
(2) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، علي علي مصطفى صبح، تهامة - جدة-المملكة العربية السعودية، ط1 1404هـ - 1984م: 214.

الغزل:

نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم وخطر على قلوبهم من فنونه وأغراضه الكثيرة كالنسيب، ويسمى التشبيب والتغزل، وطريقته عند الجاهلية يكون بذكر النساء ومحاسنهن وشرح أحوالهن، وكان له عندهم المقام الأول من بين أغراض الشعر حتى لو انضم إليه غرض آخر قدم النسيب عليه، وافتتح به القصيد؛ لما فيه من إلهام النفس وارتياح خاطر؛ ولأن باعته الفذ هو الحب، وهو السر في كل اجتماع إنساني والبدو أكثر الناس حباً لفرغهم(1). وينقسم الغزل إلى نوعين: وهما غزل حسي، وغزل عذري، وكلاهما يؤثر في وجدان الشاعر:

أثر الغزل الحسي في الوجدان:

فالوجدان عند الشاعر في الغزل الحسي وجد أنه ليس محمومًا، ولا حارًا متدفقًا؛ لأن صاحبه قد أرضى نزواته وشهواته من مفاتن المرأة في تصويره الحسي الماجن، فتطفئ كل صورة من شعره جمرة من وجدانه وهكذا، وإذا ما انتهت القصيدة صورة صورة، لا تجد عرقًا ينبض من وجدان في نفس الشاعر، وتلك طبيعة الشهوة البهيمية التي يجب أن يترفع عنها المسلم(2).

أثر الغزل العذري في الوجدان:

أما الوجدان عند الشاعر العذري فهو وجدان يغتلي ويفور، ويلتهب فيحرق العروق التي تنبض بالحياة؛ لأن الشاعر لم يضبط وجدانه المسرف، ولم يحدد مساره

(1) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، ج2: 25.

(2) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية: 93.

وطريقه، فهو أشبه بنار تتدلع في هشيم الجسد، فيأتي عليه فلا يترك أثرًا ولا بقية(1). وعلى هذا فشعر الوجدان يشمل جوانب أخرى غير حب المرأة، تقوم على الحب المجرد الذي يشمل ما في الوجود كله، مثل حب الحياة وحب الناس، وحب الطبيعة، وحب الإنسان وحب المبادئ السامية، وغيره، لكن كل هذا من خلال الوجدان الذاتي للشاعر، لا من خلال موضوع يصطبغ بوجدانه، فلو كان الوجدان من خلال موضوع ما، لانتقلنا من شعر الوجدان إلى غرض أدبي آخر غير الشعر الوجداني(2)، وقد أنشد الشاعر على غرض الغزل خمسا وأربعين قصيدة موزعة على عشرة بحور، فكان نصيب بحر الكامل ثلاثا وعشرين قصيدة، وبحر الوافر ست قصائد، وبحر المتقارب خمس قصائد، وبحر الرمل أربع قصائد، وبحر الهزج قصيدتين، وبحر المتدارك قصيدة واحدة، وبحر الخفيف قصيدة واحدة، وبحر المديد قصيدة واحدة، وبحر الطويل قصيدة واحدة، وبحر الرجز قصيدة واحدة.

ومن أمثلة شعر الغزل قول الشاعر من المتقارب:

سَبَبْتِي لَوَاحِظُ رِيمٍ كَحَيْلٍ بَوَسَطِ الرِّحَامِ فَأَدَمْتُ جِرَاحِي (3)

ويقول من الكامل:

إِنَّ الْفُؤَادَ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ وَعَدَا عَلِيلاً إِذَا رَأَى الْحَسَنَاءُ (4)

وغرض الغزل يأخذ المرتبة الأولى من حيث الأغراض القديمة والحديثة عند الشاعر بعدد خمس وأربعين قصيدة بنسبة تقارب سبع وثلاثون في المئة من قصائد الديوان،

(1)المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية: 93.

(2)نفسه: 94.

(3)الديوان: 61.

(4)الديوان: 18.

وربما يرجع ذلك إلى فترة إنشاء الديوان للشاعر حيث كانت في زمن الصبا والشباب.

الحكمة والمثل والنصح والإرشاد

والحكمة والمثل: فالحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً. والمثل مرآة تريك أحوال الأمم، وقد مضت وتقفك على أخلاقها، وقد انقضت فالأمثال ميزان يوزن به رقي الأمم وانحطاطها وسعادتها وشقاؤها وأجبتها ولغتها. وأكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها موجزة متضمنة حكماً مقبولاً أو تجربة صحيحة تملئها عليها طباعها بلا تكلف راجع فن الأمثال السابق(1)، وقد تأخذ جانباً من النصح والإرشاد، وقد نسج الشاعر في هذا الغرض ثماني قصائد، فكانت سبع قصائد على وزن بحر الكامل، وقصيدة واحدة على بحر الوافر

ومن شعر الحكمة قصيدة بعنوان "كن كالغصون" قوله:

كُنْ كَالْغُصُونِ بِجَدِّعِهَا فِي الْقَيْظِ خَيْرَ مُظَلِّلَةٍ(2)

يريد بذلك حسن السيرة والفائدة لقومه تجنباً للمثل القائل:

"ظُلٌّ سَيَالٍ رِيحُهُ حَرُورٌ" السَّيَالُ: شجر من العَصَاهِ، ولها وَرْدَةٌ طيبة الرائحة، وَالْحَرُورُ: ريح حارة تهبُّ بالليل، وقيل: بالنهار، يضرب للرجل له سِيْمَا حَسَنَةٌ ولا خير عنده(3).

(1) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج2: 26.

(2) الديوان: 128.

(3) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: 518هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، ج1: 444.

والحكمة والمثل والنصح والإرشاد يحتل المرتبة الرابعة من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد ثماني قصائد بنسبة ستة في المئة تقريبا.

الوصف:

هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به (1). وقد يسمى بالشعر الوصفي:

الوصف جزء طبيعي من منطق الإنسان؛ لأن النفس محتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من الموجودات وما يكشف للموجودات منها، ولا يكون ذلك إلا بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصور في طريق من طرق السمع والبصر والفؤاد، أي: الحس المعنوي، فالأمم الطبيعية هي أصدق الأمم في الوصف طبيعة؛ لأنه سبيل الحقيقة في ألسنتها؛ ولأن حاجاتها الماسة إليه تجعل هذا الحس فيها أقرب إلى الكمال، فإذا أضفت إلى ذلك سعة العبارة ومطاوعة اللغة في التصريف - كما هو الشأن عند العرب - كان أجمع للحس وأبدع في تصوير الحقيقة بما تكثر اللغة من أصباغها ويجيد الحس في تأليف بينها وتكوين المناسبات الطبيعية التي تظهرها تلك الألوان المهيأة على حسب هذه المناسبات (2)، وقد أشد الشاعر في هذا الغرض ست قصائد فكانت ثلاث قصائد على بحر الكامل، وقصيدتين على وزن بحر المتقارب، وقصيدة على وزن بحر الرمل.

ومنه قصيدة بعنوان "عين الحقيقة" يصف حالنا في هذا الزمن، فيقول من مجزوء الرمل:

(1) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج: 2، 26.

(2) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ)، دار الكتاب العربي، ج: 3، 80.

بَعْضُنَا فِي الْحَقِّ ضَامٍ بَعْضُنَا فِي الظُّلْمِ سَامٍ

بَعْضُنَا يُنْكَرُ شَمْساً وَهِيَ تَبْدُو لِأَنَّامِ (1)

والوصف يحتل المرتبة السابعة من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد ست قصائد بنسبة خمسة في المئة تقريبا.

الهجاء:

هو تعداد مثالب المرء وقبيله ونفي المكارم والمحاسن عنه(2). وقد أنشد الشاعر في هذا الغرض ست قصائد، فكانت خمس قصائد على وزن بحر الكامل، وقصيدة واحدة على وزن بحر المتقارب.

ومنه على وزن المتقارب قوله:

تَوَدُّ النَّنَاءَ بِمَا لَمْ تَقُلْ فَبِئْسَ الْمُرَادُ وَبِئْسَ الْعَمَلُ (3)

والهجاء يحتل المرتبة الثامنة من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد ست قصائد بنسبة خمسة في المئة تقريبا.

الرياء:

وهو تعداد مناقب الميت وإظهار التفجع والتلهف عليه واستعظام المصيبة فيه(4)، وقد يسمى التعازي: وهو أكثر ما تكلم فيه الناس؛ لأنه لم يعر أحد من مصيبة بحميم، ذلك قضاء الله على خلقه. فكل تكلم إما متعزياً، وإما معزياً، وإما متصبراً

(1) الديوان: 145.

(2) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج 2: 26.

(3) الديوان: 279.

(4) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج 2: 26.

محتسباً، قال أبو الحسن المدائني: كانت العرب في الجاهلية وهم لا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً يتحاضون على الصبر، ويعرفون فضله، ويعيرون بالجزع أهله، إيثاراً للحزم وتزيناً بالحلم، وطلباً للمروءة، وفراراً من الاستكانة إلى حسن العزاء، حتى إن كان الرجل منهم ليفقد حميمه، فلا يعرف ذلك فيه. يصدق ذلك ما جاء في أشعارهم، ونثي من أخبارهم(1). وقد أنشد الشاعر على هذا الغرض خمس قصائد، وكانت على وزن بحر الكامل.

ومن قصائد الرثاء قصيدة رثاء لابنة الشاعر، فقال:

أَوَاهُ وَالْهَفِي عَلَيْكَ بُنَيْتِي مَا حَيْلِي وَالْمَوْتُ دُقَّتِ أَمَامِي

أَوَاهُ وَالْأَسْفِي فَإِنَّ خَوَافِي وَقَوَادِمِي مَسْحُوقَةٌ وَقَوَامِي(2)

وقد جاء هذا الغرض في الترتيب الثامن من حيث الأغراض القديمة والحديثة عند الشاعر بعدد خمس قصائد بنسبة أربعة في المئة تقريباً.

الفخر:

هو تمدح المرء بخصال نفسه وقومه والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم ووفرة قبيلهم ورفعة حسبهم وشهرة شجاعتهم(3). وقد أنشد الشاعر على هذا الغرض قصيدة واحدة على بحر الكامل.

وهذه القصيدة بعنوان "مربع الأجداد" من الكامل يقول:

(1) التعازي [والمراثي] والمواظ والوصايا]، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: 285هـ)، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: 42.

(2) الديوان: 132.

(3) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج: 2: 25.

رَحَلَ الْفُؤَادُ إِلَى الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ مَعَشَرِ أَجْوَادِ

إِنْ أَنْتَ أَلْفَيْتَ النُّجُومَ تَرَاهُمْ بِالضَّيْفِ يَفْرَحُ جَمْعُهُمْ وَيَبَادِي (1)

والفخر يحتل المرتبة الحادية عشر من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد قصيدة واحدة بنسبة أقل من واحد في المئة.

المطلب الثاني: أغراض حديثة:

شعر المناسبات:

تعريفه: المناسبات الشعرية: من الدوافع التي أثرت في تجربة الشاعر المواقف والأحداث والمناسبات، التي تفرضها على شعره إنسانيته، ويدفعه إليها دينه وعقيدته، كحق إنساني، وواجب ديني، فالقضايا الإسلامية المعاصرة تحض الشاعر على أن يجتد شعره لجهاد أعداء الإسلام، وهم الصهيونية واليسارية واليمينية، وأن يعود المسلمون إلى الشريعة الإسلامية، التي أقام السلف الصالح حضارتها الراسخة (2)، وإلى جانب الشعر الوطني الإسلامي والاجتماعي والذاتي، يكثر عند الشعراء المحافظين شعر المناسبات والمجاملات، فهم قد مدحوا، ورثوا، وهنأوا، وقرظوا، وعاتبوا، وداعبوا، وهجوا، وذلك على تفاوت بينهم بطبيعة الحال.

كما أنهم أسهموا بشعرهم في تسجيل بعض الأحداث العالمية الكبرى كزلزال مدمر، أو حرب ضروس، ونحو ذلك (3)، وقد أنشد الشاعر على هذا الغرض خمسا وعشرين قصيدة موزعة على أربعة بحور فكان نصيب بحر الكامل عشرين قصيدة،

(1) الديوان: 84.

(2) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية: 216.

(3) تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد عبد المقصود هيكال، دار المعارف، ط6 1994، 135.

وبحر المتقارب ثلاث قصائد، وبحر الوافر قصيدة واحدة، وبحر الرجز قصيدة واحدة.

ومنها تهنئة الشاعر لصديقه بزواجه بقصيدة بعنوان "سكينة وصلاح" يقول فيها من الكامل:

فَقَصُّ الزَّوْجِ سَكِينَةً وَصَلَاحُ وَسَمِعْتُ أَنْ قَدْ حَلَّ فِيهِ فَلَاحُ⁽¹⁾

وشعر المناسبات يحتل المرتبة الثانية من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد خمس وعشرين قصيدة بنسبة عشرون في المئة تقريبا.

الشعر الوطني

الشعر الوطني لا ينفصل عن المدح، وكذلك المدح لا ينفصل عنه، قد صيغا معاً في بنية واحدة، يقومان على غرض واحد وهو المدح في بناء الوطن(2)، وقد أنشد الشاعر في هذا الغرض تسع قصائد، فكانت أربع قصائد على وزن الكامل، وثلاث على وزن بحر الرمل، وقصيدة واحدة على وزن بحر الوافر، وقصيدة واحدة على وزن بحر الهزج.

ومنه قصيدة للشاعر بعنوان "أولى القبلتين" من مجزوء الهزج، قوله:

إِلَامٌ يَكْتَبُ النَّارِيبَ حُ مِّنَّا تَضَحُّكَ الْأُمَمُ

وَكُنَّا سَادَةَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ تَفُوقُنَا قِمَمُ⁽³⁾

(1) الديوان: 57.

(2) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية: 241.

(3) الديوان: 138.

والشعر الوطني يحتل المرتبة الثالثة من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد تسع قصائد بنسبة سبعة في المئة تقريبا.

الإخوانيات

يرتبط شعر الإخوانيات بالحياة الشخصية للمبدع، وذلك من طريق تسجيل مختلف الأحاسيس والمشاعر التي يعبر عنها في مناسبات عدة⁽¹⁾، وقد أنشد الشاعر في هذا الغرض سبع قصائد، فكانت ثلاث قصائد على وزن بحر الكامل، وقصيدتين على وزن بحر الهزج، وقصيدة على وزن بحر الوافر، وقصيدة على وزن بحر المتقارب.

يقول في قصيدة بعنوان "حيارى آخر الزمن" من مجزوء الوافر:

يَسْنَا مِنْ تَلَاقِينَا بِلَيْلِ طَالٍ فِي السَّكَنِ

رَجَوْنَا فِي سَرِيرَتِنَا بِمَا نَرَجُوهُ فِي الْعَلَنِ⁽²⁾

وشعر الإخوانيات يحتل المرتبة الخامسة من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد سبع قصائد بنسبة ستة في المئة تقريبا.

المديح النبوي:

وهو الثناء على ذي شان بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاجة العقل والعفة والعجل والشجاعة، وإن هذه الصفات عريضة فيه، وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلفية. وشاع المدح عندما ابتذل الشعر واتخذ الشعراء مهنة ومن أوائل مداحيهم

⁽¹⁾ الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، ج:1، 359.

⁽²⁾ الديوان: 317.

زهير والنابعة والأعشى(1). والشعراء أيضا في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء. ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل(2)، وقد تطور غرض المدح في العصر الحديث إلى المديح النبوي وهو: "من الألوان الشعرية التي كانت رائجة في شعر مرحلة التقليد الحديثة، والتغني بأوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم وبمكارمه وأخلاقه وفضله على البشرية"(3)، وقد أنشد الشاعر على غرض المديح النبوي ست قصائد، وكانت أربع قصائد على بحر الكامل، وقصيدة واحدة على بحر الوافر، وواحدة على وزن بحر المتدارك.

ومن أمثلة المديح النبوي قول الشاعر في قصيدة أشرة الرجاء:

نَفَحَاتُ طَيْبَةٍ قَدْ سَكَنَ بِمُهْجَتِي وَالْجَسَدُ مِنْ حُبِّ النَّبِيِّ مَشِيدٌ(4)

وغرض المدح النبوي يحتل المرتبة التاسعة من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد ست قصائد بنسبة خمسة في المئة تقريبا.

الاعتذار:

الاعتذار من موضوعات شعر المناسبات التي تبرز نفسية الشاعر وصفاء روحه نحو إخوانه حيث يعترف بالذنب إذا صدر عنه...، والشعراء الليبيون لا يجدون غضاضة في الاعتذار لإخوانهم إذا صدر عنهم موقف يتطلب الاعتذار(5)، والاعتذار: هو درء الشاعر التهمة عنه والترفق في الاحتجاج على براءته منها

(1) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج2: 26.

(2) الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـ، ج 1: 94.

(3) الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، ج1: 88.

(4) الديوان: 13.

(5) شعر المناسبات في ليبيا موضوعاته وخصائصه الفنية، أ.إحنين المعاري إحنين شنيعة،

المؤسسة العامة للثقافة، ط1، 2010م: 143.

واستمالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه: والنابغة في الجاهلية فارس هذه الحلبة(1). وقد أنشد الشاعر في هذا الغرض ثلاث قصائد على وزن بحر الكامل.

ومنه قصيدة بعنوان "شكر الوفي" من الكامل، فيقول:

قُلْتُ لَهَا: إِنَّ اعْتِدَارَكَ وَاصِلٌ وَلَئِنْ شَكَرْتُ فَإِنَّ ذَلِكَ جَمِيلٌ(2)

وغرض الاعتذار يحتل المرتبة العاشرة من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد ثلاث قصائد بنسبة اثنان في المئة تقريبا.

التقريظ

هو من الموضوعات الشعرية التي عني بها الشعراء في القديم والحديث فقرظوا إبداع المبدعين من شعر ونثر، وقرظوا أيضا المبدعين أنفسهم(3)، وقد أنشد الشاعر على هذا الغرض قصيدة واحدة على بحر الكامل.

وهذه القصيدة بعنوان "حي الربوع الحاضنات الأسمر"، يقول فيها من الكامل:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ افْتَحِرْ بِمَنَارَةٍ فِيهَا تُضَاهِي فِي الْعُلُومِ الْأَرْهَرًا(4)

والتقريظ يحتل المرتبة الثانية عشر من حيث الأغراض القديمة والحديثة بعدد قصيدة واحدة بنسبة أقل من واحد في المئة.

(1) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج: 2، 26.

(2) الديوان: 304.

(3) شعر المناسبات في ليبيا موضوعاته وخصائصه الفنية: 61.

(4) الديوان: 273.

وهكذا نرى بأن الشاعر نسج ديوانه على اثني عشر غرضاً تنقسم إلى أغراض قديمة بعدد ستة أغراض، وأغراض حديثة بعدد ستة أغراض.

المطلب الثالث

ويعد أن تعرض الباحث لأغراض الشعر عند الشاعر كان لزاماً عليه أن يطلعنا على الموسيقى الشعرية والأوزان التي نسج عليها الشاعر أغراضه.

الموسيقى الخارجية.

تعتمد القصيدة العربية التقليدية على ركنين، هما: وحدة الوزن، ووحدة القافية، فالشعر العربي أعظم أركانه الوزن وهو أساسه (1)، فالموسيقى هي أبرز صفات الشعر، وهي العنصر البارز الذي يميز الشعر من النثر، وآية ذلك أن المعنى الواحد إذا قيل مرة شعراً، ومرة نثراً كان في الشعر أقوى أثراً (2) «والوزن شيء واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى» (3)، والفرق بين الشعر والنثر هو الموسيقى، وهي كما يراها بعض الباحثين «أبرز صفات الشعر لأن القدماء لا يرون في الشعر أمراً جديداً يميزه من النثر إلا ما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي» (4) والشعر العربي منذ القدم خضع لموسيقى معينة لتقوي المعنى، وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه، وتمثلت تلك الموسيقى في أوزان الشعر العربي وقوافيه (5) وقد رأى بعض النقاد أن «اقتران الوزن بالتخيل الشعري أو المحاكاة ليس أمراً عشوائياً أو

(1) انظر العمدة 1: 134.

(2) انظر في النقد الأدبي: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط2/ 1972م: 170.

(3) نقد الشعر: 7.

(4) موسيقى الشعر (د إبراهيم أنيس) ط1981، 5م: 14.

(5) انظر النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر 1997م، محمد غنيمي هلال: 435.

مجرد إكمال شكلي لتعريف الشعر، وإنما هو أمر يرتبط بخاصية الوزن نفسه من حيث تأثيره الذاتي في المتلقي» (1) وهناك من يرى أن العوامل الثقافية في القرن الثاني قد أثرت تأثيراً كبيراً في أوزان الشعر العربي، وذلك أن هذه العوامل كانت نتيجة للعوامل السياسية التي أدت إلى ظفر الدولة الإسلامية بترءاء كبير جراء الفتوحات الإسلامية؛ مما جعل الخلفاء يغدقون الأموال الطائلة على الشعراء، فكثرت الغناء، والترف مما جعل أغلب الشعراء يجددون في الأوزان، ومنهم على سبيل المثال الشاعر أبو العتاهية (2) الذي قال عنه ابن المعتز «كان لسهولة شعره وجوده طبعه فيه ربما قال شعرا موزونا ليس من الأعاريض المعروفة، وكان يلعب بالشعر لعباً ويأخذ كيف شاء» (3)، ومن هنا حدث التجديد في هذا الباب، فقد حاول الشعراء منذ القدم التمرد على بحور الشعر الخليلية والثورة عليها (4) والشعر اللببي المعاصر قد واكب الشعراء بالنسج على أوزان هذه البحور، مع الاختلاف في الكثرة والقلّة وهاك عدد قصائد كل بحر من البحور:

البحر الكامل

وتفعيلاته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن... متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وسمي كاملاً لتكامل الحركات فيه، إذ يحتوي على ثلاثين حركة في شطريه، وهو من أهم بحور الشعر العربي⁽⁵⁾، وقد قال عنه الطيب: "الكامل القصير قد

(1) مفهوم الشعر (د جابر عصفور) ط2، المركز العربي للثقافة والعلوم : 240.

(2) انظر الشعر في العصر العباسي (علي نجيب عطوي) مؤسسة عز الدين بيروت : 80 - 83.

(3) طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت: 296هـ)، المحقق: عبد الستار أحمد فراج، ط3، دار المعارف - القاهرة: 229.

(4) انظر النقد الأدبي بين القدماء والمحدثين (العربي درويش) مكتبة النهضة المصرية: 199.

(5) موازين الشعر ومحاولات التجديد، محمد أبو عامود، الدار الثقافية للنشر القاهرة ط1، 2008م: 97.

أطال فيه الشعراء المتأخرون⁽¹⁾ وقد حضي بالعدد الأكبر من قصائد الشاعر فكان عدد القصائد تسع وسبعون قصيدة بنسبة أربع وستون بالمئة تقريبا، موزعة على أغراض: المدح النبوي، والغزل، والشعر الوطني، والهجاء، والمناسبات، والفخر، والحكمة، والرتاء، والإخوانيات، والوصف، والتقريض والاعتذار.

بحر المتقارب

وتفعيلاته: فعولن فعولن فعولن فعولن.... فعولن فعولن فعولن

وسمي بالمتقارب لتقارب أجزائه إذ يتركب من تفعيلات خماسية لا يفصل بين الوند المجموع والوند المجموع الآخر إلا سبب خفيف، ولا يفصل بين السببين إلا وتد مجموع وهكذا (2) وسمي بالمتقارب لتقارب الأوتاد التي لا يفصل بينهما إلا سبب خفيف (3) وقد نسج الشاعر على وزنه اثنتي عشرة قصيدة بنسبة عشرة بالمئة تقريبا، موزعة على أغراض الشعر: غزل ومناسبات، وإخوانيات، ووصف، وهجاء.

بحر الوافر

وتفعيلاته: مفاعلتن مفاعلتن فعولن... مفاعلتن مفاعلتن فعولن

وسمي الوافر وافرا لتوفر حركاته؛ لأنه ليس في الأجزاء أكثر حركات من مفاعلتن، وما يفك منه وهو متفاعلتن، وقيل: سمي وافرا لوفور أجزائه⁽⁴⁾ وهو من

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، ط3، الكويت 1989م، ج1: 127.

(2) موازين الشعر: 155.

(3) انظر الوافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: د فخر الدين قباوة، دار الفكر سورية، 2007م ط6: 167.

(4) نفسه: 69.

بحور الطبقة الأولى⁽¹⁾، وقد حضى هذا البحر في الديوان موضع الدراسة بإحدى عشرة قصيدة، بنسبة تسعة بالمئة تقريبا، في ستة أغراض، وهي: غزل، ومناسبات، وشعر وطني، وحكمة، ومديح نبوي، وإخوانيات

بحر الرمل

وتفعيلاته:فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن... فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

سمي رملا، لأن الرمل نوع من الغناء، يخرج من هذا الوزن، فسمي بذلك، وقيل: سمي رملا؛ لدخول الأوتاد بين الأسباب، وانتظامه كرمل الحصير الذي نسج به⁽²⁾، وقيل: سمي بالرمل؛ لأن وزنه يناسب وقع سير الإبل، ومعنى رمل لغة هرول، وفي الجاهلية كانوا يطلقون على نغمة سير الإبل الرمل، وهو بحر يقف متوسطا بين البحور التي تقف موقف الصدارة في الشعر العربي، والبحور النادرة الاستعمال، وقد أكثر منه المحدثون لصفائه وسهولة النظم عليه⁽³⁾ والشاعر موضع البحث نسج على وزنه ثماني قصائد بنسبة ستة بالمئة تقريبا، على أغراض الغزل والوصف والشعر الوطني.

بحر الهزج

تفعيلاته: مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن... مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

ولا يجيء إلا مجزوءاً وذلك بحذف التفعيلة الأخيرة من العروض والضرب وسمي بالهزج تشبيها له بهزج الصوت، وهو ضرب من الغناء، والعرب كثيرا ما تألف الغناء، وآثاره قليلة في الشعر الجاهلي، ولكن المولدين استخفوه وكتبوا منه

(1) موازين الشعر ومحاولات التجديد: 91.

(2) الوافي في العروض والقوافي: 109.

(3) انظر موازين الشعر ومحاولات التجديد: 118.

قصائد عذبة⁽¹⁾، وقيل سمي هزجا لتردد الصوت فيه، والتهزج تردد الصوت... فلما كان الصوت يتردد في هذا النوع من الشعر سمي هزجا، وقيل: لما كان التهزج تردد الصوت، وكان كل جزء منه يتردد في آخره سيبان، سمي هزجا⁽²⁾، وقد استعمل الشاعر وزن هذا البحر في ديوانه خمس مرات، بنسبة أربعة بالمئة تقريبا، فكانت في أغراض: الشعر الوطني قصيدة واحدة، والغزل قصيدتين، وإلاخوانيات قصيدتين.

بحر الرجز

تفعيلاته: مستفعلن مستفعلن مستفعلن... مستفعلن مستفعلن مستفعلن

سمي رجزا؛ لأنه يقع فيه ما يكون على ثلاثة أجزاء، وأصله مأخوذ من البعير إذا شدت إحدى يديه فبقي على ثلاثة قوائم، وأجود منه أن يقال: هو مأخوذ من قولهم: ناقه رجزاء، إذا ارتعشت عند قيامها، لضعف يلحقها، أو داء، فلما كان هذا الوزن فيه اضطراب سمي رجزا تشبيها بذلك⁽³⁾، وقد أسمته العرب حمار الشعراء لسهولة النظم عليه⁽⁴⁾، وقد نسج الشاعر على وزنه قصيدتين بنسبة واحد بالمئة تقريبا، في غرضين، وهما: مناسبات، والغزل.

بحر المتدارك

وتفعيلاته: فاعلن فاعلن فاعلن... فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

-
- (1) موازين الشعر ومحاولات التجديد: 107.
 - (2) انظر الوافي في العروض والقوافي: 97.
 - (3) انظر الوافي في العروض والقوافي: 102.
 - (4) موازين الشعر ومحاولات التجديد: 111.

وسمي بالمتدارك؛ لأن الأخفش تداركه على الخليل بن أحمد الفراهيدي، كما يسمى: بالخبب، والمحدث، والمخترع⁽¹⁾، وأما في الشعر الحديث، فقد هجره الشعراء وانصرفوا عنه إلا حين قلدوا قصيدة الحصري التي مطلعها:

يَا لَيْلِ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ(2)

وقد نسج الشاعر على وزنه قصيدتين، بنسبة واحد بالمئة تقريبا، في غرضي الغزل، والمدح النبوي.

البحر الطويل

وتفاعيله: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

هذا البحر الذي قيل عنه: «إنه ليس بين بحور الشعر ما يضارعه في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن»⁽³⁾، وقد سمي طويلا لمعنيين: أحدهما: أنه أطول بحور الشعر، لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه . ثمانية وأربعين حرفا . غيره، والثاني: أن الطويل يقع في أوائل أبياته الأوتاد والأسباب بعد ذلك والوتد أطول من السبب، فسمي لذلك طويلا⁽⁴⁾، وقيل: سمي بالطويل؛ لطول تفعيلاته إذ يحوي شطره أربعة وعشرين حرفا منها عشرة سواكن، وأربعة عشر متحركا مبدوءة بوتد، كما أنه لم يرد مجزوءاً ولا مشطورا ولا منهوكا⁽⁵⁾، ويرغم ما في هذا البحر من ميزات إلا أن الشاعر لم ينسج على وزنه إلا قصيدة واحدة في الغزل، بنسبة أقل من واحد بالمئة، ولهذه

(1) موازين الشعر ومحاولات التجديد: 161.

(2) انظر موسيقى الشعر (أنيس): 104.

(3) موسيقى الشعر (د إبراهيم أنيس) : 59.

(4) الوافي في العروض والقوافي: 37.

(5) موازين الشعر ومحاولات التجديد: 67.

القصيدة قصة يروها الشاعر فقد قالت له زميلة له في الدراسات العليا بأن بحر الطويل هو مقياس لبراعة الشاعر وجودة شعره، فنسج الشاعر قصيدة على وزن الطويل وصلت أبياتها أربعين بيتاً⁽¹⁾، يقول فيها:

وَقَافِيَةٌ قَالَتْ أَلَنْتَ تُجِيدُهَا؟!!! لَيْنُ كُنْتُ فَحَلَا فَأَنْتَ مِنْهَا بِبَارِعِ
إِلَيْكَ الْقَوَافِي تَعْتَدِي سَكَنَاتُهَا أَلَيْسَ الَّذِي قَدْ جَاءَ مِنْكَ بِقَارِعِي⁽²⁾

البحر الخفيف

وتفعيلاته: فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن... فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

سمي خفيفاً؛ لأنه أخف الأوزان السباعية، وتفعيلاته تحتوي على عدد كبير من الأسباب، والأسباب أخف من الأوتاد⁽³⁾، وقيل: سمي خفيفاً؛ لأن الوند المفروق اتصلت حركته الأخيرة بحركات الأسباب، فخفت، وقيل: سمي خفيفاً لخفته في الذوق والتقطيع؛ لأنه يتوالى ثلاثة أسباب، والأسباب أخف من الأوتاد⁽⁴⁾ والخفيف شبيه بالمديد في الصلابة مع ثقل وبطء⁽⁵⁾، وقد أنشد الشاعر على وزنه قصيدة واحدة، بنسبة أقل من واحد بالمئة، في غرض الغزل.

البحر المديد

وتفعيلاته: فاعلاتن فاعلن فاعلاتن... فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

(1) مقابلة مع الشاعر يوم الثلاثاء بعد المغرب الموافق: 10-8-2021م، بالقرب من مسجد إجمد بن إبراهيم.

(2) الديوان: 188.

(3) موازين الشعر ومحاولات التجديد: 139.

(4) الوافي في العروض والقوافي: 139.

(5) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج: 1، 98.

وهو من البحور النادرة الاستعمال، وذلك لقربه من بحري الرمل والخفيف⁽¹⁾، وبحر المديد على بساطة نغمه يعسر على الناظم، وأحسب أن هذا العسر هو الذي جعل الشعراء يتحامونه⁽²⁾ وقد نسج الشاعر قصيدة واحدة على وزن مجزوء المديد، بنسبة أقل من واحد بالمئة، في غرض الغزل.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه اكتمل البحث في: أغراض الشعر في الشعر اللبي ديوان أشرعة الرجاء للشاعر إمحمد أبوسطاش أنموذجا، وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

الأغراض الشعرية القديمة التي أنشد الشاعر عليها قصائده كانت ستة أغراض الأغراض الشعرية الحديثة التي أنشد الشاعر عليها قصائده كانت ستة أغراض أكثر القصائد كانت في: غرض الغزل، ثم شعر المناسبات، ثم الشعر الوطني، ثم شعر الحكمة والمثل والنصح والإرشاد، ثم شعر الإخوانيات، ثم الهجاء، ثم الوصف، ثم الرثاء، ثم المديح النبوي، ثم الاعتذار، ثم الفخر، ثم التقريض. نسج الشاعر قصائده على وزن عشرة بحور: الكامل، المتقارب، الوافر، الرمل، الهزج، الرجز، المتدارك، الطويل، الخفيف، المديد. أهمل الشاعر البحور: البسيط، المجتث، السريع، المنسرح، المضارع، المقنضب.

أكثر البحور التي نسج عليها الشاعر قصائده: الكامل، ثم المتقارب، ثم الوافر، ثم الرمل، ثم الهزج، ثم الرجز، ثم المتدارك، ثم الطويل، ثم الخفيف، ثم المديد.

(1) موازين الشعر ومحاولات التجديد: 74.

(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج1: 97.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

ديوان أشعة الرجاء، إمام علي أبوسطاش، ط1، 2012م.

ثانيا المراجع:

تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ)، دار الكتاب العربي.

تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد عبد المقصود هيكل، دار المعارف، ط6 1994م.

التعازي [والمراثي والمواظ والوصايا]، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: 285هـ)، تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، مراجعة: محمود سالم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت.

الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، الدكتور قريرة زرقون نصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 204م، ج2، "مقابلة شخصية مع الشاعر في سنة 1999م".

شعر المناسبات في ليبيا موضوعاته وخصائصه الفنية، أ.إحنيان المعاوي إحنين شنيقة، المؤسسة العامة للثقافة، ط1، 2010م.

الشعر في العصر العباسي (علي نجيب عطوي) مؤسسة عز الدين بيروت.

الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـ.

- طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت: 296هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط3، دار المعارف - القاهرة.
- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (ت: 322هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- في النقد الأدبي: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط2/ 1972م.
- مجلة المعرفة، جامعة بني وليد، كلية التربية، العدد السادس ديسمبر: 2016م، بحث للباحث سالم فرج زويك.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: 518هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.
- المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية، علي علي مصطفى صبح، تهامة - جدة - المملكة العربية السعودية، ط1 1404هـ - 1984م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، ط3، الكويت 1989م.
- مفهوم الشعر (د جابر عصفور) ط2، المركز العربي للثقافة والعلوم.
- موازين الشعر ومحاولات التجديد، محمد أبوعامود، الدار الثقافية للنشر القاهرة ط1، 2008م.
- موسيقى الشعر (د إبراهيم أنيس) ط1، 1981م، 5.
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر 1997م.
- النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين (العربي درويش) مكتبة النهضة المصرية.
- الوفاي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، ط6، تحقيق: د فخر الدين قباوة، دار الفكر سورية، 2007م.

توجيه انفرادات الإمام الهبطي في الوقف

"سورة الأنعام أتمودجاً"

إعداد: أ. سالم علي شخطور

أ. عماد بشير

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فإنّ أشرف العلوم ما كان متصلاً بكتاب الله تعالى، وإنّ من أجلّ هذه العلوم علم الوقف والابتداء؛ إذ به يفهم المراد من كلام الله تعالى.

ولقد اهتم النبي ﷺ بتعليم صحابته ﷺ الوقف الصحيح عند تلاوتهم القرآن الكريم؛ فقد جاء عن عبد الله بن عمر (ت73هـ) رضي الله عنهما أنه قال: "لقد عشنا برهةً من دهرنا، وإنّ أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزلُ السورة على محمد ﷺ فنتعلمُ حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يُوقفَ عنده فيها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأيتُ اليوم رجلاً يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ما يدرى ما أمره ولا زجره، ولا ما ينبغي أن يُوقفَ عنده منه، وينثره نثر الدقل"⁽¹⁾.

(1) ينظر: الحاكم النيسابوري. محمد بن عبد الله. 1990. المستدرك على الصحيحين. تج:

مصطفى عبد القادر عطا. ط1. كتاب الإيمان. حديث رقم 101. ج1 ص91. (وصححه الحاكم). دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

وهذا الأثر يحتمل بنصّه أن يكون المراد من قول ابن عمر: (وما ينبغي أن يوقف عنده منها) في الحلال والحرام، كما يحتمل أن يُراد به الوقفُ بمعناه الاصطلاحيّ عند القراء، وهو ما جنح إليه الإمام الداني (ت444هـ) حيث قال تعليقا على هذا الحديث في كتابه (المكتفى): "ففي قولِ ابنِ عمرَ ﷺ دليلٌ على أنّ تعليمَ ذلك توقيفاً من رسول الله ﷺ وأنه إجماع من الصحابة ﷺ" (1).

وكذا اعتنى مَنْ جاء بعد الصحابة ﷺ بتعلّم الوقفِ والابتداءِ وتعليمه، ومما يؤكد ذلك قولُ ابنِ الجزريّ (ت833هـ) رحمه الله تعالى: "صحّ بل تواتر عندنا تعلّمه والاعتناء به من السلف الصالح، كأبي جعفرَ يزيدَ بنِ القعقاعِ (ت128هـ) إمام أهل المدينة، وصاحبه الإمام نافعِ بنِ أبي نُعيم (ت169هـ)، وأبي عمرو بنِ العلاء (ت154هـ)، ويعقوبَ الحضرميّ (ت205هـ)، وعاصمِ بنِ أبي النّجود (ت128هـ)، وغيرهم من الأئمة، وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب، ومن ثمّ اشتَرَط كثير من أئمة الخلف على المُجيز ألا يُجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء، وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف، ويشيرون إلينا فيه بالأصابع، سنةً أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين" (2).

واستمرّ هذا الاهتمامُ إلى وقتنا الحاضر، حتى بلغ الأمرُ إلى وضع علاماتٍ في المصاحف تدلُّ القارئَ على المواضع التي يُستحسن أن يقف عليها؛ تسهيلاً على القارئين، وحفظاً لمعاني كلام الله تعالى.

(1) ينظر: الداني. أبو عمرو عثمان بن سعيد. 2001م. المكتفى في الوقف والابتداء. تح: محيي

الدين عبد الرحمن رمضان. ط2. ص4. دار عمار. عمّان - الأردن.

(2) ينظر: ابن الجزري. محمد بن محمد. 2001م. النشر في القراءات العشر. تح: زكريا عميرات.

ط4. ج1 ص 177، 178. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

وقد ظهر في بلدان المغرب وقفٌ وضعه الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهَبْطِيُّ (ت930هـ) وانتشر فيها انتشاراً كبيراً، حتى صاروا لا يتجاوزونه في تلاوتهم، وأثبتوه في مصاحفهم بروايَتَيْ قالون وورش عن نافع.

وانقسم الناس في هذا الوقف إلى اتجاهات عدة؛ فاتجاه يُعالي فيه، ويتعصب له، وآخر مستهجنٌ مُجافٍ، واتجاه متوسط بينهما؛ يأخذ ما استحسنته، ولا يقبل ما استهجنه.

ويتجلى الاستحسانُ أو الاستهجانُ أكثر ما يكون إذا ما انفرد الإمام الهَبْطِيُّ بالوقف على موضعٍ يخالف سائر المصاحف الأخرى.

مشكلة البحث:

يحاول الباحثان توجية ما انفرد الإمام الهَبْطِيُّ بالوقف عليه في سورة الأنعام، والكشف عما إذا كانت هناك مُسوِّغاتٌ قامت في ذهن الإمام الهَبْطِيِّ؛ جعلته ينفرد بهذه الوقوف.

حدود الدراسة:

يُعنى هذا البحث ببيان وتوجيه المواضع التي انفرد الإمام الهَبْطِيُّ بالوقف عليها في سورة الأنعام، وعددها خمسة عشر موضعاً.

واعتمدنا في حصر المواضع التي انفرد بها الإمام الهَبْطِيُّ على المقارنة بين المصاحف الآتية:

المصحف الأميري، برواية حفص عن عاصم، الطبعة الثانية 1952م.

مصحف مجمع الملك فهد، برواية حفص عن عاصم، طُبع عام 1434هـ.

مصحف الدار الشامية، برواية حفص عن عاصم، طُبع عام 1979م.

مصحف مجمع الملك فهد، برواية ورش عن نافع، طُبع عام 1426هـ.

مصحف الجماهيرية، برواية قالون عن نافع، الطبعة العاشرة 2008م.
 المصحف الحسنى المسبّح، برواية ورش عن نافع، طُبِعَ عام 1417هـ.
 والمصاحف الثلاثة الأخيرة اتبعتُ وقفَ الإمام الهَبْطِيِّ، فإذا انفرد أحدُها عن
 المصاحف الأخرى في موضعٍ وقفٍ عددنا هذا الموضع انفراداً.

أهمية البحث:

يستمد هذا البحث أهميته مما يأتي:

أنه يتعلق بكتاب الله تعالى.

علم الوقف والابتداء يبين المراد من كلام الله تعالى.

يدرس عالماً من علماء المغرب العربيّ في باب الوقف والابتداء.

انتشار الوقف الهَبْطِيِّ في بلدان المغرب، حتى صار الناس يحفظونه عن ظهر
 قلب، الأمر الذي يدعو إلى محاولة الكشف عن الأوجه المسوّغة لانفراده عن غيره.

الدراسات السابقة:

وقفنا على عددٍ من الدراسات ألمحتُ إلى بعض مواضع الوقف الهَبْطِيِّ، إلا أن أياً
 منها - فيما نعلم - لم يكن خاصاً بما انفرد به من الوقف في سورة الأنعام، ومن
 هذه الدراسات:

منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف ووقوف الشيخ الهبّطي، للحافظ أبي الفضل عبد
 الله ابن محمد بن الصديق الغماري (ت1413هـ)، يبيّن في مقدمة كتابه أهمية علم
 الوقف والابتداء، وشروط من يقوم بهذا العلم، وذكر أنّ كثيراً من وقوف الإمام

الهَبْطِيّ هي من قبيل الوقف الممنوع، ثم شرع في مقصوده؛ وهو بيان ما كان قبْحه ظاهراً لا يخفى على متعلّم، فاننقد عليه تسعة وثلاثين موضعاً من الوقف (1).

القراء والقراءات بالمغرب، تأليف: سعيد أعراب، تعرّض للكلام عن الإمام الهَبْطِيّ ووقفه في الفصل الأول من الباب الثالث الذي جعل عنوانه "في الوقف ومذاهب القراء فيه" حيث قسّم الوقف إلى اتجاهين؛ اتجاهٍ نظريّ اجتهاديّ، واتجاهٍ سنيّ توقفيّ، وجعل الإمام الهَبْطِيّ ممن يمثل الوقف النظريّ، ابتداءً بترجمة مختصرة للإمام الهَبْطِيّ، وأتبعه بتعريف الوقف وما يتعلق به، وأشهر من ألف فيه، ومذاهب القراء فيه، ومذهب الإمام الهَبْطِيّ، وأنّ الإمام راعى في وقفه الإعراب والمعنى، وأسباب انتشار وقفه في بلدان المغرب، ثم ذكر بعض المواضع المنتقدة عليه، وأجاب عن وجه الوقف عليها (2).

منهجية ابن أبي جمعة الهَبْطِيّ في أوقاف القرآن الكريم، تأليف: الشيخ بن حنيفة العابدين، ترجم في بحثه للإمام الهَبْطِيّ، ثم ذكر ملامح منهج الهَبْطِيّ في الوقف، وختم بدراسة نماذج من هذه الوقوف (3).

الأسس العامة التي بنى عليها الإمام الهَبْطِيّ وقوفه، للباحث: محمد الصالح بو عافية، وهي رسالة ماجستير مقدّمة لقسم اللغة والحضارة بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر، 2008-2009. ترجم في الفصل الثاني من بحثه للإمام الهَبْطِيّ،

(4) ينظر: الغماري. عبد الله بن محمد بن الصديق. منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف

الشيخ الهبّطي. ص 3 - 34. دار الطباعة الحديثة. الدار البيضاء - المغرب.

(2) ينظر: سعيد أعراب. 1990م. القراء والقراءات بالمغرب. ط 1. ص 176 - 189. دار الغرب الإسلامي. بيروت - لبنان.

(3) ينظر: العابدين. الشيخ بن حنيفة. 2006م. منهجية ابن أبي جمعة الهبّطي في أوقاف القرآن الكريم. ط 1. ص 79 - 214. دار الإمام مالك. باب

الوادي - الجزائر.

ثم أتبع ذلك بالفصل الثالث بيّن فيه أسس وقواعد الوقف عند الإمام، ثم ختم بنماذج من الوقوف المنتقدة عليه (1).

منهجية البحث:

سيعتمد هذا البحث على المناهج البحثية الآتية:

المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء المواضع التي انفرد الإمام الهبطي بالوقف عليها في سورة الأنعام.

المنهج التحليلي: من خلال تحليل هذه الوقوف وتوجيهها من حيث اللغة، وذكر آراء العلماء فيها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى:

المقدمة: واشتملت على مشكلة البحث، وأهميته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجيته، وخطته.

التمهيد: واشتمل على الترجمة للإمام الهبطي.

المبحث الأول: المواضع التي انفرد الإمام الهبطي بالوقف عليها قبل الجملة الاستثنائية، وتوجيهها.

المبحث الثاني: المواضع التي انفرد الإمام الهبطي بالوقف عليها قبل حرف الاستدراك (لكن، ولكن)، وتوجيهها.

(1) ينظر: بو عافية. محمد الصالح. 2009م. الأسس العامة التي بنى عليها الإمام الهبطي ووقفه. رسالة ماجستير. جامعة الجزائر. ص 68 - 196.

المبحث الثالث: المواضع التي انفرد الإمام الهبطي بالوقوف عليها في عطف الجُمْل.

الخاتمة: وذكرتُ فيها أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: التعريف بالإمام الهبطي:

اسمه، ونسبه، ومولده:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبّطيّ السُّماتيّ⁽¹⁾. وُلد في حدود منتصف القرن التاسع الهجريّ، في قرى هباطة - فيما يبدو - من قبيلة سُماتة إحدى قبائل الجبل بشمال المغرب، ويرى بعضهم أن الهبّطيّ نسبة إلى جبال الهبّط بالمغرب⁽²⁾.

شيوخه، وتلامذته:

تعلّم الإمام الهبّطيّ في الكُتّاب، فحفظ القرآن وجوّده، ثم رحل إلى فاس، وأنهى بها دراسته⁽³⁾ إلا أن المصادر التي ترجمت للإمام الهبّطيّ تذكر عدداً قليلاً من العلماء الذين تلقّى عنهم القراءة وغيرها، ومنهم:

الشيخ محمد بن حسين النّيجيّ، المعروف بـ "الصغير" (ت887هـ)⁽¹⁾.

(1) ينظر: مخلوف. محمد بن محمد بن عمر. 2003م. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.

تح: عبد المجيد خيالي. ط1. ج1 ص400. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. وينظر: ابن القاضي. أحمد بن محمد المكناسي. 1973م. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بفاس. ج1 ص321. دار المنصور. الرباط - المغرب.

(2) ينظر: سعيد أعراب القراء والقراءات بالمغرب. مصدر سابق. ص176. وينظر: ابن القاضي. أحمد بن محمد المكناسي. 1973م. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بفاس. مصدر سابق. ج1 ص321.

(3) ينظر: سعيد أعراب القراء والقراءات بالمغرب. مصدر سابق. ص176، 177.

- الشيخ أحمد زُرُوق (ت 899هـ) في العلوم⁽²⁾.
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي (ت 919هـ)⁽³⁾.
- الشيخ عبد الله العَزَوَانِي (935هـ)، أخذ عنه الطريقة⁽⁴⁾.
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخَرْوَبِي الطرَابُلَيْسِي (963هـ)⁽⁵⁾.
وممن أخذوا عن الإمام الهَبْطِيّ:
- أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الدُّكَالِي الفاسِي (ت 978هـ)⁽⁶⁾.
- علي بن عيسى أبو الحسن الراشدي⁽⁷⁾.
- عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الوَثْرَيْسِي (ت 955هـ)⁽⁸⁾.
- عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الدُّكَالِي (ت 962هـ)⁽⁹⁾.
- محمد بن علي بن عِدَّة الأندلسِي (ت 975هـ)⁽¹⁰⁾.

(1) ينظر: المنجور. أحمد بن علي. فهرس أحمد المنجور. تح: أحمد حجي. ص17. دار المغرب الرباط -المغرب.

(2) ينظر: مخلوف. شجرة النور الزكية . مصدر سابق. ج 1 ص400، 401.

(3) ينظر: الكتاني. محمد بن جعفر. 2004. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقيروا من العلماء والصلحاء بفاس. تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرين. ط1. ج2 ص76. دار الثقافة الدار البيضاء - المغرب.

(4) ينظر: مخلوف. شجرة النور الزكية . مصدر سابق. ج 1 ص401، 400.

(5) ينظر: المصدر السابق. ج 1 ص401، 400.

(6) ينظر: مخلوف. شجرة النور الزكية . مصدر سابق. ج 1 ص413.

(7) ينظر: المنجور. فهرس أحمد المنجور. مصدر سابق. ص 15.

(8) ينظر: مخلوف. شجرة النور الزكية . مصدر سابق. ج 1 ص401، 400.

(9) ينظر: المنجور. فهرس أحمد المنجور. مصدر سابق. ص 13.

(10) ينظر: سعيد أعراب. القراء والقراءات بالمغرب. مصدر سابق. ص177.

ثناء العلماء عليه:

أثنى المترجمون على الإمام الهَبْطِيِّ بعبارات تدل على منزلته في العلم. فوصفه ابن القاضي (ت1025هـ) في (جذوة الاقتباس) بـ "الأستاذ" (1).

وقال عنه أحمد بابا التتبكتي (ت1036هـ): " محمد بن أبي جمعة الهَبْطِيُّ، عالم فاسي" (2).

وأثنى عليه صاحب (سلوة الأنفاس) بقوله: " الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام، الفقيه الأستاذ المقرئ الكبير، النحويّ الفرضي الشهير، الولي الصالح، والعلم الواضح" (3).

وقال أيضاً: " وقد كان رضى الله عنه عالم فاس في وقته، فقيهاً نحوياً، فرضياً أستاذاً مقرئاً، عارفاً بالقراءات، مزجوعاً إليه فيها، وكان موصوفاً بالخير والفلاح، والبركة والصلاح، ذا أحوالٍ عجيبة، وأسرار غريبة" (4).

ووصفه في (شجرة النور الزكية) بقوله: " الإمام العالم المتصوِّف الزاهد القدوة المتقي العابد، وكان يغلب عليه محبة الله" (5).

(1) ينظر: ابن القاضي. جذوة الاقتباس . مصدر سابق. ج 1 ص 321.

(2) ينظر: التتبكتي. أحمد بابا. 1989م. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. تح: عبد الحميد عبد اله الهامة. ط1. ص 586. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس ليبيا.

(3) ينظر: الكتاني. سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس. مصدر سابق. ج 2 ص 76.

(4) ينظر: المصدر السابق. ج 2 ص 76.

(5) ينظر: مخلوف. شجرة النور الزكية . مصدر سابق. ج 1 ص 400.

آثاره العلمية:

يُنْضَحُ لَنَا مِنْ ثَنَاءِ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْإِمَامِ الْهَبْطِيِّ أَنَّ لَهُ مَصْنُفَاتٍ وَمَشَارِكَاتٍ عِلْمِيَّةً قِيَمَةً، غَيْرَ أَنَّ الْمَصَادِرَ لَمْ تُطْلَعْنَا إِلَّا عَلَى عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنْ هَذِهِ الْمَصْنُفَاتِ، وَلَعَلَّهَا قُتِدَتْ أَوْ أَنَّهَا لَا تَزَالُ حَبِيسَةً الْأَدْرَاجِ، وَمِنْ هَذِهِ الْآثَارِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ:

تقبيد وقف القرآن الكريم (1).

عمدة الفقير في عبادة العليّ الكبير.

شرح تصوير الهمز (2).

وفاته:

اتفقت المصادر على أن وفاة الإمام الهبّطيّ كانت في ذي القعدة، عام ثلاثين وتسعمائة (930هـ) ودفن بفاس (3).

ثانياً: توجيه ما انفرد الإمام الهبّطيّ بالوقف عليه في سورة الأنعام

الوقف قبل الجملة الاستئنافية:

الموضع الأول: [الأنعام: ٢ - ٣].

(1) ينظر: ابن القاضي. جذوة الاقتباس . مصدر سابق. ج 1 ص 321.

(2) ينظر: بو عافية. الأسس العامة التي بني عليها الإمام الهبّطيّ ووقفه. مصدر سابق. ص 79.

(3) ينظر: ابن القاضي. جذوة الاقتباس. مصدر سابق. ج 1 ص 321، وينظر: مخلوف. شجرة

النور الزكية . مصدر سابق. ج 1 ص 401.

موضع وقف الإمام الهبّطي: عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ
ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۗ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي
السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۗ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

الإعراب وتوجيه الوقف:

في الآية عدة أوجه إعرابية:

(هُوَ) مبتدأ، و (الله) خبره (1) وهذا قول الجمهور (2).

(هُوَ) مبتدأ، و (الله) خبر أول، و (في السموات) خبر ثانٍ، على معنى: أنه الله، وأنه
في السموات وفي الأرض، وعلى معنى: أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه شيء
(3).

(هُوَ) مبتدأ، و (الله) بدل منه، و (يعلم) خبره (4).

(هُوَ) مبتدأ، و (الله) بدل منه، و (في السماوات) الخبر، أي: عالم بما فيهما لا يخفى
عليه شيء (5).

(هُوَ) ضمير الشأن مبتدأ، و (الله) مبتدأ ثانٍ، وخبرها (في السموات) على المعنى
السابق (1).

(1) ينظر: السمين الحلبي. أحمد بن يوسف. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تح: أحمد
محمد الخراط. ج4 ص 529. دار القلم. دمشق - سوريا.

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي. محمد بن يوسف. 1420هـ. تفسير البحر المحيط. تح: صدقي
محمد جميل. ج4 ص 433. دار الفكر. بيروت - لبنان.

(3) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج4 ص 532.

(4) ينظر: المصدر السابق. ج4 ص 532.

(5) ينظر: المصدر السابق. ج4 ص 532.

وفي متعلق ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ أقوال:

متعلق بـ ﴿يَعْلَمُ﴾ والتقدير: الله يعلم سرّكم وجهركم في السماوات وفي الأرض⁽²⁾. وعلى هذا يجوز الوقف على اسم الجلالة، كما هو اختيار الإمام الهبّطي، وقد تبع في ذلك قول الجمهور في إعراب الآية؛ بأن قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر، وأن المعنى عند لفظ الجلالة تامّ. ويتعلّق (في السموات) بما بعده.

متعلّق باسم الجلالة لما تضمّنته من معنى العبادة كأنه قيل: وهو المعبود في السماوات وفي الأرض، وهذا قول الزّجاج وابن عطية والزمخشري⁽³⁾.

متعلّق بما تضمّنه اسم الله من المعاني. وإيضاحه أنه أراد أن يدلّ على خلقه وآثار قدرته وإحاطته واستيلائه، فجَمع هذه كلّها في قوله: أي: الذي له هذه كلّها في السماوات وفي الأرض، كأنه قال: وهو الخالق والرازق والمُحيي والمحيط في السموات والأرض، فأقام لفظ الجلالة مقام تلك الصفات⁽⁴⁾.

وعلى الوجهين الثاني والثالث لا يوقف على قوله؛ لتعلّق ما بعده به.

وقد تعرّض علماء الوقف والابتداء لبيان حكم الوقف في هذه الآية:

فذكر النحاس أنّ الوقف على قوله: (وَهُوَ اللَّهُ) كافٍ⁽⁵⁾. أمّا الداني فنقل عن البعض أن الوقف عند قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾، وعن البعض جواز الوقف عند قوله: (وَهُوَ

(1) ينظر: المصدر السابق. ج4 ص 533.

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. مصدر سابق. ج4 ص 434.

(3) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج4 ص 530.

(4) ينظر: المصدر السابق. ج4 ص 530.

(5) ينظر: النحاس. أحمد بن محمد. 1992م. القطع والانتفاف. تح: عبد الرحمن بن إبراهيم

المطروودي. ط1. ص 219. دار عالم الكتب الرياض - السعودية.

اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ) ثم قال: "والتمام عندي آخر الآية؛ لأنَّ المعنى على التقديم والتأخير: وهو الله يعلم سرِّكم وجهركم في السماوات وفي الأرض" (1).

وأما العُمانيُّ فقد اختار الوقف عند قوله: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) وهو وقف حسن" (2).

وذكر ابن الجزري أنَّ الوقف على قوله: (وَهُوَ اللَّهُ) وقف تعسفيٌّ، وأشدُّ قبحاً منه الوقفُ على (فِي السَّمَوَاتِ) (3).

وذكر الأشمونيُّ (ت1100 هـ) أنَّ الوقف على قوله: (وَهُوَ اللَّهُ) حسنٌ؛ على أنهما مبتدأ وخبر، وتعلّق (في السماوات) بـ (يعلم)، أي: يعلم سرِّكم وجهركم في السماوات وفي الأرض، فتكون الآية من المقدم والمؤخر (4).

وخلاصة القول أنَّ انفراد الإمام الهبّطيِّ في الوقف على (وهو الله) يسوّغه إعراب الآية؛ بأنَّ قوله: (وَهُوَ اللَّهُ) مبتدأ وخبر، وأنَّ المعنى عند لفظ الجلالة تامّ. ويتعلّق (في السماوات) بما بعده. ولكن الأولى وصله بما بعده، والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۗ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنِكُمْ ۗ وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ ۗ وَمَنْ بَلَغَ ۗ أَيُّنْكُمْ

(1) ينظر: الداني. المكتفي في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 65.

(2) ينظر: العماني. الحسن بن علي. 1424 هـ. المرشد في الوقف والابتداء. تح: محمد بن حمود الأزوري. (رسالة ماجستير) جامعة أم القرى. ص 96، 97.

(3) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. مصدر سابق. ج 1 ص 182.

(4) ينظر: الأشموني. أحمد بن محمد. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. تح: محمد بن عيد الشعباني. ط 1. ص 190. دار الصحابة طنطا - مصر.

لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى ۚ قُلْ لَا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ
وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ [الأنعام: ١٩].

موضع وقف الإمام الهبطي: عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ﴾
الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: (إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ) جملة في محل نصب مقول القول (1).

قوله تعالى: فيه التبرؤ من إشراكهم، وهو كالتوكيد لما قبله، ويحتمل - وهو
الظاهر - أن يكون داخلاً تحت القول، بأن أمر النبي ﷺ أن يقول الجملتين: ﴿قُلْ
إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (2).

فتكون جملة (وإنني بريء) معطوفة على ما قبلها. والوقف حينئذ على ﴿قُلْ إِنَّمَا
هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ﴾ حسن، ولا يبتدأ بما بعده.

ويحتمل أن لا يكون ذلك داخلاً تحت القول (3) فتكون الجملة مستأنفة. وعليه
فيجوز الوقف على قوله: قل إنما هو إله واحد. ويكون الوقف كاف. وهو ما يوجه
به وقف الإمام الهبطي. والأولى وصله بما بعده؛ لأن أكثر المفسرين على دخوله
تحت القول، وهو الظاهر من سياق الآية، والله أعلم.

(1) ينظر: صافي. محمود بن عبد الرحيم. 1418هـ. الجدول في إعراب القرآن. طه. ج 7 ص 104.
دار الرشيد - دمشق. مؤسسة الإيمان - بيروت.

(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط مصدر سابق. ج 4 ص 461.

(3) ينظر: المصدر السابق. ج 4 ص 461.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا

نُرْدُ وَلَا نُكذِّبُ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

موضع وقف الإمام الهبطي: عند قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ

فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرْدُ ﴾

الإعراب والقراءات وتوجيه الوقف:

تعددت القراءات في الفعلين ﴿ وَلَا نُكذِّبُ ﴾ ﴿ وَنَكُونُ ﴾ :

فقرأ بنصيبهما حفص وحمزة ويعقوب ﴿ وَلَا نُكذِّبُ ﴾ ﴿ وَنَكُونُ ﴾ ⁽¹⁾. على أنه جواب التمني ⁽²⁾ وهذا النصب عند جمهور البصريين هو بإضمار (أن) بعد الواو فهو يُنسَبُكُ من (أن) المضمر، والفعل بعدها مصدر مرفوع معطوف على مصدر متوهم مقدر من الجملة السابقة ⁽³⁾، والتقدير: يا ليتنا كان لنا ردٌّ وعدم تكذيب وكون من المؤمنين ⁽⁴⁾.

والوقف على هذه القراءة عند آخر الآية؛ وهو قوله تعالى: ﴿ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لئلا يُفصل بين التمتي وجوابه ⁽⁵⁾.

(1) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. مصدر سابق. ج 2 ص 193.

(2) ينظر: العكبري. عبد الله بن الحسين. التبيان في إعراب القرآن. تح: علي محمد الجاوي. ج 1 ص 489. مطبعة عيسى البابي الحلبي.

(3) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط مصدر سابق. ج 4 ص 474.

(4) ينظر: ابن عطية عبد الحق بن غالب. 1422 هـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تح: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط 1. ج 2 ص 281. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

(5) ينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 102.

وقرأ ابنُ عامر برفع الأول ونصب الثاني ﴿ولا نكذبُ﴾ ﴿ونكونَ َوُ﴾⁽¹⁾. والفعل (ولا نكذبُ) إما أن يكون معطوفاً على (نردُّ) فيكون داخلاً في التمني⁽²⁾، وإما أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، والجملة في محلِّ نصبٍ على الحال، والتقدير: ونحن لا نكذب، وعليه فليس داخلاً في التمني⁽³⁾. والفعل (ونكونَ) جوابٌ للتمني منصوبٌ ب(أن) مضمرة، والمعنى: يا ليتنا نردُّ فنكون من المؤمنين⁽⁴⁾.
والوقف على قراءته عند آخر الآية كذلك؛ لأنَّ الفصل بين التمني وجوابه لا يجوز⁽⁵⁾.

وقرأ الباقر برفعهما ﴿ولا نكذبُ﴾ ﴿ونكونُ﴾⁽⁶⁾. وتحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: أنَّ الفعلين معطوفان على (نردُّ)، فيكون عدم التكذيب والكون من المؤمنين متمميين أيضاً كالرَد⁽⁷⁾ ويكون الرفع مساوياً في هذا الوجه للنصب؛ لأن في كليهما العطف⁽⁸⁾.

والوقف على هذا التقدير على قوله: ﴿وَنُكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا قبله⁽⁹⁾.

(1) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. مصدر سابق. ج 2 ص 193.

(2) ينظر: ابن زنجلة. عبد الرحمن بن محمد. 1982م. حجة القراءات. تح: سعيد الأفغاني. ط 2. ص 245. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

(3) ينظر: القيسي. مكي بن أبي طالب. 1405هـ. مشكل إعراب القرآن. تح: حاتم صالح الضامن. ط 2 ج 1 ص 249. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

(4) ينظر: ابن زنجلة حجة القراءات. مصدر سابق. ص 245.

(5) ينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق ص 102.

(6) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. مصدر سابق. ج 2 ص 193.

(7) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 489.

(8) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. مصدر سابق. ج 4 ص 475.

(9) ينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 101.

والثاني: أن يكون رفع (ولا نكذب) (ونكون) على الاستئناف فأخبروا عن أنفسهم بهذا، فيكون مندرجة تحت القول؛ أي قالوا: يا ليتنا نرد، وقالوا: نحن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، فأخبروا أنهم يصدر عنهم ذلك على كل حال (1)، أي: لا نكذب أبداً، ونكون من المؤمنين أبداً (2)، ورجح سيبويه هذا الوجه (3). فيكون (ولا نكذب) خبراً لمبتدأ محذوف (4).

وعلى هذا الوجه يجوز أن يقف على قوله: ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ ثم يبتدئ بقوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (5). وهو ما يوجه به وقف الإمام الهبّطي.

والأصل ألا يوقف على (نرد) لأن الجملتين الفعليتين (ولا نكذب- ونكون) معطوفتان على جملة التمني وما في حيزها، وجملة التمني وما عطف عليها في محل نصب بالقول.

الثالث: أن يكون (ولا نكذب) (ونكون) في موضع نصب على الحال، والتقدير: يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين، فيكون داخلاً في الردّ المتمني، وصاحب الحال هو الضمير المستكن في (نرد) (6). والوقف على هذا عند آخر الآية.

(1) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. مصدر سابق. ج4 ص476، وينظر:

السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج4 ص586.

(2) ينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص101.

(3) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط مصدر سابق. ج4 ص476.

(4) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج1 ص489.

(5) ينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص101.

(6) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. مصدر سابق. ج4 ص476.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَ هُمْ مَّا كَانُوا تُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ^ط وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا بُوهُوا عَنَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

موضع وقف الإمام الهبطي: عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا بُوهُوا عَنَّهُ﴾

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ خبرٌ مستأنفٌ؛ أخبر الله به عما هم عليه من الكذب وقت مخاطبة النبي ﷺ لا أنه عائدٌ إلى ما تقدّم من تمّيهم الرجوع، والوعد بالإيمان (1).

وهو ما يوجّه به وقف الإمام الهبطي، وهو وقفٌ جائزٌ عند الأشموني؛ لانقطاع الكلام عما قبله على هذا التقدير (2).

ورجّح ابن عطية أن يكون قوله ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ راجعاً إلى ما تضمنته جملة التمتّي بالوعد بالإيمان، وكان الكلام متصلاً بما قبله، والمعنى: وإنهم لكاذبون في

(1) ينظر: ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مصدر سابق. ج 2 ص 397.

(2) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 193.

الإخبار عن أنفسهم بالإيمان إن رُدُّوا؛ لأنهم قصدوا الكذب⁽¹⁾، فلا وقف حينئذٍ على قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ﴾. لعدم تمام الكلام⁽²⁾.

والراجح أن الوقف على قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ﴾. كافٍ؛ لاستئناف بما بعده.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]

موضع وقف الإمام الهبّطي: عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾

الإعراب واختلاف القراءات وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَتَتْهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (ما) استفهامية مبتدأ، ويعود عليها ضمير الفاعل في (يشعركم)⁽³⁾. والجملة بعدها (يشعركم) خبرها⁽⁴⁾.

وتعددت القراءات في قوله تعالى: ﴿أَتَتْهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

(1) ينظر: ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مصدر سابق. ج2 ص397، وينظر: الماوردي. علي بن محمد. النكت والعيون. تح: السيد عبد المقصود عبد الرحيم. ج2 ص106. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(2) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 193.

(3) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. مصدر سابق. ج4 ص 613.

(4) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج5 ص 101.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وشعبة بخلف عنه بكسر الهمزة ﴿إِنَّهَا﴾⁽¹⁾. وهي استئناف إخبار بعدم إيمان من طُبِعَ على قلبه، ولو جاءتهم كل آية⁽²⁾. والمعنى: قل إنما الآيات عند الله، وما يدريكم، ثم استأنف فقال: إنها إذا جاءت الآيات لا يؤمنون⁽³⁾. وعلى هذه القراءة يكون الوقف على قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾؛ لاستئناف ما بعده.

وذكر ابن الأنباري أنّ الوقف على قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ على قراءة ﴿إِنَّهَا﴾ بالكسر، ولم يبين درجة الوقف عنده⁽⁴⁾.

وعند النحاس والداني والعماني أنّ الوقف تامٌ على هذه القراءة⁽⁵⁾.

وقرأ الباقر بفتحها ﴿إِنَّهَا﴾⁽⁶⁾. وتحتل ثلاثة أوجه:

أحدها: (أنّ) بمعنى (علن) حكاة الخليل عن العرب، وعلى هذا يكون مفعول (يشعركم) الثاني محذوفاً، تقديره: إيمانهم⁽⁷⁾، والمعنى: وما يشعركم إيمانهم، لعلها إذا جاءت لا يؤمنون⁽¹⁾.

(1) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. مصدر سابق. ج 2 ص 196.

(2) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق ج 5 ص 101.

(3) ينظر: الأزهري. محمد بن أحمد. 1991م. معاني القراءات. ط 1. ج 1 ص 379. جامعة الملك سعود. الرياض - السعودية.

(4) ينظر: ابن الأنباري. إيضاح الوقف والابتداء مصدر سابق. ج 2 ص 642.

(5) ينظر: النحاس. القطع والانتشاف. مصدر سابق. ص 236، وينظر: الداني. المكتفي في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 70، وينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 120.

(6) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. مصدر سابق. ج 2 ص 196.

(7) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 531.

وعلى هذا الوجه يحسن الوقف على قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ عند ابن الأنباري والنحاس؛ لأنَّ الابتداء بـ (أَنَّ) المفتوحة محكيٌّ عن العرب في قولهم: ما أدري أنك صاحبها، أي: لعلك صاحبها (2).

ولعلَّ هذا التقدير هو ما أراده الإمام الهبّطيّ، وجاز به الوقف عنده، وتبع فيه من سبقه من العلماء؛ كابن الأنباري والنحاس.

ولم يجوز الداني والعماني والقسطاني الوقف على قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ على قراءة فتح الهمزة ﴿ أَنَّهَا ﴾ على كل حال؛ لتعلقها بما بعدها (3).

ثانيها وثالثها: (أَنَّ) على بابها، و(لا) زائدة، أو غير زائدة، فتكون (أَنَّ) وما عملت فيه في موضع المفعول الثاني، والتقدير: وما يشعركم بأنّها إذا جاءت يؤمنون، أو لا يؤمنون (4).

وعلى هذين الوجهين لا يوقف على قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾؛ لتعلق (أَنَّ) بما قبلها، ومنع الوقف على هذين الوجهين محل اتفاق بين العلماء (1).

(1) ينظر: أبو علي الفارسي. الحسن بن أحمد. 1993م. الحجة للقراء السبعة. تح: بدر الدين

قهوجي وبشير جويجاي. ط2. ج3 ص380. دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت.

(2) ينظر: ابن الأنباري. إيضاح الوقف والابتداء. مصدر سابق. ج2 ص642، وينظر: النحاس.

القطعة والانتناف. مصدر سابق. ص236.

(3) ينظر: الداني. المكتفي في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص70، وينظر: العماني. المرشد

في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص120، وينظر: القسطاني. لطائف الإشارات الفنون

القرارات. مصدر سابق. ج5 ص2147.

(4) ينظر: أبو علي الفارسي. الحجة للقراء السبعة. مصدر سابق. ج3 ص380، وينظر: العكبري.

النتيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج1 ص531.

ويمكن القول: إن انفراد الإمام الهَبْطِيِّ في الوقف على قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ معلل بكون (أَنَّ) في قراءة الفتح بمعنى (لعل)، غير أن الأولى الوصل على اعتبار أن الراجح أن تكون (أن) مصدرية وتتوَل مع ما بعدها مفرد في موضع نصب والله أعلم.

وبالمجمل يلاحظ من المواضع السابقة كلها أن الإمام الهَبْطِيِّ كثيرا ما يقف قبل الجمل المستأنفة حتى لو كان احتمال استئنافها بعيدة.

• الوقف قبل حرف الاستدراك (لكنَّ - ولكنْ)

الموضع الأول: قوله تعالى: قَدْ نَعَلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُنَا الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ تَجَحَّدُونَ ﴿ ١٣ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

موضع وقف الإمام الهَبْطِيِّ: عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ تَجَحَّدُونَ﴾

(¹) ينظر: ابن الأثيري. إيضاح الوقف والابتداء. مصدر سابق. ج 2 ص 642. وينظر: النحاس. القطع والانتناف. مصدر سابق. ص 236، 237، وينظر: الداني. المكثفي في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 70، وينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 120، 121. وينظر: القسطلاني. لطائف الإشارات في فنون القراءات. مصدر سابق. ج 5 ص 2147.

جملة (فإنهم لا يكذبونك) مستأنفة لا محلّ لها. وجملة (ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون) معطوفة على جملة (فإنهم لا يكذبونك) ⁽¹⁾ والجارّ (بآيات) متعلق بـ(يجحدون) ⁽²⁾.

وذكر الأشمونيّ في هذا الموضوع أنّ من العلماء من جوّز الوقف قبل (لكن) إذا وقعت بعدها جملة ⁽³⁾.

ولعلّ الإمام الهبّطيّ اختار الوقف عند هذا الموضوع على مذهب من يرى أنه إذا وقعت جملة بعد (ولكنّ) جاز الابتداء بها، كما نبه إلى ذلك الأشمونيّ ⁽⁴⁾؛ أي: الابتداء بـ(ولكن) ، ومتابعةً للإمام نافع؛ حيث نُقل عنه الوقف قبل (ولكنّ) في عدة مواضع.

فقد نُقل النحاس والدانيّ عن الإمام نافع الوقف قبل (ولكن) في غير هذا الموضوع، وأنّ الوقف تامّ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بَيِّنَاتٍ هَزْوتَ هَمْرُوتَ وَمَرُوتَ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(1) ينظر: الخراط. المجتبى من مشكل إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 264.

(2) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج 4 ص 605.

(3) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 193.

(4) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 193.

قال النحاس: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾. قال نافع: تمّ (1).

وقال الداني: وقال نافع وأحمد بن جعفر الدينوري: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾
تأم، وهو حسن ليس بتأم ولا كافٍ (2).

والظاهر أن الوقف حسن كما ذهب إليه الداني في موضع سورة البقرة، ورجّحه
الأشموني في أكثر من موضع (3)، وهو في هذا الموضع كذلك، والله أعلم؛ لما
يفيده الاستدراك من اتصال الكلام.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 37].

موضع وقف الإمام الهبّطي: عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ
يُنَزِّلَ آيَةً﴾.

(1) ينظر: النحاس. القطع والانتشاف. مصدر سابق. ص 72.

(2) ينظر: الداني. المكتفي في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 24.

(3) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 84، 96، 101،

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

جملة (إن الله قادر على أن ينزل آية) جملة مقول القول في محل نصب، وجملة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) معطوفة على مقول القول في محل نصب (1).

وعلى هذا الوجه منَعَ العلماء الوقف على قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ لتعلُّق ما بعده به؛ فقال العَمَانِيُّ: " زعم بعضهم أن الوقف عند قوله: عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً، وليس ذلك بشيء؛ لأنَّ الابتداء بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ لا يحسن؛ لتعلُّقه بما قبله" (2)، وكذا قال القسطلاني والأشموني (3).

ويوجّه وقف الإمام الهبّطيّ بأنه وقعت جملة بعد (لكن) ، فيبدأ بها على مذهب من يرى ذلك (4).

(1) ينظر: الخراط. المجتبى من مشكل إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 265.

(2) ينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 104.

(3) ينظر: القسطلاني. لطائف الإشارات الفنون القراءات. مصدر سابق. ج 5 ص 2141، وينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 194.

(4) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 193.

والظاهر أن الوقف حسن، لا يبدأ بما بعده؛ للاستدراك.

أما إن جعل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استثناءً من الله تعالى غير داخلٍ فيما أمر النبي ﷺ أن يقولَه ردًّا على الذين يطلبون الآيات، فإنَّ قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ يُقطع مما بعده، ويكون الوقف عليه كافياً؛ للتعلق المعنويِّ دون اللفظيِّ، والله أعلم.

وهذا ما يوجِّه به اختيار الإمام الهبّطيِّ الوقفَ على هذا الموضع، وهو ما ذكره الطبريُّ في تفسيره لهذه الآية؛ حيث قال: "قال الله تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ: قل - يا محمد - لقاتلي هذه المقالة لك: (إنَّ الله قادرٌ على أن ينزل آية)، يعني: حُجَّةٌ على ما يريدون ويسألون، (ولكن أكثرهم لا يعلمون)، يقول: ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية لا يعلمون ما عليهم في الآية إن نزلها من البلاء، ولا يذرون ما وجهُ ترك إنزال ذلك عليك، ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها عليك، لم يقولوا ذلك، ولم يسألوكه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك" (1).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٣]

موضع وقف الإمام الهبّطيِّ: عند قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾.

(1) ينظر: الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. مصدر سابق. ج 11 ص 343.

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

قوله (ولكن) استدراكٌ على المعنى؛ أي: ما تضرَّعوا ولكن قست قلوبهم⁽¹⁾.

وجملة (ولكن قست قلوبهم) معطوفةٌ على جملة (تضرَّعوا)⁽²⁾.

ونقل النحاس عن الأخفش أنّ الكلام تامٌ عند قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾⁽³⁾.

وفصل الأشموني؛ فجعل الوقف جائزاً على استئناف ما بعده⁽⁴⁾.

وهو ما يوجه به وقف الإمام الهبطي، ويكون الوقف على هذا كافياً، والله أعلم.

ثم قال الأشموني: وليس بوقف إن جعلت جملة: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ

لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ داخلةً تحت الاستدراك، فيكون

الحامل على ترك التضرع قسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي كان الشيطان سبباً في تحسينها لهم. ثم قال: "وهذا أولى"⁽⁵⁾. يريد الوصل أولى. ولم يجوز العماني

الوقف عند هذا الموضع، وقال: نصّ عليه بعضهم، وليس عندي بشيء⁽⁶⁾.

(1) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 496.

(2) ينظر: الخراط. المجتبى من مشكل إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 267.

(3) ينظر: النحاس. القطع والانتشاف. مصدر سابق. ص 222.

(4) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 194.

(5) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 194.

(6) ينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 105.

وفي المجلد فإن انفراد الإمام الهبطيني بالوقف على قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ جوزه بعض علماء الوقف؛ لأن الجملة الواقعة بعده مستأنفة، غير أن الأولى الوصل؛ لأنه استدراك.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ [الأنعام: 68 - 69].

موضع وقف الإمام الهبطيني: عند قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾. في (ذكرى) أربعة أوجه:

منصوبة على المصدر بفعل مضمر، فقدّره بعضهم أمراً أي: ولكنْ ذكروهم ذكرى، وبعضهم قدّره خبراً أي: ولكنْ يُذكرونهم ذكرى (1).

مبتدأ خبره محذوف، أي: ولكن عليكم ذكرى، أي: عليكم تذكيرهم (2).
خبر لمبتدأ محذوف أي: هو ذكرى، أو هذا ذكرى، أي: النهي عن مجالستهم والامتناع منها ذكرى (3).

والأوجه الثلاثة السابقة من باب عطف الجمل (4). وعلى هذا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، كما هو اختيار الإمام الهبّطيّ، ويكون الوقف كافياً؛ للتعلّق المعنويّ دون اللفظيّ. وحكم الأسمونيّ على هذا الوقف بأنه جائز؛ لوقوع جملة بعد (لكن) (5).
أنه عطف على موضع (شيء) المجرور بـ (من) أي: ما على المتقين من حسابهم شيء ولكنّ عليهم ذكرى، فيكون من عطف المفردات (6).

(1) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 506، وينظر: السمين

الحلبي. الدرّ المصون. مصدر سابق. ج 4 ص 676.

(2) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 506، وينظر: السمين

الحلبي. الدرّ المصون. مصدر سابق. ج 4 ص 676.

(3) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 506، وينظر: السمين

الحلبي. الدرّ المصون. مصدر سابق. ج 4 ص 676.

(4) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط مصدر سابق. ج 4 ص 547، وينظر: السمين

الحلبي. الدرّ المصون. مصدر سابق. ج 4 ص 676.

(5) ينظر: الأسموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 196.

(6) ينظر: أبو حيان الأندلسي. مصدر سابق. ج 4 ص 547، وينظر: السمين الحلبي. الدرّ

المصون. مصدر سابق. ج 4 ص 676.

وعلى هذا فالوقف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ حسن، ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده، ومحلّ الوقف عند آخر الآية، وهو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

ويتبين مما سبق أن الوقف في هذا الموضع يسوّغه أن الكلام تامّ عند قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ كما نُقل عن الأخفش، وأنّ ما بعده مستأنف، وهو ما وضّحه الأشموني.

إلا أنّ الوصل أقوى وأولى في هذا الموضع وأمثاله؛ لما في الكلام من الاتصال الذي يفيد الاستدراك.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَتَابِكَاتِ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جَاهِلُونَ﴾ [الأنعام: 111].

موضع وقف الإمام الهبّطي: عند قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

الإعراب وتوجيه الوقف:

يوجّه وقف الإمام الهبّطيّ أنه وقعت جملة بعد (ولكنّ) فيصلح الابتداء بها عند بعضهم (1). ومتابعة للإمام نافع في الوقف قبل (ولكنّ).

(1) ينظر: الأشموني منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 193.

إلا أنّ الوصل أولى لاتّصال الكلام بالاستدراك، ويكون الوقف على قوله: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ حسناً، لا يبدأ بما بعده.

قال الأشموني: ليس بوقف لحرف الاستدراك بعده (1).

• الفصل بين الجملتين المتعاطفتين (عطف الجمل)

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى

يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: 36]

موضع وقف الإمام الهبّطي: عند قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾.

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

جملة (والموتى يبعثهم الله) تحتمل ثلاثة أوجه:

أنها جملة من مبتدأ وخبر (2). وجملة (ثم إليه يرجعون) معطوفة على جملة (يبعثهم الله) وتكون في محلّ رفع (3). والتقدير: والموتى يبعثهم الله ثم يرجعون إليه، وهما جملتان خبريتان. ويكون الوقف حسن على هذا الوجه؛ لأنّ العطف من باب عطف المفردات، ولا يحسن الابتداء بما بعده، والله أعلم.

(1) ينظر: المصدر السابق. ص 203.

(2) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 493.

(3) ينظر: الخراط. المجتبى من مشكل إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 265.

(الموتى) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر بعده⁽¹⁾، والتقدير: ويبعث الله الموتى بيعتهم⁽²⁾. وجملة (ثم إليه يرجعون) معطوفة على جملة (يبعث الله) المقدرة، وتكون لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها عطفت على جملة استئنافية⁽³⁾. والتقدير: ويبعث الله الموتى ثم يرجعون إليه. ورجح السمين الحلبي هذا الوجه⁽⁴⁾.

(الموتى) مرفوع عطفاً على الموصول قبله (الذين)، وجملة (يبعثهم الله) حالية، والمراد بالموتى الكفار، أي: إنما يستجيب المؤمنون السامعون من أول وهلة، ويستجيب الكفار حالة إحياء الله لهم وهدايتهم بالإيمان، وهذا من باب المجاز⁽⁵⁾. وجملة (ثم إليه يرجعون) معطوفة على جملة (يستجيب). والتقدير: إنما يستجيب المؤمنون، ويستجيب الكفار حالة هداية الله لهم، ثم يرجعون إليه جميعاً.

واتفق العلماء على جواز الوقف على قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾، ثم اختلفوا في درجته؛ فجعله العماني وقفاً صالحاً⁽⁶⁾.

وجوز ابن الأنباري الوقف، ولم يبين درجته⁽⁷⁾.

وجعله القسطلاني من الوقف الكافي⁽⁸⁾.

وقال الأشموني: جائز⁽¹⁾.

(1) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج 4 ص 610.

(2) ينظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 493.

(3) ينظر: الخراط المجتبى من مشكل إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 265.

(4) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج 4 ص 610.

(5) ينظر: المصدر السابق. ج 4 ص 610.

(6) ينظر: العماني. المرشد في الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 103.

(7) ينظر: ابن الأنباري. إيضاح الوقف والابتداء. مصدر سابق. ج 2 ص 632.

(8) ينظر: القسطلاني. لطائف الإشارات الفنون القراءات. مصدر سابق. ج 5 ص 2141.

والذي يظهر أن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَهُمُ اللَّهُ﴾ كافٍ على الوجهين الثاني والثالث؛ لأنه من باب عطف الجملتين المختلفتين، وهذا ما يسوغ وقف الإمام الهبّطي.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

موضع وقف الإمام الهبّطي: عند قوله تعالى: ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾.

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾. جملة استئنافية، لا محل لها من الإعراب⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ يجوز في هذه الجملة أن تكون:

(¹) ينظر: الأشموني. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء. مصدر سابق. ص 194.

(²) ينظر: أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. مصدر سابق. ج 4 ص 570.

خبراً لمبتدأ محذوف تقديره أنتم، أي: وأنتم لا تخافون، والجملة الاسمية حالية، أي: وكيف أخاف الذي تشركون حال كونكم أنتم غير خائفين عاقبة إشراككم⁽¹⁾. وعلى هذا الوجه لا وقف على قوله: ﴿كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾.

معطوفة على (أخاف) فهي داخلة في التعجب والإنكار⁽²⁾، ولا محل لها من الإعراب، والتقدير: وكيف أخاف ما أشركتم، وكيف لا تخافون أنكم أشركتم؟ ولعل هذا ما يوجّه به وقف الإمام الهبّطي، ويكون من عطف الجمل، وهما مختلفتان في السلب والإيجاب، وفي الفاعل. ولكن الوصل الأولى؛ لأن الجملة الثانية من تنمة الاستئناف.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ط تَخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ أَلْمَيْتِ وَمَخْرِجُ أَلْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ ج ذَلِكُمْ اللَّهُ ط فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ أَلَيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام: 95 - 96].

موضع وقف الإمام الهبّطي: عند قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ أَلَيْلَ سَكَنًا﴾.

الإعراب والقراءات وتوجيه الوقف:

(¹) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج 5 ص 22، وينظر: صافي الجدول في

إعراب القرآن الكريم. مصدر سابق. ج 7 ص 206

(²) ينظر: المصدر السابق. ج 4 ص 570.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾⁽¹⁾ فيه قراءتان:

قرأ الكوفيون ﴿وَجَعَلَ﴾ بفتح العين واللام من غير ألف، وينصب لام ﴿الَّيْلِ﴾⁽¹⁾. فقوله: (والشمس والقمر) معطوفٌ على (الليل) و(حسباناً) معطوفٌ على (سكناً)⁽²⁾. وعلى هذه القراءة لا يوقف على قوله: بُي تَث فِئ و ليبدأ بما بعده؛ لئلا يفصل بين المتعاطفين؛ إذ هو من عطف المفردات.

وقرأ الباقرن بالألف وكسر العين ورفع اللام ﴿وجاعلُ﴾ وخفض لام ﴿الَّيْلِ﴾⁽³⁾. فيكون (جاعلُ) معطوفاً على (فالقُ)⁽⁴⁾، و(الليل) مضاف إليه، من باب إضافة المفعول الأول إلى اسم الفاعل، و(سكناً) مفعولٌ به ثانٍ لفعلٍ مُضمرٍ عند البصريين تقديره: جعله سكناً؛ لأن اسمَ الفاعل الماضي لا يعمل عند البصريين إلا مع "أل" خلافاً لبعضهم في مُنَعِ إعمال المعرّف بها⁽⁵⁾.

وأما إذا قلنا: إِنَّ (جاعلُ) بمعنى الحال أو الاستقبال، ف (سكناً) منصوبٌ به⁽⁶⁾.

وقوله: (والشمس والقمر حسباناً) منصوب بفعل مضمر يدلُّ عليه ما قبله، باعتبار اسم الفاعل (وجاعل) ماضياً، والتقدير: جاعل الليل سكناً وجعل الشمس والقمر

(1) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. مصدر سابق. ج 2 ص 196.

(2) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج 5 ص 61.

(3) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر. مصدر سابق. ج 2 ص 196.

(4) ينظر: أبو علي الفارسي. الحجة للقراء السبعة. مصدر سابق. ج 3 ص 361.

(5) ينظر: ابن عادل الحنبلي. عمر بن علي. 1998م. اللباب في علوم الكتاب. تح: عادل أحمد

عبد الموجود، علي محمد معوض. ج 8 ص 309. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(6) ينظر: المصدر السابق. ج 8 ص 309.

حساناً⁽¹⁾، ويكون العطف من باب عطف الجمل⁽²⁾. ويكون الوقف كافياً؛ لاختلاف الجملتين؛ في الاسمية والفعلية.

وباعتبار اسم الفاعل دالاً على الحال أو الاستقبال، فمذهب سيبويه أن نصب (والشمس والقمر) بإضمار فعل أيضاً، وحكم الوقف فيه كسابقه.

أما مذهب غير سيبويه فيكون النصب عطفاً على محل المجرور في قوله (جاعل الليل)⁽³⁾.

ولا وقف على قوله: ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا﴾، ليبدأ بما بعده على هذا الوجه؛ لئلا يفصل بين المتعاطفين.

وذكر القسطلاني أن الوقف على قوله: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ تاماً على القراءتين، والوقف أتم على قراءة من قرأ ﴿جاعل﴾ بالألف⁽⁴⁾.

ولا يُسَلَّم للقسطلاني جعله الوقف على (سكناً) تاماً على قراءة الكوفيين، إلا على تقدير أن (الشمس والقمر) منصوبتان بفعل مضمر آخر تقديره (وجعل الشمس) فيكون من باب الجمل المتعاطفة، والله أعلم.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا

رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ



﴿[الأنعام: 142].

(1) ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن. مصدر سابق. ج 1 ص 509.

(2) ينظر: صافي الجدول في إعراب القرآن الكريم. مصدر سابق. ج 7 ص 229.

(3) ينظر: السمين الحلبي. الدر المصون. مصدر سابق. ج 5 ص 61، 62.

(4) ينظر: القسطلاني. لطائف الإشارات لفنون القراءات. مصدر سابق. ج 5 ص 2145.

موضع وقف الإمام الهبطي: عند قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب (1).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ معطوف على قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ لا محل لها كذلك (2).

والعطف من باب عطف الجملتين المختلفتين أمراً ونهياً، وهو ما يوجّه به وقف الإمام الهبطي؛ إذ يلاحظ أنه أكثر من الفصل بين الأوامر والنواهي بالوقف؛ كما في هذه الآية، وكما في غيرها؛ كالوقف على قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ثم يقف، و يبتدئ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصاص: ٨٧] (3).

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ

(1) ينظر: الدرويش. إعراب القرآن وبيانه. مصدر سابق. ج3 ص 253.

(2) ينظر: صافي الجدول في إعراب القرآن الكريم. مصدر سابق. ج8 ص306.

(3) ينظر: بو عافية. الأسس العامة التي بني عليها الإمام الهبطي ووقفه. مصدر سابق. ص

مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا
 إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ [الأنعام: 148].

موضع وقف الإمام الهبّطي: عند قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾.

الإعراب وتوجيه الوقف:

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ جملة استئنافية لا محل لها (1).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُصُونَ﴾ جملة معطوفة على قوله: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾

تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴿ (2) فتكون لا محلّ لها كذلك، ويكون الوقف على

اعتبار أن العطف من عطف الجمل، وهما جملتان مختلفتان، اسمية وفعلية.

إلا أن هذا الوقف على قوله: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ والابتداء بما بعده

فيه نظر؛ لأن الجملة الاستئنافية والجملة المعطوفة عليهما، كلاهما داخلتان في

جواب الرسول ﷺ للمشركين. فيكون الوقف حسناً، لا يبدأ بما بعده، والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإن من أبرز النتائج التي انتهى إليها البحث ما يأتي:

(1) ينظر: صافي الجدول في إعراب القرآن الكريم. مصدر سابق. ج 8 ص 342.

(2) ينظر: الدرويش. إعراب القرآن وبيانه. مصدر سابق. ج 3 ص 264.

تفرد الإمام الهَبْطِيُّ بمذهب في الوقف والابتداء ميّزه عن غيره من العلماء. قد يُستدل من وقوف الإمام الهَبْطِيِّ التي انفرد بها في سورة الأنعام أنه يبني وقفه على قراءة الإمام نافع رحمه الله.

يمكن القول: إنّ وقف الإمام الهَبْطِيِّ المرّمز له بعلامة (صه) ينحصر عنده بين التمام والكفاية من حيث تسويغُه الابتداء بما بعد الوقف في جميع المواضع. تُخرّج بعض وقوف الإمام الهَبْطِيِّ الغربية على تأويلات لغوية وتفسيرية بعيدة محتملة تخالف ترجيح المعريين والمفسرين.

يلاحظ من بعض وقوف الإمام الهَبْطِيِّ أنه يبحث عن أيّ مسوغ للفصل بين جمل الآيات الطويلة، ولو بعيداً.

وفي ضوء تلك النتائج يوصي الباحثان بما يأتي:

البحث عن التراث العلميّ الذي خلفه الإمام الهَبْطِيُّ وتحقيقه؛ لإثراء المكتبة العلمية.

إجراء مزيد من الدراسات حول توجيه الوقوف التي انفرد بها الإمام الهَبْطِيُّ في القرآن الكريم.

الإفادة من منهج الإمام الهَبْطِيِّ في اعتماد رمزٍ واحد للوقف في المصاحف؛ تسهياً على عامة المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

- الأزهري. محمد بن أحمد. 1991م. (معاني القراءات). ط1. جامعة الملك سعود. الرياض -السعودية.
- الأشموني. أحمد بن محمد. (منار الهدى في بيان الوقف والابتداء). تح: محمد بن عيد الشعباني. ط1. دار الصحابة. طنطا - مصر.
- ابن الأنباري. محمد بن القاسم. 1971م. (إيضاح الوقف والابتداء). تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان. مجمع اللغة العربية. دمشق - سوريا.
- الأنصاري. زكريا بن محمد. 2002م. (المقصد لتلخيص ما في المرشد). تح: شريف أبو العلاء العذري. ط. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- البغوي. الحسين بن مسعود. 1997م. (معالم التنزيل). تح: محمد عبد الله النمر وآخرين. طه . دار طيبة. الرياض - السعودية.
- التبكتي. أحمد بابا. 1989م. (نيل الابتهاج بتطريز الديباج). تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة. ط1. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس ليبيا.
- ابن الجزري. محمد بن محمد. 2001م. (النشر في القراءات العشر). تح: زكريا عميرات. طه. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- ابن الجوزي. عبد الرحمن بن علي. 1422هـ. (زاد المسير في علم التفسير). تح: عبد الرزاق المهدي. ط. دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان.
- الحاكم النيسابوري. محمد بن عبد الله. 1990. (المستدرک على الصحيحين). تح: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. كتاب الإيمان. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

- الحمد. غانم قدوري. 2008م. (شرح المقدمة الجزرية). ط1. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. جدة - السعودية.
- أبو حيان الأندلسي. محمد بن يوسف. 1420هـ. (تفسير البحر المحيط). تح: صدقي محمد جميل. دار الفكر. بيروت - لبنان.
- الخراط. أحمد بن محمد. 1426هـ. (المجتبى من مشكل إعراب القرآن). مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة - السعودية.
- الداني. أبو عمرو عثمان بن سعيد. 2001م. (المكتفي في الوقف والابتداء). تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان. ط2. دار عمار. عمان - الأردن.
- الدرويش. محيي الدين بن أحمد. 1415هـ. (إعراب القرآن وبيانه). ط. دار ابن كثير. دمشق - بيروت.
- الراغب الأصفهاني. الحسين بن محمد. 1412هـ. (المفردات في غريب القرآن). تح: صفوان عدنان الداودي. ط. دار القلم. دمشق - سوريا.
- الزمخشري. محمود بن عمرو. 1407هـ. (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل). ط3. دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان.
- ابن زنجلة. عبد الرحمن بن محمد. 1982م. (حجة القراءات). تح: سعيد الأفغاني. ط2. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.
- الجاوندي. محمد بن طيفور. 2006م. (علل الوقوف). تح: محمد بن عبد الله عيدي. ط2. مكتبة الرشد. الرياض - السعودية.
- الجاوندي. محمد بن طيفور. 2001م. (كتاب الوقف والابتداء). تح: محسن هاشم درويش. ط. دار المنهاج. عمان - الأردن.

- سعيد أعراب. 1990م. (القراء والقراءات بالمغرب). ط. دار الغرب الإسلامي. بيروت - لبنان.
- السمين الحلبي. أحمد بن يوسف. (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون). تح: أحمد محمد الخراط. دار القلم. دمشق - سوريا.
- الشوكاني. محمد بن علي. (فتح القدير). ط1. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب. دمشق - بيروت.
- صافي. محمود بن عبد الرحيم. 1418هـ. (الجدول في إعراب القرآن الكريم). طه. دار الرشيد - دمشق. مؤسسة الإيمان - بيروت.
- الطبري. محمد بن جرير. 2000م. (جامع البيان في تأويل القرآن). تح: أحمد محمد شاكراً. ط1. مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.
- الطيّار. مساعد بن سليمان. 2010م. (المحرر في علوم القرآن). ط3. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. جدة - السعودية.
- الطيّار. مساعد بن سليمان. 1431هـ. (وقوف القرآن وأثرها في التفسير). مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة - السعودية.
- العابدين. الشيخ بن حنيفة. 2006م. (منهجية ابن أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم) ط1. دار الإمام مالك. باب الوادي - الجزائر.
- ابن عادل الحنبلي. عمر بن علي. 1998م. (اللباب في علوم الكتاب). تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- ابن عاشور. محمد الطاهر. 1984م. (التحرير والتتوير). الدار التونسية - تونس.

- بو عافية. محمد الصالح. 2009م. (الأسس العامة التي بني عليها الإمام الهبتي وقوفه) رسالة ماجستير. جامعة الجزائر.
- ابن عطية عبد الحق بن غالب. 1422هـ. (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز). تح: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- العكبري. عبد الله بن الحسين. (التبيان في إعراب القرآن). تح: علي محمد البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- أبو علي الفارسي. الحسن بن أحمد. 1993م. (الحجة للقراء السبعة). تح: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني. ط2. دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت.
- العماني. الحسن بن علي. 1424هـ. (المرشد في الوقف والابتداء). تح: محمد بن حمود الأزوري. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى.
- الغماري. عبد الله بن محمد بن الصديق. (منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبتي). دار الطباعة الحديثة. الدار البيضاء - المغرب.
- ابن القاضي. أحمد بن محمد المكناسي. 1973م. (جذوة الاقتباس في ذكر من حلة من الأعلام بفاس). دار المنصور. الرباط - المغرب.
- القسطلاني. أحمد بن محمد. (لطائف الإشارات الفنون القراءات). تح: مركز الدراسات القرآنية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة - السعودية.
- القيسي. مكي بن أبي طالب. 1405هـ. (مشكل إعراب القرآن). تح: حاتم صالح الضامن. ط2. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.

- الكتاني. محمد بن جعفر. 2004م. (سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس). تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرين. ط. دار الثقافة. الدار البيضاء - المغرب.
- ابن كثير. إسماعيل بن عمر. 1999م. (تفسير القرآن العظيم). تح: سامي بن محمد سلامة. ط2. دار طيبة. الرياض - السعودية.
- الماوردي. علي بن محمد. (النكت والعيون). تح: السيد عبد المقصود عبد الرحيم. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- مخوف. محمد بن محمد بن عمر. 2003م. (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية). تح: عبد المجيد خيالي. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
- المنجور. أحمد بن علي. (فهرس أحمد المنجور). تح: أحمد حجي. دار المغرب الرياض - المغرب.
- النحاس. أحمد بن محمد. 1992م. (القطع والانتاف). تح: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي. ط. دار عالم الكتب الرياض - السعودية.
- الهندي. محمد الصادق. 1290هـ. (كنوز ألطاف البرهان في رموز أوقاف القرآن). المطبعة الكاستلية - مصر.

أجراس الكنائس الأوروبية تدقّ عشية موت عروج بربروسا

إعداد: د. إبراهيم حسين عبد الله*

المقدمة :

نالت حركة جهاد البطل عروج نصيباً لا يستهان به من الدرس والتمحيص، من قبل العديد من الباحثين، فخصصوا لها كتباً وأبحاثاً كثيرة، على اختلاف توجهاتها بطبيعة الحال فهناك التي تشيد وتمدح، وهناك التي تطعن وتقذح عند تفصيلها لتلك الأحداث.

إلا أنّ المرء لا يزال يشعر بضالة حجم تلك الأعمال أمام ضخامة بعض الأحداث لا سيما مظاهر التعبير الأوروبي بفرحتهم لمقتل البطل عروج؛ فإنّ أغلب الأعمال لم تتناول هذه المسألة لذاتها بل تناولتها بكيفية جزئية أو بطريقة عرضية لا تتناسب مع الشعور المهيب الذي أثاره هذا الحادث في بلدان أوروبا المسيحية، وبقي هذا الجانب محدود التداول والبحث، وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الدراسة جاءت لتكشف عن العديد من المسائل التي لها صلة بنهاية عروج وما ترتب على ذلك من احتفالات رسمية وشعبية في أوروبا عشية مقتله سنة 924 هـ / 1518م، ومنذ ذلك الحين طويت صفحة من أنصع صفحات تاريخ الجهاد الوطني الرائع ضد أفسى أنواع الاستعمار الأوروبي الحديث على الأراضي العربية الجزائرية.

* عضو هيئة تدريس بكلية الآداب/ الجامعة الأسمرية

أهمية البحث :

تكمُن أهمية هذا البحث من خلال ما يعالجه من جوانب مختلفة حول رحيل أحد الشخصيات التي أدّت أدوار إيجابية متعددة ومتنوعة في التاريخ الحديث للمغرب العربي، كما تكمن أهميته كونه يسمح لنا بالكشف عن الإيجابيات والسلبيات المبعثرة وجمعها في صفحات لتكون صورة واضحة وجليّة عن الفترة الأخيرة لحروب عروج على الصليبيين وحلفائهم التي كانت غمّاً وهمّاً في نفوس أعدائه الذين كانوا يحتفلون بكل بارقة انتصار يحرزونها عليه مظهرين البهجة والشماتة بنصرهم، ومن أكبر تلك الانتصارات اليوم الذي قتل فيه البطل عروج، فكان يوماً لم يشاهد الصليبيون ولا سمعوا بمثله في هذه الأزمان، فقرعت أجراس الكنائس قرعاً خاصاً والقادة والعوام في لهوٍ وسرورٍ بهذا النصر، وذلك وفقاً لما أتاحتها المصادر والمراجع من مادة تاريخية، وعلى رأسها المصادر والمراجع الأجنبية المعربة، والتي سدّت ثغرة كبيرة في هذا البحث.

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى :

إعطاء قراءة جيّدة لموضوع مخطط الغدر والخيانة التي تعرض له القائد عروج وما له من دور في التعجيل بموته وما ترتب عليه من أحداث جعلت الجزائر تدفع ثمن خيانة بعض أبنائها وتفقد بطلا عظيماً قام بنصرتها والدفاع عن عرضها واستعادة مجدها.

التعزّف على الاحتفالات الكبيرة بمقتل عروج والاستعدادات الأوروبية الجادة والخاصة بهذا الحدث السعيد، والحماس الكبير الذي دفعهم إلى قيادة حملة تهدف إلى توسيع رقعة انتصاراتهم في الجزائر.

تكوين صورة شاملة عن المحاولة اليائسة لتشويه تاريخ جهاد عروج وما خطته أعلامهم الحاقدة، بذلك التهوين من شأن البطل عروج وقواته كونها قوّة إسلامية والخطّ من قيمة أعمالها. وما ترتب عليها من افتراءات وكشف ما بها من ملابسات وتناقضات.

إشكالية البحث :

يمكن تلخيص إشكالية البحث في جملة من التساؤلات والتي كان من أبرزها:

إلى أيّ مدى أثرت عملية انسحاب أهالي تلمسان من أرض المعركة وتخليهم عن مساندة عروج في تحقيق النصر على الأعداء ؟
هل كانت هناك أسباب مقنعة تبرر عملية تملصهم من مساعدة عروج وميولهم إلى أعدائه ؟

وهل كان استقبال نبأ مقتل عروج في إسبانيا خاصة وأوروبا النصرانية عامة يتناسب مع ما كان يتمتع به عروج من شجاعة وسمعة وشهرة حربية؟

وهل كانت دقات أجراس الكنائس لمناسبة مقتل عروج تتشابه مع دقات المناسبات الأخرى ؟ أم أنها تختلف عنها ولها قرع خاص ؟

وهل تمادى الحاقدون على عروج بأقلامهم في تشويه أعماله الجهادية التي أحببت مخططاتهم ؟ أم أنها مجرد ادعاءات أخرى لاستدرار عطف عامة الناس والمحبين له ؟

منهج البحث :

إنّ طبيعة الموضوع وإشكالاته تفرض على الباحث المنهج الذي يمكن أن يتبعه، وعلى هذا الأساس فقد لجأتُ إلى توظيف المنهج العلمي السردى لإعطاء صورة مقتضبة عن جهاد عروج وشجاعته في التصدي للأطماع الصليبية وما صاحبها من تطورات، إلى جانب منهج دراسة الحالة الذي يختص بالأفراد والجماعات، وتتم فيه جمع البيانات والمعلومات حول وحدة الموضوع وصولاً إلى نتائج منطقية مدعمة بأدلة وبراهين.

الإطار الزمني للبحث :

حددت الفترة من بداية سنة 924 هـ / 1518 إلى شهر مايو في نفس السنة إطاراً زمنياً للدراسة، أي منذ حصار عروج ببروسا في تلمسان إلى شهر مايو سنة 924 هـ / 1518م وقد جعلتها مرحلة نهاية البحث، لأنّ هذه المدّة شهدت مقتل عروج وبداية الاحتفالات في أوروبا بهذه المناسبة.

محتوى البحث :

تم تقسيم البحث على النحو الآتي :

أولاً - مخطط الغدر والخيانة ينجح في التعجيل بنهاية عروج.

ثانياً - الفرحة تعم البلاد الأوروبية يوم مقتل عروج.

ثالثاً - ما خطته أقلام الحاقدين على عروج.

أولاً- مخطط الغدر والخيانة ينجح في التعجيل بنهاية عروج بريروسا

بعدما فرض عروج بريروسا * سيطرته التامة على مدينة الجزائر سنة 1516م وتنظيم أمورها الإدارية والعسكرية حتى غدت المدينة تعيش في أمان منقطع النظير، الأمر الذى زاد من ثقة وحب العرب والبربر لعروج وجنوده من كل المناطق المجاورة⁽¹⁾. وأظهروا استعدادهم لمساندته والقتال في صفه طمعاً في الغنائم من ناحية وإسهاماً في حركة الجهاد الديني من ناحية أخرى.

ومنذ ذلك الحين تغير ميزان القوى حيث أصبح اسم عروج في جميع سواحل الشمال الأفريقي متوجاً بالفرح والتفاخر بجرأته المعهودة وشجاعته النادرة وبأسطوله الذى

* ولد عروج بن أبي يوسف يعقوب أغا التركي في جزيرة ميدبلي العثمانية "شرق اليونان" سنة 1474 م و يقال أنه ولد ليلة الإسراء والمعراج من السنة نفسها لذلك سماه والده عُروج بمعنى الارتقاء والصعود. وكان يُلقب بـ"برياروسا" لدى الأوروبيين أي صاحب اللحية الحمراء (من الإيطالية: باربا أي لحية، روسا أي الحمراء) كما عرف بلقب الرئيس ويعني القائد البحري. أما أصدقائه فكانوا يسمونه بابا عروج احتراماً وتقديراً له واعتمادهم على زعامته. وقد اشتغل في شبابه تاجراً بحرياً ثم تزعم الجهاد في شمال أفريقيا وسواحل البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر حتى استشهد في مايو 1518 عن عمر يناهز 44 سنة؛ للمزيد ينظر مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين / تصحيح نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م، ص6-8 ؛ وكذلك وليم سنيسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبدالقادر زيادية، دار الصبغة للنشر، الجزائر، 2006 م ، ص 37-39.

(1) الحسن بن محمد الوزان (ليون الأفريقي) وصف أفريقيا، ترجمة إلى العربية عبدالرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2005 م، ص410.

أصبح قوة ضاربة يحسب لها ألف حساب ، وغدا شوكة في حلق الإسبان الذين يمثلون البابوية راعية العالم الكاثوليكي⁽¹⁾ وكابوساً مرعباً للسواحل الأوروبية.

وفي هذه الأثناء تعالت الأصوات من كل حدب وصوب تستغيث بعروج لإزالة الخطر الإسباني الذي يهددهم على الدوام، وقد اغتتم أهالي تلمسان* هذه المستجدات فلم يضيعوا ساعة من الوقت حتى أرسلوا وفداً كبيراً إلى الرئيس عروج لتخليصهم من شرور حاكمهم الظالم أبي حمو موسى الثالث الذي كان مرتبطاً بالإسبان وراضي بهيمنتهم على البلاد⁽²⁾.

لم يتأخر كثيرا جواب عروج فكيف له السكوت وديار أهالي تلمسان تنهك وأموالهم تنهب فجهز عساكره ومؤيديه وتوجه إليهم سنة 1517م وبوصوله فر أبو حمو هارباً من المدينة بمساعدة حراسه⁽³⁾ تاركاً أنصاره ومؤيديه يواجهون الموت على يد

(1) جان بيرنجية، فليب كونتاين، ألف دوران فرنسيس راب: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، المجلد الثاني، ترجمة وجيه البعيني، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1995م، ص 213.

* تقع مدينة تلمسان في شمال غرب الجزائر وتعد ثاني أهم مدينة في الجهة الغربية بعد وهران وتبعد عن العاصمة بـ 520 كيلومتر وعن وهران بـ 140 كيلومتر.

(2) شارل اندريه جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية (تونس- الجزائر- المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، مطبعة شركة الفنون، تونس، 1983م، ص 327.

(3) نيقولايف إيفانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية 1516- 1574 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص126.

عروج، أما عن بقية الأهالي فقد التف أغلبهم حول عروج بعدما ألهب نفوسهم بالحماس ووعدهم بالانتقام من أعداء الدين⁽¹⁾.

ومما لا شك فيه أنّ هذا الانتصار لعروج وتقدمه المريب إلى أن أصبح على مقربة من مدينة وهران نتج عنه زيادة مخاوف الإسبان المتمركزين بالقرب منه فامتألت قلوبهم رعباً من هذه القوة الإسلامية الناشئة بل أثار فزع وهلع الصليبيين في أوروبا عامة فيقول أحدهم "تشكو الله أن يقدم لنا علاجاً لهذا الزمن"⁽²⁾ ورأى كبار الساسة الإسبان وحلفاؤهم أنّ خير وسيلة لإنقاذهم مما هم فيه هو بذل جهود مضاعفة لجمع كل ما لديهم من قوة وعتاد يُعتمد عليه في التغلب على هذا الخصم العنيد ولإفساد هذا النجاح وإخماد أنفاسه وهو في المهد.

ومع بداية سنة 1518م وصلت الحملة الكبيرة بقيادة الضابط مارتن دا رغوت الذي أصدر قراراً بضرب المدينة ليل نهار، وفرض حصاراً حولها محكماً وعنيفاً لمدة قاربت الستة أشهر⁽³⁾ والذي استهلك من قوة عروج الكثير، وغدا هذا الأخير في موقف حيرة ودهشة وخاصة بعد سيطرتهم على المواقع المهمة لتلمسان لا سيما منافذ المدينة ومخارجها وسرعان ما تحول هذا الصراع إلى حرب داخل الأسواق

(1) عزيز سامح ألتز: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989م، ص61.

(2) فراي ديغو هايرو: تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبدالعزيز الأعلى، دار الهدى، الجزائر، 2013م، ص31.

(3) محمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر - تونس)، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2008م، ص26.

والطرقات⁽¹⁾ وأصبح الطرفان وجهاً لوجه في صراع دموي عنيف في مايو 1518م، فكانت معركة ثار وأحقاد أوقعت خسائر فادحة بالأسبان ولكنها أنهكت قوات عروج أيضاً ولم تمهله هذه المعركة الوقت الكافي لتصل إليه المعونة والنجدة التي طلبها من سلطان فاس المريني ومن أخيه خير الدين بربروسا⁽²⁾، وعندما بدأ ثقل هذه المعركة يدور حول عروج انسحب للقلعة الداخلية " قلعة المشور " ليتحصن بها رافضاً المهادنة أو الخضوع لسلطة الصليب مهما كانت التضحيات.

وإلى تلك اللحظة مازال عروج وقواته مستميتين في القلعة وثابتين في مكانهم ثبوت الرواسي وهم غير أبهين بما يلاقون لأنهم كانوا يتكلمون على الله - سبحانه وتعالى - وفي هذا الوقت نفسه وبشكل مفاجئ ينسحب من صفوف المعركة كل من كان يساند عروج من أهالي تلمسان ولم يبق معه سوى 500 مقاتل عثماني⁽³⁾، ولاسيما أهالي تلمسان الذي كسب ودهم ومحبتهم بإنقاذه لحريتهم، وأنهم على الدوام مستمسكين بعضا المقاومة معه.

ولم يكن هناك مبرر أو سبب مقنع يدل على حقيقة هذا التخلي في هذا الوقت الصعب سوى نية الغدر والخيانة ووقوعهم تحت ضغط هذا السلاح الخبيث الذي اعتمد عليه الإسبان وحلفائهم في هذه المعركة لإضعاف جبهة عروج.

(1) أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، 2007م، ص174.

(2) يلماز أوزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمد سليمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصاري، الجزء الأول، مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول، 1988م، ص251.

(3) محمود علي عامر، مرجع سابق، ص27.

وعلى الأرجح أن أهالي تلمسان عندما أدركوا استحالة المقاومة وما سيقترب بعروج في هذا الحصار استبدت مشاعر الهزيمة والإحباط بهم، فأخذ معظمهم يميل إلى الإسبان ومحاولة التملص من مساندة عروج متخذين أعداراً مخادعة وواهية متمثلة في قلة المؤن والتعب والدمار والخراب الذي لحق بمنازلمهم⁽¹⁾.

ومهما يكن من أسباب فإن أهالي تلمسان لم يكتفوا بالانسحاب فحسب بل اجتمعوا واستقر رأيهم على التفكير في خطة مدروسة للإحاطة بعروج، وهنا تظهر حقيقة واضحة ويجلاء أن القصد كان الخيانة ليس إلا، حيث اتفقوا مع أعدائه الإسبان لمساعدتهم وعليه دبّر هؤلاء الخونة جميعاً مكيدة شريرة لتغتال حلم عروج وجنوده⁽²⁾.

ونتيجة لاستمرار المعركة انشغل عروج عن متابعة ما كان يجري حوله ولم يتوقع بأنه أصبح هدفاً للدسائس والمؤامرات وأن من وثق بهم يوماً اجتمعوا واتفقوا على قتله⁽³⁾ وتتاسى سلاح الغدر والخيانة التي تمتلكه النفوس المريضة وحقدتها عليه.

استغل أهالي تلمسان قدوم مناسبة عيد الفطر لبدء تنفيذ خطتهم فطلبوا من عروج السماح لهم بتأدية صلاة العيد في جامع المشور - حسب عادتهم - الموجود داخل القلعة المتحصن بها عروج وبوصول الطلب أصبحت الأوضاع غير مطمئنة وأندرت الغيوم الملبدة في سماء تلك القلعة أن مأساة كبيرة ستحدث، وبموافقة عروج على طلبهم خرج جماعة من أهالي تلمسان مع طلوع فجر يوم العيد من عام

(1) عزيز سامح أتر، مرجع سابق، ص66

(2) أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص174.

(3) عزيز سامح أتر، مرجع سابق، ص66.

1518م نحو القلعة يحملون أسلحة مخفية تحت البرانيس⁽¹⁾ فكانوا متأهبين لدخول هذه القلعة والفتك بمن فيها، وبوصولهم أذن لهم بالدخول وما هي إلا لمحة عين حتى سلو سيوفهم من تحت ثيابهم وانهلوا بقتل الأطفال الآمنين⁽²⁾ وكل من يقابلهم وهم كالسيل الجارف لا يردهم شيء يصرخون بأعلى أصواتهم لكي يسمعهم ويراهم الجميع ويعلم أسيادهم الإسبان بنجاح هذا المخطط المتفق عليه والذي راح ضحيته أفضل العساكر العثمانيين⁽³⁾، ولكن شاء الله أن يرفع عن عروج شر المتآمرين، فنجى من الموت هذه المرة وتمكن منهم جميعاً.

وأمام هذا الاستفزاز والتحدي كظم عروج غيظه، وتركهم دون نصحهم وإرجاعهم عن غيهم وتحذيرهم بسوء العاقبة وبقي صابراً ينتظر ما تتمخض عنه الساعات القادمة.

وعلى إثر هذه المستجدات والمأساة انحنى عروج للعاصفة وجاء بحل حاد وصعب - وكان لا بد منه- وهو تفضيل الانسحاب على أن يخوض معركة خاسرة، فأعطى أمراً لمن تبقى من جنوده بالانسحاب من القلعة والسير باتجاه ساحل البحر⁽⁴⁾ لعل هذه المحاولة تجعله يفلت من يد الإسبان وينجو بنفسه، ولكن للأسف فإن هذه المحاولة كانت خاتمة آمال عروج وبداية النهاية لحياته وعجلت بيوم استشهاده الذي انتظره كثيراً.

(1) مبارك بن محمد بن الهالي الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ص50.

(2) عزيز سامح أتر، مرجع سابق، ص66.

(3) محمود علي عامر، مرجع سابق، ص33،

(4) أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص175،

ثانياً- الفرحة تعم البلاد الأوروبية يوم مقتل عروج بربروسا

بعد أن امتدت أيدي الغدر لعروج وحالت الأيام دون ما يريد بأشر بعملية الانسحاب بالتحرك في اتجاه الغرب نحو ساحل البحر كما أسلفنا لانتظار سفن أخيه، ومما ساعد على تسهيل هذه العملية دونما خسارة خروجها من القلعة تحت جناح الظلام مستخفياً دون إحداث ضجة حاملاً أمواله وما تبقى من أتباعه مسرعاً دون أن يشعر به أحد⁽¹⁾، إلا أن ذلك لم ينقذ مصيره المحتوم فبعد ساعات من خروجه استشعر أعداءه بمغادرته وعلى وجه السرعة كلفوا مفرزة عسكرية إسبانية مكونة من 50 فارس تحت قيادة الفيرز غار جياي دي تينو⁽²⁾ Alferez Garcia de Teno لملاحقته بالرغم من الظلام الدامس الذي كان سائداً في تلك الساعات وبطلوع النهار الثاني عرفت الوجوه بعضها بعضاً فافتقوا أثره إلى أن أصبحوا على مقربة منه وعندها قام عروج بأخر محاولة تمثلت في إلقاء كل ما لديه من كؤوس الذهب والفضة والنقود بقصد إشغال هذه المفرزة عن ملاحقته، وكسب الوقت لاستكمال طريقه⁽³⁾.

ولكن هذه العطية لم تؤت ثمارها المرجوة معهم فقد تمكنوا من اللحاق به بالقرب من وهران وبالتحديد عند ممر ريودي سالادو (عين تيمو شنت حالياً) وأوقفوا الموكب وأرغموه على معركة لا خيار فيها إلا القتال ولم يستطع بقواته القليلة فعل شيء فكان الفوز من نصيبهم رغم ما أظهره عروج من الشجاعة والبسالة حتى بعد فناء جميع جنوده ممن كان يعتمد عليهم فقد ظل يقاتل بشراسة وعناد يفوقان حد

(1) محمود على عامر، مرجع سابق، ص27.

(2) أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص175.

(3) قراري ديفو هايديو، مصدر سابق، ص14.

الوصف إلى أن تمكن الفيرز غار جيادي تينؤ باغتيالته إذ رماه برمح عن بعد في صدره⁽¹⁾.

في ميدان الشرف وقبل أن يسقط على الأرض رفع الشهيد عروج نظره إلى السماء متذكراً ابتسامات الأطفال الأندلسيين الذين كانوا يبادلونه إياها عندما كان ينفذهم ويعيدهم إلى أحضان أمهاتهم، وبعد سقوطه على الأرض وقبل أن ينهال هؤلاء الحاقدين على جسمه ليغرسوا سيوفهم في قلبه رفع أيضاً إصبعه عالياً وحرك شفثيه وهو يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.⁽²⁾

وما لبث طويلاً أن لفظ أنفاسه الطاهرة في ذلك اليوم من شهر مايو سنة 1518م⁽³⁾ بعد أن حقق الآمال المعقودة عليه، وكانت فرحة فرسان وقائد هذه المفزة فرحة عميقة بما تحقق فهم لا يكاد يصدقون أنهم سيطروا عليه بجشاعتهم متناسين حقيقة ما جرى من عملية تجنيد الأهالي للخيانة وبإشراف من إسبانيا وأوروبا.

وقبل أن تغادر هذه المفزة ميدان المعركة قامت بالتمثيل بجث الشهداء بهمجية وجاهلية، وكان عروج أكثرهم تعرضاً لوحشية التشويه والتمثيل نكاية وفخراً لمقتله وجرس إنذار لباقي أتباعه، والشيء الذي يدعوا للاشمئزاز من عباد الصليب الحاقدين هو عدم الاكتفاء بقتله وتمزيقه إرباً إرباً، بل قاموا بقطع رأسه المبارك

(1) محمود على عامر، مرجع سابق، ص27.

(2) جهاد الترباني: مائه من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار التقوى، القاهرة، 2010 م، ص55.

(3) كورين شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510 - 1541، ترجمة جمال حمدان، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2007، ص36.

وحمله قائد هذه المفزة على طرف نبل ليعود به إلى تلمسان، وقبل أن يغادر ميدان المعركة أيضا قام بالبداية بمراسم الاحتفال حيث أخذ يوزع على الجند الأموال من دون أن يحفظ لنفسه الثروة التي جمعها⁽¹⁾، ثم سار بالرأس وألبسته البحرية المزركشة مع الشال الذهبي الذي يلف خصره إلى وهران .⁽²⁾

ومن هناك سير بها إلى إسبانيا التي استقبلت نبأ مقتل عروج بفرحة عظيمة وبهجة غامرة وأدخل هذا الخبر السرور على نفس الملك شارل الخامس⁽³⁾ ونفوس كبار دولته وبداية الشعور بالارتياح الكبير لدى الأوساط الإسبانية، وبعد وصولهم ظلوا يطوفون بالرأس والملابس في معظم أكبر بلدان إسبانيا إرضاء للرعية⁽⁴⁾ ثم أودعت ملابسه في معتكف القديس (سان جيروم القرضبي) قدمت كهدية لهذه الكنيسة، فصنع منها رجال الدين شعاراً يسمى (شارة برياروس).⁽⁵⁾

أما الرأس فقد ذهبوا به بعد ذلك إلى أوروبا التي استقبلت هي الأخرى هذا الخبر بالفرح والابتهاج بهذا النصر الذي انتظروه كثيرا وطيف بالرأس ووراءه أفواج كثيرة خلال أغلب المدن الأوروبية التي كانت ترتعد من مجرد ذكر اسم بريروس⁽⁶⁾.

(1) فراي ديغوايدو، مصدر سابق، ص 41.

(2) محمود على عامر، مرجع سابق، ص 27.

(3) خير الدين بريروس: مذكرات خير الدين بريروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 92.

(4) عبد الرحمن بن محمود الجيلاني: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، دار الثقافة ببيروت، لبنان، 1980م، ص 224.

(5) عزيز سامح ألتز، مرجع سابق، ص 67.

(6) أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 176.

وقد جرت استعدادات جادة لهذه الغاية عشية مقتل عروج في أوروبا على العموم وإسبانيا على الخصوص معتبرين هذا الحادث حدثاً وطنياً حيث دقت أجراس الكنائس في كل فج عميق⁽¹⁾ لكي تعلن الكنيسة بذلك عن تضامنها مع الدولة لحزنها وفرحها، وهو من التقاليد المسيحية حيث يدق هذا الجرس لأسباب كنيسية عديدة منها مناسبة الأعياد والأفراح الوطنية أو أمر جل حدث، كما أن لهذه الأجراس دقات سريعة بها حيوية وفرح يضربه أحد خدام الكنيسة ليصل صوته لأكبر عدد ممكن في المنطقة المحيطة بالكنيسة⁽²⁾. وتعتبر تلك الدقات السريعة التي سمعت في ذلك اليوم قد حبست الأنفاس، ثم عرفوا من خلالها بموت عروج فانشرحت بها النفوس ووحدت بها القلوب، وعرفوا أيضاً من خلال تلك الدقات في داخل الكنيسة في تلك اللحظات للبدء في التسبيح للرب والدعوة للاجتماع لتقاسم الفرحة والبهجة وإقامة التعبدات والمهرجانات والأفراح، وعلى الفور هرعوا جميعاً إلى كنائسهم يلبون النداء لإقامة الصلوات وشكراً للمسيح⁽³⁾، فقد عبر الجميع عن سعادتهم، وتبادلوا البشرى فرحين بأن عروج خصمهم اللدود انتهى ولن يكون له وجود بعد اليوم وأنهم فخورون بهذا النصر العظيم الذي هز البلاد المسيحية طرباً وسروراً وأحيا في النفوس ما كاد يموت من الآمال.

(1) عبدالله عبدالرازق إبراهيم: بحث مقدم إلى جمعية اتحاد المؤرخين العرب، الندوة العلمية الثانية، بعنوان الصراع بين العرب والاستعمار الأوروبي في عصر التوسع الأوروبي الأول، 1798م، ص7.

(2) مايكل نيبل: مقال بعنوان بين الحزن والفرح والصلوة تعرف على رنات أجراس الكنائس، 2020/10/6م، بوابة أخبار اليوم، تم الاطلاع عليها 2020/3/23 م، [news<https://m.akhbarelyom.com](https://m.akhbarelyom.com)

(3) عبدالله عبدالرازق إبراهيم، مرجع سابق، ص7.

ومن بين الاستعدادات الجادة أيضاً قام الملك شارل الخامس إثر الانتصار الذي أحرزه جيشه باستقبال التهاني والتباهي تعبيراً عن فرحته وبهجته وعلى أنه الملك الذي لا يهزم ولا يقهر وللإشادة بهذا الحدث السعيد دعا الفيزر غار جيادي تينؤ الذي قتل عروج ومنحه شهادة اعتراف بجميل الأمة له⁽¹⁾. كما كافأه على إثبات جدارته الفائقة في التغلب على مشكلة العصر.

أما عن الاستعدادات العسكرية الجادة التي قام بها ملك إسبانيا الذي شجعه ذلك النجاح والانتصار الذي حققه بأن يدفع بحملاته ضد أفريقيا دفعة قوية تحقيقاً لهوسه الاستعماري، فطمع في الاستيلاء على القطر الجزائري⁽²⁾ مستغلاً الصعاب التي يواجهها الجزائريون كتأثرهم بالهزيمة وما عمهم من حزن وأسى وتمرد وتخلي الكثير عن التأييد والمساندة بعد مقتل قائدهم عروج، فباشر بتجهيز أساطيله وشحنها بالأسلحة والذخائر معلناً أن هذه الحملة صليبية، ومن الواجب على كل أوروبي المشاركة فيها وسيرها إلى ميناء الجزائر تحت قيادة (هو جودي مونكاد) Hu gode de mon الذي وصل الجزائر ففوجئ بمقاومة قوية أجبرته على الانسحاب⁽³⁾ طالباً الرأفة والرحمة وبالتالي فشل عسكرياً مرة أخرى حتى بعد موت عروج الذي ترك خلفه تاريخاً مضيئاً وقائداً عظيماً "أخوه خير الدين" الذي تسلم الراية من بعده وفي هذا الصدد قال بعض الإسبان " الشكر لعيسى قد استرحنا من

(1) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، (د. م) ، ص80.

(2) محمد عبد القادر باشا: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تحقيق محمد السيد عثمان، الجزء الأول، دار الكتب العالمية، ببيروت، لبنان، ص95.

(3) The Encycpedia of Islam TV. Khayr al din p1155.

البلاء الأكبر، والآن يجب أن نتخلص من البلاء الأصغر قبل أن يتحول الشعبان إلى تتين»⁽¹⁾.

وخلاصة القول أنه من الثابت تاريخياً أن الانتصار بمقتل عروج يعد واحداً من أكبر الانتصارات في إسبانيا خاصة وأوروبا عامة، وقد استخدمت تلك الانتصارات كمصدر للفخر الوطني؛ لتصبح رمزاً أكبر للنضال ضد أعداء الدين المسيحي.

ثالثاً- ما خطته أعلام الحاقدين على عروج بربروسا

للأسف إن الأعلام الحاقدة على أبطال التاريخ الذين تزعموا الثورة والجهاد قد اتجهت إلى تشويه تاريخهم ولا سيما أبطال البحرية العثمانية الإسلامية الذين أخذوا على عاتقهم الجهاد في سبيل الله وبدلوا الغالي والنفيس في سبيل رفع الظلم عن المسلمين الذين عانوا الولايات من الجيوش الصليبية ومعاركها العديدة في مطلع العصور الحديثة⁽²⁾، ومن بين هؤلاء الأبطال الرئيس عروج البطل المسلم الذي ظهر في البحر المتوسط وشن حروباً شعواء ضد خصومه، فكان الشعلة التي أضاءت طريق الجهاد ضد القوى النصرانية الأوروبية.

وبالتالي اتجه له التجريح والتشويه والتزييف تارة والتدليس والفبركة والتلفيق تارة أخرى، وما تجدر الإشارة إليه هنا أننا لا ندعي بأن شخصية عروج منزهة من

(1) د. محمد موسى الشريف: سيد البحار خير الدين بارباروس، 2013/7/27م، المنتدى العربي Defense Arab، تاريخ الاطلاع عليه 2021/3/25، [.threads<https://defense_arab.com](https://defense_arab.com.threads)

(2) بول كولز: العثمانيين في أوروبا، ترجمة عبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م، ص95،

العيوب وبعض السلبيات شأنها شأن الشخصيات الإسلامية الأخرى، إلا أن هذه الشخصية لم تُنصف وتعرضت إلى حملة تشهير كبير أكثر من غيرها.

وفيما يلي نستعرض بعضاً من أقوال الحاقدين وكتاباتهم الغير منصفة بداية بما أورده المؤرخ الإسباني (فراي ديغو هايدو) في أحد كتاباته عن الشكوك حول صحة أصله الإسلامي مؤكداً على صحة رواية المسيحية والتي مفادها بأن أبوه يعقوب بن يوسف لم يكون مسلماً بقوله: "أن والدهم كان خزافاً يونانياً وأنهم اعتنقوا الإسلام في وقت متأخر"⁽¹⁾.

وقد أيدته الكثير على صحة هذه الرواية التي تؤكد على أن أبوه يعقوب إما أن يكون مسيحياً أو يهودياً.⁽²⁾

وإذا أردنا الرد على هذه الشكوك، فإن هناك أدلة وبراهين تثبت أن والد عروج يعقوب ابن يوسف كان مسلماً لكونه من الأناضول وأحد فرسان السباهية في جند محمد الثاني أي من بقايا الفاتحين المسلمين الأتراك الذين استقروا في جزيرة مدلى، وباعتباره مسلماً، فقد ولد أبناؤه بما فيهم عروج مسلمين بخلاف ما قاله المؤرخ هايدو.

أما بالنسبة للإشارة إلى أن يعقوب كان مسيحياً⁽¹⁾ فهذا مردّه إلى أنّ الروايات المسيحية أغلبها تريد أن تجعل ما وصل إليه البطل عروج مرده إلى أصوله المسيحية.

(1) محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، الطبعة

الثانية، مكتبة دار المشرق، بيروت، لبنان، 1979م، ص23.

(2) محمد خير فارس، مرجع سابق، ص23.

أما بالنسبة للإشارة إلى أنّ أباه كان يهودياً لكون اسمه واسم أغلب أبنائه أسماء أنبياء بني إسرائيل، فهذا التدليل باطل باعتبار أن ديننا الإسلامي يؤمن بجميع الأنبياء ويتسمى جميع أبناء المسلمين في كل العالم الإسلامي بأسماء الأنبياء.

أما عن التشكيك في جهاده وتشويهه فيكاد يجمع جميع الحاقدين على نص واحد وهو أنّ طبيعة حركة جهاده في البحر المتوسط بوصف دورها بالقرصنة⁽²⁾.

وعلى الرغم من أن الموضوع متشعب وطويل لا يتسع المجال المخصص لهذا البحث للخوض فيه بالتفصيل إلا أننا سنحاول الإلمام بجوانبه دونما إطالة مملة، مما لاشك فيه وعلى مر العصور أصبحت تقفز حروب عروج إلى ذهن الكثير من الأوروبيين كلما ذكرت القرصنة حتى لكأنما الاسمان متلازمان، أو لكأنما القرصنة أنشأها عروج فاختصت به، وهم على علم بأنهم مارسوا القرصنة قبل المسلمين بزمن طويل وبأنها لا تنسب لأمة دون أخرى أو فئة اجتماعية بعينها، فقد باشرتها العديد من دول العالم الساحلية من سادة وأتباع وأغنياء وفقراء⁽³⁾. ولو كان الأمر على هذا النحو بالنسبة لعروج فإنهم لم يفرقوا بين القرصنة التي هي نوع من أنواع الحروب البحرية دفاعاً عن النفس وصيانة للديار والأهل ضد معتدين مغتصبين، وهي حق مشروع تقوم باسم الدولة، وبين العمليات الوحشية التي تجوب البحار لنهب السفن وما عليها لبحارة غير نظاميين.

(1) مارمول كرنجال: أفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي- محمد الأخضر- أحمد توفيق-

أحمد بنجلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1989م، ص304.

(2) عبدالعزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثاني، مكتبة

الانجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1986م، ص905.

(3) أحمد قاسم: إيالة تونس العثمانية على فتاوي ابن عثوم 1574-1600م، تقديم عبد الجليل

التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004 م، ص366.

وإذا نظرنا إلى كتاباتهم كلاً على حدة نلاحظ أنهم اتفقوا تماماً فيما سبق صابيين جم غضبهم على محاربي بلاد المغرب العربي بصفة عامة، وعلى عروج بصفة خاصة بأنهم لم يكونوا سوى رجال عصابات ناقلين هذا الخبر الواحد عن الآخر دون وعي أو إدراك للحقيقة وهذا ما يؤكد المؤرخ الفرنسي دي قرامون بقوله: " إن الكثير من المؤرخين لا يرون في عروج إلا زعيم عصابة ليس إلا....." (1) .

وقد تمادى في غيه كاتب آخر تحدث عن العمليات الحربية في بلاد المغرب إذ قال: "أن قرصنة بلاد المغرب لا يمكن أن تدرج في باب الأنشطة الحربية بين الأمم بل يجب اعتبارها سلباً وعدّها من باب النهب" (2).

ولكن أحداً لم يصل إلى حد افتراء وتشويه ذلك المؤرخ المعاصر الذي استفاض في الحديث عن أبطال تلك العمليات بنفسٍ حقودة فقال: "إن القراصنة المسيحيين يعملون على تطهير البحر وتوفير الأمن بينما الأتراك يزعمون الأمن ويقلقون السلم في البحر" (3).

وعلى ما تقدم من أقوال تكشف حقيقة مهمة وهي وجود بعض الأسطر في كتابات هؤلاء تحمل أحكاماً مشحونة بالشتم والنوعت القبيحة لأبطال الفتوحات الإسلامية وانتصاراتهم العظيمة التي أحبطت مخططاتهم، وقد ساءت لهم تلك الانتصارات لذلك أخذوا يبثون سمومهم فيها بهدف القذح في انجازات أولئك الأبطال، وعلى رأسهم عروج بربروسا، فوجدوا الطعن في طريقة أعماله البحرية هو الطريق الأمثل وبالتالي

(1) De Grammont, Histoire d'Alger sous domination Turque, 1515-1830, paris, E.Leroux, 1887.p 20.

(2) Andre Monentheuil, Essai sur la course, son histoire, sa reglementation,

son abolition, paris, 1898,P111.

(3) أحمد قاسم، مرجع سابق، ص 365.

وجدوا مصطلح القرصنة مناسباً لتحقيق أهدافهم فصوروا بأقلامهم طريقة جهاده بمنتهى البشاعة ورسوموا صورته على أنه قرصان شرير يجوب البحار، ولكن الثابت هو الحدث الذي سطره التاريخ.

كما يصف الكتاب الأوروبيون عروج بأنه تميز بالمعاملة الوحشية مع سكان الجزائر - أهل البلد - على أنه حاكم ظالم لديه حب السيطرة، حرمهم من تولي المناصب الإدارية والحكم وفرض عليهم الضرائب فيقول أحدهم: "أن عروج ميز العثمانيين بالوظائف العليا فاستاء الناس منها وحاولت الجزائر الثورة أكثر من مرة ولكن عروج قمع هذه الثورات بقسوة هائلة"⁽¹⁾.

وقد سار على نهجهم للأسف العديد من المؤرخين المسلمين العرب، واقتنعوا بأرائهم وأنه من الحزن والمؤسف تتأقلم هذه الافتراءات دون التأكد من صحتها أو محاولة تنقيتها بل أن بعضهم زادوا تهماً جديدة في هذه القضية من خلال اجتهادات خاصة بهم نذكر منها على سبيل المثال: الشيخ محمد بن مبارك في كتابه تاريخ الجزائر القديم والحديث بقوله: " سقطت هيبة الأتراك في أعين سكان الجزائر يضاف إلى ذلك أن سكان ميناء الجزائر بدأوا يتضجرون من تصرفات الأتراك الذين كانوا يعاملون الجزائريين معاملة فظة، وبدأت تظهر بوادر التمرد..."⁽²⁾.

كما يضيف الشيخ محمد الميلي عندما استفاض في الحديث عن عروج إلى أن جرائمه تكررت، وبأن الأمر نفسه حدث في مدينة تلمسان بقوله: " عندما أنقذ عروج

(1) فراي ديغو هايدو، مصدر سابق، ص 31

(2) مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مرجع سابق، ص 45.

المدينة من الإسبان فرحوا به لكنهم فضلوا أن ينصبوا أبا زيان - وهو جزائري- حاكماً عليهم فقتله عروج وفرض على أهل المدينة ضرائب⁽¹⁾.

ومن أخبث الافتراءات التي ألصقها الحاقدون بعروج والتي تزعم بأن عروج بعدما قتل الخائن السلطان سليم التومي دخل صراعاً مع شقيقه خير الدين على الظفر بود الأميرة زفيرة زوجة السلطان سليم التومي وهي صاحبة جمال وآخر أميرات الجزائر، وعندما رفضت الأميرة الزواج منهما، وعندها أدعى هؤلاء على عروج بأنه خالف العرف والدين حيث يقول أحدهم: "عندما رفضت الأميرة الزواج منهما وإصرارها على البقاء وفيّة لزوجها السلطان قام عروج الذي أعمته نزوته باقتحام مخدع الأميرة زفيرة محاولاً الزواج بها غصباً، فلم تتردد الأميرة عن غرس خنجر في صدرها بقصر عزيزة بالعاصمة الجزائرية وهي تردد بأن الشرف لا يباع أبداً"⁽²⁾.

وعلى الرغم من عدم وجود أدلة واضحة على هذه الواقعة إلا أن الأقلام الحاقدة تستغل مثل هذه الأحداث وأول ما تكتب عنها بتصوير أمرها بمنتهى القسوة والبشاعة واختفاء الرحمة وعدم المعرفة بمبادئ الإسلام التي ترفض الإجبار والإكراه، وهذا ما يدل على مدى التلفيق والتشويه، فإن هناك خطأ كبيراً وقع فيه كل الحاقدين الأوروبيين ومن بعدهم بعض العرب المسلمين ألا وهو الجزم القاطع بأن عروج مارس أبشع أنواع الظلم وركت قلوبهم الحاقدة على سكان الجزائر وحال بعض نسائها الحزينات. فهذا لا يرتقي ولا يقارن في عصره بما فعله الأسبان المسيحيون بالمسلمين ونسائهم اللواتي خيروهنّ بين التنصير أو الموت، وغيرها من الفظائع التي لا تعد ولا تحصى وإذا كان أيضاً البطل عروج قد صوّر بشكل سيء في

(1) مبارك بن محمد الهلالي الميلّي، مرجع سابق، ص47.

(2) كامل الشيرازي: أسرار أشهر جريمة خيانة تركية في الجزائر، 2020/8/10م، صحيفة حفريات، ثم الاطلاع عليها 2021/3/3م،

مؤلفات أعدائه فإن هؤلاء قد نسوا تاريخ أوروبا المليء بالخزايا وكذلك نسوا أن أعماله البحرية كانت مقبولة في تلك الفترة.

الخاتمة :

توصلنا من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج أدرجها كما يأتي :

استطاع أعداء عروج أن ينجحوا في تنفيذ مخطط عجل بموته من خلال مؤامرة جرت بشكل لم يخطر على بال أحد، والتي تعد الحادثة الأولى من نوعها في تلمسان ومن أقبح عمليات الغدر في التاريخ.

أنّ عملية التمثيل بجسد عروج وحرّ الرأس والطواف به توضح مدى انحطاط القوى الأوروبية المنافي لقوانين الحرب، وإن دلّ هذا على شيء، فإنّما يدلّ على مرارة الحقد الدفين في قلوبهم على الشهيد عروج، الذي سدد لهم ضربات موجعة في الميدان الحربي.

كان احتفال إسبانيا وأوروبا حينئذٍ بهذا النصر الكبير جامعاً بين المظاهر الرسمية التي قام بها الملوك والقادة وبين التفاعل الشعبي مع الحدث الذي قام به عامة الناس، الذين هرعوا إلى الكنائس التي غصت بهم .

إنّ تاريخ عروج الجهادي لقي اهتماماً كبيراً من طرف الكتاب الأوروبيين، وكانت هذه الكتابات فضاءً ومنتفساً لهم، فعمدوا في كثير من الأحيان على تزييف الحقائق التاريخية كي تتفق مع أهدافهم وسياستهم الاستعمارية.

إنّ الصورة التي رسمتها أقلام الحاقدين للبطل عروج صورة مشوشة ومشوهة في العديد من القضايا والمواقف التي تستدعي إيجاد دراسات أكثر حيادية وموضوعية

تتصف هذا البطل منذ بداية نشاطه البحري، وإلى أن سقط في ميدان الشرف بعد
جهادٍ طويلٍ مريرٍ، ليضرب للعرب والمسلمين أنموذجاً خالداً في تاريخنا الحديث بل
في تاريخ العالم على مرّ العصور.

قائمة المصادر والمراجع

أولا / المصادر والمراجع العربية والمعربة :

إبراهيم، عبدالله عبدالرازق: بحث مقدم إلى جمعية اتحاد المؤرخين العرب، الندوة العلمية الثانية، بعنوان الصراع بين العرب والاستعمار الأوروبي في عصر التوسع الأوروبي الأول، 1798م.

أشنهو، عبدالحميد بن أبي زيان بن: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، (د. م).
التر، عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989م.

أوزوتونا، يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمد سليمان، مراجعة وتقيق محمود الأنصاري، الجزء الأول، مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول، 1988م.
إيفانوف، نيقولاوي: الفتح العثماني للأقطار العربية 1516- 1574 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

باشا، محمد عبدالقادر: تحفة الزائر في مآثر الامير عبدالقادر وأخبار الجزائر، تحقيق محمد السيد عثمان، الجزء الأول، دار الكتب العالمية، ببيروت، لبنان.
بربروس، خير الدين: مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

بيرنجية، جان، كونتاين، فليب، ألف راب، دوران فرنسيس: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، المجلد الثاني، ترجمة وجيه البعيني، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1995م.

- ترباني، جهاد: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار النقوى، القاهرة، 2010 م .
- جوليان، شارل اندريه: تاريخ أفريقيا الشمالية (تونس- الجزائر- المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، مطبعة شركة الفنون، تونس، 1983م.
- جيلاني، عبد الرحمن بن محمود: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1980م.
- شناوي، عبدالعزيز محمد: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثاني، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1986م.
- شوفالبيه، كورين: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510 - 1541، ترجمة جمال حمدان، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2007.
- شيرازي، كامل: أسرار أشهر جريمة خيانة تركية في الجزائر، 2020/8/10م، صحيفة حفريات، ثم الاطلاع عليها 2021/3/3م.
- عامر، محمود علي: تاريخ المغرب العربي الحديث (الجزائر- تونس)، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2008م.
- فارس، محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، الطبعة الثانية، مكتبة دار المشرق، بيروت، لبنان، 1979م.
- قاسم، أحمد: إيالة تونس العثمانية على فتاوي ابن عظوم 1574 - 1600م، تقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004م.

كرنجال، مارمول: أفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي - محمد الاخضر -
أحمد توفيق - أحمد بنجلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط،
1989م.

كولز، بول: العثمانيين في أوروبا، ترجمة عبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، 1993م.

مدني، أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492 - 1792،
دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، 2007م.

مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين / تصحيح نور الدين عبد القادر،
المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م، ص 6- 8. وكذلك وليم سنبر، الجزائر في
عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبدالقادر زبادية، دار الصبة للنشر، الجزائر،
2006 م .

ميلي، مبارك بن محمد بن الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء
الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م.

هايرو، فراي ديغو: تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبدالعزيز الأعلى، دار
الهدى، الجزائر، 2013م.

وزان، الحسن بن محمد (ليون الأفريقي) وصف أفريقيا، ترجمه إلى العربية
عبدالرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2005 م.

ثانياً / المصادر والمراجع الأجنبية :

De Grammont, Histoire d'Alger sous domination Turque,
.1515-1830, paris, E.Leroux,1887.p 20

Andre Monentheuil, Essai sur la course, son histoire, sa ()
 . reglementation, son abolition, paris, 1898,P111
 .The Encyclopedia of Islam TV. Khayr al din p1155

ثالثا / المواقع الالكترونية :

شريف، د. محمد موسى: سيد البحار خير الدين بارباروس، 2013/7/27م،
 المنتدى العربي Defense Arab، تاريخ الاطلاع عليه 2021/3/25،
 .threads<https://defense_arab.com

نييل، مايكل: مقال بعنوان بين الحزن والفرح والصلاة تعرف على رنات أجراس
 الكنائس، 2020/10/6م، بوابة أخبار اليوم، تم الاطلاع عليها 2020/3/23 م،
 . news<<https://m.akhbarelyom.com>

الرتبة والصدارة في تراكيب بعض الأساليب اللغوية

إعداد: د. محمد علي الزائدي*

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين

أما بعد، فإن مجالات الدرس اللغوي قد اتسعت وتنوعت، وذلك لكثرة خصائص اللغة التي مازالت تفتح مسالكا واتجاهات للنظر فيها، ومن هذه الخصائص أنظمة التراكيب التي تحدد مجالات العناصر اللغوية المكونة للجملة وأنظمة ربطها التي تنضبط بوظائف نحوية أو دلالية تؤديها؛ لنسهم في إبراز مقاصد الكلام، وهي تمثل العلاقات اللغوية داخل جملتها.

والرتبة من العلاقات اللغوية التي تقوم بالربط بين عناصر الجملة وتنظمها في ترتيب معين، وتوضح الحيز الذي هو مخصص للمفردة داخل هذا النظام، وهي من العلاقات المهمة في تحديد دلالة الجملة، ونظام الجملة يسير تحت تأثير عدة قرائن تتظافر في إظهار الغرض من الإخبار، وهذه القرائن لا تسلم للرتبة أوضاعها الأصلية، بل تتدخل في تغيير مواقع العناصر، فلذلك كان مجال دراسة الرتبة متنوعا ويحمل كثيرا من المسائل، مع أن الأوائل لم يفردوا أبوابا مخصوصة لدراسة

* عضو هيئة تدريس بقسم اللغة العربية كلية الآداب - الخمس / جامعة المرقب.

الرتبة، ولكنهم درسوها تحت باب التقديم والتأخير، وتناولوا ما تعلق بها من أغراض ودلالات وغيرها، وشملت دراستهم مسائل الرتبة دراسة مسائل الصدارة المتعلقة ببعض الأدوات اللغوية.

وفي هذه الورقات أحاول الوقوف على مفهوم الرتبة ومفهوم الصدارة والوقوف على العلاقة بينهما من خلال دراسة بعض الأساليب اللغوية التي تشتمل على عناصر لغوية لها حق الصدارة في جملتها.

واتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي، لدراسة العلاقة بين ظاهرة الصدارة وظاهرة الرتبة، وبيان تأثير الصدارة في نسق تركيب الجملة.

وعلى هذا فقد جاء البحث مقسماً على النحو الآتي:

التمهيد، وفيه بيان نظام الجملة العربية ونسقتها.

الرتبة، وحاولت أن أبين فيه مفهوم الرتبة عند علماء العربية الأوائل والمتأخرين.

الصدارة، وجاء هذا المطلب لبيان مفهوم الصدارة في النحو العربي، وبيان دخولها تحت مفهوم الرتبة.

الأدوات التي لها صدر الكلام، وفيه دراسة موجزة لبعض الأساليب اللغوية التي حاولت فيها الوقوف على نقاط العلاقة بين الرتبة والصدارة، وقد اشتمل على المسائل الآتية:

أدوات الشرط

ما النافية

لا النافية

لام الابتداء

السين

الخاتمة

مصادر ومراجع البحث

تمهيد

تخضع الجملة في اللغة العربية لنظام ونسق تتكوّن عليه وتسير بضوابطه، وهذا النظام هو المسؤول عن شكلها وظهورها مرتبة على حسب أحكامه وقواعده، وهذا النسق يشكل العلاقة بين أركان الجملة، لينتج ائتلافا وارتباطا بين عناصرها، والعلاقة هذه علاقة معنوية تقوم بوظيفة الربط الإسنادي بين أركان الجملة الواحدة، متضمنة الموقع الأصلي للكلمة، وعلاقة الإسناد علاقة ذات طابع تركيبى اندماجي ينتج عنها دلالة مفهومة من مضمون التأليف⁽¹⁾، (فقام أحمد) لا تفهم دلالة كل كلمة مستقلة عن أختها عند النظر إلى قصد الإخبار، بل تُؤدي دلالة مضمونها (وقوع قيام أحمد)، فهي علاقة بنيوية داخلية تُؤدي مدلولها باندماج أفرادها إسنادا، وهذه العلاقة ليست كفيلا وحدها بإظهار مدلول المتكلم، بل تكون بمصاحبة عدة قرائن، مثل نوع الكلمة وتصريفها وعلامتها الإعرابية وغيرها، وهذا ما أشار إليه د. تمام حسان بـ(تظافر القرائن)⁽²⁾.

(1) ينظر دلائل الإعجاز (شاکر): 413.

(2) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها: 192.

إن عملية الإسناد تمثل المرحلة الأولى لتكوين الجملة وتحديد نوعها، ثم تتلاحق باقي القرائن لإظهار الدلالات المرادة⁽¹⁾، وقد تناولت كتب النحو مسائل الإسناد في الجملة العربية، وتقسيمه إلى مسند ومسند إليه، لبيان الكيفية التي تتكون فيها الجملة تحت ضوابطه، فعملية الإسناد تكون ضابطة لأساس التركيب، وهي أيضا تخضع لضوابط أخرى تشكل القرائن الدلالية للجملة مثل الرتبة وأمن اللبس وغيرها، ونظر النحاة إلى مكونات الجملة فقسموها إلى عمدة وفضلة، وفرقوا بين أنواع العمدة التي تشكل أساس التركيب للجملة، فكان المسند إليه أقوى من المسند، ومرجع اعتبار هذه القوة إلى مسألة العمل والتأثير، وأيضا يمكن النظر إليها باعتبار أسباب تأسيس الكلام، فالمسند إليه تكوّن الكلام به وله، فلذلك اتسعت هذه الفكرة في نظر النحاة، والتمسوا لها حولا تكفل انضمام كل كلام ذي فائدة تحت أسس هذه العملية، فكان الكلام لا يكون أساسه إلا من اسمين أو اسم وفعل، فمدار الفائدة لا يخرج عن الإسناد، فالمسند والمسند إليه لا يستغني أحدهما عن الآخر⁽²⁾، فابتكروا فكرة التقدير وعللوا بالحذف والإضمار، وقد قامت عند بعض النحاة نظرات تخالف ما بنوا عليه أصول قواعدهم، من ذلك ما ذهب إليه أبو طلحة من أن الكلمة المفردة قد تؤدي وظيفة الإفادة فتكون كلاما، وذلك مثل (نعم) و(لا) في الجواب، فقد تحصل بهما الفائدة منفردتين⁽³⁾، وكذلك ما ذهب إليه الفارسي من أن الحرف مع الاسم في أسلوب النداء قد يحصل به فائدة⁽⁴⁾، ولكن النحاة رفضوا هذه الآراء، وبيّنوا أنها لا تخرج عن الأسس الموضوعية لتكوين الجملة، وحملت على ذلك، بل

(1) ينظر نظام الربط والارتباط : 161.

(2) ينظر الكتاب: 23/1.

(3) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني: 298، وتوضيح المقاصد: 270/1.

(4) ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 52/1.

إن هذه الآراء مع رسوخ أصحابها إلا أنها لم تلق قبولا، ولم تحمل على أنها آراء لغوية ذات خلاف معتبر⁽¹⁾.

ويضبط التركيب في الجملة معياران، الأول معيار القواعد النحوية، والثاني المعيار الدلالي، ويتوافق المعياران في إخراج الجملة، فتشترط قواعد التركيب على المتكلم عدم المخالفة، وتشترط الدلالة أمن اللبس، والجانب الدلالي يُفسح للمتكلم أن ينتقل بين تراتيب تسمح بها القواعد النحوية، وذلك لإظهار دلالات لا تتأتى بالسير على أصل الترتيب، مثل تقديم الخبر والمفعول وغيرها، وإنما كان التوسع الحركي في اللفظ من أجل المعاني، وقد يكون هذا التغيير لازما كما يقع لما هو له الصدارة أو ما هو محكوم بعود الضمير.

والدرس النحوي قد وضع اهتمامه بما يخدم إظهار دلالات النص، فكانت دراسة قواعد التركيب قد نالت نصيبا وافرا؛ لأنها مدار فهم الدلالات، فتشعبت دراساتها وفصلت، وكما كان للقواعد النحوية شأن كبير من الدراسات كانت دراسات أخرى قد اعتنى بها الدرس النحوي، فكانت فكرة دراسة روابط الجملة، بداية من فكرة الإسناد، وفكرة العامل إلى العلاقات التي تربط عناصر التركيب وتنظمها، وقد قسمها النحاة إلى قرائن لفظية ومعنوية⁽²⁾.

(1) ينظر بناء الجملة العربية (محمد حماسة): 36-37.

(2) ينظر اللغة العربية مبناها ومعناها: 190 وما بعدها.

الرتبة

الرتبة من القضايا التي اعتنى بها الدرس اللغوي، وذلك على المستوى النحوي والدلالي والبلاغي، وكانت تفهم قديما من خلال دراسة مسائل التقديم والتأخير ومسائل عود الضمير في تراكيب الجمل ودلالاتها، وقد تناولتها كثير من مصادر النحو العربي، واشتملت بعض أبواب النحو على كثير من مسائلها، متباينة فيما بينها في عرضها، فمنهم من أوجز واكتفى بإشارات، ومنهم من بسط القول وأمعن النظر في دقائقها، وقد كان كتاب سيبويه متضمنا على نصوص وإشارات حول هذه المسائل، ومن ذلك هذا النص "وذلك قولك: ضَرَبَ عبدُ الله زيدا. فعبدُ الله ارتفع ههنا كما ارتفع في دَهَبٍ، وشغلت ضربَ به كما شغلت به دَهَبٍ، وانتصب زيدٌ؛ لأنه مفعول تعدى إليه فعلُ الفاعل. فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداَ عبدُ الله؛ لأَنَّك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمانهم ويُعنيانهم." (1)

فجد أن هذا النص قد وضع معالم مجملة لهذه المسألة على الجانب التركيبي الذي ينتمي إلى علم النحو، وأيضا الجانب الدلالي، وابن جني قد أولى هذه المسائل اهتماما، فقد عقد لها فصلا في الخصائص بين فيه كثيرا من أحكام التقديم والتأخير (2)، والجرجاني يعطي قضية الرتبة اهتماما دلاليا، فيقول: "فمتى ثبت في

(1) الكتاب: 34/1، وانظر: 202=203 .

(2) ينظر 2/ 384 وما بعدها.

تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام، أنه قد اُخْتُصَّ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير⁽¹⁾.

والنحاة عند تناولهم هذه القضية كان تركيز دراساتهم على البنية التركيبية، مع أنهم أشاروا في كثير من الأحيان إلى الأغراض الدلالية، أما ما عرضه الجرجاني فهو إظهار البناء الدلالي للتركيب، وبيان الأحكام البيانية التي من شأنها توضيح الفروق الدلالية بين صور وأنماط التركيب النحوية.

ومسائل الرتبة تدور تأثيراً بقضية العامل⁽²⁾، فقد يمتنع تغير بعض مواضع الكلمات للخوف من خروجها عن مدار تأثير العامل، ويظهر خروج تأثير العامل على معموله في مسألة امتناع تقدم الفعل على فعله العامل فيه؛ وذلك لدخوله في دائرة تأثير عامل آخر وهو الابتداء، قال أبو الحسن الوراق: "إِن قَالَ قَائِلٌ: الْمَفْعُولُ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ بَقِيَ مَفْعُولًا، وَالْفَاعِلُ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ خَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا وَارْتَفَعَ بِالْإِبْتِدَاءِ؟"

فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الْمَفْعُولَ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ فَلَيْسَ تَمَّ عَامِلٌ آخَرَ يُوجِبُ نَصَبَ الْمَفْعُولِ، فَيَجِبُ أَلَّا يَخْرُجَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِي حَالِ التَّأْخِيرِ، وَأَمَّا الْفَاعِلُ فَإِنَّهُ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ أَمَكَنَ أَنْ يَقْدَرَ لَهُ عَامِلٌ غَيْرُ الْفِعْلِ، وَهُوَ الْإِبْتِدَاءُ وَعَمَلُهُ رَفَعٌ،

(1) دلائل الإعجاز (شاکر): 110 .

(2) قضية العامل من القضايا التي نالت اهتمام النحاة القدماء، وهي من قضايا الخلاف بين المحدثين، والنحاة المحدثين الذين تأثروا بالمنهج الوصفي قد أهملوا هذه القضية، باعتبار أنها قامت على تصورات عقلية، [ينظر النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي: 147]، ويقول تمام حسان: "... وبهذا يتضح أن العامل النحوي وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة... " اللغة العربية مبناها ومعناها: 207.

كعمل الفعل في الفاعل، فلَمَّا كَانَ الْإِبْتِدَاءَ سَابِقًا لَذِكْرِ الْفِعْلِ، وَجِبَ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ، وَأَمَّا الْمَفْعُولُ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْفِعْلِ فَلَيْسَ تَمَّ قَبْلَهُ عَامِلَ لَفْظِي وَلَا وَهْمِي غَيْرَ الْفِعْلِ الَّذِي قَدَّمَ قَبْلَهُ، إِذْ خَلَا ذَلِكَ الْفِعْلُ مِنْ ضَمِيرٍ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ضَمِيرٍ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَذْكُورٍ قَبْلَهُ، فَرْتَبَةُ الْمَفْعُولِ بَاقِيَةً مَعَ التَّقْدِيمِ لِمَا ذَكَرْنَا، وَرْتَبَةُ الْفَاعِلِ ذَاهِبَةٌ مَعَ التَّقْدِيمِ مِنْ أَجْلِ الْإِبْتِدَاءِ الَّذِي لَا يَظْهَرُ لَهُ عَامِلَ لَفْظِي. (1) ومن ذلك أيضا عدم جواز الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، ومثلوا لذلك بـ (كأنت زيدا الحمى تأخذ) فالفصل بـ(زيدا) وهو ليس من معمول كانت، ضعف تأثير كان في معوليه(2).

والغرض من تغيير موقع الكلمة لفظا دلالات لا تتأتى إذا حافظ المتكلم على رتبة الكلمات في الجملة، مع مراعاة أمن اللبس، يقول الدكتور محمد أبو موسى: "يُعدُّ التقديم مظهرًا من مظاهر كثيرة تمثّل قدرات إبانة، أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللّغْن إدارة حيّة وواعية، فيسخرها تسخيرًا منضبطًا للنبوح بأفكاره، وألوان أحاسيسه، ومختلف خواطره، ومواقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة، كما هي شديدة الحساسية، وأيُّ تغيير فيها يُحدث تغييراتٍ جوهريةً في تشكيل المعاني، وألوان الحسّ، وظلال النفس"(3)، وقد يضبط الرتبة المعيار الدلالي مع جواز الأمر في قواعد النحو، فيُقدّم العام على الخاص والمجمل على المفصل، وكذلك تقديم المعطوفات على بعض ومراعاة الترتيب الدلالي في ذلك، وهذا الترتيب الدلالي كان

(1) علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (ت: 381هـ)، تحقيق:

محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م : 271.

(2) اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: 616هـ)، تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ 1995م : 155/1.

(3) دلالات التركيب: 170 .

اهتمام من يشتغل ببيان القرآن، فمثال ذلك ما جاء في ملاك التأول " الآية الثامنة من سورة الرعد قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) (الرعد: 38)، وفي سورة الروم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) (الروم: 47) فقدم ذكر الرسل على المجرور في سورة الرعد فقيل: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ)، فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك؟ وما روعي فيه؟...، فأقول: إنما قدم المجرور في قوله: (مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ) في سورة الروم لكان ضميره صلى الله عليه وسلم. أما آية الرعد فموازن لها ومناسب ما تقدمها من قوله تعالى: (وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) (الرعد: 32) فتأخر الضمير في الآيتين للموازنة والتقابل، والثانية منهما محمولة على الأولى في رعي ما ذكر. ⁽¹⁾

وقد ذكر ابن القيم هذه الإشارات نقلاً عن السهيلي: " قال السهيلي: " وهو كلام مجمل يحتاج إلى بسط وتبيين" فيقال: متى يكون أحد الشيين أحق بالتقدم ويكون المتكلم ببيانه أعنى.

قال: والجواب أن هذا الأصل يجب الاعتناء به لعظم منفعة في كتاب الله، وحديث رسوله إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر، نحو السميع والبصير والظلمات والنور والليل والنهار والجن والإنس في الأكثر، وفي بعضها الإنس والجن وتقديم السماء على الأرض في الذكر، وتقديم الأرض عليها في بعض الآي، ونحو سميع عليم، ولم يجيء عليم سميع، وكذلك عزيز حكيم

(1) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه للفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان : 709-711.

وغفور رحيم، وفي موضع واحد الرحيم الغفور إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر، وليس شيء من ذلك يخلو عن فائدة وحكمة؛ لأنه كلام الحكيم الخبير⁽¹⁾

ومما يراعى في الرتبة أن يقع المفسر بعد اللفظ المفسر، وذلك مثل ما يقع لبعض المبهمات كالتمييز والموصول، فإنها تقع بعد اللفظ المراد تفسيره بها، أما الضمير فغير ذلك فإنه يقع بعد ما هو معلوم عند السامع، فيراعى فيه الرتبة الدلالية التي قد تخالف الرتبة الوضعية وجوبا، وذلك كقوله تعالى: { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ }⁽²⁾، ولذلك منع النحاة (ضرب غلامه زيدا)، لعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، أما قول النابغة:

جزى ربه عني عدي بن حاتم ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فقد تعددت توجيهات هذا البيت حتى يخضع لأصول القواعد النحوية، والإشكال في هذا البيت أن الضمير المضاف إلى الفاعل يعود على المفعول به، وفي هذا النمط من التركيب ينبغي أن يؤخر الفاعل حتى يعود الضمير على متقدم لفظا، ولكن الشاعر أتى به على خلاف ذلك، فجاء الفاعل على أصل وضعه، فصار الضمير يعود على متأخر لفظا ورتبة، ومن النحاة من لم يقبل هذا النمط، كابن هشام الذي جعله من الضرورة⁽³⁾، وقال ابن عصفور: " ولا يجوز شيء من ذلك في حال السعة"⁽⁴⁾، وبعض النحاة لم يقبل هذه على ما جاءت عليه، فابن

(1) بدائع الفوائد: 106 .

(2) البقرة : 124 .

(3) شنور الذهب: 169 .

(4) ضرائر الشجر: 210 .

يعيش جعل عود الضمير على متقدم وهو مصدر "والتقدير: جزی ربُّ الجزاء"⁽¹⁾، ومن النحاة من أعاد الضمير على مذكور متقدم⁽²⁾، ويرى ابن جني أن الهاء عائدة على المفعول المتأخر الذكر، ولا ضمير في هذه الصورة، فإن كثرة تقديم المفعول على الفاعل في اللغة، حتى صار موضع الفاعل كأنه موضع له، سوغ مثل هذه⁽³⁾، أما ابن مالك فقد علل جواز هذه الصورة بعلتين، إحدى العلتين هي السماع، فقد ورد عن العرب مثل هذه، أما الثانية فترجع إلى التلقي النفسي للخبر، قال: "لأن الفعل المتعدي يدل على فاعل ومفعول، فشعور الذهن بهما مقارن لشعوره بمعنى الفعل، فإذا أفتتح كلاماً بفعل، ووليه مضاف إلى ضمير، علم أن صاحب الضمير فاعل إن كان المضاف منصوباً، ومفعول إن كان المضاف مرفوعاً.

فلا ضرر في تقديم الفاعل المضاف إلى ضمير المفعول، كما لا ضرر في تقديم المفعول المضاف إلى ضمير الفاعل. وكلاهما وارد عن العرب."⁽⁴⁾

وقد بين أهل اللغة الرتب الأصلية لكل عنصر لغوي، فرتبة المبتدأ قبل الخبر، والفعل قبل الفاعل وغيرها، يقول الزركشي "عَلَى النُّحُوِيِّ بَيَانُ مَرَاتِبِ الكَلَامِ فَإِنَّ مَرْتَبَةَ العُمْدَةِ قَبْلَ مَرْتَبَةِ الفُضْلَةِ وَمَرْتَبَةَ المُبْتَدَأِ قَبْلَ مَرْتَبَةِ الخَبَرِ وَمَرْتَبَةَ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ قَبْلَ مَرْتَبَةِ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ بِحَرْفِ الجَرِّ، وَإِنْ كَانَا فَضْلَتَيْنِ، وَمَرْتَبَةَ المَفْعُولِ الأوَّلِ قَبْلَ مَرْتَبَةِ المَفْعُولِ الثَّانِي، وَإِذَا اتَّصَلَ الضَّمِيرُ بِمَا مَرْتَبَتُهُ التَّفْدِيمُ وَهُوَ يُعَوِّدُ

(1) شرح المفصل لابن يعيش: 76/1.

(2) ينظر الخصائص: 295/1.

(3) ينظر نفسه .

(4) شرح الكافية الشافية: 585-586/2.

عَلَى مَا مَرَّبْتُهُ التَّأخِيرُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَبْقَدَمَ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ مُنْقَدِّمًا لَفْظًا وَمَرَّبَّتِيَّةً، وَإِذَا انْصَلَّ الضَّمِيرُ بِمَا مَرَّبْتُهُ التَّأخِيرُ، وَهُوَ يَعُودُ عَلَى مَا مَرَّبْتُهُ التَّقْدِيمُ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَبْقَدَمَ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ مُنْقَدِّمًا لَفْظًا مُؤَخَّرًا رُبِّيَّةً، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ فِي دَارِهِ زَيْدٌ لِاتِّصَالِ الضَّمِيرِ بِالْخَبَرِ وَمَرَّبْتُهُ التَّأخِيرُ، وَلَا يَجُوزُ صَاحِبُهَا فِي الدَّارِ لِاتِّصَالِ الضَّمِيرِ بِالْمُبْتَدَأِ وَمَرَّبْتُهُ التَّقْدِيمُ⁽¹⁾، وهذه المواضع قد لا تكون ملزمة لفظاً، فيتخير المتحدث الموضع الذي يناسب المعنى فيضع فيه الكلمة.

والرتبة من القرائن التي يقوم عليها نظام التركيب، يقول تمام حسان: " ومعنى أن الرتبة من قرائن المعنى أن موقع الكلمة من الكلمة قد يدل على وظيفتها النحوية"⁽²⁾، فلكل عنصر لغوي موقعه داخل التركيب، وقد يتوافق اللفظ مع هذا الموقع، وهذا التوافق قد يكون لازماً أو جائزاً، وقد لا يكون توافقاً مثل ما يقع لما له الصدارة.

فالرتبة النحوية هي موضع العنصر اللغوي في التركيب، ومفهوم الرتبة عند النحاة قديماً لا يتعدى ما ذكره إميل يعقوب: "هو الموقع الذكري للكلمة في جملتها، فيقال مثلا رتبة الفاعل التقدم على المفعول، ورتبة المبتدأ التقدم على الخبر"⁽³⁾، فعبارة الأوائل (متقدم في اللفظ متأخر في الرتبة) تشير إلى تفرقتهم بين الموقع الأصلي للكلمة وهو رتبته مع غيرها، وبين الموضع اللفظي الذي يخضع لأحكام نحوية ودلالية، والأوائل عند تعرضهم لهذه القضية في أبواب النحو أرادوا بها أنها وسيلة

(1) البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث: 310 .

(2) البيان في روائع القرآن: 91.

(3) موسوعة النحو والصرف والإعراب: 385 .

لضبط التركيب لفظا ومعنى، وبيان اتساع تأثير العامل النحوي على العناصر اللغوية داخل الجملة.

وعلى هذا المفهوم وأكثر تفصيلا وضع د. تمام حسان مفهوم الرتبة، فقسمها على قسمين: رتبة محفوظة، ورتبة غير محفوظة، وكان هذا التقسيم مبنيا على حكم حركة العنصر اللغوي داخل التركيب⁽¹⁾ بين الجواز والوجوب والمنع، و" الرتبة المحفوظة رتبة في نظام اللغة وفي الاستعمال في الوقت نفسه، أما غير المحفوظة فهي رتبة في النظام فقط، وقد يحكم الاستعمال بوجوب عكسها"⁽²⁾ فكل عنصر من عناصر الجملة موضعه، ويرى د. تمام حسان أن الرتبة متصلة بفكرة الحيز، "فإذا وقع أحد العنصرين في حيز الآخر بحسب اللفظ في كل الأحوال فتلك رتبة محفوظة، وإذا وقع في تلك الحيز حكما، أي بحسب الأصل فالرتبة غير محفوظة، أي يمكن أن تتخلف بحسب الدواعي الأسلوبية"⁽³⁾.

وفكرة الحيز عند د. تمام يمكن أن تفهم من خلال قرينة التضام، فهو يرى أن عملية التركيب في الجملة تكمن في طلب كلمةٍ كلمةٍ أخرى تقع في حيزها، على سبيل الاتصال بإحدى القرائن، ويفهم الحيز بعلاقة الكلمات داخل التركيب، وهذه العلاقات تتمثل في الافتقار والاختصاص والمناسبة النحوية والمعجمية⁽⁴⁾، فهو بهذه الفكرة أراد أن يخرج من فكرة العامل التي اعتمد عليها أغلب النحاة سابقا⁽⁵⁾.

(1) ينظر حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز: 306-307.

(2) البيان في روائع القرآن: 91 .

(3) الخلاصة النحوية: 83 .

(4) الخلاصة النحوية: 80-82.

(5) ينظر نظرية العامل في النحو العربي عرضا ونقدا: 147.

ويستحق العنصر اللغوي رتبته الحكيمة في التركيب لوقوعه تحت تأثير العامل، وإلى ذلك أشار السهيلي عند تعليقه رفع المبتدأ، قال: "لأن كل مخبر عنه مقدم في الرتبة"⁽¹⁾، أما الفاعل فعامله لفظي بخلاف المبتدأ فالعامل فيه معنوي، ومما تعارف عليه عند النحاة أن العامل اللفظي أقوى، فلذلك اختلف نمط التركيب في المبتدأ عن الفاعل.

الصدارة

الصدارة لغةً من المادة اللغوية (ص د ر) وقد جاءت في معاجم اللغة بعدة معانٍ، منها مقدم الشيء وأوله، ومنه صدر الإنسان، ويسمى بعض أثواب النساء بـ(الصدار)⁽²⁾، والصدر الانصراف⁽³⁾، ومنه قوله تعالى: {حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ} ⁽⁴⁾، "أي: يرجع الرعاء"⁽⁵⁾، وجاء في معجم متن اللغة: "الصدارة: التقدم"⁽⁶⁾.

ومصطلح الصدارة بمفهومه عند النحاة قد توافق مع بعض الدلالات المعجمية لهذه المادة اللغوية، وجاءت في المعجم الوسيط: "(الصدارة) التَّقَدُّمُ، يُقَالُ: فَلَانَ لَهُ الصَّدَارَةُ فِي الْقَوْمِ، وَ(عِنْدَ النُّحَاةِ) اخْتِصَاصُ الْكَلِمَةِ بِوُقُوعِهَا أَوَّلَ الْكَلَامِ كَأَسْمَاءِ

(1) نتائج الفكر في النحو: 312.

(2) "الصدار: ثوب رأسه كالمقنعة، وأسفله يُعَشِّي الصِّدْرَ وَالْمُنْكَبَيْنِ تَلْبَسُهُ النِّسَاءُ" كتاب العين: صدر.

(3) انظر كتاب العين: .

(4) القصص: من الآية 23.

(5) تفسير اللباب: 236/15 .

(6) صدر.

الإِسْتِفْهَام⁽¹⁾، فالصدارة هي الموقع المستحق لبعض الكلمات في جملتها وتكون واجبة لها.

ويرتبط مفهوم الصدارة بالرتبة، فكل ما كان واجب التقدم كانت رتبته محفوظة⁽²⁾، ولا يمكن أن ننظر إلى مفهوم الصدارة على أنه وجوب التقدم مطلقاً، ولكن اختص بهذا ما كان تقدمه واجبا في جملته، وهي الأدوات الداخلة على الجمل كأدوات الاستفهام وغيرها، أما ما كان تقدمه لازماً على ما دخل عليه من مفردات كحروف الجر بالنسبة إلى مجرورها، وكذلك حروف العطف فليس من باب التصدير المراد، وكون الكلمة لها الصدارة في جملتها دليل على اهتمامهم بدلالاتها المؤثرة في مضمون الجملة، وقد اختصت أدوات المعاني بخاصية التصدير، وذلك لدخولها دلالياً على مضمون جملتها، يقول ابن جني: "وبذلك على تمكن المعنى في أنفسهم وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة، وذلك لقوة العناية به فقدموا دليلاً ليكون ذلك أمانة لتمكنه عندهم"⁽³⁾، فلذلك منع النحاة أن يعمل ما بعدها فيما قبلها، وعللوا تقديم هذه الأدوات الداخلة على الجمل لأن معانيها مقصودة أولاً؛ حتى لا ينصرف ذهن السامع إلى أن الجملة خالية منها، يقول العكبري: "... جعل الإِسْتِفْهَام وَالنَّفْيَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ لِيَسْتَقَرَّ مَعْنَاهُ فِي النَّفْسِ، وَلَوْ أُخِرَ لَثَبَتْ فِي النَّفْسِ مَعْنَى تَمَّ أَزِيل"⁽⁴⁾، وقد وظف النحاة فكرة الرتبة في الاحتجاج للمسائل النحوية، وتلتبس هذه النظرة لدى ابن هشام في رده على منع دخول اللام على خبر إن إذا تقدم معمولها عليها، فاحتج لجواز المسألة بالسمع أولاً ثم قال: "وأما فساد التعليل

(1) صدر.

(2) انظر اللغة العربية مبناها ومعناها: 126.

(3) الخصائص: 125/1.

(4) مسائل خلافية في النحو: 110، وانظر دور الرتبة في الظاهرة النحوية: 114-115.

فلأن هذه اللام مقدمة من تأخير، فهي إنما تحمي ما هو في حيزها الأصلي أن ينتقم عليها، لا ما في حيزها الآن⁽¹⁾

وقد تتعارض صدارة الكلمة مع أصل الرتبة فتكون الكلمة حقها التأخير من حيث رتبته، ولكونها تحمل دلالة تدخل على مضمون الجملة كان حقها التصدر، قال ابن جني: "ومن ذلك أيضاً قولهم: أيهم تضرب يقم زيد. ف"أيهم" من حيث كانت جازمة لتضرب" يجب أن تكون مقدمة عليها ومن حيث كانت منصوبة بـ"تضرب" يجب أن تكون في الرتبة مؤخرة عنها، فلم يمتنع أن يقع هذان التقديران على اختلافهما من حيث كان هذا إنما هو عمل صناعي لفظي. لو كان التعادي والتخالف في المعنى لفسد⁽²⁾، ويشير د. تمام حسان إلى أن الصدارة تعمل على تحديد الوظيفة الدلالية المؤثرة على الجملة، فبالتالي يقع الفرق بين الكلمات المتحدة في الوظيفة الإعرابية، فتكون الكلمات التي هي من أدوات المعاني لها الصدارة، قال: "وتعتبر الرتبة هنا قرينة لفظية تعين على تحديد المعنى المقصود بالأداة، فالصدارة هنا هي الفارق الوحيد في الرتبة بين الأداة وبين الظرف؛ لأن الظرف يتقدم على مدخوله نحو: "أزورك متى أهل رمضان"، ولكن هذا الظرف إذ تعدد معناه الوظيفي، فأصبح أداة شرط لزم الصدر في الجملة، فتصير الجملة الشرطية: "متى أهل رمضان أزرك"، ولا تكون متى في الشرط إلا في هذا الموضع⁽³⁾.

وتكتسب بعض الأدوات الصدارة لوقوعها في موقع معين، فإن اختلف موقعها فقدت حق الصدارة، وهذه المسألة أشار إليها الدسوقي في حاشيته على مختصر المعاني،

(1) الأشباه والنظائر في النحو: 483/1.

(2) الخصائص: 348/1.

(3) اللغة العربية مبناها ومعناها: 126.

عند حديثه عن فاء السببية أن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها؛ لأنها من الأدوات التي لها الصدارة، فقال: "...استشكل بأن فاء السببية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها؛ لأن لها الصدارة، والجواب: أنه لا يثبت لها هذا الحكم- أعنى الصدارة- إلا إذا وقعت في موضعها من توسطها بين جملتين لفظاً، فإن لم تتوسط بين الجملتين، لم تمنع من العمل المذكور كما هنا، على حد ما ذكروا في قوله تعالى: { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }⁽¹⁾ من أن الفاء واقعة في غير محلها لعدم التوسط والمعمول مقدم لإفادة الاختصاص ولم تمنع الفاء من العمل في ذلك المعمول"⁽²⁾.

وما يلزم صدر الكلام لما كانت رتبته محفوظة في أول جملته، اختص بأمور وأحكام⁽³⁾ منها:

أنه لا يجوز أن يعمل فيها عامل قبلها، فلا تقع في حيز تأثير عامل قبلها، وأما ورود (رب) في أول جمل الخبر الذي جاء في البيت:

أماوي إني ربّ واحد أمّه ... ملكتُ فلا أسرّ لذيّ ولا قتّل

وغيره من مجيء (رُبّ) في موقع ظاهره أنها معمولة لغيرها، فجعل أبو حيان أن حكم الصدارة لها في أغلب حالاتها⁽¹⁾، ويرى غيره أنها في مثل البيت السابق وغيره أنها باقية على الصدارة؛ وذلك في جملتها التي هي واقعة خبراً⁽²⁾،

(1) المدثر : 3 .

(2) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: 17.

(3) ينظر الأصول في النحو، ابن السراج: 234/2، الجملة العربية تأليفها واقسامها: 70-72، والصدارة في النحو العربي: 444 وما بعدها.

أن ما قبلها لا يعمل فيما بعدها، وذلك أن ما بعدها واقع تحت التأثير الدلالي لها، أي: أن مفهوماها الداخل على مضمونها قد تسلط على كل أجز التركيب.

لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، قال ابن يعيش: " ... وإنما صار للاستفهام صدرُ الكلام؛ لأنه جاء لإفادة معنى في الاسم والفعل، فوجب أن يأتي قبلهما لا بعدهما، كما أن حروف الاستفهام لا يعمل ما بعدها فيما قبلها"⁽³⁾.

يكتسب مضافها وحرف الجر الداخل عليها حكما في التصدير، إذا كان ما له الصدارة مبتدأ يجوز حذف الضمير الرابط من جملة خبرها.

الأدوات التي لها صدر الكلام

هذه الأدوات هي أدوات المعاني، وقد خصصها التزامها بالصدارة حفظ رتبته، أي موقعها الذي تؤثر منه في الجملة، وتؤدي فيه وظيفتها، وتتوعدت هذه الأدوات من حيث الوظائف النحوية في الجملة، فمنها ما يحدث تأثيرا لفظيا فيما دخلت عليه كأدوات الشرط، ومنها ما لا يحدث تأثيرا كأدوات الاستفهام والسين وسوف، ومنها ما كان لها عمل في اللفظ دون المحل مثل ربّ عند كثير من النحاة، وسأتناول بعرض موجز لبعض هذه الأدوات فيما يتعلق بأحكامها من حيث الصدارة والرتبة.

(1) ينظر ارتشاف الضرب: 1741/4.

(2) ينظر المساعد على تسهيل الفوائد: 287/2.

(3) شرح المفصل لابن يعيش: 113/7.

أدوات الشرط

الشرط من الأساليب النحوية التي تحمل دلالة السببية والمجازاة، وذلك أن طرفي الشرط يكون أحدهما سببا للآخر وجزءا لوقعه، وإنما اكتسب طرفي الشرط هذه الخاصية بعد دخول الأداة عليها، وهذه الأداة تقوم بوظيفة الارتباط الشرطي بين الجملتين فيصيران جملة واحدة وتكسبهما تلازما⁽¹⁾، وعد كثير من النحاة أدوات الشرط من المبهمات⁽²⁾، وقال أبو حيان: "أدوات الشرط، وهي كلمٌ وضعت؛ لتعليق جملة بأخرى"⁽³⁾، وإلى جانب وظيفة الربط بين الشرط والجواب، فهي تقوم بجزم فعل الشرط وفعل الجواب.

ولهذه الأدوات حق الصدارة في جملتها، وتختص بجملة أحكام منها أن لا يليها إلا فعل (ظاهر أو مقدر)، وذلك في غير (لولا) فإن جملتها الأولى لا تكون إلا اسمية، وهذه الخاصية جعلتها تؤثر على رتبة ما بعدها، ولذلك خرجوا ما جاء في بعض صور التركيب الشرطي من ذكر الاسم بعد الأداة نحو: (إن زيداً جاء فأكرمه) على تقدير فعل رافع لزيد، يدل عليه المذكور، ولا يجيزون رفعه بالابتداء، وذلك لاشتراطهم أن تكون جملة الشرط متصدرة بفعل، يقول أبو الحسن الوراق: "فإن قال قائل: فبأي شيء يرفع الاسم بعد حرف الجزاء، وقد شغلت الفعل بضميره، وهو مفعول في المعنى؟

قيل له: يرفع على إضمار فعل ما لم يسم فاعله، كأنك قلت: إن يكرم زيد تكرمه يأتك، وإنما جاز ذلك لأن الفعل إذا لم يسم فاعله لا يتغير معنى، ولو سميت فاعلا

(1) ينظر شرح المفصل لابن يعيش: 156/8، بدائع الفوائد: 77.

(2) ينظر المقتضب: 173/3، والإبهام والمبهمات في النحو العربي: 163-166.

(3) ارتشاف الضرب: 1862/4.

لم يكن يُنْقَضُ عمله، فجريا مَجْرَى وَاحِدًا، فَوَجِبَ إِضْمَارُ فِعْلٍ مَا لَمْ يَسْمِ فَاعِلُهُ، لِيَصِحَّ رَفْعُ (زَيْدٍ) .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ إِذَا رَفَعْتَ (زَيْدًا) بِالْفِعْلِ الْمُضْمَرِ فَقَدْ جَزَمْتَ الْفِعْلَ الظَّاهِرَ بِ(إِنْ)، وَقَدْ فَصَلْتَ بَيْنَهُمَا، فَكَيْفَ جَازَ ذَلِكَ وَقَدْ أَمْتَنَعْتَ مِنْهُ، إِذْ لَمْ يَظْهَرِ الْفِعْلُ؟

فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ (إِنْ) عَمِلَتْ فِي الْفِعْلِ الْمُضْمَرِ، وَالْفِعْلَ الظَّاهِرَ تَبْيِينًا لَهُ وَتوكِيدًا، وَالْفَصْلَ بَيْنَ التَّوكِيدِ وَالْمُؤَكِّدِ، وَالْبَيَانَ وَالْمَبِينِ، بِشَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِالْأَوَّلِ جَائِزًا، فَلِهَذَا حَسَنَ جَزْمِ الثَّانِي إِذَا أَضْمَرْتَ الْفِعْلَ. (1)

وعلى هذا خرجوا قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ} (2)، فـ(أحد) مرتفع بفعل مقدر يدل عليه الفعل المذكور، قال الرازي: " الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: أَحَدٌ مُرْتَفِعٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ الظَّاهِرُ، وَتَقْدِيرُهُ: وَإِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِالْإِبْتِدَاءِ لِأَنَّ إِنْ مِنْ عَوَامِلِ الْفِعْلِ لَا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: لَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ مَا ذَكَرْتُمْ فَمَا الْحِكْمَةُ فِي تَرْكِ هَذَا التَّرْتِيبِ الْحَقِيقِيِّ؟ قُلْنَا: الْحِكْمَةُ فِيهِ مَا ذَكَرَهُ سِبْيَوِيَّةٌ، وَهُوَ إِنَّهُمْ يَقْدَمُونَ الْأَهَمَّ وَالَّذِي هُمْ بِشَأْنِهِ، أَعْنَى (3)، وعلى مثل هذا خرجوا قوله تعالى: {إِنْ أَمْرٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ} (4)، وفي المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين، وقد بسط ابن الأبناري في الإنصاف هذه المسألة وتناول أقوال النحاة فيها (5).

(1) علل النحو، الوراق: 314-315.

(2) التوبة: من الآية 6.

(3) مفاتيح الغيب: 530/15، وينظر الكشف: 14/3.

(4) النساء: 175.

(5) الإنصاف: 1/ 490-493.

وكذلك هذا الحكم يكون لجملة الجواب، فإذا تصدرت باسم جعلوا لها رابطاً؛ وذلك أن هذه الجملة لا تصلح أن تكون شرطاً، وما جاءت صورته على تصدر الجواب باسم وقد خلت الجملة من الرابط قدروا هذا الاسم فاعلا لفعل مقدر قبله؛ لأن الفعل مع الفاعل محفوظ الرتبة، وهذا التوجيه ارتضاه أبو حيان في تفسيره قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفُرُونَ }⁽¹⁾ و{ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ }⁽²⁾، وفي المسألة توجيهات أخر⁽³⁾.

ومن أحكامها ألاّ يتقدم عليها شيء مما دخلت عليه، وذلك أن الأسلوب الشرطي يسير على أنماط متقاربة في ترتيبها، فكان للأداة ابتداء الجملة ثم الشرط والجواب، وقد يتغير نمط الأسلوب بأن يتقدم شيء من جوابه على الأداة، فينتج عن هذا التغيير أن يضعف تأثير الأداة على الجواب، يقول الرضي: "وهي أن أداتي القسم والشرط أصلهما التصدر، كالاستفهام، لتأثيرهما في الكلام معنى، ثم إن كلا منهما لكثرة استعمالهم له، وبعدهما عما يؤثران فيه، أي جوابهما، قد يسقط عن درجة تصدره على جوابه، فيلغى باعتباره، أي: لا يكون في الجوابين علامتهما، أما الشرط فنحو: أتيتك إن تأتيتي، وأما القسم فنحو: زيد والله قائم، وزيد قائم والله، فيضعف أمرهما، فلا يكون لهما جواب لفظاً، وأما من حيث المعنى، فالذي يتقدم على الشرط جوابه، وكذا ما يتقدم على القسم أو يتخلله القسم، لكن القسم أكثر إلغاء من الشرط، لأنه أكثر دورانا في الكلام"⁽⁴⁾، وذكره ابن هشام تحت عنوان (حذف جملة الجواب) ومثل لها بصورتين، وهي أن يتقدم الجواب، نحو (هو ظالم إن

(1) الشورى: 37.

(2) الشورى: 39.

(3) انظر البحر المحيط: 499-500.

(4) شرح الرضي على الكافية: 457/2-458.

فعل)، والثانية أن يتقدم جزء من الجواب، نحو (هو إن فعل ظالم)⁽¹⁾، ويقول الجرجاني عن هذه الصور: "وإذا لم يجز تقديم ما ينتصب بفعل الشرط عليه كان تقديم ما ينتصب بفعل الجزاء أبعد؛ لأن مرتبة الجزاء بعد مرتبة الشرط"⁽²⁾، ونحاة البصرة في هذه المسألة قد راعوا تأثير الأداة فيما دخلت عليه، فأخرجوا ما خالف الرتبة في بناء هذا الأسلوب، وإن كان في معنى التركيب قد أفاد ما أراد المتكلم، واستغنى الكلام بالمذكور، وعللوا ذلك بضعف الأداة، يقول الوراق: "وَاعْلَمْ أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ فِعْلًا كَانَ، أَوْ مُبْتَدَأً وَخَبْرًا، كَانَ الْعَرَضُ فِي الْجَوَابِ اسْتِعْنَاءَ الْكَلَامِ، فَاسْتَعْنَى الْكَلَامُ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَعْمَلَ فِيهِ (إِنْ)، لِأَنَّهَا حَرْفٌ، وَالْحُرُوفُ ضَعِيفَةٌ الْعَمَلِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَعْمَلَ فِيهَا قَبْلَهَا، كَقَوْلِكَ: أَكْرَمَكَ إِنْ تَأْتِي، وَالْأَحْسَنَ إِذَا قَدِمْتَ الْجَوَابُ أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَ (إِنْ) فِعْلًا مَاضِيًا، لِيَكُونَ مَا بَعْدَهَا غَيْرَ مَعْمُولٍ فِيهِ كجوابها، وَيَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ مُضَارِعًا، لِأَنَّ الْجَوَابَ قَدْ تَقَدَّمَ، وَجَاءَتْ عَلَى أَصْلِهَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ كِتَاخِيرَ الْجَوَابِ لِمَا دَكَّرْنَاهُ مِنْ مُخَالَفَةِ الْأَصْلِ"⁽³⁾.

وفي اعتبار المتقدم على الأداة جواب شرط أو هو دالٌّ على الجواب رأيان، الأول ما ذهب إليه علماء الكوفة، وذلك أن هذا المذكور مرتبط في الذهن بالشرط، والمذهب الثاني رأي علماء البصرة، وذلك لئلا يقعوا في مخالفة رتبة مكونات الأسلوب

(1) ينظر مغني اللبيب: 647/2 .

(2) المقتصد في شرح الإيضاح: 1120 /2 .

(3) علل النحو: 441 .

الشرطي⁽¹⁾، وابن القيم يعرض هذا الخلاف ويناصر رأي الكوفيين، قال: "وهو اختيار الجرجاني"⁽²⁾

ما النافية

(ما) أداة من أدوات النفي، وهي حرف، وتكون عاملة وغير عاملة، فإذا دخلت على الجملة الفعلية لم يكن لها عمل، وإنما تكتفي بوظيفة نفي الجملة، أما إذا دخلت على الجملة الاسمية فقد أعملها الحجازيون بشروط⁽³⁾، ومن شروط عملها أن لا يتقدم خبرها على اسمها، فإن تقدم بطل عملها⁽⁴⁾، وعلل النحاة ذلك بأنها عملت تشبيها لها بليس، فعملها ليس بحق الأصالة فهي فرع، والفرع دون الأصل فلذلك اعترأها الضعف، فكان عملها أضعف⁽⁵⁾.

وقد أشكل على النحاة قول الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم ... إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشرٌ

وقد خرّجوا البيت على عدة أوجه حتى لا تتخرم القاعدة⁽⁶⁾، وتباينت هذه الوجوه، وقال سيبويه عند ذكره البيت: " وهذا لا يكاد يُعرَفُ"⁽¹⁾، أما المبرد فقد اعترض على

(1) انظر الخلاف في هذا المسألة الإناصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: 496-

500، وانتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: 130-131 .

(2) انظر بدائع الفوائد: 86/1-87.

(3) انظر مغني اللبيب: 303/1 .

(4) انظر غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب: 104/3.

(5) انظر النكت: 86، واللباب في علل البناء والإعراب: 176/1.

(6) ذكرت كثير من كتب النحو هذه الأوجه، انظر توجه للمع: 146، .

هذا بقوله: 'فالرفع الوَجْهَ وَقَدْ نَصَبَهُ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ وَذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ خَبْرٌ مُقَدَّمٌ وَهَذَا خَطَأً فَاحْشِ وَعَلَطَ بَيْنَ"⁽²⁾، والبغدادي في الخزانة تناول توجيهات البيت بشيء من التفصيل، وعند عرضه هذه التوجيهات ذكر قول الأعلام: "وَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَيْهِ سَبَبُوهُ أَصَحُّ عِنْدِي وَإِنْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ تَمِيمِيًّا؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْلُصَ الْمَعْنَى مِنَ الْإِشْتِرَاكِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ قَالَ فِيهِ: إِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ بِالرَّفْعِ لَجَازَ أَنْ يَتَوَهَّمَ أَنَّهُ مِنْ بَابِ مَا مِثْلِكَ أَحَدًا إِذَا نَفَيْتَ عَنْهُ الْإِنْسَانِيَّةَ وَالْمَرْوَةَ فَإِذَا قَالَ: مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ بِالنَّصْبِ لَمْ يَتَوَهَّمَ ذَلِكَ وَخَلَصَ الْمَعْنَى لِلْمَدْحِ دُونَ تَوَهَّمِ الذَّمِّ فَتَأَمَّلْهُ تَجَدُّهُ صَاحِبًا"⁽³⁾، فالذي رد به الأعلام التوجيه الدلالي المترتب على اختلاف الرتبة بين الصورتين الصورة القياسية (ما + اسمها + خبرها) والثانية التي جاءت على قول الفرزدق (ما + خبرها + اسمها)، وذكر النحاة شاهدا آخر على إعمال (ما) مع تقدم خبرها، وهو:

أما والله عالم كلِّ غَيْبٍ ... ورب الحجر والبيت العتيق

لو أتاك يا حُسَيْنَ خُفِّتَ حرا ... وما بالحرِّ أنت ولا الخليق

ذكر ابن مالك أن أبا علي استشهد بهذا البيت "بناء على أن الباء لا تدخل على الخبر إلا وهو مستحق للنصب"⁽⁴⁾

(1) الكتاب: 60/1.

(2) المقتضب: 191/4، وانظر الانتصار لسببويه على المبرد: 54.

(3) خزانة الأدب: 134/4، والبغدادي قد استعرض كثيرا من الأقوال المتعلقة بالبيت.

(4) شرح التسهيل لابن مالك: 356/1.

لا النافية

لا النافية جاءت في اللغة على عدة صور، فتكون عاملة وغير عاملة، والعاملة منها المشبهة بـ(ليس)، وهي التي لنفي الوحدة، ونفى ابن هشام أن تكون دلالتها على نفي الوحدة لا غير، واستشهد على نفيها الجنس بقول الشاعر:

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ... ولا وزر ميمًا قضى الله واقيا

قال الأنطاعي: " وقد جزم ابن الحاجب أنهما لنفي الجنس،...⁽¹⁾ يريد (لا) المشبهة بـ(ليس) والمشبهة بـ(إن)، أما شروط عملها فقال ابن يعيش: " وأما "لا" المشبهة بـ "ليس" فحكّمها حكّم "ما" في الشّبّه والإعمال. ولها شرائط ثلاث: أحدها أن تدخل على نكرة، والثاني أن يكون الاسم مقدّمًا على الخبر. والثالث أن لا يفصل بينها وبين الاسم بغيره"⁽²⁾، واستعمالها عاملة عمل ليس قليل، وقال الرضي: " والظاهر أنه لا تعمل عمل ليس إلا شاذًا لا قياسًا، ولا يوجد ف كلامهم خبر لا منصوبا كخبر (ما) وليس"⁽³⁾.

ومنها المشبهة بـ(إن)، وهي التي لنفي استغراق الجنس⁽⁴⁾، قال ابن يعيش: "لأنها جواب (ما كان) على طريقة (هل من رجل في الدار؟) فدخول (من) في هذا

(1) غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب: 581/2، وانظر الإيضاح في شرح المفصل: 384/1، ومعاني النحو: 363/1.

(2) شرح المفصل: 109/1.

(3) شرحه على الكافية: 293/1، وانظر غنية الأريب: 578/2.

(4) انظر مغني اللبيب: 240/1 .

لاستغراق الجنس، ولذلك تختصّ بالنكرات لشمولها⁽¹⁾، وقد اتفقتا في بعض شروط عملها، فلا تعمل إلا في النكرات، ولا أن يتقدم شيء مما بعدها عليها⁽²⁾. وأيضاً من شروط عملها ألا يتقدم خيرها على اسمها⁽³⁾، ويبطل عملها إذا تغير نظام الرتبة فيما دخلت عليه، وذلك نحو قوله تعالى: { لَا فِيهَا عَوَّلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ }⁽⁴⁾،

لام الابتداء

تدخل لام الابتداء على الجملة الاسمية، لتوكيد مضمون جملتها⁽⁵⁾، نحو لَزِيدٌ قَانِمٌ، ونحو قوله تعالى: { لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ }⁽⁶⁾، قال الزجاجي: "تدخل على الابتداء والخبر مؤكدة ومانعة ما قبلها من تخطيها إلى ما بعدها... وهذه اللام لشدة توكيدها وتحقيقها ما تدخل عليه يقدر بعض الناس قبلها قسماً"⁽⁷⁾، وتدخل أيضاً على الفعل المضارع، نحو: { وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }⁽⁸⁾، ويرى بعض النحاة أنها إذا دخلت على المضارع ولم تسبق بـ(إِنَّ) فهي على تقدير مبتدأ، نحو قوله تعالى: {وَلَوْ سَوفَ يُعْطِيكَ

(1) شرح المفصل لابن يعيش: 105/1.

(2) انظر الأصول في النحو: 1/ 235.

(3) انظر رصف المباني: 262.

(4) الصافات: 47.

(5) انظر الجنى الداني: 124.

(6) الحشر: 13.

(7) كتاب اللامات: 78.

(8) النحل: 24.

رُبُّكَ فَتَرَضَى} (1) قال الزمخشري: " ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر، فلا بد من تقدير مبتدئ وخبر، وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك" (2). وإنما كان لها صدر الكلام، لأنها دخلت لتوكيد مضمون الجملة، وذلك كما استحققت همزة الاستفهام الصدر لدخولها على مضمون جملتها، وكذلك ما النافية وغيرها، قال المالقي: "ولذلك كانت حروفا معلقة لما قبلها عن العمل فيما بعدها" (3)، وقد تتخلف عن الصدارة إذا اجتمعت مع (إنَّ)، نحو إنَّ زيدا لقائمٌ، ومحل هذه اللام قبل المبتدأ، ولكنهم أخروها لما أرادوا المبالغة في التوكيد (4)، أو هي لإصلاح اللفظ كما ذكر ابن جني (5)، وذلك أنهم كرهوا التقاء حرفين للتوكيد؛ فأخروا اللام (6)، وأما ما ورد من المنقول عن العرب، وهو

أم الحليس لعجوز شهره ... ترضي من اللحم بعظم الرقبه

فحكموا عليه بأنه نادر، أو على تقدير مبتدئ محذوف، أي: لهي عجوز، وقيل تقدير مبتدئ محذوف ضعيف؛ لتنافي الحذف مع التأكيد (7).

(1) الضحى: 5.

(2) الكشاف: 6 / 392.

(3) رصف المباني: 231.

(4) نفسه: 233 .

(5) الخصائص: 1 / 300.

(6) نفسه: 1 / 315.

(7) الجنى الداني: 128.

السين

من أدوات المعاني غير العاملة تدخل على الفعل المضارع وتؤدي وظيفة دلالية، وهي تخصيص الفعل بزمان الاستقبال، فلذلك سميت بـ(حرف التنفيس) أو (حرف استقبال)⁽¹⁾، وأما قول الشاعر:

فإني لست خاذلكم، ولكن ... سأسعى الآن إذ بلغت أناها
فإنه أراد تقريب المستقبل، ولم يرد به الحاضر⁽²⁾،

وهي من الحروف البائدة فتأتي في مقدمة الفعل، وعند دخولها عليه تصير معه بمنزلة جزء منه⁽³⁾.

والفعل الداخلة عليه السين لا يتقدم معموله عليه، قال بدر الدين بن فرحون: " و(السين) للاستقبال، ولها صدر الكلام، فلا يحسن أن تقول: قومًا ستأتي؛ لأنها من حروف المعاني الداخلة على الجمل، ومعناها في نفس المتكلم، فكان لها الصدر، كحروف الاستفهام والنفي والتمني"⁽⁴⁾، وقد علل السهيلي منع التقدم بسببين: الأول أن الدلالة الزمنية التي أكسبتها السين للفعل تحقق بإضافة الفعل إلى ما قبله، "فإن كان قبله ظرف أخرجه " السين " عن الوقوع في الظرف، فبقي الظرف لا عامل فيه، فبطل الكلام".

والسبب الثاني أن هذا الحرف من حروف المعاني التي قد نوى المتكلم إدخالها على مضمون جملة، قال: "ووجه ثان مانع من التقديم في الظرف وغيره، وهو أن (السين) و(سوف) من حروف المعاني الداخلة على الجمل، ومعناها في نفس

(1) انظر شرح المفصل لابن يعيش: 148/8، ومغني اللبيب: 138/1.

(2) انظر التذييل والتكملة في شرح التسهيل: 82/1، والجنى الداني: 59.

(3) مغني اللبيب: 138/1.

(4) العدة في إعراب العمدة: 248/2.

المتكلم وإليه يسند لا إلى الاسم المخبر عنه، فوجب أن يكون له صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والتمني وغير ذلك، ولذلك قبح: (زيداً سأضرب)"(1) .

الخاتمة:

وأخيراً فهذا عرض موجز حاولت فيه الوقوف على علاقة حق الصدارة بالرتبة، ولا شك في أن مفهوم الرتبة أعم وأشمل من الصدارة، فالرتبة كما قسمها د. تمام حسان محفوظة وغير محفوظة، وكذلك ليس كل ما كان محفوظاً الرتبة يكون له الصدارة، بل تحفظ الرتبة لغير ذلك أيضاً، جاء في شرح التصريح: "وقال بعض المتأخرين ينبغي أن يستظهر على اللبس بحفظ الرتبة كما في: ضرب موسى عيسى"(2).

والصدارة تمنح للعنصر اللغوي المتمتع بها حق المحافظة على نسق تركيبه، وينتج عن تغيير هذا النسق أن يفقد العنصر حق الصدارة، أو يفقد تأثيره فيما دخل عليه إذا كان من الأدوات العاملة.

ومما ينبغي الوقوف عليه مسألة العلاقة بين العامل النحوي والرتبة، وهذه العلاقة أولها الأوائل اهتماماً خاصاً في الدرس النحو، ولكن لم يرتضيها بعض العلماء المتأخرين مثل د. تمام حسان الذي قام بنقد فكرة العامل، وأرجع دوره الدلالي إلى فكرة تظافر القرائن.

وختاماً أسأل الله التوفيق والسداد، فإن كنت أصبت فذلك بتوفيق الله وفضله، وإن أخطأت فمن نفسي.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى وسلم على نبيه الكريم

(1) نتائج الفكر في النحو: 94.

(2) شرح التصريح على التوضيح: 432/1 .

قائمة المصادر والمراجع

- ائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (802هـ)، تحقيق: طارق الجنابي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.
- الإبهام والمبهمات في النحو العربي، إبراهيم إبراهيم بركات، دار الوفاء، المنصورة، 1408هـ - 1987م.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي (911هـ)، الجزء الأول، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق، 1407هـ - 1987م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج (316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1417هـ - 1996م.
- الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن الحاجب (646هـ)، تحقيق وتقديم موسى بناي العليبي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق.
- الانتصار لسيبويه على المبرد، أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد (332هـ)، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1996م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات ابن الأتباري، (577هـ)، تحقيق ودراسة جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002م.
- بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن القيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مجمع الفقه الإسلامي جده.
- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

- بناء الجملة العربية، محمد عبد اللطيف حماسة، دار غريب القاهرة.
- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م.
- التذليل والتكملة في شرح التسهيل، أبو حيان الأندلسي (745هـ)، تحقيق حسن الهنداوي، الجزء الأول، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.
- توجيه اللمع شرح كتاب اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، دراسة وتحقيق فائز زكي محمد دياب، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي (749هـ)، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
- الجنى الذاني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي (749هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.
- حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز (دراسة في المجاز الأسلوبي واللغوي)، سمير معلوف، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 1996.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (1093هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 1418هـ-1997م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت: 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الخامسة، 2011م.

- الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 2009م.
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 2008م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: 471هـ)، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ - 1992م.
- دور الرتبة في الظاهرة النحوية، عزام محمد ذيب إشريدة، (رسالة ماجستير)، الجامعة الهاشمية، 2003م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي (702هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق.
- شرح التسهيل، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (672هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية (بيضون)، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.
- شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهرى (905هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي (686هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس - ليبيا، ط2، 1996م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة.

شرح الكافية الشافية، جمال الدين بن محمد بن مالك (672هـ)، حققه وقدم له عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، دار المأمون، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1402هـ-1982م.

شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (643هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة - مصر.

ضرائر الشَّعر، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمِي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (ت: 669هـ) تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1980 م.

العدة في إعراب العمدة، بدر الدين أبو محمد عبد الله بن فرحون المدني رحمة الله عليه، تحقيق: مكتب الهدى لتحقيق التراث (أبو عبد الرحمن عادل بن سعد)، دار الإمام البخاري - الدوحة، الطبعة: الأولى. (المكتبة الشاملة).

علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (ت: 381هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م.

غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب، مصطفى بن الحاج حسن الأنطاكي (1100هـ)، تحقيق حسين صالح الدبوس وآخرون، دار عالم الكتب الحديث، إربد، عمان، الطبعة الأولى، 2011م.

الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (180 هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988م.

كتاب اللامات، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (337هـ)، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر - دمشق، ط2، 1405هـ-1985م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري،
 جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة، الشيخ:
 عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض،
 السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م.

اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري
 (ت: 616هـ)، تحقيق د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى،
 1416هـ 1995م.

اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء -
 المغرب، 1994م،

مسائل خلافية في النحو، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري
 (616هـ)، تحقيق محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي - بيروت، الطبعة:
 الأولى، 1412هـ 1992م.

معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان
 الأردن، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.

مفاتيح الغيب التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن
 الحسين التيمي الرازي (606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 3 -
 1420 هـ.

المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان،
 منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1982م.

المقتضب، المبرد(285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب -
 بيروت.

معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي
 بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت، ج. 3 / 1378 هـ - 1959 م

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: 581هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: 1412 هـ - 1992 م
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، د . ط، 1413هـ-1992م.
- نظرية العامل في النحو العربي عرضا ونقدا، وليد عاطف الأنصاري، دار الكتاب الثقافي، الأردن - أريد، ط2، 1435هـ-2014م.

الانتفاع من أجزاء الميتة وأثره في حكم بيعها

دراسة تطبيقية معاصرة

د. عبد السلام محمد العكاشي*

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين، وبعد ..

فالبحث في الأحكام الشرعية من سنة هذا الدين، ولهذا سخر الله عبداً لتوحيه على مَرِّ الأزمان. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي

الدِّينِ﴾ [التوبة 123]

فانبرى في كل زمن رجال لحمل لواء البحث في شريعة الله تعالى.

ومما يؤكد هذا الأمر ويزيده أهمية حاجة الناس الماسة لمعرفة الأحكام الشرعية في كل زمان ومكان وخاصة فيما يستجد في حياتهم..

ولعلّي في مقدمة المحتاجين إلى معرفة مثل هذه الأحكام، ولهذا اخترت هذا الموضوع الذي حاولت أن أجمع فيه بين القديم من أقوال الفقهاء والتطبيق المعاصر لما استجدّ في المسألة..

أما أهمية موضوع هذه الورقات والذي عنوانته بـ(الانتفاع من أجزاء الميتة وأثره في حكم بيعها . دراسة تطبيقية معاصرة) فإنه يبحث في جانبين مهمّين في حياة الناس ، وخاصة اليوم، وهما حكم الانتفاع من أجزاء الميتة وحكم بيعها ، فإن كانت جميع

* كلية الآداب الخمس - جامعة المرقب.

النصوص صريحة في تحريم الميتة وأجزائها، وعلى ذلك إجماع الفقهاء إلا أن هناك مستجدات ظهرت في هذا الزمن اشتملت على صور من الانتفاع منها، وذلك بسبب المتغيرات الصناعية والتجارية وحاجة السوق الزائدة ربما ، وأيضاً لا ننس تعدد مصادر المنتجات واختلافها.

أما أهداف هذا البحث فهي محاولة التحقق من بعض أوجه الانتفاع من بعض أجزاء الميتة بالرغم من تحريمها ونجاستها، فهل هذا يمكن القول بجواز هذا الانتفاع أم لا؟ وما هي مسوغات القول به إن وُجد، وكل ذلك سيكون بناءً على النصوص وأقوال الفقهاء الواردة في هذا المسألة.

أما الدراسات السابقة فقد وُضعت دراسات فقهية كثيرة على هذا الموضوع، ولكنه متجدد معاصر يتجدد بتجدد وتطور الصناعة وكثرة المنتجات الغذائية وغيرها، وأيضاً تنوع الموارد والمصادر لهذه الصناعات

وقد جاءت فكرة هذا البحث جامعة بين أقوال الفقهاء قديماً وبعض التطبيقات المعاصرة وكذلك أحكام التعامل بما دخلت فيه أجزاء الميتة..

فاقتضت طبيعتها أن تكون في بحثين هما:

. (النظري) وهو: تعريف الميتة وحكمها في الشريعة الإسلامية

. (العملي) وهو : الانتفاع بدم الميتة وحكم بيعه في الشريعة الإسلامية..

فنسأل الله العون التوفيق والسداد ..

المبحث الأول: (النظري)

تعريف الميتة وحكمها في الشريعة الإسلامية

المطلب الأول- تعريف الميتة لغةً وشرعاً:

الميتة في لغة العرب: من مات الإنسان يموت موتاً فهو ميتٌ، والموتة أخص من الموت⁽¹⁾، وتطلق ميتٌ بالنتقيل على الحي، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾⁽²⁾ والميتة من الحيوان: ما مات حتف أنفه، والجمع ميتاتٌ، وأصلها ميتةٌ بالتشديد، قيل: والتزم التشديد في ميتة الأناسي؛ لأنه الأصل، والتزم التخفيف في غير الأناسي، فرقاً بينهما؛ ولأن استعمال هذه أكثر من الأدميات فكانت أولى بالتخفيف. والموتى جمع من يعقل، والميتون مختصٌ بذكور العقلاء، والميتات بالتشديد لإنائهم، وبالتخفيف للحيوانات، كل جمع على لفظ مفرد⁽³⁾.
 وأمّا عند الفقهاء فهي: اسم حيوان الميت غير المذكى، وقد يكون ميتةً بأن يموت حتف أنفه من غير سببٍ لأدميٍّ فيه، وقد يكون ميتةً بسبب فعل آدميٍّ إذا لم يكن فعله فيه على وجه الذكاة المبيحة له⁽⁴⁾، وبالتأكيد يقصد بها الذكاة الشرعية هنا.
 هذا وإن كانت عبارات الفقهاء في تعريفهم للميتة قد اختلفت إلا أنها ترجع في الغالب إلى هذا المعنى، فالاختلاف إنما هو في اللفظ فقط.

المطلب الثاني - حكمها عند الفقهاء

اتفق الفقهاء على تحريم الميتة⁽⁵⁾ وذلك للأدلة القاطعة الواردة على تحريمها من المنقول والمعقول؛ فمن المنقول قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ

(1) ينظر: المصباح المنير 118/2.

(2) الزمر الآية: 29.

(3) ينظر: المصدر نفسه.

(4) ينظر: أحكام القرآن للجصاص 132/1 .

(5) ينظر بداية المجتهد 76/1 والمغني 330/13 والبدائع 79/1 والمجموع 578/2

وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّا
أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾⁽³⁾.

وما ورد في السنة من حديث ميمونة عندما مرَّ الرسول ﷺ على شاتها الميتة، فقال
ﷺ: «هَلَّا اسْتَمْتَعْتُمْ بِإِهَابِهَا» فقالوا: إنها ميتة، فقال ﷺ: «إِنَّمَا حَرَّمَ أَكْلَهَا»⁽⁴⁾، فدلَّ
هذا على أنَّ الميتة نجسة وأنَّ إهابها إنما استثنى منها لطهارته بالدباغ وأنه قبل
الدباغ نجس؛ لأنه جزء منها.

واختلفوا في سبب التحريم؛ فقال بعضهم . وهم الأكثر .: إنَّ سبب التحريم هو
نجاستها،⁽⁵⁾ وقال البعض الآخر: إنَّ سبب التحريم ليست النجاسة⁽⁶⁾.

(1) المائدة من الآية:4

(2) البقرة من الآية:172

(3) الأنعام من الآية:146

(4) أخرجه البخاريُّ واللفظ له ص:530 كتاب البيوع باب: جلود الميتة قبل أن تدبغ

رقم:(2221) وأخرجه مسلمٌ بزيادة لفظ: "فدبغتموه" ص:193 كتاب: الحيض باب: طهارة

جلود الميتة بالدباغ رقم:(363)

(5) ينظر المجموع2/578 و بداية المجتهد1/76

(6) ومن هؤلاء الإمام الشوكاني حيث يقول: "اعلم أنَّ كونَ الأصلِ الطهارة معلومٌ من كليّات

الشرعية المطهّرة وجزئيّاتها، ولا ريب أنَّ الحكمَ بنجاسة شيءٍ يستلزمُ تكليفَ العبادِ بحكم،

أما الإجماع فقد نقل ابن المنذر⁽¹⁾ الإجماع على تحريم الميتة حيث يقول: (2) «وأجمعوا على تحريم ما حرم الله من الميتة والدم والخنزير». وأما المعقول فيقول الإمام الرازي: (3) «واعلم أنّ تحريم الميتة موافق لما في العقول؛ لأنّ الدم جوهر لطيف جداً، فإذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس الدم في عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضارّ عظيمة».

هذا ويستثنى من تحريم الميتة ميتتان وهما ميتة البحر والجراد؛ وذلك لما في الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت

والأصل البراءة من ذلك ولا سيّما من الأمور التي تُعمُّ بها البلوى، وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى السكوت عن الأمور التي سكت الله عنها وأنها عفو، فما لم يرد فيه شيء من الأدلّة الدالّة على نجاسته فليس لأحدٍ من عباد الله أن يحكم بنجاسته بمجرد رأيٍ فاسدٍ أو غلطٍ في الاستدلال كما يدّعيه بعض أهل العلم من نجاسة ما حرّمه الله زاعماً أنّ النجاسة والتحريم متلازمان، وهذا الزعم من أبطال الباطلات والتحريم للشيء لا يدلُّ على نجاسته بمطابقة ولا تضمين ولا التزام، فتحريم الخمر والميتة والدم لا يدلُّ على نجاسة ذلك، وكأنّ الشارع قد علم وقوع مثل هذا الغلط لبعض أمته فأرشدهم إلى ما يدفعه قائلاً: «إنّما حرم من الميتة أكلها». ينظر: الدراري المضيئة شرح الدرر البهية للشوكاني 26/1 وينظر كذلك: زاد المعاد 746/5 وسبل السلام 1043/3

(1) أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري. فقيه مجتهد من الحفاظ كان شيخ الحرم بمكة، . توفي سنة 309هـ. له ترجمة في سير أعلام النبلاء 409/14. الأعلام 294/5.

(2) ينظر: الإجماع لابن المنذر ص: 128 .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب 11/135.

والجراد، وأمّا الدّمان فالكبد والطّحال»⁽¹⁾ ولقوله ﷺ في البحر: «هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته»⁽²⁾ وأيضاً ما رواه ابن أبي أوفى⁽³⁾ أنّه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزواتٍ نأكل معه الجراد»⁽⁴⁾.

فإذا ثبت الحكم بتحريم الميتة والانتفاع بها يثبت الحكم بتحريم بيعها.

ولكن عند النظر في الأدلّة على تحريم الميتة أجدّها صريحةً قاطعةً في تحريم أكل الميتة أو ملابستها فيما هو في معنى الأكل، فقد وردت أدلّة تحريم الميتة في أغلب المواضع من القرآن الكريم عامّةً كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ﴾⁽⁵⁾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾⁽¹⁾، وما

- (1) أخرجه ابن ماجة في السنن 1/557 كتاب الأطعمة باب الكبد والطّحال رقم: 3314 وأحمد في مسنده 16/10 رقم: 5723 والبيهقي في السنن 1/254 كتاب الطهارة باب: الحوت يموت في الماء أو الجراد رقم: 1242
- (2) جزء من حديث أخرجه مالك في الموطأ 1/22 كتاب: الطهارة، باب: الطهور للوضوء رقم: 12 وأبو داود في السنن ص: 20 كتاب: الطهارة باب: الوضوء بماء البحر رقم: 83 وابن ماجة في السنن 1/85 كتاب: الطهارة باب: الوضوء بماء البحر رقم: 386 وأحمد في مسنده 14/349 رقم: 8935 والبيهقي في السنن 1/3 كتاب: الطهارة باب: التطهير بماء البحر رقم: 1
- (3) "أبو معاوية" وقيل: أبو إبراهيم واسمه علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي سعد. روى أحاديث شهيرة، بقي بالمدينة حتى توفي رسول الله ﷺ، وكان آخر من مات من الصحابة بها، يقال: إنّه مات سنة ثمانين، . ينظر ترجمته في الإصابة 6/18 والاستيعاب 6/111
- (4) أخرجه البخاري ص: 1400 كتاب: الذبائح والصيد باب: أكل الجراد رقم: 5495 ومسلم في صحيحه ص: 1079 كتاب: الذبائح والصيد باب: إباحة أكل الجراد رقم: 1952
- (5) المائدة من الآية: 4

ورد خاصاً في تحريم الميتة فهو خاصٌّ بالأكل دون غيره من وجوه الانتفاع كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾⁽²⁾.

وأيضاً فقد ورد التخصيص في السنة المطهرة بأن المحرم من الميتة إنما هو الأكل؛ وذلك في حديث ميمونة عند قوله ﷺ: «إنما حرم أكلها» ويدل على ذلك أيضاً ما روي عن ابن عباسٍ أنه قال: «ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت: يا رسول الله، ماتت فلانة تعني الشاة فقال: «لولا أخذتم مسكها» قالوا: أنأخذ مسك شاةٍ قد ماتت؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «إنما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾»⁽³⁾، وأنتم لا تطعمونه، أن تدبغوه فتتنفخوا به، فأرسلت إليها فسلخت مسكها فدبغته، فاتخذت منه قربةً حتى تخرقت عندها»⁽⁴⁾ فمن الأدلة ما جاء عاماً في تحريم الميتة، ومنها ما جاء مخصصاً للعام كما مر، وفي كل الأحوال فتحريم أكل الميتة متفقٌ عليه، ومما

(1) البقرة من الآية: 172

(2) الأنعام من الآية: 146

(3) الأنعام من الآية: 146

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 5/156 برقم: 3026 والشوكاني في نيل الأوطار 1/288

كتاب: الطهارة باب: تحريم أكل جلد الميتة وإن دُبغ رقم: 59 وابن حبان 4/98 في كتاب:

الطهارة باب: جلود الميتة رقم: 1281 .

يؤيد هذا تخصيص العرف الأكل بالتحريم، يقول الإمام القرافي . عند كلامه على ما ليس بمجملٍ :: "إضافة التحليل والتحريم إلى الأعيان ليس مجملاً؛ فيحمل على ما يدلّ العرف عليه في كل عينٍ خلافاً للكرخيّ، فيحمل في الميتة على الأكل، وفي الأمّهات على وجوه الاستمتاع..."⁽¹⁾.

وعليه فلا يجوز بيع الميتة لأجل الأكل، ولكن وإن كان المقصود الأعظم من الميتة هو أكلها ومن أجله حرّمت، فما الحكم إذا بيعت الميتة لمنافع أخرى غير الأكل؟ الظاهر من الدليل أنّه يجوز الانتفاع من الميتة دون الأكل سواءً على القول بنجاستها أو طهارتها، يقول ابن القيم⁽²⁾ . عند إيراده لقول الرسول ﷺ: «إمّا حرم من الميتة أكلها» :: "وهذا صريحٌ في أنّه لا يحرم الانتفاع بها في غير الأكل، كالوقيد وسدّ البثوق ونحوهما، قالوا: والخبيث إنما تحرم ملابسته باطناً وظاهراً، كالأكل واللبس، وأمّا الانتفاع به من غير ملابسةٍ، فلا شيءٍ يحرم؟"⁽³⁾.

وليس كلّ محرّم الأكل لا يجوز بيعه؛ فكثيرٌ من الأعيان أجاز الشارع الانتفاع بها على الرّغم من تحريم أكلها.

وهذا بالضبط ما حمل الصحابة . رضوان الله عليهم . وهم أحرص الناس على فهم الأحكام . على سؤال النبي ﷺ عندما أخبرهم بأنّ الله ورسوله حرّم الميتة والخمر والخنزير، سألوه عن شحوم الميتة تظلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها، وهذه أوجه انتفاعٍ دون الأكل والتلبس، فكانت إجابة الرسول ﷺ بالتحريم بقوله:

(1) ينظر: الذخيرة/103

(2) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعيّ الدمشقيّ ابن القيم الجوزية، كان جريء الجنان واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف، توفي سنة 751هـ. له ترجمة في الدرر الكامنة 400/3 والأعلام/5:137.

(3) ينظر: زاد المعاد 750/5

«لا، هو حرام» وذلك بناءً على أنّ المقصود الأعظم من شحوم الميتة هو الأكل وهو محرّم فحرم غيره من المنافع لأجله، وهذا ممّا يؤيد أنّ المحرّم من الميتة إنّما هو الأكل،⁽¹⁾ ولشدة التحريم والتغليظ فيه حرمت المنافع الأخرى غير الأكل. وبغض النظر عن إجابة الرسول ﷺ لهم، فمجرد سؤالهم عن ذلك يدلّ على إمكانية الانتفاع بالميتة في غير الأكل.

ومذهب الإمام الشافعيّ ومعه عطاء بن رباح⁽¹⁾ وابن جرير الطبري⁽²⁾ أنّه يجوز الانتفاع بشحم الميتة في طلي السفن والاستصباح بها وغير ذلك ممّا ليس بأكلٍ ولا

(1) وهذا أيضاً ما يناسب الاستعمال العرفي، يقول القرافي في الفرق التاسع والعشرين في الفرق بين العرف القوليّ والعرف الفعليّ: "العرف القوليّ: هو أن تكون عادة أهل العرف يستعملون اللفظ في معنى معيّن، وذلك قسماً... وتانيهما: في المركبات وهو أدقّها على الفهم وأبعدها عن التقنن، وضابطها أن يكون شأن الوضع العرفي تركيب لفظ مع لفظ يشتهر في العرف تركيبه مع غيره وله مثل أحدها... كقوله تعالى: ﴿حرّمت عليكم الميتة...﴾ يقول الإمام: "إنّ التحريم والتحليل إنّما تحسن إضافتهما لغةً للأفعال دون الأعيان، فذات الميتة لا يمكن للعرفي أن يقول هو حرام بما هي ذات بل فعل يتعلّق بها وهو المناسب لها كالأكل للميتة والدم ولحم الخنزير والشرب للخمر... ثم قال: ومن هذا الباب قوله ﷺ «إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام...» والأعراض والأموال لا تحرم بل أفعالٌ تضاف إليها، فيكون التقدير: ألا وإنّ سفك دماءكم وأكل أموالكم وتلب أعراضكم عليكم حرام، يقول: وعلى هذا المنوال جميع ما يرد من الأحكام كان أصله أن يضاف إلى الأفعال ويركّب معها، فإذا ركّب مع الذات في العرف وما بقي يستعمل في العرف إلا مع الذوات، فصار هذا التركيب الخاصّ. وهو تركيب الحكم مع الذوات. موضوعاً في العرف للتعبير به عن تحريم الأفعال المضافة لتلك الذوات، وليس كلّ الأفعال بل فعلٌ خاصٌّ مناسبٌ لتلك الذوات..." ينظر الفروق 312/1

في بدن الآدمي، وعنده أنّ الضمير «هو» في قوله ﷺ: «هو حرام» إنّما يعود على البيع⁽³⁾.

وأما إجابته ﷺ بقوله: «لا، هو حرام» فمعلومٌ اختلاف العلماء في عود الضمير؛ هل على البيع أم على الانتفاع⁽⁴⁾؟ يقول الإمام ابن القيم: «إنّ الحديث يحتمل الأمرين فلا يحرم ما لم يعلم أنّ الله ورسوله حرّمه⁽⁵⁾».

وحتى على القول بأنّه راجعٌ إلى الانتفاع، فالانتفاع المنهيّ عنه إنّما هو الانتفاع المباشر بالنجس كالأكل مثلاً، أمّا البيع فإنّ كلّ ما ينتفع به يصحّ بيعه وما لا فلا. وعلى هذا يمكن الردّ على من يورد حديث رسول الله ﷺ: «وإنّ الله إذا حرّم على قومٍ أكل شيءٍ حرّم عليهم ثمنه»⁽⁶⁾ نعم حرّم عليهم ثمنه إذا تبادله لمنفعةٍ محرّمةٍ كالأكل وغيره، أمّا إذا كان للمنفعة وجهٌ مشروعٌ فلا يدخل هذا. والله أعلم. ضمن التحريم، ولذلك فالشارع جوّز الانتفاع ببعض الأعيان رغم تحريم أكلها؛ وذلك كما في الفهد والبازي والعنديلبي إلخ... ولهذا يقول ابن القيم: . في قوله ﷺ: «إنّ الله إذا حرّم شيئاً أو حرّم أكل شيءٍ حرّم ثمنه» .: "يراد به أمران، أحدهما: ما هو حرام

(1) كثير الحديث. توفي سنة 114هـ وقيل: 115 وقيل: 117. له ترجمته في: سير أعلام

النبلأء 78/5 وطبقات الفقهاء ص: 69

(2) "أبو جعفر" الإمام محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري رأس المفسرين

على الإطلاق، توفي سنة 320هـ. ينظر ترجمته في طبقات المفسرين للسيوطي ص: 95

وسير أعلام النبلاء 14/267

(3) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي 8/11 وسبل السلام 3/1043

(4) ينظر: المصدر السابق

(5) ينظر: زاد المعاد 5/751

(6) جزءٌ من الحديث الذي رواه أبو داود، وأوله: "لعن الله اليهود. ثلاثاً. إنّ الله حرّم عليهم

الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها"

العين والانتفاع جملةً، كالخمر والميتة والدم والخنزير وآلات الشرك، فهذه ثمنها حرامٌ كيفما اتفقت.

والثاني: ما يباح الانتفاع به في غير الأكل، وإنّما يحرم أكله، كجلد الميتة بعد الدباغ، وكالحمر الأهلية والبغال ونحوها ممّا يحرم أكله دون الانتفاع به، فهذا قد يقال: إنّه لا يدخل في الحديث، وإنّما يدخل فيه ما هو حرامٌ على الإطلاق، وقد يقال: إنّه داخلٌ فيه، ويكون تحريم ثمنه إذا بيع لأجل المنفعة التي حرمت منه، فإذا بيع البغل والحمار لأكلهما، حرم ثمنهما بخلاف ما إذا بيعا للركوب وغيره، وإذا بيع جلد الميتة للانتفاع به حلّ ثمنه، وإذا بيع لأكله حرم ثمنه".⁽¹⁾

والخلاصة: إنّ بيع الميتة لا يجوز مطلقاً إذا بيعت لأجل الأكل، أمّا إذا كانت فيها منافع ولو لم تكن المقصود الأعظم منها فلا يمكن إهمالها، وحتى على القول بنجاستها، فالشارع إنّما حرّم بيع النجاسات التي ليس لها أيّ وجه انتفاعٍ بالصورة المشروعة؛ بدليل حصّته على الانتفاع بجلود الميتة بالرغم من نجاسته وهو جزءٌ من الميتة.⁽²⁾

فالبيع متى صادف محلاً منتفعاً به حقيقةً مباح الانتفاع به على الإطلاق مسّت الحاجة إلى شرعه جاز،⁽³⁾ فبيع الميتة للمصلحة جائزٌ بشرط ألاّ تباع لما حرّمت من أجله، وألاّ يترتّب على بيعها مفسدةٌ أو ضررٌ.

(1) ينظر: زاد المعاد/5/762

(2) ينظر: البيوع الشائعة البيوع الشائعة وأثر ضوابط المبيع على شرعيّتها للبوطي ص:266

(3) ينظر: البدائع/5/143

المبحث الثاني (التطبيقي)

الانتفاع بدم الميتة وحكم بيعه في الشريعة الإسلامية

المطلب الأول- تعريف الدم وأقسامه

الدم في اللغة: أصله دمو بالتحريك، وتثنيته دمان، وبعض العرب تقول: دموان، وتصغير الدم دميّ وجمعه دماء، ويقال: أصله من دمي والذاهب منه الياء، يقال: دمي الجرح دميّ، ويقال: دميّاً. وقيل: أصل الدم دميّ بسكون الميم لكن حذفت اللام وجعلت الميم حرف إعراب⁽¹⁾.

أمّا الدم عند أهل الاختصاص فهو: نسيج ضام سائلٌ يحتوي أساساً على خلايا حمراء وأخرى بيضاء، وصفائح دموية تسبح جميعها في سائلٍ يسمّى البلازما⁽²⁾. والفقهاء تناولوا أحكام الدم في العديد من الأبواب الفقهيّة كالطهارة والحيض والنفاس والأطعمة، ولكنّ الإجماع منعقدٌ عندهم على نجاسة دم غير المذكّي وعلى حرمة تناول القليل منه والكثير، جاء في المجموع: (3) "والدلائل على نجاسة الدم متظاهرة ولا أعلم فيه خلافاً عن أحدٍ من المسلمين إلا ما حكاه صاحب الحاوي عن بعض المتكلمين أنّه قال: هو طاهرٌ، ولكنّ المتكلمين لا يعتدّ بهم في الإجماع والخلاف على المذهب الصحيح الذي عليه جمهور أهل الأصول من أصحابنا وغيرهم لا سيّما في المسائل الفقهيّات".

(1) ينظر: مختار الصّاح ص:158 والمصباح المنير 99/1

(2) ينظر: المستخلص من النجس وحكمه ص:171

(3) ينظر: المجموع شرح المهدّب 576/2

ويقول حفيد ابن رشد⁽¹⁾: "وأما كلّ دم يسيل من الحيوان الحيّ فقليله وكثيره حرامّ، وكذلك الدم من المحرّم الأكل وإن ذكّي فقليله وكثيره حرامّ ولا خلاف في هذا"⁽²⁾ وأما دم الحيوان المذكّي من مأكول اللحم فهو عندهم قسمان: مسفوح وغير مسفوح. والدم المسفوح عندهم: هو السائل عن مقرّه في حال الحياة وبعد الموت من سائر الحيوانات وبعد التذكية من محلّ التذكية.

والدم غير المسفوح: هو الذي لم يجر بعد موجب خروجه شرعاً، أي لم يجر عند موجب الجريان من ذبحٍ ونحرٍ وجرحٍ، ويشمل الباقي في العروق، والموجود في القلب حين شقّه، والراشح من اللحم حال تقطيعه، وخرج منه الدم القائم بالحي وما كان من الميتة⁽³⁾.

فيتبيّن أنّ المسفوح معناه الجاري الذي يسيل وهو ما يفرّق به بين القسمين، ولذلك يعرف بعضهم الدم المسفوح بأنّه: هو الدم المراق الجاري، ومنه ذلك الدم الذي يسيل من الحيوان المأكول اللحم ويخرج عند تذكيته⁽⁴⁾.

المطلب الثاني- حكم هذين القسمين عند الفقهاء وأدلتهم

. اتفق العلماء على تحريم الدم المسفوح وذلك لنجاسته، وقد وردت الأدلّة بذلك صريحةً، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾⁽⁵⁾ وقال جلّ

(1) "أبو الوليد" محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن رشد القرطبي، يعرف بابن رشد الحفيد،

توفي بمراكش سنة 595هـ. له ترجمة في معجم المؤلفين 313/8 والأعلام 318/5

(2) ينظر: بداية المجتهد 467/1

(3) ينظر: منح الجليل 28/1 وشرح الخرشبي على خليل 87/1.

(4) ينظر: البيوع المحرّمة والمنهي عنها ص: 99.

(5) البقرة من الآية: 172

وعلا: ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةَ﴾⁽¹⁾ وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾⁽²⁾ فقد ورد التحريم للدم مطلقاً في سورة البقرة، ثم جاء التحريم مخصصاً للدم المسفوح وذلك في آية الأنعام.

يقول ابن العربي . عند تفسيره لآية البقرة :⁽³⁾ "اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به، وقد عيّنه الله تعالى هاهنا مطلقاً؛ وعيّنه في سورة الأنعام مقيداً بالمسفوح، وحمل العلماء هاهنا المطلق على المقيد إجماعاً".

وقال الرازي⁽⁴⁾: "قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةَ﴾ وقال: ﴿حُرِّمَ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةَ﴾ قال: فلو لم يرد في تحريمه غير هاتين الآيتين لاقضى ذلك تحريم سائر الدماء قليلها وكثيرها؛ فلما قال في آية أخرى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

(1) المائدة من الآية:4

(2) الأنعام من الآية:146

(3) ينظر: أحكام القرآن 97/2 وأحكام القرآن للجصاص 151/1

(4) "أبو عبد الله" محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن فخر الدين الرازي القرشي البكري

التيمي الطبرستاني. توفي سنة 606 هـ . له ترجمة في طبقات الشافعية 66/2

مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ⁽¹⁾ دلّ على أنّ المحرّم من الدم هو المسفوح دون غيره⁽²⁾.

ولذلك اتفق الفقهاء على حرمة تناول الدم المسفوح، يقول ابن رشد: (3) "وأما الدم فاتفقوا على تحريم المسفوح منه من الحيوان المذكى".

. كما اتفق الفقهاء على طهارة الدم الغير مسفوح والذي منه الدم الموجود في العروق المختلطة باللحم، والدم الموجود في القلب، والطحال والكبد.

قال القرطبي⁽⁴⁾ في تفسيره: (5) "... لأنّ ما خالط اللحم فغير محرّم بإجماع، وكذلك الكبد والطحال مجمعٌ عليه".

وجاء في تفسير الطبري: "وفي اشتراطه . جلّ ثناؤه . في الدم . عند إعلامه عباده تحريمه إياه . المسفوح منه دون غيره . الدليل الواضح أنّ ما لم يكن منه مسفوحاً، فحلالٌ غير نجس⁽⁶⁾".

وقال في البدائع: "والدم الذي يبقى في العروق واللحم بعد الذبح طاهر؛ لأنه ليس بمسفوح؛ ولهذا حلّ تناوله مع اللحم...⁽⁷⁾".

(1) الأتعام من الآية:146

(2) ينظر: أحكام القرآن للجصاص 1/151

(3) ينظر: بداية المجتهد 1/467

(4) "أبو عبد الله" محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، إمام متبحر في العلم توفي سنة 671هـ. له ترجمة في طبقات المفسرين لابن السبكي ص 92. والأعلام 5/322

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 3/31

(6) ينظر: تفسير الطبري 12/193.

(7) ينظر: 1/61

ونقل القرطبي عن ابن خويز منادٍ⁽¹⁾ قوله: "وأما الدم فمحرم ما لم تعم به البلوى؛ ومعفو عما تعم به البلوى، والذي تعم به البلوى هو الدم في اللحم وعروقه..."⁽²⁾ وجاء في المجموع: "مما تعم به البلوى الدم الباقي على اللحم وعظامه؛ وقل من تعرّض له من أصحابنا، فقد ذكره أبو إسحاق الثعلبي المفسر من أصحابنا، ونقل عن جماعة كثيرة من التابعين أنّه لا بأس به، ودليله المشقة في الاحتراز منه..."⁽³⁾.

وقال في كشف القناع:⁽⁴⁾ "ودم عرقٍ مأكولٍ بعد ما يخرج بالذبح وما في خلال اللحم ظاهرٌ ولو ظهرت حمرة نصّاً؛ لأنّه لا يمكن التحرز منه".
 . واختلفوا في دم السمك فذهب عامة الحنفية⁽⁵⁾ والحنابلة⁽⁶⁾ وفي قولٍ عند المالكية⁽⁷⁾ ووجه عند الشافعية⁽⁸⁾ إلى أنّ دم السمك يأخذ حكم الدم غير المسفوح في الإباحة. وهو الذي أرجحه والله أعلم.

(1) "أبو عبد الله" محمد بن أحمد بن عبد الله الإمام العالم المتكلم الفقيه الأصولي، توفي في

أواخر القرن الرابع الهجري، وقيل: توفي □ سنة 390 هـ تقريباً. له ترجمة في شجرة النور

ص: 103 والديباج المذهب ص: 363

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 3/30 .

(3) ينظر: 2/576

(4) ينظر: 1/450

(5) ينظر: البدائع 1/61

(6) ينظر: الكافي 1/187

(7) ينظر: مواهب الجليل 1/151

(8) ينظر: المجموع 2/575

وذهب المالكية في المشهور عنهم،⁽¹⁾ والصحيح عند الشافعية⁽²⁾ وأبي يوسف⁽³⁾ من الحنفية⁽⁴⁾ إلى أنّ حكم الدم المسفوح من السمك يأخذ حكم الدم المسفوح من غيره في التحريم.

ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى النجاسة من عدماها؛ فمن اعتبر طهارة ميته اعتبره طاهراً ومن لم يعتبرها ألحقه بغيره من الدماء النجسة⁽⁵⁾.

المطلب الثالث - الحكمة من تحريم الدم المسفوح

الدم من الأعيان النجسة التي تعافها الفطر السليمة وذلك لما يحمله من الخبث والقدارة، والنفس البشرية مجبولة على رفض كلّ خبيث، ولهذا جاء الحكم بتحريم الدم موافقاً لطبيعتها.

والدم يعتبر من أسهل وسائل انتقال الأمراض وخاصة تلك التي يشترك فيه الحيوان مع الإنسان، وهو يعتبر بيئة ملائمة ومركزاً لنمو الجراثيم والميكروبات، إضافة لما يحمله من سموم وفضلات، ففي تناوله بأيّ طريقة ضررٌ محققٌ بالإنسان.

وقد أثبت العلم الحديث مدى خطورة تناول الدم بالأكل أو الشرب، فالدم بمجرد نزوله من الحيوان بأيّ طريقة فإنه ينعزل عن الأوعية الدموية التي تحفه أثناء

(1) واختلف المالكية تبعاً لذلك، هل المسفوح من السمك هو الدم الخارج عند التقطيع الأول أم

الخارج في كلّ الأحوال؟ ينظر تفصيله في: مواهب الجليل 1/151 وحاشية الدسوقي 1/57

(2) ينظر: المجموع المصدر نفسه

(3) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي. صاحب الإمام أبي حنيفة

وتلميذه وأول من نشر مذهبه، مات في خلافته سنة 182 هـ. له ترجمة في شذرات الذهب

1/291 . والأعلام 8/193.

(4) ينظر: البدائع المصدر السابق

(5) ويبدو أنّ لابن رشدٍ طريقاً آخر في تحديد سبب هذا الاختلاف. ينظر بداية

المجتهد 1/467

الحياة، وتفقد كريات الدم البيضاء وظيفتها؛ ويصبح الدم بعد ذلك عرضةً للجراثيم المنتشرة⁽¹⁾.

وبعد هذا العرض الموجز لآراء العلماء يتّضح أنّهم اتفقوا على حرمة الدم المسفوح لنجاسته، واتفقوا على عدم حرمة الدم غير المسفوح. واختلفوا بشأن دم السمك؛ فمنهم من أحقّه بالدم المسفوح، ومنهم من أحقّه بالدم غير المسفوح، وعليه فالمتفق على تحريمه لا يجوز تناوله ولا الانتفاع به ولا بيعه.

المطلب الرابع: التطبيقات المعاصرة لبيع دم الميتة

بعد محاولة تحديد الحكم الشرعيّ للانتفاع بدم الميتة؛ الأمر الذي ترتّب عليه حكم تناوله بالبيع والمبادلة، ورغم اتفاق الفقهاء على تحريم دم الميتة وتحريم بيعه وبالتحديد المسفوح منه ظهرت بعض أوجهٍ للانتفاع بهذا الدم المحرّم في الواقع المعاصر، وذلك بإدخاله ضمن تركيب بعض المركّبات الغذائيّة. وفي هذا المطلب سأتناول بعضاً من هذه المستجدّات لمحاولة الوقوف بدقّة على مدى شرعيّة هذه المعاملات؛ وللوصول إلى حكم بيع ما دخل في تركيبه دم الميتة في هذا العصر، وسيكون ذلك من خلال الآتي:

1. الانتفاع بدم الميتة في تحضير بعض المنتجات الغذائيّة

لقد ظهرت اليوم بعض الاستعمالات المعاصرة للدم عند غير المسلمين في مختلف الصناعات الغذائيّة، فاتجهت بعض الشركات المنتجة لبعض الأصناف الغذائيّة وخاصةً في أوروبا للاستعانة بالدم وذلك بإدخاله ضمن مركّبات بعض منتجاتها، ومن ذلك استعمالها لجزءٍ من الفضلات الحمراء (piedoffals) للذبيحة؛ فتسمح

(1) ينظر: أثر المستجدّات الفقهيّة في باب الطهارة ص: 249

باستخدام بروتينات الدم في إنتاج الأغذية وذلك بخلطها مع بروتيناتٍ أخرى من مصادر حيوانيةٍ أو نباتيةٍ.

وفي الغالب فإنّ الدوافع لمثل هذه الاستعمالات هي دوافع تجاريةً نظراً لرخص هذه المادة وتوفرها وسهولة الحصول عليها بأبسط الطرق وأيسرها، فالدم يشكل نسبةً كبيرةً من جسم الذبيحة؛ ففي البقر يشكل حوالي 7,7% من وزن جسم البقر، وحوالي 6,2% من وزن الغنم والماعز، وحوالي 3,5% من وزن الخنازير.

ويذكر بعض الباحثين أنّ مادة الدم تجمع بعد خروجها من الذبيحة . وهو الدم المسفوح . بطريقةٍ عقيمةٍ ما أمكن، ثم تستعمل إمّا كموادٍ أساسيةٍ في بعض الأصناف كالنقانق المحشوة والبيودنغ الأسود، وإمّا كملوناتٍ ومنكهاتٍ لبعض أصناف الأغذية الأخرى كالهامبرجر وأغذية الأطفال بإضافة مستحلبات⁽¹⁾ اللّبن المدمى إلى هذه الأغذية⁽²⁾.

ومن الواضح أنّ الدم يضاف لمثل هذه الأصناف دون أن يحدث له أيّ نوعٍ من الإحالة، وإنّما يضاف على سبيل الخطأ، أضف إلى ذلك أنّ مادة الدم تتميّز بميوعتها فهي مادّة سائلةٌ غير متماسكة الذرات والجزئيات؛ فإذا خلطت مع المنتجات الغذائية فإنّها سريعة الانتشار فيها، وإذا تعرّضت للطبخ مثلاً فإنّما يزيد ذلك من إذابة جزئيات الدم، فيزيد هذا من تفاعله مع المواد الطيبة المخلوط معها فتتأثر بنجاسته بسرعةٍ لسرعة انتشار جزئياته وتداخلها مع الطيب، وهذا دليلٌ على

(1) المستحلبات: هي مركّبات كيميائيةٍ أو صناعية تقيّد في تكوين الأشكال الاستحلابية

الغذائيةٍ أو الدوائية والطبيعية، وقد تكون من منشأ نباتي أو حيواني.

(2) ينظر: مواد نجسة في الغذاء والدواء ص:36 بحثٌ فقهيٌّ مقارنٌ ، والطعام والشراب بين

الحلال والحرام بحثٌ للدكتور محمد عبد السلام الهواري.

أنّه لا يمكن أن تحدث استحالةً من أيّ نوعٍ للدم عند إدخاله في عمليّات التصنيع هذه.

وإذا ثبت تحريم الدم وخاصةً المسفوح منه، وثبت أنّ الدم لا يستحيل إلى مادةٍ أخرى يثبت بناءً تحريم الانتفاع من هذه الأنواع من الأغذية وبيعها، ويثبت بذلك أيضاً حكم تحريم هذه العمليّات من هذا النوع والانتفاع بها فيما يتعلق بالاستهلاك الإنسانيّ وذلك لنجاستها.

وقد ورد ما يؤيّد هذا الحكم في توصية الندوة الفقهيّة الطبيّة التاسعة للمنظمة الإسلاميّة للعلوم الطبيّة المنعقدة بالدار البيضاء بالمغرب بتاريخ (يونيو 1997م) ونصّها: "المركّبات الكيميائيّة المستخرجة من أصولٍ نجسةٍ أو محرّمةٍ كالدم المسفوح أو مياه المجاري والتي لم تتحقّق فيها الاستحالة بالمصطلح الشرعيّ لا يجوز استخدامها في الغذاء والدواء مثل الأغذية التي يضاف إليها الدم المسفوح كالنقانق المحشوة بالدم والعصائد المدماة (البودينغ الأسود) والهامرغر المدمى وأغذية الأطفال المحتوية على الدم وعجائن الدم والحساء بالدم ونحوها تعتبر طعماً نجساً محرّماً الأكل لاحتوائها على الدم المسفوح الذي لم تتحقّق فيه الاستحالة"⁽¹⁾

والخلاصة: في الانتفاع بالدم وحكم بيعه أنّ الدم المسفوح محرّم باتفاقٍ، وقد تضافرت الأدلّة على تحريمه، لتحقّق الضرر من تناوله، فلا يجوز تناوله ولا بيعه، فلا يجوز الانتفاع به بأيّ وجهٍ من وجوه الانتفاع كإدخاله ضمن مركّبات الغذاء وغير ذلك، فإذا ثبت دخوله في صنفٍ فلا يجوز تناوله ولا بيعه لعدم تحقّق الاستحالة فيه؛ ولتعارضه مع القاعدة العريضة التي يقوم عليها هذا البحث وهي ألاّ يترتب على الانتفاع أيّ ضررٍ.

(1) ينظر: المواد المحرّمة والنجسة في الغذاء والدواء بين النظرية والتطبيق ص: 80.

أمّا الدم غير المسفوح وهو الدم المختلط مع العظم واللحم فلا حرج في تناوله وهو حلالٌ لعدم إمكان التحرز منه، وهذا التي يتناسب مع قواعد الأحكام الشرعية المبنيّة على اليسر والسهولة والتيسير. والله تعالى أعلم.

2. الانتفاع بدم الميتة في تحضير العلف الحيواني وحكم بيعه

كلّنا يعرف ما للعلف الحيواني من أهمية في إنعاش الإنتاج الزراعيّ في هذا العصر، فهو يستمدّ أهميته من أهميّة الثروة الحيوانية باعتبارها مصدراً من المصادر المهمّة في الغذاء في هذا الزمن، بل وفي كل الأزمان.

وفي هذا المطلب سأبحث عن مدى إمكانية الانتفاع من دم الميتة في تحضير العلف الحيواني، وحكم بيع هذا العلف، ولكن قبل هذا أذكر مقدّمَةً فيها تعريف العلف في اللغة وعند المختصين الزراعيين، ومشتلات الإنتاج العلفي وأصنافه، ودواعي دخول هذه الأصناف في تحضيره.

العلف في لغة العرب: ما يعلف للدوابّ والجمع علافٌ، و هو مأخوذٌ من علفت الدابةً علفاً إذا قدّمت لها العلف، فالعلف . بفتحتين . اسمٌ للطعام الذي يقدم للحيوان⁽¹⁾.

والعلف في الاصطلاح لا يبعد عن المعنى اللغويّ فهو ما تعلق به الدابة، أمّا العلف في اصطلاح علماء الزراعة المعاصرين فهو: كلّ مادةٍ تحتوي على موادّ عضويّة أو معدنيّة غذائيّة يمكن أن يستفيد منها جسم الحيوان، وتؤدي وظيفة الامتلاء، ولا يكون لها أثر سيءٌ على صحّة الحيوان عند إعطائها بكميّاتٍ مناسبة⁽²⁾.

(1) ينظر: لسان العرب/9/255 والمصباح المنير/2/36

(2) ينظر: دراسات في قضايا طبيّة معاصرة/1/406 بحثٌ للدكتور محمد عثمان شبير

بعنوان: النجاسات المختلطة بالأعلاف وأثرها في المنتوجات الحيوانية في الفقه الإسلامي.

وقد كانت مصادر العلف الحيواني طبيعيةً معتمدةً في أغلب الأحوال على المراعي الطبيعية التي يتناول منها الحيوان علفه مباشرةً من الأرض، وأيضاً كانت من مصادر العلف الحيواني الأعلاف الخضراء التي تقدّم له على حالها أو بعد تجفيفها، وغير ذلك.

أمّا اليوم وفي ظلّ تزايد الطلب على هذه الثروة الحيوانية وقلة مواردها وتزايد الاستهلاك للّحوم والألبان، وفي ظلّ نقص المصادر الطبيعية للأعلاف، وبعد أن ثبت أنّ الأعلاف الطبيعية منخفضة النيتروجين ومنخفضة في معامل هضمها، وجد الإنسان نفسه مضطراً لاكتشاف خلطاتٍ علفيةٍ من شأنها أن تزيد من إنتاج اللّحوم والألبان لتلبية هذا الطلب المتزايد، فظهرت إضافاتٌ جديدةٌ للخلطة العلفية لتزيد من نسبة البروتين والمركبات الأزوتية فيها، كلّ ذلك بغية الوصول إلى ما عرف فيما بعد بالمركّزات العلفية، والتي يتحوّل الحيوان بعد تقديمها له من حيوانٍ عاشبٍ إلى حيوانٍ لاحمٍ.

هذا وتختلف نسبة المركّبات الصناعية الداخلة في الخلطات العلفية بحسب الغرض المراد من تحقيقه بإطعامه لها؛ وبحسب اختلاف الحيوان المقدّمة له مراعاةً لجهازه الهضمي.

ومن هذه المركّبات التي تدخل في الخلطة العلفية الدّم، هذه المادة التي تحتوي على نسبةٍ كبيرةٍ من البروتينات قد تصل إلى نسبة 47% والتي تسهم في زيادة إنتاج اللّحم عند الحيوان إذا تناولها، فالدم الجافّ يحتوي على نسبة 45% بروتين، ونسبة الرطوبة فيه حوالي 80% وحين تجمّعه يحتوي على رطوبةٍ أكثر نتيجةً لإضافة الماء أثناء عمليّات الغسل.

- أمّا طريقة تحضير المركّزات العلفية بشكلٍ عامٍ فيذكر بعض الباحثين أنّها تصنّع بطريقتين: التسخين الكهربائي، والطبخ وهي الطريقة الأكثر اتّباعاً؛ وفيها تطبخ اللّحوم أو مخلفات المسالخ ومنها الدم والأسماك في قدرٍ على درجة حرارة 120

لقتل ما فيها من بكتيريا وفيروساتٍ وغير ذلك، ثم تجفّف بنسبةٍ تصل إلى 88%. 90% حتى لا تتلف وتتعفّن، ثم تطحن ويضاف إليها الكسبة التي تحتوي على البروتين النباتي، كما تضاف إليها بعض الفيتامينات والمضادّات الحيويّة وبعض العناصر المعدنيّة لتكون بذلك جاهزةً لتقديمها للحيوان⁽¹⁾.

. أمّا طريقة تحضير الدم في صناعة الأعلاف فيذكر لنا الباحثون في هذا المجال أنّه يتمّ تحضيره بعد تحفيّفه، ويصنع بعد أن يتمّ تحرير البخار عبر الدم حتى تصل درجة الحرارة إلى 100س ممّا يساعد على تعقيم الدم وإحداث تخثره، وبعد ذلك تصبّ وتضغط وتجفّف عبر البخار الساخن، ومن ثمّ تطحن، ويكون لونها بنيّاً وله رائحةٌ خاصّة، ثم تضاف إلى المركّبات النباتيّة مثل الذرّة وغيرها...⁽²⁾.

وأيضاً بالنسبة لكميّة هذه الموادّ الداخلة في تركيب الأعلاف فيذكر الباحثون أنّها قليلةٌ جدّاً بالنسبة لكميّة الخلطة العلفيّة، فهي لا تتجاوز 1%. هذه المنفعة التي ظهرت لهذه المادة ممّا أثار تساؤلاتٍ كثيرةً حول حكمها الشرعيّ؛ وتتمثّل هذه التساؤلات في: ما حكم الانتفاع من هذا الدم؟ وما حكم تقديمه ضمن الوجبة العلفيّة؟ وما حكم بيعه لهذا الغرض؟ وما حكم بيع هذه الأعلاف الداخل في تركيبها عنصر الدم؟..

فإذا كان هذا الدم المضاف دماً غير مسفوحٍ فلا إشكال فيه لطهارته، ولا ترد عليه مثل هذه التساؤلات، وإنّما الذي يرد عليه التساؤل هو الدم المنقّق على تحريمه وهو الدم المسفوح.

فما الحكم في ضوء ما استجدّ من منافع من دم الميتة وبالتحديد في إطعامه للحيوان عن طريق إدخاله في مركّبات علفه؟.

(1) ينظر: دراسات في قضايا طبيّةٍ معاصرةٍ المصدر السابق.

(2) ينظر: أثر المستجدات الطبيّة في باب الطهارة ص: 275

وعلى القول بنجاسة الدم فإنّ هذه المسألة ترجع إلى أصلٍ اختلف فيه الفقهاء قديماً وهو: (حكم إطعام النجاسة للحيوان مأكول اللحم) وتفرّع على اختلافهم هذا اختلافٌ آخر في مسألة مشهورة في الفقه وهي حكم لحوم الجلالة⁽¹⁾.

فقد ذهب بعض العلماء إلى القول بجواز إطعام النجاسة للحيوان مطلقاً، وبهذا قال المالكيّة والشافعيّة والحنفيّة،⁽²⁾ ومما استدلّ به هؤلاء على قولهم ما رواه البخاريّ عن ابن عمر⁽³⁾ أنّ الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود . الحجر . فاستقوا من بئرها واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة⁽⁴⁾.

وذهب بعضهم إلى القول بالجواز المقيد بالأّ يذبح الحيوان أو يحلب قريباً؛ وهذا القول للحنابلة⁽⁵⁾.

وذهب بعضهم إلى القول بالجواز مع الكراهة؛ وهو قولٌ لبعض الشافعيّة⁽⁶⁾. وعلى هذا اختلف العلماء قديماً في حكم الجلالة ومدى مشروعيتها الانتفاع منها للإنسان بأكل لحمها وبيضها وشرب ألبانها، ومن أسباب اختلافهم هو اختلافهم في

(1) الجلالة في اللغة: مشتقة من الجلة وهي العذرة، وهي البقرة التي تتبع النجاسات. ينظر:

معجم مصطلحات الفقه المالكيّ ص: 52

(2) ينظر: تفسير القرطبي 239/12 وكشاف القناع 294/14 و شرح صحيح البخاري لابن بطّال 431/5 .

(3) "أبو عبد الرحمن" عبد الله بن عمر بن الخطاب، أسلم مع أبيه قبل البلوغ، توفي سنة 73هـ له ترجمة في: الإصابة 167/6 والاستيعاب 308/6

(4) رواه البخاريّ ص: 834 كتاب: أحاديث الأنبياء باب: قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ رقم: 3379

(5) ينظر: كشاف القناع 294/14

(6) نقله النووي في المجموع 32/9

حمل النصوص الواردة في هذا الباب، ومن هذا حملهم النهي الوارد في الحديث الذي روي عن ابن عمر أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها»⁽¹⁾ هل النهي على التحريم أم الكراهة؟ وهذا بيان مذاهبيهم:

الحنفية: الجلالة عند الحنفية هي التي أغلب أكلها من النجاسة؛ وحكمها عندهم أنه يكره أكل لحمها وذلك لتغيره وندته، فإذا تغير لحمها وزال النتن كأن تحبس أياماً أو غير ذلك انتفت الكراهة⁽²⁾.

المالكية: الجلالة عندهم كل حيوان يستعمل النجاسة، جاء في المدونة⁽³⁾ قال مالك: "لو كرهتها لكرهت الطير التي تأكل الجيف" قال مالك: "لا بأس بالجلالة"، وعند بعضهم اسم الجلالة يطلق على ذوات الحواصل من الطير؛ وحكم أكل لحومها جائز ولكنهم اختلفوا في ألبانها⁽⁴⁾.

الشافعية: الجلالة عندهم هي التي تأكل العذرة والنجاسات، وسواءً كانت من الإبل أو البقر أو الغنم أو الدجاج، أما حكمها فالمذهب عندهم أن الجلالة إذا تغير لحمها كره أكله كراهة تنزيه ولا يحرم، وفي هذا سواءً لحمها وبيضها ولبنها.

(1) أخرجه الترمذي ص: 421 كتاب: الأطعمة باب: النهي عن أكل لحوم الجلالة وألبانها رقم: 1824 وقال عنه: حسنٌ غريبٌ، وأبو داود في السنن ص: 681 كتاب: الأطعمة باب: النهي عن أكل الجلالة وألبانها رقم: 3785 والبيهقي في السنن 9/332 كتاب: الأضحية باب: ما جاء في أكل الجلالة وألبانها رقم: 19952

(2) ينظر: البدائع 5/39

(3) 542/1

(4) ينظر: مواهب الجليل 4/346 والبيان والتحصيل 3/369

الحنابلة: الجلالة عندهم هي التي أكثر علفها النجاسة، وحكمها أنها محرمة إذا أريد ذبح الحيوان في الحال، أما إذا لم يرد ذلك وحبست الجلالة ثلاثة أيام وأطعمت الطاهر فإن لحمها يتغير وتصبح حلالاً⁽¹⁾.

وعند النظر في تحديد الفقهاء لمفهوم الجلالة وجدت أن العلماء القائلين بمنع تناولها أو كراهته جعلوا علّة ذلك هو تناولها للنجاسة، ولكنهم اختلفوا في التعبير عن ذلك؛ فمنهم من يقول: الجلالة ما كان أكثر علفها النجاسة، ومنهم من أطلق فقال: ما كانت تأكل النجاسة، وفي نظري: الضابط الأدق في معرفة الجلالة هو تغير لحمها وبنته، فمتى تغير لحمها وبنته فهي جلالة بغض النظر عن القدر الذي أكلته من النجاسة ليقابل بذلك ضابط طهارتها وهو خلق لحمها من رائحة التّن ليحلّ أكلها كما قال بعض الفقهاء.

وبعد هذا العرض المختصر لأقوال علمائنا الأوائل يمكن تلخيص الضوابط التي يمكن بها اعتبار الحيوان من الجلالة، وهي:

أن يكون أكثر أكله النجاسة.

أن يظهر فيه أثر النجاسة كأن يتغير طعمه ولونه أو ينتن لحمه.

ألا يبقى بعد أكله النجاسة مدة من الزمن ليرجع فيه إلى أصله من الطهارة.

فالذي يظهر لي عند وجود هذه الضوابط القول بجواز الانتفاع بها وأكلها مع الكراهة، فإذا انتفت هذه الضوابط ارتفعت الكراهة ورجعت إلى الجواز.

ولكن أقول: هل يمكن القياس بين الجلالة التي قصدها الفقهاء قديماً وبين جلالة اليوم التي تتناول النجاسة والتي منها الدم؟

وللإجابة أقول: من الناحية النظرية نعم يمكن، فتلك التي يتكلم عنها الفقهاء قديماً جلالة؛ لأن أغلب أكلها النجاسة، والتي تأكل العلف المختلط بالنجاسة اليوم كذلك

(1) ينظر: كشاف القناع 293/14

هي جلالّة، ولكن الذي نراه اليوم في الواقع العمليّ يظهر لنا فرقاً كبيراً بين جلالّة الأمس وجلالّة اليوم!! فالحيوانات اليوم في أغلب بلاد المسلمين باتت تعتمد على أعلافٍ واردةٍ إليها من بلادٍ في الغالب غير مسلمةٍ من مستحليّ الميتة والدم والخنزير؛ بل إنّ بعضهم يتلذذ بأكل الميتة وغيرها من المحرّمات، وحتى الدول المصنّعة محليّاً للأعلاف أغلبها تعتمد في التصنيع على موادّ خامٍ واردةٍ، فأغلب أعلاف اليوم التي تعطى للحيوانات غير معروفة المصدر ولا التركيب، وحتى وإن قلنا بأنّ المسلم غير ملزمٍ بمعرفة هذه الدقائق وله أن يأكل لحوم آكلة هذه الأعلاف، فلا نستطيع أن ننكر آثارها في عالمنا اليوم، فاللحوم ومشتقاتها أصبحت اليوم في الغالب مصدراً للأمراض المزمنة، وفقدت طعمها حتى لا نكاد نأكل منها طيباً، وأصبح الطبّ الحديث اليوم يحذّر من تناولها ولا يحبّذها.

أليست هذه الآثار التي نعيشها اليوم كافيةً بأنّ الكراهة التي قال بها العلماء قديماً هي اليوم أكثر تأكيداً إن لم تصل إلى التحريم؟!

إنّ تحقّق الضرر أو توقّعه يحتمّ علينا الوقوف بجديّةٍ لوضع الحلول لمثل هذه المسائل، فالانتفاع من الأعيان من أهمّ شروطه ألا يكون فيه ضررٌ على المسلم. فإذا اعتمد المسلمون على أنفسهم في توفير أعلاف حيواناتهم، وإذا راقبوا بدقّة ما يرد إليهم من أعلافٍ من غيرهم، وإذا نهض علماءهم لتوفير بدائل عن النجاسات العينيّة بأشياء أخرى للاستغناء عنها قدر الإمكان؛ عندها يمكن القول بأنّه يجوز الانتفاع بالجلالّة اليوم في الأكل وغيره؛ ويجوز كذلك بيعها وشراؤها.

والخلاصة: الذي يظهر لي . والله أعلم . أنّ الانتفاع من لحوم الحيوانات التي تأكل الأعلاف التي تحتوي على الدم المسفوح جائزٌ مع الكراهة؛ وذلك بقياسه على الجلالّة، فالواضح من خلال المراحل التي تمرّ بها صناعة الأعلاف أنّه لا يبقى أثرٌ لنجاسة الدم لقلّتها؛ ولتحولها تماماً إلى مادّةٍ أخرى بعد مرورها بتلك المراحل التصنيعيّة، زد على ذلك ما يحدث للأعلاف عند مرورها بتلك الدورة الهضميّة

الطبيعية في جوف الحيوان بعد تناوله لهذه الأعلاف، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّرِبِينَ ﴾⁽¹⁾ وأيضاً القول بالجواز على القول بنظرية الاستحالة، لاستحالة الدم في الخلطة العلفية إلى مادة أخرى، ولكن كل ذلك بشرط عدم الضرر؛ فإذا وجد ضررٌ حرم الانتفاع وبالتالي البيع..... والله تعالى أعلم

خاتمة....

- بعد هذا العرض السريع لأحكام الميتة وأجزائها ومن خلال التطبيق المعاصر للانتفاع من أجزائها توصل الباحث للنتائج الآتية:
- الميتة وأجزؤها محرمة باتفاق، وقد وردت النصوص صريحة بذلك.
 - تحريم أكل الميتة وما في معناه أكد في التحريم للتخصيصه، وقد وردت بذلك النصوص.
 - الانتفاع بالميتة في غير الأكل يخضع لضوابط كثيرة.
 - الانتفاع من دم الميتة بإدخاله في الصناعات الغذائية الذي يباشر الإنسان استهلاكها لا يجوز، وهو يتبع أكل الميتة في التحريم.
 - الراجح والله أعلم في أكل الجلالة الجواز مع الكراهة وخاصة مع تغير لحمها.
 - كذلك لا يمكن قياس ما دخل فيه بعض أجزاء الميتة من الصناعات الغذائية على الجلالة لوجود الفارق.
 - يتوقف القول بالجواز أو عدمه على تحقق الاستحالة التامة وهي لم تثبت هنا.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية قالون عن نافع
2. أثر المستجدات الفقهية في باب الطهارة . زايد نواف عواد الدويري . دار النفائس . ط: الأولى 1427هـ 2007م.
3. الإجماع لابن المنذر أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري . مكتبة الفرقان . ط: الثاني
4. أحكام القرآن . أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي (543) . دار الكتب العلمية . راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية بيروت لبنان . ط: الثالثة 1424هـ 2003م.
5. أحكام القرآن . الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص . تحقيق محمد الصادق قمحاوي . دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان . ط: 1412هـ 1992م.
6. بداية المجتهد ونهاية المقتصد . أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (ت595هـ) . دار المعرفة . ط: السادسة 1402هـ 1982م.
7. البيان والتحصيل في الشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة . أبو الوليد بن رشد القرطبي . تحقيق الدكتور محمد حجي . دار الغرب الإسلامي . ط: الثانية 1408هـ 1988م.
8. البيوع الشائعة وأثر ضوابط المبيع على شرعيتها . محمد توفيق رمضان البوطي . دار الفكر بيروت . ط: 1422هـ 2001م
9. البيوع المحرمة والمنهي عنها دراسة فقهية مقارنة . عبد الناصر خضر ميلاد . دار الهدي النبوي مصر . ط: الأولى 1426هـ 2005م.

10. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب . محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر . دار الفكر للطباعة . ط: الأولى 1401هـ . 1981م.
11. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة وآي الفرقان . أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي . (ت671هـ) . تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي . مؤسسة الرسالة . ط: الأولى 1427هـ 2006م.
12. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير . شمس الدين الشيخ محمد بن عرفة الدسوقي وبهامشه الشرح المذكور مع تقارير للعلامة المحقق سيدي الشيخ محمد عlish . دار إحياء الكتب العربية . ط: بلا.
13. الدراري المضية شرح الدرر البهية 26/1 للإمام محمد بن علي الشوكاني . مكتبة التراث الإسلامي . ط: بلا.
14. دراسات في قضايا طبية معاصرة . عمر سليمان الأشقر وآخرون . دار النفائس الأردن . ط: الأولى 1421هـ 2001م.
15. الذخيرة . شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت654هـ) . تحقيق الدكتور محمد حجي . دار الغرب الإسلامي . ط: الأولى 1994م.
16. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي . تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية . ط: السابعة والعشرون 1415هـ . 1994م.
17. شرح أبي عبد الله محمد الخرشني على المختصر الجليل للإمام أبي الضياء خليل المعروف بالجندي . المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية . ط: بلا.

18. شرح صحيح البخاري لابن بطلال . أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك . ضبط نصه وعلق عليه أبو تمام ياسر بن إبراهيم . مكتبة الرشد الرياض . ط: بلا.
19. الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق . لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي(684هـ) . ومعه إدرار الشروق على أنوار الفروق للإمام أبي القاسم قاسم بن عبد الله ابن الشاط(ت723هـ). وبحاشية الكتابين تهذيب الفروق والقواعد السننية في الأسرار الفقهية لشيخ محمد علي المكي المالكي . . دار الكتب العلمية بيروت لبنان . ط: الأولى 1418 هـ 1998م.
20. الكافي . لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي(ت 620هـ) . تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي . هجر للطباعة والنشر . ط: بلا.
21. كشاف القناع عن الإقناع . للشيخ العلامة منصور بن يونس البهوتي الحنبلي . تحقيق وتخريج لجنة متخصصة في وزارة العدل . وزارة العدل في المملكة العربية السعودية . ط: الأولى 1421 هـ 2000م.
22. المجموع شرح المذهب للشيرازي . لأبي زكرياء محي الدين بن شرف النووي . تحقيق محمد نجيب المطيعي . مكتبة الإرشاد جدة . ط: بلا.
23. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي . مكتبة لبنان . ط: بلا.
24. المدونة الكبرى . للإمام مالك بن أنس(ت179هـ) ويليها مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضه المدونة من الأحكام لابن رشد . دار الكتب العلمية بيروت لبنان . ط: الأولى 1415 هـ 1994م.
25. المستخلص من النجس وحكمه في الفقه الإسلامي لـ نصري راشد قاسم . مكتبة

- الصحابة . ط: الأولى.
26. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي . أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت 770هـ) . طبع بالمطبعة الميمنية . ت: ط: بلا.
27. المغني شرح مختصر المزني . لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت 620هـ) . تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو . دار عالم الكتب الرياض . ط: الأولى 1417هـ 1997م.
28. المواد المحرمة في الغذاء والدواء بين النظرية والتطبيق . نزيه حماد . دار القلم دمشق . ط: الأولى 1425هـ 2004م.
29. مواد نجسة في الغذاء والدواء بحث فقهي مقارن . للدكتور عبد الفتاح محمود إدريس . ط: الأولى 1417هـ 1997م.
30. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل . لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني (ت 954)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: الأولى 1416.1995.

الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد

د. جمعة عبد الرحمن غيث*

المقدمة :

لقد حظى مفهوم الصلابة النفسية باهتمام كبير لدى الباحثين في علم النفس بصفة عامة وفي علم النفس الشخصية بصفة خاصة، فقد انصب تفكير الكثير من المنظرين الذين تناولوا موضوع الشخصية على الصلابة النفسية بوصفه متغير محوريا من متغيرات الشخصية التي تساعد الأفراد على التوافق النفسي مع مواقف الحياة المختلفة التي يتعرضون لها، حيث يعيش الإنسان اليوم في عصر يشهد ثورة في مجال المعلوماتية والتواصل بحيث يمكن القول: إن هذا المجال من أكثر المجالات تقدما إن لم يكن أكثرها على الإطلاق، فهذا المجال المذهل لفت نظر الإنسان إليه، فجعله يهتم به إلى الحد الذي قد يضر بسلوك الإنسان، والواقع إن ضغوط الحياة وأحداثها الحرجة هي من طبيعة الوجود الإنساني، وركن أساسي من أركان الحياة بجوانبها الإيجابية منها والسلبية، ولا يمكن أن تخلو الحياة منها، وتزداد الضغوط كماً وكيفاً مع تعقد الحضارة وتسارع إيقاعات العصر وتحدياته التي قد تصل في بعض الأحيان إلى استهداف الإنسان نفسه، إلا أن ذلك لا يحدث مع كل الأفراد، فقد لوحظ أن بعضهم يحتفظون بمستوى عالٍ من الأمن النفسي، الأمر الذي يجعلنا نعطي أهمية كبيرة لشخصية الفرد بكل جوانبها ومصادر مقاومتها للضغوط النفسية والمتغيرات التي تساعد الفرد على التوافق النفسي مع الأحداث

*عضو هيئة تدريس بكلية التربية جامعة بني وليد.

الضاغطة، حيث اتضحت إن من بين تلك المصادر المقاومة للاضطرابات النفسية ما يسمى بالصلابة النفسية التي تتمثل في مجموعة من الخصائص النفسية التي تتضمن الالتزام ووضوح الهدف والتحكم والتحدي وهذه الخصائص من شأنها أن تحافظ على الصحة النفسية والجسمية والأمن النفسي عندما يتعرض الفرد للأحداث الضاغطة.

إن مفهوم الصلابة النفسية **Psychological Hardines** قد حاز على اهتمام الكثير من الباحثين في الدراسات النفسية التي أُجريت في السنوات الأخيرة حيث تم الكشف عن متغيرات عديدة ترتبط بمفهوم الصلابة النفسية مثل القلق والاكتئاب والتفاؤل والتشاؤم وغيرها من المتغيرات (حمادة لؤلؤة وآخرون 2002 : 230).

لاشك أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحروب والأزمات المتعددة التي يعيشها المواطن الليبي اليوم تؤدي إلى العديد من الاضطرابات والمشاكل النفسية والعقلية، نتيجة المعاناة التي باتت تشكل المظاهر البارزة للحياة اليومية، ويواجه المجتمع الليبي تحديات جسيمة تهدد سلامته وأمنه، وقد أدت الظروف السياسية والأمنية غير المستقرة إلى حدوث تغيرات ثقافية واجتماعية انعكست على جميع فئاته بشكل عام وعلى الشباب بوجه خاص، وزادت مشكلاتهم بشكل كبير في السنوات الأخيرة بسبب ثقافة العنف التي لم يشهدها المجتمع الليبي من قبل.

ويشير عبد الرحمن أبو ندى 2007 إلى أن الأشخاص الأكثر صلابة نفسية ليس من الصعب عليهم أن يلزموا أنفسهم بما يفعلونه، ويعتقدون أن في قدرتهم التحكم في أحداث الحياة الضاغطة وينظرون إليها على أنها تحدي طبيعي يسمح لهم بالنمو، وعند إدراكهم لأحداث الحياة الضاغطة يمكنهم اتخاذ القرارات الصائبة،

ويصنعون أولويات في حياتهم وأهدافاً وأنشطة أخرى أكثر تعقيداً وقيمونها على أنها قدرات إنسانية مهمة (عبد الرحمن أبو ندى 2007: 22).

إن الصلابة النفسية عاملٌ أساسي في مواجهة العديد من الاضطرابات النفسية والأحداث الضاغطة والمؤلمة، فهي بمثابة القوة الداخلية التي تُعين الفرد على مواجهة الصعاب ليتمكن من المضي قُدماً في الحياة، ويرجع الفضل في استخدام مفهوم الصلابة النفسية إلى سوزان كوبازا Souzan Kobass 1982 التي تُعد أول من درست مصطلح الصلابة النفسية، متأثرة بأعمال فيكتور فرانكل Victor Frankel مؤسس مدرسة العلاج بالمعنى، حيث عرفت الصلابة النفسية بأنها مجموعة من السمات التي تتمثل في اعتقاد أو اتجاه عام لدى الفرد في فاعليته وقدرته على استغلال كل المصادر النفسية والبيئية المتاحة، كي يدرك بفاعلية أحداث الحياة الضاغطة الشاقة إدراكاً غير محرّف أو مشوه، ويفسرها بواقعية ومنطقية وموضوعية، ويتعايش معها على نحو إيجابي، وتمثل أبعاد الصلابة النفسية، وقد حددها بثلاثة أبعاد هي: (الالتزام والتحكم والتحدي) (عماد مخيمر 1996 : 227).

هذا، وقد توسعت الجهود البحثية في السنوات الأخيرة حول مفهوم الصلابة النفسية، وذلك بهدف التعمق في فهم الدور الذي يمكن أن تؤديه كمتغير وقائي من الأحداث والأزمات الحياتية، وكذلك للتعرف على مكوناتها وأبعادها وخصائصها، وعلاقتها بالمتغيرات النفسية الأخرى.

مشكلة الدراسة:

تُعد الصلابة النفسية أحد السمات الشخصية التي تساهم بشكل فعال في الحفاظ على الصحة النفسية والجسمية للفرد، كما تُعد في مقدمة الصفوف الأمامية في

مقاومة انهيار البناء النفسي له، حيث إنها تقوم بدور كبير في امتصاص ما تخلفه الضغوط النفسية نتيجة الأحداث الضاغطة التي يمر بها، وهي بذلك تكون بمثابة مصدرٍ للمقاومة والصمود، والوقاية من الآثار الجانبية التي تكون بسبب الضغوط على الصحة النفسية والجسمية للأفراد، وأن الأفراد الأكثر صلابة نفسية أقل تعرضاً للضغوط النفسية، وأنهم أكثر إنجازاً وقيادة وأكثر ضبطاً داخلياً، كما يتميزون بالنشاط والواقعية والمرونة في مواجهة الأحداث، وانطلاقاً مما سبق سوف تركز هذه الدراسة على معرفة مستوى الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد، وتحدد مشكلة الدراسة بالأسئلة الآتية:

1 - ما مستوى الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد ؟

2 - هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أبعاد الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية ترجع لمتغير الجنس ؟

3 - هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أبعاد الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية ترجع لمتغير التخصص الدراسي ؟

أهمية الدراسة:

لقد حظيت الصلابة النفسية حديثاً باهتمام الكثير من الباحثين، حيث درست على نطاق واسع في دراسات كوبازا بهدف معرفة المتغيرات النفسية والاجتماعية التي تكمن وراء احتفاظ الأفراد بصحتهم النفسية والجسمية رغم تعرضهم للأحداث الضاغطة وقدرتها على مواجهة الأحداث والاضطرابات التي تواجه الإنسان اليوم، وعلى الرغم من كثرة الأساليب النفسية والوقائية وتعددتها وتنوعها في حماية الذات الإنسانية من تصدع البناء النفسي، برزت أساليب نفسية تُعد من أساسيات الصحة

النفسية التي تسهم إلى حد كبير في قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع الآخرين، فكانت الصلابة النفسية أو المناعة النفسية أو المقاومة النفسية أحد الأساليب الفعالة التي يستخدمها الفرد في الحفاظ على صحته النفسية والجسمية، وتكمن أهمية الدراسة الحالية:

1- تتبثق أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوعها وهو الصلابة النفسية باعتبارها أحد المصادر الوقائية من الاضطرابات النفسية.

2 - ندرة البحوث والدراسات التي تناولت الصلابة النفسية في البيئة المحلية، ومن هنا يمكن القول بأن هذه الدراسة تعد من الدراسات الرائدة في هذا المجال.

3 - تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تكشف عن مستوى الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد حيث إنهم يتعرضون للكثير من الأحداث الضاغطة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- معرفة مستوى الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد.

2- معرفة مدى تأثير متغير الجنس على أبعاد الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية.

3- معرفة مدى تأثير متغير التخصص العلمي على أبعاد الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد.

4- وضع المقترحات في ضوء نتائج هذه الدراسة التي تسهم في الارتقاء ببرامج الإرشاد النفسي لتنمية الجوانب الإيجابية للصلابة النفسية لدى الطالب الجامعي لمواجهة الشدائد.

مصطلحات الدراسة:

الصلابة النفسية: هي مجموعة من السمات الشخصية تعمل كمصدر وقائي لأحداث الحياة الشاقة، وأنها تتمثل في اعتقادٍ أو اتجاهٍ عامٍ لدى الفرد في فاعليته وقدرته على استغلال كافة مصادره النفسية والبيئية المتاحة، كي يدرك بفاعلية أحداث الحياة الشاقة إدراكاً غير محرّف أو مشوه، ويفسرهما بواقعية ومنطقية وموضوعية ويتعايش معها على نحو إيجابي، وأنها تتضمن ثلاثة أبعاد رئيسية، وهي (الالتزام والتحكم والتحدي) (عماد مخيمر 1996: 227).

التعريف الإجرائي للصلابة النفسية هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها الطالب من خلال استجابته على مقياس الصلابة النفسية المستخدم في هذه الدراسة.

حدود الدراسة: تتحدد هذه الدراسة بدراسة الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد لفصل الربيع 2020 م

الإطار النظري والدراسات السابقة:

أولاً- الإطار النظري

مفهوم الصلابة النفسية Psychological Hardiness

يُعد مفهوم الصلابة النفسية من المفاهيم الحديثة نسبياً حيث بدأ يشكل أحد الخصائص النفسية الهامة للفرد في مواجهة العديد من الأحداث الضاغطة والمتعددة والمتتالية بنجاح، فقد كانت كوبازا أول من وضع الأساس لمصطلح الصلابة النفسية، حيث لاحظت أن بعض الأفراد يستطيعون تحقيق ذواتهم واستغلال إمكانياتهم الكامنة الاستغلال الأمثل رغم تعرضهم للكثير من الإحباطات والضغوط، لذلك كانت ترى وجوب التركيز على الأشخاص الأسوياء الذين يشعرون

بقيمتهم ويحققون ذواتهم، أي الذين يتحدثون الصعاب والمشكلات التي يتعرضون لها في حياتهم، وليس الأفراد ذوي الشخصية المحبطة والمستسلمة، حيث اشتقت هذا المصطلح من الفكر الفلسفي الذي يرى أن الإنسان في حالة صيرورة مستمرة، والذي يركز في تفسيره لسلوك الإنسان على المستقبل وليس على الماضي، وأن دافعية الفرد تتبع أساساً من البحث المستمر النامي عن المعنى والهدف من الحياة، وأن الأفراد الذين تتسم شخصياتهم بالصلابة النفسية يتميزون بمقدرة عالية على مقاومة النتائج السلبية والمؤلمة للأحداث الضاغطة والشاقة (تهيد عادل 2011 : 33).

لقد تعددت تعريفات الصلابة النفسية حيث لا يوجد تعريف واحد محدد يعترف به جميع المشتغلين في هذا الميدان، إلا أن التعريف الأكثر شيوعاً والذي حاز على القبول لدى غالبية المختصين هو تعريف سوزان كوبازا 1982 حيث عرفت الصلابة النفسية بأنها: مجموعة من السمات الشخصية تعمل كمصدر وقائي لأحداث الحياة الشاقة، وأنها تتمثل في اعتقادٍ أو اتجاهٍ عامٍ لدى الفرد في فاعليته وقدرته على استغلال كافة مصادره النفسية والبيئية المتاحة، كي يدرك بفاعلية أحداث الحياة الشاقة إدراكاً غير محرفٍ أو مشوه، ويفسرها بواقعية ومنطقية وموضوعية ويتعايش معها على نحو إيجابي، وأنها تتضمن ثلاثة أبعاد رئيسية وهي: (الالتزام والتحكم والتحدي) .

عرفها فنك 1992 FUNK بأنها سمة عامة في الشخصية تعمل الخبرات البيئية المتنوعة على تكوينها وتنميتها لدى الفرد منذ الصغر (رجاء محمود 2016 : 356).

وعرفها عماد مخيمر 1996 بأنها نمط من التعاقد النفسي يلتزم به الفرد اتجاه نفسه وأهدافه وقيمه والآخرين من حوله وإيمانه بقدراته التي يستطيع بها التحكم في ما يعترضه من أحداث يتحمل المسؤولية عنها، وله القدرة على تغييرها إلى عامل من عوامل النمو أكثر من كونها تمثل تهديداً أو عائقاً له في تحقيق أهدافه (عماد مخيمر 1996 : 284).

وعرفتها جيهان محمد 2002 بأنها مجموعة متكاملة من الخصال الشخصية ذات الطبيعة النفسية والاجتماعية تضم الالتزام والتحدي والتحكم (جيهان محمد 2002 : 35).

ويعرفها بشير دخان 2007 بأنها اعتقاد عام لدى الفرد في فاعليته وقدرته على استخدام كل المصادر النفسية والبيئية المتاحة (بشير دخان 2007 : 335).

ويعرفها مجدي عبد الكريم 2006 بأنها القدرة العالية على المواجهة الإيجابية للضغوط، وتعكس مدى اعتقاده في فاعليته على الاستخدام الأمثل لكل المصادر المتاحة كي يدرك ويفسر ويواجه أحداث الحياة ويحقق الإنجاز (محمود مجدي 2006 : 75).

ويعرفها كونسينتوفا بأنها عبارة عن أفعال من جانب الفرد تقيم وتواجه الأحداث الضاغطة والتي يمكن أن تؤثر على صحته، فتعمل مكونات الصلابة النفسية على تهيئة الفرد ليقوم بالأحداث الضاغطة فيجعلها أقل تهديداً وأنه أكثر كفاءة في مواجهتها (مدحت عباس 2010 : 174).

يتضح من التعريفات السابقة لمفهوم الصلابة النفسية، أنها تتفق فيما بينها على أن الصلابة النفسية تعد جوهر الشخصية السوية التي تزرع عند الفرد روح التحدي

وتقوي من عزمته، ليتطلع نحو مستقبل أفضل للحياة وليكون أكثر إيجابية في مواجهة الأحداث الضاغطة، لذلك كانت الصلابة النفسية عند البعض عاملاً مهماً وحيوياً من عوامل الشخصية التي تُمكن الفرد من استغلال قدراته الكامنة الاستغلال الأمثل لتحسين أدائه والمحافظة على صحته النفسية والجسدية، وهي مصدر من مصادر الشخصية الذاتية لمقاومة الآثار السلبية الناتجة عن الأحداث والأزمات والمخثقات.

أبعاد الصلابة النفسية

يتضح من الدراسات التي أجريت في مجال الصلابة النفسية أنها تتكون من ثلاثة ابعاد رئيسية هي (الالتزام، التحكم، التحدي) و هي تمثل كلاً متكاملًا، لا يمكن الفصل بينها، وتعمل كمتغير سيكولوجي يخفف من وقع الأحداث الضاغطة على البناء النفسي للفرد، مما يعطي دافعا وتشجيعا لمقاومة هذه الأحداث بفعالية وعزيمة قوية تقبل التحدي ، وأنها ترتبط بارتفاع قدرة الفرد على تحدي ضغوط البيئة وأحداث الحياة وتحويلها إلى فرص للنمو الشخصي، كما أن نقص هذه الأبعاد الثلاثة بشكل عام يوصف بأنه احتراق نفسي، ولا يكفي بُعدا واحدا من مكونات الصلابة النفسية الثلاثة لتمدنا بالشجاعة والإقدام لتحويل هذه الأحداث إلى أمور أكثر إيجابية، فهي مركب يتكون من ثلاثة ابعاد مستقلة نحتاجها جميعا لمواجهة الأزمات ، وهذه الأبعاد هي:

– الالتزام Commitment

يعتبر بُعد الالتزام من أكثر مكونات الصلابة النفسية ارتباطاً بالدور الوقائي ، بوصفه مصدراً لمقاومة الأحداث الضاغطة، وتؤكد سوزان كوبازا على أن مكون الالتزام يمثل قدرة الفرد على إدراك أهمية و قيمة ذاته وأهدافه وتقدير امكانياته

ليكون لديه هدفا يسعى لتحقيقه، وكذلك قدرته على اتخاذ القرارات التي تعزز التوازن والتراكيب الداخلية، فالالتزام يمثل الالتزام الذاتي من جانب الفرد نحو نفسه وقيمه ونحو الآخرين، وهذا المكون يشير إلى تبني الفرد لقيم ومبادئ ومعتقدات محددة ومقدار تمسكه بها وتحمله المسؤولية الشخصية اتجاه نفسه ومجتمعه، والتعامل مع الأحداث الشاقة كأحداث هادفة وذات معنى، وهذا يعكس مدى الصلابة النفسية للفرد (مدحت عباس 2010 : 176).

– التحكم Control

يشير إلى اعتقاد الفرد بأن ظروف الحياة ومواقفها المتغيرة التي يتعرض لها أمور متوقعة الحدوث ويمكن التنبؤ بها والسيطرة عليها، وهذا لا يعني التوقع الساذج لتحديد نتائج أحداث الحياة، وإنما يعني إدراك الذات على أنها ذا تأثير واضح من خلال ممارسة التفكير والمعرفة والمهارة والاختيار ويتضمن التحكم القدرة على اتخاذ القرار وتفسير الأحداث ويعزز القدرة على المقاومة الفعالة للضغوط النفسية من خلال استخدام العمليات الفكرية للتحكم في الأحداث لتقلل الآثار السلبية للمشقة إذا ما تم على نحو إيجابي (فائقة بدر 2007 : 130).

– التحدي Challeng

يشير هذا البُعد إلى أن التغيير المتجدد في أحداث الحياة هو أمر طبيعيٍّ وحتمي ولا بد منه بدلاً من الاستقرار، لارتفاع الفرد أكثر من كونه تهديداً لأمنه وثقته بنفسه وسلامته النفسية، وأن التغييرات ماهي إلا حوافز مثيرة للاهتمام والنمو بدلاً من التهديد للأمن وهو بُعد يخفف من وطأة الحياة على الجانب الحسي، أو الإدراكي من خلال تلوين الأحداث كمثيرات للنمو والانفتاح والمرونة والتقييم الفعال للأحداث المتناقضة، ويظهر في قدرة الفرد على التكيف مع مواقف الحياة الجديدة وتقبلها

بكل ما فيها من مستجدات إيجابية أو سلبية باعتبارها أموراً طبيعية لا بد من حدوثها لنموه وارتقائه (سمير محمد وآخرون 2015 : 451).

النظريات المفسرة للصلابة النفسية

— نظرية سوزان كوبازا 1982: لقد قدمت كوبازا نظرية رائدة في مجال الوقاية من الإصابة من الاضطرابات النفسية والجسدية تناولت خلالها العلاقة بين الصلابة النفسية بوصفها متغيراً حديثاً في هذا المجال، ولقد اعتمدت هذه النظرية على عدد من الأسس النظرية والتجريبية حيث تمثلت الأسس النظرية في أن حياة الفرد الصعبة ليس لها معنى أو هدف، مالم تعتمد بالدرجة الأولى على قدراته الشخصية واستغلال هذه القدرات الاستغلال الأمثل، ومن أهم النماذج التي اعتمدت عليها هذه النظرية (البنية الداخلية للفرد - الأسلوب الإدراكي المعرفي - الشعور بالتهديد أو الإحباط) وقد اعتمدت كوبازا في نظريتها على افتراضٍ أساسي، وهو أن تعرض الفرد للأحداث الحياتية الشاقة يعد أمراً ضرورياً بل إنه حتمي وطبيعي لا مفر منه، فواقع الحياة محفوف بالعقوبات والصعوبات وأشكال الفشل والأحداث الشاقة ، ونحن لا نستطيع تجنب ذلك ولا يمكننا الهروب من متطلبات التغيير في النمو الشخصي في أي مرحلة من مراحل حياتنا ، وأن الفرد يواجه تلك الأحداث بما يملكه من مصادر تتمثل في المعرفة والمهارات والقدرات اللازمة لإدارة متطلبات الحياة، ويقوم الفرد بعملية التقييم المعرفي وهي العملية التي من خلالها يُقيم الفرد أهمية تلك المتطلبات ويقرر ما إذا كان لها تأثير إيجابي أو سلبي، فإذا تجاوزت مصادر الفرد المتطلبات فيتم تقييم المتطلبات على أنها تحد وليس تهديداً، ولكن عندما تتجاوز تلك المتطلبات مصادر الفرد فيتم تقييمه كتهديد للفرد أو أن الفرد عرضة للتهديد، وأن المصادر الاجتماعية والنفسية الخاصة بكل فرد قد تقوي وتزداد عند التعرض لتهديد الأحداث، ومن أبرز هذه المصادر الصلابة النفسية بكافة أبعادها، ولقد

فسرت كوبازا العلاقة بين الصلابة النفسية والوقاية من الإصابة بالأمراض من خلال الخصال المميزة للأفراد مرتفعي الصلابة النفسية بالإضافة إلى الأدوار الفعالة التي تقوم بها الصلابة النفسية للتقليل من التعرض للأحداث الضاغطة (زينب نوفل 2008 : 122).

- نظرية متلازمة التكيف العام لهانز سيللي

قدم هذه النظرية العالم الفسيولوجي هانز سيللي وسماها متلازمة التكيف العام وهي عبارة عن سلسلة من الاستجابات الفسيولوجية يقابل الجسم بها الضغوط النفسية من أجل إحداث التوازن والاستقرار، وهذه الاستجابات الفسيولوجية تمر بثلاث مراحل هي:

- مرحلة الإنذار أو التنبه: وفي هذه المرحلة يقوم الجسم باستدعاء كافة قواته الدفاعية لمواجهة الخطر الذي يهدد كيانه الشخصي.

- مرحلة المقاومة: وتتكون هذه المرحلة نتيجة المواقف الضاغطة التي يتعرض لها الفرد فتختفي التغيرات الأولى وتظهر تغيرات جديدة تدل على التكيف مع الموقف.

- مرحلة الاستنزاف: ويصل الفرد إلى هذه المرحلة عندما يفشل في مقاومة الأحداث الضاغطة وتطول فترة التهديد (حمود عامر 2016 : 28).

نظرية التقييم المعرفي لازاروس وفلوكمان

وهذه النظرية تشير إلى تأثير الأحداث الضاغطة على تقييم الأفراد لأحداث الحياة حيث ترى هذه النظرية أن الأحداث التي يمر بها الأفراد ماهي أحداث نوعية ونسبية في نفس الوقت فهي تختلف من فرد لآخر، وبذلك سوف تختلف استجابة كل فرد عن الآخر في الدرجة وفي النوع وتشمل هذه النظرية ثلاث جوانب رئيسية

هي (الأحداث الضاغطة - عملية التقييم - أساليب المواجهة) (عبدالله الشهري 2015 : 23).

اهمية الصلابة النفسية

إن الصلابة النفسية مركب مهم من مركبات الشخصية التي تقي الإنسان من آثار المثيرات الحياتية الضاغطة وتجعل الفرد أكثر مرونة وتفاءلاً وقابلية للتغلب على المشاكل التي يتعرض لها في حياته، كما تعمل الصلابة النفسية كعامل حماية من الأمراض النفسية والجسمية، فتقوم بتعديل عملية الإدراك للأحداث فتجعلها أقل وطأة على تفكير الفرد ، ومن تم تؤدي إلى أساليب مواجهه نشطة تنقله من حال إلى حال أفضل منه، وتقيد ايضاً في التأثير في أساليب المواجهة بشكل غير مباشر من خلال تأثيرها الاجتماعي (عبد اللطيف حسن 2002 : 32).

إن إدراك وتقييم جميع جوانب الحياة تساعد الشخصية الصلبة على إيجاد فرص للتدريب واتخاذ القرارات الصائبة والتأكيد على أولويات الحياة، ووضع أهداف جديدة وتقدير الأنشطة المعقدة كالقدرات الهامة للأفراد والقدرة على تقييم الأحداث في إطار خطة الحياة اليومية، ولن يصل الفرد إلى تحقيق هذا ما لم يكن من ذوي الصلابة النفسية فهي اساس قدرة الفرد على المواجهة الناجحة لضغوطات الحياة والبقاء بصحة جيدة.

ثانياً : الدراسات السابقة

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة التي تتعلق بالصلابة النفسية، تبين أن هناك العديد من الدراسات المتنوعة التي تناولت العلاقة بين الصلابة النفسية وغيرها من

المتغيرات الأخرى لذلك سوف نعرض بعض الدراسات التي تناولت الصلابة النفسية بشكل عام.

- دراسة بُتينة منصور 1995 بعنوان الصلابة الشخصية وعلاقتها بأساليب التعامل مع ضغوط الحياة ، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الصلابة الشخصية وأساليب التعامل مع ضغوط الحياة ، وقد تكونت عينة الدراسة من (400) طالب وطالبة ، وقد أشارت نتائج الدراسة عن وجود مستوى مرتفع من الصلابة النفسية لدى عينة الدراسة ، كما أشارت إلى وجود فروق بين الذكور والإناث لصالح الذكور.

دراسة عماد مخيمر 1997 بعنوان الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية كمتغيرين من متغيرات المقاومة والوقاية، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية على الوقاية من آثار الأحداث الضاغطة ، وقد تكونت عينة الدراسة من (171) طالب وطالبة، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق بين الذكور والإناث في الصلابة النفسية لصالح الذكور.

- دراسة بشير الحجازي 2006 بعنوان الصلابة النفسية وعلاقتها بمستوى الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة الإسلامية، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الصلابة ومستوى الضغوط النفسية، وقد تكونت عينة الدراسة من (541) طالب، وقد أشارت نتائج إلى وجود علاقة ارتباطية قوية بين الصلابة النفسية ومستوى الضغوط النفسية لدى عينة الدراسة .

- دراسة سالم المفرجي 2008 بعنوان الصلابة النفسية وعلاقتها بالأمن النفسي لدى طلاب الجامعة، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الصلابة والأمن النفسي، وقد تكونت عينة الدراسة من (445) طالبا، وقد أظهرت النتائج وجود

علاقة ارتباطية موجبة بين الصلابة والأمن النفسي، وأشارت إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث.

- دراسة هويدا نور 2012 بعنوان الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مستوى الصلابة، وقد تألفت عينة الدراسة من (249) طالبًا، وقد أظهرت النتائج وجود مستوى مرتفع للصلابة النفسية لدى أفراد عينة الدراسة.

- دراسة خالد العبدلي 2012 بعنوان الصلابة النفسية وعلاقتها بأساليب مواجهة الضغوط النفسية، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الصلابة النفسية وأساليب مواجهة الضغوط النفسية، وقد اشتملت عينة الدراسة على (200) طالب وطالبة، وقد أشارت نتائج الدراسة عن وجود مستوى مرتفع من الصلابة النفسية لدى عينة الدراسة، كما أشارت إلى وجود فروق في مستوى الصلابة النفسية بين الطلبة المتفوقين والطلبة العاديين لصالح الطلبة المتفوقين.

- دراسة الحسين سيد 2012 بعنوان النفسية وعلاقتها بالمساندة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية، وقد تكونت عينة الدراسة من (412) طالبًا وطالبة، وقد أشارت نتائج الدراسة عن وجود مستوى مرتفع من الصلابة النفسية لدى عينة الدراسة، كما أشارت إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في الصلابة النفسية، كما أسفرت عن وجود علاقة ارتباطية بين الصلابة النفسية وبالمساندة الاجتماعية.

- دراسة أسماء زهاني 2014 بعنوان الصلابة النفسية وعلاقتها بأساليب مواجهة الضغوط النفسية، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الصلابة النفسية وأساليب التعامل مع ضغوط الحياة، وقد بلغت عينة الدراسة (30) معلمة، وقد

توصلت الدراسة إلى وجود مستوى مرتفع من الصلابة النفسية لدى المعلمات، وأن هناك علاقة قوية الصلابة النفسية وبأساليب مواجهة الضغوط النفسية.

- دراسة فتحية العربي 2014 بعنوان مدى تمتع الشباب الجامعي بالصلابة النفسية في مواجهة بعض الضغوط الحياتية المعاصرة، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مستوى الصلابة النفسية وجودة الحياة لدى طلاب جامعة الزاوية، وقد بلغت عينة الدراسة (127) طالب وطالبة، وقد أشارت نتائج الدراسة عن وجود مستوى مرتفع من الصلابة النفسية لدى عينة الدراسة، كما أشارت إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في الصلابة النفسية.

- دراسة عبدالله الشهري 2015 بعنوان الصلابة النفسية وعلاقتها بجودة الحياة لدى طلاب كلية التربية، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الصلابة النفسية وجودة الحياة لدى طلاب كلية التربية، وقد بلغت عينة الدراسة (302) طالب وطالبة، وقد أشارت نتائج الدراسة عن وجود مستوى مرتفع من الصلابة النفسية لدى عينة الدراسة، كما أشارت إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث لصالح الذكور.

في ضوء مراجعة الدراسات السابقة ذات العلاقة بالصلابة النفسية يتضح لنا أنها أجريت في مناطق عربية مختلفة وفي سنوات متعددة، ولكنها اتفقت جميعها على تأثير الصلابة النفسية في مقاومة الأحداث الضاغطة، وأنها منبئ قوي في التخلص من الاضطرابات النفسية والإجهاد النفسي، كما ارتبطت سمة الصلابة النفسية بأبعادها الثلاثة (الالتزام والتحكم والتحدي) والتي تعد من أهم السمات التي يستخدمها الفرد في مواجهة الظروف الصعبة والأحداث الضاغطة، وأن الأشخاص ذوي الشخصية الصلبة هم أكثر صموداً وإنجازاً وأقل عرضة للضغوط النفسية.

فروض الدراسة

- 1- لا يوجد أي مستوى من مستويات الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بيني وليد.
- 2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب كلية التربية وليد في أبعاد الصلابة النفسية ترجع لمتغير الجنس .
- 3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب كلية التربية وليد في أبعاد الصلابة النفسية ترجع لمتغير التخصص العلمي .

الاجراءات المنهجية للدراسة

منهج الدراسة: لما كانت الدراسة الحالية تهدف إلى معرفة مستوى الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد، فإن هذا يقتضي الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي ذلك المنهج الذي يقوم على توضيح متغيرات الدراسة وتحديد مقاديرها واتجاهها.

مجتمع الدراسة: يتألف مجتمع الدراسة من جميع طلاب كلية التربية بني وليد، والبالغ عددهم حسب إحصائية الفصل الدراسي الربيع 2020م حوالي (1896) طالب وطالبة، منهم (640) طالب و(1256) طالبة موزعين على العلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية.

عينة الدراسة: تتألف عينة الدراسة الحالية من (100) طالب وطالبة، موزعين مناصفة بين الجنسين من العلوم التطبيقية والإنسانية، وقد تم اختيار هذه العينة عشوائيا، وروعي فيها جميع خصائص المجتمع الأصلي.

أدوات الدراسة

بناء على طبيعة مشكلة الدراسة وأهدافها، وبعد الاطلاع على مجموعة من المقاييس التي استخدمتها الدراسات السابقة لقياس الصلابة النفسية، فقد تم الاعتماد على مقياس الصلابة النفسية من إعداد سوزان كوبازا Souzan Kobass 1982، لقياس الصلابة النفسية الذي قام بتعريبه وملائمته للبيئة العربية عماد مخيمر 1996، حيث يعتبر من أكثر المقاييس استخداماً في مجال قياس الصلابة النفسية لما يمتاز به من خصائص عديدة ، وقد توافرت له مستويات

عالية من الصدق والثبات في معظم البلاد العربية ويتكون هذا المقياس من (47) فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد (الالتزام - التحكم - التحدي) وتوجد امام كل فقرة ثلاثة بدائل وهي (دائماً - أحياناً - ابداً) تعطي الفقرات الموجبة وعددها (32) على التوالي (3 - 2 - 1) وتعكس الدرجة في حالة الفقرات السالبة وعددها (15) فتصبح على التوالي (1- 2 - 3) وقد وزعت فقرات المقياس على ثلاثة ابعاد على النحو التالي:

1- بُعد الالتزام: و يتكون هذا البُعد من (16) فقرة وهي (1 - 4 - 7 - 10 - 13 - 16 - 19 - 22 - 25 - 28 - 31 - 34 - 37 - 40 - 43 - 46) وتكون الدرجة النهائية لهذا البُعد (48) درجة من الدرجة الكلية للمقياس.

2- بُعد التحكم : و يتكون هذا البُعد من (15) فقرة وهي (2 - 5 - 8 - 11 - 14 - 17 - 20 - 23 - 26 - 29 - 32 - 35 - 38 - 41 - 44) وتكون الدرجة النهائية لهذا البُعد (45) درجة من الدرجة الكلية للمقياس.

3- بُعد التحدي : ويتكون هذا البُعد من (16) فقرة وهي (3 - 6 - 9 - 12 - 15 - 18 - 21 - 24 - 27 - 30 - 33 - 36 - 39 - 42 - 45 - 47) و تكون الدرجة النهائية لهذا البُعد (48)، وبذلك تكون الدرجة الكلية للمقياس (141) ، درجة وهي أعلى درجة يمكن أن يحصل عليها المستجيب في الأبعاد الثلاثة ، في

حين تكون أقل درجة يحصل عليها المستجيب في الابعاد الثلاثة هي (47) وبناء على ذلك فإن الدرجة المرتفعة للمقياس بأبعاده الثلاثة تعني مستوى مرتفع من الصلابة النفسية في حين تعني الدرجات المنخفضة للمقياس مستوى منخفض للصلابة النفسية، ويكون المتوسط الافتراضي للمقياس هو (94) درجة، وتتحدد طبيعة الصلابة النفسية بالاعتماد على النقطة الفاصلة التي حددت بالدرجة 94 فإذا كانت الدرجة المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات المقياس أعلى من المتوسط الافتراضي دل ذلك على وجود الصلابة النفسية بشكل عام بغض النظر عن إبعاد المقياس ، في حين تدل الدرجة المنخفضة عنه على تدني مستوى الصلابة النفسية لدى عينة الدراسة .

جدول (1) يبين تصنيف مستويات أبعاد مقياس الصلابة النفسية كما حددتها سوزان كويازا

الابعاد	منخفض	معتدل	مرتفع
الالتزام	16 – 26	27 – 37	38 فما فوق
التحكم	15 – 24	25 – 34	35 فما فوق
التحدي	16 – 26	27 – 37	38 فما فوق

الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة:

قام الباحث بتطبيق مقياس الصلابة النفسية المستخدم في هذه الدراسة على عينة استطلاعية قوامها (30) طالب وطالبة تم اختيارهم عشوائيا من عينة الدراسة الأساسية لمعرفة مدى صلاحيته للاستخدام .

1- صدق المقياس: يعد الصدق من المعاملات الأساسية التي ينبغي لمستخدم المقياس التأكد منها، وصدق المقياس هو أن يقيس المقياس ما وضع لقياسه بالتحديد، وقد تم التأكد من صدق مقياس الصلابة النفسية المستخدم في هذه الدراسة باستخدام الطرق الآتية:

أ- الصدق الظاهري: للحصول على معامل الصدق الظاهري تم عرض فقرات المقياس على مجموعة من المحكمين للحكم على صلاحيتها في قياس الخاصية المراد قياسها، لذلك تم الحصول على الصدق الظاهري للمقياس بعرضه بصيغته الأولية على عددٍ من المختصين في علم النفس للتأكد من صلاحية الفقرة وسلامتها ومدى ملائمة الفقرات لقياس ما وضعت لقياسه، وقد كان هناك اتفاق عام بنسبة 0.98 من لجنة المحكمين على أن جميع فقرات المقياس مناسبة وملائمة لبيئة الدراسة الحالية و لا تحتاج إلى تعديل.

ب - الصدق الذاتي: تم حساب معامل الصدق الذاتي لمقياس الصلابة النفسية من خلال الجذر التربيعي لمعامل الثبات المستخرج بطريقة التجزئة النصفية، وفي هذه الحالة يكون معامل الصدق الذاتي لمقياس الصلابة النفسية المستخدم في هذه الدراسة = 0.85

2- ثبات المقياس يُعد الثبات من الخصائص الأساسية التي تعتمد عليها أدوات القياس الفعالة حيث تتوقف دقة المقياس على معامل ثباته في قياس مظهر من مظاهر السلوك، وقد تم التأكد من ثبات مقياس الصلابة النفسية باستخدام الطرق الآتية:

أ - طريقة التجزئة النصفية: لقد استخدم الباحث معادلة رولون وذلك للحصول على معامل الثبات، فبلغ معامل ثبات مقياس الصلابة النفسية المستخدم في هذه الدراسة (0.73) وهو معامل ثبات مرتفع ومناسب جداً لأغراض الدراسة.

ب - طريقة إعادة الاختبار: لقد تم تطبيق المقياس على أفراد العينة الاستطلاعية والبالغ عددهم (30) طالب وطالبة وأُعيد تطبيقه بفواصل زمني قدره (15) يوم، إذ بلغ معامل ثباته (0.70) وهو قيمة تدل على تمتع المقياس بدرجة مرتفعة من الثبات .

عرض النتائج وتفسيرها

جدول رقم (2) يبين الإجابة على سؤال الدراسة الذي ينص على: ما مستوى الصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية بجامعة بني وليد ؟

للإجابة على هذا السؤال جرى حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للأبعاد الفرعية لمقياس الصلابة النفسية وفق المستويات الثلاثة، لدرجات طلاب كلية التربية.

المستوى	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العينة	أبعاد الصلابة النفسية
مرتفع	8.51	41.06	100	الالتزام
مرتفع	6.22	37.12	100	التحكم
مرتفع	6.83	43.17	100	التحدي

يتضح من خلال المؤشرات الاحصائية السابقة أن متوسط درجات عينة الدراسة في أبعاد الصلابة النفسية قد بلغ المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة في بُعد الالتزام (41.06) وانحراف معياري (8.51) ، وفي بُعد التحكم بلغ المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة في (37.12) وانحراف معياري (6.22) ، وفي بُعد التحدي بلغ المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة (43.17) وانحراف معياري (6.83)، وبعد مقارنة المتوسطات السابقة بالدرجة الاختيارية لتحديد مستوى كل بُعد يتضح من أبعاد الصلابة النفسية يتضح أن الصلابة النفسية بجميع أبعادها تقع

في المستوى المرتفع ، وأن بُعد التحدي كان أعلى أبعاد الصلابة النفسية لدى أفراد العينة وبليه بُعد الالتزام وأخيرا جاء بُعد التحكم ، وهذا يدل على أن طلبة كلية التربية يتمتعون بمستوى مرتفع من الصلابة النفسية بأبعادها المختلفة ، وخاصة في بُعد التحدي ، وهذه نتيجة منطقية ، حيث يعيش أفراد مجتمع الدراسة ظروفًا اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية ويتعرضون إلى العديد من الأزمات والمخترقات والظروف الأمنية غير المستقرة تلقي بظلالها على الجميع ، وهذه الظروف القاسية تحتاج إلى شخصية تتمتع بالصلابة النفسية المرتفعة لمواجهة أحداث الحياة الضاغطة ويمكن تفسير ذلك في مفهوم الصلابة النفسية التي تعمل كواقى ضد ما يقابل الفرد من أزمات وأحداث ضاغطة في ضوء مكونات الصلابة النفسية (الالتزام والتحكم والتحدى) ، حيث يوصف الأفراد الذين يحاولون حل مشكلاتهم الصعبة، والتي تشكل نوعا من التحدي لقدراتهم فيحاولون التكيف مع هذه الظروف بمختلف الأساليب المسموح بها اجتماعيا ويحققون نوعا من الاستقرار النفسي بدوي المناعة النفسية، بينما الأفراد الذين ليس لهم رغبة في التحكم لا يميلون إلى تحدي هذه الأزمات والأحداث الضاغطة وتتفق هذه النتيجة مع كافة الدراسات السابقة التي أجريت في الدول العربية.

جدول رقم (3) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة ت لدرجات لدرجات طلاب كلية التربية في ابعاد الصلابة النفسية وفق متغير الجنس.

قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الجنس	ابعاد الصلابة النفسية
3.17	6.10	35.21	ذكور	الالتزام
	5.14	32.47	إناث	
2.94	5.82	34.17	ذكور	التحكم
	6.13	30.56	إناث	
3.59	8.15	39.05	ذكور	التحدي
	6.04	36.81	إناث	

يتضح من خلال المؤشرات الإحصائية بالجدول السابق أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في جميع أبعاد الصلابة النفسية، حيث كان المتوسط الحسابي لدرجات الذكور في بُعد الالتزام (35.21) وبانحراف معياري (6.10) وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات الإناث (32.47) وبانحراف معياري (5.14) كما بلغت القيمة التائية المحسوبة (3.17) وهي قيمة ذات دلالة إحصائية تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في بُعد الالتزام بين الذكور و الإناث، وكانت هذه الفروق لصالح الذكور، وفي بُعد التحكم كان المتوسط الحسابي للذكور(34.17) وبانحراف معياري (5.82) وبلغ المتوسط الحسابي للإناث(30.56) وبانحراف معياري (6.13) ، وبلغت القيمة التائية المحسوبة (2.94) وهي قيمة ذات دلالة إحصائية تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في بعد التحكم بين الذكور والإناث، وكانت هذه الفروق لصالح الذكور، كما بلغ المتوسط الحسابي للذكور في بُعد التحدي (39.05) وبانحراف معياري (8.15) وبلغ المتوسط الحسابي للإناث (36.81) وبانحراف معياري(6.04) بلغت القيمة التائية المحسوبة (3.59) وهي قيمة ذات دلالة إحصائية تشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في بُعد التحدي بين الذكور و الإناث ، وكانت هذه الفروق لصالح الذكور، لقد كشفت

النتائج الإحصائية السابقة عن حصول الذكور على متوسطات حسابية أعلى من الإناث في متغير الصلابة النفسية ، مما يشير إلى أن الذكور أكثر التزاما و تحكما وتحديا وضبطا من الإناث ، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة كل من (دراسة بُثينة منصور 1995، دراسة عماد مخيمر 1996 ، ، دراسة خالد العبدلي 2012 ، دراسة عبدالله الشهري 2015) وتتفق هذه النتيجة مع طبيعة التنشئة الاجتماعية السائدة في مجتمع الدراسة، حيث تدعم الأسرة الأبناء الذكور أكثر من الإناث، وتشجعهم على الالتزام بالعهود والمواثيق ومحاولة تحقيقها في ضوء القواعد والمعايير الاجتماعية، بالإضافة إلى تعزيز مكون التحدي لدى الأبناء الذكور بمعنى استغلال العقبات والأزمات إلى تحديات يمكن مواجهتها والتغلب عليها وتحقيق أهدافهم التي التزموا بها، والقيام بأدوارهم والتحكم في هذه المتغيرات المحيطة بهم بحيث يستطيعون السيطرة عليها، وبما أن فعالية الفرد في المجتمع تحددها خصاله الشخصية وتعد الصلابة النفسية أحد أهم الجوانب الإيجابية في الشخصية الإنسانية، والتي يمكن اعتبارها عاملاً أساسياً لتجاوز الكثير من الأزمات والمواقف الصعبة، وما أوجنا إلى بناء وتدعيم الشخصية الصلبة التي تتميز بالتزامها بالمبادي والقيم وبقدرتها على تحمل المسؤولية، في مواجهة الأزمات ورغبتها في التميز والإبداع والدافعية نحو الإنجاز، وهذه المتغيرات تمثل الصلابة النفسية التي يتمتع بها الذكور انطلاقاً من عوامل نفسية واجتماعية وثقافية وسياسة واقتصادية وظروف أمنية غير مستقرة.

جدول (4) بين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة ت لدرجات لدرجات طلاب كلية التربية في أبعاد الصلابة النفسية وفق متغير التخصص العلمي.

الابعاد الصلابة	التخصص	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت
الالتزام	علوم تطبيقية	35.71	4.62	1.36
	علوم إنسانية	36.24	4.31	
التحكم	علوم تطبيقية	33.08	3.75	1.19
	علوم إنسانية	32.67	3.66	
التحدي	علوم تطبيقية	42.03	6.51	1.24
	علوم إنسانية	40.58	6.12	

وبالنظر إلى المؤشرات الإحصائية الموضحة بالجدول السابق يلاحظ أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلاب العلوم التطبيقية ومتوسط درجات طلاب العلوم الإنسانية على جميع أبعاد الصلابة النفسية، فقد كان المتوسط الحسابي لدرجات طلاب العلوم التطبيقية في بُعد الالتزام (35.71) وانحراف معياري (4.62) وبلغ المتوسط الحسابي لدرجات طلاب العلوم الإنسانية (36.24) وانحراف معياري (4.31) كما بلغت القيمة التائية المحسوبة (1.36) ، وكان المتوسط الحسابي لدرجات طلاب العلوم التطبيقية في بُعد التحكم (33.08) وانحراف معياري (3.75) بينما كان المتوسط الحسابي لدرجات طلاب العلوم الإنسانية في بُعد التحكم (32.67) وانحراف معياري (3.66) كما بلغت القيمة التائية المحسوبة (1.19) كما كان المتوسط الحسابي لدرجات طلاب العلوم التطبيقية في بُعد التحدي (42.03) وانحراف معياري (6.51) بينما كان المتوسط الحسابي لدرجات طلاب العلوم الإنسانية في بُعد التحدي (40.58) وانحراف معياري (6.12) كما بلغت القيمة التائية المحسوبة (1.24) ، مما

يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب العلوم التطبيقية وطلاب العلوم الإنسانية بكلية التربية في جميع أبعاد الصلابة النفسية، أي إن مستوى الصلابة النفسية لا يختلف باختلاف التخصص العلمي، ويمكن تفسير ذلك بأن الصلابة النفسية سمة ترتبط في وجودها بعوامل شخصية وبيئية علاوة على أن المناهج الدراسية التي تقدم لطلاب كلية التربية بتخصصاتهم المختلفة يخلو مضمونها من متغيرات الصلابة النفسية، وتركز على الجانب المعرفي فيما عدا بعض المقررات التربوية العامة بكلية التربية التي تقدم لجميع التخصصات التطبيقية منها والإنسانية وبنفس المضمون، وبالطبع فإن المدة الزمنية التي يقضيها الطلاب في دراسة المقررات التربوية محدودة جدا لا تسمح بتنمية الصلابة النفسية وأساليب مواجهة الأزمات والأحداث الضاغطة بالصورة المطلوبة، ويتضح مما سبق غياب التفاعل بين التخصص الدراسي في التأثير على الصلابة النفسية بأبعادها الثلاثة الالتزام و التحكم والتحدي.

يتضح لنا مما سبق الدور الذي تلعبه الصلابة النفسية ليس فقط في جعل الأفراد قادرين على مقاومة الضغوط، بل يمتد تأثيرها إلى تعزيز جوانب أخرى للشخصية حيث أنها تتفاعل مع بعضها مكونة جملة من الخصائص النفسية والاجتماعية التي تعزز قدرة الفرد مواجهة تحديات الحياة، وتغيير الاحداث الضاغطة إلى فرص لنمو الشخصية، ونقص هذه الأبعاد يؤدي إلى الاضطرابات النفسية وهذه البنية تهدف إلى التخفيف من أثر الإجهاد النفسي من خلال النظرة إلى الأوضاع المجهددة وتقلل من التأثير السلبي للأحداث من خلال التقييم المعرفي والمواجهة الفعالة من خلال السمات الشخصية التي تقي الفرد من الآثار السلبية للضغوط النفسية المختلفة.

النتائج والتوصيات

لقد توصلت الدراسة الحالية إلى النتائج التالية:

– يوجد مستوى مرتفع من الصلابة النفسية بأبعادها المختلفة لدى أفراد عين الدراسة.

– توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في كافة أبعاد الصلابة النفسية.

– لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب العلوم التطبيقية وطلاب العلوم الإنسانية في كافة أبعاد الصلابة النفسية.

التوصيات

– ضرورة اهتمام الجامعة بتقوية الجانب الإيجابي للصلابة النفسية للطلاب في الكليات المختلفة – ضرورة أن تتضمن المناهج الدراسية المهارات الأساسية لتنمية الصلابة النفسية لدى الطلاب.

– الاهتمام بإقامة دورات تدريبية في التنمية البشرية لتنمية أساليب المواجهة الفعالة للأزمات.

– ضرورة الاهتمام بالدراسات التي تتناول الصلابة النفسية والاضطرابات النفسية.

قائمة المصادر والمراجع

- أسماء زهاني (2014) الصلابة النفسية وعلاقتها بأساليب مواجهة الضغوط النفسية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية جامعة محمد خضير، الجزائر.
- بشير حجازي (2006) الضغوط النفسية وعلاقتها بالصلابة النفسية لدى طلاب الجامعة، مجلة الجامعة الإسلامية م14، ع2 غزة
- بشير دخان (2007) الضغوط النفسية وعلاقته بالصلابة النفسية لدى طلاب الجامعة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية م 15، ع 5 .
- بُثينة منصور (1995) العلاقة بين الصلابة النفسية واساليب التعامل مع ضغوط الحياة، رسالة ماجستير غير منشورة معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة.
- تنهيد عادل (2011) الضغط النفسي وعلاقته بالصلابة النفسية لدى طلاب كلية التربية، مجلة أبحاث الجامعة الأساسية م 11، ع 1، دمشق .
- جيهان محمد (2007) دور الصلابة النفسية في المساندة الاجتماعية، مجلة البحوث النفسية التربوية، ع4. القاهرة.
- حمود عامر (2016) الصلابة النفسية وعلاقتها بالقيم ، مجلة البحوث التربوية ، ع2 . الجزائر
- حمادة لؤلؤة وآخرون (2002) الصلابة النفسية وعلاقتها بالرغبة في التحكم / مجلة دراسات نفسية م 12ع2 ، القاهرة.
- حسن سيد (2012) الصلابة النفسية وعلاقتها بالمساندة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، مجلة الجامعة الإسلامية، م19، ع3 غزة.

خالد العبدلي (2012) (الصلابة النفسية وعلاقتها بأساليب مواجهة الضغوط النفسية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية جامعة أم القرى.

رجاء محمود (2016) الصلابة النفسية وعلاقتها بجودة الحياة لدى طلبة جامعة الملك سعود ، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، ع 74 .بيروت

زينب نوفل (2008) الصلابة النفسية وعلاقتها ببعض المتغيرات ، دار وائل عمان

سالم المفرجي(2008) الصلابة النفسية وعلاقتها بالأمن النفسي، مجلة علم النفس، ع19، المنيا

سمير محمد وآخرون (2015) الخصائص السيكومترية لمقياس الصلابة النفسية، مجلة الإرشاد النفسي ع 44 القاهرة.

عبدالرحمن ابو ندى (2007) الصلابة النفسية وعلاقتها بضغوط الحياة لدى طلبة الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية، جامعة الازهر، القاهرة.

عبدالله الشهري (2015) الصلابة النفسية وعلاقتها بجودة الحياة لدى طلاب كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الملك فيصل مكة المكرمة.

عبد اللطيف حسن (2002) الصلابة النفسية والرغبة التحكم مجلة دراسات نفسية، م12ع2، القاهرة.

عماد مخيمر (1996) إدراك القبول والرفض الوالدي وعلاقته بالصلابة النفسية لطلبة الجامعة، مجلة دراسات نفسية م6، ع2، القاهرة.

فتحية العربي (2014) مدى تمتع الشباب الجامعي بالصلابة النفسية، مجلة الجامعة م4، ع16.

فائقة بدر (2007) علاقة المثبرات الانفعالية بالصلابة النفسية، مجلة مستقبل التربية العربية، م2 ، ع42 عمان.

محمود مجدي (2006) بناء مقياس الصلابة النفسية، مجلة البحوث النفسية التربوية، ع2. القاهرة.

مدحت عباس (2010) الصلابة النفسية كمنبئ بخصف الضغوط النفسية، مجلة كلية التربية م26، ع1 القاهرة.

هويدا نور (2012) (الصلابة النفسية لدى طلاب قسم علم النفس، مجلة الجامعة الاسلامية، م14، ع2.

أثر مدرسة الكوفة في نشأة علم الصرف

إعداد: أ. حواء بشير بالنور

أ. زينب امحمد أبوراس

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فمنذ أن ألقى الله شأن اللغة العربية علواً يصل إلى مرتبة التقديس، وذلك باصطفائه - سبحانه وتعالى - لها واختيارها لغة للرسالة المحمدية، فمنذ هذا الاختيار الرباني الذي حكم بالخلود، وقضى بالتقديس لأسمى وأنبأ لغة على وجه الأرض، وعلمائنا يقومون جيلاً بعد جيل، وخلفاً بعد سلف لدراسة مبانيها، وفهم معانيها، وتدوين خلاصات بحوثهم، وثمار جهودهم، نصحاً منهم لأئمة المسلمين وعامتهم، ولا يزالون، فجزاهم الله عنا كل خير في كل حرف خلفوه لنا يرجون به رضا الله ونصح أمتهم.

ولا يخفى على كل ذي لب مدى أهمية الدراسة للغة العربية بكل جوانبها، فلذلك تقدمنا ببحثنا هذا متاولين أحد موضوعاتها وهو أثر مدرسة الكوفة في نشأة علم الصرف، وقد جعلنا البحث في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، تكلمنا في التمهيد عن تعريف الصرف والتصريف ونشأة الصرف، وعن موضوع علم الصرف، وفائدته، ومرتبته، وتطوره، وفي الفصل الأول عن أشهر علماء المدرسة الكوفية، ومصادر الدراسة الكوفية، بعدها سبنا إلى الفصل الثاني إذ تناولنا فيه نماذج من آراء الكوفيين في بعض المسائل الصرفية، وتحدثنا في الفصل الثالث عن نماذج من أقيسة الكوفيين.

التمهيد:

أولاً: تعريف الصرف والتصريف في اللغة والاصطلاح:
 الصرف: ردّ الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفاً، والصرف: بيع الذهب بالفضة، وهو من ذلك؛ لأنّه ينصرف به عن جوهر إلى جوهر.¹
 والتصريف التبيين، وصرفنا الآيات أي بيّناها، وتصريف الآيات تبيينها.²
 أما في الاصطلاح:

فالصرف: هو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة.³
 والتصريف: هو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب.⁴
 ثانيًا: نشأة علم الصرف

لقد كان اللحن الصرفي شائعاً منذ عهد صدر الإسلام، وهذا ما جعل العلماء يرجحونه سبباً رئيساً في نشأة علم الصرف.
 وقد اختلف العلماء كثيراً في قضية نشأة علم الصرف وانقسموا إلى قسمين:

قسم يرى أنّ الصرف توقيف من الله - سبحانه وتعالى-، ويمثل هذا الاتجاه ابن فارس حيث قال: "إنّ لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَسْأَلُكُمْ﴾⁵، وقال أيضاً: "والدليل على صحة ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلاحنا على لغة اليوم ولا فرق"⁶ ويرى أيضاً: "أنّ العرب العاربة لم تعرف رفعاً

1- لسان العرب لابن منظور، 2434-2435 بتصرف.

2- المصدر نفسه 2435/27 صرف.

3- الصرف وتطبيقاته، ص7.

4- شرح شافية ابن الحاجب، 1/1.

5- سورة البقرة الآية: (30).

6- الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، ص6.

ولا نصبًا ولا همزًا، ويُستدل على ذلك بما جاء عن بعض الأعراب أنه قيل له: أتهمز إسرائيل؟ فقال: إنني إذا لرجل سوء. فقالوا: وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر، وقيل لآخر: أتجرّ فلسطين؟ فقال: إنني إذا لقوي، فهو لا يعرف من الجرّ إلا السحب".¹

والقسم الثاني: يرى أنّ الصرف توقيف واصطلاح، ويجمع بعضهم أنّ أبا الأسود الدؤلي (ت169هـ) هو واضع علم العربية، وأنه أخذه عن الإمام علي - رضي الله عنه - وفي ذلك يقول الزبيدي: "سئل أبو الأسود عمّن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه، فقال: تلقّيته من علي بن أبي طالب - رحمه الله-".²

وجاء عنه أيضًا: "وروي أنّ الذي أوجب عليه الوضع في النحو أنّ ابنته قعدت معه في يوم قانظ شديد الحرّ، فأرادت التعجّب من شدّة الحرّ فقالت: ما أشدّ الحرّ! فقال أبوها: القبط وهو ما نحن فيه يا بنيّة؛ جوابًا عن كلامها لأنه استفهام، فتحيّرت وظهر لها خطؤها فعلم أبو الأسود أنّها أرادت التعجّب فقال لها: قولي يا بنيّة: ما أشدّ الحرّ!! فعمل باب التعجب، وباب الفاعل، والمفعول به وغيرها من الأبواب".³

ولعلّ ظاهرة اللحن اللغوي في العربية الشائعة زمان علي - [] - وأبي الأسود ترجّح كفة الابتكار إليهما وهي أسباب قوية في ذلك، ويرى مجموعة من العلماء ومن بينهم السيوطي أنّ واضع علم التصريف هو معاذ بن مسلم، لكننا في الأخير سنخلص إلى أنّ أبا مسلم الهراء لم يكن من واضعي علم التصريف كما سنرى ذلك لاحقًا.

1 - المصدر نفسه، ص8.

2 - طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، ص13.

3 - المصدر نفسه، ص14.

ثالثاً: موضوع علم الصرف

إنّ موضوع علم الصرف هو: الأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة، ويخرج من موضوع الصرف ما يأتي:

1- الحروف 2- الأسماء المبنية 3- الأسماء الأعمية 4 - الأفعال الجامدة

رابعاً: فائدة هذا العلم (أهميته)

عرض بعض علمائنا السالفين بيان أهمية التصريف ودقته، فقال المازني:¹ "التصريف إنما ينبغي أن ينظر فيه من نَقَب في العربية لأنّ فيه إشكالاً وصعوبة على من ركبه غير ناظر في غيره من النحو".²

وقال ابن جني⁽³⁾: "وهذا القبيل من العلم -أعني التصريف- يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة، وبهم إليه أشد فاقة؛ لأنّه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلّا به".⁴

فهذا العلم إذاً يفيد كثيراً في معرفة ضبط بنية الكلمة، فهو يهتم بالكلمة في حدّ ذاتها بعيداً عن السياق الإعرابي، فيبين ما طرأ عليها من زيادة أو حذف، وما حدث فيها من إعلال وإبدال، وتغيير في ترتيب حروفها إلى غير ذلك ممّا يهتم به هذا العلم.

خامساً: مرتبة هذا العلم:

ذكر الصرفيون أنه ينبغي أن يتقدم درسه على النحو؛ لأنّ التصريف يبحث في الكلمة المفردة قبل تركيبها مع غيرها في الجملة العربية، قال ابن جني:

1 - هو: بكر بن محمد بن بغيّة، وقيل بكر بن محمد بن عدي بن حبيب أبو عثمان المازني، النحوي (ت248هـ) وقيل (ت249هـ) من مؤلفاته: ما يلحن فيه العامة، والتصريف وغير ذلك. يُنظر: إنباء الرواة لـ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القنطري، 1/281-282.

2 - المنصف لابن جني 340/2.

3 - هو: عثمان بن جني أبو الفتح النحوي، (ت392هـ)، من أهم مؤلفاته: الخصائص في النحو، سر الصناعة، وشرح تصريف المازني، وغير ذلك. يُنظر: بغية الوعاة للسيوطي 132/2.

4 - المنصف: 2/1.

"فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنتقلة ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكرٌ، ورأيت بكرًا، ومررتُ بكَرٍ، فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلًا لمعرفة حاله المتنتقلة"¹

وتظهر مقولة ابن جني هذه أهمية علم الصرف بالنسبة للدراسات اللغوية، وقد تنبه المحدثون إلى ذلك فقسّموا الدراسة اللغوية إلى مستويات أولها المستوى الصرفي.

سادسًا: تطوّر علم الصرف

بالنظر إلى كتب العربية نجد أنّ كتاب سيبويه من أقدم الكتب التي جاءت متناولة لمسائل الصرف، إلا أنها جاءت مختلطة بمسائل أخرى، ويلاحظ الفارئ لهذا الكتاب أنّ سيبويه لم يضع فيه اصطلاحًا مستقلًا للعلم الذي يبحث في بناء الكلمة²، ويعدّ تصريف المازنيّ أول لبنة في مجال علم الصرف بصورة مستقلة³. وقد حدّد ابن جني مجالات البحث في التصريف وتعريفاته بأنّه: "علمٌ تُعرف به أصول كلام العرب من الرّوائد الداخلة عليها، ولا يُوصل إلى معرفة الاشتقاق إلّا به"⁴.

إلا أنّ تعريفات الصرف قد بدأت تتحدّد وتتعدّد منذ القرن الرابع الهجري، فهذا ابن الحاجب¹ يعرف التصريف في أول شافيته بقوله: "التصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب"².

1 - منهج الكوفيين في الصرف، لـ مؤمن بن صبري غنام، 18/1.

2 - يُنظر: الصرف الوافي لـ د. أحمد عبد الدايم، 13/1.

3 - يُنظر: منهج الكوفيين في الصرف، 5/1.

4 - الصرف الوافي 14/1.

أمّا ابنُ مالك³ فقد قال عنه في التسهيل: "التصريف علم يتعلّق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحّة وإعلال وشبه ذلك ومتعلّقه من الكلم، والأسماء المتمكّنة، والأفعال المتصرّفة"⁴.
ويُضيف ابن عقيل⁵ فقال: "فأما الحروف وشبهها فلا تعلق لعلم التصريف بها"⁶.

وأغلب هذه التعريفات تتفق في أنّ مجال علم الصّرف دراسة الأسماء المتمكّنة، وتخرج من حدّها الحروف.

الفصل الأول ويشمل:

المبحث الأول: أشهر علماء المدرسة الكوفية⁷

أولاً: معاذ الهراء

هو معاذ بن مسلم الهراء أبو مسلم، ولد أيام عبد الملك بن مروان، وكان أبو مسلم مؤدّب عبد الملك بن مروان، قد نظر في النحو، فلمّا أحدث الناس التصريف أنكروه.

فقال:

قد كان أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

1 - هو: عثمان بن أبي بكر بن يونس (ت646هـ)، من أهم مؤلفاته: الكافية في النحو وشرحها ونظمها، والشافية في التصريف وشرحها وغير ذلك. يُنظر: بغية الوعاة 134/2-135.

2 - يُنظر: شرح شافية ابن الحاجب 1/1.

3 - هو: محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجبالي النحوي، (ت672)، من أهم مؤلفاته: شرح التسهيل، الخلاصة، الكافية الشافية. يُنظر: بغية الوعاة 130/1-134.

4 - تسهيل الفوائد، 76/1.

5 - هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عقيل القرشي الهاشمي العقيلي الهمداني الأصل (ت769هـ)، من مؤلفاته: مختصر الشرح، والجامع النفيس في الفقه، والمساعد في شرح التسهيل، وعلى الألفية شرحًا. يُنظر: بغية الوعاة 47/2-48.

6 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 191/4.

7 - اعتمدنا في الترجمة لأعلام المدرسة الكوفية على كتاب بغية الوعاة، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وقمّت بترتيب الأعلام في هذا المبحث حسب سنة الوفاة.

لما سمعتُ كلامًا لستُ أفهمه كأنه زجل الغريان واليوم
تركْتُ نحوهم والله يعصمني من التّفحّم في تلك الجرائم

فأجاب معاذ هذا:

عالتها أمرّد حتى إذا شَبِّتَ ولم تحسن أباها
سمّيت من يعرفها جاهلاً يصدرها من بعد إيرادها
سهلّ منها كل مستصعب طود علا أقران أطواها

وكان أبو مسلم قد جلس إلى معاذ فسمعه يقول لرجل:

كيف تقول من "تؤزهم أزا" يا فاعل أفعل؟ فقال له الأبيات السابقة.

وانبنى على مقالته تلك أن جعله المؤرخون واضعاً لعلم الصرف، وهذه المقولة ليست كافية لنقول عنه أنه وضع علم الصرف.

ومات معاذ سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل: سنة تسعين ببغداد، وكان يبيع الثياب الهروية، فلذلك قيل له: الهراء.¹

ثانياً: الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي بالولاء، الكوفي، المعروف بالكسائي، أحد القراء السبعة، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، ولم تكن له في الشعر يد، حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من

الكسائي بالشعر، وكان يؤدّب الأمين بن هارون الرشيد، ويعلمه الأدب، ولم يكن له زوجة ولا جارية.

روى الكسائي عن أبي بكر بن عياش وحمزة الزيات وغيرهم، وروى عنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما.

وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري، وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد، وقيل إنّ الكسائي مات بطوس سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة، والله أعلم، ويقال إنّ الرشيد كان يقول: دفنتُ الفقه والعربية بالري.

والكسائي بكسر الكاف وفتح السين المهملة، وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له الكسائي؛ لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتفّ بالكساء، فقال له حمزة: من يقرأ؟ فقيل له: صاحب الكساء، فبقي عليه، وقيل بل أحرّم في كساء فنُسب إليه -رحمه الله-¹.

ثالثاً: علي بن المبارك الأحمر

هو علي بن الحسن وقيل -ابن المبارك- المعروف بالأحمر شيخ العربية، وصاحب الكسائي.

قال ثعلبة: كان الأحمر يحفظ أربعين ألف شاهدا في النحو، وكان مقدما على أفراد في حياة الكسائي، وأملى الأحمر شواهد النحو. فأراد الفراء أن يتمّها فلم يجتمع له الناس كما اجتمعوا للأحمر، فقطع.

صنّف الأحمر: التصريف، وتقنن البلغاء، ومات بطريق الحج سنة أربع وتسعين ومائة.¹

رابعاً: الفراء

هو أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء، الدلمي، الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها.

وأخذ الفراء النحو عن أبي الحسن الكسائي، وكان سبب إملائه كتاب "المعاني" أنّ أحد أصحابه، وهو عمر بن بكير، كان يصحب الحسن بن سهل فكتب إلى الفراء إنّ الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرنني عنها جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت، فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه: اجتمعوا حتّى أملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن فيه، وكان من القراء، فقال له: اقرأ، فقرأ فاتحة الكتاب، ففسّرها، حتى مرّ في القرآن كله على ذلك، يقرأ الرجل والفراء يفسّره، وكتابه هذا نحو ألف ورقة، وهو كتاب لم يعمل مثله، ولا يمكن لأحد أن يزيد عليه.

ومولد الفراء بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وله من التصانيف: الحدود، والمعاني، وكتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر، وكتاب المصادر في القرآن، وكتاب الوقف والابتداء وغير ذلك.

1 - بغية الوعاة، 158/2-159.

تُوفِّي الفراء سنة سبع ومائتين في طريق مكة، وعمره ثلاث وستون سنة، وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعه؛ لأنه كان يفري في الكلام.¹

وقد أضاف الفراء بكتاب معاني القرآن إلى النحو الكوفي الكثير ففيه اتضحت مصطلحاته وظهرت اتجاهاته ونعده بوابة للنحو الكوفي بحق.

خامساً: هشام بن معاوية

هو أبو عبد الله هشام بن معاوية الضّرير، النحوي الكوفي، صاحب أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، أخذ عنه كثيراً من النحو، وله فيه مقالة تُعزى إليه، وله فيه تصانيف عديدة، فمن ذلك كتاب الحدود وهو صغير، وكتاب المختصر وكتاب القياس وغير ذلك.

قال أبو مالك الكندي: توفي هشام بن معاوية الضّرير سنة تسع ومائتين - رحمه الله -².

سادساً: أحمد بن يحيى الشيباني

هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم، البغدادي، الإمام أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، ولد سنة مائتين، وابتدأ النظر في العربية، واللغة، والشعر سنة ست عشرة، وحفظ كتب الفراء، فلم يشدّ منها حرف، وعني بالنحو أكثر من غيره، فلما أتقنه أكبّ على الشعر والمعاني والغريب.

1 - وفيات الأعيان، 6/176-181.

2 - وفيات الأعيان، 6/85.

صنّف: المصون في النحو، اختلاف النحويين، معاني القرآن، معاني الشعر، التصغير، غريب القرآن، الوقف والابتداء.

ونقل سمعه، ثم صنّم، فأنصرف يوم الجمعة من الجامع بعد العصر وإذ بدواب من ورائه، فلم يسمع صوت حافرها فصدمته، فسقط على رأسه في هوة من الطريق، فلم يقدر على القيام فحمل إلى منزله، ومات منه سنة إحدى وتسعين ومائتين -رحمه الله-¹.

سابعًا: أبو جعفر الرؤاسي

هو محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي النحوي، أبو جعفر ابن أخي معاذ الهراء، سُمي الرؤاسي؛ لأنه كان كبير الرأس، وهو أول من وضع من الكوفيين كتابًا في النحو، وهو أستاذ الكسائي والفراء، وله من الكتب: الفيصل، معاني القرآن، التصغير، الوقف والابتداء الكبير والصغير.²

المبحث الثاني: مصادر الدراسة الكوفيّة

للكوفيين طابعهم الخاص، وأيضًا مصادرهم التي أرجعوا إليها أصول دراستهم، التي من أهمها:³

1- النحو البصري:

نلاحظ أنّ أئمّة الكوفيين قد وقفوا على النحو البصري سواء مشافهة أو

مناقلة.

1 - المصدر نفسه، 1/396-397.

2 - وفيات الأعيان، 1/82-83.

3 - يُنظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، لـ مهدي المخزومي، ص330-346.

2- لغات الأعراب التي اعتمد عليها البصريون:

وهي لغات الأعراب الذين قطنوا البوادي وابتعدوا عن الحضر.

3- لغات أخرى أبى البصريون الاستشهاد بها:

وهي لهجات عرب الأرياف كأعراب سواد الكوفة، وأعراب سواد بغداد.

4- الشعر العربي:

الشعر العربي كان أيضًا مصدرًا من مصادر الدراسة الكوفية، وأساسًا بنوا كثيرًا من أصولهم عليه.

5- القراءات:

فهي أيضًا مصدر من مصادر الدراسة الكوفية، ولعل ذلك راجع إلى أنّ مؤسس هذه المدرسة وأستاذها من أئمة القراء (الكسائي)، وهذه الأصول برمتها تنفق إلى حدّ بعيد مع أصول المدرسة البصرية إلا أنّها تختلف في منهج التداول وبخاصة عدم تحديدهم لحدّ زمني ومكاني كما فعل البصريون.

الفصل الثاني: نماذج من آراء الكوفيين في بعض المسائل الصرفية. ويشمل:

المبحث الأول: رأيهم في بنية بعض الأدوات

سنقتصر الحديث عن بنية بعض الأدوات من حيث الزيادة والأصل، والإفراد والتركيب، وذلك بإبراز وجهة نظر البصريين ثم عرض ما ذهب إليه الكوفيون بعد ذلك.

أولاً: الحروف

بلى:

جواب لاستفهام منفي، ذهب البصريون إلى أنه بكماله حرف بسيط، ألفه أصلية، شأنه شأن الحروف كلها، قال ابن جني عنه بعد أن قرّر أنّ الحروف لا يدخلها التصريف معللاً¹: "ولهذا المعنى ما كانت الألفات في أواخر الحروف أصولاً غير زوائد، ولا منقلبة من واو ولا ياء....."².

وألف (بلى) عند الكوفيين زائدة، فأصلها (بل) العاطفة التي تفيد الإضراب والرجوع زيد عليها ألف ليحسن الوقف.³

قال الفراء في أثناء حديثه عن جواب الاستفهام المنفي: "فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقروا بما بعده، فاختراروا (بلى)؛ لأنّ أصلها كان رجوعاً محضاً عن الجحد إذ قالوا: ما قال عبد الله بل زيد، فكانت (بل) كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها، فزادوا فيها ألفاً يصلح فيها الوقوف عليه، ويكون رجوعاً عن الجحد فقط، وإقراراً بالفعل الذي بعد الجحد، فقالوا: (بلى) فدلّت على معنى الإقرار والإنعام، ودلّ لفظ (بل) على الرجوع عن الجحد فقط".⁴

ويتّرجح مذهب التركيب لسببين هما:⁵

1 - منهج الكوفيين في الصرف 64/1.

2 - المنصف 7/1.

3 - منهج الكوفيين في الصرف 64/1.

4 - معاني القرآن للفراء 53-52/1.

5 - منهج الكوفيين في الصرف 65/1.

1- يُعِينُ على ذلك اللفظ والمعنى، فلفظ (بل) و(بلى) متقاربان جدًّا، مما يدلّ على تطوّر صوتي، أمّا المعنى ف(بل) تفيد الإضراب عمومًا، و(بلى) تفيد الإضراب بعد النفي، والفرق بينهما أنّ (بل) لا تستقل بنفسها، أما (بلى) فتستقل بنفسها؛ لأنّها تنوب عن الجمل.

2- مشابهة (بلى) للاسم والفعل في نيابتها عن الجمل، مما يقوي القول بزيادة الألف، وهو ضرب من التصرف الذي لا يكون إلاّ في الأسماء والأفعال.

ثانيًا: الأسماء

أنت: قال ابن يعيش¹: "تقول: (أنت) إذا خاطبت واحدًا، فالاسم منه الألف والتون عندنا، وهي التي كانت للمتكلم زيدت عليها التاء للخطاب".²(4)

من كلام ابن يعيش يتّضح أنّ الضمير (أنت) مركّب من (أنّ) ضمير متكلم زيدت عليه تاء الخطاب.

وذهب الكوفيون إلى أنّ (أنت) بكماله اسم، محتجّين بالظاهر، قال ابن يعيش: "وقد ذهب الكوفيون إلى أنّ التاء من نفس الكلمة، والكلمة بكمالها اسم عملاً بالظاهر".³

ثالثًا: الظروف

قط

1 - هو: يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا محمد بن علي بن المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى النحوي، الحلبي، موفق الدين، أبو البقاء المشهور بابن يعيش (ت643هـ)، من أهم مؤلفاته: شرح المفصل، وشرح تصريف ابن جني. يُنظر: بُغية الوعاة 351/2-352.

2 - شرح المفصل لابن يعيش 95/3.

3 - شرح المفصل لابن يعيش، 96/3.

قط: ظرفٌ لما مضى من الزمان، مبني على الضمّ لأنها ظرف، وأصل الظروف أن تكون مضافة فلما قُطعت عن الإضافة بُنيت على الضمّ.¹

ذهب ابنُ القطاع تحت عنوان أبنية المضاعف من الثنائي إلى أنّ (قَطُّ) على زنة (فَعْل).²

وذهب الكسائيُّ إلى أنّ أصله (قَطُّط) على زنة (فَعْل) كعَضُد، فلما سكن الحرف الأول للإدغام حُرِّك الآخر بحركته.³

رابعاً: أسماء الاستفهام

كم:

ذهب البصريّون إلى أنّ (كم) مفردة موضوعة للعدد، وذهب الكوفيّون إلى أنّها مركّبة.⁴

وحجّة الكوفيّون في ذلك تستند إلى الأشياء الآتية:⁵

أ- الأصل في (كم) "ما" زيدت عليها الكاف؛ لأنّ العرب قد تصل الحرف في أوله وآخره، فما وصلته في أوله نحو "هذا" و"هذاك"، وما وصلته في آخره نحو قوله تعالى: "أَأبْرِمُ بِنِجْيٍ" فكذلك ها هنا.

ب- زادوا "الكاف" على "ما" فصارتا جميعاً كلمة واحدة، وكان الأصل أن يُقال في "كم مالك؟" "كما مالك؟" إلّا أنّه لما كَثُرَتْ في كلامهم وجرت على ألسنتهم حُذفت

1 - المصدر نفسه، 108/4.

2 - أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، لابن القطاع ص118.

3 - شرح المفصل 108/4.

4 - الإنصاف في مسائل الخلاف، للأنباري، 277/1 المسألة الأربعون.

5 - الصرف الكوفي، لـ أحمد عبد الدايم ص47-48.

الألف من آخرها وسُكنت ميمها، كما فعلوا في "إم" فصار "كم مالك" والمعنى كأى شيء مالك من الأعداد، والدليل على ذلك قولهم: "كأين من رجل رأيت" أي: كم رجل رأيت، ونظير "كم" "لم" فإنّ الأصل في "لم" "ما" وزيدت عليها اللام، فصارتا جميعاً كلمة واحدة، وحُذفت الألف لكثرة الاستعمال وسُكنت ميمها.

أمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا: "إنما قلنا إنها مفردة؛ لأنّ الأصل هو الإفراد، وإنما التركيب فرع، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل، ومن عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل".¹

ويقول الدكتور أحمد عبد الدايم في كتابه الصرف الكوفي: "وأكاد أميل إلى رأي الكوفيين لسببين:

- 1- ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر حذف منها الألف، نحو عمّ-لم-ممّ، وعليه إذا قلنا إنّ "كم" مكونة من "ما" ثم جرّت بالكاف لذلك حذف منها الألف.²
- 2- والسبب الآخر أنه إذا كانت "كأين" تجري مجرى "كم" والكاف في "كأين" للتشبيه، فإنّ الكاف أيضاً في "كم" للتشبيه، ثم صارت وما بعدها بمنزلة شيء واحد.³

المبحث الثاني: الآراء الكوفية في أقل الأحرف الأصول وفي اشتقاق الاسم

بعد أن تناولنا في المبحث السابق (بعض الأدوات) من حيث البساطة والتركيب، والأصالة، والزيادة، أحببنا في هذا المبحث أن نتحدّث عن رأي الكوفيين

1 - الإنصاف 279/1.

2 - يُنظر: الصرف الكوفي ص48.

3 - المصدر نفسه ص48.

في أقل الأحرف الأصول في بُنية الكلمة العربية سواء أكانت اسماً معرباً أم فعلاً متصرفاً، وأن تتحدّث بعد ذلك عن اشتقاق الاسم، وذلك بإبراز وجهة نظر البصريين أيضاً في كل ذلك، لكي تكتمل الفائدة.

أولاً: أقلّ الأحرف الأصول في بنية الكلمة العربية:

كان الخليل يرى أنّ أبنية الكلمات ثلاثية ورباعية وخماسية، لا تقل عن ثلاثة أحرف.¹

وجاء الكوفيون فوافقوا الخليل على أنها لا تقل عن ثلاث، ولكنهم خالفوه في الرباعي والخماسي، وعندهم أنّ البناء لا يقل عن ثلاثة، ولا يزيد على ثلاثة، وما زاد على الثلاثة فزائد على أصل البناء، فالمثال المجرد على هذا عندهم هو: "ف، ع، ل" أما ما زاد على ذلك من تكرار اللام حين يوزن الرباعي نحو جعفر بفعّل، والخماسي نحو سفرجل بفعّل، إنما هو زيادة طارئة على أصل البناء.²

والذي يؤيد أنّ أقلّ أصول المعرب والمتصرف ثلاثة عند الكوفيين ورود بعض الأسماء التي ظاهر لفظها أنّها ثنائية، نحو: "أب، أخ، حم" حيث نجدهم يردونها إلى الثلاثي؛ إذ الأصل فيها عندهم أنها مبنية على ثلاثة أصول، غير أنّ استعمالها على الألسنة كثيراً أسقط منها الأصل الثالث للتخفيف.³

فالجمهرة الغالبة من أبنيتها إنما بُني على ثلاثة أصول، وهي مرحلة التطور التي استقرت عندها اللغة العربية في رأي الكوفيين كما يدل عليه تشبّثهم في

1 - مدرسة الكوفة ص184.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص186.

أنّ أقل ما يتألف منه الاسم ثلاثة أصول، ويقول برجستراسر: إنّ أقدم الأسماء صيغة هي الأسماء الثنائية، والعربية قد حافظت مع بنائها الأصلي على كثير منها، غير أنها اشتقت من بعضها صيغاً جديدة بزيادة أحد حرفي العلة، أو بزيادة همزة أو هاء، مثال ذلك في الجمع الصحيح: أخوات، وفي التكسير: آباء، وفي الأسماء المشتقة أبوة.¹

ثانياً: في اشتقاق الاسم

يقول الأنباري: "ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم، وهو العلامة، وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو الذي هو العلو".²

وحجّة الكوفيين في ذلك أن الوسم في اللغة هو العلامة، والاسم وسم على المسمى، وعلامة له يعرف به، ألا ترى أنك إذا قلت: زيد أو عمرو، دلّ على المسمى فصار كالوسم عليه.³

يقول الدكتور أحمد عبد الدايم في هذه المسألة: "إلا أننا نميل إلى ما ذهب إليه علماء الكوفة للأوجه التالية:

أولاً: يحتجّ الأنباري على أنّ همزة التعويض تقع في أول الكلمة تعويضاً من حذف اللام، لذلك هو يرى -تبعاً للبصريين- أنّ اسم أصلها من "سمو"، حُذفت الواو وعوض عنها بالألف، وهذا القول مردود عليه بأنّ هناك كلمات حُذفت أولها وعوض

1 - مدرسة الكوفة، ص187.

2 - الإنصاف 17/1، المسألة الأولى.

3 - المصدر نفسه.

عنه بالهمزة في أوله أيضاً، من ذلك كلمة "أول" فأصلها "وَل" حذفت الواو الأولى وعوض عنها بالهمزة فصارت (أول).

ثانياً: الآدميون لهم أسماء "علامات" يتميزون بها فهذا زيد، وهذه فاطمة، وتلك عائشة لكن الآدميين درجوا على تميز قطعانهم في المراعي على وضع "وسم" لها يميز بينها؛ لأنّ الاسم في هذه الحالة لا يصلح لندائها وتجميعها، فجاء الوسم في الحيوان مرادفاً للاسم في الإنسان.

ثالثاً: الأقرب إلى الصواب عقلاً أن يكون الاسم مشتقاً من الوسم؛ لأنّ الاسم علامة والوسم علامة، لا أن يكون من "السمو"؛ لأنّ السموم كبرياء وارتفاع قدر¹.

وبهذه الأدلة المقنعة التي قدّمها الدكتور أحمد نرى أننا نميل من غير تردد إلى رأي الكوفيين في هذه المسألة.

الفصل الثالث: نماذج من أقيسة الكوفيين.

قبل أن نعرض نماذج من أقيسة الكوفيين في الصرف يجدر بنا أن نقف على تعريف القياس وأركانه باختصار.

القياس في اللغة: من قيس: قاس الشيء يقيسه قياساً وقياساً، واقتاسه، وقيسه إذا قدره على مثاله².

وفي الاصطلاح: حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه³.

وللقياس أربعة أركان هي: أصل، وفرع، وعلة، وحكم¹.

1 - الصرف الكوفي ص 38-39.

2 - لسان العرب 3793/42 قيس

3 - الاقتراح ص 59.

أولاً: نموذج من أقيسة الكوفيين في المشتقات

اسم الفاعل:

الكوفيون يسمون هذا النوع من المشتقات (الفعل الدائم).²

ويُصاغ اسم الفاعل من الثلاثي على وزن (فاعل)، ومن غير الثلاثي على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر وهذا هو القياس.

وقد التزم الكوفيون بهذا القياس، ورفضوا ما خالفه من المسموع القليل، وإن كان لغة³، فقد قال الفراء: "إلا أنّ من العرب - وهم قليل - من يقول المتكبر: متكبر، كأنهم بنوه على "يتكبر"، وهو لغة الأنصار، وليس مما يُبنى عليه".⁴

ويتضح من كلام الفراء السابق أنّ الكوفيين قاسوا على الكثير حفاظاً على اطراد القاعدة، ومع ذلك نجده قد حفظ لنا النادر من المسموع عن العرب مع عدم القياس عليه.

ثانياً: نموذج من أقيسة الكوفيين في التنثية

تنثية الممدود والمقصور فيما زاد على ثلاثة أحرف يقول الأنباري: "ذهب البصريون إلى أنه لا يجوز حذف شيء من ذلك في مقصور ولا ممدود، وذهب الكوفيون إلى أنّ الاسم المقصور إذا كثرت حروفه سقطت ألفه في التنثية، فقالوا في

1 - المصدر نفسه ص60.

2 - مدرسة الكوفة ص239.

3 - منهج الكوفيين في الصرف 346/2.

4 - معاني القرآن 153/2.

تنثية "خوزلى" و"قهقرى": خوزلان، وقهقران، وذهبوا أيضاً فيما طال من الممدود إلى أنه يُحذف الحرفان الآخران، فأجازوا في "قاصعاء": قاصعان¹.

وحجة الكوفيين في ذلك أنّ المقصور والممدود عند تنثيتهما يزدادان طولاً، لذلك جاز أن يُحذف منهما لكثرة حروفهما قياساً على كثرة الاستعمال، واستدلوا على ذلك بألفاظ تم الحذف منها لكثرة حروفها نحو: اشهاب: اشهباباً، وأصله: اشهباباً، حذفوا في هذه الكلمة الياء لطولها وكثرة حروفها².

ويقول الدكتور أحمد عبد الدايم في هذه المسألة: "رأينا في المسألة: لا أوافق الكوفيين فيما ذهبوا إليه، وكذلك لا أوافق البصريين لسببين:

1- أرى أنّ المقصور إذا طال، فإن ألفه تحذف عند التنثية لالتقاء الساكنين "ألفه وألف المثنى"، وحيث إنّ طوله لا يضره الحذف، ولا يجحف بنيته وذلك نحو "خوزلى-قهقرى" فإنّ أمثال هذه الكلمات تحذف ألفها أولاً ثم تُضاف الألف والنون لئلا يلتقي ساكنان.

2- أما الممدود، فيلاحظ أنه ينتهي بألف وهمزة، والهمزة في تقديري ألف، فكأنه ينتهي بألفين، فما بالك به إذا أضيفت إليه ألف ثالثة وهي ألف التنثية، لا شك أنه يطول ويتقل، على طول وثقله، لذلك تحذف الألف والهمزة ثم تضاف ألف المثنى في نحو "قاصعاء وحائباء" حيث تحذف الألف والهمزة وتضاف ألف ونون التنثية فتقول: "قاصعان، حائبان" وهكذا³.

1 - الإنصاف 255/2

2 - يُنظر: الإنصاف 255/2، وأيضاً: الصرف الكوفي ص 94.

3 - الصرف الكوفي ص 94-95.

ثالثًا: نموذج من أقيسة الكوفيين في الوقف

قبل أن نتعرض لنموذج عن أقيسة الكوفيين في الوقف يجدر بنا أن نقف على تعريف الوقف لغةً واصطلاحًا.

الوقف لغة: مصدر قولك وقفتُ الدابة ووقفت الكلمة وقفًا، وهذا مجاوز، فإن كان لازمًا قلت: وقفتُ وقوفًا، ووقف الأرض على المساكن، وفي الصحاح للمساكن وقفًا أي: حبسها.¹

وفي الاصطلاح: قطع النطق عند آخر الكلمة.²

والمثال الذي على الوقف هو:

الوقف بنقل حركة المنسوب على الساكن قبله.

قال الأنباري: "ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يقال في الوقف: رأيت البكر، بفتح الكاف في حالة النصب، والبصريون يرون أنه لا يجوز ذلك".³

إلا أنّ النُّحاة جميعًا اتفقوا على جواز نقل حركة الرفع "الضمة" وحركة الجر "الكسرة" إلى الكاف، فيقال: جاء البكر، وسلمت على البكر، وقد قاس الكوفيون ذلك في هذه المسألة على ورود ذلك النقل في حركة المرفوع والمخفوض في شعر العرب⁴، مثل قول الشاعر:

1 - لسان العرب 4898/54 وقف.

2 - شذا العرف في فن الصرف للحملوي ص168.

3 - الإنصاف 234/2، المسألة 106.

4 - يُنظر: المصدر نفسه 234/2، وأيضًا: الصرف الكوفي ص81.

أنا ابن ماوية إذ جدّ النَّقْرُ¹

الشاهد في قوله "النَّقْرُ" حيث نقل حركة الراء وهي الضمة إلى القاف في الوقف.

وقول الآخر:

علمنا إخواننا بنو عَجَلٍ شُرِبَ النبيذ واصطفافاً بالرَّجِلِ²

الشاهد فيه قوله: عَجَلٍ ، الرَّجِلِ، حيث نقل الشاعر حركة اللام وهي الكسر في كليهما إلى الجيم في الوقف.

قال الكوفيون: "إذا ثبت هذا في المرفوع والمخفوض فكذلك أيضاً في المنصوب؛ لأنّ الراء في قولك: رأيت البكر في حالة النصب ساكنة، كما هي ساكنة في قولك: هذا البكرُ، مررتُ بالبكرِ، في حالة الرفع والخفض، فكما حركت الكاف في المرفوع والمخفوض ليزول اجتماع الساكنين، فكذلك يجب أيضاً أن يختاروا الفتحة في المنصوب لأنها الحركة التي كانت للكلمة في حالة الوصل".³

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: "إنما قلنا أنه لا يجوز ذلك؛ لأنّ أول أحوال الكلمة التثنية، ويجب فيها في حال النصب أن يقال "بكرًا" فلا يجوز أن تحرك العين، إذ لا يلتقي فيه ساكنان كما يلتقي في حال الرفع والجرّ، فلمّا امتنع في النصب تحريك العين في حال التثنية دون حال الجرّ والرفع تبعه حال

1 - البيت لـ عبيد الطائي، يُنظر: لسان العرب 4520/50 مادة: نقر

2 - البيت بلا نسبة. يُنظر: لسان العرب 2824/31 مادة: عجل.

3 - الإنصاف 2/237.

التعريف؛ لأنّ اللام لا تلزم الكلمة في جميع أحوالها؛ فلذلك رُوعي الحكم الواجب في حال التنكير".¹

الخاتمة والنتائج

في ختام هذا الجهد المتواضع الذي نأمل أن نكون قد وفّقنا في عرض مادته العلمية، توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي:

- 1- الكوفيون يميلون إلى التركيب في بنية الأدوات.
- 2- يرى الكوفيون أنّ أقلّ الأحرف الأصول في بنية الكلمة العربية سواء أكانت اسماً معرباً أم فعلاً متصرفاً لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على ثلاثة.
- 3- يرى الكوفيون أنّ الاسم مشتق من الوسم وهو العلامة.
- 4- ذهب الكوفيون في تثنية الممدود والمقصور فيما زاد على ثلاثة أحرف إلى سقوط ألف الاسم المقصور عند التثنية، وحذف الحرفان الأخيران في الممدود.
- 5- ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نقل حركة المنصوب إلى الساكن قبله في الوقف قياساً على المرفوع والمخفوض.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، لابن القطاع الصقلي (ت515هـ)، تحقيق ودراسة: أ.د. أحمد محمد عبد الدايم، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1999م.
- 2- الاقتراح في علم أصول النحو، تأليف: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ-1998م.
- 3- إنباه الرواة على أنباه النحاة: تأليف: الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت624هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1406هـ-1986م.
- 4- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تأليف: كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباري (ت577هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد، بإشراف إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ-1998م.
- 5- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ-1979م.
- 6- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو، تأليف: شيخ النحاة الإمام العلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك، محلّى بهوامش وفوائد كالدرر منتخبة من

شرح المتن المذكور للمصنّف والعلامة الدماميني، طبع في المطبعة الميرية، ط1، 1319هـ.

7- شذا العرف في فنّ الصرف، تأليف: الأستاذ الشيخ أحمد الحملوي، أستاذ العلوم العربية بدار العلوم وأحد علماء الأزهر الشريف، المكتبة الثقافية، بيروت- لبنان، (لا.ت).

8- شرح شافية ابن الحاجب، تأليف: الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي (ت686هـ)، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب (ت1093هـ)، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها الأساتذة: محمد نور الحسن، ومحمد الزفراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، المجلد الأول، 1395هـ-1975م.

9- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1419هـ-1998م

10- شرح المفصل للشيخ العالم العلامة جامع الفوائد موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت643هـ)، مكتبة المنتبّي، القاهرة (لا.ت).

11- الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م.

- 12- الصرف الكوفي للدكتور أحمد محمد عبد الدايم، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط2، الناشر دار الهاني للطباعة والنشر (لا.ت).
- 13- الصرف الوافي، تأليف: الدكتور أحمد محمد عبد الدايم، ط2، توزيع دار الثقافة العربية.
- 14- الصرف وتطبيقاته، إعداد: مكتب الدراسات والتوثيق في دار النهضة العربية، بيروت، 2001م.
- 15- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت379هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وقف على طبعه ونشره محمد سامي أمين الخانجي، مصر، ط1، 1373هـ-1954م.
- 16- لسان العرب لابن منظور، طبعة محققة ومذيّلة بفهارس مفصلة، تولى تحقيقها نخبة من العاملين بدار المعارف: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة (لا.ت).
- 17- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، تأليف: الدكتور مهدي المخزومي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1377هـ-1958م.
- 18- معاني القرآن، تأليف: أبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار. (لا.ت)

- 19- المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله الأمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ-1954م.
- 20- منهج الكوفيين في الصرف، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، لـ مؤمن بن صبري غنام، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1418هـ-1997م.
- 21- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ)، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (لا.ت).

التصغير أحكامه ودلالاته في القرآن الكريم

د. إبراهيم فرج الحويج*

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، سبحانه وحده المنعوت
بجميل الصفات، والمستعان على كل أمر، والذي يؤيد الصابرين بعزیز نصره،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحبیبنا محمد ﷺ عبده
ورسوله، كامل الأخلاق، مدحه ربه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (1) وسلام على
آله وصحبه أهل الوفاء والصدق أجمعين، ورضي الله تعالى عن علماء هذه الأمة
العاملين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

ويعد...

فإنني أتقدم بهذا البحث إلى عشاق اللغة العربية، وإلى كل من يجمعنا به
رباط العلم من مستمعين وقراء ومدرسين، أحاول أن أتكلم عن موضوع (التصغير)
وما يتعلق به من أحكام وأمور عديدة تقتضيها الدراسة والبحث.

مشكلة البحث

دراسة الكلمات المصغرة في القرآن الكريم، والتعرف على الآيات المذكورة
فيها هذه الكلمات، ودراسة أوزانها، وتركيبها، وكيفية تصغيرها على هذه الأوزان،
وذكر إذا يوجد فيها خلاقات من حيث التصغير وعدمه.

* كلية الآداب الخمس - جامعة المرقب

(1) سورة القلم الآية: 4.

أهداف البحث:

1. إثراء المكتبة العربية بالبحوث التي تدرس كتاب الله تعالى.
2. التعرف على الآيات التي بها تصغير.
3. تقريب الكلمات المصغرة للبحاث الموجودة في القرآن الكريم.
4. توضيح الكلمات المصغرة، وما حدث فيها من تغيير، وما تحمله من معاني.

المسائل التي سيتناولها البحث:

1. تعريف التصغير، وذكر أحكامه، وأغراضه، وأوزانه .
2. شروط التصغير، وأنواعه.
3. التصغير في القرآن الكريم (ذكر الآيات التي بها تصغير وكيفية تصغيرها).

الطريقة المتبعة:

جمع الآيات الموجودة بها تصغير، وترتيبها حسب ترتيب السور في القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

نظرا لأهميته وقيمه الصرفية والدلالية؛ لأنه له أوزان مختصة به، وليست جارية على نظام الميزان الصرفي العام.

أهمية الموضوع:

له أهمية كبيرة لأنه متعدد الأغراض، وفيه صعوبة في الصياغة، والتصغير ظاهرة من الظواهر اللغوية في اللغة العربية الفصحى وفي اللهجة العامية، وربما في لغات العالم الأخرى؛ لأن التصغير معنى، والمعاني لا تختص بلغة دون أخرى. قد قسمت البحث إلى مقدمة تشمل: عنوان البحث، وسبب اختيار الموضوع، وأهميته، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: تعريف، وأحكام، وأغراض وأوزان التصغير:

المطلب الأول: تعريف التصغير.

المطلب الثاني: حكم التصغير.

المطلب الثالث: أغراض التصغير.

المطلب الرابع: أوزان التصغير.

المبحث الثاني: شروط، وأنواع التصغير:

المطلب الأول: شروط التصغير.

المطلب الثاني: أنواع التصغير.

المبحث الثالث: التصغير في القرآن الكريم (نماذج)

الخاتمة

المصادر والمراجع

المبحث الأول: تعريف، وأحكام، وأغراض وأوزان التصغير:

المطلب الأول: تعريف التصغير.

لغة:

(ص غ ر) الصِّغْرُ ضدَّ الكِبَرِ، وقد صَغُرَ بالضم فهو صَغِيرٌ وصُغَارٌ بالضم وأصغَرَه غيره وصَغَّرَه تصغيراً، واستصغَرَه عدَّه صَغِيراً، وقد جُمع الصَّغِيرُ في

الشَّعْرَ على صُغْرَاءَ، والصُّغْرَى تَأْنِيثُ الْأَصْغَرِ والجمع الصُّغْرُ قال سيبويه (1): لا يقال نِسْوَةٌ صُغْرٌ ولا قَوْمٌ أَصَاغِرٌ إلا بالألف واللام، قال: وسَمِعْنَا الْعَرَبَ يَقُولُ: الْأَصَاغِرُ وَإِنْ شئتُ قلت: الْأَصْغَرُونَ، وَالصَّغَارُ بِالْفَتْحِ الدَّلُّ وَالصَّيْمُ وكذا الصُّغْرُ كَالصُّغْرِ وقد صَغَرَ الرَّجُلُ من باب طَرِبَ فهو صَاغِرٌ، وَالصَّاعِرُ أيضاً الرَّاضِي بِالصَّيْمِ (2).

اصطلاحاً:

تغيير صيغة الاسم لأجل تغيير المعنى تحقيراً، أو تقليلاً، أو تقريباً، أو تكريماً، أو تطفافاً (كَرَجَيْلٌ، وَدُرَيْهَمَاتٌ، وَفُيَيْلٌ، وَفُويِقٌ، وَأُخْيٌ) (3).

المطلب الثاني: حكم التصغير.

لا بد في التصغير من ثلاثة أعمال وهي: ضم الحرف الأول، وفتح الحرف الثاني، واجتلاب ياء ساكنة ثالثة، مثل: رجل تقول: رُجَيْلٌ، ولا يجوز أن يصغر اسمٌ يكون على أقل من ثلاثة أحرف، أما إذا زاد الاسم على ثلاثة أحرف كسر الحرف الذي يلي ياء التصغير، مثل: درهم تقول: دُرَيْهَمٌ، ويستثنى من ذلك أربعة مسائل:

(1) سيبويه (148-180هـ - 765 - 796م): هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، يُكنى أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ينظر: ترجمته في: أنباه الرواة على أنباه النحاة 27/2، و بغية الوعاة 229/2، و الأعلام 81/5.

(2) ينظر: لسان العرب، والصاحح في اللغة، والمعجم الوسيط مادة (صغر).

(3) ينظر: كتاب سيبويه 415/3، والأصول في النحو 36/3، والشافعية في علم التصريف 32/1،

ومعجم التعريفات 54 .

- 1- ما قبله علامة التأنيث، وهي نوعان التاء كشجرة، وألف كحلبى.
 - 2- ما قبله المدة الزائدة قبل ألف التأنيث، كحمراء.
 - 3- ما قبله ألف أفعال كأجمال، وأفراس.
 - 4- ما قبله ألف فعلان الذي لا يجمع على فعالين، كسكران، وعثمان.
- فهذه المسائل يجب فيها أن يبقى ما بعد ياء التصغير مفتوحاً، أي: باقياً على ما كان عليه⁽¹⁾.

المطلب الثالث: أغراض التصغير⁽²⁾.

يصغر الاسم لأحد الأغراض الآتية:

- 1- تحقير ما يجوز أن يتوهم عظيماً، مثل: في رجل، رجيل، وفي عالم، عويلم.
- 2- تقليل ما يجوز أن يتوهم كثيراً، مثل: عندي دراهم، فيجوز أن تكون كثيرة، أما إذا صغرت وقلت: عندي دراهمات؛ فيعلم أنها قليلة.
- 3- تقليل جسم الشيء وذاته، مثل: طفل، طفيل، وكلب، كليب.
- 4- تقريب الزمان، مثل: جئتك قبل شهر رمضان، فيجوز أن يتوهم أن مجيئك قبل شهر رمضان بشهر أو أكثر، فإذا قلت: جئتك قبيل شهر رمضان، علم أنه قبله بقليل، وكذلك في قولك: جئتك بعد شهر رمضان، فيجوز أيضاً أن

(1) ينظر شرح كتاب سيويوه 166/4، والأصول في النحو 275/2، وشرح شافية ابن الحاجب

189/1، والشافية في علم التصريف 32/1، وشرح التصريح على التوضيح 560/2.

(2) ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية: 156/1.

يتوهم أن مجيئك بعد شهر رمضان بشهر أو أكثر، أما إذا قلت: جئتُك بُعيد شهر رمضان، علم أنه بعده بقليل.

5- تقريب المكان، مثل: فويق، تحيت، في قول القائل: بيني وبين النهر فويق الميل، وتحيت الفرسخ.

6- التحبب وإظهار الود، مثل: يا صديقي، يا بنيتي.

7- الترحم، (أي إظهار الرحمة والشفقة)، مثل: هذا البأس مُسيكين.

8- التعظيم، نحو: أصابتهم ذُويهيّة أذهلتهم.

9- الاختصار اللفظي مع إفادة الوصف، مثل: نُهَيِّرُ (1).

المطلب الرابع: أوزان التصغير.

(2) أوزان التصغير ثلاثة هي: فُعَيْلٌ، فُعَيْعِلٌ، فُعَيْعِيلٌ

فالأول: تصغير ما كان على ثلاثة أحرف من أي بناء كان، مثل: في فلس، فُلَيْسٌ، وفي جمل، جُمَيْلٌ، وفي قفل، قُفَيْلٌ.

الثاني: تصغير ما كان على أربعة أحرف من أي بناء كان، مثل: في درهم، دُرَيْهَمٌ، وفي جعفر، جُعَيْفِرٌ، وفي غلام، غُلَيْمٌ.

الثالث: فهو على وجهين، أحدهما أن يكون تصغير شيء على خمسة أحرف، والرابع منها واو أو ألف أو ياء، فالواو مثل: صندوق صُنَيْدِيْقٌ، وقربوس

(1) ينظر شرح كتاب سيويوه 164/4، وشرح شافية ابن الحاجب 191/190/1، واللباب في عل

البناء والإعراب 267/1، وهمع الهوامع 378/377/3، والنحو الوافي 684/683/4.

(2) ينظر: ينظر شرح شافية ابن الحاجب: 14/1.

فُرَيْبِس، والألف مثل: مصباح مُصْبِيح، وكرباس كُرْبَيْس، وأما الياء مثل: قنديل فُنَيْدِيل.

الوجه الثاني أن تصغر شيئاً على خمسة أحرف وليس رابعها واو ولا ياء ولا ألفاً فتحتاج أن تحذف منها حرفاً فتصغره كما تصغر ما كان على أربعة أحرف، ثم تعوض من المحذوف ياء، مثل: سفرجل سُفْرِج، وفي فرزدق فِرْزِد، وإن شئت قلت: سفيرج، و فِرْزِيد، فتعوض (1).

المبحث الثاني: شروط، وأنواع التصغير:

المطلب الأول: شروط التصغير.

التصغير خاص بالأسماء وحدها؛ فلا تصغر الأفعال والحروف .

ويشترط في الاسم الذي يراد تصغيره ما يلي (2) :

1- أن يكون معرباً؛ فلا تصغر (قياساً) الأسماء المبنية: كالضمائر، وأسماء الاستفهام، وأسماء الشرط، وغيرها من المبنيات، إلا ما ورد مسموعاً منها مصغراً؛ فيقتصر على الوارد منه، وأشهر هذا المسموع يأتي:

أ- المركب المزجي (علماً وعدداً)؛ فيقال في تصغير نَفْطَوِيَه: نَفَيْطَوِيَه، وفي أحدَ عشرَ: أَحَيْدَ عشرَ.

ب- ذا، وتا، وأولى، أو أولاء (مقصورة وممدودة) والثلاثة أسماء إشارة، والمسموع الشائع فيها عند التصغير هو: ذِيًا، و تِيًا (بفتح أولهما، وقلب ثانيهما

(1) ينظر شرح كتاب سيويوه 165/4، وشرح التصريح على التوضيح 560/2، وأوضح المسالك

. 32/4، والشافية في علم التصريف 32/1 .

(2) ينظر: النحو الوافي: 709/4.

وهو الألف_ ياء تدغم في ياء التصغير، وزيادة ألف جديدة بعد الياء المشددة)، وأولياً (بالقصر، مع تشديد الياء ومدّها، دون الهمزة) أو أُثْبِتًا (بالياء الممدودة بعد ياء التصغير)

ج- الذّي، والذّي، والذّين (والثلاثة من أسماء الموصول)، ومن المسموع فيها عند التصغير: اللذّي أو اللذّيّ، و اللثّيّ أو اللثّيّ، واللذّين.

د- المنادى المبني، نحو: حسن فتصغير المنادى يا حُسَيْن.

2- أن لا يكون مصغر اللفظ، كدريد، وكُميت، وسويد (أعلام شعراء)، وكُعيت (اسم البلبل).

3- أن يكون معناه قابلاً للتصغير؛ فلا تصغر الأسماء التي يلازمها التعظيم كأسماء الله، والأنبياء، والملائكة، ونحوها، ولا لفظ كل؛ لدلالته على العموم، ولا لفظ بعض؛ لأنه يدل بنفسه على التقليل، ولا أسماء الشهور، كصفر، ورمضان؛ لأنه يدل على مدة زمنية محددة، و لا أيام الأسبوع؛ كالسبت، والأربعاء (1).

المطلب الثاني: أنواع التصغير.

التصغير نوعان: تصغير أصلي، وتصغير ترخيم، ولكل منهما طريقة خاصة به.

(1) ينظر شرح كتاب سيبويه 165/4، وشرح التصريح على التوضيح 560/2، وأوضح المسالك

. 32/1، والشافية في علم التصريف 325/4.

النوع الأول: التصغير الأصلي، طريقته:

الاسم المراد تصغيره أصالة قد يكون ثلاثياً، أو ثنائياً منقولاً عن أصل ثنائي، أو رباعي، أو أكثر من ذلك. (1)

1- تصغير الاسم الثلاثي الصحيح، مثل: سعد، وحسن، تقول: سَعِيدٌ، وحُسَيْنٌ، بضم أوله، وفتح ثانيه، واجتلاب ياء ثالثه.

2- أما إذا كان الاسم الثلاثي مضعف الأصول، مثل: قِطٌّ، دُرٌّ، وجب فك الإدغام، تقول: قطط، دُرر، ثم تصغر قُطَيْط، دُرِير.

3- وإذا كان الاسم الثلاثي مزيد بتاء التانيث فإنه يصغر مثلما يصغر الثلاثي المجرد، مثل: شجرة، ثمرة، تقول: شُجيرة، وثُميرة.

4- إذا كان الاسم الثلاثي قد حذف منه بعض أصوله وبقي على حرفين، وجب رد المحذوف عند التصغير، مثل: كل، وبع، ويد، تقول: أكَيْلٌ، وُبَيْعٌ، وُبَيْدٌ.

5- إذا كان الاسم ثنائي الأصل، وكان ثانيه صحيحاً، وجب عند تصغيره أما تضعيف ثانيه بشرط أن يكون أحد المضعفين قبل ياء التصغير والآخر بعدها، وإما تضعيف ياء التصغير نفسها، مثل: هل، ويل، عند تصغيرها تقول: هَلَيْلٌ أو هُلَيْيٌ، و بُلَيْلٌ أو بُلْيِيٌ، أما إذا كان ثانيه معتلاً وجب تضعيفه وتكون ياء التصغير بين المضعفين، مثل: لُو، ما تقول: لُوِيٌّ، مُوِيٌّ.

(1) ينظر: المقتضب: 271/2.

- 6- إذا كان الاسم الثلاثي مؤنث بغير تاء وجب زيادة تاء في آخره؛ لتدل على تأنيثه، سواء كان باقيا على ثلاثة، نحو: أذن، وعين، أم كان بعض أصوله محذوفاً، نحو: يد، أصلها يُدي، حذفت لامها تخفيفاً؛ فتقول عند تصغير تلك الأسماء وما أشباهها: أذينة، عُيينة، يُديّة.
- 7- إذا كان الاسم ثانيه حرف علة، وكان أصلياً يقلب واواً، مثل: باب، بويب، أما إذا كان حرف العلة أصله ياء ترد إلى أصلها عند التصغير، مثل: ناب، تقول: نُيبب.
- 8- تصغير الرباعي الصحيح، فإن حكمه كحكم الثلاثي الصحيح، مثل جعفر، جُعيفر، وبنديق، بُنيدق.
- 9- أما إذا كان الاسم الرباعي ثالثه حرف مد، مثل كتاب، وسحاب، عند تصغيره وجب قلبه ياء، وتدغم في ياء التصغير، تقول: كُتَيْب، وسُحَيْب.
- 10- تصغير الخماسي الصحيح، مثل: سفرجل، وفرزدق، تحذف بعض أحرفه، تقول: سُفيرج، وفريزد أو فريزق.
- 11- أما إذا كان الاسم الخماسي رابعه حرف لين، مثل: سرحان، عصفور، قنديل، (في الأغلب) وجب حذف بعض أحرفه الضعيفة، وقلب حرف اللين ياء، وتدغم في ياء التصغير، فتقول: سُريحين، وعُصيفير، وقُنيديل.
- 12- أما الاسم الخماسي المختوم بألف التانيث لا يحذف منها شيء، مثل: قرفصاء، عند تصغيرها تقول: قُريفصاء، وكذلك الاسم المختوم بتاء التانيث، مثل: جوهرة، تقول: جُويهرة، والاسم المختوم بألف ونون زائدتين، مثل: زعفران، تقول: زُعيفران، والاسم المختوم بياء النسب، مثل: عبقرّي، تقول: عُبيقرّي، والاسم

المختوم بعلامتي جمع المذكر والمؤنث السالم أيضا، مثل: أحمدون، وزينات، نقول: أُحيمدون، وُرُنبيبات.

13- تصغير العلم المركب ولا يُصَغَّر من غير المتمكن إلا (أفَعْلُ) في التعجب ، والمركب المزجي كَبَعْلَبَكْ، وَسَيَّوِيهِ في لَغَة مَن بَنَاهُمَا، وأما من أعربهما فلا إشكال، وتصغيرها تصغير المتمكن نحو ما أحسنة، وُيَعْلَبِكْ، وَسَيَّوِيهِ (1).

النوع الثاني: تصغير الترخيم.

هو عبارة عن تصغير الاسم بعد تجريده مما فيه من أحرف الزيادة .
 فيصغر الثلاثيَّ الأصول على (فَعِيل)، مجردًا من التاء، إن كان مسماه مذكرًا، مثل: حَمِيد، في حامد، ومحمود، ومحمد، وأحمد، وحمَّاد، وحمدان، وحمَّودة، ولا التفات إلى اللبس ثَقَّةً بالقرائن، وإلا فبالتاء، مثل: حُبَيْلَة وسويدة في حبلى وسوداء، إلا الوصف المختص بالنساء، مثل: حائض وطالق، فيقال في تصغيرهما: حَيِّض وطَلِّق من غير تاء؛ لكونه في الأصل وصف مذكر، أي شخص حائض أو طالق، فإن صغرتهما لغير ترخيم، قلت: حَوِيض بشدِّ الياء، وطُويِّق، بقلب ألفهما واوًا، لأنها ثانية زائدة.

وأما الرباعيّ: فيصغر على (فُعَيْعِل)، مثل: قُرَيْطِس، وَعَصِيفِر، في قِرطاس وعُصفور، ويصغر إبراهيم وإسماعيل ترخيما على بُرَيْه وسَمِيح، ولغير ترخيم على

(1) ينظر شرح كتاب سيبويه 4/192-213، وشرح ابن عقيل 4/151، وجمع الهوامع 3/391،

وشرح التصريح على التوضيح 2/561، 560، والنحو الوافي 4/688-700.

بُرِّيهِمْ وَسُمِّيَعِيلَ، أو على أْبِيْرِهِ وَأَسْمِعَ، على الخلاف في أن الهمزة أو الميم واللام أولى بالحذف، ولا يختص تصغير الترخيم بالأعلام، على الصحيح (1).

المبحث الثالث: التصغير في القرآن الكريم (نماذج)

بعد الاستقراء والحصر لكتاب الله تعالى تم التوصل للآيات التي بها التصغير وهي على النحو التالي، وهي مرتبة ترتيب المصحف الشريف:

أولاً: سورة الأعراف.

﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الآية (85)

شُعَيْبًا: شعيب اسم عربي تصغير لشعب أو شعب، والأدب ألا يُقال ذلك، بل هذا موضوع على هذه الرتبة، وأسماء الأنبياء لا يُدخل فيها تصغير ألبتة؛ إلا ما نطق به القرآن كشعيب عليه السلام أو صيغة تشبهه (2).

ثانياً: سورة براءة.

(1) ينظر شرح كتاب سيويوه 192/4_213، وشرح ابن عقيل 151/4، وهمع الهوامع 391/3،

وشرح التصريح على التوضيح 561/2، 560، والنحو الوافي 4/688-700.

(2) الدر المصون 1/2798، والبحر المحيط: 4/273، واللباب في علوم الكتاب: 9/210.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾
الآية (30)

عُزَيْرٌ: قرأها عاصم والكسائي بتتوين "عُزَيْرٌ" والباقون من غير تتوين على أنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، فأما القراءة الأولى تحتل أن يكون اسماً عربياً مبتدأً، و"ابن" خبره، فتتوينه على الأصل، ويُحتمل أن يكون أعجمياً، فُصِرَفَ لَخِيفَةَ لفظه كنوح ولوط، وهذا قول أبي عبيد، يعني أنه تصغير "عَزَرَ" فحكمه حكمُ مُكَبَّرَةٍ، وقد رُدَّ هذا القولُ على أبي عبيد؛ بأنه ليس بتصغيرٍ، إنما هو أعجمي جاء على هيئة التصغيرِ في لسانِ العربِ، فهو كسليمان جاء على مثال: عثمان وعُيَيْدَان، وهو ليس بمصغر. (1)

ثالثاً: سورة هود.

﴿ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَا بُنَيَّ اذْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ الآية (42)
رابعاً: سورة يوسف.

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَفْضُضْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ الآية (5)

جاءت كلمة (بني) في سورتي هود ويوسف وهي صيغة تصغير لـ (ابن) مضافا إليه ياء المتكلم، ويدل هنا على الشفقة والرحمة، بحيث يجعله صغيراً، والتصغير يعيد الأشياء إلى أصولها، فأصله بُنْيُو، فالألف في ابن عوض من واو، أصله بنو، فلما أريد التصغير أعيدت الواو إلى أصلها، وهي حرف علة، فقلبت ياء،

(1) الدر المصون: 3067/1.

وأدغمت مع ياء التصغير، فأصبح بني زنة فعيل، ولما أضيف إلى ياء المتكلم اجتمعت الياءات الثلاث، فحذفت واحدة لتوالي الأمثال، فظل لفظه (بني) مع الإضافة، هذا في قراءة الجمهور، وقراه عاصم بُنيّ بفتح ياء المتكلم المُضَافِ إليها لأنها يَجُوزُ فَتَحُهَا فِي النَّدَاءِ (1)

خامسا: سورة يوسف

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ الآية (16)

(وجاءوا أباهم عشاء) أي آخر النهار، وقرىء (عشيا) بالياء وهو تصغير عشي وعشي بالضم والقصر جمع، أي عشوا من البكاء . (2)

سادسا: سورة مريم.

﴿يَرْتَبِي وَيَرْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ الآية (6)

قرأ مجاهد "أُوَيْرْتُ" وهو تصغير "وارث"، والأصلُ وُوَيْرْتُ بواوين، وَجَبَ قَلْبُ أُولَاهِمَا هَمْزَةٌ لِاجْتِمَاعِهَا مَتَحْرِكِينَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ، وَالْوَاوُ الثَّانِيَةُ بَدَلٌ عَنِ أَلْفِ فَاعِلٍ، وَأُوَيْرْتُ وَ "أُوَيْرْتًا" وَزَنُهُ فُوَيْرِلٌ لَا أَفْعِيلٌ بَخْلَافِ "أَحْمِير" تَصْغِيرِ "أَحْمَر"، وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ "وَارِث" بِكَسْرِ الْوَاوِ، وَيَعْنُونَ بِهَا الْإِمَالَةَ. (3)

(1) التحرير والتنوير: 76/12، 212، 213/12، والمظهري: 1860/1، والبحر المحيط: 233/5.

(2) أنوار التنزيل: 278/3.

(3) الدر المصون: 3968/1، واللباب في علوم الكتاب: 10/13.

سابعاً: سورة طه.

﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ

اهْتَدَى ﴾ الآية (135)

فَرِيءُ "السُّوِيِّ" بضم السين وفتح الواو وتشديد الياءِ تصغير "سوء" قاله الزمخشري، قال الشيخ: ليس بجيدٍ إذ لو كَانَ كذالك لثَبَّتَتْ همزةُ "سوء"، والأجودُ أَنْ يكونَ تصغيرَ "سواء"، كقولهم: عَطِيَ في عطاء، وقد جعله أبو البقاء أيضاً تصغيرَ السُّوسِ يعني بفتح السين، وَيَرِدُ عليه ما تقدّم إيرادُه على الزمخشريِّ . (1)

ثامناً: سورة يس.

﴿ يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ الآية (1، 2)

(يس) أصله يا إنسان في لغة طي على أن المراد به الرسول عليه الصلاة والسلام، ولعل أصله يا أنيسين تصغير إنسان للتكبير، فإن صيغة التصغير قد تكون لإظهار العطف والتعظيم، ولا سيما أن المتكلم بصيغة التصغير هو الله تعالى، فتكون "يا" من يس حرف نداء و"سين" شطر أنيسين فلما كثر النداء به في ألسنتهم اقتصرُوا على شطره الثاني للتخفيف، كما قالوا في القسم من الله أصله أيمن الله. (2)

تاسعاً: سورة الطارق

﴿فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ رُؤُودًا﴾ الآية (17)

(1) الدر المصون: 4129/1، واللباب في علوم الكتاب: 436/13.

(2) اللباب في علوم الكتاب: 166/16، وتفسير روح المعاني: 285/7.

(وَرُوْدًا) تَصْغِيرُ رُوْدٍ بَضَمَ الرَّاءِ بَعْدَهَا وَاوٌ، وَلَعَلَّهُ اسْمٌ مَصْدَرٍ، وَأَمَّا قِيَاسُ مَصْدَرِهِ فَهُوَ رُوْدٌ بَفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ، وَهُوَ الْمَهْلُ وَعَدَمُ الْعَجَلَةِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِفِعْلِ أُمَهْلُهُمْ، فَقَدْ أَكَّدَ قَوْلُهُ: فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ، وَتَصْغِيرُهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّقْلِيلِ، أَيِ مُهْلَةً عَيْرٌ طَوِيلَةً. (1)

عاشرا: سورة قريش

﴿لَايْلَافِ قُرَيْشٍ﴾ (الآية 1)

(قريش) تَصْغِيرُ قَرْشٍ (بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَشِبْهِ مُعْجَمَةٍ) اسْمٌ نَوْعٍ مِنَ الْحُوتِ قَوِيٌّ يَعْذُو عَلَى الْحَيْتَانِ وَعَلَى السُّفُنِ، وَقَالَ بَعْضُ النَّسَابِيِّينَ: إِنَّ قُرَيْشًا لَقَبُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ سُئِلَ مِنْ قُرَيْشٍ؟ فَقَالَ: مِنْ وُلْدِ النَّضْرِ (2)

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله عز وجل أهل الثناء والمجد الذي يسر لي إنجاز هذا البحث ووفقني فيه وأعانني عليه، وأصلي وأسلم على إمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى أن التصغير قد ذكر في القرآن الكريم في مواضع قليلة ومن أهم نتائج هذا البحث ما يلي:

(1) التحرير والتنوير: 30 / 268، والمظهري: 4193/1.

(2) التحرير والتنوير: 30/556.

1. أسماء الأنبياء لا يَدْخُلُ فيها تصغيرٌ ألبتة؛ إلا ما نَطَقَ به القرآن كشعيب عليه السلام أو صيغة تشبهه.
2. (عزيز) هناك من قرأه بالتتوين على أنه اسم عربي، ومنهم بغير تنوين على أنه أعجمي ومن قال أنه بغير التتوين على أنه مصغر، وهذا قول يعني أنه تصغيرٌ "عَزَّر" فحكمه حكمٌ مُكَبَّرَةٌ، فَصُرِفَ لِحَقَّةٍ لفظه كنوح ولوط، وهناك من رد على هذا وقال بأنه ليس بتصغيرٍ، إنما هو أعجمي جاء على هيئة التصغير، كسليمان جاء على مثال: عثيمان وعبيدان، وهو ليس بمصغر.
3. (بنّي) أصله بُنِيَ في سورتي هود ويوسف وهي صيغة تصغير لـ(ابن) مضافا إليه ياء المتكلم، وهي تدل على الشفقة والرحمة، بحيث يجعله صغيرا.
4. (يس) "الياء" حرف نداء و"سين" شطر انيسين، فلما كثر النداء به في ألسنتهم اقتصرُوا على شطره الثاني للتخفيف، فأصله يا إنسان في لغة طي، على أن المراد به الرسول عليه الصلاة والسلام، فصيغة التصغير هنا تدل على العطف والتعظيم، ولا سيما أن المتكلم بصيغة التصغير هو الله تعالى.
5. (وَرُوَيْدًا) تَصْغِيرُ رُوَيْدٍ بِضَمِّ الرَّاءِ بَعْدَهَا وَاوٌ، وَهُوَ الْمَهْلُ وَعَدَمُ الْعَجَلَةِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِفِعْلِ أَمْهَلُهُمْ، فَقَدْ أَكَّدَ قَوْلُهُ: فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ، وَتَصْغِيرُهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى النُّقْلِيلِ، أَيِّ مُهَلَّةٍ عَيْرٌ طَوِيلَةٍ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم
- 1- الأصول في النحو، المؤلف: أبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي (ابن السراج_ مستعار) (ت316هـ) تحقيق: محمد عثمان، ط 1، القاهرة، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، سنة 2009.
- 2-الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ) الناشر: دار العلم للملايين، ط 15، سنة 2002 م.
- 3-إنباه الرواة على أنباه النحاة، المؤلف: جمال الدين القفطي (624 هـ) الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، سنة 1424 هـ.
- 4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: البيضاوي، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
- 5-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المؤلف: جمال الدين عبد الله الأنصاري (761 هـ) دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 6-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت 911 هـ).
- 7-التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن

عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس
سنة النشر: 1984 هـ.

8- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في
التحقيق (1) د. زكريا عبد المجيد النوقي (2) د. أحمد النجولي الجمل، الناشر
دار الكتب العلمية، سنة النشر 1422 هـ - 2001 م.

9- التفسير المظهرى، تأليف محمد ثناء الله العثماني المظهري، ناشر: مكتبة
رشديه، تحقيق: غلام نبى تونسى، المطبعة: باكستان، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، سنة الطبع: 1412 هـ.

10- الدر المصون في علم الكتاب المكنون المؤلف: السمين الحلبي.

11- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب
الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: 1270 هـ)، المحقق:
علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة:
الأولى، 1415 هـ.

12- الشافية في علم التصريف، المؤلف: جمال الدين أبو عمرو عثمان بن
عمر الدويني النحوي المعروف بان الحاجب (ت 646 هـ) تحقيق حسن
أحمد العثمان، الناشر: المكتبة المكية، سنة النشر: 1995 م مكان النشر:
مكة .

- 13- شرح ابن عقيل، المؤلف: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، الناشر دار الفكر بدمشق، ط 2، سنة الطبع 1985، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- 14- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تأليف: الأزهري، خالد بن عبد الله الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، سنة الطبع 2000م.
- 15- شرح شافية ابن الحاجب، المؤلف: الشيخ رضي الدين محمد الحسن الاسترأبادي النحوي (686 هـ) تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزقراق، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع 1975م.
- 16- شرح كتاب سيويوه، المؤلف: أبو سعيد السيرافي (ت368هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، لبنان، سنة الطبع 2008، المحقق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي.
- 17- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط/4، 1987م.
- 18- الكتاب كتاب سيويوه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م،
- 19- اللباب علل البناء والإعراب، المؤلف: أبو البقاء حب الدين عبد الله بن الحسين عبد الله (د. ت. ط).
- 20- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي

محمد معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1419 هـ - 1998 م، الطبعة: الأولى.

21- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط/1، د/ت.

22- معجم التعريفات، المؤلف: العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت 816 هـ) الناشر: دار الفضيلة، القاهرة.

23- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، سنة 2004م.

24- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، الناشر عالم الكتب، مكان النشر بيروت.

25- الموجز في قواعد اللغة العربية المؤلف: سعيد بن محمد بن أحمد، الأفغاني (المتوفى: 1417هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة: 1424 هـ - 2003 م.

26- النحو الوافي، المؤلف: عباس الحسن، الناشر: دار المعارف القاهرة، ط11.

27- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: المكتبة التوفيقية، مكان النشر: مصر.

مراعاة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية في توجيه القراءات القرآنية

(كتاب الحجة للفراسي أنموذجاً)

إعداد: د. محمود محمد أميمن*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فالحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وجعل العربية مفتاح فهم القرآن الكريم، وواسطة تعقله فقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾¹.
 وإنه لأشرف ما فُضِّيت فيه الأوقات، وأعلى ما بُدِّلت له الجهود، وخير ما تَوَجَّهَتْ له الهمم، الاشتغال بالقرآن الكريم حفظاً، وتلاوة، ومدارسة، وتعلماً، وتعليماً، وفهماً، وتفسيراً، وقراءة، وتطبيقاً، وإذا كان فهم كتاب الله، وتدبر معانيه، وفهم مقاصده، ومرامييه، متوقفاً على معرفة العربية، فهذا يستوجب العناية بالعربية، أساليبها، ومعانيها، وطرائق تعبيرها، وإعرابها، واشتقاقها، ونحوها، وصرافها إلى غير ذلك مما تعلق بالعربية من علوم .

وقد أجمع علماء الأمة على أنّ معرفة أساليب العرب في كلامهم وعاداتهم وطرائق تعبيرهم من الواجبات التي تعين الناظر في كتاب الله عز وجل، المتأمل في آياته، المتفقه في أحكامه، ذلك أنّ هذا القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فلا يتحصل هذا الفهم لكتاب الله عز وجل إلا من عرف لغة العرب، وأساليبها، وعاداتها في كلامها، لأنّ الله تعالى خاطب العرب بما تفهم من خطابها، وعلى ما تعرف من

* كلية الآداب/الخمس - جامعة المرقب

1 سورة يوسف، الآية 2 .

معانيها فمن جهل لسان العرب تكلف من القول ما لا علم له به، ونَقُول على الله ما لم يقله.

وألف أحمد بن فارس¹ كتابا أسماه الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ذكر فيه بعض أساليب العرب، وعاداتهم في كلامهم² ، كما ناقش تلك السنن والعادات صاحب كتاب فقه اللغة³، والسيوطي في الإتيان⁴، وأشار المفسرون إلى تلك الأساليب في أماكن متفرقة من تفاسيرهم، وكذلك موجهو القراءات القرآنية .

فأشار أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط في مواضع كثيرة إلى أساليب العرب وعاداتهم الكلامية، وأتكا على هذه القرينة السياقية في تفسير وإلقاء الضوء على بعض آيات الذكر الحكيم⁵، وفي نظم الدرر للبقاعي⁶، وفي تفسير أضواء البيان أشير إلى جملة من الأساليب والعادات الكلامية التي ألفت الضوء على

¹ أبو علي الفارسي : هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، ولد في مدينة فسا في بلاد فارس سنة 288 هـ ، وقد أجمعت المصادر على أنه لم يكن في زمانه مثله في النحو، وتعد كتبه أساسا ركينا ومرجعا أصيلا من مراجع مكتبتنا العربية في اللغة والنحو، جاء في وفيات الأعيان 80١2 أنه: " كان إمام وقته في علم النحو"، ترك موروثا علميا ضخما وثروة عظيمة منها كتاب الحجة، وقد أثنى العلماء على كتاب الحجة وعلى مؤلفه الفارسي، جاء في طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة 295 : " كتاب الحجة في تخريج القراءات السبع من أحسن الكتب وأعظمها " .

2 انظر : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها 49 ، 50 ، 51 .

3 انظر: فقه اللغة وسر العربية 219 ، 220 ، 221 .

4 انظر: الإتيان في علوم القرآن 547/1 .

5 انظر: البحر المحيط 335/1، 416، 146/3 ، 229 .

6 انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 997/2 ، 204/4 ، 541/5 .

نصوص من آيات الذكر الحكيم، وأسهمت معرفة تلك الأساليب في تفسير وتوضيح معاني تلك الآيات القرآنية¹.

كما أنّ الفارسي في كتابه الحجة استعان بهذه القرينة لتوجيه بعض القراءات القرآنية في عدة مواضع وكانت عباراته تتردد بين (والعرب ... في كلام العرب (...)²، كما أنّ الفارسي استعان بتلك القرينة السياقية دون الإشارة صراحة إلى تلك العبارات في مواضع كثيرة .

وقد رأى الباحث في هذا العمل المتواضع أنّ يسלט الضوء على نماذج من القراءات القرآنية التي تمّ توجيهها من خلال معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية، لتتضح لكل من يشتغل بعلوم القرآن أهمية الأخذ بهذه القرينة السياقية لفهم أشمل لمعاني القرآن الكريم، وأنّ عملية توجيه القراءات القرآنية، وبيان مراميها، وتوضيح خفايا معانيها، تحتاج إلى الاستعانة بالسياق وقرائنه المختلفة، للوصول إلى المعنى المراد من النص، كما حاول الباحث الإشارة إلى جهود الفارسي . رحمه الله . وإدراكه المبكر لأهمية القرينة السياقية (معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية) في توجيه القراءات القرآنية .

وسبب اختيار الموضوع :

أهميته التي تكمن في بيان أصل عظيم من أصول التفسير وتوجيه القراءات القرآنية، كذلك قلة الدراسات التي تناولت دور هذه القرينة السياقية وهي (أساليب العرب وعاداتهم الكلامية) في توجيه القراءات القرآنية .

1 انظر: الأساليب والإطلاقات العربية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان 20، 21، 22.

2 انظر: الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 314/1 ، 165/4 ، 173 ، 413 ، 113/1 ، 390 ، 165/2

وقد وقع الاختيار على كتاب الحجة في القراءات السبع، لأبي علي الفارسي نموذجاً، وكان عنوان البحث " مراعاة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية في توجيه القراءات القرآنية " .

وُقِّمَ البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث والخاصة :

أما المقدمة : فقد بينت فيها أهمية العناية باللغة العربية للمشتغلين بعلوم القرآن، وجهود بعض العلماء المتقدمين في تتبع أساليب العرب وعاداتهم الكلامية، وسبب اختيار الموضوع .

وأما المبحث الأول : الأساليب العربية لغة واصطلاحاً، العادات الكلامية لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : أهمية معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية في توجيه القراءات القرآنية .

المبحث الثالث : السياق تعريفه، أنواعه، دوره .

المبحث الرابع : نماذج من آيات تم توجيهها اعتماداً على معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية .

ثم الخلاصة : أجملت فيها أهم نتائج البحث .

المبحث الأول : أساليب العرب

قبل الشروع في بيان المراد من قولهم : (أساليب العرب) لابد أن نتتبع المعنى اللغوي لكلمة (أسلوب)، للوصول إلى المعنى الاصطلاحي، إذ يعد المعنى المعجمي مدخلاً لفهم المعنى الاصطلاحي.

والأساليب جمع أسلوب، يقول ابن منظور: " ويقال للسَّطْرُ من النخيلِ أُسْلُوبٌ، وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أُسْلُوبٌ، قال : والأسْلُوبُ الطريقُ والوجهُ والمَذْهَبُ، يقال: أنتم

في أُسْلُوبٍ سُوءٍ، وَبِجَمْعِ أُسَالِيْبٍ، وَالْأُسْلُوبُ : الطَّرِيقُ تَأْخُذُ فِيهِ، وَالْأُسْلُوبُ بِالضَّم : الْفَنُّ، يُقَالُ : أَحَذَ فُلَانٌ فِي أُسَالِيْبٍ مِنَ الْقَوْلِ، أَيْ أَفَانِيْنَ مِنْهُ ¹ .

إذا يدور معنى الأسلوب على الطريقة والوجه والمذهب والفن، ولعل هذا له ارتباط بالمعنى الاصطلاحي لفظ، فالمراد بأساليب العرب في الاصطلاح هي: الطريقة الكلامية التي تسلكها العرب في تأليف كلامها واختيار ألفاظها.

وقد جرى ذكر المصطلح عند بعض علماء العربية والمشتغلين بعلوم القرآن، فذكر ابن قتيبة مصطلح الأسلوب في قوله: " إنَّما يعرف فضل القرآن من كثرة نظره وأوسع علمه، وفهم مذاهب العرب، واقتنائها في الأساليب " ² .

كما ذكره الخطابي في معرض حديثه عن إعجاز القرآن " ولكن نوع من الموازنة ... وهو أن يجري أحد الشعارين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته " ³، ويقول الباقلائي في حديثه عن الإعجاز أيضاً : " وقد بيَّنا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب، ومزيتها عليها في النظم والترتيب " ⁴، وعرف الجرجاني الأسلوب فقال : "والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه" ⁵، ويقول صاحب مناهل العرفان: " تواضع المتأدبون وعلماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام أو فنه، الذي انفرد به المتكلم كذلك " ⁶ .

¹ لسان العرب (سلب) .

² تأويل مشكل القرآن 10 .

³ بيان إعجاز القرآن مطبوع ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) 65 .

⁴ إعجاز القرآن 216 .

⁵ دلائل الإعجاز 338 .

⁶ مناهل العرفان 303/2 .

والذي يظهر من سياق كلامهم أنهم يستخدمون مصطلح الأسلوب ويعنون به الطريقة الخاصة في النظم، والسمة المميّزة لكلام عن كلام آخر .
ويجب الإشارة إلى وجود مرادفات للعبارة منها : سنن العرب في كلامها، وعادة العرب، وطريقة العرب، واستعمال العرب، والعرف اللغوي، ومنطق العرب، وكلام العرب .

وأما مصطلح (عادات العرب في كلامهم) : فالعادة لغة تدل على تثبية في الأمر¹ ، وهي الدين يعاد إليه، يقال : عاد يعود عودا وعادة، سميت بذلك لأن صاحبها يعاودها، أي يرجع إليها مرة بعد مرة، فالعادة شيء يقتضي التكرار²، يقول الشاعر :

تَعَوَّدُ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ إِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَأْلُفُ مَا اسْتَعَادَا³

والعادة عند الأصوليين: الأمر المتكرر من غير علاقة عقلية⁴، أمّا عند الفقهاء: فهي عبارة عمّا يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطبائع السليمة⁵، وقيل : هي غلبة معنى من المعاني على جميع البلاد أو بعضها⁶ .
وعرفها الجرجاني بقولها: "ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعاودوا إليه مرة بعد مرة"⁷، أمّا العادات القولية فعرفها بعضهم بقوله : "إنّها سنن العرب السائدة في كلامهم وقت نزول القرآن"¹ .

¹ انظر: مقاييس اللغة (عود) .

² انظر: لسان العرب (عود) .

³ البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في لسان العرب (عود) .

⁴ انظر: التقرير والتحرير 260/2 .

⁵ انظر: الأشباه والنظائر (لابن نجيم) 79 .

⁶ انظر: شرح تنقيح الفصول 338 .

⁷ التعريفات 188 .

المبحث الثاني : أهمية معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية

في توجيه القراءات القرآنية

لقد أنزل الله . عزّ وجل . القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فهو جار في ألفاظه ومعانيه، وأساليبه، وإعرابه، واشتقاقه على لسان العرب الفصيح، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾²، ومن ثمّ تعتبر معرفة لغة القرآن الكريم من أهم الأدوات لفهمه وتفسيره، ولا يصح فهمه وتفسيره وتوجيه قراءاته إلا بطريق فهم اللسان الذي نزل به، لذلك يجب على المفسر أن يكون على معرفة بالعربية ، والمراد بالعربية هي: " معرفة مقاصد العرب من كلامهم، وأدب لغتهم"³، وتعلم اللغة العربية وقواعدها ومُدَارستها تُحَصِّل لدارسها معرفةً كالمعرفة الحاصلة للعرب وقت نزول القرآن، وبدون تعلم تلك القواعد فلا سبيل إلى فهم القرآن الكريم، ونعني بالقواعد : مجموع علوم اللسان العربي التي منها أساليب العرب وعاداتهم الكلامية الجارية في أشعارهم وخطبهم وعباراتهم⁴ ، وذكر الشاطبي - أيضا - في كتابه الاعتصام أنّه إذا كانت الرسالة للناس كافة، فإنّ الله قد جعل الأمم وعامة الألسنة تبعا للسان العرب " وإذا كان كذلك، فلا يفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي نزل عليه، وهو اعتبار ألفاظها، ومعانيها، وأساليبها"⁵.

ومن تعرض لتفسير القرآن وتوجيه قراءاته المختلفة وهو قليل الزاد . من حيث معرفته بقواعد اللغة العربية وأساليبها، ومعانيها، وطرائق تعبيرها، وإعرابها، واشتقاقها، ونحوها، وصرفها إلى غير ذلك مما تعلق بالعربية من علوم . هلك

¹ عادات العرب القولية في ضوء القرآن الكريم 28 .

² سورة يوسف ، الآية 2 .

³ التحرير والتنوير 18/1 .

⁴ انظر: المصدر السابق .

⁵ الاعتصام 253/3 .

فأهلك، وتأول فانحرف، وفسر فأخطأ، وإلى ذلك أشار الإمام الشافعي . رحمه الله . إلى سبب جهل الناس واختلافهم وتفرقهم بقوله : "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطا طاليس ¹ ، ثم علق السيوطي . رحمه الله . على هذا الكلام - مبينا بعض الآثار الناجمة من الجهل بقواعد اللغة - وذكر أنّ ما حدث في زمن المأمون من القول بخلق القرآن، ونفي الرؤية، وغيرها من البدع ، هو بسبب الجهل بلسان العرب، وطرائق تعبيره ومعانيه، وبسبب تخريج ما ورد فيهما على لسان اليونان وأرسطا طاليس .

ثم يقول : "ولم ينزل القرآن إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاوراة والتخاطب، والاحتجاج والاستدلال، لا على مصطلح اليونان، ولكل قوم لغة واصطلاح، فمن عدل عن لسان الشرع إلى لسان غيره وخرج الوارد من نصوص الشرع عليه جهل وضل، ولم يصب القصد فإن كان في الفروع نسب إلى الخطأ، وإن كان في الأصول نسب إلى البدعة ² .

فحاصل الكلام أنّ كل من كان بلغة العرب أعرف ولأساليبها في الخطاب أجمع، ولتراكيبها في الإعراب أعلم، كانت معرفته بمعاني نصوص الكتاب والسنة أشد، وفهمه لمدلولاتها أرسخ، وتفسيره لمفاهيمها أتقن، وبيانه لمقاصدها أكمل، كما أنّ من كان في زمن موسى . عليه السلام . أعظم معرفة بالسحر، كان علمه ومعرفته بإعجاز العصا أوفر، وكذا من كان في زمن عيسى . عليه السلام . أحقق في الطب كانت معرفته بإعجاز إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص أكد ³ .

¹ صون المنطق والكلام للسيوطي 15 .

² المصدر السابق 15 ، 16 .

³ انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام 458 ، اللغة العربية ومكانتها العلمية في فهم القرآن وتفسيره

وهذا يقودنا إلى الحديث عن السياق بنوعيه باعتبار أنّ معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية يعد قرينة سياقية يستعان بها في معرفة المراد، كما يستعان بمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة، ورسم المصحف، وكل العناصر المحيطة بالعملية اللغوية المتعلقة بالنص القرآني، يقول الزركشي: " وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ، من لغة العرب، ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب المفردات، فيذكر قيذا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق " ¹ .

المبحث الثالث : السياق

السياق : قبل الشروع في تعريف مصطلح السياق لابد أن نتتبع المعنى اللغوي للكلمة، نسترشد به للوصول إلى المعنى الاصطلاحي .

يقول ابن فارس - رحمه الله - : " السَّيْنُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدُّ الشَّيْءِ، يُقَالُ : سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا " ² .

وجاء في لسان العرب : " السَّوْقُ : مَعْرُوفٌ، سَاقَ الْإِبِلَ وَغَيْرَهَا يَسُوقُهَا سَوْقًا وَسِياقًا، وَهُوَ سَائِقٌ وَسَوَاقٌ ... وَقَدْ انْسَاقَتْ وَتَسَاقَتْ الْإِبِلُ تَسَاقًا إِذَا تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تَقَاوَدَتْ فِيهِ مُتَقَاوِدَةٌ وَمُتَسَاوِقَةٌ ... وَالْمُسَاوِقَةُ : الْمُتَابَعَةُ كَأَنَّ بَعْضَهَا يَسُوقُ بَعْضًا ... وَسَاقَ إِلَيْهَا الصَّدَاقَ وَالْمَهْرَ سِياقًا وَأَسَاقَهُ، وَإِنْ كَانَ دَرَاهِمَ أَوْ دَنَانِيرَ، لِأَنَّ أَصْلَ الصَّدَاقِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْإِبِلُ، وَهِيَ الَّتِي تُسَاقُ " ³ .

قال الفيروزابادي رحمه الله : "وَوَلَدَتْ ثَلَاثَةٌ بَنِينَ عَلَى سَاقٍ : مُتَتَابِعَةٌ لَا جَارِيَةَ بَيْنَهُمْ ... وَسَاقَ الْمَانِشِيَّةَ سَوْقًا وَسِياقَةً وَمَسَاقًا، وَاسْتَأَقَهَا فَهُوَ سَائِقٌ وَسَوَاقٌ ... وَالِي

¹ البرهان في علوم القرآن 313/2 .

² مقاييس اللغة (سوق) .

³ لسان العرب (سوق) .

المرأة مَهْرَهَا : أرسله كأساقه ... والسِّيَاقُ ككتابٍ : المَهْرُ ... والسُّوقَةُ بالضم الرِّعِيَّةُ ... والمُنْسَاقُ : التَّابِعُ وَالْقَرِيبُ ... وَتَسَاوَقَتِ الْإِبِلُ : تَتَابَعَتْ وَتَقَاوَدَتْ¹ .

والسياق عند الزمخشري . رحمه الله . بعد أن أضافه إلى الحديث . التوالي والتتابع، يقول في أساس البلاغة : "وتساوقت الإبل : تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و(إليك يساق الحديث)²، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سَوْقِهِ: على سرده"³، و"سرد الحديث والقراءة : جاء بهما على ولاء"⁴ .

إذًا يدور معنى السياق في اللغة حول التتابع والانقياد، فساق الإبل : قادها في تتابع، وساق إلى المرأة مهرها : تتابعت إليها الإبل والمواشي، والسوق ترد إليه السلع والبضائع متتابعة، وولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة : أي في تتابع من غير انقطاع، فلم تفصل بينهم بجارية، وساق الحديث أتى به متتابعًا يقود بعضه إلى بعض .

يقول الدكتور تمام حسان . رحمه الله . معلقًا على هذه المعاني اللغوية الواردة في المعاجم العربية، والتي تدل على التتابع والإيراد : " المقصود بالسياق : التَّوَالِي، ومن ثمَّ ينظر إليه من ناحيتين :

أولاهما : توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى : (سياق النص) .

والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية تسمى : (سياق الموقف)⁵ .

¹ ترتيب القاموس المحيط (سوق) .

² المستقصى في أمثال العرب 357/1 ، والمثل يضرب لمن عجل بالمسألة قبل أوانها .

³ أساس البلاغة (سوق) .

⁴ المصدر السابق (سرد) .

⁵ مقالات في اللغة والأدب 65/2 .

واصطلاحاً : ورد مصطلح السياق في الدراسات اللغوية الحديثة (العربية) في مقابل المصطلح اللاتيني (context)، الذي يقصد به "البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية أو الوحدة البنوية الصغرى أو بالكلمة أو الجملة، ويعني الوحدات التي تسبق وتلي وحدة لغوية محددة، كما يعني هذا التعبير (سياق) مجموعة العوامل الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلامات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي"¹.

ويعرفه أحد الباحثين بقوله : " المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية "² .
وقد أضاف اللغويون الإنجليز إلى هذا المصطلح اللاحقة (ualismuss)، ليصبح (contextualismuss) ومعناه السياقية، والمراد نظرية السياق³، التي يمثلها العالم الإنجليزي فيرث (ت 1960 م) .

وقد أكد فيرث على ضرورة دراسة السياق بنوعيه عند تحليل المعنى، السياق اللغوي أو سياق النص (linguistic context)، ويتمثل في العلاقات الصوتية والفونولوجية والمورفولوجية والنحوية والدلالية كما يشمل ترتيب الوحدات داخل الجمل وعلاقتها ، والسياق غير اللغوي أو سياق الموقف (non- linguistic context) ويمثله العالم الخارجي بما له من صلة بالحدث اللغوي، ويتمثل في الظروف الاجتماعية، والبيئة النفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام⁴ .
ويمكن أن نسوق مثالا تطبيقيا للسياق اللغوي، يقول الشاعر :

1 معجم المصطلحات الألسنية 61 .

2 دلالة السياق 1/ 40 .

3 انظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث 46 .

⁴ انظر : التركيب والدلالة والسياق دراسة نظرية 118 .

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْمَوْتَ جَلَلٌ وَالْفَتَى يَسْعَى وَيُلْهِمُهُ الْأَمَلُ¹

فقوله : (جلل) معناه : يسيرٌ، وهو ما دل عليه السياق اللغوي للبيت، ولا يعقل أن يكون معناه: عظيم، فما تقدم (جلل) وما تأخر عنه، يدل على أن المعنى : كلُّ شيء ما خلا الموت يسير² ، وفي قول عمر . رضي الله عنه . : (صُومُوا مِنْ الْوَضَحِ إِلَى الْوَضَحِ، فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فَأْتِمُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا)³ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْوَضَحَ فِي اللُّغَةِ يَكُونُ بِمَعْنَى الْبَيَاضِ وَالضَّوءِ، وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى بَيَاضِ الصَّبْحِ وَالْقَمَرِ وَاللَّبَنِ وَغَيْرِهِ⁴، وَقَدْ رُجِّحَ أَنَّ يَكُونُ مَعْنَى الْبَيَاضِ فِي الْحَدِيثِ الْهَلَالَ، أَيْ : صَوْمُوا مِنَ الْهَلَالِ إِلَى الْهَلَالِ⁵ ، يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ: " لِأَنَّ سِيَاقَ الْحَدِيثِ يُدَلُّ عَلَيْهِ " ⁶ ، فَالسِّيَاقُ اللَّغْوِيُّ إِذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْوَضَحِ : الْهَلَالَ، وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ : (صَوْمُوا) وَمَا تَأَخَّرَ مِنْ قَوْلِهِ : (فَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فَأْتِمُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا) جَعَلَتْ السِّيَاقَ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا الْمَعْنَى الْمَذْكُورَ آنِفًا.

ومن السياق غير اللغوي، قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيَتُوبُونَ أَنَّ تَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁷ فقد توهم مروان بن الحكم أن الناس جميعا معذبون لفرحهم بما أتوا، وحبهم للحمد على ما لم يفعلوا، فأرسل غلامه إلى ابن عباس . رضي الله عنه . يسأله ،

¹ البيت من الرمل، وهو للبيد في ديوانه 199 .

² انظر : المزهري للسيوطي 1/ 313 .

³ النهاية في غريب الحديث والأثر 5/ 195 .

⁴ انظر : لسان العرب (وضح) .

⁵ انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر 5/ 195 .

⁶ النهاية في غريب الحديث والأثر 5/ 195 .

⁷ سورة آل عمران ، الآية 188 .

فقال ابن عباس : وما لكم ولهذه ؟ إنَّما دعا النبي . صلى الله عليه وسلم . اليهود ، فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، ففرحوا بما أتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾¹ حتى قوله : ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا... ﴾² ، فلم يزل الإشكال وينجلي المعنى إلا بمعرفة سبب النزول (سياق الموقف)³ .

ويعد مصطلح السياق من مصطلحات علم اللغة الحديث ، إلا أنَّ كلمة السياق وردت في التراث العربي⁴ بهذه الصيغة وبصيغ أخرى منها : الحال ، والمقام ، والموقف ، والمشاهدة ، والقرينة ، واستعملها اللغويون والبلاغيون والمفسرون والأصوليون ، وعند استعراض السياقات المختلفة التي وردت فيها تلك المصطلحات ، نخلص إلى أنَّ مفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كل من المقام والحال والموقف ، وأنَّ السياق يتسع أيضا ليشمل ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بـسياق النص⁵ .

أنواع السياق : عدد علماء اللغة والباحثون أنواعا مختلفة من السياقات ، منها السياق اللغوي وهو النص اللغوي الذي تتتابع فيه الكلمات ، والسياق العاطفي وهو يتولى الكشف عن المعنى الوجداني⁶ ، فيقصد به ذلك الموقف الذي يحدد درجة القوة

¹ سورة آل عمران ، الآية 187 .

² انظر : أسباب النزول (للواحي) 137 ، 138 .

³ انظر : منهج السياق في فهم النص 44 .

⁴ أول من استخدم مصطلح السياق بمعنى السياق اللغوي الشافعي . رضي الله عنه . في كتابه الرسالة 62 .

⁵ انظر : دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث 30 .

⁶ انظر : علم الدلالة (فريد عوض) 159 .

والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً¹، وهذا السياق يبين لنا أنّ وظيفة اللغة تتعدى الحدود الموضوعية والمعاني التجريدية إلى التعبير عن العواطف والانفعالات والتأثير في السلوك الإنساني²، والسياق الثقافي ويقصد به تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فكل كلمة لها طبقة اجتماعية من طبقات المجتمع تنتمي إليها، وسياق الموقف وهو الموقف الخارجي الذي جرى فيه التفاهم بين شخصين فأكثر ويشمل زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين والقيم المشتركة بينهم³، والسياق الاجتماعي وهو يشير إلى اتصال الكلام اتصالاً وثيقاً بالمجتمع المحيط به، وأنّ اللغة نشاط اجتماعي وليس مجرد تعبير عن الفكر، فجملة (على مهلك) إذا قيلت في المجتمع اللبناني لسائق سيارة فُهم منها التوقف على جانب الطريق، بينما إذا قيلت في المجتمع المصري مثلاً فلا يفهم منها إلا التمهّل في السرعة والانتباه⁴، والسياق النفسي الاجتماعي ويقصد به المفعول الذي تحدّثه النصوص على مستعملي اللغة سواء فردياً أو جماعياً⁵، والسياق الإدراكي أو المعرفي ويركز فيه على فهم النص، ويقوم على أنّ مستعمل اللغة يفهم الكلمات والجمل المتتابعة⁶، ويستعين بمعطيات منها معرفته للعالم انطلاقاً من مكتسباته المعرفية التي تخزن في الذاكرة⁷، وأنّ لكل نص مجموعة من العوامل التي تساعد على فهمه بحيث تمكن القارئ من معالجة النص

¹ انظر: علم الدلالة (أحمد مختار عمر) 70 .

² انظر: الدلالة السياقية عند اللغويين 81 .

³ انظر: علم الدلالة (فريد عوض) 160 .

⁴ انظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث 120 ، 121 .

⁵ انظر: السياق والنص 11 .

⁶ انظر: السياق والنص الشعري 227 .

⁷ انظر: بلاغة الخطاب 83 ، 84 .

في مواقف خاصة وبالتالي تساعده على تفسيره¹، والسياق السببي ويقصد به ما يرد في المعجم من تعليل لاستعمال الصيغة اللغوية على ما هي عليه²، والسياق المباشر وهو أن يستعمل الرمز لتعيين هوية شيء في البيئة المباشرة، بينما يقصد بالسياق المعزول هو أن يكون المدلول شخصا أو شيئا غير حاضر وتعتبر هذه الحالة أكثر الحالات شيوعا، أما السياق المستعار فهو أن يستعمل فيه رموزا بشكل نحول فيه قابلية تطبيقها من صنف معين من الأشياء أو الحالات إلى صنف منسوب أو مستعار³، وقد اختار الباحث تقسيما للسياق يناسب البحث، فالقسم الأول: السياق اللغوي (أو ما يطلق عليه السياق الداخلي)، والقسم الثاني: السياق غير اللغوي (ويطلق عليه أحيانا سياق الموقف أو السياق الخارجي).

أولا: السياق اللغوي: وهو النص اللغوي الذي تتتابع فيه الكلمات، ويشمل عناصر لغوية مختلفة، وهو سياق داخلي يتمثل في البيئة اللغوية للتركيب اللغوي، أي: بنية النص، وما يحتويه هذا النص من قرائن تساعد على تسليط الضوء على المعنى، وبيانه وتوضيحه، لذلك يتطلب البحث في السياق اللغوي النظر في المستويات اللغوية المختلفة، المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي؛ ففي قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۗ ﴾⁴، تعد جملة ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۗ ﴾ قرينة سياقية صرفت الفعل (أتى) من دلالته على المضي إلى دلالته على الاستقبال، ومن القرائن المستفادة من السياق اللغوي: قرينة الإسناد، والتخصيص، والنسبة،

¹ انظر: السياق والنص الشعري 227 ، 228 .

² انظر: المعاجم العربية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث 127 .

³ انظر: نحو علم الترجمة 74 ، 75 .

⁴ سورة النحل ، الآية 1 .

والتبعية والمخالفة، ومن القرائن اللفظية : قرينة الإعراب، والرتبة، والصيغة، والمطابقة، والتضام، والأداة، والتنغيم¹ .

ثانياً: السياق غير اللغوي: ويقصد به الظروف المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة، أي : المحيط الذي يقع فيه الكلام، ويشمل : كل العناصر غير اللغوية المحيطة بالعملية اللغوية، وقد عبر عنه الأوائل بقولهم : لكل مقام مقال، فهو السياق الذي يجري في إطاره التفاهم بين شخصين، ويشمل ذلك: زمن المحادثة ومكانها، والعلاقة بين المتحدثين، والقيمة المشتركة بينهما، والكلام السابق للمحادثة، ويشمل كذلك : المتكلم والمستمع، وما يتعلق بهما من صفات تميزهما، ونوع الخطاب، وهدفه، وأثره، ومكان الكلام وزمانه، وفي أي جَوِّ يقال، ومدى تعلق الخطاب بما سبقه، من أفعال وإشارات مصاحبة للكلام² .

وهكذا تمتد قرينة السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية، وعلاقاتها النحوية، ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية إلى طبيعية، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية، ونفسية، واجتماعية، كالعادات، والتقاليد، ومأثورات التراث، وكذلك العناصر الجغرافية، والتاريخية، مما يجعل قرينة السياق كبرى القرائن بحق، لأنَّ الفرق بين الاستدلال بها على المعنى، وبين الاستدلال بالقرائن اللفظية النحوية كالبنية والإعراب والربط ... هو فرق بين الاعتداد بحرفية النص، والاعتداد بروح النص³ .

¹ انظر: اللغة العربية معناها ومبناها 190 .

² انظر: السياق وأثره في بيان الدلالة 112 .

³ انظر: البيان في روائع القرآن 173 .

المبحث الرابع : نماذج من آيات تم توجيهها اعتمادا على

معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية .

ومن الأمثلة التطبيقية الدالة على أهمية مراعاة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية، عند توجيه القراءات القرآنية ما يلي :

1. من أساليب العرب وعاداتهم الكلامية إذا أرادت العرب تعظيم أمر يقولون:(لا تَسْأَلُ عَنْ كَذَا):

ذكر أهل المعاني أنّ لأسلوب النهي معانٍ بلاغية متعددة منها: الدعاء، كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾¹ ، ومنها النصح والإرشاد رغبة في الاستجابة والامتثال كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَكُمُ سُّؤُوكُمْ ﴾² ، ومنها الالتماس كقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْرًا تَأْخُذُ بِحَيْثِي وَلَا يَرَأْسِي ﴾³ .

ومنها النهي المراد منه معنى التهويل والتفطيع كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾⁴ بفتح التاء وجزم اللام على النهي، وقد أشار الفارسي إلى وجه قراءة الجزم، وذكر أنّها على معنيين : الأول : " ما روي أنّ النبي . صلى الله عليه وآله وسلم . سأل : أيّ أبويه كان أحدث موتاً، وأراد أن يستغفر له، فأنزل الله :

¹ سورة البقرة، الآية 286 .

² سورة المائدة، الآية 101 .

³ سورة طه، الآية 94 .

⁴ سورة البقرة، الآية 119، قرأ نافع وحده ولا تسأل مفتوحة التاء مجزومة اللام، وقرأ الباقون بضم التاء ورفع اللام . انظر : الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 50/2 .

﴿ وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾¹ ، فَنُهِىَ عن السؤال، وقد علق ابن الخطيب الرازي في تفسيره على هذا المعنى ووصفه بالبعيد² ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم . كان عالماً بكفرهم، وعالماً بأن الكافر معدّب، فلا مجال للسؤال، ويمكن أن يضاف إلى ذلك أنّ الحديث المذكور وُصِفَ بأنّه مرسل ضعيف الإسناد³، ولعلّ الفارسي لمّح إلى ذلك بقوله : " وهذا إذا ثبت معنى صحيح"⁴ .

ثمّ جوّز الفارسي أن تكون قراءة الجزم على تعظيم الأمر وتهويله، اتكاء على أساليب العرب في كلامهم وعاداتهم القولية، إذ كانت العرب إذا أرادت تعظيم أمر وتهويله قالت: لا تسأل عن كذا، كما إذا سألت عن إنسان واقع في مصيبة فيقال لك: لا تسأل عنه، يقول الفارسي: " وقد جوز أبو الحسن في قراءة من جزم أن يكون على تعظيم الأمر، كما تقول : لا تسألني عن كذا، إذا أردت تعظيم الأمر فيه، فالمعنى أنّهم في أمر عظيم، وإن كان اللفظ لفظ الأمر"⁵، أي: لا تسأل عن عظم ما هم فيه من العذاب، وما آل إليه أمرهم من التكيل، فلا يستطيع أحد أن يصف الذي حلّ بهم من كرب.

2. ومن أساليبهم وعاداتهم الكلامية أن ينزل أحدهم نفسه منزلة الأجنبي، فيخاطبه كما يخاطب غيره: وهو ما يسمى عند البلاغيين بالتجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها فيه⁶ ، ويندرج تحته

¹ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 56/2 .

² انظر: مفاتيح الغيب 318/2 .

³ انظر: الدرر المنثور 209\1 .

⁴ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 56/2 ، 57 .

⁵ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 57 /2 .

⁶ انظر: الإيضاح في علوم البلاغة 338 .

أقسام: منها مخاطبة الإنسان نفسه، وذلك بأن ينتزع الإنسان من نفسه شخصا آخر يوجه إليه الخطاب، كقول المتنبي:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالَ فليُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ¹

فالشاعر يخاطب نفسه ويقول: ليس لديك خيل ولا مال تهديه إلى الممدوح، من أجل إحسانه إليك، فإن كان كذلك فامدحه وجازه بالثناء عليه .

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ اعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾²، بهمزة وصل، وسكون

الميم، وفي فاعل (قال) على هذه القراءة قولان:

أحدهما: أنّ فاعل (اعلم) يعود على الله . عز وجل . أو على الملك، أي : قال الله تعالى لذلك الملك أو المار³ : اعلم .

والثاني: أنه ضمير يعود على المار نفسه، نزل نفسه منزلة الأجنبي، وهو من أساليب العرب وعاداتهم القولية، ومنه قول الشاعر:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمِدِ وَنَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ⁴

يعني نفسه⁵ .

¹ البيت من البسيط، وهو في ديوانه 486 .

² سورة البقرة، الآية 259 ، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وعاصم وابن عامر (أعلم) مقطوعة الألف، مضمومة الميم، وقرأ حمزة والكسائي موصولة الألف ساكنة الميم . انظر : الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 2 / 192 ، 193 .

³ " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " .

⁴ البيت من المتقارب، وهو لامرئ القيس في ديوانه 185 .

⁵ انظر: اللباب في علوم الكتاب 363/4 .

ويؤكد الفارسي الوجه الثاني اتكاء على معرفة أساليب العرب وعاداتهم القولية فيقول : " ومن قال : ﴿اعْلَمْ﴾ على لفظ الأمر، فالمعنى : يؤول إلى الخبر، وذاك أنه لما تبين له ما تبين من الوجه الذي ليس لشبهة عليه منه طريق، نزل نفسه منزلة غيره، فخطبها كما يخاطب سواها، فقال: ﴿اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهذا مما تفعله العرب، ينزل أحدهم نفسه منزلة الأجنبي فيخطبها كما تخاطبه"¹ ، ثم يحتج بكلام العرب، وأسلوبها في تجريد الإنسان من نفسه شخصا آخر يوجه إليه الخطاب فيقول :

" تَذَكَّرَ مِنْ أَيْ وَمِنْ أَيْنَ شَرِبُهُ يُؤَامِرُ نَفْسِيهِ كَذِي الْهَجْمَةِ الْأَيْلِ"²

فجعل عزمه على وروده الشرب له لجهد العطش، وعلى تركه الورد مرة لخوف الرامي وترصد القانص نفسين له ... ومثل ذلك قوله :

وَدَعَّ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ"³

فقال : ودّع، فخطب نفسه كما يخاطب غيره، ولم يقل : لأودّع، وعلى هذا قال: أَيُّهَا الرَّجُلُ، وهو يعني نفسه ... فذلك قوله لنفسه : ﴿اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ نزله منزلة الأجنبي المنفصل منه، لتبنيه على ما تبين له مما كان أشكل عليه، قال أبو الحسن: وهو أجود في المعنى"⁴.

3. ومن أساليبهم وعاداتهم الكلامية وطرائقهم في كلامهم طلب المشاكلة في عباراتهم :

¹ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 2 / 192 .

² البيت من الطويل، وهو للكثير بن زيد في ديوانه 256 ، ولسان العرب (أبل) .

³ البيت من البسيط، وهو للأعشى في ديوانه 55 .

⁴ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 2 / 192 ، 193 .

وهي ظاهرة من الظواهر اللغوية التي تندرج تحتها عدة مظاهر منها: المماثلة الصوتية، وحركات الإلتباع، والفواصل القرآنية وغيرها. والمشاكلة بمعناها اللغوي: الموافقة والمماثلة، ولذلك يمكن أن نطلق لفظة المشاكلة في اللغة العربية على تلك الظاهرة التي يراعى فيها توافق وتشابه شيئين: صوتين أو لفظين أو لفظ ومعنى أو غير ذلك، فيجري أحدهما مجرى الآخر، وإن كانا مختلفين، كقول العرب: هذا جحرٌ ضب خرب¹، يقول ابن جني: "إذا جاور الشيء الشيء دخل في كثير من أحكامه"².

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³، قرأ ابن عامر وعاصم برفع (فيغفر) و (يعذب)، والباقون من السبعة بالجزم⁴، والرفع يجوز أن يكون على الاستئناف، فيكون خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو يغفر، ويجوز أن تكون جملة فعلية من فعلٍ وفاعلٍ، عطف على ما قبلها، وأما قراءة الجزم فللعطف على الجزاء المجزوم قبله، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، وبذلك تتحقق المشاكلة والمماثلة لما قبلها⁵.

وقد وجه الفارسي قراءة الجزم اتكاء على قرينة المشاكلة، وبين أنها من أساليب العرب في كلامهم وعاداتهم القولية فقال: "وجه قول من جزم أنه أتبعه ما قبله، ولم

¹ انظر: المشاكلة في اللغة العربية (صوتيا وصرفيا) 1، 8.

² المنصف لابن جني 2/2.

³ سورة البقرة، الآية 284.

⁴ انظر: الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 247/2.

⁵ انظر: اللباب في علوم الكتاب 519/4.

يقطعه منه وهذا أشبه بما عليه كلامهم، ألا ترى أنهم يطلبون المشاكلة، ويلزمونها ؟¹ ، ثم احتج بسياقات قرآنية مشابهة، فقال: " فمن ذلك أن ما كان معطوفاً على جملة، من فعل وفاعل، واشتغل عن الاسم الذي من الجملة التي يعطف عليها الفعل، يختار فيه النصب ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع، وعلى هذا ما جاء من هذا النحو في التنزيل نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ

الْأَمْثَلِ﴾²، وقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾³، وقوله: ﴿

يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي ۗ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾⁴ ، فذلك ينبغي

أن يكون الجزم أحسن، ليكون مشاكلاً لما قبله في اللفظ، ولم يخل من المعنى بشيء، وكذلك إذا عطفوا فعلاً على اسم أضمرنا قبل الفعل (أن)، ليقع بذلك عطف اسم على اسم ، لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم، كما أن جملة من فعل وفاعل أشبه بجملة من فعل وفاعل، من جملة من مبتدأ وخبر بجملة من فعل وفاعل، فلهذا ما جاء ما كان من نحو: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلِ﴾⁵ في التنزيل بالنصب، وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير⁶ .

4. ومن أساليبهم وعاداتهم الكلامية في مقام التنزيه والتقرب أن تكون جملهم

متباينة :

¹ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 247/2 .

² سورة الفرقان، الآية 39 .

³ سورة الأعراف، الآية 30 .

⁴ سورة الإنسان، الآية 31 .

⁵ سورة الفرقان، الآية 39 .

⁶ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 247/2 ، 248 .

وهو أبلغ في المدح والثناء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ۗ﴾¹، فانصب (والصابرين) على المدح، والقطع إلى النصب أو الرفع في المدح والذم أبلغ وأكمل، واختلف نظم الكلام عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيتته على سائر الأعمال، حتى كأنه ليس من جنس الأول²، "ومجيء القطع في العطف مما أثبتته الأئمة الأعلام ووقع في الكتاب أيضا واستحسنه الأجلة وجعلوه أبلغ من الاتباع"³.

وقد قيل: " إذا ذكرت الصفات في معرض المدح والذم، فالأحسن أن تخالف بإعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها ... فإذا خولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل، لأنّ الكلام عند الاختلاف يصير كأنه أنواع من الكلام، وضروب من البيان، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهها واحدا أو جملة واحدة"⁴ لذلك يقول الفارسي في توجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁵

" الوجه: الكسر في ﴿إِنَّ﴾، لأنّ الكلام الذي قبله قد تمّ، وهذا النحو من الكلام الذي يراد به التنزيه والتقرب، أن يكون بجمل متباينة أحسن من حيث كان أبلغ في

¹ سورة البقرة، الآية 177 .

² انظر: روح المعاني 444\1 .

³ المصدر السابق .

⁴ البحر المحيط 140/2 .

⁵ سورة آل عمران، الآية 19 ، كلهم قرأ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ بكسر الهمزة إلا

الكسائي فإنه فتح الهمزة من: ﴿أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ انظر: الحجة في علل

القراءات السبع للفارسي 2 / 261 .

الثناء، وأذهب في باب المدح "1، ووجه التباين أنّ الجملة السابقة هي قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ بفتح همزة (أنه)، ولما كان السياق يدل على التنزيه والتقرب وقعت المخالفة والمباينة، فكسرت همزة (إن) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

5. وقد جرت أعراف العرب في كلامهم أيضا أنهم يعبرون عن عمل المرء بالطائر أو الطير:

وقد خاطب القرآن الكريم العرب بما تعرف، إذ كانت من عاداتهم التفاؤل والتشاؤم بالطير في كونها سانحة أو بارحة، وهم يعتقدون أنّها تقضي بما سيلقى الإنسان من خير وشر، فأخبرهم القرآن الكريم بأوجز لفظ، وأبلغ إشارة إلى أنّ كل ما يلقاه الإنسان هو من قدر الله، قد ألزم حظه وعمله في عنقه، وعبر عن الحظ والعمل بالطائر، قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ 2 ، أي: كل ما قدره الله تعالى ومضى في علمه حصوله، فهو لازم له واصل إليه غير منحرف عنه، وكل عمل قدره الله عز وجل فهو لازم له، وما كان لازما للشيء كان ممتنع الزوال عنه واجب الحصول له وهو المقصود 3.

يقول الفارسي موضحا هذا المعنى: " وإنما قيل لعمله: (طائر) و:(طير) في بعض القراءة على حسب تعارف العرب لذلك في نحو قولهم : جرى طائره بكذا،

1 الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 2 / 261 .

2 سورة الإسراء ، الآية 13 .

3 انظر : مفاتيح الغيب 20 / 309 .

ومثل هذا في يس: ﴿قَالُوا طَبِّرْكُمْ مَعَكُمْ﴾¹، وفي الأعراف: ﴿إِنَّمَا طَبِّرْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾²، وروينا عن أحمد بن يحيى عن أبي المنهال المهلبى قال: حدثنا أبو زيد الأنصاري: أَنَّ مَا مَرَّ مِنْ طَائِرٍ أَوْ ظَبْيٍ أَوْ غَيْرِهِ فَكَلَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ طَائِرًا، وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ لكَثِيرٍ فِي تَصْيِيرِهِمْ كُلَّ مَا زَجَرَ طَائِرًا، وَإِنْ كَانَ ظَبْيًا أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْبَهَائِمِ، فَقَالَ: فَلَسْتُ بِنَاسِيهَا وَلَسْتُ بِتَارِكِ إِذَا أَعْرَضَ الْأُدْمُ الْجَوَازِي سُؤَالَهَا

قال: ثم أخبر في البيت الثاني أَنَّ الذي زجره طائر فقال:

أَأَدْرِكُ مِنْ أُمِّ الْحَكِيمِ غِبْطَةً بِهَا خَبَّرْتَنِي الطَّيْرُ أَمْ قَدْ أَتَى لَهَا³ 4 .

6. ومن عاداتهم أيضا أنهم قد يوقعون الاسم للشيء وضده:

ذكر الصاحبى في فقه اللغة أَنَّ من سنن العرب أنهم سموا المتضادين باسم واحد، نحو الجون للأسود، والجون للأبيض، وذكر في التفسير الوسيط أَنَّ أحدهم قدم الكوفة فمرّ بشيخ جالس، فقال: يا شيخ، كيف أمرّ إلى منزل فلان؟ فقال: وراعى، فقال السائل: أرجع؟ قال: أقول وراعى وترجع! فقال: أليس وراعى خلفي؟ قال: لا⁵، ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن عباس: (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)⁶، وقد أول الفارسي معنى الوراى: الخلف، والقدام، في قوله تعالى:

¹ سورة يس، الآية 19 .

² سورة الأعراف، الآية 131 .

³ البيتان من الطويل، وهما لكثير في ديوانه 76، والأزمنة والأمكنة 414 .

⁴ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 3/ 389 ، 390 ، 391 .

⁵ انظر: التفسير الوسيط للواحدى 3/ 161 .

⁶ انظر: الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 3/ 482 .

﴿مِنْ وَرَائِي﴾¹، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾² فقال: "وراء: يكون بمعنى

خلف، وبمعنى قدام، قال: وفي القرآن في معنى خلف وبعد قوله: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ

إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾³، وروي عن ابن عباس: وكان وراءهم ملك، أي: أمامهم، ونحو

ذلك قال يعقوب مثل غيره، وقد حكى متقدمو أهل اللغة وقوع الاسم على الشيء

وعلى ضده، وصنفوا فيه الكتب كقطرب، والتوزي ويعقوب وغيرهم، وربما أنكر ذلك

منكرون بتعسف وتأويلات غير سهلة، وليس ينكر أحد أنّ اللفظة الواحدة تقع على

الشيء وعلى خلافه، وكذلك لا ينبغي أن ينكر وقوعه على الشيء وعلى ضده، لأنّ

الضدّ ضرب من الخلاف، فإنّ زعموا أنّ ذلك يلبس، فهو في الخلاف أيضا يلبس⁴

ومن عاداتهم إذا سمعت العرب كذبا واستعظمته تقول: كادت الأرض تنشق :

أو تقول: أظلم علىّ ما في السماء والأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿تَكَادُ

السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾⁵، أي: تكاد السموات تنشق من عظمة من فوقهن،

وهو الله عزّ وجل، وقيل تنشق من قبح قول المشركين وجرأتهم على الله، ومن ذلك

قول الشاعر:

لَمَّا أَتَى حَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ⁶

¹ سورة مريم، الآية 5 .

² سورة الكهف، الآية 79 .

³ سورة هود، الآية 71 .

⁴ الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 482/3 ، 483 .

⁵ سورة الشورى، الآية 5 .

⁶ البيت من الكامل، وهو لجرير في ديوانه 913 ، والخزانة 218/4 .

لذلك يقول الفارسي في توجيه قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ

مِنْهُ ¹ : "هذا مثلٌ كانت العرب إذا سمعت كذبا ومنكرا تعاضمته، عظّمته بالمثل الذي كان عندها عظيما، تقول : كادت الأرض تتشقّ، وأظلم ما بين السماء والأرض، فلما افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الأشياء وأعظمها ²

الخلاصة

من خلال تناول البحث لموضوع : "مراعاة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية في توجيه القراءات القرآنية" يمكن استخلاص الآتي :

. تعد معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية قرينة سياقية يستعان بها في الكشف عن معاني القرآن الكريم وتبيين خفاياه .

. وظف موجهو القراءات القرآنية تلك القرينة السياقية(أساليب العرب وعاداتهم الكلامية) في توجيه القراءات القرآنية، والكشف عن وجهها، وبيان صحتها وسلامتها، والرد على من طعن فيها لمخالفتها القياس والنظر عنده، وبيان معنى الآية وبيان وجه تفسيرها .

. يجب على كل من يشتغل بعلوم القرآن الأخذ بهذه القرينة السياقية، لفهم أشمل لمعاني القرآن الكريم، وأنّ عملية توجيه القراءات القرآنية وبيان مراميها وتوضيح خفايا معانيها تحتاج إلى الاستعانة بالسياق وقرائنه المختلفة للوصول إلى المعنى المراد من النص .

. جهود الفارسي . رحمه الله . السياقية، وإدراكه المبكر لأهمية القرينة السياقية (معرفة أساليب العرب وعاداتهم الكلامية) في توجيه القراءات القرآنية .

¹ سورة مريم، الآية 90 .

² الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 510/3 ، 511 .

. تمتد قرينة السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية، وعلاقاتها النحوية، ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية إلى طبيعية، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية، ونفسية، واجتماعية، كالعادات، والتقاليد، ومأثورات التراث، وكذلك العناصر الجغرافية، والتاريخية، مما يجعل قرينة السياق كبرى القرائن بحق، لأنّ الفرق بين الاستدلال بها على المعنى، وبين الاستدلال بالقرائن اللفظية النحوية كالبنية والإعراب والربط ... هو فرق بين الاعتداد بحرفية النص، والاعتداد بروح النص .

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص.
2. الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة 1974 م .
3. الأزمنة والأمكنة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى 1417 هـ .
4. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، تحقيق : محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان الطبعة الأولى 1998م.
5. الأساليب والإطلاقات العربية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ، جمع وترتيب أبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى المنياوي، الطبعة الأولى 2011 م .
6. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، الناشر: دار الإصلاح - الدمام ، الطبعة: الثانية، 1992 م .
7. الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1999 م .

8. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة: محمد بن عبد الرحمن الشقير سعد بن عبد الله آل حميد هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م
9. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، 1997م .
10. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، جلال الدين القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل . بيروت، الطبعة الثالثة .
11. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر . بيروت الطبعة 1420 هـ .
12. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى 1957م.
13. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، لبنان . صيدا .
14. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، مجلة عالم المعرفة (الكويت) العدد 164، سنة 1990م.

15. بيان إعجاز القرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (16)] أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب المعروف بالخطابي، المحقق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام ، الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، 1976م .
16. البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، للنشر والتوزيع والطباعة القاهرة، بيروت، الطبعة الثالثة 2009 م .
17. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان .
18. التحرير والتتوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م .
19. ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر الطبعة الثالثة .
20. التركيب والدلالة والسياق دراسة نظرية، محمد أحمد خضير، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، الطبعة الأولى 2010م .
21. التفسير الوسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1994 م .

- 22.التقرير والتحبير، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1983م .
- 23.الحجة في علل القراءات السبع ، أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ، وشارك في تحقيقه: أحمد عيسى المعصرابي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2007 م .
- 24.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الرابعة 1997م .
- 25.الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر . بيروت .
- 26.دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاکر ، الناشر : مطبعة المدني بالقاهرة . دار المدني بجدة الطبعة الثالثة 1992م.
- 27.دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية 1419هـ . (رسالة دكتوراة) .
- 28.دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع 1991م .
- 29.الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، دار السياح للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، الطبعة الأولى 2007 م .

30. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميزت، المطبعة النموذجية .
31. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه : مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، لبنان . بيروت، الطبعة الخامسة 2004 م .
32. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق : نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، الطبعة الثالثة .
33. ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه: إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1971م.
34. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريقي، دار صادر بيروت الطبعة الأولى 2000 م.
35. ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983 م .
36. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق : علي عبد الباري عطية، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى .
37. السياق وأثره في بيان الدلالة، شاذلية سيد محمد السيد، مجلة الدراسات اللغوية الأردنية .
38. السياق والنص، استنقضاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، فطومة لحماذي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العددان الثاني

والثالث، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، قسم الأدب العربي،
2008 م .

39.السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، على آيات أوشان . دار
الثقافة، مؤسسة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،
الطبعة الأولى 2000 م .

40.شرح تنقيح الفصول ،أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد
الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر:
شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة: الأولى، 1973 م .

41.شرح ديوان لبيد، حققه وقدم له : إحسان عباس، التراث العربي، سلسلة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، 8 ، 1962 م .

42.الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، عنيت
بتصحيحه ونشره المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، 1910 م .

43.صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي،
نشره وعلق عليه: علي سامي النشار، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي
بمصر .

44.طبقات النحاة واللغويين، تقي الدين ابن قاضي شهبه، تحقيق: محسن
غياض، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1974 م .

45.عادات العرب القولية في ضوء القرآن الكريم، عبد الفتاح بن محمد أحمد
خضر، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد السادس السنة الثالثة .

46. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، علم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة 1998 م .

47. علم الدلالة، فريد عوض، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى : 2005 م .

48. فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 2002م .

49. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، تحقيق : ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان الطبعة الأولى 1983م .

50. كتاب الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق : أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، الطبعة الأولى 1940 م .

51. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى 1998 م .

52. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الناشر : دار صادر . بيروت، الطبعة الثالثة 1414 هـ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، الناشر: عالم الكتب الطبعة الخامسة 2006م

53. اللغة العربية ومكانتها العلمية في فهم القرآن وتفسيره، طاهر محمود محمد يعقوب، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب . لاهور . باكستان، العدد الثالث والعشرون، 2016 م
54. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق : فؤاد علي منصور الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى 1998م .
55. المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الناشر: دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية 1987م .
56. المشاكل في اللغة العربية (صوتيا و صرفيا)، ماهر خضير هاشم، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 18، العدد 3، 2010 م .
57. المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1966 م .
58. معجم المصطلحات الألسنية معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنجليزي عربي، مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى 1995 .
59. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر 1979م .
60. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1420 هـ .

61. مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، علم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى 2006 م .

62. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة .

63. المنصف لابن جني، (شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني)، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الناشر: دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى 1954 م .

64. منهج السياق في فهم النص، عبد الرحمن بو درع، مجلة الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، العدد 111 فبراير 2006 م

65. نحو علم الترجمة ، يوجين ا. نيدا، تحقيق : ماجد النجار، الجمهورية العراقية مطبوعات وزارة الأوقاف الكتب المترجمة، 1976 م .

66. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

67. نهاية الإقدام في علم الكلام، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، تحقيق: أحمد فريد المزبدي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى /1425 هـ

68. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير،

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

69. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق : إحسان عباس ، الناشر: دار صادر . بيروت الجزء الثاني الطبعة سنة 1900 .

دور المساندة الاجتماعية في خفض اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى

عينة من زوجات الشهداء "دراسة ميدانية في مدينة البيضاء"

إعداد: د. جميلة عبدالهادي السنوسي*

د. منى عبدالهادي السنوسي*

المقدمة:

تعد المرأة نصف المجتمع ولها دور في بنائه، غير أن الأخير يتوقف على الظروف الاجتماعية والنفسية المناسبة، والمرأة اللبية مثلها مثل أي امرأة في المجتمعات الأخرى أثبتت على مر التاريخ قدرتها على إعداد الأجيال وبناء المستقبل (المصري، 2011: 2).

وبما أن الحياة من حولنا مليئة بالمشكلات والضغوطات والأزمات التي تؤثر على حياة المرأة بشكل خاص؛ مما يستدعي الحاجة إلى المؤازرة والدعم من الآخرين في ظل الظروف القاسية التي تمر بها البلاد. (سلطان، 2009: 74).

وتعتبر المساندة الاجتماعية مصدرا من مصادر الأمن بعد اللجوء إلى الله_ سبحانه وتعالى_ كأسلوب لمواجهة ضغوطات الحياة وخاصة اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة، فالمساندة الاجتماعية ترتبط بالصحة والسعادة النفسية في حين أن غيابها يرتبط بالأمراض والأعراض الاكتئابية. (دياب، 2006: 55).

وكون بلادنا تمر بأحداث صعبة بين اتجاهات مختلفة نجم عنها العديد من الفاقد في فئة الذكور، وتأتي فئة الزوج من أكثر فئات الذكور فقدا نتيجة الحرب القائمة، ومع اشتداد الاشتباكات في نواحي البلاد وما خلفته من الآلاف الشهداء والجرحى

* أستاذ مساعد في علم الاجتماع كلية الآداب/جامعة عمر المختار

* محاضر في علم النفس الإيجابي كلية الآداب/جامعة عمر المختار

والمفقودين، وبافتراض إن نسبة كبيرة من الذين استشهدوا كانوا متزوجين؛ فإن ذلك يلقي عبئا كبيرا على عائق زواجهم. (عابد، 2008).

ويعد اضطراب ما بعد الصدمة (Post Traumatic Stress Disorder) من أكثر الاضطرابات النفسية شيوعاً في الحروب والأزمات ويحدث الاضطراب عندما يتعرض الفرد لحدث مؤلم (يعقوب، 1999).

وتعد فئة زوجات الشهداء من الفئات المتضررة نفسياً ومعنوياً واقتصادياً، حيث إن فقدان الزوج من أصعب الأحداث المفجعة التي قد تواجهها الزوجة نتيجة أن الزوج هو المعيل الأساسي للأسرة وفقدانه ليس بالحدث العادي خاصة كلما ازداد اعتماد الزوجة على الزوج في أمور الحياة ازدادت المعاناة الزوجية لديها. (محمد، 2014: 3)

وبهذا تعد المساندة الاجتماعية من أهم المصادر المخففة من حدة وقع الضغوط على المرأة والتي تساعد على التوافق مع الخبرة المؤلمة، كون المساندة تعطي الفرد الشعور بالدفء والمحبة من الأشخاص المقربين منه، ويساعدونها في التغلب على أزمته ومصابها. (Bergman,et.al,2008)

وبناءً على ما سبق ذكره جاء الاهتمام بدراسة دور المساندة الاجتماعية في التخفيف من اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى زوجات الشهداء باعتبارها من الفئات المتضررة من الأحداث الجارية في ليبيا والتي قد تؤثر على أسلوب الحياة والتفكير والتنشئة الاجتماعية للزوجة وللأبناء.

مشكلة البحث

تعد الأحداث الضاغطة مصدر تهديد للشخصية والسلوك السوي، إلى جانب تأثيرها المفرط على مشاعر الفرد وتفكيره وعلاقاته بالآخرين، ناهيك على تغير تصرفات الفرد وسلوكياته، بل وحتى أحلامه ونظرته للمستقبل، مما يخلق لدى الفرد مشاعر

الخوف، وفقدان احترام الذات، وانعدام الثقة بالنفس وبالتالي صعوبة التخطيط للمستقبل. (Beckham & Beckham, 2006)

ويعتبر فقدان الأسرة لأحد أفرادها من أشد الخبرات الحياتية المؤلمة، لذا تعد دراسة هذه الخبرات الصادمة والعمل على التخفيف من حدة تأثيرها خاصة على فئة النساء لأهمية الدور التي تقوم به سواء داخل السرة أم خارجها. وتعد مشكلة فقدان الزوج بالوفاة نتيجة المرض أو حادث أو قضاء وقدر أو بالاستشهاد من المشكلات التي تهدد المرأة بصفة عامة والمرأة اللببية خاصة بعد أحداث 17 فبراير، 2011، وما نجم عنها من كثرة الوفيات لفئة الذكور والذي يعد الأزواج أحد عناصر هذه الفئة من خلال استشهاد عدد كبير من الشباب والرجال المتزوجين تاركين زوجاتهم وأبنائهم، وهذا يحمل الزوجة أعباء إضافية، خاصة إذا كانت صغيرة السن، فهي بحاجة للمساندة الاجتماعية التي ربما تخفف من وقع الحادثة عليها، كما يقوي من قدرة المرأة على الصمود والمواجهة.

لم تحظ هذه المشكلة بالدراسة في المجتمع الليبي مقارنة بالمجتمعات الأخرى؛ لذا فإن مشكلة فقدان الزوج مازالت بحاجة إلى دراسة علمية للوقوف على فهمها وكيفية التعامل معها والتخفيف من الأعباء، كما لاحظت الباحثتان إن المساندة والخدمات التي تقدم لهذه الفئة غير كافية ولا تلبي احتياجاتهم، وهذا ما دفع الباحثتان لدراسة العلاقة بين المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى زوجات الشهداء، وتتبلور مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي الآتي: ما دور المساندة الاجتماعية في خفض حدة اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى زوجات الشهداء في مدينة البيضاء؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

1- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المساندة الاجتماعية وخفض

اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة ؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات المساندة الاجتماعية وخفض اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة تعزى لمتغير عمر الزوجة ؟

3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة تعزى لمتغير نوع السكن ؟

4- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة تعزى لمتغير المدة المنقضية على الصدمة ؟

5- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة تعزى لمتغير المستوى التعليمي؟

6- هل تساعد المساندة في التنبؤ بخفض حدة اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة ؟

أهمية الدراسة:

1- تظهر الأهمية النظرية لهذه الدراسة في تناوله لموضوع حيوي في حياة الزوجة تتمثل في فقدان شريك الحياة، وكيفية الحد من آثار هذا الفقد بتناول أحد أبعاد علم النفس الإيجابي والمتمثل في المساندة الاجتماعية التي تتلقاها المرأة سواء من المقربين أو من المجتمع من أجل تخفيف وطأة هذا الفقدان.

- 2- إن لدراسة المرأة فائدة الزوج أهمية كبيرة في وقتنا الحاضر نتيجة كثرة الأزمات والضغوطات التي تتطلب تحديد الندوات المناسبة لمواجهتها بكل السبل والتدابير من أجل تكوين بناء سيكولوجي متين للمرأة فائدة الزوج حيث يمكنها من التوافق والتعامل مع الحدث ومواجهته.
- 3- تسليط الضوء على فئة مهمشة من فئات المجتمع والتي في تزايد نتيجة ظروف الحرب وهي فئة زوجات الشهداء.
- 4- تظهر الأهمية التطبيقية في إمكانية توظيف نتائج هذا البحث في بناء برامج إرشادية ونفسية، وإقامة ورش تدريبية تساهم في التخفيف من آثار هذا الاضطراب على هذه الفئة.
- 5- توجيه نظر الباحثين إلى دراسة المشكلات التي تعاني منها زوجات الشهداء؛ نتيجة قلة البحوث والدراسات التي تناولت هذه الفئة التي في تزايد ملحوظ.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى ما يأتي:

- 1- التعرف على العلاقة بين المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة.
- 2- الكشف عن الفروق في متوسطات درجات مقياسي المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة تعزى لمتغير عمر الزوجة.
- 3- الكشف عن الفروق في متوسطات درجات مقياسي المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة تعزى لمتغير نوع السكن.

4- الكشف عن الفروق في متوسطات درجات مقياسي المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة تعزى لمتغير المدة المنقضية على الصدمة .

5- الكشف عن الفروق في متوسطات درجات مقياسي المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة تعزى لمتغير المستوى التعليمي.

6- التنبؤ بحجم تأثير المساندة الاجتماعية في خفض حدة اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة.

فرضيات الدراسة

1- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة.

2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة تعزى لمتغير عمر الزوجة.

3- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة تعزى لمتغير المستوى التعليمي.

4- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة تعزى لمتغير طبيعة السكن (مستقل - مع أهل الزوج - مع أهل الزوجة) .

5- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة تعزى لمتغير المدى المنقضية عن الصدمة.

6- التنبؤ بحجم تأثير المساندة الاجتماعية في خفض حدة اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة.

حدود الدراسة

الحدود الزمنية: تتحدد هذه الدراسة بالفترة الزمنية التي أجريت فيها الدراسة لعام 2019.

الحدود المكانية: تتحدد بمكان إجرائها، وهي مؤسسة بحوث الشؤون الاجتماعية بمدينة البيضاء.

الحدود البشرية: تتحدد بعينة الدراسة وهي المرأة فاقدة الزوج بالاستشهاد.

كما تتحدد هذه الدراسة من خلال أدوات القياس ونوع العينة والاجراءات المتبعة فيها.

مفاهيم الدراسة

1- المساندة الاجتماعية: وهي تقديم الدعم المادي والمعنوي من جماعات رسمية وغير رسمية للمكروب بقصد رفع روحه المعنوية، وحمايته من الآثار النفسية الناجمة عن أحداث الحياة الضاغطة. (سلطان، 2009: 19)

بينما تعرف الباحثتان المساندة الاجتماعية إجرائيا: بالدرجة التي تحصلت عليها المفحوصات في مقياس المساندة الاجتماعية.

2- اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة: يعرف بأنه مرض نفسي صنف من جانب جمعية الطب النفسي الأمريكية، ويحدث عندما يتعرض المرء لحدث مؤلم يتخطى حدود

التجربة الإنسانية المعتادة، تظهر في هيئة عدة أعراض نفسية وجسدية. (يعقوب، 1999: 38)

بينما يعرف إجرائيا بأنه كل ما تعكسه استجابة زوجات الشهداء على مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة.

3- ذوو الشهداء: الأفراد الذين هم من أسرة كل من تصدر باسمه وثيقة استشهاد من مكتب شؤون الشهداء والجرحى في الدولة الليبية.

الدراسات سابقة

دراسة (عابد، 2008) هدفت إلى الكشف عن علاقة الشعور بالوحدة النفسية لدى زوجات الشهداء بكل من المساندة الاجتماعية والالتزام الديني، كما هدفت إلى الكشف عما إذا كان هناك فروق في مستوى الشعور بالوحدة النفسية يمكن أن تعزى إلى بعض المتغيرات الديمغرافية مثل المستوى الاقتصادي للأسرة، نمط السكن، عدد الأبناء، عدد السنوات بعد استشهاد الزوج، المؤهل العلمي للزوجة، ومكان السكن . استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، كما تكونت العينة الفعلية من (153) زوجة شهيد من شهداء انتفاضة الأقصى، وباستخدام استبانة الوحدة النفسية، واستبانة المساندة الاجتماعية، واستبانة الالتزام الديني، توصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية عكسية دالة إحصائياً بين الشعور بالوحدة النفسية والمساندة الاجتماعية لدى زوجات الشهداء، بينما لا توجد علاقة ارتباطية بين الشعور بالوحدة النفسية والالتزام الديني لدى زوجات الشهداء، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالوحدة النفسية تعزى لكل من المستوى الاقتصادي، نمط السكن، عدد الأبناء، توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الشعور بالوحدة النفسية لدى زوجات الشهداء تعزى لكل من عدد السنوات لصالح (سنتين أو أقل)، والمؤهل العلمي لصالح (ثانوية عامة أو أقل).

دراسة (صبيره وآخرون، 2019) يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الفروق في درجة الاضطراب تبعاً للمدة المنقضية على الصدمة، حدث الاستشهاد، المستوى التعليمي لزوجة الشهيد، طبيعة السكن، واستخدام مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة، على عينة من (60) زوجة، وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الاضطراب وفقاً لمتغير مدة الصدمة والمستوى التعليمي، لكن وجدت فروق في درجة الاضطراب وفقاً لمتغير طبيعة السكن؛ وذلك لصالح السكن غير المستقل.

دراسة (الصفدي، 2013) هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين كل من المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية وعلاقتها بقلق المستقبل لدى زوجات الشهداء والأرامل بمحافظات غزة، هدفت إلى التعرف على مستوى كل من المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية وقلق المستقبل لديهن، كما هدفت أيضاً فحص العلاقة والفروق لعدد من المتغيرات الاجتماعية، والديموغرافية، على كل من المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية، وقلق المستقبل، وهي: العمر الحالي، عدد الأبناء، المستوى التعليمي، الوضع الاقتصادي، الاتجاه السياسي للمتوفى، طبيعة ونوع الإقامة، الاتجاه السياسي للمستجيبات، اختلاف العمر عند الزواج، مدة العيش المشترك، العمر عند الفراق، مدة الفراق، واتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي وباستخدام مقياس المساندة الاجتماعية. "إعداد الباحثة". ومقياس الصلابة النفسية. "إعداد الباحثة"، بينت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائياً بين غالبية أبعاد المقياسين، بينت النتائج وجود علاقة ارتباطية سالبة عكسية لدى عينة زوجات الشهداء بالقلق العام، وجميع أبعاد مقياس الصلابة النفسية كما بينت النتائج وجود فروق جوهرية في بعض أبعاد كل من المساندة والصلابة النفسية والقلق المستقبل تعزى لتغيرات المستوى التعليمي والإقامة والعمر عند الزواج وسنوات

العيش المشترك، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق تعزى لمتغير العمر الحالي والعمر عند الفراق وعدد سنوات الفراق وعدد الأبناء.

دراسة (عبدالرحيم، 2016) هدفت الدراسة إلى الكشف عن مستوى الأفكار اللاعقلانية ومستوى اضطراب كرب ما بعد الصدمة لدى زوجات شهداء حرب غزة، (2014) على غزة، كما هدفت إلى الكشف عن مدى الإسهام النسبي لأفكار اللاعقلانية في التنبؤ باضطراب بكرب ما بعد الصدمة لدى زوجات شهداء حرب غزة، والتعرف على الفروق في متوسط درجات الأفكار اللاعقلانية لدى زوجات شهداء تبعاً للمتغيرات التالية) عدد الأبناء، المستوى الاقتصادي للأسرة، المستوى التعليمي، العمر) واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتكونت عينة الدراسة من (182) زوجة وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- أن مستوى اضطراب كرب ما بعد الصدمة لدى زوجات الشهداء كان متوسطاً، ووجود علاقة طردية بين مستوى الأفكار اللاعقلانية واضطراب كرب ما بعد الصدمة لدى زوجات شهداء.

2- لا توجد فروق في متوسط درجات الأفكار اللاعقلانية ودرجات اضطراب كرب ما بعد الصدمة لدى زوجات شهداء تبعاً للمتغيرات التالية (عدد الأبناء والمستوى التعليمي، والعمر).

3- توجد فروق في متوسط درجات الأفكار اللاعقلانية لدى زوجات شهداء تعزى للمستوى التعليمي لصالح الزوجات الحاملات المؤهل الابتدائي والإعدادي.

دراسة (الهلول ومحيسن، 2013) هدفت الدراسة إلى تعرف علاقة المساندة الاجتماعية بالرضا عن الحياة والصلابة النفسية لدى المرأة الفلسطينية فاقدة الزوج، تكون مجتمع الدراسة من (7194)، تم أخذ عينة من (129) امرأة ممن فقدن أزواجهن، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحثان مقياس المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة والصلابة النفسية، وبعد التحقق من ثبات الأدوات وصدقها تم

تطبيقاً على عينة الدراسة، وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة والصلابة النفسية لدى المرأة فاقدة الزوج، كما أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق في المساندة الاجتماعية والرضا عن الحياة والصلابة النفسية تعزى لنوع فقدان (شهيد وغير شهيد) في حين وجدت فروق في متغيرات الدراسة تعزى لنوع السكن (مستقل، مشترك) كذلك كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق في الرضا عن الحياة لدى المرأة فاقدة الزوج تعزى لعمر ولصالح كبيرات السن.

كما قام كل من (Ganellen & Blaney,1984) بدراسة هدفت إلى معرفة العلاقة بين المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية، ومعرفة أيهما يلعب دوراً أكبر في التخفيف من أثر ضغوط الحياة، وشملت عينة الدراسة (83) طالبا جامعياً، وكشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة ارتباط إيجابية بين المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية، كما بينت نتائج الدراسة وجود أثر كبير لكل من المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية في التخفيف من ضغوط الحياة.

كما قام كل من (Ross & Cohen,2004) بدراسة هدفت إلى التعرف على دور المساندة الاجتماعية كعامل وسيط في التخفيف من التأثير السلبي لمضغوط حياتية، تكونت عينة الدراسة من (109) طلاب، وأظهرت نتائج الدراسة دور المساندة الاجتماعية كعامل ملطف أو واقٍ من واقع أحداث الحياة الضاغطة. وكذلك أشارت نتائج الدراسة إلى التأثير الإيجابي للمساندة الاجتماعية على الصحة النفسية للأفراد.

قامت (عابد، 2008) بدراسة هدفت إلى الكشف عن علاقة الشعور بالوحدة النفسية لدى زوجات الشهداء بكل من المساندة الاجتماعية والالتزام الديني، كما هدفت الدراسة التعرف عما إذا كان هناك فروق في مستوى الشعور بالوحدة النفسية يمكن أن تعزى إلى بعض المتغيرات الديمغرافية مثل المستوى الاقتصادي للأسرة، ونمط

السكن، وعدد الأبناء، وعدد السنوات بعد استشهاد الزوج، والمؤهل العلمي للزوجة، ومكان السكن، وتكونت عينة الدراسة من (135) زوجة شهيد من شهداء انتفاضة الأقصى، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة بين الشعور بالوحدة والمساندة الاجتماعية، بينما لا توجد علاقة ارتباط بين الشعور بالوحدة النفسية والالتزام الديني. ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالوحدة النفسية تعزى إلى مستوى دخل الأسرة، ونمط السكن، وعدد الأبناء، في حين توجد فروق في مستوى الشعور بالوحدة النفسية لدى عينة الدراسة تعزى لعدد السنوات، والمؤهل العلمي ومكان السكن.

وقام (الشيراوي، 2012) بدراسة هدفت إلى كشف أسلوب التكيف للأرملة البحرينية في مواجهتها لضغوط الحياة اليومية وارتباط ذلك بصلابتها النفسية في ضوء متغيرات متعددة مثل: سنوات الترميل، وعدد الأبناء، والعمر، والتعميم، والدخل الشهري، وظروف الوفاة المفاجئ للزوج، والحالة المهنية، وقد تكونت عينة الدراسة من (50) أرملة بحرينية تم اختيارهن بطريقة عشوائية، وتم تطبيق مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة واستبانة الصلابة النفسية عليهن، وقد أظهرت النتائج أن أسلوب التكيف الإيجابي مع ضغوط الحياة هو الأسلوب السائد لدى الأرملة البحرينية، وكما أن الأرملة ذات الدخل المتوسط والمنخفض أميل إلى استخدام أسلوب التكيف السلبي عند مواجهتهن لضغوط الحياة اليومية، وكما أظهرت الدراسة فروق ذات دلالة إحصائية بين الأرملة ذات مستويات التعليم لصالح الأرملة ذات مستوى التعليم الثانوي والجامعي في الصلابة النفسية.

منهج الدراسة

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الارتباطي التحليلي، لتفسير ووصف ظاهرة أو مشكلة محددة، وتصويرها كميًا عن طريق جمع بيانات مقننة عن الظاهرة وتحليلها وإخضاعها للدراسة العلمية الدقيقة. (ملحم، 2006: 370)

مجتمع الدراسة

من خلال مراجعة هيئة رعاية أسر الشهداء والمفقودين والجرحى في مدينة البيضاء، تم تحديد مجتمع الدراسة بالنساء زوجات الشهداء بمدينة البيضاء والبالغ عددهم (60) زوجة شهيد. (إحصائية هيئة رعاية أسر الشهداء، 2019)

عينة الدراسة

جدول (1) يوضح خصائص العينة حسب متغيرات الدراسة المستقلة

النسبة المئوية	العدد	الفئات	الخاصية
%36	18	أقل من ثلاث سنوات	مدة الصدمة
%64	32	أكثر من ثلاث سنوات	
%20	10	أقل من 30 سنة	عمر الزوجة
%32	16	من 31-40 سنة	
%48	24	أكبر من 40 سنة	
%44	22	مستقل	طبيعة السكن
%36	18	مع أهل الزوج	
%20	10	مع أهل الزوجة	
%66	33	ثانوي فأقل	المستوى التعليمي
%34	17	جامعي فما فوق	
%100	%50		المجموع

تكونت عينة الدراسة من (50) امرأة فقدت زوجها بالاستشهاد، وتم استثناء (10) زوجات لعدم تواجدهن، وقد اختيرت العينة بطريقة عشوائية بسيطة وفقا لمتغيرات الدراسة الديموغرافية وهذا يتضح من خلال جدول (1)

أدوات الدراسة

1- مقياس المساندة الاجتماعية:

بالرجوع إلى المصادر العلمية والدراسات المختصة بهذا المجال تم الاعتماد على مقياس ترنر وليفين (Turner & Marino, 1994) للمساندة الاجتماعية يتكون المقياس من (27) فقرة على خمسة بدائل إجابة تتراوح الدرجات على المقياس ما بين (27 إلى 135 درجة) كمتوسط نظري، قامت الباحثتان بعرض المقياس على مجموعة من المحكمين بقسمي علم الاجتماع، وعلم النفس بجامعة عمر المختار. وتم حساب ثبات وصدق المقياس من خلال عينة استطلاعية قوامها (25 زوجة شهيد) وتم حساب صدق التجانس الداخلي من خلال حساب معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للمقياس كان جميعها دالة عند مستوى (5%) وهذا يؤكد انتماء جميع العبارات لمقياس المساندة الاجتماعية بينما تم حساب معامل الثبات عن طريق ألفا كرونباخ وكان (79%) وهو ثبات عالٍ.

2- مقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة

هو من إعداد (دافيدسون DAVIDSON) وقد ترجم للغة العربية (ثابت، 2007) يحوي المقياس فقرات تدل على الخبرة الصادمة التي تعرض لها الفرد من خلال التغيرات التي حدثت على الصحة والمشاعر، يتكون المقياس (17) فقرة، وباستجابة خماسية ينقسم إلى ثلاثة أبعاد، يتمثل البعد الأول في استعادة الخبرة وتشمل البنود (1،2،3،4،17) والبعد الثاني تجنب الخبرة الصادمة (5،6،7،8،9،10،11) والبعد الاستثارة وتشمل البنود (12،13،14،15،16)، تم حساب صدق وثبات

المقياس من خلال ملائمة البنود لعينة الدراسة، وتم استبدال مصطلح الخبرة الصادمة بحادثة الاستشهاد، يتمتع المقياس بصدق الاتساق الداخلي جيد، ومعامل ثبات قدره (75%) مقارب لدرجة الثبات في دراسة (ثابت، 2006). ومن خلال الاستجابة على بعض الأعراض الدالة على اضطراب الضغوط ما بعد الصدمة، يتم تشخيص الحالات التي تعاني من هذا الاضطراب.

إجراءات الدراسة

تم تطبيق أدوات الدراسة على عينة الدراسة التي اختيرت بالطريقة العشوائية البسيطة بمدينة البيضاء، في أثناء التطبيق طلب من كل زوجة اتباع التعليمات أثناء الإجابة على المقياس بوضع الإشارة (√) في المكان المناسب تم جمع كل الاستبيانات من العينة بشكل مباشر منعا للفاقد ومن ثم إجراء التحليلات الاحصائية بواسطة البرنامج الاحصائي (SPSS).

عرض ومناقشة النتائج

1- التحقق من صحة الفرض الأول للدراسة الذي ينص على وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين المساندة الاجتماعية واضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى زوجات الشهداء، من خلال حساب معامل الارتباط لمتغيري الدراسة. كما يوضحه الجدول (2)

جدول (2) معاملات الارتباط بين متغيري الدراسة

اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة	معامل الارتباط
0.535**	المساندة الاجتماعية

ينتضح من الجدول (2) بأنه توجد علاقة عكسية دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) حيث نجد إن المساندة الاجتماعية ترتبط عكسيا مع اضطراب ضغوط

ما بعد الصدمة، وهذا يتوافق مع الفرض المتوقع، الدعم الاجتماعي يخفف من عبء الاضطراب، ويقلل من التأثير السلبي لأحداث الخارجية (الإمارة، 1995) إلى جانب إن المساندة الاجتماعية تلعب دورًا في زيادة الصلابة النفسية، وقد كشفت نتائج الدراسات السابقة كدراسة (السميري 2010) إن فقدان شخص عزيز يؤدي إلى مخاطر كثيرة إذ لم يجد الدعم الاجتماعي من الآخرين، ودراسة (Ross & Cohen, 2004) ودراسة (البدور، 1999) التي أكدت أن المساندة ترتبط سلبيا بأعراض الاكتئاب وتخفف من الأعراض الاضطرابية وتقوي قدرة الفرد على مواجهة أحداث الحياة بشكل إيجابي، وما أكدته دراسة (النيل 1993) بأن الدعم الاجتماعي من أهم مصادر تخفيف الضغوطات.

وكون الفرد كائن اجتماعي بطبعه ولا يستطيع حل مشكلاته بمفرده بعيدًا عن الأشخاص الذين يشكلون له شبكة دعم ومساندة وأمنًا نفسيًا، إن المساندة تلعب دورًا مهمًا في التخفيف، وربما التخلص من الضغوط الحياتية التي تواجه المرأة فاقدة الزوج من خلال العلاقات والأنشطة التي تحمي من الانفعالات السلبية من خلال تجاوز الصدمة النفسية التي تمر بها، فكلما تلقت المرأة الدعم والمساندة من الآخرين كلما انخفض لديها مستوى الاضطراب ما بعد الصدمة.

2- التحقق من صحة الفرض الثاني الذي ينص على أنه: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة تعزى لمتغير عمر الزوجة، تم حساب تحليل التباين الاحادي لاختبار هذه الفرضية بالجدول (3)

جدول (3) يوضح متوسطات درجات أفراد العينة وفقاً لمتغير عمر الزوجة

المتغير	العمر	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المساندة الاجتماعية	أقل من 30 سنة	38.15	13.60
	من 31-40 سنة	41.34	9.80
	أكبر من 40 سنة	43.84	11.22
اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة	أقل من 30 سنة	29.30	11.36
	من 31-40 سنة	35.65	12.30
	أكبر من 40 سنة	40.35	12.55

يتضح من الجدول (3) وجود اختلافات في متوسطات درجات متوسطات العينة وفق متغير العمر، ويزداد المتوسط لدى الزوجة كبيرة السن عند المرأة صغيرة السن، ولتوضيح دلالة هذه الفروق نلجأ لأسلوب تحليل التباين الأحادي كما في الجدول(4).

جدول (4) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لعينة الدراسة تبعاً لمتغير عمر الزوجة .

المتغير	مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
المساندة الاجتماعية	بين المجموعات	2	22.20	11.04	0.072	غير دال
	داخل المجموعات	47	19292.7	153.12		
	المجموع	49	19314.8			
اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة	بين المجموعات	2	1189.2	594.60	3.89	دال عند 0.05
	داخل المجموعات	47	19227.2	152.59		
	المجموع	49	20416.4			

يتضح أن قيمة ف لمتغير المساندة الاجتماعية أصغر من قيمة ف الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) مما يعني رفض البند الأول للفرضية الأولى بينما تحقق البند الثاني من الفرضية الأولى، وهذا ينص على قبول الفرض البديل بوجود فروق تعزى لمتغير العمر بالنسبة لمقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة ولمعرفة دلالة هذه الفروق تم حساب اختبار "شيفيه" للمقارنات البعدية كما بالجدول (5)

جدول (5) نتائج اختيار شيفيه تبعا لمتغير عمر الزوجة

المتغير	العمر	أقل من 30 سنة	من 30-40 سنة	أكبر من 40 سنة
		م = 29.30	م = 35.65	م = 40.35
اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة	أقل من 30 سنة	-	-	-
	من 31-40 سنة	5.65	-	-
	أكبر من 40 سنة	*8.43	2.35	-

إن اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة وفقا لمتغير العمر لدى المرأة فاقدة الزوج أقل من 30 سنة وأكبر من 40 سنة لصالح المرأة الأكبر من 40 سنة، وهذه النتيجة متوقعة كون المرأة كبيرة السن أصبح لديها معرفة ودراية وخبرة بأمر الحياة وتمتلك تجربة ذاتية تمخضت عن تجربتها، فتصغر عظام الأمور لدرجة أن تصبح أمور الحياة بالنسبة لها أمراً سهلاً، كما أن المرأة كبيرة السن قد حققت ذاتها في الحياة بينما صغيرة السن لاتزال تخوض غمار الحياة، فتعجز عن مواجهة صعوبات الحياة، ناهيك عن نظرة المجتمع بنوع من الشفقة إلى المرأة التي تتربل في سن صغير، هذه النظرة تشعرها بالاضطراب، والصراع بين الأمهات والاعتناء بأبنائها، أو تركهم إلى أهل زوجها، وهذه النتيجة تختلف مع دراسة (الشيراوي، 2012) بينما تتفق مع دراسة (الصفدي، 2013) ودراسة (McCoy, 2001).

3- التحقق من صحة الفرض الثالث الذي ينص على أنه: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس المساندة

الاجتماعية ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة تعزى لمتغير المستوى التعليمي، تم حساب اختبار (ت) لعينتين مستقلتين كما بالجدول (6).

جدول (6) نتائج اختبار (ت) لعينات مستقلة

المتغير	المستوى التعليمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	مستوى الدلالة
المساندة الاجتماعية	ثانوية فأقل	33	38.2	10.42	1.40	48	غير دال
	جامعي فما فوق	17	32.15	12.80			
اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة	ثانوية فأقل	33	53.32	12.03	2.70	48	دال 0.05
	جامعي فما فوق	17	60.05	13.53			

يتضح من الجدول أعلاه عدم قبول الجزء الأول من الفرضية البديلة القائلة بوجود فروق دالة وفقا للمستوى التعليمي بالنسبة لمقياس المساندة الاجتماعية، بينما تقبل الفرضية البديلة بالنسبة لمقياس اضطراب ما بعد الصدمة لتحقق الدلالة وفقا لمتغير المستوى التعليمي، وهذه الفروق تتضح لدى فئة المستوى التعليمي الجامعي فما فوق، وربما يرجع ذلك لتأثير التقدم في المستوى التعليمي على إدراك الحدث المؤلم، والتعامل معه بعكس الأقل تعليما، وهذه النتيجة اتفقت مع دراسة (عابد، 2008) ودراسة (أبو شريفة، 2011) ودراسة (الصفدي، 2013) واختلفت مع دراسة (عمر، 2010)، وهذا راجع إلى إن الخبرة التعليمية تعد داعما جيدا للأحداث الحياتية الضاغطة من حيث الإدراك والتعامل معها وسبل العيش بها.

4- التحقق من صحة الفرض الرابع الذي ينص على أنه: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة تعزى لمتغير طبيعة السكن (مستقل- مع أهل الزوج- مع أهل الزوجة)، لمعرفة الفروق تم اختبار التباين الأحادي، وذلك في الجدولين (7،8)

جدول (7) نتائج التوزيع التكراري لمتغير طبيعة السكن.

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	طبيعة السكن	المتغير
9.8	34.20	22	سكن مستقل	المساندة الاجتماعية
11.07	42.25	18	مع أهل الزوج	
9.14	46.70	10	مع أهل الزوجة	
12.32	53.8	22	سكن مستقل	اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة
12.60	58.22	12	مع أهل الزوج	
11.91	62.10	10	مع أهل الزوجة	

جدول (8) نتائج اختبار التباين الأحادي.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
المساندة الاجتماعية	بين مجموعات	1586.02	789.2	2	7.80	دال 0.05
	داخل المجموعات	4269.3	101.2	47		
	المجموع	5855.20		49		
اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة	بين مجموعات	1879.7	939.8	2	9.27	دال 0.05
	داخل المجموعات	4768.8	101.5	47		
	المجموع	6648.5		49		

أظهرت النتائج وجود فروق دالة على المقياسين وفق متغير طبيعة السكن، لصالح السكن مع أهل الزوجة، مما يشجع على قبول الفرضية البديلة، كما يتضح إنه كلما كان السكن مستقل، كلما قلت درجة الاضطراب، بينما اختلف الأمر في الدراسة الحالية إذ ظهرت الفروق دالة في السكن مع أهل الزوجة الذين يساعدون على خفض الاضطراب الناجم عن الصدمة نتيجة لدعم الالهل، وهذا يتضح من خلال المتوسطات الحسابية على المقياسين، وهذا راجع إلى أن حياة الزوجة مع أهلها يسمح لها بالأمن والاستقرار النفسي، في حين أن حياة الزوجة في بيئة مستقلة أو مع أهل زوجها لا يسمح لها بممارسة حياتها الشخصية بنوع من الأمن النفسي لها ولأطفالها، كونها قد تضطر عند أهل زوجها أن تخضع للأوامر التي تفرض عليها،

وهذا ينعكس سلباً على شعورها بالمساندة الاجتماعية، وعلى صحتها النفسية والجسدية، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (الصفدي، 2013) بينما تختلف مع دراسة (أبو شريفة، 2011) ودراسة (عابد، 2008).

5- التحقق من صحة الفرض الخامس الذي ينص على أنه: توجد فروق ذات دلالة في متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة تعزى لمتغير المدى المنقضية عن الصدمة. وللتحقق من صحة هذا الفرض تم تطبيق اختبار (ت) لعينتين مستقلتين .

جدول (9) نتائج اختبار (ت) لعينات مستقلة .

المتغير	مدة الصدمة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	مستوى الدلالة
المساندة الاجتماعية	أقل من 3 سنوات	18	42	6.8	2.43	48	دال عند 0.05
	أكثر من 3 سنوات	32	45	12.20			
اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة	أقل من 3 سنوات	18	38	8.09	3.25	48	دال عند 0.05
	أكثر من 3 سنوات	32	40	11.30			

يتضح من الجدول (9) وجود فروق ذات دلالة إحصائية مما يؤكد قبول الفرضية البديلة، وهذا يتضح من ارتفاع المتوسط على المدة التي تزيد عن 3 سنوات، وهذا قد يعود إلى أن أثر الأحداث الصادمة التي تكون من صنع الإنسان أشد وقعاً وأكثر بقاءً لدى الفرد المصدوم (سموكر وكونراد، 2013) كما أن غالبية أفراد

العينة لم يتلقوا العلاج والدعم النفسي الذي يسهم في التخفيف من تفاقم أثر الصدمة عليهم، وهذا ما يجعلهم بحالة عدم تكيف مع فقدان الزوج مهما كانت المدة المنقضية على الفقدان، كما أن كثرت القيود المفروضة والأعباء الحياتية الملقاة على عاتق زوجة الشهيد سواء من أسرتها، أو من المجتمع، التي تجعلها بحاجة إلى وجود الشريك الآخر لتستمر بالحياة، ويفقدانه تفقد الزوجة الكثير من التطلعات لإيجابية الحياة وبالتالي قد يدوم استمرار الاضطراب لفترات زمنية طويلة، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة (عابد، 2008) ودراسة (صبيرو وأخرون، 2019)

6- التحقق من الفرض السادس الذي ينص بأنه: يمكن التنبؤ بحجم تأثير المساندة الاجتماعية في خفض حدة اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة، تم حساب معامل الانحدار الخطي البسيط كما بالجدول (10)

جدول (10) نتائج اختبار تحيل للانحدار البسيط لتأثير المساندة الاجتماعية في خفض اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة.

النموذج	معامل الانحدار	الخطأ المعياري	قيمة (ت)	معامل التحديد (R2)	مستوى الدلالة
القيمة الثابتة	48.66	7.41	6.70	11.4	دال عند 0.05
المساندة الاجتماعية	0.37	0.09	4.05		دال عند 0.05

يتضح من الجدول أعلاه أن نموذج الانحدار استطاع أن يفسر ما نسبته (11.4%) من المساندة الاجتماعية للمرأة التي فقدت زوجها سواء أكانت المساندة مادية أو معنوية، أي أن المساندة الاجتماعية كمتغير مستقل لها دور مهم وأساسي

في خفض اضطرابات ما بعد الصدمة، كما نستطيع الاعتماد على هذا النموذج (المساندة الاجتماعية) في التنبؤ بخفض اضطرابات ضغوط ما بعد الصدمة للمرأة فاقدة الزوج عند المستوى (0.05)، وهذه النتيجة منطقية حيث تعيش المرأة اللبية فاقدة الزوج ظروف صعبة للغاية وتحتاج هذه الظروف إلى مساندة ودعم من المحيطين بها لتمتلك القدرة على مواجهة الصعاب.

الاستنتاجات

توصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق على مقياس المساندة الاجتماعية وفقا لمتغير العمر، بينما تحققت كافة الفرضيات على المقياسين وفقا للمتغيرات الديموغرافية المستخدمة في هذه الدراسة، وذلك لصالح الفئة العمرية أكبر من (40 سنة)، والمستوى التعليمي الجامعي فما فوق، ولطبيعة السكن مع أهل الزوجة، ولصالح المدة المنقضية على الصدمة أكثر من ثلاث سنوات.

التوصيات

- 1- التركيز على كيفية معالجة اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى الفئات التي تضررت من الحرب خاصة فئة زوجات الشهداء حتى لا تتدهور حياة الأسرة بكاملها، حيث إن هذا النوع من الاضطرابات لا يتم علاجه دون وجود تدخلات نفسية لعلاجه.
- 2- توجيه انتباه القائمين في مراكز الشؤون الاجتماعية بالحاجات النفسية لزوجات الشهداء لما له من أهمية في مجال الارشاد النفسي الأسري.
- 3- ضرورة إشعار المرأة فاقدة الزوج بالمساندة الاجتماعية من جانب المؤسسات الحكومية والمؤسسات الأهلية.

4- الاهتمام بتطبيق برنامج إرشادي لتدريب الزوجات صغيرات السن على الصلابة النفسية والرضا عن الحياة لتأثيرهما المباشر في التكيف مع الأزمات.

المقترحات

- 1- إجراء دراسات عبر ثقافية لمعرفة تأثير الاختلاف الثقافي في المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية في خفض ضغوطات ما بعد الصدمة لزوجات الشهداء.
- 2- أثر برنامج إرشادي ديني في فاعلية المساندة الاجتماعية في خفض اضطرابات ضغوط ما بعد الصدمة لدى ضحايا وجرحي الحرب.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو شريفة، ميساء (2011) اضطراب ما بعد الصدمة وعلاقته بالتوجه نحو الدعاء لدى عينة من زوجات الشهداء في قطاع غزة. الجامعة الإسلامية بغزة. كلية التربية، قسم علم النفس رسالة ماجستير غير منشورة .
- الإمارة، أسعد (1995) علاقة الضغوط والتعامل معها بالخصائص العصبية لدى طلبة الجامعة ، رسالة دكتوراه. كلية التربية، جامعة المستنصرية، بغداد .
- البدور، سليمان (1999) الاستجابات السلوكية الانفعالية الناتجة عن فقدان الزوج والأب من مذبحه الخليل بالضفة الغربية، مجلة المخلصات العلمية النفسية، جامعة بن جريون، بئر السبع، فلسطين. ثابت، عبد العزيز (2007) دراسة تجريبية لمعرفة تأثير النشاطات اللامنهجية في المخيمات الصيفية على الصحة النفسية للأطفال في قطاع غزة، برنامج غزة للصحة النفسية.
- دياب، مروان (2006) دور المساندة الاجتماعية كمتغير وسيط بين الاحداث الضاغطة والصحة النفسية للمراهقين الفلسطينيين، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية.
- سلطان، إبتسام (2009) المساندة الاجتماعية وأحداث الحياة الضاغطة، ط1، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع.
- سموكر، ميرفين، كونراد، ريشكه (2013) إعادة رسم الصورة وعلاج الاعادة. ترجمة سامر رضوان. الإمارات دار الكتاب الجامعي. نسخة الكترونية منقحة.

- السمييري، نجاح(2010). المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالأمن لدى أهالي البيوت المدمرة خلال العدوان الإسرائيلي على محافظات غزة، مجلة جامعة النجاح، مجلد 24.(8).
- الشيراوي، أماني عبد الرحمن (2012) أسلوب مواجهة الأرملة للضغوط النفسية اليومية وعلاقتها بالصلابة النفسية، مجلة العلوم التربوية، 13.
- صبييرة، فؤاد، ريما سعدي، ايمان بدر(2019) اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة لدى عينة من زوجات الشهداء، دراسة ميدانية في منطقة جبلة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (41) العدد (2)
- الصفدي، رولا مجدي (2013) المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية وعلاقتهاما بقلق المستقبل لدى زوجات الشهداء والأرامل بمحافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة.
- عابد، وفاء (2008) الشعور بالوحدة النفسية لدى زوجات الشهداء وعلاقتها بكل من المساندة الاجتماعية والالتزام الديني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الجامعة الإسلامية، غزة.
- عبدالرحيم، وائل (2016) الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها باضطراب كرب ما بعد الصدمة لدى زوجات شهداء حرب 2014 على غزة.
- عمر، هدى صالح (2010) اضطراب الضغوط التالية للصدمة لدى النساء بمعسكرات عطاش ودريج بجنوب دارفور وعلاقته ببعض المتغيرات، جامعة

- الخرطوم كلية الآداب قسم علم النفس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة الأقصى، غزة.
- محمد، نور (2014) الفراغ الوجودي وتجاوز الذات وعلاقتها بالتصورات المستقبلية لدى الأرامل رسالة دكتوراه غير منشورة قسم العلوم النفسية والتربوية، كلية التربية، جامعة ديالى.
- المصري، نفين (2011) قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوي الطموح الأكاديمي لدي عينة من طلبة جامعة الأزهر، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر.
- ملحم، سامي محمد (2006) مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ط 4، الأردن: دار المسيرة.
- النيال، مایسة أحمد (1993) بناء مقياس الوحدة النفسية لدى مجموعات عمرية متباينة من أطفال المدرسة بدولة قطر، مجلة فصلية، السنة الرابعة، عدد 15.
- الهلول، إسماعيل، محيسن، عون (2013) المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالرضا عن الحياة والصلابة النفسية لدى المرأة الفلسطينية فاقدة الزوج،
<https://www.researchgate.net/publication>
- يعقوب، غسان (1993) سيكولوجية الحروب والكوارث ودور العلاج النفسي اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة. ط 1، بيروت - لبنان دار الفارابي.
- Beckham, E; and C, Beckham .(2006). *Coping with Trauma and Post Traumatic Stress Disorder. A Personal Guide to*

Coping. Chapter 11--Coping with Trauma and Post Traumatic Stress Disorder--Page1-39.2006.

- Bergman, C.S., N.L. Pedersen, and G.E. Mc Clean,. (2008) "Genetic Mediation of the relationship between social support and psychological well-being" . Psychology and aging .6 (4). 640-646 .
- Ganellen, R.and J.Blaney. (1984). "Hardiness and social support and life stress" Journal of Personality and Social Psychology. 43 (10). 156 -163 .
- Mc Coy, P, K.(2001): Hardiness and collage adjustment: identifying students in need of services, Journal of college student Development, 40(3).305-309
-
- Ross, P. & S.C. Cohen, (2004)."20-Sex roles and social support as moderators of life stress adjustment". Journal of Personality and Social Psychology. 52(5). 570-585.
- Turner, R. & Marino, F. (1994). Social support and social structure: a descriptive epidemiology. Journal of Health & social behavior, Vol. 35, 193-212.

صناعة الحديد والصلب في مدينة مصراته دراسة جغرافية

إعداد: د. ابتسام عبدالسلام كشيب،

د. صالحة علي فلاح

المقدمة:

تلعب العلاقة بين مدينة مصراته ونطاق إقليمها دوراً هاماً في توظيف الصناعة ونموها، حيث يؤدي هذا التوظيف إلى ازدهار الصناعة بالمدينة، ثم أثرت الصناعة بدورها على الامتداد العمراني للمدينة، ويلعب موقع المدينة دوراً هاماً في طبيعة العلاقات بينها وبين المدن المجاورة.

وفي الآونة الأخيرة زاد الاهتمام بصناعة الحديد والصلب داخل المدينة، ولقد مرت هذه الصناعة بتطورات مختلفة عبر تاريخها.

وتعد صناعة الحديد والصلب الركيزة الأساسية لتوفير كل متطلبات الصناعات الأخرى، والشركة الليبية للحديد والصلب من أكبر الشركات الصناعية في ليبيا، ويقع مجمع الحديد والصلب في محلة قصر أحمد، على ساحل البحر المتوسط، وقد اختير هذا الموقع نتيجة للآتي:

- 1- وجود أراضي سبخية بمساحات شاسعة يتعذر استصلاحها زراعياً، قريباً من البحر وبعيدة عن التجمعات السكانية تفادياً للملوثات.
- 2- إقامة هذا النوع من الصناعة قرب البحر يساعد في توفير كميات المياه اللازمة لتبريد الآلات والمنتوج.
- 3- سهولة إقامة ميناء بهذه المدينة لاستقبال الخام والمواد اللازمة للصناعة غير المتوفرة محلياً، ولتصدير المنتج.

4- توفر القوى المنتجة اللازمة من الأيدي العاملة التي بالإمكان تدريبها وصلها وإكسابها الخبرة الفنية اللازمة بسرعة.

5- تحتاج صناعة الحديد والصلب إلى الحجر الجيري والدولوميت اللازمين لتقنية الشوائب، وهذه المواد موجودة بمنطقة السدادة حيث تعد مدينة مصراته الأقرب إلى هذه المنطقة التي لا تبعد عن موقع المجمع بأكثر من 100 كم في اتجاه الجنوب الشرقي⁽¹⁾.

مشكلة البحث:

تحظى صناعة الحديد والصلب بمكانة استراتيجية، حيث تعد من الصناعات الثقيلة، ومن هنا تظهر بعض المشكلات، وهي كالآتي:

1- ما مدى مساهمة صناعة الحديد والصلب في التنمية الاقتصادية والاجتماعية داخل المدينة؟

2- ما حجم المشكلات التي تتحدث عن التوطن الصناعي في منطقة الدراسة؟

فرضية البحث:

هناك علاقة بين إيجاد حلول لمشكلات قطاع الصناعة وزيادة الإنتاج.

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على منهجين وهما:

1 - المنهج الموضوعي:

يقوم على أساس تحديد المشكلة، وتحديد أهدافه وفرض الفروض والتحقق من مدى صدقها، واتباع خطوات الدراسة الجغرافية الموضوعية القائمة على الوصف والتوزيع والتحليل والتفسير.

(1) محمد المهدي الأسطى، العلاقات المكانية لمجمع الحديد والصلب بالتطور الحضري

لمدينة مصراته، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006.

2 - الأسلوب الكارتوغرافي:

وذلك بإنشاء خريطة توضح مكان المصنع بالنسبة للمدينة ومكان المدينة بالنسبة لليبيا.

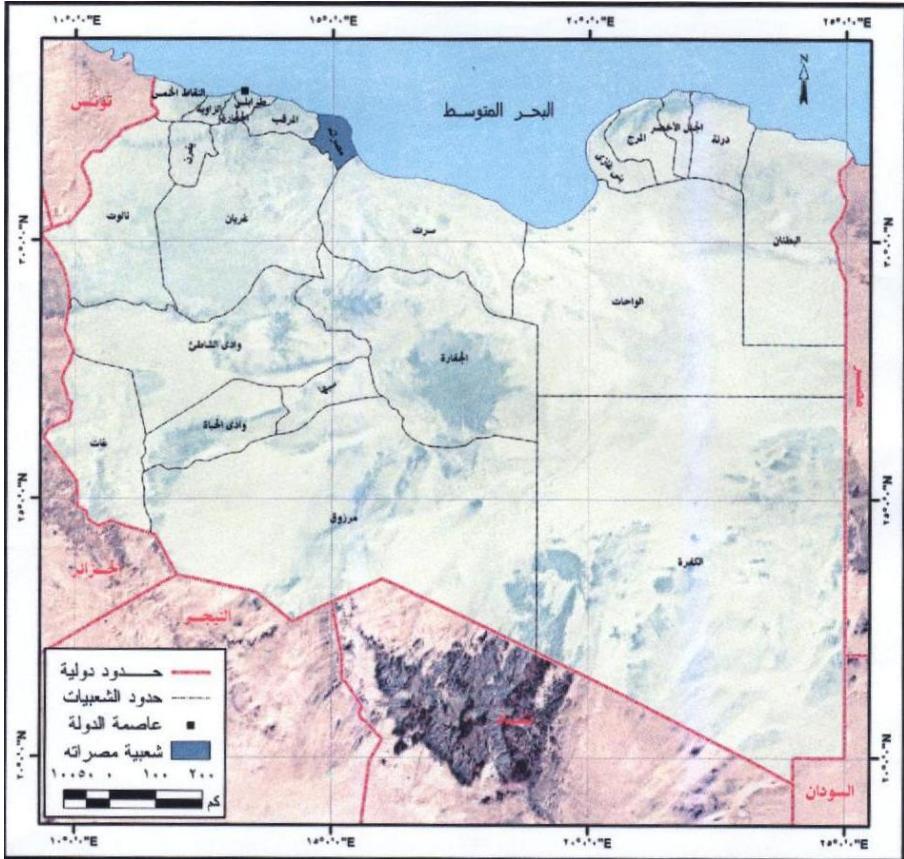
مجالات الدراسة:

كل دراسة لها مجال مكاني، وآخر زمني، وثالث بشري، فالأول يختص بمنطقة البحث مصراته الواقعة شمال ليبيا بين خطي طول $14^{\circ} 38'$ و $15^{\circ} 22'$ شرقاً، وبين دائرتي عرض $27^{\circ} 32'$ و $32^{\circ} 38'$ شمالاً تقريباً⁽¹⁾ بمساحة تقدر بحوالي 2770 كم، وتقع وسط الساحل الليبي الشمالي وبالتحديد عند نهاية خليج سرت في شماله الغربي على ساحل البحر المتوسط، وتشرف عليه من جهتي الشمال والشرق، كما تحدها زليتين من الغرب وتاورغاء وبنى وليد من الجنوب، وهي تقع إلى الشرق من مدينة طرابلس التي تبعد عنها بحوالي 210 كم، كما أنها تقع غربي مدينة بنغازي بحوالي 820 كلم⁽²⁾، كما هو مبين بالخريطة.

(1) جمال إبراهيم بن رمضان، شبكات النقل في منطقة مصراته، دراسة جغرافية تحليلية لأثر العوامل الطبيعية والبشرية على أنظمة النقل، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم الجغرافية، جامعة المرقب، زليتين، 2004، ص6.

(2) معمر مخزوم مفتاح الشحومي، مدينة مصراته - التركيب البنائي والوظيفي وأسس العلاقة الإقليمية بمخططها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم زليتين - قسم الجغرافيا، ص34.

شكل (1) الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة مصراته بدولة ليبيا



والمجال الزمني هو المجال المتمثل في الفترة التي استغرقتها الباحثتان استكمالاً للبحث.

أما المجال البشري فإنه يتمثل في عدد العاملين في مجمع الحديد والصلب بمدينة مصراته، حيث تم من خلالهم جمع البيانات والمعلومات التي لها علاقة بالبحث.

الدراسات السابقة:

- 1- تعرض المهدي في كتابه إلى التوطن والهيكلة الصناعي في ليبيا، وتوزيع المنشآت الصناعية تحديد مواقعها، وأهم خصائصها والمشتغلين بها، استتب في بحثه أن أهم مناطق التركيز السكاني في البلاد تتمتع بوجود صناعات مختلفة مما ساعد على الهجرة في تلك المناطق⁽¹⁾.
- 2- أيضاً تطرق البنك الدولي للإنشاء والتعمير إلى الصناعات القائمة في ليبيا، ومدى مساهمتها في الاقتصاد الوطني، وإلى أي مدى تخدم هذه الصناعات من حيث ما تستوعبه من عمالة وموظفين، كما أوضحت البعثة مدى بناء المشاريع قبل دراستها دراسة كاملة، والإمكانيات المتاحة للنمو الصناعي في البلاد⁽²⁾.
- 3- وتناول كل من طنطيش والسماك في كتابهما جغرافية الصناعة والمعادن، تعريفات الصناعة وتطورها، ومناهج البحث فيها وتناول عوامل التوطن الصناعي وأكد على أن السوق والمواد الخام تعد أهم العوامل المؤثرة في اختيار مواقع التوطن الصناعي، وإن عامل النقل هو الذي يحدد الاختيار الأفضل للموضع الصناعي معتمداً على تكاليف النقل لكل من السلع المصنوعة أو

(¹) محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، 1975م، ص185.

(²) البنك الدولي للإنشاء والتعمير، تقرير بعثة البنك الدولي للإنشاء والتعمير، التنمية الاقتصادية في ليبيا، ترجمة عدنان فائق عبتاوي، 1960، ص318.

المادة الخام، كذلك ناقش مفهوم التركيز والتشتت الصناعي والتنوع والتخصص الصناعي والأنماط الموقعية للصناعات التمويلية⁽¹⁾.

. صناعة الحديد والصلب:

أقيم مجمع الحديد والصلب على مساحة 1200 هكتار في مدينة مصراته على بعد 210 كم إلى الشرق من مدينة طرابلس، وتبلغ الطاقة التصميمية للشركة 1.324.000 طن من الصلب السائل سنوياً باستخدام الغاز الطبيعي المحلي⁽²⁾، وتم افتتاح المصنع في 1989/9/9م⁽³⁾ بهدف التنمية المكانية للمنطقة، بالإضافة إلى توفر مقومات الصناعة في هذا المكان.

وساهمت شركة الحديد والصلب بفعالية في نمو وتطور العديد من قطاعات الاقتصاد الوطني، بما تقدمه من مدخلات للصناعة التمويلية، ولقطاع التشييد والقطاعات الأخرى، إضافة إلى إنعاش الأنشطة الاقتصادية الأخرى كالنقل البري والبحري والطاقة والتصنيع المحلي، واستغلال الموارد المحلية كمدخلات لصانعتها، وتوفير النقد الأجنبي اللازم لاستيراد منتجات الصلب، وتحقيق عائدات صادرات تزيد على 1.6 مليار دولار منذ إنشاء الشركة⁽⁴⁾.

(¹) جمعة رجب طنطيش - محمد ازهر السماك، دراسات في جغرافية الصناعة والمعادن،

منشورات ELGE، 2000، ص 25 - 246.

(²) محمد المهدي الأسطى، العلاقات المكانية، مرجع سبق ذكره، ص 7.

(³) ج.ع.ل.ش.أ.ع الشركة العربية للحديد والصلب، مجلة الحديد والصلب، العدد 7، ص 7.

(⁴) اللجنة الشعبية للصناعات الاستراتيجية، مجمع الحديد والصلب والصناعات التي تقام

عليه 1989، ص 10.

ووفرت الشركة فرص عمل لما يزيد على (7086) عامل وطني بنسبة 32.2% من إجمالي العمالة الصناعية في المدينة، إضافة إلى فرص العمل غير المباشرة في الأنشطة المقامة على منتجات الشركة، وما يترتب عليها من إنعاش للحركة التجارية في المناطق المحيطة بمجمع الشركة⁽¹⁾.

. مكونات المصنع:

يتكون المجمع من المصانع الآتية:

1 - مصنع الاختزال المباشر:

يتكون من ثلاث وحدات للاختزال المباشر، اثنان منهما لإنتاج الحديد الاسفنجي بطاقة إنتاجية (1.100.000) طن سنوياً.

2 - مصنع الصلب رقم (1):

يتكون من ثلاث أفران كهربائية سعة كل منهما (90) طناً، وألتين لصب العروق، وآلة تالثة لصب الكتل والعروق مصممة لإنتاج (630.000) طن من الكتل والعروق سنوياً.

3 - مصنع الصلب رقم (2):

يتكون من ثلاثة أفران كهربائية سعة كل منها (90) طناً، وألتين لصب البلاطات بطاقة تصميمية (611.000) طن من البلاطات سنوياً.

4 - مصنع درفة القضبان والأسياخ:

⁽¹⁾ مساهمات الشركة الليبية للحديد والصلب في النمو الصناعي والاقتصادي في ليبيا، الأوراق البحثية لمؤتمر الصناعة بليبيا في الفترة من 14-15 سبتمبر 2005، مجمع ذات العماد، ص416.

يتكون من خطين لدرفلة القضبان وخط مزدوج لدرفلة الأسياخ والأسلاك، وتبلغ طاقة المصنع التصميمية (800.000) طن من القضبان للأسياخ سنوياً.

5 - مصنع درفلة القطاعات الخفيفة والمتوسطة:

تبلغ طاقة المصنع التصميمية (120.000) طن من القطاعات الخفيفة والمتوسطة سنوياً.

6 - مصنع الدرفلة على الساخن:

يعتمد هذا المصنع على درفلة البلاطات المنتجة من مصنع الصلب رقم (2) وطاته التصميمية (580.000) طن من اللفات والصفائح المدرفلة على الساخن سنوياً.

7 - مصنع الدرفلة على البارد:

طاقة المصنع التصميمية (140.000) طن من اللفات والصفائح المدرفلة على البارد سنوياً، وقد تم إضافة خط لإنتاج اللفات والصفائح المجفنة بطاقة تصميمية تبلغ (80.000) طن سنوياً، وكذلك خط لطلاء الملون لإنتاج (40.000) طن من اللفات الملونة سنوياً.

8 - مصنع الجير:

يستخدم الحجر الجيري في استخلاص الشوائب من الحديد كالأمرينا والسليكا، وذلك بإضافته إلى خام الحديد وفحم الكوك في أفران الصهر، وقد وجد أن (410) كم من الحجر الجيري مطلوبة لإنتاج طن واحد من الحديد، وتستخدم الشوائب المستخلصة بعد جمعها على هيئة خبث (slag) في أغراض عديدة من بينها صناعة الاسمنت، ورفض الشوارع بعد خلطه بالقار.

وتوجد خامات الحجر الجيري في عدد من المحاجر، من بينها محجر السدادة جنوب مصراته، الذي يعتمد المجمع الصناعي للحديد والصلب عليه في توفير الحجر الجيري والدولوميت، وتبلغ كمية الإنتاج (163.000) طن سنوياً، ويحتوي مصنع الحجر على فرنين عموديين لإنتاج الحجر المحروق، بمعدل (22.000) طن سنوياً.

بالإضافة إلى فرن دوار لإنتاج الدولوميت بمعدل (66.000) طن سنوياً.

9 - محطة الكهرباء وتحلية المياه:

تحتوي المحطة على (6) مولدات توربينية بخارية، طاقة كل منها (85) ميغاوات، لتغطية احتياجات مصانع الشركة من الطاقة الكهربائية، وعدد (3) وحدات التحلية للمياه، سعة كل منها (10.000) م³، لتغذية مصانع ووحدات الشركة بالمياه اللازمة لعمليات الإنتاج وتبريد المعدات.

ويعتمد مجمع الحديد والصلب في إنتاجه وفي تشغيل محطة الكهرباء الملحقة به على الغاز المنتج في البريقة، حيث تم مد خط من أنابيب الغاز بقطر (42) بوصة وبسمك (11.13) ملم من ميناء البريقة النفطي إلى محطة تجميع الغاز بالكراريم الواقعة جنوب مصراته، على بعد حوالي (30) كم، والتي تضخ الغاز عبر أنابيب بقطر (34) بوصة إلى محطة تخفيض الضغط على بعد (5) كم من مجمع الحديد والصلب، التي تقوم بتخفيض ضغط الغاز إلى (250) رطل، وتبلغ القدرة الاستيعابية للمحطة والخط (4000.000) م³ في اليوم، ويتم استخدام هذه الطاقة في الدول الغنية بها والفقيرة في الفحم، خاصة تلك التي تمتلك مساقط مائية يمكن استخدامها.

. اقتصاديات مجمع الحديد والصلب:

يوضح الجدول التالي المبيعات المحلية والمبيعات الخارجية، والقيمة المضافة لمجمع الحديد والصلب.

جدول (1) اقتصاديات مجمع الحديد والصلب في الفترة من 2000 . 2010م

السنة	إجمالي المبيعات (طن)	% من عام 2000	المبيعات الخارجية (طن)	% من عام 2000	المبيعات المحلية (طن)	% من عام 2000	القيمة المضافة
2000	1.270.000	100	789.000	100	481.000	100	73.830
2001	1.236.000	97.3	842.000	106.7	394.000	81.9	116.436
2002	1.267.000	99.7	877.000	111.1	390.000	81.0	126.773
2003	1.280.000	100.7	819.000	103.8	461.000	95.8	165.447
2004	1.415.000	111.4	881.000	111.6	534.000	111.0	210.006.18
2005	1.607.000	126.5	844.000	106.9	763.000	158.6	322.388.34
2006	1.862.000	146.6	1.076.000	136.3	786.000	163.4	381.867
2007	1.890.000	148.8	1.005.000	127.3	884.000	183.7	359.938
2008	1.836.000	144.5	832.000	105.4	1.004.000	208.7	553.934
2009	1.558.000	122.6	504.507	63.9	1.053.631	219.0	538.513
2010	1.502.000	118	412.320	52.2	1.110.000	230.7	634.530

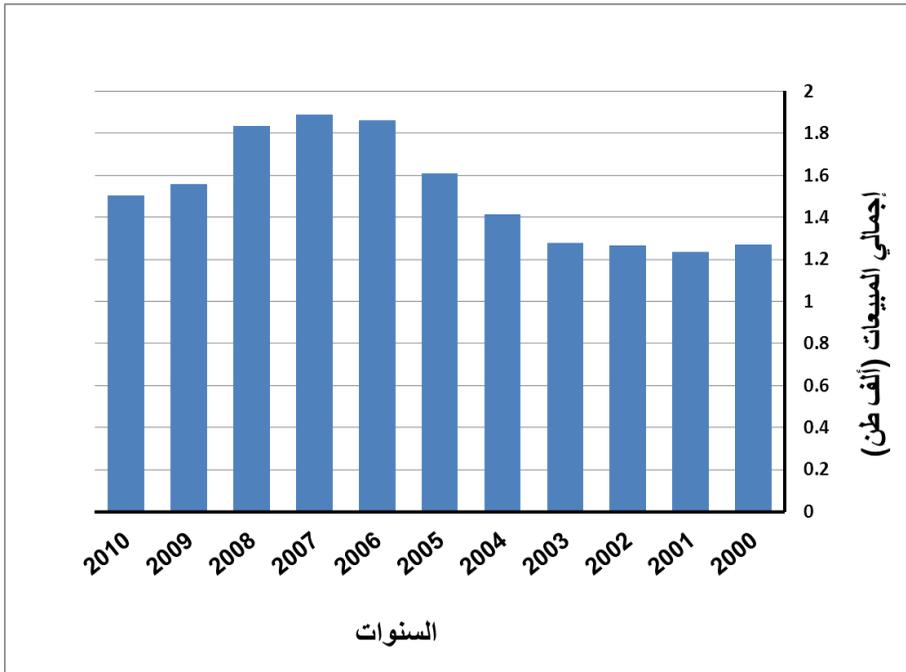
المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى المقابلة الشخصية مع مدير إدارة الإنتاج.

يتضح من تحليل الجدول السابق والشكل (2) ما يلي:

- بلغ إجمالي المبيعات 1.520.000 طن عام 2010م، وتشكل المبيعات الداخلية ثلثي المبيعات وتتنصرف في النسبة المتبقية (32.4%) للمبيعات الخارجية.

- زادت المبيعات بنسبة 22.7% بنسبة زيادة مستوى قدرها 2.5% خلال الفترة قيد الدراسة.
- سجلت المبيعات الخارجية تناقصاً بنسبة 36.1% بنسبة تناقص سنوية قدرها 4% من جملة المبيعات الخارجية.
- زادت المبيعات الداخلية بنسبة 119% بنسبة زيادة سنوية قدرها 13.2% من جملة المبيعات الداخلية.

شكل (2) اقتصاديات إنتاج مجمع الحديد والصلب في الفترة ما بين 2000-2010م.



المصدر: من إعداد الباحثان استناداً إلى بيانات الجدول (1).

. المشكلات التي يتعرض لها مجمع الحديد والصلب:

يرافق بناء المشاريع الصناعية مشكلات كثيرة ومتعددة الجوانب، تتطلب الحلول المستمرة والمتابعة، ذلك لأن كل مرحلة من مراحل صناعة الحديد والصلب ترافقها مشكلات جديدة، وبالتالي فإن البناء الصناعي يقدم الحلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية، ولكنه من جانب آخر يعمل على إحداث تغييرات في البنية الاقتصادية والاجتماعية تتطلب هي الأخرى وضع صيغ جديدة ومتقدمة لاستيعابها أي أن البناء الصناعي يشكل دورات مستمرة ومتسعة ومتقدمة⁽¹⁾.

ويعتري مجمع الحديد والصلب في مصراته مشكلات تعوق أدائه تتمثل

في:

- يعاني مجمع الحديد والصلب من وجود عمالة زائدة، مما أدى إلى زيادة تكلفة السلعة، بالإضافة إلى وجود بعض القصور في وسائل النقل مما يضطر بعض العمال إلى الذهاب للمصنع بسياراتهم الخاصة، والبعض الآخر بسيارات أجرة.
- وتعد تكلفة النقل الداخلي أحد العوامل المهمة المؤثرة في التكلفة النهائية سواء كانت تلك التي تخص نقل المنتجات من المجمع إلى المواني أو إلى مراكز الاستهلاك الداخلي، ولقد حدد قرار اللجنة الشعبية العامة للاقتصاد رقم 157 لسنة 1991 تسعيرة النقل الداخلي لمختلف مناطق ليبيا، ويتطبيق هذه التسعيرة نجد أن تكلفة نقل الطن الواحد من لفات الصلب من المجمع بمنطقة مصراته إلى مصنع الأنابيب بينغازي هي 19 دينار، أي حوال 9.7% من سعر البيع⁽²⁾.

(¹) محمد أزهر سعيد السماك وآخرون، أسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها، الموصل 1987م، ص473.

(²) الهيئة العامة للتصنيع، تقرير عن المشاكل التجارية التي تواجه المجمع، 2008، ص6.

. لذلك يتطلب الأمر إيجاد حل لهذه المشكلة، هذا وتعد الخدمات في الموانئ أيضاً أحد العوامل المؤثرة في تكاليف المنتجات، سواء كان ذلك من ناحية رسوم المناولة والخدمات البحرية، أو من ناحية نظام العمل بالميناء وتأثيره على معدل الشحن والتفريغ، فمن البديهي أن الشركات الشاحنة عند تحديدها لتكاليف النقل البحري تأخذ في الاعتبار أو ارتفاع رسوم الخدمات بالإضافة إلى معدل شحن وتفريغ السفن والانتظار قبل دخول الميناء.

- وكذلك مدى توفر امكانيات الخدمات العامة الأخرى، وإذا ما حللنا الظروف السائدة حالياً بميناء قص أحمد، يتضح أنها لا تساعد على خفض التكلفة، وذلك للأسباب التالية التي أوضحتها الدراسة الميدانية:

1- العمل على أساس وردتين فقط في اليوم، مما يزيد من الوقت اللازم لشحن وتفريغ السفن.

2- ارتفاع تكاليف المناولة والخدمات البحرية سواء تلك التي تحصل من الموانئ أو تلك التي تخص الوكالات البحرية⁽¹⁾.

هذا بالإضافة إلى أن المجمع يسبب في تلوثاً ملحوظاً، حيث نتج عن مراحل التصنيع انبعاث أبخرة، وخصوصاً في مرحلة الدرفة على البار⁽²⁾.

(¹) الهيئة العامة للتصنيع، تقرير عن المشاكل التجارية التي تواجه المصنع، مرجع سبق ذكره، ص8.

(²) مركز البحوث الصناعية، بحوث حول بعض الصناعات المؤثرة على البيئة، إعداد منظمة اليونيدو، ب- ت، ص14.

الاستنتاجات:

1- اهتمت الدولة بالصناعة في خططها التنموية، ووفرت العديد من المستلزمات الأساسية للعديد من الصناعات لذلك شهدت مدينة مصراته قيام نهضة صناعية، حيث ظهرت العديد من الصناعات الكبرى ومن أهمها صناعة الحديد والصلب.

2- تعد صناعة الحديد والصلب من الصناعات المهمة في البلاد، حيث ساهمت إلى حد كبير في تلبية السوق المحلية من منتجات هذه الصناعة، إضافة إلى تلبيةه لمستلزمات التطور، نتيجة لعلاقته التكنولوجية الواسعة بالعديد من الصناعات التي تزوده بالمدخلات والصناعات الأخرى المعتمدة على مخرجات هذه الصناعات.

3- ساهم مجمع الحديد والصلب في زيادة الدخل القومي وموارد الخزنة العامة للدولة.

4- عدم تبني سياسة واضحة وجريئة للتشجيع على الاستثمار، وخلق ظروف ملائمة للصناعة الوطنية، فحدود البلاد مفتوحة أمام الاستيراد والتصدير غير المنظم تقابلها إجراءات في غاية الصرامة من قبل البلدان المجاورة، وتخضع الشركات الوطنية لقواعد في غاية الصرامة من قبل البلدان المجاورة، وتخضع الشركات الوطنية لقواعد وإجراءات صارمة في التسعيرة، في الوقت الذي يطلق فيه أمام الآخرين عملياً حرية بيع سلعهم بأي سعر.

5- لا يوجد أي تعاون بين المصانع المحلية، والمصانع العالمية المتقدمة، وذلك للاستفادة منها في تحسين نوعية المنتجات.

- 6- يعتمد مجمع الحديد والصلب على الخامات المستوردة، ويتأثر بتأخيرها وعدم وصولها في المواعيد المحددة.
- 7- حقق المجمع داخل مصراته توفير فرص عمل لعدد كثير من الباحثين عن عمل، وهو ما يعد مساهمة للحد من معدل البطالة أو الباحثين عن عمل.

التوصيات:

- 1- يجب الابتعاد قدر الإمكان بالوحدات الصناعية عن أماكن التجمعات السكنية لأن في ذلك حماية لهذه المساكن من التلوث أيّاً كان مصدره.
- 2- الاهتمام بشكل أساسي ومركز والإعداد وتنفيذ برامج لتنمية الموارد البشرية طويلة المدى يسهم في تنفيذ وإدارة مشروعات التنمية، حيث أثبتت التجارب أن الاستثمار في العنصر البشري من أهم الوسائل التي تؤدي إلى التنمية الحقيقية المستدامة.
- 3- إيجاد الحلول العلمية والإنسانية لمعالجة مشكلة تضخم العمالة في الشركات العامة واقتراح الآليات المناسبة للمعالجة مثل النقاعد الاختياري وإعادة التأهيل وغيره.
- 4- إعادة النظر في الرواتب والحوافز، مما يتواءم مع المهام والأعباء والمسؤولية التي تقع على العنصر البشري، ويحقق المزيد من العطاء والانتماء.
- 5- إعادة هيكلة المجمع بما يؤهله على العمل وفق منظور اقتصاديات السوق، وبما يمكنه من إقامة شراكات مثمرة مع الشركات العالمية.
- 6- الاهتمام بمراكز المعلومات وتوفير المستلزمات الضرورية لعملها، واعتبارها جزء فاعل في عملية التنمية.

- 7- تحديد دور الدولة والمتضمن تمويل المشروعات الاستراتيجية والتنمية المكانية، وتنفيذ البنية التحتية التي تكفل خفض حجم الاستثمار للمشروعات المستهدفة، بالإضافة إلى رسم الاستراتيجيات والسياسات.
- 8- إصدار القرارات اللازمة بشأن توحيد وتثبيت سعر الصرف، ورفع القيود الكمية بالكامل على واردات المصنع المستخدمة في الإنتاج والاستثمار.
- 9- إصدار قرار من مصرف ليبيا المركزي بفتح حساب لمكتب جهاز مجمع الحديد والصلب بالخارج تودع فيه حصيلة مبيعات المجمع بالعملة الصعبة، وكذلك المبالغ المعتمدة كموازنة استيرادية للمجمع لاستعمالها في مداركه مستلزمات التشغيل وقطع الغيار وغيرها من المستلزمات.
- 10- إنشاء مراكز بحوث وتوثيق خاص بالمجمع تتوفر فيه جميع الامكانيات المادية والمعنوية التي تنهض بالنشاط الصناعي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب.

- 1- جمعة رجب طنطيش، محمد أزهر السماك، دراسات في جغرافية الصناعة المعادن، منشورات ELBA. 2000.
- 2- محمد أزهر السماك وآخرون، أسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها، الموصل 1987م.
- 3- محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، 1975م.

ثانياً: الرسائل العلمية:

- 1- جمال إبراهيم بن رمضان، شبكات النقل في منطقة مصراته، دراسة جغرافية تحليلية لأثر العوامل الطبيعية والبشرية على أنظمة النقل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، زليتن، 2004م.
- 2- محمد المهدي الأسطى، العلاقات المكانية لمجمع الحديد والصلب بالتطور الحضري لمدينة مصراته، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006م.
- 3- معمر مخزوم مفتاح الشحومي، مدينة مصراته، التركيب البنائي والوظيفي وأسس العلاقة الإقليمية بمخططها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم - زليتن - قسم الجغرافيا.

ثالثاً: الدوريات والمقابلات الشخصية:

- 1- اللجنة الشعبية للصناعات الاستراتيجية، مجمع الحديد والصلب والصناعات التي تقام عليه 1989م.

- 2- الهيئة العامة للتصنيع، تقرير عن المشاكل التجارية التي تواجه المجمع 2008م.
- 3- البنك الدولي للإنشاء والتعمير، تقرير بعثة البنك الدولي للإنشاء والتعمير، التنمية الاقتصادية في ليبيا، ترجمة عدنان فائق عنبتاوي، 1960.
- 4- ج.ع.ل.ش.أ.ع. الشركة العربية للحديد والصلب، مجمع الحديد والصلب، العدد 7.
- 5- مساهمات الشركة الليبية للحديد والصلب في النمو الصناعي والاقتصادي في ليبيا، الأوراق البحثية لمؤتمر الصناعة بليبيا في الفترة من 14-15 سبتمبر 2005م، مجمع ذات العماد.
- 6- مركز البحوث الصناعية، بحوث حول بعض الصناعات المؤثرة على البيئة، إعداد منظمة الحيونيدو، ب - ت.
- 7- مصطفى منصور جهان، صناعة الحديد والصلب في ليبيا، مصنع الحديد والصلب، مصراته نموذجاً، مجلة كلية الآداب - مصراته - العدد الأول.
- 8- مقابلة شخصية مع مدير إدارة الإنتاج.

Some Common Punctuation Errors Made by Third-Year Secondary School Students: A case Study at Almajd Secondary School – Alkhums.

Eshtewi Eshtewi Ehwas*

I. Abstract

This paper is to investigate some punctuation errors made by third-year students in writing. The researcher suggested that there are some errors made by students in using capital letters, comma and apostrophe. Therefore a sample of 50 third-year students selected randomly from Almajd secondary school- Alkhums city was given two tests (pre-test & post- test) as tools for collecting data. The result revealed that there are some common errors .Furthermore; the result revealed that there were significant differences in the number of errors among the students due to the insufficient exercises, lack of practice and explanation to these types of punctuation marks. Besides, there were errors due to L1 interference.

Keywords: Punctuation errors, made by , Almajd , students

Introduction بعض أخطاء الترقيم التي يكتبها طلاب السنة الثالثة

Punctuations are significant structural elements; they are essential and basic components in producing written texts. As observed in varied English as second language situations, acquiring punctuations usage is challenging to English learners in Libyan schools. It is because students do not possess the mastery over the language, particularly, the use of punctuations. In spite of teachers' efforts, many difficulties of punctuations are by far the most noticed

* EL.Mergib University – Faculty of Arts

in students' writing. Accordingly, this research will focus on three types of punctuation marks: capital letter, comma and apostrophe. These punctuation marks are widely used in writing. A comma, for example, is the most common mark that confuses students to be used among words and clauses.

The omission and the wrong uses of punctuation marks made by students of Libyan secondary schools are common problems in writing. Oshima & Hogue (2006:280) point out in this respect that using punctuations correctly is very important because they convey meaning just like words do. Consider these two examples: "Eat girls.", "Eat, girls." Both sentences are commands, but the first one would be correct only in a society of cannibals! So, students should learn and practice the rules of punctuations until they are confident about using them correctly.

II. The Objectives of the Study

This study examines the learning and acquisition of the English three types of punctuation marks, a capital letter, a comma and an apostrophe. It has three main objectives:

- a) To determine the types and sources of the errors that Libyan secondary school students make in the use of these types of punctuations.
- b) To find out whether there are any implications in the relative frequency of the occurrence of these errors.
- c) To give some recommendations that may represent some guidelines for teachers of English.

III. The Research Questions

The researcher addresses the following questions:

-
- Q1: What are the types and sources of the errors that Libyan secondary school students commit in the use of these three types of punctuations?
- Q2: Are there any implications in the relative frequency of the occurrence of these errors?
- Q3: What is the suggestion to avoid these errors and increase the students' competence in writing?

IV. Literature Review

When learners write, they should rely on punctuations to give successful information to readers. So, learning the use of punctuations is very important because they give a significant impact to writing meaning. Gordon (1980: ix) states that good punctuation is essential for writing to be easily, rapidly and clearly understood. Praninskas (1975:358) emphasizes the sole purpose of punctuation which is to help the reader understand what the writer means. Thus, there is a certain amount of freedom in the use of various marks, particularly the comma. According to Carter & McCarthy (2006:838) punctuation exists in order to indicate the boundaries of grammatical units and to indicate grammatical information that is marked in spoken language. Savage & Mayer (2005: 21) suggest that two sentences that run together without correct punctuation between them are called run-on sentences. A run-on sentence is not a correct sentence because an important punctuation is missing between the clauses. One way to correct a run-on sentence is to add a comma and a connecting word. For example, “*my dog runs fast he likes to chase animals.” This is a run-on sentence. To correct the sentence, we add a comma and an appropriate connecting word. So the correct form is “My dog runs fast, and he likes to chase animals.” Therefore, students should have a strong foundation towards the function and the usage of these three types of punctuation marks.

V. Methodology

In this paper, the researcher used descriptive analytical method. Sentences without punctuations were given to the students who were asked to insert the correct punctuation markers. The participants of this paper were third-year students of Almajd secondary school in Alkhoms city. They were chosen randomly for pre-test and post test. The two tests consisted of unpunctuated sentences on the three types of punctuations that commonly occur in writing: capital letter, comma and apostrophe.

The students were given 30 minutes to fill out all the missing punctuation marks in 15 sentences. To acquire the correct function and use of these three types of punctuation marks, the students attended classes and received instructions on these punctuation marks as well as homework assignment to get satisfactory results.

VI. Data Analysis

The following tables show the results of: (a) pre-test and (b) post-test. Test and retest were used for reliability measurement

Table (a) pre-test result.

Statement		C	Perc.	In	Perc.
		orr.		cor.	
1	The cat ate its food.	1	22%	3	78%
2	I can't remember my students' names.	1	28%	3	72%
3	Where are the ladies' shoes?	4		6	
4	They've just had a new baby.	8	16%	4	48%
5	We study physics, chemistry and biology.	2		2	
6	He said, 'That's all right.	1	24%	3	76%
7	The hotel was good, but expensive	2		8	
8	As it was late, I took a taxi.	1	34%	3	66%
9	Henry can read English and French.	7		3	
0	I shall see her on Sunday, Monday and Friday.	8	16%	4	48%
1	Mr. Alexander lives in Italy.	1	22%	3	78%
1	Peter is from Malta.	1	20%	9	
2	If she doesn't do her homework, she won't learn.	1	20%	4	80%
3	Washing up means washing the plates, glasses and	0		0	
4	spoons.	1	28%	3	72%
5	I've tried, but I can't find anything.	4		6	
		1	20%	4	80%
		3		7	
		1	28%	3	72%
		4		6	
		1	22%	3	78%
		1	24%	3	76%
		2		8	
		1	28%	3	72%
		4		6	

Table (b) post test. The result and the scores after students received sufficient use and treatment of the punctuation marks.

Statement	Corr.	Perc.	In cor.	Perc.
1 That's Jack's new car	33	66%	1 7	40%
2 Mali, Niger and Sudan are in Africa	44	88%	6	12%
3 You know her, don't you?	43	86%	7	14%
4 The student's name is on the board.	44	88%	6	12%
5 The dog's chasing its tail.	36	72%	1 4	28%
6 We moved here last April.	45	90%	5	10%
7 They're going on a trip to Suez Canal.	42	84%	8	16%
8 My father said, "I can't go out."	39	78%	1 1	22%
9 Sara speaks Arabic, English and French.	42	84%	8	16%
0 1 If it rains, we're going to stay in the house	39	78%	1 1	22%
1 He asked, "Is Mount Everest very high?"	38	76%	1 2	24%
1 They sell cars to Europe and the Middle East.	41	82%	9	18%
2 1 I phoned the hotel, but there's no reply	44	88%	6	12%
3 1 "I can't," Sami answered.	42	84%	8	16%
4 1 She's got biscuits, burger and cola.	44	88%	6	12%
5				

VII. Explanation of Students' errors

Accordingly, Insufficiency of exercises and lack of practice in these types of punctuation marks. For example, when they write "*Where are the ladie's shoes?" instead of the correct sentence "Where are the ladies' shoes?" and "*The cat ate it's food." Instead of "The cat ate its food."

Ellis (1997:140) defines L1 transfer as "The process by which the learner's L1 influences the acquisition and use of L2." The lack

use of capital letters in Arabic alphabet could be the reason behind the students' misuse of the English capital letter. For example, some students write “*peter is from malta.” Instead of “Peter is from Malta.” To the researcher's best knowledge, the Arab learners of English over differentiate the use of comma due to the big differences between Arabic and English languages. For example they write “*we study physics and chemistry and biology.” Instead of “We study physics, chemistry and biology.” In this respect, Carter and McCarthy (2006:844) make clear that commas are used to separate items in a list, except for a final item preceded by “and”. In American English, however, the noun is to have a comma before “and” in a list. For example, “They've got apricots, pears, pineapples, bananas and peaches.”

IX. Recommendations

According to the results obtained from this research, the following recommendations are suggested. These recommendations may represent some guidelines for teachers of English to the Arabic students.

- 1- The wrong use of punctuations changes the meaning of the sentence. So, teachers should encourage students to look at punctuations as necessary elements in writing.
- 2- Syllabus designers should include a great amount of punctuation exercises in syllabuses to help students overcome these problems.
- 3- Teachers are advised to explain the use and function of punctuation marks using examples and rules for clarification.
- 4- Finally, teachers are advised to pay attention to interference strategy where Arabic punctuation system is different from its English counterpart. This will increase the students' competence in writing correctly.

X. Conclusion

This paper has highlighted the errors made by students at Almajd secondary school in AlKhums city. It has been shown that most of these errors occur due to lack of practice which hindered their ability to use some punctuations correctly.

The result of this study reveal that there are variations between the two tests (pre-test & post-test). These variations show us a great improvement of students' performance after the treatment. The results deduced from this study justify that the treatment is more effective to improve the students' standard. Therefore, more exercises and practice are considered to be beneficial in acquiring the correct function and use of these punctuation marks.

References

- Brown, H. D. "**Principles of Language Learning and Teaching**". New Jersey: Prentice Hall. Inc., 1996.
- Carter, R. and M. McCarthy. "**Cambridge Grammar of English**". Cambridge: Cambridge UP, 2006.
- Chen, H. C. (2000). "**Error analysis of some features of English article usage**". Journal of Wu-Feng Applied Linguistics, 8, 282-296.
- Ellis, Rod. "**Second Language Acquisition**". London: Oxford UP, 1997.
- Gordon, Ian. "**Practical Punctuation**". London: Heinemann Educational Books, 1980.
- Oshima, Alice and Ann Hogue. "**Writing Academic English**". USA: Pearson Education, Inc., 2006.
- Praninsaks, J. "**Rapid Review of English Grammar**". New Jersey: Prentice Hall, 1975.
- Savage Alice and Patricia M. "**Effective Academic Writing**". Oxford: Oxford UP, 2005.

Appendices

The following tests (pre-test& post-test) were given to the students in class in order to check their errors before and after treatment.

Pre-test

Almajd Secondary School – Alkhums
minutes

Time allotted: 30

Question: Rewrite these sentences with the correct punctuation. Use capital letters, commas or apostrophes where necessary.

1- the cat ate its food.

.....

2- i cant remember my students names.

.....

3- where are the ladies shoes?

.....

4- they ve just had a new baby.

.....

5- we study physics chemistry and biology.

.....

6- he said “thats all right.”

.....

7- the hotel was good but expensive.

.....

8- as it was late I took a taxi.

.....

9- henry can read english and french.

.....

10- i shall see her on sunday monday and friday.

.....

11- mr. alexander lives in italy.

.....

12- peter is from malta.

.....

13- if she doesnt do her homework she wont learn.

.....

14- washing up means washing the plates glasses and spoons.

.....

15- ive tried but I cant find anything.

.....

Post-test

Almajd Secondary School – Alkhums
minutes

Time allotted: 30

Question: Rewrite these sentences with the correct punctuation. Use capital letters, commas or apostrophes where necessary.

1- thats Jacks new car.

.....

2- mali niger and sudan are in africa.

.....

3- y
ou know her dont you?

.....

4- th
e students name is on the board.

.....

5- th
e dog s chasing its tail.

.....

6- w
e moved here last april.

.....

7- th
eyre going on a trip to suez canal.

.....

8- m
y father said “I cant go out.”

.....

...

9-

sa

ra speaks arabic english and french.

.....

...

10- if it rains we re going to stay in the house.

.....

...

11- he asked “is mount everest very high?”

.....

...

12- they sell cars to europe and the middle east.

.....

...

13- i phoned the hotel but theres no reply.

.....

14- “she cant” sami answered.

.....

15- shes got biscuits burger and cola.

.....

Outline:

Some Common Punctuation Errors Made by Third-Year Secondary School Students: A case Study at Almajd Secondary School – Alkhums .

I. Abstract.

II. Introduction.

III.The Objectives of The study.

IV.The Research Question.

V. Literature Review.

VI. Methodology.

VII. Data Analysis.

VIII. Explanation of Students' errors.

IX. Recommendation.

X. Conclusion.

**A research paper entitled by The L2 Acquisition of English
Articles by Arabic Speakers of Libya**

Mr. Mohammed Fayed

Mr. Khiri Saad Elkut

Introduction

This paper will discuss the reasons why Libyan learners of English have difficulties with articles in English as well as the kinds of errors they make with articles.

The English article system is widely used in the English language. It consists of the definite, the indefinite article and the zero article. The Arabic language in contrast has only a definite article which is al-(أل). This disparity leads to error making for Libyan second language learners of English.

Articles (a, an, the, and zero) in English are used frequently as function words (Celce-Murcia & Larsen-Freeman, 1999). Function words according to Kharma and Hajjaj (1989) are words that are used more than lexical words to point to the elements in language or to the speakers and hearers' role, less often to refer to things and actions in the actual world.

Swan (2005, p. 51) defines articles as “small words that are often used at the beginning of noun phrases”. He adds that the exact usage of the articles is considered to be the most problematic points in English grammar. Arab learners face difficulties when using articles

in English and make several errors (Kharma, Hajjaj, 1989).
Examples as:

*The philosophy is not a science.

*All men fear the death (Kharma, Hajjaj, 1989).

Arab learners commit such errors with articles due to some reasons. Swan and Smith (2001) justify that there is no indefinite article in Arabic, and the definite article has a wide range of uses which is unlike the uses found in English. The indefinite article is the cause for many problems because it is widely dropped out when used with singular and plural countables as in,

* “He was soldier”. * These are a books (Swan & Smith, 2001, p. 205).

The misuse of the English article system is a massive problem for second language learners in general and for Libyan students of English in particular. This study investigates the reasons for such difficulty for a limited number of participants. The Contrastive Analysis Hypothesis (CAH) is an approach related to second language acquisition which includes a prediction and an explanation of problems of learners on the base of comparing the first language (L1) and the second language (L2) to determine the similarities as well as the differences (Saville- Troike, 2006).

Study Focus

This study focuses on why 3rd year students at English department in Elmergib university face challenges with English articles and why they make ¹mistakes/errors as well as the kinds of errors they

¹ Mistakes are slips or a random guess. Errors are an obvious deviation from the adult grammar of native speakers, reflects the learner competence (Brown, 2007).

typically produce. It attempts to investigate the reasons for such an issue and the solutions too.

Objectives of this study and research questions

This study aims the following:

- 1- The present study will identify what errors in the English article uses might be the most common and why.
- 2- This research is trying to examine whether interference (i.e. negative transfer) plays a role in the acquisition of the English article system by Libyan learners and whether the difficulties encountered in learning the English article system can be attributed to the mother tongue interference or because of other factors.
- 3- This study will pave the way for Libyan teachers of English to better teach the article system and avoid any possible limitations.

The above aims will be looked through the following research questions:

- What Kind of errors 3nd year Libyan students make when using articles?
- What are the most frequent errors and less frequent ones as well as the reasons for such errors?

Background of the Study

The English article system is undoubtedly a challenging grammar point in the English language and can cause problems to learners of English as a whole and in particular to Libyan learners. This will lead to the misuse of the English articles among learners. Many studies have attempted to account for the difficulties and challenges with second languages. The Contrastive Analysis Hypothesis (CAH)

of which there are two versions was a theory of second language. This section will provide an overview of the two areas in second language acquisition, namely Contrastive Analysis Hypothesis (CAH) and Error Analysis (EA). In the first section, CAH will be discussed in order to find out the similarities and the differences between the English and the Arabic article system, CAH will be employed for this reason.

The second part will discuss EA, which will be used to detect errors of Libyan learners of English as well as the role of errors in language learning.

Contrastive Analysis Hypothesis

CAH is “a way of comparing languages in order to determine potential errors for the ultimate purpose of isolating what needs to be learned and what does not need to be learned in a second language learning situation” (Gass & Selinker, 2001, p. 72). Hence, CAH studies two languages in order to find similarities and differences. Magnan (1983, p. 383) states that “CA is rooted in Behaviourism and structuralism”. Behaviourism was a theory of learning that was prominent in the 1940s and 1950s, especially in the United States.

Behaviourism sees language learning as a habit formation. It stems from work in psychology which displayed that any sort of learning behaviour is based on stimulus and response. This idea views human beings as being exposed to various stimuli in their surroundings (Mitchell & Myles, 2004). Lado (1964, cited in Lightbown & Spada, 2006) claims that the difficulties with L2 acquisition could be attributed to the dissimilarities between L1 and L2.

Transfer (L1 interference) in second language acquisition

Transfer according to Dulay et al. (1982) occurs when referring to a procedure called the “authentic, uncontrolled, and subconscious use of past learned behaviors in the attempt to provide new responses” (Dulay, Burt, & Krashen, 1982, p. 101).

Transfer consists of two types: Negative transfer (interference) and positive transfer. The former refers to the making of an error as a result of old, usual behaviour which is not similar to the new learned behaviour. For example, Spanish learners would write and say, *the boy clever* instead of *the clever boy* when interacting in English (Dulay, Burt, & Krashen, 1982).

On the other hand, positive transfer occurs as a result of transfer of L1 structure exactly into L2 performance which results in a precise statement. Spanish learners use plural marker-s and -es on nouns in English correctly as in English plural nouns such as *niña-s* in Spanish and girls in

Strong and weak version of CAH

There are two versions of CAH. The strong view maintains that “one could make predictions about learning and hence about the success of language-teaching materials based on a comparison between two languages”, whereas the weak version analyses primarily errors of learners (Gass & Selinker, 2001 p. 73).

Error analysis (EA)

Error analysis appeared as an alternative to the Contrastive Analysis Hypothesis. CHA has failed to explain some of the learner’s errors (Corder, 1967). Error analysis is a kind of language analysis that its primary focus is the errors learners commit. “Error analysis provides a broader range of possible explanations than contrastive analysis

than for researchers/teachers to use to account for errors, as the latter only attributed errors to the NL''(Gass, & Selinker, 2001,p. 79). Errors can be divided into two kinds: interlingual and intralingual (developmental). Interlingual errors are the errors that could be from the native language (NL). In contrast, intralingual errors are the errors that are because of the language being learned, autonomous from the NL (Gass, & Selinker, 2001); (Saville-Troike, 2006).

These two kinds of errors belong to the term interlanguage. Interlanguage (IL) was introduced by Selinker (1972). It refers to the intermediate states of a learner's language as it goes towards the target L2.

Errors, as stated by Corder (1981), are considered of great usefulness as they tell teachers how much a learner has learned. It is a proof of learning. Thus, errors making is seen as an unavoidable element and are essential for the learning environment.

Errors and Mistakes

Errors are an apparent deviation from the adult grammar of a native speaker, reflects the proficiency of the learner. Learners of English who ask "Does John can sing" are all possibility reflecting a competence level in which all verbs necessitate a pre-posed *do* auxiliary for question making. As such, it is an error, most likely not a mistake, and an error that exposes a portion of the learner's capability in the target language (Brown, 2007).

On the other hand, mistakes are attributed to tongue slips or because of tiredness (Saville-Troike, 2006).

The Article system in Arabic and English

The Arabic and English languages have both different article systems. The Arabic language is a Semitic language, whereas English is an Indo-European language. Arabic uses a binary system, namely: /al/ (the) and zero. Arabic uses a varied system for referring

to the definiteness and indefiniteness in the language. Arab learners uses *a/an* and often zero article similarly. For instance,

* He is doctor. * David gave me a valuable advice (Kharma &Hajjaj, 1989).

The definite article ...أل، al... is the only definite article found in Arabic. It is always used for all noun cases, numbers or genders by placing it right at the beginning of a noun or an adjective. However, there is no indefinite article in the Arabic language. For example, *العلم* -_al_ilmu, science.

Arabic quite often uses the definite article where English does not. The abstract noun in Arabic takes an article in most cases. For example, * the maths is not a science. Similarly, the mass noun in Arabic takes the definite article when referring to the whole kind such as * the milk is useful to the body. Furthermore, proper nouns in Arabic normally take (the). To exemplify, * the Cairo is a nice city which is wrong in English. Moreover, whether the noun is singular or plural, (the) is used in Arabic. * The horses are fast animals. Or * the children are nice creatures.

The English language in contrast has three articles, *the* and *a/an* as well as the zero article (Parrott, 2000). The definite article (the) “both signals a noun and tells us that a specific noun is being referred to” (DeCapua, 2008, p. 58). For instance, they like movies, or they like *the* movies at Cinema I.

The indefinite article in English on the other hand is used when we refer to something that is not stated, something which is not clear or not defined. It is used with singular countable nouns. The indefinite article consists of two forms, and this is dependent on the initial vowel sound which comes after the article. Nouns or adjectives

starting with a vowel sound, then we should use (an) as in an apple. If the word begins with a consonant sound, then we should use (a) as in a horse (DeCapua, 2008).

Previous studies on the acquisition of articles

A number of studies have been conducted to study the English article system acquisition for a wide range of languages such as Taiwanese, Iranian and Arab learners of English. Among these studies, for example, Crompton, 2011; Alhaysony, 2012 which have shown that first language influence was apparent. Crompton (2011) conducted a study on tertiary level 1 Arabic speakers of English. Crompton attempted to identify the kinds of errors learners make in their writing test. In his detailed study, argumentative essays were used for data collection by first and second year Arab students aged 18-20 at the American University of Sharjah in the United Arab Emirates (UAE). The results of his study have shown that the most common errors committed were the misuse of the definite article for generic reference. He concluded that this issue can be attributed to L1 transfer rather than an interlanguage developmental error. His findings showed that the definite article misuse happened for the most part in \emptyset contexts. An example of this would be,

*these things destroy the society.

Alhaysony (2012) conducted a case study on Saudi female students majored in English. The study focused on error types committed by students when using the English article. The data collection tool she used for her study was a written sample by asking the participants to write essays about familiar topics such as the Saudi family, shopping and summer holiday. The findings show that the participants made omission errors extensively, and other few substitution errors. (a) was omitted frequently as an error, while (an) was the least frequent.

In her study, Alhaysony maintains that the mother tongue interference plays a vital role in committing these errors. In addition to intralingual errors which caused some of the other errors. Crompton (2011) agrees with Alhaysony's case study in the sense that Arabic plays a significant role in L2. However, Crompton's study was conducted on different Arab nationalities in UAE.

Methodology

This study adopts a quantitative method. Quantitative research is a type of research paradigm that refers to previous investigations which used accessible data from hypotheses (Seliger & Shohamy, 1989).

Instrument

In this study, a written translation task will be adopted. To the best of our knowledge, a written translation task is the first testing tool conducted in this study. Other studies usually adopt a multiple choice or writing paragraph as a collecting data tool, etc. 20 Arabic sentences will be written and then distributed to the subjects. These sentences are adapted from Swan & Walter (1997) and Swan (2005). These sentences will contain the definite, indefinite article and the zero article.

A translation written test will be distributed among the participating subjects. Arabic sentences containing definite and indefinite articles as well as the zero article will be written in the task. This test was chosen because respondents will not be able to choose from a list of options as in the multiple choice questions. Also, this kind of task will reflect the linguistic knowledge or competence of articles usage in the English language.

Subjects

The number of subjects participating in this study is thirty students (30) selected randomly. These participants are Libyan students studying in English language department at Elmergib University. They are third year students. Their ages are ranging from 20 to 23 years old.

Data Analysis and Results

The researchers analysed the errors of learners according to the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS). The kinds of errors were namely, substitution, omission, and addition errors, writing the frequency of each type as well as the percentage. In analysing participants' errors, the researchers followed Ellis (1997) steps which are collecting data, identifying errors, classifying errors, analysing errors, and then explaining errors.

Errors found in Articles

Article errors were categorized using SPSS as (substitution, omission, and addition). Starting with the definite article *the*.

Table 1: Participants' marks for the definite article (the)

Q_the					
Marks		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	2.00	8	26.7	26.7	26.7
	3.00	15	50.0	50.0	76.7
	4.00	7	23.3	23.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

The above table shows how participants answered the questions related to the definite article.

8 students received a mark of 2 out of 5 with a percentage of 26.7%. 15 students got a grade of 3, with a percentage of 50.0%. Lastly, 7 students out of 30 got a mark of 4, with a percentage of 23.3%.

The sentences of the definite article (the) are below.

1- I love the sea.

3- Put the books on my table.

4- The game we played was very enjoyable.

10- The Times magazine is popular.

18- I do not like the cinema.

All sentences are asking to insert the definite article *the* as an answer. Sentence 1 as written above was answered correctly by 21 participants with a percentage was 70.0%. Sentences 3 and 4 were answered by 28 students each with a high percentage of 93.3%. Sentence 10 was answered by 7 students only with a low percentage of 23.3%. Sentence 18 which was the last sentence in the use of the article *the*, was answered correctly by 5 participants with a low percentage of 16.7%.

Table 2: participants' marks for the indefinite article (an)

Q_an					
	Marks	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
	.00	1	3.3	3.3	3.3
	1.00	6	20.0	20.0	23.3
	2.00	4	13.3	13.3	36.7
Valid	3.00	2	6.7	6.7	43.3
	4.00	8	26.7	26.7	70.0
	5.00	9	30.0	30.0	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

1 student scored 0 mark out of 5 in the use of the indefinite article (an) with a percentage of 3.3% as shown in the above table.

6 students got 1 mark 23.3%. 4 students got 2 out of 5 36.7%, whereas 2 students had 3 out of 5 43.3%, while 8 students received a

mark of 4 out of 5 70.0%. Other 9 students received 5 out of 5 with 100.0%.

Table 2: participants' marks for the indefinite article (a)

Q_a					
	Marks	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	1.00	1	3.3	3.3	3.3
	2.00	3	10.0	10.0	13.3
	3.00	7	23.3	23.3	36.7
	4.00	12	40.0	40.0	76.7
	5.00	7	23.3	23.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

As for the indefinite article (a), 1 student received 1 out of 5 with a percentage of 3.3% as shown in the above table. 3 students got 2, 13.3%. 7 students got 3, 36.7%. Also 12 students had 4, 76.7%. Lastly, 7 students got 5, 100.0%.

The sentences for the article (an) and (a) are written below.

2- My child is an angel.

9- I want to eat an apple.

11- Libya has an excellent football team.

12- It is an honour to be in your house.

17- Leptis is an ancient city.

5- There is a car in front of your house.

7- I want to drink a cup of coffee.

14- Salem is a farmer.

16- Russia is a European country.

19- Salem works as a taxi driver.

Sentence number 2 was correctly answered by 15 students, and the percentage of this question was 50.0%. While sentence 9 was answered correctly by 25 respondents, and its percentage was high and was represented in 83.3%. Sentence 11 was answered correctly by 23 students and with a percentage of 76.7%. Sentence 12 was answered correctly by 15 participants, and the percentage was 50.0%. Sentence 17 was answered by 20 respondents, and it received a percentage of 66.7%.

As for the indefinite article *a*. Sentence number 5 was correctly answered by 28 students with a total percentage of 93.3%. Nearly similarly, sentence 7 was answered by 23 respondents, and it got a percentage of 76.75. 27 students answered sentence 14 and it scored a high proportion of 90.0%. On the other hand, sentence 16 and 19 were answered correctly by 10 and 24 students respectively, and they both scored completely different percentages of 33.3% and 80.0% respectively.

The last article is the zero article. Below is a table illustrating participants' scores.

Table 2: Participants' marks for the zero article

Q_zero					
Marks		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	1.00	1	3.3	3.3	3.3
	2.00	5	16.7	16.7	20.0
	3.00	5	16.7	16.7	36.7
	4.00	9	30.0	30.0	66.7
	5.00	10	33.3	33.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

1 student scored 1 mark out of 5 in the use of the zero article and with a percentage of 3.3%. Then 5 respondents scored 2 out of 5 and with a percentage of 16.7%. Another 5 scored 3 out of 5 and with a similar percentage of 16.7%. Then 9 students got 4 out 5 with a percentage of 30.0%. Lastly, 10 respondents got 5 out of 5 with a percentage of 33.3%.

Question sentences are as follows:

6- Birds can fly.

8- Cairo is beautiful.

13- Life is sweet.

15- Amina is in prison.

20- I like cheese.

Sentence 6, 8 participants answered it correctly with a percentage of 60.0%. Sentence 8, 29 respondents got it right with a high percentage of 96.7%. Sentence 13, 22 students answered it correctly, and the percentage was 73.3%. 16 students answered sentence 15

correctly and with a percentage of 53.3%. The last sentence 20 was answered correctly by 27 students with a high percentage of 90.0%.

This table below shows the descriptive statistics of all article scores, giving the means of all scores.

Table 3: Descriptive statistics for marks of article types

Articles	N	Minimum	Maximum	Mean	Std. Deviation
Q_the	30	2.00	4.00	2.9667	.71840
Q_zero	30	1.00	5.00	3.7333	1.20153
Q_a_an	30	3.00	10.00	6.9333	2.24274
Q_all	30	7.00	18.00	13.6333	3.12370
Valid N (listwise)	30				

With respect to the definite article *the*, the lowest mark was 2 out 5 and the highest mark was 4 out 5. The mean was 2.9667. For the zero article, the lowest mark was 1 and the highest grade was 5. The mean was 3.7333. As for *a/an*, the lowest grade was 3 and the highest mark was 10. The mean was 6.9333.

Kinds of errors

The following 3 tables display the total percentages of all correct answers for all articles. They also show the kinds of errors and their percentages. Further, they represent the most frequent article use error committed as well as the type of error. There are three different types of errors in this study as previously mentioned above: Substitution errors, omission or deletion errors, and addition or

insertion errors where students insert or add an article where it is not required.

Table 4: Percentages of all correct answers for all articles and error types

		the			
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	89	59.3	59.3	59.3
	Substitution	3	2.0	2.0	61.3
	Omission	58	38.7	38.7	100.0
	Total	150	100.0	100.0	

In the above table, there are correct answers, then followed by substitution errors and omission errors. 89 is the number of answers in the use of the definite article with a percentage of correct answers of 59.3%. 3 errors were made as substitution errors in the use of *the* with a percentage of 2.0%. 58 errors were omission errors in the use of the definite article with a percentage of 38.7%.

This table displays the type of errors students made in the use of the indefinite article *a/an*.

Table 5: Percentages of all correct answers for all articles and error types

a_an					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	210	70.0	70.0	70.0
	Substitution	13	4.3	4.3	74.3
	Omission	77	25.7	25.7	100.0
	Total	300	100.0	100.0	

210 were correct answers with a total percentage of correct answers 70.0% in the use of the indefinite article. 13 errors are substitution errors with a percentage of 4.3%. 77 errors are omission errors with a percentage of 25.7%.

This table below shows the number of correct answers and the error types of zero article.

Table 6: Percentages of all correct answers for all articles and error types

zero					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	112	74.7	74.7	74.7
	Substitution	1	.7	.7	75.3
	Addition	37	24.7	24.7	100.0
	Total	150	100.0	100.0	

112 are correct answers in the use of zero article with a percentage of 74.7%. 1 error is a substitution error with a low percentage of .7%. 37 errors are addition errors and its percentage is 24.7%.

The tables underneath are displaying all the correct and incorrect answers with error types of all articles, with all the sentences used in the data collection task.

Frequency Table

This sentence requires putting the definite article before unique places. Most students answered it correctly with a percentage of 70.0%.

Table 7: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

the I love the sea					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	21	70.0	70.0	70.0
	Substitution	1	3.3	3.3	73.3
	Omission	8	26.7	26.7	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

In this sentence, almost all students answered it correctly, with a percentage of 93.3%.

Table 8: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

the Put the books on my table					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	28	93.3	93.3	93.3
	Omission	2	6.7	6.7	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

Similarly, this sentence was answered by almost all students, with a percentage of 93.3%.

Table 9: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

the The game we played was very enjoyable					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	28	93.3	93.3	93.3
	Omission	2	6.7	6.7	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

In this sentence, few students answered it correctly but the rest had difficulties with using the definite article in front of names of magazines or newspapers. The percentage is 23.3%.

Table 10: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

the The Times magazine is popular					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	7	23.3	23.3	23.3
	Omission	23	76.7	76.7	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

As for this sentence, only 5 students got it right. The percentage is 16.7%.

Table 11: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

the I do not like the cinema					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	5	16.7	16.7	16.7
	Substitution	2	6.7	6.7	23.3
	Omission	23	76.7	76.7	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

This sentence was correctly answered by almost all students, with a percentage of 93.3%.

Table 12: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

a There is a car in front of your house					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	28	93.3	93.3	93.3
	Omission	2	6.7	6.7	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

In this sentence, most students got it right. The percentage is 76.7%.

Table 13: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

a I want to drink a cup of coffee					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	23	76.7	76.7	76.7
	Omission	7	23.3	23.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

Likewise, this sentence was answered correctly by almost all students, with a percentage of 90.0%. This indicates that they are capable of using the indefinite article before singular nouns.

Table 14: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

a Salem is a farmer					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	27	90.0	90.0	90.0
	Omission	3	10.0	10.0	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

This sentence caused a problem for most of the students. They think that the word European should be preceded by an as it starts with a vowel letter. The percentage is 33.3%.

Table 15: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

a Russia is a European country					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	10	33.3	33.3	33.3
	Substitution	13	43.3	43.3	76.7
	Omission	7	23.3	23.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

This sentence was answered correctly by the majority of students, with a percentage of 80.0%.

Table 16: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

a Salem works as a taxi driver					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	24	80.0	80.0	80.0
	Omission	6	20.0	20.0	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

This sentence was answered correctly by half of the students. The percentage is 50.0%.

Table 17: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

an My child is an angel					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	15	50.0	50.0	50.0
	Omission	15	50.0	50.0	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

The sentence below was correctly answered by most of the students, and it received a percentage of 83.3%.

Table 18: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

an I want to eat an apple					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	25	83.3	83.3	83.3
	Omission	5	16.7	16.7	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

Again, this sentence was answered correctly by most of the students, with a percentage of 76.7%.

Table 19: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

an Libya has an excellent football team					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	23	76.7	76.7	76.7
	Omission	7	23.3	23.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

Also, this sentence was answered by half of the students, scoring a percentage of 50.0%.

Table 20: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

an It is an honour to be in your house					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	15	50.0	50.0	50.0
	Omission	15	50.0	50.0	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

This sentence was answered by most students, and it received a percentage of 66.7%.

Table 21: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

an Leptis is an ancient city					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	20	66.7	66.7	66.7
	Omission	10	33.3	33.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

More than half of the students answered this sentence correctly. They reached a percentage of 60.0%.

Table 22: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

zero article Birds can fly					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	18	60.0	60.0	60.0
	Addition	12	40.0	40.0	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

Again, this sentence was answered correctly by all students except one. The percentage is 96.7%.

Table 23: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

zero article Cairo is beautiful					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	29	96.7	96.7	96.7
	Addition	1	3.3	3.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

This sentence was answered correctly by the majority of the students, with a percentage of 73.3%.

Table 24: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

zero article Life is sweet					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	22	73.3	73.3	73.3
	Addition	8	26.7	26.7	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

In this sentence, half of the students got it right, with a percentage of 53.3%. It shows that students have a difficulty with using zero article.

Table 25: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

zero article Amina is in prison					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	16	53.3	53.3	53.3
	Substitution	1	3.3	3.3	56.7
	Addition	13	43.3	43.3	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

Lastly, this sentence was answered by almost all students with a percentage of 90.0%.

Table 26: Frequency table for all correct and incorrect answers with error types

zero article I like cheese					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	27	90.0	90.0	90.0
	Addition	3	10.0	10.0	100.0
	Total	30	100.0	100.0	

In this table below, a total of all percentages of error types of all articles including the correct answers as well as substitution and omission errors. But not addition errors as these errors were the least frequent.

The total percentage of all correct answers of all articles is 68.5%. All substitution errors of all articles score a percentage of 2.83% while omission errors' percentage is 28.67%.

Table 27: A total of all percentages of error types and correct answers of all articles

The, a, an, zero					
Error types & correct answers		Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Valid	Correct	411	68.5	68.5	68.5
	Substitution	17	2.83	2.83	71.33
	Omission	172	28.67	28.67	100
	Total	600			

To summarize, the use of the zero article was the most frequently answered correctly among the other articles. It reached a percentage

of 74.7%. Then comes the use of the indefinite article *a/an*, with a percentage of 70.0%. Finally, the definite article *the*, was the most problematic article for the participants in this study which scored 59.3% percent.

With regard to error types, the definite article had substitution errors with a percentage of 2.0%. It also had omission errors with a percentage of 38.7%. The omission error was the most frequent error type in the use of *the*.

As far as the indefinite article is concerned, it scored 4.3% as substitution errors, and 25.7% as omission errors. Thus, omission errors were the most frequent committed error.

Lastly, the zero article got .7% substitution errors and 24.7% addition errors. Addition error was frequent and problematic. The percentage is 24.7%.

Discussion / the Contrastive Analysis Hypothesis

The contrastive analysis hypothesis has partially succeeded in predicting errors made by 3rd year Libyan learners in the use of English article system. For instance, in the results section, there were 12 predictions of some of the challenges that 3rd year Libyan students may encounter when learning the English article system.

The findings of this study and the difficulties predicted in the literature review part

The CAH was used in order to predict the errors that Libyan learners of English may make in the use of the English articles. Some predictions are written below. Also, Interference from the native language and also the role of the target language caused such errors.

Omission errors

Omission errors of all articles except the zero article were the most occurring errors in this study with a percentage of 28.67%. While 38.7% is regarding the use of *the*, *a/an* is 25.7%. Omission errors come first compared with all other types of errors. This concurs with Alhaysony's study (2012).

*omission of *the*

*omission of *a/an*

Substitution errors

Substitution errors of all articles scored a percentage of 2.83% of which 2.0% is the definite article *the* and 4.3% for the indefinite article and .7% for the zero article.

*substitution of *the*

*substitution of *a/an*

Addition errors

Addition errors were only for the zero article with a percentage of 24.7%.

*addition of the definite article *the* while it must not be used.

Conclusion

This study has attempted to identify the difficulty of the English article system faced by L2 learners of Libya. The researchers have adopted two strategies in this study, namely, the Contrastive analysis Hypothesis (CAH) and Error Analysis (EA). The researchers adopted the CAH in order to compare the article system found in Arabic and English. The comparison resulted in L2 predictions

which were predictable and expected to be committed by L2 Libyan learners of English in the use of the English articles. The comparison of the systems of the English article in both languages has shown that the acquisition of the definite article *the* and the zero article was problematic for Libyan learners of English.

Error analysis was also adopted in this study to identify error kinds made by 3rd year Libyan learners. The types of errors were three: Omission errors, substitution errors and addition errors. The omission of the definite article *the* was the most **frequent** error in this study with a percentage of 38.7%. Also, the indefinite article *a/an* was less **frequent** with a percentage of 25.7%. Furthermore, the addition of the definite article *the* was less **frequent** with a percentage of 24.7%.

References

- Alhaysony, M. (2012). An analysis of article errors among Saudi female EFL students: A case study. *Asian Social Science*, 8(12), 55-66.
- Brown, H.D. (2007). *Principles of language learning and teaching*. Pearson Education. Inc.
- Celce-Murcia, M., and Larsen-Freeman, D. (1999). *The Grammar book*. Los Gatos, Sky Oaks Production.
- Corder, S. P. (1967). *The significance of learners' errors*. *International Review of Applied-Linguistics in language teaching*, 5, 161-170.
- Corder, S. P. (1981). *Error Analysis and interlanguage*. Oxford: Oxford University Press.

- Crompton, P. (2011). Article errors in the English writing of advanced L1 Arabic learners: The role of transfer. *Asian EFL Journal, Professional Teaching Articles*, 50(1), 4-35.
- DeCapua, A. (2008). *Grammar for Teachers*. New York: Springer.
- Dulay, H., Burt, M., & Krashen, S. (1982). *Language two*. New York: Oxford University Press.
- Ellis, R. (1997). *Second language acquisition*. Oxford: Oxford University Press.
- Gass, S., & Selinker, L. (2001). *Second language acquisition*. Mahwah, N.J.: L. Erlbaum Associates.
- Kharma, N., & Hajjaj, A. (1989). *Errors in English among Arabic speakers: Analysis and remedy*. London: Longman Group Limited.
- Lightbown, P. M. and N. Spada (2006). *How languages are learned*. Oxford: Oxford University Press.
- Magan, S. (1983). The applied linguistics cooperative: Today and Tomorrow. *The Modern Language Journal*, 67(4), 382-392. <http://dx.doi.org/10.1111/j.1540-4781.1983.tb01520.x>
- Mitchell, R. & Myles, F. (2004). *Second language learning theories*. London: Hodder Arnold.

-
- Parrott, M. (2000). *Grammar for English language teachers*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Saville-Troike, M. (2006). *Introducing second language acquisition*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Seliger, H., & Shohamy, E. (1989). *Second language research methods*. New York: Oxford University Press.
- Selinker, L. (1972). Interlanguage. *International Review of Applied Linguistics in Language Teaching*, 10(1-4), 209-232.
- Swan, M. (2005). *Practical English usage*. Oxford: Oxford University Press.
- Swan, M. & Smith, B. (2001). *Learner English*. (2nd ed). Cambridge: Cambridge University Press.
- Swan, M., & Walter, C. (1997). *How English works*. Oxford: Oxford University Press.

Students' attitudes towards the use of literature in language teaching

Rabiah Mohamed Almalul
Rabea Mansur Milad

Abstract

This study explores the attitudes of undergraduate students towards studying literature. The target population is a group of fifty students of English language in Elmergib University. Questionnaire is used as a research instrument. Data analysis has revealed that the participants show a positive attitude towards literature; they agree that literature has beneficial role in enhancing their learning of English. Yet they have reported some concerns over complexity of literature language and its uselessness for their future careers.

Key words :literature; teaching language; attitudes.

Introduction

It is generally acknowledged that literature and language are closely related. Literature is composed of language and it also provides space for the applications of language. Brumfit & Carter (1986)emphasized the role of literature as" an associate of language ."Literature is language in practice, which is clear when we consider the linguistic components, concepts and styles in play in any piece of literary work. Practically, it might be said that language can be taught through literature.

Literary material can make a valuable source for learners. As motivation is one of the fundamental factors for language learning and acquisition, then we certainly have an obligation to offer students more challenging and interesting texts and activities that will get them involved on a deeper level and create the feeling that they are using the language for real purposes. Literary elements including prose, drama, and poetry are increasingly finding their way into EFL curriculums all over the world, and, by the same token, the Libyan universities.

Subjects like introduction to literature, drama, novel and poetry are among the major courses studied by students, specializing in English. However, according to Pathan (2012), due to traditional teaching methods and the stigma attached to literature as being a difficult literature forms very insignificant place in the ELT curriculums in Libya. Idris & Al Shablbi (2021), state literature is only partially incorporated within the school curriculum, in spite of being an important component of effective language learning process .

Because there have been a limited number of research studies conducted in Libya in relation to the teaching of literature e.g. Idris & Al Shilabi (2021) and Pathan (2012), further investigations were essential. Also, attitudes towards the target language, the teaching material and the learning context have been acknowledged in as an important factor contributing to the overall learning process and their ultimate success in this process of learning (Breen, 2001). The present study, therefore, aimed to explore students' attitudes towards studying English literature.

Literature Review

Integrating literature into EFL curriculums has been viewed differently over the last hundred years influenced by the changes in the theories of language acquisition and the trends in language teaching. In the grammar translation method, literature of the target language was given much attention. It was read, translated, and used as samples of good writing and "illustrations of the grammatical rules" (Duff & Maley, 1991). This teaching approach considered form, and learning based on grammatical rules and the lexical items in the text; there was no literary interest and literary texts were just used as samples of grammatical structures and good writings. However, the functional-notional approached did not consider literature, since in this approach the significance is on communication and they represent genuine language samples. Literature was not seen as a communicative tool or a genuine example of language application.

Since the 1970s the language teaching trends have centered on communicative teaching methods and approaches which emphasize that since language is primarily used for communication, the best way to learn a foreign language is through communicative activities in the classroom (Daskalovska & Dimova, 2012). The language users are required to communicate properly and effectively with other speakers of different linguistic and cultural backgrounds. Intercultural skills are required and they cannot be acquired through communication materials solely. Learners need to acquire not only grammar and lexis but also the intercultural communicative skills. The interest in literature as a valuable tool in language teaching has been raised (Duff & Maley, 1991). It is in line with the new communicative approaches that have found in reading literature their desired principles namely communicative competence that asks foreign language learners to communicate in the foreign language and to consider authentic communicative conditions.

Brumfit & Carter (1986) and Lazar (1993) have rejected the notion of the existence of a particular literary language and stated that the language used in literature is an ordinary language including linguistic traits such as metaphors; similes; poetic lexis 'etc. These features cannot be seen as literature specifics because they also appear in common language .

Benefits of using literature in teaching foreign languages

Literature 'is an important aspect in studying and learning about a language and its culture. Many linguists, including Brumfit & Carter (1986); Lazar (1993) and Duff & Maley (2008), have confirmed the beneficial role of literature in teaching foreign languages. They view literary texts as providing rich linguistic input, in addition to effective stimuli for students to express themselves in other languages. In this way, literature can be a potential source of learner motivation.

Authenticity

Literature provides authentic input for language learning . According to Maley (1989) literature deals with non-trivial things

which are personally relevant to them. Authenticity is a criterion considered highly significant in the current literature in EFL/ESL which naturally exists in literary texts. Literature offers a range of authentic texts in a variety of registers appropriate to a social situation or used for communicating with a particular set of people . This presents to learners a rich reservoir for vocabulary acquisition , expressions and comprehensions, in a meaningful and memorable context .

Motivation

Literary texts are very motivating due to its authenticity and the meaningful context it provides. Literature involves affect and emotion, which are the perfect medium for engaging students in their learning of the language) Idris & Al Shablbi, 2021). Literary texts require imaginative interpretation of the reality they present. By the help of the literary texts, the students can have access to this individual experience and are able to relate what they read to the real world. Literature has the capacity to create authentic conditions for the learners to practice and learn a foreign language with motivation. Literature is motivating material since it" exposes students to complex themes and fresh, unexpected usages of language) "Lazar, 1993.(

Cultural/Intercultural Awareness

Literature promotes cultural and intercultural awareness. Literature is a vehicle for culture especially when considering settings, characterisations, situations and assumptions, which provide awareness of difference and develop tolerance and understanding . Literature, undoubtedly, reflects a good deal of reality through the various literary tools. According to Duff & Maley (2008), literature deals with universal concepts such as love, hatred, death, nature, etc that are common to all languages and cultures. The similarities and even differences between cultures and languages can further our understanding of the whole world.

Critical Thinking

Literature is a good medium for critical thinking enhancement among language learners (Ghosn, 2002 and Van ' (2009). It can open horizons of possibility, allowing students to question, interpret, connect, and explore (Langer, 1997). Literature nourishes readers' creative process by stirring and stretching the imagination, providing new information ideas, and perspectives so that readers can imagine the possibilities and elaborate on original ideas. In this way, it expands readers' ability to express imagination in words and images. Engaging in literary texts enables the learners to focus beyond the grammar and the syntax of the target language. The reader pursues the development of the story and willing to share his/her personal responses. Literature can give foreign language learners opportunities for discussion, evaluation and understanding the meaning of words and phrases.

Disadvantages of using literature in English language teaching

Despite the various benefits literature may offer, there are some arguments against its use in language teaching. Literature will not help the students to promote their occupational and academic needs. Cook (1986) in Brumfit & Carter (1986) states that "the study of literary English is seldom suited to the foreign learner's needs, and the mastery of literary texts has little bearing on the learner's need to produce more functional written or spoken forms of the language."

Literary texts can be so difficult that learners don't understand them or understand them only by dint of time consuming and wearisome dictionary work (Parkinson & Reid-Thomas, 2000). Some literature concepts are difficult even for native speakers to comprehend and have difficulty understanding the significance of the text. Understandably, Learners especially with limited language competence may have difficulty understanding the content of literature. With much difficulty it is likely that students may be discouraged.

Critics of the use of literature maintain also that if literary texts reflect a particular cultural perspective, they may be difficult for ESL /EFL students to read and understand cultural concepts

which are unfamiliar (Tevdovska, 2016). The texts can be unacceptable due to different reasons (moral, religious reasons). This runs the risk that many ELT students will be alienated or confused by the cultural content in authentic literature due to its not matching their own social and cultural knowledge.

Previous studies

There are numerous studies that have examined the impacts of literature for EFL or ESL learning. Different scholars have strongly argued to use literature to enhance target language learning in different settings.

In the Turkish context, Ögeyik (2007) observed the perceptions of university-level EFL learners. They favored literature and language teaching through literature because literary texts offered them cultural competence, enhanced their individual creativity, and encouraged target language enrichment. Likewise, Kim (2004) interviewed the students in the literature circles that she observed, and found an overall positive response indicating involvement and enthusiasm. She also found that the students believed that the discussion of their reading contributed to comprehension, once again indicating the importance of the activities associated with using literary texts. Yang (2001), using questionnaires and interviews 'found strong support for the use of literature in a class of adult learners in Hong Kong. The interviews suggested that the students felt that the discussions of the novel they were reading were 'more" substantial "than simply answering grammar questions (Yang, 2001. (Within the Arab world, in a study by Shah et al., (2013), five EFL professors were interviewed to share their experiences and ideas about factors influencing the teaching/learning of English as a FL in Saudi Arabia. Major factors identified included social 'cultural, and religious sensitivities and lack of motivation.

In the same context, Choudhury (2016) administered a questionnaire with 10 items to the students of Bisha University to obtain data about their attitudes towards English literature, so it is very relevant to the current research. The Questionnaire items are

from English literature classes" "I feel English culture is better than other cultures "I learn universal values and culture from English Literature ."Of the findings reached in the study is that 53% students are motivated to study English literature because they like it. However, 33% of the students were worrying about losing their identity and Islamic culture in English literature classes.

In addition, Ali (2007), in a study with Sudanese EFL learners emphasized the importance of integrating literature into language teaching; he confirms that, apart from the authenticity of language, the literature also familiarizes learners with the language culture. Shakfa (2012) explored the difficulties faced by literature students at the Islamic University of Gaza. His study showed Arabic-speaking students' attitudes and perceptions toward English drama. The study reported that students perceived English literature to be difficult because of its complex syntactic structure in addition to frequent use of metaphors and other literary devices. Students usually feel frustrated during the lengthy process of learning drama, where symbolism, metaphors, similes, and stylistic features create additional problems.

More relatively, Pathan (2012) investigated the advantage of using short stories and learners' Perceptions towards them in Libya. He concluded that" the learning material, presented in the form of short-stories, helped in transforming their initial negative attitudes towards reading comprehension skill into positive ones and also contributed significantly to easy fostering of their other related language skills) "Pathan.(2012 ،

Methodology

Participants

The participants are fifty undergraduate students of English language, who are non- native speakers of English. During their study, they have been exposed to different literary genres e.g. poetry, novel and drama. Their age varied from 19-27 years old .They are 26 females 24 males.

Research instrument

An attitude questionnaire was used as data collection instrument. The questionnaire consisted of two parts. The first part gave information about students' personal information. These questions provided the researcher with information about the participants. The second part of the attitude questionnaire was made up of 10 items with 5 point Likert Scale. the participants were asked to assess their attitudes towards literature on a five-point Likert scale, by indicating the extent to which they agreed with each statement using (1) SA = strongly agree, (2) A = Agree, (3) N = neither agree nor disagree, (4) D = Disagree, and (5) SD = strongly disagree.

Results and discussion**Analysis of the questionnaires**

The participants' responses to the questionnaire items were analyzed in terms of their frequency and percentage .To illustrate the pattern of the respondents' answers better, the first two alternatives (Strongly Agree and Agree) and the last two (Disagree and Strongly Disagree) were combined. Table 1 presents these results.

Table :1 Students' responses in terms of frequency and percentages

Items	S + A		Undecided		D+SD	
	F	P	F	P	F	P
-1Studying literature is enjoyable.	34	%68	10	%20	6	%12
-2Literature helps me improve my English.	38	%76	6	%12	6	%12
-3The themes (topics) are interesting.	34	%68	16	%32	0	0
-4Literature class is one of anxiety and stress.	14	%28	24	%48	12	%24
-5Drama and novel can be long and boring.	26	%52	12	%24	12	%24
-6It helps me learn new vocabulary.	38	%76	8	%16	4	%8
-7It helps me know about English culture.	42	%84	4	%8	4	%8
-8it provides opportunities for group discussions.	26	%52	14	%28	10	%20
-9The language of literature is complex and difficult to understand.	26	%52	10	%20	14	%28
-10literature courses is of no use for my future career.	30	%60	12	%24	8	%16

From the table above, it seems that the respondents have rather positive attitudes towards studying literature. This can be obvious in responses to items 1, 2 and 3 where 68% of the students *enjoy* studying literature and the same percentage find themes they dealt with interesting. Moreover, 76% of the participants feel literature is helpful for enhancing their English proficiency. One of the most important findings regarding the claim of the inclusion of literature in the EFL classroom is approved by the fact that the majority of respondents (84%) reported that exposure to literature offered them better insight into English culture. Interestingly, almost half of the participants confirm literature provides opportunities for group discussions where they can be actively involved. This may be

an indication to cooperative learning environment. The results also reveal that a remarkable number of responses, thirty- eight out of fifty, confirm that literature expand the participants' vocabulary. All the above results seems to be in line with benefits of integrating literature into language curriculums mentioned in related literature Brumfit & Carter (1986); Lazar (1993); and Duff & Maley (2008). They all argued that literature, as well as being a motivational valuable authentic material, helps the students to expand their vocabulary 'enrich the target culture and enhance their overall proficiency.

However, some other issues emerged 'in item nine, 52% of the students (26 out of 50) reported that they face difficulty to understand the complex language of literature. This is further supported by the participants' responses to item four in the questionnaire concerning learner anxiety vis-à-vis the literature class. Nearly half of respondents responded 'neutral' to the question. Twenty eight percent reported feeling anxious indicating an inability to live up to their expectations for the literature class. In addition, 52% of the participants consider drama and novel to be long and boring compared to 24% who disagreed with the statement.

Another considerable portion of students, sixty percent of the respondents, (30 out of 50) state hold the view that literature courses will contribute nothing to their future professional careers. This is similar to the opinion held by some English language learners in Gaza who find literature irrelevant to their future occupational needs (Shakfa.(2012 '.

An important point to mention here is that there is no contradiction between holding positive attitudes towards English literature and reporting facing difficulties in studying it. Students can face difficulties in studying literature and yet like it. In fact, positive attitudes make students persist in the face of challenges. Literature is challenging and motivating material since it as Lazar (1993) states "exposes students to complex themes and fresh, unexpected usages of language ."Furthermore 'some issues that have revealed like its difficult language, in terms of its complexity, its structure and the its

irrelevance to their future careers are in line with other studies findings in the Arab world Shakfa, (2012) and Mohammed, (2017).

Conclusion

The aim of the study is to investigate the students' attitudes about studying literature as part of their Bachelors of Arts program in English. The data has been shown that the respondents have somewhat positive attitudes: most of them find studying literature enjoyable and view the literature component as essential to their general English proficiency as it expose them to new vocabulary and give them opportunities to engage in group works as well as regard it to be a window into the target language culture. In spite of this, some of the participants stated they face difficulty to comprehend the literary language and express their skepticism towards its usefulness in the long run.

References

Ali ،Mia (2017). Tutors' perspectives in including English literature in the Sudanese syllabus for developing EFL skills in the secondary schools of East Gezira State-Sudan. *Ahfad Journal*. 34(1), 36-38.

Breen ،M. P. (2001) .(*Learner contributions to language learning: new directions in research* .Harlow: Pearson Education.

Brumfit C. J. and Carter R. A. (1986) .(*Literature and Language Teaching* .Oxford :Oxford University Press.

Cook,G.(1986) .Text, extracts and stylistic texture. In Brumfit, C. J. and Carter, R. A. (eds) ،(*Literature and language teaching* .Oxford: Oxford University Press.

Choudhury ،M. (2016). The teaching of literature in Saudi Arabia: National perspectives and cultural implications. *Journal of humanities and social science*. 21(8.87-78 ،(

Daskalovska ,N., and Dimova, V. (2012). Why should literature be used in the language classroom? *Procedia-social and behavioral sciences*. 46, 1182-1186.

Duff ,A. and Maley, A. (2008) (*Teaching Literature* .Oxford University Press.

Duff ,A. and Maley, A. (1991). *Literature*. Oxford: Oxford University Press.

Ghosn ,I. (2002). Four good reasons to use literature in primary school ELT. *ELT Journal*. 56(2), 172-179.

Idris A. and AlShilabi A. (2021) Teaching literature in EFL classroom: challenges and prospects - Libyan context. *Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya* ,(17)1 . .364-352

Kim, M. (2004) .(Literature discussions in adult L2 learning . *Language and Education*.166-145 .

Langer, J .(1997) .Literacy acquisition through literature. *Journal of Adolescent and Adult Literacy*, 40, 602-614.

Lazar ,G. (1993) .(*Literature and Language Teaching: A Guide for Teachers and Trainers* .Cambridge University Press.

Maley ,A. (1989). Down from the pedestal: Literature asresource. In R. Carter, R .Walker & C. Brumfit (eds.), *Literature and the learner: methodological approaches*) .pp. 1-9). Modern English Publications and the British Counsel.

Mohammed ,K. (2017). An Exploration of the Main Difficulties and Challenges, in *Teaching EFL Literature: The Case of Teachers at the University of Tlemcen, Algeria* .*International Journal of Research in Humanities, Arts and Literature*. 5(11.65-55 ,(

-
- Ögeyik, M. C .(2007) .Attitudes of the Students in English Language Teaching Programs towards Literature Teaching. Eurasian Journal of Educational Research. 27.162-151 ،
- Pathan Mustafa ،M. (2012). Advantages of using short stories in ELT classroom and the Libyan EFL learners' perceptions towards them for developing reading comprehension skill .Arab World English Journal.41-28 ،(1)4 .
- Parkinson, B .and Reid-Thomas H. (2000). Teaching literature in a second language. Edinburgh :Edinburgh University Press.
- Shah, S ،Hussain, M., and Nasseef, O. (2013). Factors Impacting EFL Teaching: An Exploratory Study in the Saudi Arabian Context. Arab World English Journal.123-104 ،(3)4 .
- Shakfa, M. D. A .(2012) .Difficulties students face in understanding Drama in English literature at the Islamic university of Gaza. English Language Teaching. 5(9), 95-103.
- Tevdovska, E. S .(2016) .Literature in ELT setting: students' attitudes and preferences towards literary texts. Procedia-Social and Behavioral Sciences, 232, 161-169.
- Van, T.T.M .(2009) .The relevance of literary analysis to teaching literature in the EFL classroom. English Teaching Forum, 3, 2-9.
- Yang, A. (2001) .(Reading and the non-academic learner: a mystery solved .*System*.460-450 ،(4)29 .

References

1. Baker, M. (1992). *In Other Words. A Course Book on Translation*. Routledge. London / New York.
2. Cambridge University. (1998). *Cambridge International Dictionary of Idioms*. United Kingdom. Cambridge University Press.
3. Ghazala, H. (1995). *Translation as problems & solutions*. Dar Al Malayin. Beirut.
4. McCarthy, M & O'Dell, F. (2002). *English Idioms in Use*. Cambridge, United Kingdom. Cambridge University Press.
5. Munday, J. (2001). *Introducing Translation Studies. Theories & Applications*. London / New York. Routledge.
6. Newmark, P. (1988). *Text Book of Translation*. London / New York. Prentice Hall.
7. Oxford University. (1992). *Oxford Advanced Learners' Dictionary, Encyclopaedic*. England. Oxford University Press.
8. Zagwany, Y. (2005). *Cultural Problems in Translating English Texts into Arabic & Vice Versa*. M. A. Dissertation. Benghazi. Academy of Graduate Studies.

Electronic References

1. Meryem, M. (2009-2010). *Problems of Idioms in Translation*. M. A. Dissertation. Algeria. <http://www.google.com>. [Accessed 08 January 2012].
2. <http://www.learn-english-today.com>. [Accessed 05 January 2012].

"Problems Face Students in Translating Idioms Related to Health from English into Arabic"

Khalid Mohamed Edrah

Chapter 1

(Introductory)

1.1 Introduction:

Since Idioms are used to describe different aspects of everyday life, it is worthy for translators and translation students to develop their strategies how to translate idioms properly. In fact, translators face many problems when translating idiomatic expressions. These difficulties come as a result of the difference between languages and cultures. Furthermore, any language has a particular meaning which is used to qualify a specific area of the social life. Because every language is associated with its culture and its form; scholars stress that translators should be bicultural as well as bilingual. Translation theorists dealt with problems of translating idioms from various attitudes according to different points of view. In addition, idioms are used in order to increase the mutual understanding among people in the same society as well as to make the communication easier. Moreover, they are used to live the past, present and future. Idioms also are used because the circumstances of everyday life impose them as a way that helps in expressing the intended

meaning briefly. Besides, they are used to talk about many aspects of the daily life; such as, food, colour, social status and health. This research is devoted to identify the problems of translating idioms that are related to health area as well as to identify the strategies applied by Libyan English language students to translate health idioms. Further, it investigates the difficulties faced students while translating the test and it attempts to find out whether students are able to render the intended meanings of health idioms or not.

1.2 Research issue and Hypothesis:

The ultimate goal of translation is to transfer the intended meaning completely. The translator should find out the appropriate equivalent meaning in the target language to guarantee that the whole meaning is transferred properly in the target language. On the other hand, idioms are widely used and it is considered to be one of the most problematic situations that occur in the process of translation; as a result, a set of strategies were carried out by scholars. This study sheds light on difficulties Libyan students face while translating idioms related to health from English into Arabic. This research assumes that students face difficulties when they translate health idioms from English into Arabic. It also hypothesized that the problems of translating idioms related to health occurs as a result of the following:

- 1- The complete difference between the both languages and cultures.

-
- 2- Students' insufficient knowledge of the English culture.
 - 3- Students lack of linguistic competence of both languages.
 - 4- They concentrate on a traditional way of translation (Literal translation) which restricts them to focus on the common meaning of individual words instead of the whole meaning of the idioms.
 - 5- Subjects lack of practise.
 - 6- They do not have dictionary skills.
 - 7- They have lexical problems.
 - 8- Students' lack of practice.

1.3 Aims and objectives of the study:

This study aims to find out whether 6th semester English language students in Tripoli University are able to use the suitable strategies to find the figurative meaning of health idioms in the target language, or they translate them literally. Because figuring out the intended meaning is the ultimate goal of translation. Furthermore, it identifies the different problems that face Libyan students while translating idioms used to describe health. This research will test the ability of Libyan English language students to translate health idioms and investigate the different strategies applied in their translations. In addition, it will test whether they are aware of the difficulties of translating health idioms or not .i.e. they know that idioms carries a conventional meaning that should be transferred to the

target language properly. The researcher will observe subjects performance while translating the texts in order to check their abilities to use the dictionaries. Besides, this study will investigate the difficulties face students while translating the texts.

1.4 The scope of the study:

This study is conducted in Tripoli University (Tripoli), to examine the 6th semester students who study there in the department of English language (Swiq Al jwma) .The translational task prepared to test them in terms of translating idioms related to health. The test handled to the students on Monday 16/01/2011.The time of the task was two hours from 11:00 am until 01:00 pm. This study suggests that Libyan students translate idioms related to heath literally, without paying attention to the figurative meaning of idioms. The text consists of 15 sentences each sentence contains an idiom related to health.

1.5 Research Methodology:

The data collected in Tripoli, Libya during a period of two weeks from 27/12/2011 to 09/01/2012. The methods are test and observation. The test contains 15 sentences include idiomatic expressions that deal with health area. The sentences gathered from different sources (books, dictionaries and websites). The subjects are 20 students and they are selected randomly; they are 6th semester students in “Swaq Aljwma” faculty of art, department of English language at Tripoli University. The analysis is based on:

-
- 1- Identification of translation strategies adopted by students in their translation.
 - 2- Identification of Students' ability of transferring the intended meaning of idioms.
 - 3- Identification of the difficulties faced student while translating the text.

The analysis is based on Mona Baker's strategies for translating idiomatic expressions. This study is basically an attempt to ensure the transferring of the complete meaning of health idioms from source language into target language by students. The methods adopted in this study are test and observation. The results show that some students tend to translate health idioms literally whereas others try to paraphrase them. As a result, they fail to paraphrase idioms properly because of different reasons.

1.6 The importance of the study:

Idioms are mostly used to describe the different elements of the social life in order to facilitate the process of communication in any language; moreover, it increases the mutual understanding. It also helps to express the intended meaning completely and briefly. Every society has particular aspects which are unique to its social life and deeply related to its culture. The differences between cultures create the difficulties of translating idiomatic expressions.

While idioms are widely used in all different fields of life, translating them is very crucial for the benefit of all

societies. Therefore, translators play a vital role in conveying the meaning of idiomatic expressions from one language into another. Professional translators follow suitable strategies to achieve equivalence.

1.7 The structure of the study:

The research is divided into four chapters. The first chapter is an introductory one (introduction-scope of the study-importance of the study-issue and hypotheses of the study-aims and objectives- research methodology-structure of the study-literature review). The second chapter includes general back ground about the issue of the study. It sheds light on the idioms and the strategies of translating them whereas the third chapter is a practical one. The analyses of data based on Mona Baker's model of strategies to translate idioms. Finally, the fourth chapter investigates the results and findings of the study.

1.8 Literature review:

To the best of my knowledge, there are no studies shed light on this subject, but many studies tackle problems correlate with it. One of them is "Cultural problems in translating English texts into Arabic and vice versa", written by Zagwany, the researcher adopted Mona Baker's 1992 theoretical frame model of translating idioms. While its practical part is based on the translation of idiomatic expressions extracted from two novels of Najib Mahfouth Midaq Alley (1975) translated by Trevor Le Gassick and Khan Alkhalili (2008) translated by Roger. The researcher finds out that translators fail sometimes to find an

equivalent, because of their lack of linguistic competence in both languages (English and Arabic). The second is Problems of Idioms in Translation, done by Mezma Meryem; the researcher presents a linguistic investigation of equivalence above a word level. The study discusses the difficulties of non equivalence raised in translating English idioms into Arabic and from Arabic into English. The study also indicates the method used by students to figure out the equivalence in the target language. The researcher finds out that there are potential problems in the process of translating idioms from English into Arabic and vice versa. Furthermore, the study shows that the context plays an important role in guessing the contextual meaning of idioms by students.

Chapter 2

(General background)

2.1 Introduction:

Translating idioms is one of the most problematic situations that face students, translators and theorists, because idioms have conventional meanings which should be transferred into the target language completely. These figurative meanings are related to specific cultural aspects that qualify people's condition physically and mentally; as a result, these cultural elements might cause difficulties when rendered them into another language. The translation of Idioms has been studied from various perspectives according to different points of view. This chapter is devoted to shed light on the general back ground of the

translation of idioms. It also provides different definitions of both translation and idioms. Moreover, it includes strategies suggested by scholars to translate idiomatic expressions as well as their classification according to their use in life. Finally, it presents the difficulties of translating idioms.

2.2 Definitions:

2.2.1 Translation:

Translation is the process of transferring the intended meaning from one language into another. Translators should be able to deal with the units of meaning that constitutes the context not with the common meanings of their words or sentences separately. Because some expression might carry explicit and implicit meaning, as in the case of idioms related to health, that can only be figured out by dividing the context into units of meaning. Many theorists defined the concept of translation from many points of view.

According to (Jakobson 1959/2000:114) cited in Munday (2001:p36-37). Jakobson states that “inter-lingual translation involves substitute[ing] messages in one language not for separate code-units but for the entire messages in some other languages”. He also indicates that “the translator recodes and transmits a message from another source. Thus translation involves two equivalent messages in two different codes”.

Nida (1964a:166, Nida and Taber 1969:12) cited in Munday (2001:p42) says that “the message has to be

tailored to the receptor's linguistic needs and cultural expectation and aims at complete naturalness". In addition, he defines the goal of dynamic equivalence as "the closest natural equivalent to source language message".

Ghazala also defines translation as (1995:p1) "translation generally refers to all the processes and methods used to render and/or transfer the meaning of the source language text into the target language as closely, completely, and accurately as possible.

Newmark (1988:5) refers to translation as" it is rendering the meaning of a text into another language in the way that the author intended the text. He points out that this process might be considered an easy task since the same meaning can be expressed in all different languages. On the other hand, he also indicates that this might be difficult and complicated in terms of expressing units of meanings that belong to another different language and culture.

2.2.2 Idioms:

According to Cambridge International dictionary of idioms (1998: Intro) "Idioms are a colourful and fascinating aspect of English. They are commonly used in all types of language, informal and formal, spoken and written".

OXFORD Advanced Learner's Encyclopaedic Dictionary defines an idiom as "a phrase or sentence whose meaning is not clear from the meaning of its individual word and which must be learnt as whole unite".

Baker (1992:P63) indicates that Idioms and fixed expression might be defined as:

“Are frozen patterns of language which allow little or no variation in form and, in the case of idioms, often carry meanings which cannot be deduced from their individual components”.

McCarty and O’Dell (2002: P6) refers to idioms as “expressions which have a meaning that is not obvious from the individual words”. They indicate that context and the common sense play a crucial role in grasping the meaning of idioms.

2.2.2.1 Classification of idioms:

Idioms have been carried out and categorized by scholars from different viewpoints. Some scholars have classified them according the difficulty of grasping their intended meaning while others categorized according to their use in the daily communication.

According to Straksiene (2009:13) quoted in Zagwany (2005) he states :

English is very rich in the use of idioms. They are used in formal and in slang. Idioms may appear in Shakespeare language, poetry, literature and even in Bible. Using those colourful words, we have to express ourselves utilizing words that very often make no logical sense if we misused or mis-translated.

McCarthy and O’Dell suggest that idioms can be classified according to their use in everyday life. They categorized them on the base of their usage in different area of

people's daily life as following: Idioms to talk about health, happiness and sadness, memory, money, and Anger. This study adopted this classification because it is devoted to investigate the difficulties and strategies of translating English idioms related to Health into Arabic.

Health idioms can be defined as idioms that describe the condition of a person's body or mind explicitly by the use of certain society's cultural elements for example,

- 1- He will inherit when his grandfather *kicks the bucket*.
- 2- I will be as *right as rain* as soon as I take my pills.

2.2.2.2 Characteristics of idioms in English:

It is agreed by scholars that idioms share some features with other fixed expressions; however, there are some characteristics which are unique to them. In this respect, many theorists have been presented these special aspects of idioms. For instance, Baker (1992:63) points out that these unique features can be summarised as the following:

- 1- The order of their individual words should not be changed. (e.g. the short and the long of it`).
- 2- It is not possible to omit any of their constituent words. (e.g. spill beans).
- 3- It is not allowed to insert any word to idioms. (e.g. the very long and short of it).
- 4- Their individual words cannot be substituted. (e.g. the tall and the short of it).

5- Their grammatical structure should not be modified. (e.g. the music was faced).

According to Tim (2002:8) cited in Zagwany (2005) the appropriate characteristics of idioms can be identified as:

It has been widely noted that the individual words in an idiom cannot be replaced by synonyms and still retain the idiomatic meaning of the phrases which qualify them as fixed forms. In most cases speakers can use synonyms create a new sentence with the same semantic meaning. However, this is not the case for idioms.

2.3 Translation of Idioms:

2.3.1 Difficulties:

Idioms are concerned as one of the most problematic situations that face translators and students of translation. These difficulties occur as a result of various reasons; for instance, the complete difference between cultures creates sometimes situations in which finding the equivalent meaning is completely difficult. In this respect, many scholars have been tackled this issue into consideration from different angles.

According to Baker (1992:68, 69) the difficulties of translating idioms come as a result of various reasons. She indicates that the first difficulty occur when an idiom or fixed expression is not existed in target culture. She also states that this happens because languages sometimes express the meaning in different ways. Further, she informs us that some idioms sometimes are specific to a

certain culture; therefore, they cannot be translated. After that she discusses the second difficulty which regards to idioms connotations and the possibility of having a similar idiom in form but it expresses different meaning in the target language. Elsewhere Baker (1992:70, 71) points out the third difficulty which related to the use of both the common and the figurative meaning of the idiom at the same time in the source language. Finally, she explores the last difficulty which goes up as a result of the difference between languages in use. She indicates that idioms are widely used in English language whereas they are not very much used in other languages such as Arabic and Chinese languages.

2.3.2 Strategies:

Since translating idioms causes many problems to the translators as well as students of translation, it is worthy to explore the strategies that are suggested by theorists. These techniques are set as a result of the different difficulties that occur in the process of reproducing them in other languages. Moreover, those strategies are suggested to be as tools that help translators in transferring the intending meaning closely and completely.

According to Baker (1992:72, 73) the strategies for translating idioms can be summarized into six strategies. In this respect, she suggests that the first technique which can be used to transfer the intending meaning appropriately is by finding out a similar idiom in both meaning and form in the target language. She indicates another strategy which is to translate idioms by figuring out an idiom in the target

language that has the same meaning but its form is completely different. After that, Baker (1992:77, 78) points out that paraphrasing is the most used technique especially in the cases of non equivalent idioms which resulting from the differences between languages. Besides, Baker insists that paraphrasing idioms do not mean to summarise the meanings of their individual words, but it means reproducing the intended meaning of an idiom as a complete meaningful unit in the target language. The next strategy suggested by Baker is translation by omission. She indicates that this technique is used in the cases where figuring out the match idiom or paraphrasing its meaning is difficult. Further, she points out that in such cases omitting the idiom is the solution. Finally, she discusses briefly another strategy which is compensation; moreover, she explains it as the process of omitting the idiom and expressing it in a different form somewhere else in the context.

(For more information about the classification of idioms according to their use see Michael McCarty and Felicity O'Dell English Idioms in Use).

Chapter Three

(Analysis)

3.1 Introduction:

The analysis of this study is based on the strategies suggested by Mona Baker to translate idiomatic expressions to investigate if students are able to apply the

suitable techniques to transfer the intended meaning of idioms.

The analysis will concentrate on three elements:

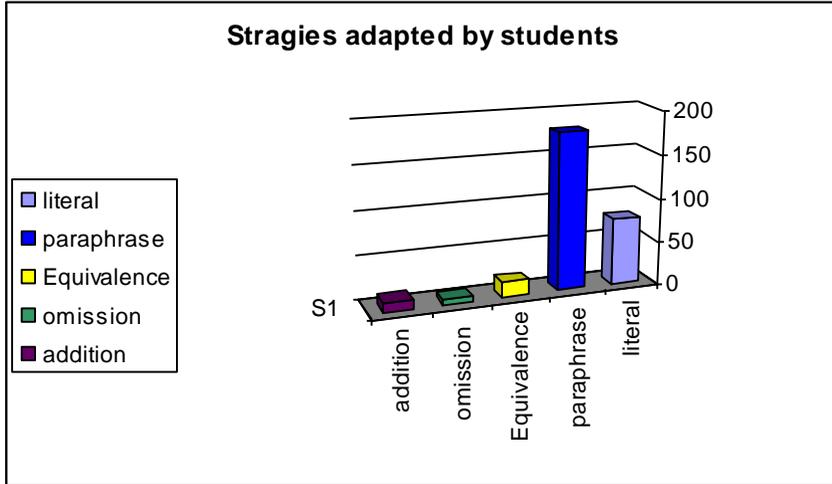
1. Strategy adopted by students to translate idioms.
2. Students' ability of transferring the intended meaning of idioms.
3. The difficulties faced students while translating the test.

3.2 Identification of strategies adopted by students:

Table (1):

Idiom	Literal	Paraphrase	Equivalence	Omission	Addition
Under the knife	9	7		3	1
Bag of bones	10	9			
Kick the bucket		5	14		
Dice with death	12	8			
Like death warmed up	7	12			1
Out of sorts		18			1
Racked with pain		18			
As right as rain	6	11	2		1
On the mend		18	1		1
Under the weather	3	17			
Up and about	2	18			
Recharge your batteries	6	10			2
Clean bill of health	5	12			3
Pins and needle	11	6		3	
Take a turn to worse	6	11			1
Total:	77	180	17	6	11
Percentage	26%	60%	6%	2%	4%

Chart No. (1):



3.2.1 Paraphrasing:

The study shows that 60% of the students adopted the strategy of paraphrasing to transfer the meaning of idioms. This proves that the majority of students are aware of idioms and they are able to recognize idiomatic expressions carry intended meaning which should be well transferred. Moreover, the results indicate that they know that idioms should not be translated through the common meanings of its individual components. However, most of students who paraphrased idioms failed to produce acceptable translations because of different reasons. The following is an example of students who paraphrased sentences with problems in producing idioms.

e.g. (1) I am not going to the party. I am a bit **under the weather** today.

لن اذهب إلى الحفلة لأنني بعض الشيء لست في مزاج جيد اليوم.

It is obvious from the previous sample that some students do not have a good command of the foreign language and culture. This lack of competence hinders them to understand the idioms properly; as a result, they could not render the intended meaning of idioms. Further, it is clear that subjects are not aware of idioms connotations, because some students did not realize the connotations of the given idioms such as, sympathy, irony and humours.

It is also noticed that some students are not aware of idioms which should be understood from their context. The researcher also noticed that students do not use the suitable dictionaries that help them in figuring out the explicit meaning and in choosing the appropriate meanings of idioms. For example, most of students used bilingual dictionaries instead of monolingual ones or specialized dictionaries.

3.2.2 Literal translation:

It is clear from the statistics above that 26% of students applied literal translation technique to translate the idioms related to health. This finding indicates that literal translation is the second most adopted strategy by students to translate idioms. This illustrates that they do not translate idioms as one unit of meaning and they translate

them by finding out the common meaning of its individual words. Consequently, subjects could not convey the explicit meaning of idioms and they were not able to translate the idioms appropriately. This means that some students are not aware of idioms and they have lexical problems. Translating idioms literally informs us that students are not aware of strategies suggested by scholars to translate idiomatic expressions. The following example clarifies this problem:

e.g. (2) Going mountain climbing alone is **dicing with death.**

تسلق الجبال كاللعب بالنرد مع الموتى.

The students' translation shows that some subjects translate the sentence as a whole and they use word for word translation. This shows that students who applied this strategy mistranslated the idioms because they have not conveyed the intended meaning. Moreover, this figurative meaning of idiomatic expressions cannot be deduced from the surface meaning of its constituent words. Their translations also indicate that students do not have a good command over both languages as well. Accordingly, they could not understand the idioms well as one meaningful unit. In addition, their productions were unacceptable as well as did not make sense in the target language. Further, the results show their lack of both cultures which enable them to understand the idioms and find its equivalence in the target language. It is also clear that students do not know how to look up the meaning of idioms in the

dictionary because they rely on the common meanings of the words that taking directly from the dictionary.

3.2.3 Equivalence:

The study shows that only 6% of students used the technique of finding equivalent idiomatic expressions, which have similar meaning in students' target language, to transfer the explicit meaning of idioms and to ensure that the whole meaning is completely conveyed. These findings indicate that students have insufficient knowledge of both languages and cultures. Accordingly, they were not able to grasp the meaning of idioms in the foreign language and to find out idioms which carry similar meaning in the target language. For example:

e.g. (3) He will inherit when his grandfather kicks the bucket.

سيرث جده عندما ينتقل إلى رحمة الله.

The analyses of subjects' translations point out that the lack of students' ability in both languages. That is the reason why most of them have not tried to translate idioms by finding the equivalent meanings in students' native language. It is also clear that there is an interference of students' target culture which can be noticed through their use of expressions related to their religious background. This analysis also shows that students are not aware of idioms' connotations and the importance of the text in understanding the idioms meanings; moreover, they have not understood idioms according to their use in the everyday life.

3.2.4 Translation by omission:

The findings show that just 2% of students adopted omission as a strategy to translate idioms. This explains the difficulties resulting from the complete difference between both languages and cultures which obligate some of students to omit the idioms. Moreover, students have not made out that this strategy is applied in the contexts when finding the equivalence or paraphrasing is impossible in the target language, because of the cultural differences between societies as well as the complete dissimilarity between the structures of both languages.

e.g. (4) the hospital is worried about the number of patients who died **under the knife.**

المستشفى قلقلة حيال المرضى الذين لقو حتفهم.

Although some students have made attempts to translate the idioms by omission, they could not apply this strategy effectively. They have not conceptualized how to use omission technique properly and when applying this strategy of omitting the non equivalent expressions. Further, Subjects also adopted this technique to translate idioms which can be paraphrased.

3.2.5 Translation by addition:

The results indicate that 4% of the subjects translated the idioms by addition. They adopted this technique in order to transfer the intended meaning because they could not find the equivalent meaning and they were not able to grasp the figurative meanings of the idiomatic expressions .As a

result, students over translated them by given more than one common meaning.

e.g. (5) I will be as right as rain as soon as I take my pills.

سأكون نشطه وفي صحة جيده في الوقت الذي اتناول فيه دوائي.

It is obvious that some subjects applied this strategy to translate the given idioms as a result of their lack of both languages and cultures. Their translations indicate that they could not understand the intended meanings well; consequently, they tried to translate them by adding more expressions which are in the semantic field of the idioms.

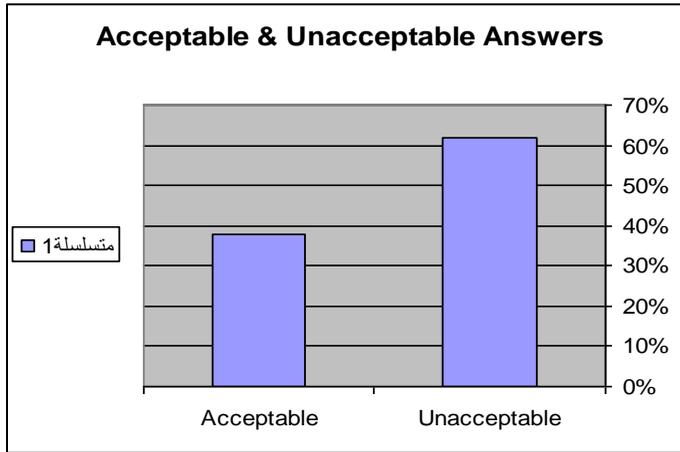
3.3 Identification of transferring the intended meaning of health idiom:

Table (2):

Idiom	Acceptable	Unacceptable
Under the knife	2	18
Bag of bones	6	14
Kicks the bucket	4	15
Dice with death	3	17
Like death warmed up	7	13
Out of sorts	10	10
Racked with pain	5	13
As right as rain	13	7
On the mend	17	3
Under the weather	8	12
Up and about	7	13

Recharge your batteries	11	8
Clean bill of health	5	15
Pins and needle	8	12
Take a turn to worse	6	12
Total:	112	182
percentage	38%	62%

Chart No. (2):



Reproducing the intending meaning of idioms accurately is one of the most important aspects of translation that should be studied. The following example is one of students' translations who encountered problems in transferring the conventional meaning properly:

e.g. (6) I have been sitting on my leg for the last hour and now I have got **pins and needles** in my foot.

لقد جلست علي رجلي لفترة طويلة، لدرجة اني اصبحت لا اشعر بها حتى لو
وغرزت فيها ابرة.

Even though the students applied different strategies to translate health idioms, it is clear from the statistics mentioned above that 62% of students' translations were unacceptable. Students failed to produce acceptable translations due to several of reasons. Some students have not used the suitable techniques which ensure the complete transferring of the meaning in a proper way; for instance, they translated them literally which restricted them to the common meanings over the individual words. Besides, other students tried to adopt paraphrasing as a strategy, because they could not find the equivalent idioms that carry the same meaning in their native language. However, most of them were unsuccessful to understand the intended meaning as a result of different factors such as, their lack of linguistic competence of the source language, the difference between the two cultures and languages, their misuse of dictionaries and their lack of practice. Another reason that attributed in students' failure to translate idioms appropriately is students' insufficient knowledge of idioms connotations.

3.4 Identification of the difficulties faced students while translating the text:

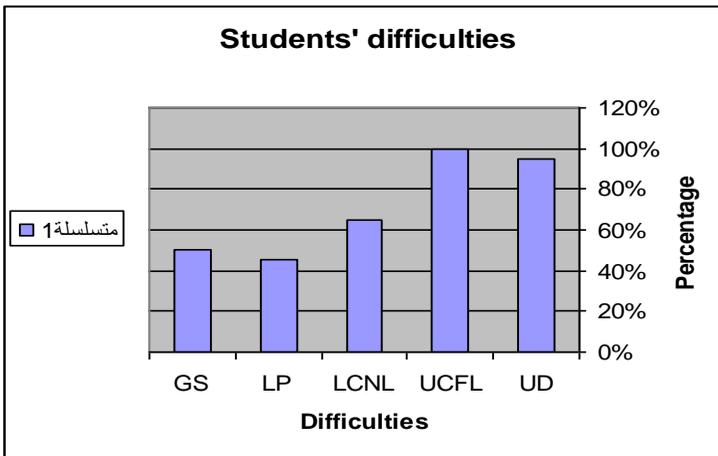
Table (3):

Student	GS	LP	LCNL	UCFL	UD
Student 1			✓	✓	✓
Student 2		✓	✓	✓	✓
Student 3			✓	✓	✓
Student 4	✓		✓	✓	✓
Student 5	✓	✓	✓	✓	✓
Student 6	✓			✓	✓
Student 7	✓	✓		✓	✓
Student 8				✓	✓
Student 9			✓	✓	✓
Student 10				✓	
Student 11			✓	✓	✓
Student 12	✓	✓	✓	✓	✓
Student 13		✓		✓	✓
Student 14	✓	✓	✓	✓	✓
Student 15				✓	✓
Student 16	✓	✓	✓	✓	✓
Student 17	✓	✓	✓	✓	✓
Student 18	✓		✓	✓	✓
Student 19	✓	✓	✓	✓	✓
Student 20				✓	✓

Table (3.1):

Difficulties	GS	LP	LCNL	UCFL	UD
Student's number	10	9	13	20	19
Percentage	50 %	45 %	65 %	100 %	95 %

Chart No. (3):



The context in which idioms are used is crucial in figuring out the closest meaning of them. Further, the way adopted by students to translate the text in which the idiom is used affects their understandings and their translations of the idioms. It is obvious that students translate the whole sentence literally; consequently, they look to the idiom as words not as units of meaning. Translating idioms out of their context decrease students' abilities of grasping the figurative meaning and make understanding more difficult.

3.4.1 Investigating the students' grammatical structure and lexical problems:

The table no (3) above shows that 50% of students have grammatical problems and 45% have lexical problems. Accordingly, they could not produce acceptable translations. These problems made them incapable to express the intended meaning of the idioms properly and completely. The differences between the structures of both languages influenced their translations. Moreover, students could not transfer the intended meaning because of their lexical problems that came out as a result of their insufficient knowledge of target language and their unawareness of the difference between the two structures. Further, it is noted that some students are not aware of the differences between word order of both languages; therefore, their translations were unacceptable. For example, most of them started their translation with a noun where it should be begun with a verb in their native language. The following examples will give you more information about the grammatical and lexical problems of some subjects.

e.g. (7) the soldier was badly injured that he was racked with pain.

كان الجندي بليغ الاصابة فانه يتصارع مع الالم الان.

e.g. (8) the hospital is worried about the number of patients who have died under the knife.

المستشفى قلقه حيال المرضى الذين لقو حتفهم.

مستشفى قلبك من عدد القتلى من السكين.

e.g. (9) Going mountain climbing alone is **dicing with death**.

الذهاب للتسلق الجبال وحيدا كالاقدام الي الموت.

It can be noticed from the above examples that some subjects have problems in the grammatical structure of their native language, because they translate words of the sentences and did not change the structure of the foreign language. Consequently, they produce unacceptable translations. On the other hand, subjects are not aware of the lexical differences between the two languages. For example, some students do not change the adjective worried into a noun in their language but they kept it as an adjective (قلقه). Another problem is that some students began their translation with nouns instead of verbs as it should be in the written Arabic language.

3.4.2 Investigating the linguistic competence of native language (LCNL):

One of the important factors that help translators to produce an acceptable translation is their competence of the target language. Therefore, it is crucial to study the students' linguistic competence to find out its effect on their translations. It is clear from the table above that 65% of the students have lack in their linguistic competence of the target language. Accordingly, they could not transfer the intended meaning of idioms completely and they produced incoherent sentences. It is also noticed that the majority of students rely on literal translation as a result of

their insufficient linguistic competence of the native language .The following are some samples of students' translations that clarify their lack of linguistic competence.

e.g. (10) He is still a bit tired but he is definitely **on the mend**.

هو تعبان قليلا ولكنه يقاوم حتى هذه دقيقه ويتحسن صحتها.

لقد باتت في مستشفى هذا اسبوع ولكنها الى حالتها الطبيعية.

It can be pointed out that some students produced incoherent translations as result of their linguistic lack. It is also clear that this lack disable them to express the meaning of the sentence in the way that should be transferred to ensure that the meaning completely and adequately conveyed .In the above examples the subjects just change the words of the sentence into their common meaning in the target language without paying attention to the structure of the sentence. It is obvious that this problem did not allow the students to express the intended meaning of idioms and the whole sentences accurately. For example, in the above sample the student used the verb (باتت), which is colloquial and it gives another meaning in the formal use of native language, to transfer the meaning of the English phrase (was kept in) whereas it should be translated as (قضت ليلتها).

3.4.3 Identifying students' understanding competence of the foreign language:

Having analysed the above problems, this leads us to another student's problem which is their ability of

understanding the foreign language accurately. Because it plays an important role in ensuring that the figurative meaning which expressed in the source language is understood and produced appropriately in the students' native language. The results show that all the students have problems in understanding the source language because none of them were able to translate all the given idioms properly. The examples indicate their lack of understanding competence of the source language:

e.g. (11) When he came back home from the war, he was a **bag of bones**.

عندما عاد من الحرب اصبح قلبه صلبا كالحديد.
عندما رجع الي المنزل من الحرب كان محطم العظام.
عندما رجع الي الديار من الحرب كان كيس من العظام.

e.g. (12) He will inherit when his grandfather **kicks the bucket**.

سوف يرث عندما يكتب جده وصيته.
هو سيرث جده عندما ينتقل الي رحمة الله.
سيرث جده عندما تصيبه المنية.

The examples above show that the students have problems in the source language competence. Consequently, they could not convey the intended meaning of the idioms closely as well as they produced unacceptable translations. For example, some of them translate (a bag of bones) into (كيس من العظام) in their native language which is completely

meaningless. This indicates that students have problems of understanding competence of the foreign language. It can also be noticed that students did not grasp the meaning of the idioms in their contexts. Accordingly, they could not understand the intended meaning of the idioms and they produced inappropriate translations. Another example that confirms students' lack of understanding competence of the foreign language is that they are not aware of idioms connotations. For instance, some students tried to translate the idiom (kick the bucket) above by finding the its equivalence in their culture which is (ينتقل الي رحمة الله). As a result, they fail to carry the intended meaning because they have not known that the idiom is loaded with the sense of humours that should be transferred into the Arabic language.

3.4.4 Investigating students' ability of using dictionaries effectively:

Another important factor that influence the students translation is their ability of use the dictionary properly in terms of when, which ,how and why to use it. This factor is essential, because translation is not the process of changing the words of English language into words of Arabic language by using its entry meanings of the dictionary. Moreover, one of the crucial skills of using the dictionary that should be acquired is how to pick up the meanings of words according to their use in different texts. It is well known among teachers of languages, translators and scholars that the dictionaries should only be used in need and they recommended to use them when the context

does not help in figuring out the meaning of the unknown words. The results of the analyses show that most of students have problems in using the dictionaries. The following are examples that indicate students' problems of using the dictionaries:

e.g. (13) He is still a bit tired but he is definitely **on the mend**.

هو مازال تعب قليل و لكنه حقا قادرا او يقاوم.

e.g. (14) John will have to stay at home until the doctors give him **a clean bill of health**.

جون سوف يبقى في المنزل حتى يعطيه الطبيب الرخصة او الاذن للخروج او انه تعافى تماما.

It is obvious that students are not aware of how to use dictionaries in appropriate way and they have problems in picking the closest meaning of words according to their use in different types of texts. For instance, the students could not decide which meaning to be chosen in order to translate the idioms properly; consequently, they give more than one translation for the idioms. For example, subjects translated (on the mend) and (a clean bill of health) in the above samples into (قادرا او يقاوم) and (الرخصة او الاذن للخروج) (او انه تعافى تماما) in their native language which indicate their lack of dictionary skills. It is also observed that some students used bilingual dictionaries instead of using monolingual or specialized dictionaries. Further, it is also monitored that most of them overused dictionaries while they were translating the sentences.

Note: (Further students' translation samples in appendix at the end of this study)

Chapter Four

(Conclusion and Recommendations)

4.1 Introduction:

The goal of this chapter is to introduce the main findings related to idioms translation as well as to suggest recommendations for further studies.

4.2 Conclusion and findings:

This study sheds light on the strategies applied by students to translate health idioms and it focus on the difficulties that students face when they translate health idioms. The previous elements of analysis indicate clearly that students have problems in ST comprehension and in adopting the suitable strategy to translate health idioms. Moreover, it shows that they are not competent enough in the TL and they have grammatical problems as well as lexical problems. The research also finds out that they are not aware of idioms connotations and they are not able to understand idioms in the context in which idioms are used. The combination of the previous problems leads students to translate idioms inappropriately and incompletely .As a result of the difficulties mentioned above students cannot produce well translation and they are not capable to understand and transfer the intended meanings of idioms. Although the percentages show that 60% of students tried to paraphrase idioms, only some of them produce

acceptable translations. The statistics also show that 62% of students translate the idioms inappropriately while only 38% of their translations are acceptable. It is also obvious through the discussion of the previous chapter that students are not able to find equivalent meanings of the idioms in their language. Only 6% of them employed the strategy of finding idioms that have similar meaning in their native language. Furthermore, it is observed and noticed that students need to increase their skills of using dictionaries which can only be acquired and improved through more translation practice. Finally, the successful translators transfer the intended meaning of idioms completely and properly by applying the suitable strategies as well as being engaged to the English culture.

Through analysis, the researcher concludes the following findings:

- 1- Paraphrasing and Literal translation are the most strategies adopted by students to translate health idioms.
- 2- Students are not able to render health idioms properly.
- 3- The researcher monitored that they do not know how to use dictionaries effectively.
- 4- The differences between English and Arabic cultures make students enable to find the suitable equivalence.
- 5- Students need more practice to increase the quality of their translations.
- 6- The students' target culture interference effects their translations.

-
- 7- They are not competent enough in English language and they are not competent in Arabic language as well.
 - 8- The lack of practice. They need more practice because translation is a skill that should be acquired through practice.
 - 9- Even though Subjects tried to paraphrase idioms, they cannot transfer the intended meaning appropriately.

This failure attributed to the following:

- a- They do not have a good command of both languages and cultures.
- b- They have lexical problems.
- c- They are not aware of idioms connotations.
- d- They do not have a good command of both languages.
- e- They have grammatical problems.

To sum up, it can be tentatively assumed that one of the reasons underlying these problems is the applying of strategies of translating idioms as well as their lack of awareness of the difference between the two languages and cultures. More work in these areas is needed.

4.2 Recommendations:

On the base of the results obtained from this study, the following recommendations are suggested for further

studies. Moreover, they should be clues for both students and teachers of translation to work on in order to increase the quality of their translations:

- 1- It is necessary for students to be exposed to more linguistic and cultural knowledge in order to improve their abilities of rendering idiomatic expressions. Otherwise, they will not be able to grasp the indented meaning when idioms occur in texts.
- 2- Students should be engaged into more translation practice; as a result, the quality of their translations will be increased. Practicing also helps students in recognising how translation strategies should be employed to ensure that both of the implicit and explicit meanings are closely conveyed.
- 3- Students must be encouraged to be involved in more extensive reading in both languages. This will expose them to a substantial amount of vocabulary which will enrich their knowledge about the structure of both languages. By applying this students will be able to understand the difference of both languages in use.
- 4- It is advisable that students should learn how to look to the text as units of meanings which must be transferred into another language in a different form. Students should also acquire the techniques of

translations that help them to produce coherent productions.

- 5- Teachers of translations should emphasize on the difference between paraphrasing idioms and explaining the meaning of its individual words. This can be achieved through more practice.
- 6- Since idioms are used to express meanings briefly and to add a flavour to the languages, it would be better for translators to find idioms that have the same meaning and effect in the target language.
- 7- Finally, students should be advised to increase their skills of using dictionaries; further, they should be able to recognise when to use dictionaries and how to use them effectively. Students also should be encouraged to use English-English dictionaries as well as specialized dictionaries, because they explain the meaning of words as well as includes a lot of examples.